

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِلْإِمَامِ ابْنِ كَثِيرٍ

فَقِيهُ الْمُفَسِّرِينَ وَمُفَسِّرُ الْمُحَدِّثِينَ

تَحْقِيقُ

أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين

أستاذ كرسي الدراسات القرآنية في جامعة الملك عبد العزيز

أَشْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ

سعد بن فواز الصميل

الْجُزْءُ السَّابِعُ

سورة و - حتى آخر سورة الناس

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الإمام الشوكاني رحمه الله عن تفسير ابن كثير رحمه الله
وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها
د البدر الطالع ١/ ١٥٣

تفسير القرآن العظيم

للإمام ابن كثير

فقيه المفسرين ومفسر الحديث

٧

جميع الحقوق محفوظة دار ابن الجوزي

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣١هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.



دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢ -
الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوال: ٥٠٣٨٥٧٩٨٨ -
الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ -
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ -
البريد الإلكتروني: aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

سُورَةُ قَافٍ

وهي مكية

هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات. وأما ما يقوله العوام إنه من (عم) فلا أصل له ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم. والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل ما رواه أبو داود في سننه «باب تحزيب القرآن» ثم قال: حدثنا مسدد، حدثنا قران بن تمام، حدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، سليمان بن حيّان، وهذا لفظه: عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن جده، قال عبد الله بن سعيد: حدثني أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل الرسول ﷺ بني مالك في قبة له، قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف، قال: كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا، قال أبو سعيد، قائماً على رجله حتى يراوح بين رجله من طول القيام، فأكثر ما يحدثنا به ﷺ ما لقي من قومه قريش ثم يقول ﷺ: «لا سواء وكنا مستضعفين مستذلين - قال مسدد بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجلاً بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا» فلما كانت ليلة أبطأ عنا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة، قال ﷺ: «إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه». قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاثة عشرة، وحزب المفصل وحده^(١)، ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي خالد الأحمر به، ورواه الإمام أحمد، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الله بن عبد الرحمن هو ابن يعلى الطائفي به^(٢).

إذا علم هذا فإذا عدت ثمانياً وأربعين سورة فالتى بعدهن سورة ق. بيانه ثلاث: البقرة وآل عمران والنساء. وخمس: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة. وسبع: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل. وتسع: سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان. وإحدى عشرة: الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، الصلاة، باب تحزيب القرآن ح ١٣٩٣) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٢٩٧).

(٢) سنن ابن ماجه، الإقامة، باب في كم يستحب يختم القرآن (ح ١٣٤٥)، وأخرجه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي به وفي آخره: وحزب المفصل: من قاف حتى يختم. (المسند ٨٩/٢٦ ح ١٦١٦٦) وضعف سنده محققوه.

و﴿الْعَم﴾ السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس. وثلاث عشرة: الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات. ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم. فتعين أن أوله سورة ق. وهو الذي قلنا، والله الحمد والمنة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا مالك، عن ضمرة بن سعيد، عن عبيد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد؟ قال: بقاف واقتربت^(١)، ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به^(٢). وفي رواية لمسلم، عن فليح، عن ضمرة، عن عبيد الله، عن أبي واقد قال: سألتني عمر رضي الله عنه، فذكره^(٣).

حديث آخر:

وقال أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، عن أم هشام بنت حارثة قالت: لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿قَ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ [ق] إلا على رسول الله، وكان يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس^(٤). رواه مسلم من حديث ابن إسحاق به^(٥).

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن حبيب، عن عبد الله بن محمد بن معن، عن ابنة الحارث بن النعمان قالت: ما حفظت ﴿قَ﴾ إلا من في رسول الله ﷺ يخطب بها كل جمعة. قالت: وكان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً^(٦). وكذا رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة به^(٧).

والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار: كالعيد والجُمع لاشتمالها على ابتداء الخلق، والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب، والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢١٧/٥)، وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين (ح ٨٩١)، وسنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقرأ في الأضحى والفطر (ح ١١٥٤)، وسنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في القراءة في العيدين (ح ٥٣٤)، والسنن الكبرى للنسائي. التفسير، باب سورة القمر (ح ١١٥٥)، وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب القراءة في صلاة العيدين (ح ١٢٨٢).

(٣) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ٨٩١/١٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٣٥/٦) وسنده صحيح.

(٥) صحيح مسلم، الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (ح ٨٧٣).

(٦) سنن أبي داود، الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس (ح ١١٠٠) وسنده صحيح.

(٧) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ٨٧٣/٥١)، وسنن النسائي، الجمعة باب القراءة في الخطبة ٧/٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَوَدَا مِثْنًا وَكَأَنَّ زُبًّا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيطٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيعٍ ﴿٥﴾﴾.

﴿قَ﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور كقوله تعالى: ﴿صَ﴾ و﴿تَ﴾ و﴿الْعَ﴾ و﴿حَمَ﴾ و﴿طَسَ﴾ ونحو ذلك، قاله مجاهد وغيره.

وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ﴿قَ﴾ جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف^(١)، وكأن هذا، والله أعلم، من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندني أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افتروا في هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم وشربهم الخمر، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته؟ وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»^(٢) فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل، والله أعلم.

وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، والله الحمد والمنة، حتى أن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، رحمة الله عليه، أورد ههنا أثراً غريباً لا يصح سنده عن ابن عباس فقال: حدثنا أبي قال: حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي، حدثنا ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: خلق الله من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له قاف، سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه، حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات، قال: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾^(٣) [لقمان: ٢٧]. فإسناده هذا الأثر فيه انقطاع، والذي رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿قَ﴾ هو اسم من أسماء الله ﷻ^(٤).

(١) ذكره الطبري بنحوه دون نسبه لأحد.

(٢) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو ؓ (الصحيح، أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ح ٣٤٦١).

(٣) سنده ضعيف لابهام شيخ أبي حاتم الرازي. (٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

والذي ثبت عن مجاهد: أنه حرف من حروف الهجاء^(١) كقوله تعالى: ﴿صَّ﴾، ﴿تَّ﴾، ﴿حَمْ﴾، ﴿طَسَّ﴾، ﴿آلَمْ﴾ ونحو ذلك، فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس.
وقيل: المراد قضي الأمر والله، وأن قوله: ﴿قَّ﴾ قال: دلت على المحذوف من بقية الكلمة كقول الشاعر:

قلت لها قضي فقالت ق^(٢)

وفي هذا التفسير نظر لأن الحذف في الكلام يكون إنما يكون إذا دل دليل عليه، ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف؟

وقوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ أي: الكريم العظيم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت] واختلفوا في جواب القسم ما هو؟ فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيزٌ﴾، وفي هذا نظر^(٣) بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم، وهو إثبات النبوة وإثبات المعاد وتقديره وتحقيقه، وإن لم يكن القسم يلتقي لفظاً، وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله: ﴿صَّ﴾ و﴿الْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي﴾ [ص] وهكذا قال ههنا: ﴿قَّ﴾ و﴿الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ ﴿بَلِ عِمْيَؤُا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا مَثْقٌ عَجِيبٌ﴾ أي: تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر، كقوله تعالى: ﴿أَكَاَنَّ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَن أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَن أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ [يونس: ٢] أي: وليس هذا بعجيب فإن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس.

ثم قال مخبراً عنهم في تعجبهم أيضاً من المعاد واستبعادهم لوقوعه: ﴿أَوَدَا مِتْنَا وَكُنَّا زُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أي: يقولون أئذا متنا وبلينا وتقطعت الأوصال منا وصرنا تراباً، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب؟ ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أي: بعيد الوقوع. والمعنى أنهم يعتقدون استحالة وعدم إمكانه. قال الله تعالى راداً عليهم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكل من أجسادهم في البلى نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان وأين ذهبت وإلى أين صارت ﴿وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيزٌ﴾ أي: حافظ لذلك فالعلم شامل والكتاب أيضاً فيه كل الأشياء مضبوطة.

قال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكل من لحومهم وأبشارهم، وعظامهم وأشعارهم^(٤)، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم^(٥).

(١) تقدم تخريجه في تفسير ﴿آلَمْ﴾ في سورة البقرة.

(٢) تقدم عزوه وبيان عجزه كسابقه.

(٣) قول الحافظ ابن كثير: وفي هذا نظر. فيه نظر أيضاً، فإن الإمام الطبري ذكر هذا القول عن أهل البصرة ثم أرفده بقول آخر عن أهل الكوفة بأن ﴿قَّ﴾ فيها المعنى الذي أقسم به. ثم رجح هذا القول، فما نقله الحافظ ابن كثير مبتور. وما رجحه الحافظ ابن كثير يتضمن ما رجحه الإمام الطبري رحمهم الله تعالى.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بالآثار التالية.

(٥) قول مجاهد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن =

ثم بين تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ أي: وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل، والمريج: المختلف المضطرب الملتبس المنكر خلاله كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَنِي قَوْلٍ تُخَلِّفُ ۝٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات].

﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧﴾ بَصِيرَةً وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَلْبَنَّا بِهِ حَبَّ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١﴾.

يقول تعالى منبهاً للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ أي: بالمصاييح.

﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ قال مجاهد: يعني من شقوق^(١)، وقال غيره: فتوق، وقال غيره: صدوع^(٢)، والمعنى متقارب كقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝٢﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٣﴾ [الملك] أي: كليل عن أن يرى عيباً أو نقصاً.

وقوله: ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا﴾ أي: وسعناها وفرشناها ﴿وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ وهي الجبال لثلاث تميم بأهلها وتضطرب، فإنها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها ﴿وَأَلْبَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي: من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ [الذاريات] وقوله: بهيج؛ أي: حسن المنظر ﴿بَصِيرَةً وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝٨﴾ أي: ومشاهدة خلق السموات والأرض وما جعل الله فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى لكل عبد منيب؛ أي: خاضع خائف وجل رجاع إلى الله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ أي: نافعا ﴿فَأَلْبَنَّا بِهِ حَبَّ جَنَّتٍ﴾ أي: حدائق من بساتين ونحوها ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ وهو الزرع الذي يراد لحبه وادخاره ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طوالاً شاهقات، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وغيرهم: الباسقات الطوال^(٣). ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ أي: منضود^(٤) ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ أي: للخلق ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾

= قتادة، وقول الضحاك أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عنه.

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) أخرج الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الشيء المتبرئ بعضه من بعض.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة بلفظ: «نُضِدٌ بعضه على بعض».

وهي الأرض التي كانت هامة، فلما نزل الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزهير وغير ذلك، مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعد ما كانت لا نبات بها فأصبحت تهتز خضراء، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يُحيي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث، كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحزاب: ٣٣] وقال ﷺ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣٦] [فصلت].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّ وَشَمُودُ﴾ (١٢) وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُيُجُ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴿١٤﴾ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

يقول تعالى متهدداً لكفار قريش، بما أحله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم، من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا كقوم نوح وما عذبهم الله تعالى به من الغرق العام لجميع أهل الأرض وأصحاب الرس، وقد تقدمت قصتهم في سورة الفرقان.

﴿وَشَمُودُ﴾ (١٢) وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور، وكيف خسف الله تعالى بهم الأرض، وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق.

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام ﴿وَقَوْمُ تُيُجُ﴾ وهو اليماني، وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان ما أغنى عن إعادته ههنا، والله الحمد والشكر.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ أي: كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسولهم، ومن كذب رسولاً فكأنما كذب جميع الرسل كقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء) وإنما جاءهم رسول واحد فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم ﴿فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ أي: فحق عليهم ما أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذبوا أولئك. وقوله تعالى: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: أفعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ والمعنى أن ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل منه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وقال الله تعالى: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس].

وقد تقدم في الصحيح: «يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته»^(١).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنِدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَفَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾.

يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع أموره، حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل»^(١).

وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ يعني: ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم فإنما قرّ لثلا يلزم حلول أو اتحاد وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ كما قال المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢) [الواقعة] يعني: ملائكته وكما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣) [الحجر] فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن بإذن الله ﷻ، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه [بتقدير]^(٤) الله لهم على ذلك. فللملك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة، وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم^(٥)، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّانِ﴾ يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: مترصد ﴿مَا يَلْفُظُ﴾ أي: ابن آدم ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾ أي: ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنِدٌ﴾ أي: إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٦﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١٧﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الانفطار].

وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام. وهو قول الحسن وقتادة^(٤)، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس^(٥)، على قولين، وظاهر الآية الأول لعموم قوله: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنِدٌ﴾.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي، عن أبيه، عن جده علقمة، عن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عليه بها سخطه إلى

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٨٤. (٢) كذا في (مح)، وفي الأصل وحم: «باقتدار».

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٨٧.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «يحفظان عليه عمله ويكتبان أثره».

يوم يلقاه» فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث^(١). ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث محمد بن عمرو به، وقال الترمذي: حسن صحيح وله شاهد في الصحيح^(٢).

وقال الأحنف بن قيس: صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمير على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها، وإن أبي كتبها^(٣). رواه ابن أبي حاتم، وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قِيعًا﴾ يا ابن آدم بسطت لك صحيفة وוכל بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى يخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِفَةً فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا﴾ ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ [الإسراء] ثم يقول: عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك^(٤).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ﴿٨﴾ قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى أنه ليكتب قوله: أكلت شربت ذهبت جئت رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقي سائرته، وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿٢٩﴾^(٥) [الرعد].

وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يثن في مرضه فبلغه عن طاوس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين فلم يثن أحمد حتى مات ﷺ^(٦). وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيذٌ﴾ يقول تعالى: وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق؛ أي: كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيذٌ﴾ أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص.

وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيذٌ﴾ ﴿٨﴾ فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو، وقيل الكافر، وقيل غير ذلك.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٥/ ١٨٠ ح ١٥٨٥٢) وقال محققوه: صحيح لغيره.
(٢) سنن الترمذي، الزهد، باب قلة الكلام (ح ٢٣٢٠)، وسنن ابن ماجه الفتن، باب كفت اللسان في الفتنة (ح ٣٩٦٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ١٨٨٨).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا بسند ضعيف من طريق رجل مبهم عن ابن تيمية السلمي عن الأحنف. (الصمت ص ٨٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.
(٥) أخرجه الطبري في تفسير سورة الرعد آية ٣٩ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله بن رثاب الأنصاري وليس من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ورواية الكلبي عن أبي صالح ضعيفة جداً.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٧/ ٢١٠)، ورواية الإمام أحمد منقطعة لأن روايته بلاغاً.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا إبراهيم بن زياد سبلان، أخبرنا عباد بن عباد، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن جده علقمة بن وقاص قال: إن عائشة رضي الله عنها قالت: حضرت أبي رضي الله عنه وهو يموت، وأنا جالسة عند رأسه فأخذته غشية، فتمثلت ببیت من الشعر: من لا يزال دمه مقنعاً فإنه لا بد مرة مدفوق قالت: فرفع رأسه فقال: يا بُنية ليس كذلك ولكن كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (١).

وحدثنا خلف بن هشام، حدثنا أبو شهاب الخياط، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن البهي قال: لما أن ثقل أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت: لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر (٢) فكشف عن وجهه وقال رضي الله عنه: ليس كذلك، ولكن قل لي ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (٣).

وقد أوردت لهذا الأثر طرقاً كثيرة في سيرة الصديق رضي الله عنه عند ذكر وفاته، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق، عن وجهه ويقول: «سبحان الله إن للموت لسكران» (٤).

وفي قوله: ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ قولان:

(أحدهما): أن ما ههنا موصولة؛ أي: الذي كنت منه تحيد بمعنى تبتعد وتتناهى وتفر قد حلّ بك ونزل بساحتك.

(والقول الثاني): أن ما نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفرار منه ولا الحيد عنه.

وقد قال الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا مؤمل بن علي الصائغ المكي، حدثنا حفص، عن ابن عمر الحدي، حدثنا معاذ بن محمد الهذلي، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن سَمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الأرض بدين، فجاء يسعى حتى إذا أعيأ وأسهر دخل حجره. وقالت له الأرض: يا ثعلب ديني، فخرج وله حُصاص (٥) فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات» ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا محيد عن الأرض، كذلك الإنسان لا محيد له عن الموت (٦).

(١) في سنده عمرو بن علقمة بن وقاص: مقبول (التقريب ص ٤٣٥). ومتنه يخالف الذي يليه.

(٢) استشهد به الطبري وعزاه إلى حاتم الطائي في تفسير سورة يوسف آية ٧٧.

(٣) أخرجه البستي بسند حسن من طريق البهي، وهو عبد الله، به وأخرجه البستي بسند صحيح من طريق واصل، وهو ابن حيان الأحذب، عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أبي بكر رضي الله عنه، وأخرجه الطبري من طريق أبي وائل عن أبي بكر رضي الله عنه وطريق الطبري وابن أبي الدنيا يقوي أحدهما الآخر ويتقويان برواية البستي.

(٤) أخرجه البخاري (الصحيح، الرقاق، باب سكرات الموت ح ٦٥١٠).

(٥) أي: شدة العدو وحدته، وقيل الضراط (النهاية ٣٩٦/١).

(٦) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٢٦٨/٧ ح ٦٩٢٢) وأعله العقيلي والهيثمي بمعاذ بن محمد الهذلي =

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ قد تقدم الكلام على حديث النفخ في الصور والفرع والصعق والبعث، وذلك يوم القيامة. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له» قالوا: يا رسول الله كيف نقول؟ قال ﷺ: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل» فقال القوم: حسبنا الله ونعم الوكيل^(١).

﴿وَحَلَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي: ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله هذا هو الظاهر من الآية الكريمة، وهو اختيار ابن جرير ثم روي من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب فقرأ هذه الآية ﴿وَحَلَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ فقال: سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت^(٢)، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد^(٣).

وقال مطرف، عن أبي جعفر مولى أشجع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: السائق الملك والشهيد^(٤) العمل، وكذلك قال الضحاك والسدي^(٥).

وقال العوفي، عن ابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه، يشهد على نفسه^(٦)، وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضاً^(٧).

وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

(أحدها): أن المراد بذلك الكافر، رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس^(٨)، وبه يقول الضحاك بن مزاحم وصالح بن كيسان.

(والثاني): أن المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة، والدنيا كالنم، وهذا اختيار ابن جرير، ونقله عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله، عن عبد الله بن عباس^(٩).

= (الضعفاء الكبير ٢٠٠/٤، ومجمع الزوائد ٣٢٣/٢).

- (١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنعام آية ٧٣ وفي سورة آل عمران آية ١٧٣.
- (٢) أخرجه الطبري من طريق إسماعيل بن أبي خالد، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق عن إسماعيل بن أبي خالد به، وفي سنده يحيى بن رافع ترجم له البخاري في التاريخ الكبير وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وسكتا عنه. وأخرجه البستي من طريق رجل مبهم عن عثمان.
- (٣) أخرجه الطبري من طريق خُصيف عن مجاهد، وخُصيف سيء الحفظ، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد: الملكان: كاتب وشهيد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.
- (٤) في سنده أبو جعفر سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير ونقل ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل عن أبيه أنه لا يدري من هو؟ ويشهد له ما يليه.
- (٥) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.
- (٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. ويشهد له سابقه ولاحقه.
- (٧) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.
- (٨) أخرجه الطبري بسند ثابت عن علي به.
- (٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الزهري عن الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس.

(والثالث): أن المخاطب بذلك النبي ﷺ وبه يقول زيد بن أسلم^(١) وابنه، والمعنى على قولهما: لقد كنت في غفلة من هذا القرآن قبل أن يوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بإنزاله إليك فبصرك اليوم حديد، والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو، والمراد بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ يعني: من هذا اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: قوي لأن كل أحد يوم القيامة يكون مستبصراً حتى الكفار في الدنيا، يكونون يوم القيامة على الاستقامة، لكن لا ينفعهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة].

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَيْنٌ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ عَيْنٍ ﴿٢٤﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَرٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفَيْهِ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَفْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن الملك الموكل بعمل ابن آدم إنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول: ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَيْنٌ﴾ أي: معتمد محضر بلا زيادة ولا نقصان.

وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق^(٢)، يقول ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته، وقد اختار ابن جرير أنه يعلم السائق والشهيد، وله اتجاه وقوة، فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليقة بالعدل فيقول: ﴿أَفَلَا فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ عَيْنٍ﴾.

وقد اختلف النحاة في قوله: ﴿أَفَلَا﴾ فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالثنائية كما روي عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسى اضربا عنقه، ومما أنشد ابن جرير على هذه قول الشاعر:

فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإن تتركاني أحمر عرضاً ممنعاً^(٣)

وقيل: بل هي نون التأكيد سهلت إلى الألف، وهذا بعيد لأن هذا إنما يكون في الوقف، والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد، فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب، فلما أدى الشهيد عليه أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم، وبئس المصير ﴿أَفَلَا فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ عَيْنٍ﴾ أي: كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند للحق، معارض له بالباطل مع علمه بذلك ﴿مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ أي: لا يؤدي ما عليه من الحقوق ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة ﴿مُعْتَرٍ﴾ أي: فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب، وهو عبد الله بن وهب، عن ابن زيد، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وليس عن أبيه.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) قال الطبري: وأنشدني أبو ثروان: فذكره.

وقال قتادة: معتد في منطقته وسيرته وأمره^(١).

﴿ثُرَيْبٌ﴾ أي: شاك في أمره مريب لمن نظر في أمره ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي: أشرك بالله فعبد معه غيره ﴿فَالْقِيَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ وقد تقدم في الحديث أن عنقاً من النار يبرز للخلائق فينادي بصوت يسمع الخلائق: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين، ثم تنطوي عليهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية هو: ابن هشام، حدثنا شيبان، عن فراس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس فتنتوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم»^(٢).

﴿قَالَ قَيْبُهُ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقاتلة وغيرهم: هو الشيطان الذي وكل به^(٣). ﴿رَبَّنَا مَا أَفْقَيْتَهُ﴾ أي: يقول عن الإنسان الذي قد أوفى القيامة كافراً يتبرأ منه شيطانه فيقول: ﴿رَبَّنَا مَا أَفْقَيْتَهُ﴾ أي: ما أضللتته ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بل كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل معانداً للحق، كما أخبر تعالى في الآية الأخرى في قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم].

وقوله: ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾ يقول الرب ﷻ للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق تعالى، فيقول الإنسي؛ يا رب هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، ويقول الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَا أَفْقَيْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي: عن منهج الحق، فيقول الرب ﷻ لهما: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي: عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعْدِ﴾ أي: قد أعذرت إليكم على السنة الرسل، وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبيانات والبراهين.

﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ قال مجاهد: يعني قد قضيت ما أنا قاض ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْبَعِيدِ﴾ أي: لست أعذب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (٣٠) وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَفِينِ غَيْرَ مُبْعِدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَلِيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥).

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وذلك أنه تبارك وعدها أن سيملؤها من

(١) نسبه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ١٥.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما يليه، فقد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

الجنة والناس أجمعين، فهو ﷺ يأمر بمن يأمر به إليها ويلقى وهي تقول: هل من مزيد؟ أي: هل بقي شيء تزيدوني؟ هذا هو الظاهر في سياق الآية وعليه تدل الأحاديث.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثني حرمي بن عمار، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟» حتى يضع قدمه فتقول: «قط، قط»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع ربُّ العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة»^(٢). ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه، ورواه أبان العطار وسليمان التيمي عن قتادة بنحوه^(٣).

حديث آخر:

قال البخاري: حدثنا محمد بن موسى القطان، حدثنا أبو سفيان الحميري سعيد بن يحيى بن مهدي، حدثنا عوف، عن محمد، عن أبي هريرة، رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان: «يقال لجهنم: هل امتلأت، وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الربُّ تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قط»^(٤). ورواه أبو أيوب وهشام بن حسان، عن محمد بن سيرين به.

طريق أخرى:

قال البخاري: وحدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن [همام]^(٥) بن منبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تحتاج الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. قال الله ﷻ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها فتقول: قط فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ﷻ ينشئ لها خلقاً آخر»^(٦).

حديث آخر:

قال مسلم في صحيحه: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّت الجنة والنار فقالت النار: فيَّ

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، سورة ق باب ﴿وَقَوْلُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠؟] ح ٤٨٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣/٢٣٤) وسنده صحيح وأخرجه مسلم من طريق عبد الوهاب به. (صحيح مسلم، الجنة، باب النار يدخلها الجبارون ح ٢٨٤٨/٣٨).

(٣) المصدر السابق قبل الحديث السابق.

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثله صحيح البخاري، الباب السابق (ح ٤٨٤٩).

(٥) كذا في (حم) و(مح) وصحيح البخاري، وفي الأصل صحف إلى: «تمام».

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثله (المصدر السابق ح ٤٨٥٠).

الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم ففضى بينهما فقال للجنة: إنما أنتِ رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنتِ عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها^(١) انفرد به مسلم دون البخاري من هذا الوجه والله ﷻ أعلم.

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أبي سعيد رضي الله عنه بأبسط من هذا السياق فقال: حدثنا حسن وروح قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن عبيد الله بن عتبة، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «افتخرت الجنة والنار فقالت النار: يا ربّ يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة: أي ربّ يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين فيقول الله ﷻ للنار: أنتِ عذابي أصيب بك من أشياء، وقال للجنة: أنتِ رحمتي وسعت كل شيء ولكل واحدة منكما ملؤها، فيلقى في النار أهلها فتقول هل من مزيد؟ قال: ويلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ ويلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يأتيها ﷻ فيضع قدمه عليها فتنزوي وتقول قدني قدني، وأما الجنة فيبقى فيها ما شاء تعالى أن يبقى فينشئ الله ﷻ لها خلقاً ما يشاء^(٢)».

حديث آخر:

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثني عقبة بن مكرم، حدثنا يونس، حدثنا عبد الغفار بن القاسم، عن عدي بن ثابت، عن زرّ بن حبیش، عن أبي بن كعب قال: إن رسول الله ﷺ قال: «يعرفني الله تعالى نفسه يوم القيامة، فأسجد سجدة يرضى بها عني ثم أمدحه مدحة يرضى بها عني، ثم يؤذن لي في الكلام، ثم تمر أمتي على الصراط مضروب بين ظهراي جهنم، فيمرون أسرع من الطرف والسهم، وأسرع من أجود الخيل، حتى يخرج الرجل منها يحبو وهي الأعمال، وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وأنا على الحوض» قيل: وما الحوض يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن شربه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج. وأطيب ريحاً من المسك، وآتيته أكثر من عدد النجوم لا يشرب منه إنسان فيظماً أبداً ولا يصرف فيروى أبداً^(٣)». وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحيى الحماني، عن نصر الخراز، عن عكرمة، عن ابن عباس «يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾» قال: ما امتلأت. قال تقول: وهل من مكان يزداد في^(٤)؟ وكذا رواه [الحكم]^(٥) بن أبان، عن عكرمة «وَنَقُولُ هَلْ مِنْ

(١) أخرجه مسلم بسنده ومثله (الصحيح، الجنة، باب النار يدخلها الجبارون ح ٢٨٤٧) وما قبله.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٧/١٦٣، ١٦٤ ح ١١٠٩٩) وحسن سنده محققوه.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم من طريق عقبة بن مكرم به، وقال الألباني: إسناده موضوع آفته عبد الغفار بن القاسم.. كان يضع الحديث كما قال علي بن المدني وأبو داود (ظلال الجنة في تخريج أحاديث كتاب السنة ح ٧٩٠).

(٤) في سنده أبو يحيى الحماني وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني: صدوق يخطئ (التقريب ص ٣٣٤).

(٥) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل صحف إلى: «الحاكم».

مَزِيدٍ وهل في مدخل واحد قد امتلأت^(١)؟

قال الوليد بن مسلم، عن يزيد بن أبي مریم أنه سمع مجاهداً يقول: لا يزال يقذف فيها حتى تقول: امتلأت، فتقول: «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟»^(٢). وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو هذا^(٣). فعند هؤلاء أن قوله تعالى: «هَلْ أَمْتَلَأْتُ» إنما هو بعدما يضع عليها قدمه فتزوي وتقول حيث هل بقي في مزيد يسع شيئاً؟ قال العوفي عن ابن عباس: وذلك حين لا يبقى فيها موضع يسع إبرة^(٤)، والله أعلم.

وقوله تعالى: «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ»^(٥) قال قتادة وأبو مالك والسدي «وَأُزْلِفَتِ» أدنيت^(٥) وقربت من المتقين. «غَيْرَ بَعِيدٍ» وذلك يوم القيامة، وليس يبعد لأنه واقع لا محالة وكل ما هو آت قريب «هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ» أي: راجع تائب مقلع «حَفِيطٍ» أي: يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكته.

وقال عبيد بن عمرو: الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر الله ﷻ^(٦). «مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ» أي: من خاف الله في سره حيث لا يراه أحد إلا الله كقوله ﷻ: «ورجل ذكر الله تعالى خالياً، ففاضت عيناه»^(٧).

«وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ» أي: ولقي الله يوم القيامة بقلب منيب سليم إليه خاضع لديه «أَدْخَلُوهَا» أي: الجنة «بِسَلَامٍ».

قال قتادة: سلموا من عذاب الله، وسلم عليهم ملائكة الله.

وقوله: «ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ» أي: يخلدون في الجنة فلا يموتون أبداً، ولا يظعنون أبداً ولا ييغون عنها حولاً، وقوله: «لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا» أي: مهما اختاروا وجدوا من أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمر بن عثمان، حدثنا بقية، عن يحيى بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة قال: من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون فأمره لكم؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم، قال كثير: لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولن أمطرينا جوارى مزيينات^(٨).

وفي الحديث عن ابن مسعود قال: إن رسول الله ﷺ قال له: «إنك لتشتهي الطير في الجنة

(١) فيه غرابة ومخالفة لما ثبت في الروايات الصحيحة المرفوعة المتقدمة.

(٢) سنده حسن، وأخرج آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «وهل من مسلك؟».

(٣) أخرجه الطبري بسنده صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٢٥. (٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٧١.

(٨) في سنده عنقة بقية وهو من كبار المدلسين، وفي متنه غرابة فإن أهل الجنة بين ظهورهم الجوارى المزيينات لا يحتاجون أن تمطر من الجوارى المزيينات.

فيخر بين يدك مشوياً»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن عامر الأحول، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا انتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة»^(٢) ورواه الترمذي وابن ماجه، عن بNDAR، عن معاذ بن هشام به^(٣). وقال الترمذي حسن غريب وزاد: [كما]^(٤) انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَّعٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي أنها النظر إلى وجه الله الكريم^(٥). وقد روى البزار وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله ﷺ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال: يظهر لهم الرب ﷻ في كل جمعة^(٦). وقد رواه الإمام أبو عبد الله الشافعي مرفوعاً فقال في مسنده: أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثني موسى بن عبيدة، حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة، عن عبد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «ما هذه؟» فقال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك، فالتناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير، ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن، يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد.

قال النبي ﷺ: «يا جبريل وما يوم المزيد؟» قال ﷺ: إن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كذب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكتب، فيقول الله ﷻ: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم علي ما تمنيتم ولدي مزيد. فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة. هكذا أورده الإمام الشافعي رحمته الله في كتاب الجمعة من الأم^(٧)، وله طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد أورد ابن جرير هذا الحديث من رواية عثمان بن عمير، عن أنس رضي الله عنه بأبسط من هذا، وذكر ههنا أثراً

(١) أخرجه العقيلي (الضعفاء الكبير ١/٢٦٨)، وابن عدي (الكامل ٦/٦٨٩) وكلاهما ضعفه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٧/١١٦ ح ١١٠٦٣) وحسن سنده محققوه.

(٣) سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة (ح ٢٥٦٦)، وسنن ابن ماجه الزهد، باب صفة الجنة (ح ٤٣٣٨) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٥٠٠).

(٤) زيادة من (حم) و(مع)، وفي الأصل: «بياض». (٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ٢٦.

(٦) سنده ضعيف لأن عثمان بن عمير ضعيف واختلط وكان يدلس ويغلو في التشيع. (التقريب ص ٣٨٦).

(٧) أخرجه الإمام الشافعي بسنده ومثله (الأم ١/١٨٥). وسنده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الربذي كما في التقريب.

مطولاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه موقوفاً وفيه غرائب كثيرة^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة لا قبل أن يتحول»^(٢)، ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة، وأن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من أنت؟ فتقول أنا من المزيد وإنه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب»^(٣). وهكذا رواه عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج به.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحْيِصٍ﴾ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبَرْ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾.

يقول تعالى: وكم أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين ﴿مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أي: كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثأروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ولهذا قال ههنا: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحْيِصٍ﴾ قال ابن عباس: أثروا فيها^(٤).

وقال مجاهد: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ ضربوا في الأرض^(٥). وقال قتادة: فساروا في البلاد؛ أي: ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتهم بها^(٦). ويقال لمن طوَّف في البلاد نقب فيها، قال امرؤ القيس^(٧):

لقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب^(٨)

وقوله: ﴿هَلْ مِنْ مَحْيِصٍ﴾ أي: هل من مفرٍّ كان لهم من قضاء الله وقدره؟ وهل نفعهم ما جمعوه؟ وردَّ عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل فأنتم أيضاً لا مفرٍّ لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص. وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾ أي: لعلبة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: لب يعي به. وقال مجاهد: عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع الكلام فوعاه وتعلقه وتفهمه بلبه. وقال مجاهد: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ يعني: لا يحدث نفسه في هذا بقلب^(٩).

(١) أخرجه الطبري، وسنده ضعيف كسابقه. (٢) زيادة من (حم) و(مع) والمسند.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٧٥/٣) وسنده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ ولكن أخرج عبد الرزاق والطبري بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظ: «حاص أعداء الله، فوجدوا أمر الله لهم مدركا».

(٧) ديوان امرئ القيس ص ٩٩.

(٨) استشهد به الطبري.

(٩) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع بلفظ: «وهو لا يحدث نفسه» شاهد القلب.

وقال الضحاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه، وهو شاهد يقول: غير غائب^(١). وهكذا قال الثوري وغير واحد^(٢).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ فيه تقرير للمعاد لأن من قدر على خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأخرى.

وقال قتادة: قالت اليهود - عليهم لعائن الله -: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت - وهم يسمونه: يوم الراحة - فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه^(٣).

﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي: من إعياء ولا تعب ولا نصب، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف] وكما قال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ أَمْتًا بَنَاهَا﴾ [النازعات].

وقوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجراً جميلاً ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء اثنتين قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وقبل الغروب في وقت العصر، وقيام الليل كان واجباً على النبي ﷺ وعلى أمته حولاً ثم نسخ في حق الأمة وجوبه، ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات، ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر [لا تضامون]^(٤) فيه، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾^(٥). ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة من حديث إسماعيل به^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي فصلِّ له كقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء] ﴿وَأَذِّنْ لِلْجُودِ﴾.

(١) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٢) أخرجه البستي بسند صحيح من طريق ابن أبي عمر العدني عن الثوري.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح لكنه مرسل، من طريق معمر عن قتادة بنحوه لكن بدون الجملتين المحصورتين بعلامات الاعتراض.

(٤) كذا في (حم) و(مع) والمسنَد، وفي الأصل ضُحفت إلى: «لا تضارون».

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسنَد ٣٦٥/٤) وسنده صحيح.

(٦) (صحيح البخاري، مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ح ٥٥٤، وصحيح مسلم، المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ح ٦٦٣).

قال ابن أبي نجيج، عن مجاهد، عن ابن عباس: هو التسييح بعد الصلاة^(١). ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء فقراء المهاجرين فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، فقال النبي ﷺ: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. قال ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» قال: فقالوا: يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. فقال ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»^(٢).

والقول الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَ السُّجُودَ﴾ هما الركعتان بعد المغرب، وروي ذلك عن عمر وعلي وابنه الحسن وابن عباس وأبي هريرة وأبي أمامة، وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبي والنخعي والحسن وقتادة وغيرهم^(٣).

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر، وقال عبد الرحمن: دبر كل صلاة. ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان الثوري به، زاد النسائي ومطرف، عن أبي إسحاق به^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، حدثنا ابن فضيل، عن رشدين بن كريب، عن أبيه، عن ابن عباس قال: بث ليلة عند رسول الله ﷺ، فصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر، ثم خرج إلى الصلاة فقال يا ابن عباس «ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم، وركعتين بعد المغرب إدبار السجود» ورواه الترمذي، عن أبي هشام الرفاعي، عن محمد بن فضيل به. وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه^(٥). وحديث ابن عباس، وأنه بات في بيت

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيج به، وأخرجه البخاري من طريق ابن أبي نجيج به بلفظ: «أن يُسبح في أدبار الصلوات كلها».

(٢) أخرجه الشيخان (صحيح البخاري، الأذان، باب الذكر بعد الصلاة ح ٨٤٣)، وصحيح مسلم، المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (ح ٥٩٥).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه الحاكم وصححه وتعبه الذهبي بقوله: «رشدين ضعفه أبو زرعة والدارقطني» (المستدرک ١/ ٣٢٠) وضعف الحافظ ابن حجر رواية الطبري عن ابن عباس (الفتح ٨/ ٥٩٨)، ويشهد له ما يليه فقد أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢/ ٥٢٣)، والطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً، وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه علي بن زيد بن جدعان عن أبي هريرة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيج عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه البستي بسند حسن من طريق إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم النخعي، وأخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢/ ٢٩٤ ح ١٠١٢) وقال محققوه: إسناده قوي. وأخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، الصلاة بعد العصر ح ١٢٧٥)، والنسائي (في السنن الكبرى، الصلاة، باب اختلاف الناقلين لخبر أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة، عن علي ح ٣٤١).

(٥) أخرجه الترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة الطور ح ٣٢٧٥) وسندهما ضعيف لضعف رشدين. (التقريب ص ٢٠٩).

حالته ميمونة، وصلى تلك الليلة مع النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة ثابت في الصحيحين وغيرهما^(١). فأما هذه الزيادة فغريبة لا تعرف إلا من هذا الوجه ورشدين بن كريب ضعيف، ولعله من كلام ابن عباس موقوفاً عليه، والله أعلم.

﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ﴿٤٥﴾﴾

يقول تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال قتادة: قال كعب الأحبار يأمر الله تعالى ملكاً أن ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة، إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ أي: من الأجداث ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ أي: هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإليه مصير الخلائق كلها، فيجازي كلًا بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ وذلك أن الله تعالى ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها، كما ينبت الحب في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله ﷻ: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمه فترجع كل روح إلى جسدها، فتدب فيه كما يدب السَّم في اللديغ، [وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر الله ﷻ ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾^(٢) يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ﴿القمر: ٨﴾ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء] وفي صحيح مسلم، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض»^(٣).

وقوله: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: تلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجْدَةٌ كُلُّهَا بِالْبَصَرِ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر] وقال ﷻ: ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٥٨﴾﴾ [لقمان].

وقوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهولنك ذلك كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر].

(١) صحيح البخاري، الوضوء، باب التخفيف في الوضوء (ح ١٣٨) وليس فيه ذكر: ثلاث عشرة ركعة، وإنما ورد في صحيح مسلم عن ابن عباس بلفظ: «كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة» (صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل (ح ٧٦٤).

(٢) زيادة من (حم) و(مح).

(٣) صحيح مسلم، الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (ح ٢٢٧٨).

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك مما كلفت به.

وقال مجاهد وقتادة والضحاك: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي: لا تتجبر عليهم^(١). والقول الأول، ولو أراد ما قالوه لقال: ولا تكن جباراً عليهم، وإنما قال: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ بمعنى وما أنت بمجبرهم على الإيمان إنما أنت مبلغ.

وقال الفراء: سمعت العرب تقول جبر فلان فلاناً على كذا أجبره^(٢).

ثم قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي: بلغ أنت رسالة ربك فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَلَيْكَ اللَّيْلُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۝٢١﴾ [الغاشية] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ﴾ [البقرة] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ﴾ [القصص: ٥٦] ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كان قتادة يقول: اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يا بار يا رحيم.

آخر تفسير سورة ق، والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) معاني القرآن ٨١/٣.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعُ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لِنَبِيٍّ قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُفَكُّ عَنْهُ مِنَ الْأُفْكِ ۝٩ قُلِ الْخَرَصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾

قال شعبة بن الحجاج، عن سماك، عن خالد بن عرعة أنه سمع علياً عليه السلام، وشعبة أيضاً عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل أنه سمع علياً عليه السلام، وثبت أيضاً من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه صعد منبر الكوفة فقال: لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى، ولا عن سنة عن رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك، فقام إليه ابن الكواء، فقال: يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّوًا ۝١﴾ قال علي: الريح، قال: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾؟ قال: السحاب، قال: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣﴾؟ قال: السفن، قال: ﴿فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾؟ قال: الملائكة^(١).

وقد روي في ذلك حديث مرفوع، فقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن هاني، حدثنا سعيد بن سلام العطار، حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: جاء صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، فأخبرني عن الذاريات ذرّوًا، فقال: هي الرياح، ولولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قلته. قال: فأخبرني عن المقسمات أمرًا، قال عليه السلام عنه هي الملائكة، ولولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قلته، قال: فأخبرني عن الجاريات يسراً، قال: هي السفن، ولولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قلته. ثم أمر بضربه فضرب مائة وجعل في بيت، فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى أبي موسى الأشعري عليه السلام: امنع الناس من مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى عليه السلام، فحلف بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً، فكتب في ذلك إلى عمر عليه السلام، فكتب عمر: ما إخاله إلا [قد]^(٢) صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس.

(١) أخرجه الحاكم من طريق أبي الطفيل به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٦٦) وصححه الحافظ ابن حجر (تغليق التعليق ٤/١٤٩)، وأخرجه الضياء المقدسي من طريق أبي الأسود عن عبد الله بن الكواء به (المختارة ٢/١٢٢ ح ٤٩٤).

(٢) زيادة من (مح) و(حم) ومسند البزار.

قال أبو بكر البزار: فأبو بكر بن أبي سبرة: لين، وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث^(١). قلت: فهذا الحديث ضعيف رفعه، وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر رضي الله عنه، فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر، وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعتناً وعناداً، والله أعلم. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة^(٢)، وهكذا فسرهما ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد^(٣)، ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك، وقد قيل إن المراد بالذاريات الريح كما تقدم، وبالحاملات وقرأ السحاب كما تقدم؛ لأنها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسلمت نفسي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالاً^(٤)
فأما الجاريات يُسراً فالمشهور عن الجمهور ما تقدم أنها السفن، تجري ميسرة في الماء جرياً سهلاً، وقال بعضهم: هي النجوم تجري يسراً في أفلاكها ليكون ذلك ترقياً من الأدنى إلى الأعلى إلى ما هو أعلى منه، فالرياح فوقها السحاب، والنجوم فوق ذلك، والمقسمات أمراً الملائكة فوق ذلك تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية، وهذا قسم من الله ﷻ على وقوع المعاد، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾^(٥) أي: لخبر صدق ﴿وَإِنَّ الْآلِينَ﴾ وهو الحساب ﴿لَوْعٌ﴾ أي: لكائن لا محالة.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتُ الْحَبْكِ﴾^(٦) قال ابن عباس: ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء^(٥)، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو صالح والسدي وقتادة وعطية العوفي والربيع بن أنس وغيرهم^(٦).

وقال الضحاك والمنهال بن عمرو وغيرهما: مثل تجعد الماء والرمل والزرع، إذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضاً طرائق طرائق، فذلك الحبك^(٧).

قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَية، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن من ورائكم الكذاب المضلّ، وإن

(١) أخرجه البزار بسنده ومثنته (المسند ٤٢٣/١ ح ٢٩٩) وسنده ضعيف جداً لأن أبا بكر بن أبي سبرة متروك (مجمع الزوائد ١٢٢/٧) والقصة لها أصل، ولكن بدون ذكر التفسير النبوي.

(٢) تاريخ دمشق ٨/ل ٢٣٠.

(٣) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند منقطع من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عنه، وهو لم يدرك ابن عباس، وأخرجه أيضاً بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقويان بسابقه، وقول مجاهد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عنه، وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق قتادة عن علي رضي الله عنه، وقتادة لم يسمع من علي، ويتقوى بما سبق.

(٤) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/٢٣١).

(٥) أخرجه البستي والطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٦) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عمران بن حدير عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف الأعرابي عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، وأخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر عن سعيد بن جبير.

(٧) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

رأسه من ورائه [حُبُّكَ حُبُّكَ] ^(١)؛ يعني: بالحبك الجعودة ^(٢).

وعن أبي صالح: ذات الحبك: الشدة ^(٣).

وقال حُصَيْف: ﴿ذَاتِ الْحُبِّكَ﴾: ذات الصفاقة ^(٤).

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: ﴿ذَاتِ الْحُبِّكَ﴾: حبكت بالنجوم ^(٥).

وقال قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البكالي، عن عبد الله بن عمر: ﴿وَالْمَاءُ ذَاتِ الْحُبِّكَ﴾ ^(٦) يعني: السماء السابعة ^(٦)، وكأنه والله أعلم أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة، وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع، والله أعلم.

وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنه، فإنها من حسنهما مرتفعة شفاقة صفيقة شديدة البناء متسعة الأرجاء أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزهرات وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ ^(٨) أي: إنكم أيها المشركون المكذبون للرسول لفي قول مختلف مضطرب لا يلتزم ولا يجتمع. وقال قتادة: إنكم لفي قول مختلف: ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به ^(٧).

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ ^(٩) أي: إنما يروج على من هو ضالّ في نفسه؛ لأنه قول باطل إنما ينقاد له ويضل بسببه، ويؤفك عنه من هو مأفوك ضالّ غمر لا فهم له كما قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنِينَ﴾ ^(١٠) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ^(١١) [الصافات] قال ابن عباس والسدي: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ ^(٩) يضل عنه من ضل ^(٨).

وقال مجاهد: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ ^(٩) يؤفن عنه من أفن ^(٩)، وقال الحسن البصري: يصرف عن هذا القرآن من كذب به ^(١٠).

وقوله تعالى: ﴿قُلِ الْمُرْصُونَ﴾ ^(١٢) قال مجاهد: الكذابون، قال: وهي مثل التي في عبس ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْذَرُ﴾ ^(١٣) [عبس] والخراصون الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون ^(١١). وقال علي بن أبي

(١) كذا في تفسير الطبري والمسنَد، وفي الأصل (حم) و(مح): «حبكاجكا».

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح، وأخرجه الإمام أحمد من طريق إسماعيل بن عُلَية به بدون قوله: يعني بالحبك: الجعودة. (المسنَد ٤٧٢/٣٨ ح ٢٣٤٨٧) وصححه سندُه محققه.

(٣) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ عن أبي صالح، وهو في العظمة لأبي الشيخ رقم ٥٤٦، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٤) هذا القول يتضمن المعنى السابق.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف الأعرابي عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري من طريق قتادة به وسنده حسن.

(٧) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٩) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن بنحوه.

(١١) أخرجه آدم والطبري بالسند الصحيح المتقدم.

طلحة، عن ابن عباس: ﴿قُلِ الْخَرَصُونَ﴾ (١٥) أي: لعن المرتابون^(١). وهكذا كان معاذ رضي الله عنه يقول في خطبته. هلك المرتابون. وقال قتادة: الخراصون أهل [الغرة]^(٢) والظنون^(٣).

وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍو سَاهُونَ﴾ (١٦) قال ابن عباس وغير واحد: في الكفر والشك غافلون لاهون^(٤).

﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٧) وإنما يقولون هذا تكديباً وعناداً وشكاً واستبعاداً، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (١٨) قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد ﴿يُفْتَنُونَ﴾: يعذبون^(٥). قال مجاهد: كما يفتن الذهب على النار^(٦).

وقال جماعة آخرون كمجاهد أيضاً وعكرمة وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم وسفيان الثوري: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يحرقون^(٧).

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ قال مجاهد: حريقكم^(٨)، وقال غيره: عذابكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْمِلُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقرّيعاً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (١٩) ﴿لَا يَدْخُلُهَا مَنْ أَتَاهُمْ رِجْمٌ﴾ (٢٠) ﴿كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (٢١) ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (٢٢) ﴿وَبِالْأَصْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٢٣) ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٢٤) ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢٥) ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢٦) ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٧) ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ لَحَقٌّ يَتَلَوْنَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ (٢٨).

يقول تعالى مخبراً عن المتقين لله تعالى أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَدْخُلُهَا مَنْ أَتَاهُمْ رِجْمٌ﴾ قال ابن جرير: أي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض^(٩). ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي: قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال أيضاً، ثم روي عن ابن حميد حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي عمر، عن مسلم البطين، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا يَدْخُلُهَا مَنْ أَتَاهُمْ رِجْمٌ﴾ قال: من الفرائض ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ قبل الفرائض يعملون^(١٠). وهذا الإسناد ضعيف ولا يصح عن ابن عباس.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به. (٢) زيادة من (حم) و(مح)، وفي الأصل: «بياض».

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «في ضلالتهم يتمادون».

(٥) أخرجه الطبري بالسند الثابت المتقدم عن ابن عباس.

(٦) أخرجه آدم والطبري بالسند الصحيح المتقدم عن مجاهد.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس بالسند المتقدم، وأخرجه سفيان الثوري والطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر من طريق حصين عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وأخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٩) ذكره الطبري بنحوه.

(١٠) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وقد ضعفه الحافظ ابن كثير، وهو كما قال لأن ابن حميد وهو محمد بن =

وقد رواه عثمان بن أبي شيبة، عن معاوية بن هشام، عن سفيان، عن أبي عمر البزار، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره، والذي فسر به ابن جرير فيه نظر؛ لأن قوله تبارك وتعالى آخذين حال من قوله في جنات وعيون، فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذين ما آتاهم ربهم؛ أي: من النعيم والسرور والغبطة، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي: في الدار الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ كقوله: ﴿كُونُوا وَآثِرُوا هَيِّئًا يَمَّا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة] ثم إنه تعالى بين إحسانهم في العمل فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَمُّونَ﴾.

اختلف المفسرون في ذلك على قولين:

(أحدهما): أن ﴿مَا﴾ نافية تقديره كانوا قليلاً من الليل لا يهجعونه، قال ابن عباس: لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئاً^(١).

وقال قتادة، عن مطرف بن عبد الله: قل ليلة لا تأتي عليهم إلا يصلون فيها لله ﷻ، إما من أولها وإما من أوسطها^(٢).

وقال مجاهد: قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون^(٣) وكذا قال قتادة.

وقال أنس بن مالك وأبو العالية: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء^(٤).

وقال أبو جعفر الباقر: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة^(٥).

(والقول الثاني) أن ﴿مَا﴾ مصدرية تقديره كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم، واختاره ابن جرير.

وقال الحسن البصري: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَمُّونَ﴾ كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر^(٦).

وقال قتادة: قال الأحنف بن قيس: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَمُّونَ﴾ كانوا لا ينامون إلا قليلاً ثم يقول: لست من أهل هذه الآية^(٧). وقال الحسن البصري: كان الأحنف بن قيس يقول

= حميد الرازي: ضعيف، ومسلم البطين لم يدرك ابن عباس ﷺ، وأبو عمر البزار: هو دينار بن عمر الأسدي: صالح الحديث رمي بالرفض (التقريب ص ٢٠٢).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢/٢٣٩) والطبري والحاكم بسند حسن من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وصححه الحاكم وذكر له شاهداً مرفوعاً، ووافقه الذهبي على الموقوف عن ابن عباس وضعف الشاهد المرفوع (المستدرک ٢/٤٦٧).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة به.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه أبو داود بسند صحيح عن أنس (السنن، الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل ح ١٣٢٣)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٦٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١١٧٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢/٢٣٨) والطبري بسند حسن من طريق عاصم عن أبي العالية.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢/٢٣٨)، والطبري بسند حسن من طريق بكر بن أبي السميط عن قتادة عن أبي جعفر محمد بن علي.

(٦) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مقتصراً على الشق الأول، وأخرجه =

عرضت عملي على أهل الجنة، فإذا قوم قد باينونا بونا بعيداً، إذا قوم لا نبليهم أعمالهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وعرضت عملي على أهل النار، فإذا قوم لا خير فيهم مكذبون بكتاب الله وبرسل الله، مكذبون بالبعث بعد الموت، فقد وجدت من خيرنا منزلة قوماً خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً^(١).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال رجل من بني تميم لأبي: يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قوماً فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ (٧) ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم، فقال له أبي: طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ^(٢).

وقال عبد الله بن سلام: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنيت فيمن انجفل، فلما رأيت وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب، فكان أول ما سمعته ﷺ يقول: «يا أيها الناس أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حبي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمر قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها» فقال أبو موسى الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: «لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وبات لله قائماً والناس نيام»^(٤).

وقال معمر في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ (٧): كان الزهري والحسن يقولان: كانوا كثيراً من الليل ما يصلون^(٥).

وقال ابن عباس وإبراهيم النخعي: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ (٧) ما ينامون^(٦).
وقال الضحاك: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (١١) كانوا قليلاً ثم ابتدأ فقال: ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ (٧) ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٨) [وهذا القول فيه بُعد وتعسف].
وقوله ﷺ: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٨) [٨]^(٨).

قال مجاهد وغير واحد: يصلون^(٩) وقال آخرون: قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار

= كاملاً بسند فيه الحكم بن عطية عن قتادة، والحكم: صدوق له أوهام كما في التقريب ص ١٧٥.

(١) لم أجد من أخرجه بل لم يذكره فضيلة د. شير علي شاه في تفسير الحسن البصري.

(٢) وأخرجه الطبري من طريق عبد الرحمن بن زيد به وسنده ضعيف لإبهام شيخ عبد الرحمن، وعبد الرحمن هو ضعيف.

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن سلام ﷺ (المسند ٢٠١/٣٩ ح ٢٣٧٨٤) وصححه سننه محققوه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٨٦/١١ ح ٦٦١٥) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر به.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه سفيان الثوري وابن أبي شيبة (المصنف ٢/٢٣٩) بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم النخعي.

(٧) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٨) زيادة من (حم) و(مح).

(٩) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

كما قال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن. وقد ثبت في الصحيح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فيعطى سؤله؟ حتى يطلع الفجر»^(١). وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى: إخباراً عن يعقوب أنه قال لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨] قالوا: أخرهم إلى وقت السحر^(٢).

وقوله: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ أي: جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم. أما السائل فمعروف وهو الذي يبتدئ بالسؤال، وله حق كما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا: حدثنا سفيان، عن مصعب بن محمد، عن يعلى بن أبي يحيى، عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «للسائل حق وإن جاء على فرس»^(٣). ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به^(٤). ثم أسنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب^(٥)، وروي من حديث الهرماس بن زياد مرفوعاً^(٦).

وأما المحروم فقال ابن عباس ومجاهد: هو المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم^(٧)؛ يعني: لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها. وقالت أم المؤمنين عائشة: هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه^(٨). وقال الضحاك: هو الذي لا يكون له مال إلا ذهب، قضى الله تعالى له ذلك^(٩).

وقال أبو قلابة: جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل، فقال رجل من الصحابة: هذا المحروم^(١٠) وقال ابن عباس أيضاً وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي ونافع مولى ابن عمر

(١) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (صحيح البخاري، التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ح ١١٤٥)، وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء... (ح ٧٥٨).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بلاغاً.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٥٤/٣ ح ١٧٣٠) وضعف سنده محققوه لجهالة يعلى بن أبي يحيى.

(٤) السنن، الزكاة، باب حق السائل (ح ١٦٦٥)، وسنده كسابقه.

(٥) المصدر السابق (ح ١٦٦٦) وفي سنده رجل مجهول لم يسم.

(٦) أخرجه الطبراني بسند ضعيف من طريق عثمان بن فائد عن عكرمة بن عمار عن الهرماس به (المعجم الكبير ٢٠٣/٢٢ ح ٥٣٥) وأعله الهيثمي بعثمان بن فائد (مجمع الزوائد ١٠٤/٣)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (ح ١٣٧٨).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٦٦٩/٧) والطبري كلاهما من طريق قيس بن كركم عن ابن عباس، وقيس سكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ١٠٣/٧) ويتقوى بالشواهد التالية، وأخرجه عبد الرزاق وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد مختصراً.

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم.

(٩) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(١٠) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عاصم عن أبي قلابة.

وعطاء بن أبي رباح: ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ المحارف^(١). وقال قتادة والزهري: ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يسأل الناس شيئاً^(٢).

قال الزهري: وقد قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمر والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه» وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحيهما من وجه آخر^(٣).

وقال سعيد بن جبير: هو الذي يجيء وقد قسم المغنم فيرضخ له.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني بعض أصحابنا قال: كنا مع عمر بن عبد العزيز في طريق مكة، [فجاء كلب]^(٤) فانتزع عمر كتف شاة فرمى بها إليه وقال: يقولون إنه المحروم^(٥).

وقال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم^(٦).

واختار ابن جرير أن المحروم الذي لا مال له بأي سبب كان وقد ذهب ماله، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بأفة أو نحوها^(٧).

وقال الثوري: عن قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد قال: إن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا، فجاءه قوم لم يشهدوا الغنيمة، فنزلت هذه الآية ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٨) وهذا يقتضي أن هذه مدنية وليس كذلك بل هي مكية شاملة لما بعدها.

وقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٩) أي: فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنه الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الإيرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١٠).

قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة.

ثم قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ يعني: المطر^(٩) ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يعني: الجنة، قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد^(١٠).

وقال سفيان الثوري: قرأ واصل الأحذب هذه الآية: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فقال:

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مجاهد عن مجاهد، وأخرجه أيضاً بسند صحيح عن عطاء بن أبي رباح، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أيوب عن نافع مولى ابن عمر، وأخرجه بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم النخعي.

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٧٧. (٤) زيادة من (حم) و(مع).

(٥) سنده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن عون عن الشعبي.

(٧) ذكره الطبري بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات من طريق الثوري به لكنه مرسل.

(٩) أخرجه البستي بسند ضعيف من طريق رجل مجهول عن مجاهد.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

ألا إني أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض؟ فدخل خربة فمكث ثلاثاً لا يصيب شيئاً، فلما أن كان اليوم الثالث إذا هو بدوخلة^(١) من رطب، وكان له أخ أحسن نية منه، دخل معه فصارتا دوختين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرّق بينهما الموت^(٢).

وقوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾^(٣) يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكُّوا فيه كما لا تشكُّوا في نطقكم حين تنطقون، وكان معاذ رضي الله عنه إذا حدث بالشيء يقول لصاحبه: إن هذا لحق كما أنك ههنا.

قال مسدد: عن ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن البصري قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا»^(٣). ورواه ابن جرير، عن بُندار، عن ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن فذكره مرسلًا^(٤).

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾^(٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفُّ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أُمْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُمْ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾.

هذه القصة قد تقدمت في سورة هود والحجر أيضاً فقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾^(٢٤) أي: الذين أرصد لهم الكرامة، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل. وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾^(٢٥) الرفع أقوى وأثبت من النصب، فردّه أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا﴾ [النساء: ٨٦] فالخليل اختار الأفضل.

وقوله تعالى: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ وقوله: ﴿فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ﴾ أي: انسلّ خفية في سرعة ﴿فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ أي: من خيار ماله، وفي الآية الأخرى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَزِينٍ﴾ [هود: ٦٩] أي: مشوي على الرضف ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أدناه منهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ تلطف في العبارة وعرض حسن.

وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل مما وجد من ماله، وهو عجل فتي سمين مشوي، فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ على سبيل العرض

(١) سلة تنسج من الخوص كالزنبيل يخزن فيها التمر.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٣) سنده ضعيف لأن الحسن رواه بلاغاً وهو من مراسيله.

(٤) أخرجه الطبري عن محمد بن بشار وهو بندار به، وسنده كسابقه.

والتلطف، كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ هذا محال على ما تقدم في القصة في السورة الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ۖ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ [هود] أي: استبشرت بهلاكهم لتمردهم وعتوهم على الله تعالى، فعند ذلك بشرتها الملائكة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قَالَتْ يَوْنٰلَيَّ ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۖ﴾ [٧٦] قَالُوا أَنْعَجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ۖ﴾ [هود] ولهذا قال ههنا: ﴿وَبَشِّرُوهُمْ بِعَلِيمٍ﴾ فالبشارة له هي بشارة لها. لأن الولد منهما فكل منهما بشر به.

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَ كَأَنَّ فِي صَرْقٍ﴾ أي: في صرخة عظيمة ورنة، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدي^(١). وهي قولها: ﴿يَكُونَلَيَّ﴾.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: ضربت بيدها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط^(٢)، وقال ابن عباس: لطمت^(٣)؛ أي: تعجبا كما تتعجب النساء من الأمر الغريب ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيما لا أحبل؟ ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [٣٠] أي: عليم بما تستحقون من الكرامة حكيم في أقواله وأفعاله.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [٣١] قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۖ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن طِينٍ ۚ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۚ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ۚ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۖ﴾.

قال الله تعالى مخبرا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ ابْنِدَ لَّنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ ۖ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ ۚ أَوَّهٌ مُّثِيبٌ ۖ﴾ [٧٥] يَتَابَرَهُمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَهُ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَانْتِهِمْ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ ۖ﴾ [هود] وقال ههنا: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [٣١] أي: ما شأنكم؟ وفيهم جئتم؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۖ﴾ يعنون قوم لوط ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن طِينٍ ۚ مُّسَوَّمَةً﴾ أي: معلمة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: مكتتبه عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه، فقال في سورة العنكبوت: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۖ﴾ [العنكبوت] وقال تعالى ههنا: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة وأخرجه البستي بسند حسن من طريق إسباط عن السدي، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن زيد بن أسلم.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والبستي والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند فيه محمد بن حميد الرازي من قول ابن سابط، ومحمد بن حميد ضعيف، ويتقوى السند بسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ وَهُمْ لَوْطُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ إِلَّا امْرَأَتَهُ ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال، وقوله: ﴿وَرَكَّابًا فِيهَا آيَةٌ لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٣٧﴾ أي: جعلناها عبرة لما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعلنا محللتهم بحيرة منتنة خبيثة، ففي ذلك عبرة للمؤمنين ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبَيْهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّلِيفَةَ وَهُمْ يَقْنُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ فَيَارٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾ أي: بدليل باهر وحجة قاطعة ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبَيْهِ﴾ أي: فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً. وقال مجاهد: تعزز بأصحابه^(١).

وقال قتادة: غلب عدو الله على قومه^(٢).

وقال ابن زيد: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبَيْهِ﴾ أي: بجموعه التي معه ثم قرأ ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(٣) [هود: ٨٠] والمعنى الأول قوي كقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩] أي: معرض عن الحق مستكبر ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحراً أو مجنوناً قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ﴾ أي: ألقيناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ وهو البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند.

ثم قال: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿٤١﴾ أي: المفسدة التي لا تنتج شيئاً. قاله الضحاك وقتادة وغيرهما^(٤)، ولهذا قال تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: مما تفسده الريح ﴿إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ أي: كالشيء الهالك البالي.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، حدثنا عمي عبد الله بن وهب، حدثني عبد الله يعني ابن عياش الغساني، حدثني عبد الله بن سليمان، عن دراج، عن

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «بعضه وأصحابه».

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك بنحوه، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة بلفظ: «الريح التي لا تنبت».

عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الريح مسخرة من الثانية» - يعني: من الأرض الثانية -، فلما أراد الله تعالى أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً قال: أي رب أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور؟ قال له الجبار تبارك وتعالى لا إذا تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه: ﴿مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالْزَيْمِ﴾ (٤١) ﴿١﴾.

هذا الحديث رفعه منكر والأقرب أن يكون موقوفاً على عبد الله بن عمرو من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك، والله أعلم.

قال سعيد بن المسيب وغيره في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ قالوا: هي الجنوب (٢).

وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلك عاد بالديور» (٣).

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٤٢) قال ابن جرير: يعني إلى وقت فناء آجالكم (٤). والظاهر أن هذه كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَيعَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [فصلت: ١٧] وهكذا قال ههنا: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْعَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤) وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ فَيٍّ﴾ أي: من هرب ولا نهوض ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ أي: لا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه.

وقوله: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وكل هذه القصص قد تقدمت مبسطة في أماكن كثيرة من سور متعددة.

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِإِثْنَيْنِ وَإِنَّا لَمَوَسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعَمَ الْمَهْدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فِقَرُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١).

يقول تعالى منبهاً على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ أي: جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً ﴿بِإِثْنَيْنِ﴾ أي: بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد (٥). ﴿وَإِنَّا لَمَوَسِعُونَ﴾ أي: قد وسعنا أرجاءها فرفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي:

(١) أخرجه الحاكم من طريق عبد الله بن وهب به وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: «منكر». (المستدرک ٤/ ٥٩٤). وكذلك قال الحافظ ابن كثير. وتقدم تخريجه في تفسير سورة الروم آية ٤٨.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق الحارث بن عبد الرحمن خال ابن أبي ذئب عن سعيد بن المسيب.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأحزاب آية ٩.

(٤) ذكره الطبري بلفظه.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

جعلناها فراشاً للمخلوقات ﴿فَنَعَمَ الْمَهْدُونَ﴾ أي: وجعلناها مهداً لأهلها ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض وليل ونهار، وشمس وقمر وبر وبحر وضيء وظلام، وإيمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: ألجأوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ٥٢﴾ ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٥٣﴾ ﴿فَنُؤَلِّهِمْ هُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ٥٤﴾ ﴿وَذَكَرْنَا لِلَّذِينَ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥﴾ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ٥٧﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٥٨﴾ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْمِلُونَ ٥٩﴾ ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠﴾.

يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون لرسولهم: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ٥٢﴾ قال الله: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً بهذه المقالة ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم، فقال متأخرهم كما قال متقدمهم. قال الله تعالى: ﴿فَنُؤَلِّهِمْ هُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: فأعرض عنهم يا محمد ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ يعني: فما نلومك على ذلك ﴿وَذَكَرْنَا لِلَّذِينَ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥﴾ أي: إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ أي: إنما خلقتهم لأمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً^(١). وهذا اختيار ابن جرير وقال ابن جريج: إلا ليعرفون^(٢).

وقال الربيع بن أنس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا للعبادة.

وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨] هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك.

وقال الضحاك: المراد بذلك: المؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود قال: أقراني رسول الله ﷺ «إني لأنا الرزاق ذو القوة المتين»^(٣). ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث إسرائيل، وقال

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٢) أخرجه البستي بسند صحيح من طريق حجاج عن ابن جريج، ولكن ابن جريج رواه عن مجاهد وهو لم يسمع من مجاهد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/ ٢٨٥، ٢٨٦ ح ٣٧٤١ و ٣١٣ ح ٣٧٧١) وصححه سنداه محققوه. وأخرجه حفص بن عمر الدوري عن يحيى به (قراءات النبي ﷺ ص ١٥٣).

الترمذي: حسن صحيح^(١).

ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب. وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم. فهو خالقهم ورازقهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا عمران - يعني ابن زائدة بن نسيط، عن أبيه، عن أبي خالد - هو الوالبي - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى^(٢): يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك». ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة، وقال الترمذي: حسن غريب^(٣).

وقد روى الإمام أحمد، عن وكيع وأبي معاوية، عن الأعمش، عن سلام بن شرحبيل: سمعت حبة وسواء ابني خالد يقولان: أتينا رسول الله ﷺ وهو يعمل عملاً أو يبني بناء، قال أبو معاوية: يصلح شيئاً، فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال: «لا تيأسا من الرزق ما تهزرت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه»^(٤).

وقد ورد في بعض الكتب الإلهية: يقول الله تعالى: ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب فاطلبنى تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ أي: نصيباً من العذاب ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: فلا يستعجلون ذلك فإنه واقع لا محالة ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة.

آخر تفسير سورة الذاريات، والحمد لله وحده، وصلواته وسلامه على خير خلقه.

(١) سنن أبي داود، الحروف والقراءات (ح ٣٩٩٣)، وسنن الترمذي، القراءات، باب ومن سورة الذاريات (ح ٢٩٤١) والسنن الكبرى للنسائي، التفسير (ح ١١٥٢٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٣٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٤/ ٣٢١ ح ٨٦٩٦) وقال محققوه: إسناده محتمل للتحسين. وأخرجه الحاكم من طريق محمد بن عبد الله به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/ ٤٤٣).

(٣) سنن الترمذي، صفة القيامة، باب من كانت الآخرة همه جاءت الدنيا راغمة (ح ٢٤٦٨)، وسنن ابن ماجه، الزهد، باب الهم بالدنيا (ح ٤١٠٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٣١٥).

(٤) أخرجه الإمام بسنده ومثته (المسند ٢٥/ ١٨٧ ح ١٥٨٥٦) وضعف سنده محققوه.

سُورَةُ الطُّورِ

وهي مكية

قال مالك: عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه^(١). أخرجاه من طريق مالك^(٢).

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أنني أشتكى فقال: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة» فطفت ورسول الله يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ۝١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ أَصَلَوْهَا فَأَصْبَرُوا ۝١٦ أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٧﴾.

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم، فالطور هو: الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً إنما يقال له جبل ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ۝٢﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً ولهذا قال: ﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣﴾ ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: «ثم رُفِعَ بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم» يعني: يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وجد إبراهيم الخليل

(١) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثله (الموطأ، الصلاة، باب القراءة في المغرب والعشاء ح ٢٣). وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الأذان، باب الجهر في المغرب (ح ٧٦٥) وصحيح مسلم الصلاة، باب القراءة في الصبح (ح ٤٦٣).

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، سورة الطور باب ١ ح ٤٨٥٣).

عليه الصلاة والسلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزء من جنس العمل، وهو بحيال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة^(١). والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد، حدثنا روح بن جناح، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة، وفي السماء الرابعة نهر يقال له: الحيوان يدخله جبريل كل يوم فيغمس فيه انغماسة، ثم يخرج فينتفض انتفاضة، يخرُّ عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور، فيصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً، ويولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفاً يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة»^(٢)، هذا حديث غريب جداً، تفرد به روح بن جناح هذا وهو القرشي الأموي مولا هم أبو سعد الدمشقي، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ، منهم الجوزجاني والعقيلي^(٣) والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم، قال الحاكم: لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري.

وقال ابن جرير: حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعة، أن رجلاً قال لعلي: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له: الضراح^(٤)، وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً^(٥). وكذا رواه شعبة وسفيان الثوري عن سماك، وعندهما أن ابن الكواء هو السائل عن ذلك، ثم رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن طلق بن غنام، عن زائدة، عن عاصم، عن علي بن ربيعة قال: سأل ابن الكواء علياً عن البيت المعمور قال: مسجد في السماء يقال له: الضراح، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً^(٦). ورواه من حديث أبي الطفيل عن علي بمثله^(٧).

وقال العوفي، عن ابن عباس: هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه^(٨). وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ١.

(٢) سنده ضعيف لضعف روح بن جناح الذي اتهمه ابن حبان بالوضع. (ينظر التقريب ص ٢١١).

(٣) ينظر الضعفاء الكبير ٥٩/٢.

(٤) الضراح: بيت في السماء حيال الكعبة (النهاية ٨١/٣).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده خالد بن عرعة سكت عنه البخاري (التاريخ الكبير ١٦٢/٣) وذكره ابن حبان في الثقات (٢٠٥/٤) ويتقوى بالروايات التالية وما فيها من متابعات كمتابعة علي بن ربيعة وأبي الطفيل. وأخرجه الضياء من طريق سماك به (المختارة ح ٤٣٨).

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته.

(٧) أخرجه عبد الرزاق (المصنف رقم ٨٨٧٥) والضياء المقدسي (رقم ٥٥٧)، والبستي والطبري كلهم من طريق أبي الطفيل به، وسنده صحيح.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوى بالحديث المرفوع الصحيح المتقدم في أول تفسير هذه الآية الكريمة.

من السلف^(١).

وقال قتادة والربيع بن أنس والسدي: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خرّ لخرّ عليها، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم»^(٢).

وزعم الضحاك أنه يعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة إيليس^(٣)، فالله أعلم. وقوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ قال سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عرعة، عن علي ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ يعني: السماء^(٤). قال سفيان ثم تلا ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] وكذا قال مجاهد وقاتة والسدي وابن جريج وابن زيد^(٥) واختاره ابن جرير.

وقال الربيع بن أنس: هو العرش^(٦)؛ يعني: أنه سقف لجميع المخلوقات، وله اتجاه وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور.

وقوله: ﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾ قال الربيع بن أنس: هو الماء الذي تحت العرش^(٧). الذي ينزل الله منه المطر، الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها، وقال الجمهور: هو هذا البحر.

واختلف في معنى قوله المسجور فقال بعضهم: المراد أنه يوقد يوم القيامة ناراً كقوله: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أي: أضرمت فتصير ناراً تتأجج محيطه بأهل الموقف. ورواه سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب^(٨). وروي عن ابن عباس وبه يقول سعيد بن جبير ومجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهم^(٩).

وقال العلاء بن بدر: إنما سمي البحر المسجور لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة. كذا رواه عنه ابن أبي حاتم.

وعن سعيد بن جبير: ﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾ يعني: المرسل^(١٠).

- (١) قول عكرمة ومجاهد أخرجهما الطبري وهما مرسلان يتقويان كسابقه.
- (٢) أخرجه الطبري ورجاله ثقات لكنه مرسل ويتقوى كسابقه بدون قوله: «لو خرّ لخرّ عليها».
- (٣) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.
- (٤) أخرجه الطبري والحاكم من طريق الثوري به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٦٨/٢).
- (٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
- (٦) أخرجه أبو الشيخ بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس العظمة رقم ٢٥٣.
- (٧) أخرجه أبو الشيخ في العظمة كسابقه، وهو تنمة له.
- (٨) أخرجه الطبري من طريق داود، وهو ابن أبي هند، عن سعيد بن المسيب به، وسنده حسن.
- (٩) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «الموقد».
- (١٠) أخرجه البستي من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقال قتادة: المسجور: المملوء^(١)، اختاره ابن جرير ووجهه بأنه ليس موقداً اليوم فهو مملوء. وقيل: المراد به الفارغ.

قال الأصمعي: عن أبي عمرو بن العلاء، عن ذي الرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال: الفارغ خرجت أمة تستسقي فرجعت فقالت: إن الحوض مسجور يعني: فارغاً^(٢). رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء. وقيل: المراد بالمسجور الممنوع المكفوف عن الأرض لئلا يغمرها فيغرق أهلها قاله علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس^(٣) وبه يقول السدي وغيره، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد، رحمهم الله، في مسنده فإنه قال: حدثنا يزيد، حدثنا العوام، حدثني شيخ كان مرابطاً بالساحل قال: لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال: حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات، يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم، فيكفّه الله ﷻ»^(٤).

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: حدثنا الحسن بن سفيان، عن إسحاق بن راهويه، عن يزيد، وهو ابن هارون، عن العوام بن حوشب، حدثني شيخ مرابط قال: خرجت ليلة لحربي لم يخرج أحد من الحرس غيري، فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل إلي أن البحر يشرف يحاذي رؤوس الجبال، فعل ذلك مراراً وأنا مستيقظ، فلقيت أبا صالح فقال: حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم، فيكفّه الله ﷻ»^(٥) فيه رجل مبهم لم يسم.

وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) هذا هو المقسم عليه؛ أي: لواقع بالكافرين كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ﴾ (٨) أي: ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك.

قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن داود، عن صالح المري، عن جعفر بن زيد العبدي قال: خرج عمر يعس في المدينة ذات ليلة، فمرّ بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ ﴿وَالطُّورِ﴾ (٩) حتى إذا بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ (٨) قال: قسم ورب الكعبة حق، فنزل عن حمارة واستند إلى حائط فمكث ملياً ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعود الناس لا يدرون ما مرضه ﷺ^(٦).

وقال الإمام أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا محمد بن صالح، حدثنا هشام بن حسان، عن الحسن أن عمر قرأ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ (٨) فربا لها ربوة عيد منها عشرين يوماً^(٧).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى الشيرازي في «الألقاب» بسنده ولفظه.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «المجوس».

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٣/١) وسنده ضعيف لإبهام شيخ العوام.

(٥) ذكر الحافظ ابن كثير عن الإسماعيلي به (مسند الفاروق ٦٠٧/٢). وسنده كسابقه.

(٦) سنده ضعيف لضعف صالح المري.

(٧) أخرجه أبو عبيد بسنده ومثته (فضائل القرآن ص ٦٤) وسنده مرسل لأن الحسن لم يسمع عمر ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ ٩ قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكاً^(١). وعن ابن عباس: هو تشققها^(٢). وقال مجاهد: تدور دوراً^(٣). وقال الضحاك: استدارتها وتحركها لأمر الله^(٤). وموج بعضها في بعض. وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة. قال: وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى بيت الأعشى فقال: كأن مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل^(٥) ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ ١٠ أي: تذهب فتصير هباء منبثاً وتنسف نفسها ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ١١ أي: ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم وعقابه لهم ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ ١٢ أي: هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزواً ولعباً ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ﴾ ١٣ أي: يدفعون ويساقون ﴿إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ ١٤ وقال مجاهد والشعبي ومحمد بن كعب والضحاك والسدي والثوري: يدفعون فيها دفعاً. ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ ١٥ أي: تقول لهم الزبانية ذلك تقريباً وتوبيخاً ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ١٦ أصلوها أي: ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ ١٧ أي: سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ١٨ أي: ولا يظلم الله أحداً، بل يجازي كلأ بعمله.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ ١٩ فَنَكِهِنَّ بِمَا ءَانَهُنَّ رِيْثُكُمْ وَوَقَنْتَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٢٠ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢١ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٢٢.

يُخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ ١٩ وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال ﴿فَنَكِهِنَّ بِمَا ءَانَهُنَّ رِيْثُكُمْ﴾ ٢٠ أي: يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك ﴿وَوَقَنْتَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ٢١ أي: وقد نجاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة التي فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢١ كقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِئَةِ﴾ ٢٢ [الحاقة] أي: هذا بذاك تفضلاً منه وإحساناً.

وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ قال الثوري: عن حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس السرر في الحجال^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٥) مجاز القرآن ٢٣١/٢ واستشهد به الطبري ثم قال: فالمرور على روايته التكفؤ والتهيؤ في المشية.

(٦) سنده حسن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا صفوان بن عمرو، أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله، يأتيه ما اشتتهت نفسه ولذت عينه»^(١). وحدثنا أبي، أخبرنا هذبة بن خالد، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت قال: بلغنا أن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه، وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم، فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك، فيقلن قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيباً^(٢)، ومعنى ﴿مَصْفُوفَةً﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض كقوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

﴿وَرَزَجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: وجعلنا لهم قرينات صالحات وزوجات حسناً من الحور العين. وقال مجاهد: ﴿وَرَزَجْنَهُمْ﴾ أنكحناهم بحور عين^(٣)، وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسٌ ۝ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكُونٌ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْتَأْذِنُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السُّمُورِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝﴾

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزل، وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك، ولهذا قال: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

قال الثوري: عن عمر بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري به^(٤)، وكذا رواه ابن جرير من حديث شعبة، عن عمرو بن مرة به، ورواه البزار، عن سهل بن بحر، عن الحسن بن حماد الوراق، عن قيس بن الربيع، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس مرفوعاً، فذكره ثم قال: وقد رواه الثوري، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس موقوفاً^(٥).

(١) سنده ضعيف لإرسال الهيثم بن مالك وهو من صغار التابعين.

(٢) سنده ضعيف لأن ثابتاً رواه بلاغا. (٣) معناه صحيح.

(٤) أخرجه الثوري بسنده ومثته، وسنده صحيح، وأخرجه الطبري من طريق الثوري به.

(٥) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (رقم ٢٢٦٠) وقال الهيثمي: فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف (مجمع الزوائد ١١٤/٧) والوقف أرجح.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن الوليد بن يزيد البيروتي، أخبرني محمد بن شعيب، أخبرني شيبان، أخبرني ليث، عن حبيب بن أبي ثابت الأسدي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: هم ذرية المؤمن يموتون على الإيمان، فإن كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بابائهم، ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوها شيئاً^(١).

وقال الحافظ الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، حدثنا شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أظنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك، فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحقاقهم به» وقرأ ابن عباس ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾^(٢) الآية.

وقال العوفي، عن ابن عباس في هذه الآية يقول: والذين أدرك ذريتهم الإيمان فعملوا بطاعتي ألحقهم بإيمانهم إلى الجنة، وأولادهم الصغار تلحق بهم^(٣)، وهذا راجع إلى التفسير الأول، فإن ذلك مفسر أصح من هذا، وهكذا يقول الشعبي وسعيد بن جبير وإبراهيم وقتادة وأبو صالح والربيع بن أنس والضحاك وابن زيد^(٤)، وهو اختيار ابن جرير.

وقد قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل، عن محمد بن عثمان، عن زاذان، عن علي قال: سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ: «هما في النار» فلما رأى الكراهية في وجهها قال: «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما» قالت: يا رسول الله فولدي منك؟ قال: «في الجنة» قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ الآية^(٥)، هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء فقد قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ؓ قال: قال

(١) في سنده ليث وهو ابن أبي سليم فيه مقال، وقد توبع في الرواية السابقة.

(٢) أخرجه الطبراني من طريق محمد بن عبد الرحمن بن غزوان به. (المعجم الكبير ١١/ ٤٤٠ ح ١٢٢٤٨) وسنده ضعيف لضعف محمد بن عبد الرحمن بن غزوان. (مجمع الزوائد ٧/ ١١٧).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوى بالموقوف السابق عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق داود عن عامر الشعبي، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق داود عن سعيد بن جبير، وأخرجه هناد (الزهد رقم ١٨٠) والطبري بسند صحيح من طريق قيس بن مسلم عن إبراهيم، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، وأخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٥) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد بسنده ومتمنه في زوائده على المسند (المسند ٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩ ح ١١٣١) وضعف سنده محقق له لجهالة محمد بن عثمان قال الذهبي في الميزان (٣/ ٦٤٢) لا يُدرى من هو... وله خبر منكر.

رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»^(١). إسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل وهو أنه لا يؤخذ أحداً بذنب أحد فقال تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرتبه بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس؛ سواء كان أباً أو ابناً كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٢٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْإِثْمِ (٢٩) فِي جَهَنَّمَ يَسَاءُ لُونِ (٣٠) عَنِ الْمَجْرِمِينَ (٣١) [المدثر].

وقوله: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ بِفِكْهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٣٢) أي: وألحقناهم بفواكة ولحوم من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهى.

وقوله: ﴿يَشْرَبُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطون فيها كأساً؛ أي: من الخمر، قاله الضحاك^(٣). ﴿لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ أي: لا يتكلمون فيها بكلام لاغٍ أي: هذيان ولا إثم أي: فحش كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا.

قال ابن عباس: اللغو الباطل والتأثير الكذب^(٤).

وقال مجاهد: لا يستبون ولا يؤثمون^(٥).

وقال قتادة: كان ذلك في الدنيا مع الشيطان^(٦)، فتره الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها، كما تقدم فنفي عنها صدام الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيء الفارغ عن الفائدة المتضمن هذياناً وفحشاً، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها فقال: ﴿يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ (٤١) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٢) [الصافات] وقال: ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ (٤٣) وقال ههنا: ﴿يَشْرَبُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ (٤٤).

وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ﴾ (٤٥) إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم، كما قال: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (٤٦) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ (٤٧)﴾ [الواقعة].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءُ لُونِ﴾ (٤٨) أي: أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحدث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٥٠٩/٢). وسنده حسن، وصححه الحافظ ابن كثير.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفرقان آية ٧٤ في آخرها.

(٣) لم أجد من أخرجه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

من أمرهم ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيْ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٣١) أي: كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه ﴿فَمَنْكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ (٣٢) أي: فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي: نتضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

وقد ورد في هذا المقام حديث رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده فقال: حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن دينار، حدثنا الربيع بن صبيح، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان، فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا فيتحدثان، فيتكى هذا ويتكى هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان تدري؟ أي: يوم غفر الله لنا؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله ﷻ فغفر لنا» (١). ثم قال البزار: لا نعرفه يروى إلا بهذا الإسناد. قلت: وسعيد بن دينار الدمشقي؟ قال أبو حاتم: هو مجهول وشيخه الربيع بن صبيح، وقد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه وهو رجل صالح ثقة في نفسه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة أنها قرأت هذه الآية ﴿فَمَنْكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ (٣٢) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٣١) فقالت: اللهم من علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم. قيل للأعمش في الصلاة؟ قال: نعم (٢).

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٣١) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّذَرْنَاهُ بِرَبِّ الْمُنُونِ ﴿٣٢﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَصِبِينَ ﴿٣٣﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُهُمْ هَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾.

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى عباده، وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه، ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٣١) أي: لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش، والكاهن الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وهو الذي يتخطبه الشيطان من المس.

ثم قال تعالى منكرأ عليهم في قولهم في الرسول ﷺ ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّذَرْنَاهُ بِرَبِّ الْمُنُونِ﴾ (٣٢) أي: قوارع الدهر، والمنون الموت، يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَصِبِينَ﴾ (٣٣) أي: انتظروا فإنني منتظر معكم، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

قال محمد بن إسحاق: عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: أن قريشاً لما

(١) أخرجه البزار بسنده ومثته كما في مختصر زوائد مسند البزار ٤٨٦/٢ (ح ٢٢٧٠) وقال تفرد به أنس بهذا الإسناد الضعيف. وقد بين الهيثمي وجه الضعف بأن سعيد بن دينار والربيع بن صبيح ضعيفان. (مجمع الزوائد ١٠/٤٢٤).

(٢) رجاله ثقات وسنده صحيح.

اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم: احتبسوه في وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابعة إنما هو كأحدهم، فأنزل الله تعالى ذلك من قولهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ (٣٥).

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا﴾ أي: عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقاويل الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ أي: اختلقه وافتراه من عند نفسه يعنون القرآن، قال الله تعالى: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٦) أي: إن كانوا صادقين في قولهم تقوله وافتراه، فليأتوا بمثل ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاءوا بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصْطَبِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ هُمْ سَلَمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾.

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أي: أوجدوا من غير موجود؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً.

قال البخاري: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان قال: حدثني عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصْطَبِرُونَ ﴿٣٧﴾ كاد قلبي أن يطير^(٢). وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق عن الزهري به^(٣). وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسارى، وكان إذ ذاك مشركاً، فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حملة على الدخول في الإسلام بعد ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٣٦) أي: أهما خلقوا السموات والأرض؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله، وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له، ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصْطَبِرُونَ﴾ (٣٧).

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق به، وفيه عن عنة ابن إسحاق ولكن قد صرح بالسماع في رواية البيهقي (دلائل النبوة ٤٦٨/٢) وسنده حسن.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، سورة الطور ح ٤٨٥٤).

(٣) المصدر السابق (ح ٧٦٥ و ٤٨٥٤) وصحيح مسلم، الصلاة، باب القراءة في الصبح (ح ٤٦٣).

أي: أهم يتصرفون في الملك ويدهم مفاتيح الخزائن ﴿أَمْ هُمُ الْمُصْطَرُونَ﴾ أي: المحاسبون للخلائق، ليس الأمر كذلك بل الله ﷻ هو المالك المتصرف الفعال لما يريد.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ هُمْ سُلَّامٌ يَسْتَعِينُونَ فِيهِ﴾ أي: مرقاة إلى الملأ الأعلى ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَعِينُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال؛ أي: وليس لهم سبيل إلى ذلك فليسوا على شيء وليس لهم دليل.

ثم قال منكرأ عليهم فيما نسبوه إليه من البنات وجعلهم الملائكة إناثاً، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، بحيث إذا بُشِرَ أحدهم بالأنثى ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ (٣٦) وهذا تهديد شديد ووعيد أكد ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾؟ أي: أجرة إبلاغك إياهم رسالة الله؛ أي: لست تسألهم على ذلك شيئاً ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مَُّنْقَلُونَ﴾ أي: فهم من أدنى شيء يتبرمون منه ويثقلهم ويشق عليهم ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤١) أي: ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ (٤٢) يقول تعالى: أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه، فكيدهم إنما يرجع وباله على أنفسهم فالذين كفروا هم المكيدون ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤٣) وهذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله، ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ (٤٤) فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْفَجْرِ (٤٩).

يقول تعالى مخبراً عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ أي: عليهم يعذبون به لما صدقوا، ولما أيقنوا بل يقولون: هذا سحاب مركوم؛ أي: متراكم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (٥٦) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْخُورُونَ (٥٥) [الحجر] قال الله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أي: دعهم يا محمد ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أي: لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذي استعملوه في الدنيا، لا يجزي عنهم يوم القيامة شيئاً ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٦١) [السجدة] ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينبئون فلا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جلى عنهم مما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه كما جاء في بعض الأحاديث: «إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير، لا يدري فيما عقلوه

ولا فيما أرسلوه»^(١) وفي الأثر الإلهي: كم أعصيك ولا تعاقبني؟ قال الله تعالى: يا عبدي كم أعافيك وأنت لا تدري؟

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: اصبر على أذاهم ولا تبالهم فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا والله يعصمك من الناس.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ قُومَ﴾ قال الضحاك: أي إلى الصلاة. سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك^(٢).

وقد روي مثله عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما^(٣)، وروى مسلم في صحيحه عن عمر أنه كان يقول: هذا في ابتداء الصلاة^(٤)، ورواه أحمد وأهل السنن، عن أبي سعيد وغيره، عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك^(٥).

وقال أبو الجوزاء: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ قُومَ﴾ أي: من نومك من فراشك^(٦)، واختاره ابن جرير ويتأيد هذا القول بما رواه الإمام أحمد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثنا عُمير بن هانئ، حدثني جنادة بن أبي أمية، حدثنا عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله». ثم قال: «رب اغفر لي» - أو قال: «ثم دعا - استجيب له، فإن عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته»^(٧). وأخرجه البخاري في صحيحه وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به^(٨).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ قُومَ﴾ قال: من كل مجلس^(٩).

(١) أخرجه أبو داود بسند ضعيف فيه رجل مجهول (السنن، الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب ح ٣٠٨٩).
(٢) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك بلفظ: «الصلاة المفروضة»، وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جوير عن الضحاك بلفظه: وأخرجه النحاس بسند ضعيف من طريق عمر بن هارون البلخي عن أبي مصلح عن الضحاك (الناسخ والمنسوخ ٣/٣٠)، وعمر بن هارون متروك كما في «التقريب».

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه بلفظ: «إذا قام لصلاة من ليل أو نهار...».

(٤) صحيح مسلم، الصلاة، باب حجة من قال: «لا يجهر بالبسملة» (ح ٣٩٩/٥٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (المسند ١٨/٥١ ح ١١٤٧٣) وأعله محققوه بجعفر بن سليمان الضبعي، ومن هذا الطريق أخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ح ٧٧٥)، والترمذي (السنن، الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ح ٢٤٢)، والنسائي (السنن، الإفتتاح، باب نوع آخر من الذكر ٢/١٣٢) وابن ماجه (السنن، الإقامة، باب افتتاح الصلاة ح ٨٠٤). ويشهد لبعضه رواية مسلم السابقة.

(٦) ذكره النحاس بدون سند (الناسخ والمنسوخ ٣/٣١)، وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٥/٣١٣) وسنده صحيح.

(٨) صحيح البخاري، التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصل في (ح ١١٥٤).

(٩) نسبه السيوطي إلى الفريابي وابن المنذر.

وقال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص «وَسَيِّحٌ يَحْمَدُ رَبَّكَ حِينَ تَقُومُ» قال: إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال: سبحانك اللهم وبحمدك^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الدمشقي، حدثنا محمد بن شعيب، أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء بن أبي رباح أنه حدثه عن قول الله تعالى: «وَسَيِّحٌ يَحْمَدُ رَبَّكَ حِينَ تَقُومُ» يقول حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازددت خيراً، وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة له^(٢).

وقد قال عبد الرزاق في جامعه: أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عثمان الفقير، أن جبريل علم النبي ﷺ إذا قام من مجلسه أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، قال معمر: وسمعت غيره يقول: هذا القول كفارة المجالس^(٣). وهذا مرسل، وقد وردت مسندة من طرق يقوي بعضها بعضاً بذلك، فمن ذلك حديث ابن جريج، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك» رواه الترمذي، وهذا لفظه والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج، وقال الترمذي: حسن صحيح^(٤)، وأخرجه الحاكم في مستدركه، وقال إسناده على شرط مسلم، إلا أن البخاري علله^(٥)، قلت: علله الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني وغيرهم، ونسبوا الوهم فيه إلى ابن جريج، على أن أبا داود قد رواه في سننه من طريق غير ابن جريج إلى أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه^(٦)، ورواه أبو داود، واللفظ له والنسائي والحاكم في المستدرک من طريق الحجاج بن دينار، عن هشام، عن أبي العالية، عن أبي برزة الأسلمي، قال: كان رسول الله ﷺ يقول بآخر عمره: إذا أراد أن يقوم من المجلس «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك». فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى، قال: «كفارة لما يكون في المجلس»^(٧). وقد روي مرسلًا

(١) أخرجه النحاس من طريق الثوري به (الناسخ والمنسوخ ٣/٣٢) وسنده حسن.

(٢) سنده ضعيف جداً لأن طلحة بن عمرو الحضرمي متروك (التقريب ص ٢٨٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (المصنف ١١/٢٤ رقم ١٩٧٩٦) وسنده مرسل كما قرر الحافظ ابن كثير، ويتقوى بالرواية التالية:

(٤) سنن الترمذي، الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه (ح ٣٤٢٩)، والسنن الكبرى للنسائي، عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه (ح ١٠٢٣٠).

(٥) أخرجه الحاكم من طريق ابن جريج به ثم ذكر له شواهد تقويه (المستدرک ١/٥٣٦ - ٥٣٧) وهي شواهد صحيحة كما يلي.

(٦) سنن أبي داود، الأدب، باب في كفارة المجلس (ح ٤٨٥٧، ٤٨٥٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٦٧).

(٧) المصدر السابق (ح ٤٨٥٩)، والسنن الكبرى، عمل اليوم والليلة (ح ١٠٢٥٩) والمستدرک ١/٥٣٧، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح ٤٠٦٨).

عن أبي العالية^(١)، فالله أعلم.

وهكذا رواه النسائي والحاكم من حديث الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن رافع بن خديج، عن النبي ﷺ مثله^(٢) سواء، وروي مرسلأ أيضاً فالله أعلم، وكذا رواه أبو داود، عن عبد الله بن عمرو أنه قال: «كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كفر بهن عنه، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر، إلا ختم له بهن كما يختم بالخاتم: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»^(٣). وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة وصححه، ومن رواية جبير بن مطعم^(٤)، ورواه أبو بكر الإسماعيلي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلهم عن النبي ﷺ، وقد أفردت لذلك جزءاً على حدة بذكر طرقة وألفاظه وعلمه، وما يتعلق به والله الحمد والمنة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَهَجِّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾ [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَرَّ النَّجُومَ﴾ قد تقدم في حديث ابن عباس، أنهما الركعتان اللتان قبيل صلاة الفجر^(٥)، فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم؛ أي: عند جنوحها للغيبوبة.

وقد روى ابن سيلان، عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تدعوها وإن طردتك الخيل»؛ يعني: ركعتي الفجر، رواه أبو داود^(٦). ومن هذا الحديث حكى عن بعض أصحاب أحمد القول بوجوبهما، وهو ضعيف لحديث: «خمس صلوات في اليوم واللييلة» قال: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع»^(٧).

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر. وفي لفظ لمسلم: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»^(٨). آخر تفسير سورة الطور [والله أعلم]^(٩).

(١) السنن الكبرى، عمل اليوم واللييلة (ح ١٠٤٦١).

(٢) المصدر السابق (ح ١٠٢٦٣) والمستدرک ٥٣٧/١، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) سنن أبي داود، الأدب، باب في كفارة المجلس (ح ٤٨٥٧) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (ح ٤٠٦٦) دون قوله: ثلاث مرات.

(٤) (المستدرک ٥٣٧/١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة ق آية ٤٠.

(٦) السنن، الصلاة، باب في تخفيفهما (ح ١٢٥٨)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٢٧٢).

(٧) أخرجه الشيخان من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (صحيح البخاري، الإيمان، باب الزكاة من الإسلام ح ٤٦) وصحيح مسلم، الإيمان، باب الصلوات التي هي أحد أركان (ح ٢٣٣).

(٨) صحيح البخاري، التهجد، باب تعاهد ركعتي الفجر ومن سماهما تطوعاً (ح ١١٦٩) وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر (ح ٧٢٤).

(٩) زيادة من (حم).

سُورَةُ النَّجْمِ

وهي مكية

قال البخاري: حدثنا نصر بن علي، أخبرني أبو أحمد - يعني الزُّبيري - حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة «والنجم» قال: فسجد النبي ﷺ وسجد من خلفه، إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف^(١). وقد رواه البخاري أيضاً في مواضع ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن أبي إسحاق به، وقوله في الممتنع: إنه أمية بن خلف في هذه الرواية مُشْكَل، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عُتْبَةُ بن ربيعة^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا صَلَ صَاحِبُهُ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾

قال الشعبي وغيره: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق^(٣)، رواه ابن أبي حاتم.

واختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ فقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد: يعني بالنجم: الثريا إذا سقطت مع الفجر^(٤)، وكذا روي عن ابن عباس وسفيان الثوري واختاره ابن جرير^(٥).

وزعم السدي: أنها الزهرة.

وقال الضحاك: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ إذا رمي به الشياطين وهذا القول له اتجاه.

وروى الأعمش عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ يعني: القرآن إذا نزل^(٦)، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۝٧ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٨﴾

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢] ح ٤٨٦٣).

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر أن المعتمد هو أمية بن خلف (فتح الباري ٨/٦١٥).

(٣) لم أجد من أخرجه وهو كلام نفيس.

(٤) أخرجه عبد الرزاق وآدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح به.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: «إذا انصب»، ويتقوى بسابقه.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مالك بن سَعِير عن الأعمش به.

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ [الواقعة].

وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ﴿٢﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال، وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي هو العالم بالحق، العادل عنه قصداً إلى غيره، فنزه الله رسوله وشرعه، عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود. وهي علم الشيء وكتمانه، والعمل بخلافه، بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَطْفِئُ عَنُ الْمَوْتَىٰ﴾ ﴿٣﴾ أي: ما يقول قولاً عن هوى وغرض ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿٤﴾ أي: إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن ميسرة، عن أبي أمامة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليدخلن الجنة شفاعة رجل ليس بنبي مثل الحسين - أو مثل أحد الحسين - ربيعة ومضر» فقال رجل: يا رسول الله أو ما ربيعة من مضر؟ قال: «إنما أقول ما أقول»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبيد الله بن الأحنس، أخبرنا الوليد بن عبد الله، عن يوسف بن ماهك، عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب. فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق»^(٢). ورواه أبو داود، عن مسدد وأبي بكر بن أبي شيبة، كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان^(٣) به.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه» ثم قال: لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا ليث، عن محمد بن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا أقول إلا حقاً» قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله؟ قال: «إني لا أقول إلا حقاً»^(٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٦/٥٤٧ ح ٢٢٢١٥)، قال محققوه: صحيح بطرقه وشواهد دون قوله: «فقال رجل: يا رسول... إلخ».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١١/٥٧، ٥٨ ح ٦٥١٠)، وصححه سند محققوه، وقبلهم الأستاذ أحمد شاكر.

(٣) السنن، العلم، باب في كتابة العلم (ح ٣٦٤٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٠٩٩).

(٤) أخرجه البزار بسنده ومثته (مختصر زوائد مسند البزار وقال الهيثمي: فيه أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة، وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال الصحيح، وعبد الله بن صالح مختلف فيه مجمع الزوائد ١/١٧٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٤/١٨٥ ح ٨٤٨١) وقال محققوه: إسناده قوي.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ٥ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ ٦ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ٧ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ٨ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ٩ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ١٠ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ١١ ﴿أَفَتُمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ ١٢ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ١٣ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ١٤ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ ١٥ ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ ١٦ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ ١٧ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ ١٨ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علمه الذي جاء به إلى الناس ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ١٧ ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ١٨ ﴿مُطَّلَعٌ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ١٩ [التكوير] وقال ههنا ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوة، قاله مجاهد والحسن وابن زيد^(١).

وقال ابن عباس: ذو منظر حسن^(٢).

وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن^(٣). ولا منافاة بين القولين فإنه ﷺ ذو منظر حسن وقوة شديدة.

وقد ورد في الحديث الصحيح من رواية ابن عمر وأبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تحلّ الصدقة لغني ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَى﴾ يعني: جبريل ﷺ قاله الحسن ومجاهد وقاتادة والربيع بن أنس^(٥). ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ٧ يعني: جبريل استوى في الأفق الأعلى، قاله عكرمة وغير واحد. قال عكرمة: والأفق الأعلى الذي يأتي منه الصبح. وقال مجاهد: هو مطلع الشمس.

وقال قتادة: هو الذي يأتي منه النهار^(٦)، وكذا قال ابن زيد وغيرهم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا مصرف بن عمرو اليامي أبو القاسم، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف، حدثني أبي، عن الوليد هو: ابن قيس، عن إسحاق بن أبي الكهتلة، أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلا مرتين: أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته ففسد الأفق. وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد فذلك قوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ٧^(٧). وقد قال ابن جرير ههنا قولاً لم أره لغيره،

(١) أخرجه البخاري تعليقاً وقال الحافظ ابن حجر: وصله الفريابي. (فتح الباري ٦٠٤/٨) ووصله آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٦٠.

(٥) أخرجه آدم والطبري بالسند الصحيح المتقدم عن مجاهد، وأخرجه أبو الشيخ بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (العظمة رقم ٣٦٨).

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) سنده ضعيف لأن مصرف بن عمرو الأيامي: مجهول. (التقريب ص ٥٣٣).

ولا حكاة هو عن أحد وحاصله أنه ذهب إلى أن المعنى فاستوى؛ أي: هذا الشديد القوي ذو الميرة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى؛ أي: استويا جميعاً بالأفق الأعلى وذلك ليلة الإسراء، كذا قال، ولم يوافق أحد على ذلك، ثم شرع يوجه ما قاله من حيث العربية فقال وهو كقوله: ﴿أَيْدَا كُنَّا تَرْكًا وَءَابَاؤُنَا﴾ [النمل: ٦٧] فعطف بالآباء على المكنى في كنا من غير إظهار نحن فكذلك قوله فاستوى وهو، قال وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده:

ألم تر النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروج المتقصف^(١)

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه، ولكن لا يساعده المعنى على ذلك، فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها، ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل ﷺ وتدلّى إليه فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدره المنتهى يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعدما جاءه جبريل ﷺ أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مراراً ليرتدّي من رؤوس الجبال. فكلما همّ بذلك ناداه جبريل من الهواء، يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل، فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه^(٢)، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح^(٣) قد سد عظم [خلقته]^(٤) الأفق، فاقترب منه وأوحى إليه عن الله ﷻ ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه.

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حيث قال: حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا الحارث بن عبيد، عن أبي عمران الجوني، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا قاعد إذ جاء جبريل ﷺ فوكز بين كتفي، فقممت إلى شجرة فيها كوكري الطير فقعده في أحدهما وقعدت في الآخر، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين، وأنا أقلب طرفي، ولو شئت أن أمس السماء لمسست، فالتفت إلي جبريل كأنه جلس لاطئي فعرفت فضل علمه بالله علي. وفتح لي باب من أبواب السماء ورأيت النور الأعظم، وإذا دون الحجاب رفرفة الدر والياقوت، وأوحى إلي ما شاء الله أن يوحى» ثم قال البزار: «لا يرويه إلا الحارث بن عبيد، وكان رجلاً مشهوراً من أهل البصرة»^(٥).

قلت: الحارث بن عبيد هذا هو أبو قدامة الأيادي أخرج له مسلم في صحيحه إلا أن ابن معين ضعفه، وقال: ليس هو بشيء، وقال الإمام أحمد: مضطرب الحديث. وقال أبو حاتم

(١) معاني القرآن ٩٥/٣، واستشهد به الطبري.

(٢) أخرجه البخاري (الصحيح، التعبير، باب أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ح ٦٩٨٢).

(٣) سيأتي تخريجه بعد الرواية التالية.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: حلقه.

(٥) أخرجه البزار بسنده ومتمنه وتعليقه (مختصر زوائد مسند البزار ٩٤/١، ٩٥ ح ٣٤) وقال ابن حجر في الحارث بن عبيد: أخرج له الشيخان وهو مع ذاك له مناكير هذا منها. ولهذا قرر الحافظ تضعيف سند هذا الحديث.

الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن حبان: كثر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، فهذا الحديث من غرائب رواياته، فإن فيه نكارة وغبابة ألفاظ وسياقاً عجيباً ولعله منام، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم^(١). انفرد به أحمد.

وقال أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن إدريس بن منبه، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال: ادع ربك، فدعا ربه ﷻ فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر، فلما رآه النبي ﷺ صعق، فأتاه فنعشه ومسح البزاق عن شدة^(٢). تفرد به أحمد.

وقد رواه ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب من طريق محمد بن إسحاق، عن عثمان بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن هبار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام فتجهزت معهما، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأذينه في ربه ﷻ، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد هو يكفر بالذي دني فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فقال النبي ﷺ: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه فقال: يا بُني ما قلت له، فذكر له ما قاله، فقال: فما قال لك؟ قال: قال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» قال: يا بُني والله ما آمن عليك دعاءه، فسرنا حتى نزلنا الشراة وهي مأسدة، ونزلنا إلى صومعة راهب فقال الراهب: يا معشر العرب، ما أنزلكم هذه البلاد فإنها يسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم. فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي، وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة، والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا فجاء الأسد فشتم وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبة فإذا هو فوق المتاع، فشتم وجهه ثم هزمه هزمة ففسخ رأسه فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد^(٣).

وقوله تعالى: ﴿كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أي: فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين؛ أي: بقدرهما إذا مُدَّا، قاله مجاهد وقتادة^(٤). وقد قيل: إن المراد بذلك بُعد ما بين وتر القوس إلى كبدها.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/ ٢٩٤ ح ٣٧٤٨) وضعف سنده محققوه إذ أعلوه بشريك وهو ابن عبد الله النخعي. اهـ. ولكن الشق الأول له شواهد صحيحة ستأتي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٥/ ١١٨ ح ٢٩٦٥) وضعف سنده محققوه، وأعلوه بإدريس بن منبه. والشدق هو جانب الفم من باطن الخدين.

(٣) أخرجه الحاكم من حديث أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه مختصراً وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/ ٥٣٩) وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٤/ ٣٩).

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بنحوه، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «جبريل».

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَذْنَى﴾ قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] أي: ما هي بألين من الحجارة، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة وكذا قوله: ﴿يَحْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٧] أي: ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها. فهذا تحقيق للمخبر به لا شك ولا تردد فإن هذا ممتنع وهكذا ههنا هذه الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ وهذا الذي قلناه من أن هذا المقرب الداني الذي صار بينه وبين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إنما هو جبريل عليه السلام، وهو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة، كما سنورد أحاديثهم قريباً إن شاء الله تعالى.

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فجعل هذه إحداهما، وجاء في حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس في حديث الإسراء: ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى^(١)، ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة، فإن صحَّ فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [١٣] عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ فهذه هي ليلة الإسراء والأولى كانت في الأرض.

وقد قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سليمان الشيباني، حدثنا زر بن حبيش قال: قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [١٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل له ستمائة جناح»^(٢).

وقال ابن وهب: حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة قالت: كان أول شأن رسول الله ﷺ أنه رأى في منامه جبريل بأجباد، ثم إنه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل: يا محمد يا محمد! فنظر رسول الله ﷺ يميناً وشمالاً فلم يرَ أحداً ثلاثاً، ثم رفع بصره فإذا هو ثاني إحدى رجله مع الأخرى على أفق السماء فقال: يا محمد جبريل يسكنه، فهرب النبي ﷺ حتى دخل في الناس، فنظر فلم يرَ شيئاً، ثم خرج من الناس ثم نظر فرآه فدخل في الناس فلم يرَ شيئاً، ثم خرج فنظر فرآه، فذلك قول الله ﷻ ﴿وَالنَّجْوَىٰ إِذَا هُوَ﴾ [١٥] إلى قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [١٦] يعني: جبريل إلى محمد عليهما الصلاة والسلام ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [١٧] ويقولون: القاب نصف أصبع، وقال بعضهم: ذراعين كان بينهما، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب به^(٣). وفي حديث الزهري، عن أبي سلمة، عن جابر شاهداً لهذا. [وروى

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ١، وعلة هذا الحديث في وهم شريك بن أبي نمر وقد أحصى الحافظ ابن حجر أوهامه في حديث الإسراء والمعراج (ينظر: فتح الباري ١٣/٤٨٥).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وله شاهد في الصحيحين من حديث جابر عليه السلام كما سيأتي بعد الروایتين التاليتين.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن وكيع عن ابن وهب به، وفي سنده ابن وكيع وهو سفيان، وابن لهيعة وكلاهما فيهما مقال.

البخاري، عن طلق بن غنام، عن زائدة، عن الشيباني قال: سألت زراً عن قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ❶ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ❷ قال: حدثنا عبد الله أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح ❸.

وقال ابن جرير: حدثني ابن بزيغ البغدادي، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله ﷺ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ❸ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلنا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض ❹. فعلى ما ذكرناه يكون قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ❷ معناه فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل، وكلا المعنيين صحيح.

وقد ذكر عن سعيد بن جبیر في قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ❷ قال: أوحى الله إليه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ [الضحى: ٦]، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح].

وقال غيره: أوحى الله إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ❺.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ❶ ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ ❷ قال مسلم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن زياد بن حصين، عن أبي العالقة، عن ابن عباس ﷺ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ❶ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ❷ قال: رآه بفؤاده مرتين ❸. وكذا رواه سماك عن عكرمة، عن ابن عباس مثله ❹، وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين ❺، وقد خالفه ابن مسعود وغيره. وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة ﷺ، وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر ❻، والله أعلم.

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن عمرو بن المنهال بن صفوان، حدثنا يحيى بن كثير العنبري، عن سلمة بن جعفر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ قال: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين. ثم قال: حسن غريب ❹.

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله الصحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله. ويشهد له سابقه.

(٣) زيادة من (حم) و(مح).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٢٤٦/٤).

(٥) أخرجه مسلم بسنده ومثله (الصحيح، الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ❷ [النجم] ح ٢٨٥).

(٦) أخرجه الطبري من طريق سماك بن حرب به، وفي رواية سماك عن عكرمة اضطراب، ولكنه توبع كما تقدم في رواية مسلم، وإن صحَّ عن ابن عباس فإنه قول مرجوح كما سيأتي.

(٧) أخرجه الطبري من طريق السدي عن أبي صالح، وحكمه كسابقه في أنه قول مرجوح.

(٨) ذكره البغوي ونسبه إليهم ثلاثتهم. (التفسير ٢٤٧/٤).

(٩) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، التفسير، باب ومن سورة النجم ح ٣٢٧٥) وضعف سنده الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٦٤٧).

وقال أيضاً: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي قال: لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شيء، فكبر حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم، فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين وراه محمد مرتين.

وقال مسروق: دخلت على عائشة فقلت: هل رأى محمد ربه، فقالت: لقد تكلمت بشيء فُفَّ له شعري فقلت: رويداً، ثم قرأت ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ﴿٨﴾ فقالت: أين يذهب بك إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به أو [يعلم الخمس التي] ^(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْفَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤] فقد أعظم على الله الفرية [ولكنه رأى] ^(٢) جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين: مرة عند سدره المنتهى، ومرة في أجياد وله ستمائة جناح قد سد الأفق ^(٣).

وقال النسائي: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخلقة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم الصلاة والسلام ^(٤).

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه» ^(٥)، وفي رواية: «رأيت نوراً» ^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب قال: قالوا: يا رسول الله رأيت ربك؟ قال: «رأيت بفؤادي مرتين» ثم قرأ ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿١١﴾. ورواه ابن جرير عن ابن حميد، عن مهران، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: «لم أره بعيني ورأيت بفؤادي مرتين» ثم تلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ﴿٨﴾ ^(٧).

ثم قال ابن أبي حاتم: وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، أخبرني عباد بن منصور قال: سألت عكرمة عن قوله: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿١١﴾ فقال عكرمة: تريد أن أخبرك أنه قد رآه، قلت نعم، قال: قد رآه ثم قد رآه، قال: فسألت عنه الحسن فقال: قد رأى جلاله وعظمته ورداءه ^(٨).

وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن مجاهد، حدثنا أبو عامر العقدي، أخبرنا أبو خلدة، عن أبي العالية قال: سئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نهراً ورأيت وراء النهر حجاباً، ورأيت وراء الحجاب نوراً لم أر غيره» ^(٩). وذلك غريب جداً، فأما الحديث الذي رواه الإمام

(١) زيادة من (حم) و(مح).

(٣) المصدر السابق (ح ٣٢٧٤). وسنده ضعيف لضعف مجالد، وأما قول مسروق فقد أخرجه مسلم من طريق

الشعبي عن مسروق (الصحيح، الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ﴿١٣﴾ [النجم ح ١٧٧].

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومثته (السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿١١﴾ [النجم ح ١٥٣٩]، وأخرجه الحاكم من طريق إسحاق بن إبراهيم به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٦٩/٢).

(٥) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ١٧٨).

(٦) المصدر السابق (ح ٢٩٢/١٧٨).

(٧) سنده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الربذي. (٨) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٩) سنده ضعيف لأنه مرسل.

أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي ﷻ»^(١). فإنه حديث إسناده على شرط الصحيح، لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد أيضاً: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم» - فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملائكة الأعلى؟ قال: قلت: لا، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال نحري - فعلمت ما في السموات وما في الأرض. ثم قال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملائكة الأعلى؟ قال: قلت: نعم، يختصمون في الكفارات والدرجات، قال: وما الكفارات؟ قال: قلت المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإبلاغ الرضوء في المكاره، من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: قل يا محمد إذا صليت: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون قال: «والدرجات بذل الطعام وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»^(٢). وقد تقدم في آخر سورة ص عن معاذ نحوه^(٣).

وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال: حدثني أحمد بن عيسى التميمي، حدثني سليمان بن عمر بن سيار، حدثني أبي، عن سعيد بن زربي، عن عمر بن سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملائكة الأعلى؟ فقلت: لا يا رب، فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السموات والأرض فقلت: يا رب في الدرجات والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فقلت: يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمت موسى تكليماً وفعلت وفعلت، فقال: ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أضع عنك وزرك؟ ألم أفعل بك ألم أفعل بك؟ قال: فأفضى إليّ بأشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها قال: فذاك قوله في كتابه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨) ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩) ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (١٠) ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (١١) فجعل نور بصري في فؤادي فنظرت إليه بفؤادي»^(٤) إسناده ضعيف.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/٣٥٠، ٣٥١ ح ٢٥٧٩) وقال محققوه: صحيح موقوفاً، وهذا إسناده رجاله رجال الصحيح، وحماد بن سلمة، وهو من رجال مسلم، قال ابن سعد في الطبقات ٧/٢٨٢، ثقة كثير الحديث وربما حدث بالحديث المنكر، وقال البيهقي في الخلافيات فيما نقله الحافظ الذهبي في السير ٧/٤٥٢، لما طعن في السن ساء حفظه... فالاحتياط أن لا يحتج به فيما يخالف الثقات.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/٤٣٨ ح ٣٤٨٤)، وضعف سنده محققوه لأن أبا قلابة، واسمه عبد الله بن زيد الجرمي، لم يسمع من ابن عباس. وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/٣٤ من طريق الإمام أحمد بن حنبل بهذا الإسناد.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة ص آية ٦٩.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لأن سعيد بن زربي منكر الحديث. (التقريب ص ٢٣٥).

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده إلى هبار بن الأسود رضي الله عنه أن عتبة بن أبي لهب لما خرج في تجارة إلى الشام قال لأهل مكة اعلموا أنني كافر بالذي دنا فتدلى، فبلغ قوله رسول الله ﷺ فقال: سلط الله عليه كلباً من كلابه. قال هبار: فكنت معهم فنزلنا بأرض كثيرة الأسد، قال: فلقد رأيت الأسد جاء فجعل يشم رؤوس القوم واحداً واحداً حتى تخطى إلى عتبة فاقتطع رأسه من بينهم^(١).

وذكر ابن إسحاق وغيره في السيرة أن ذلك كان بأرض الزرقاء وقيل: بالسرارة، وأنه خالف ليلتذ، وأنهم جعلوه بينهم وناموا من حوله فجاء الأسد فجعل يزأر ثم تخطاهم إليه فضغم رأسه لعنه الله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ﴾ هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء. وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الإسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة سبحان بما أغنى عن إعادته ههنا، وتقدم أن ابن عباس رضي الله عنه كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء ويستشهد بهذه الآية، وتابعه جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم، وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر منه ريش التهاويل من الدر والياقوت»^(٢). وهذا إسناد جيد قوي.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا شريك، عن جامع بن أبي راشد، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل من الدر والياقوت ما الله به أعلم^(٣). إسناده حسن أيضاً.

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين، حدثني عاصم بن بهدلة قال: سمعت شقيق بن سلمة يقول: سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل على سدره المنتهى وله ستمائة جناح» سألت عاصماً عن الأجنحة فأبى أن يخبرني، قال فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب^(٤). وهذا أيضاً إسناد جيد.

وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين، حدثنا عاصم بن بهدلة، حدثني شقيق بن سلمة قال: سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام في خضر معلق به الدر»^(٥). إسناده جيد أيضاً.

(١) تقدم تخريجه في بداية تفسير هذه الآية.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/ ٤٦٠) وسنده حسن.

(٣) حسن سنده الحافظ ابن كثير. ويشهد له سابقه. والشرط الأول في صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿مَّا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النجم] (ح ٤٨٥٧)، وباب ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم] (ح ٤٨٥٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/ ٤١٠ ح ٣٨٦٢) وحسنه محققوه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المصدر السابق ح ٣٨٦٣) وصححه سند محققوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن إسماعيل، حدثنا عامر قال: أتى مسروق عائشة فقال يا أم المؤمنين هل رأى محمد ﷺ ربه ﷻ؟ قالت: سبحان الله لقد قُفَّ شعري لما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب؟ من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرَكَّبُ أَلْفَيْتٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَشْرَافُ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. ومن أخبرك أن محمداً قد كتم فقد كذب، ثم قرأت ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين^(١).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقلت: أليس الله يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال: «إنما ذاك جبريل»^(٢) لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين، رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض، أخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي به.

رواية أبي ذر:

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام: حدثنا قتادة، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته. قال: وما كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأى ربه ﷻ؟ فقال: إني قد سألته فقال: «قد رأيته نوراً أنى أراه»^(٣). هكذا وقع في رواية الإمام أحمد وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن يزيد بن إبراهيم، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه»^(٤).

وقال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته. فقال: عن أي شيء تسأله؟ قال: قلت: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألته فقال: «رأيت نوراً»^(٥). وقد حكى الخلال في علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث فقال: ما زلت منكراً له وما أدري ما وجهه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عون الواسطي، أخبرنا هشيم، عن منصور، عن الحكم، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي ذر قال: رآه بقلبه ولم يره بعينه^(٦).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٤١/٦) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التوحيد، باب قوله الله تعالى: ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ح ٧٣٨٠]، وصحيح مسلم، الإيمان باب معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ح ١٧٧/٢٩٠].

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٤٧/٥) وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ٢٩١/١٧٨). (٥) المصدر السابق (ح ٢٩٢/١٧٨).

(٦) مثته مخالف لما ثبت في الصحيح عن أبي ذر ﷺ كما في سابقه.

وحاول ابن خزيمة أن يدعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبي ذرٍّ، وأما ابن الجوزي فتأوله على أن أبا ذرٍّ لعله سأل رسول الله ﷺ قبل الإسراء فأجابه بما أجابه به، ولو سأل بعد الإسراء لأجابه بالإثبات، وهذا ضعيف جداً، فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ولم يثبت لها الرؤية، ومن قال إنه خاطبها على قدر عقلها أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد، فإنه هو المخطئ والله أعلم.

وقال النسائي: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشام، عن منصور، عن الحكم، عن يزيد بن شريك، عن أبي ذرٍّ قال: رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره^(١). وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن علي بن مسهر، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال رأى جبريل عليه السلام^(٢).

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين^(٣)، وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قد تقدم في أحاديث الإسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيتها نور الرب وغشيتها ألوان ما أدري ما هي^(٥)؟ وقال الإمام أحمد: حدثنا مالك بن مغول، حدثنا الزبير بن عدي، عن طلحة، عن مرة، عن عبد الله هو ابن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال فرأى من ذهب، قال: وأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقحّمات^(٦). انفرد به مسلم.

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى إلى السدرة، فقبل له إن هذه السدرة، فغشيتها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر، وقال فكلّمه عند ذلك فقال له سل^(٧).

وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال كان أغصان السدرة لؤلؤاً

(١) أخرجه النسائي بسنده ومثته (السنن الكبرى، التفسير ح ١١٥٣٦) وحكمه كسابقه.

(٢) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ٢٨٣/١٧٥).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سلمة بن كهيل عن مجاهد وهو مرسل ويشهد له ما تقدم في الأحاديث السابقة وفي بداية تفسير سورة الإسراء.

(٤) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(٥) تقدم في تفسير سورة الإسراء آية ١.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٢٢/١) وسنده صحيح وأخرجه الإمام مسلم من طريق مالك بن مغول به (الصحيح، الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى ح ١٧٣).

(٧) تقدم تخريجه وتضعيفه في بداية تفسير سورة الإسراء، وفيه شك أبي جعفر وهو سيئ الحفظ.

وياقوتاً وزبرجداً، فرآها النبي ﷺ ورأى ربه بقلبه^(١).

وقال ابن زيد: قيل: يا رسول الله؛ أي شيء رأيت يغطي تلك السدرة؟ قال: «رأيت يغشاها فراش من ذهب، ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله ﷻ»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (٧) قال ابن عباس: ما ذهب يميناً ولا شمالاً ﴿وَمَا طَغَى﴾ ما جاوز ما أمر به، وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة فإنه ما فعل إلا ما أمر به ولا سأل فوق ما أعطي، وما أحسن ما قال الناظم:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لتأها^(٣)

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (٨) كقوله: ﴿لِرَبِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ [طه: ٢٣] أي: الدالة على قدرتنا وعظمتنا، وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلية لم تقع لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (٨) ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس، وقد تقدم تقرير ذلك في سورة سبحان.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحة، عن الوليد بن قيس، عن إسحاق بن أبي الكهتلة قال محمد أظنه عن ابن مسعود أنه قال: إن محمداً لم ير جبريل في صورته إلا مرتين: أما مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته فأراه صورته فسد الأفق، وأما الأخرى فإنه صعد معه حين صعد به، وقوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ جِبْرِيلُ رَبَّهُ ﷻ عَادَ فِي صُورَتِهِ وَسَجَدَ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (٨) قال: خلق جبريل ﷻ^(٤)، وهكذا رواه أحمد وهو غريب.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (١٦) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ (٢١) تِلْكَ إِذَا قَسَمْتُ لَكُمْ نَجْمًا ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (٢٣) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ (٢٥) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي سَفْعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَى ﴿﴾ (٢٦).

يقول تعالى مقرعاً للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان، واتخاذهم البيوت لها مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ؟﴾ وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف، له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند رجاله ثقات من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد لكنه مرسل.

(٢) أخرجه الطبري وسنده معضل ويشهد لقوله: «رأيت يغشاها فراش من ذهب» أحاديث صحيحة تقدم ذكرها في بداية تفسير سورة الإسراء.

(٣) لم أقف على اسم قائله.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/ ٤١١ ح ٣٨٦٤) وضعف سنده محققوه لجهالة حال إسحاق بن أبي الكهتلة. ولكن شطره الأول في رواية جبريل مرتين له شواهد صحيحة تقدم ذكرها.

ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا: اللات، يعنون: مؤنثة منه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرأوا ﴿اللَّتْ﴾ بتشديد التاء، وفسروه بأنه كان رجلاً يَلْتُ للحجيج في الجاهلية السوق^(١)، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه^(٢).

وقال البخاري: «حدثنا مسلم هو ابن إبراهيم، حدثنا أبو الأشهب، حدثنا أبو الجوزاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿اللَّتْ وَالْعُزَّى﴾ قال: كان اللات رجلاً يَلْتُ السوق سوق الحجاج، قال ابن جرير: وكذا العزى من العزيز، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة^(٣)، وهي بين مكة والطائف، وكانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: [قولوا]^(٤) الله مولانا ولا مولى لكم^(٥).

وروى البخاري من حديث الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال في حلفه واللّات والعزى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك^(٦) فليصدق^(٧)» فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية، كما قال النسائي: أخبرنا أحمد بن بكار، وعبد الحميد بن محمد قالا: حدثنا مخلد، حدثنا يونس، عن أبيه، حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: حلفت باللّات والعزى، فقال لي أصحابي: بشئ ما قلت! قلت هجراً^(٨). فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وانفت عن شمالك ثلاثاً، وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم لا تعد^(٩)».

وأما مائة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخاري عن عائشة نحوه^(١٠)، وقد كان

(١) أخرجه البخاري بسنده عن ابن عباس ؓ (الصحيح، التفسير، باب ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم] ح ٤٨٥٩). والسويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، ولت السوق أي: خلطه بالسمن.

(٢) ذكره الطبري بنحوه، والقراءة متواترة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) زيادة من (ح) و(حم).

(٥) أخرجه البخاري (الصحيح، المغازي، باب غزوة أحد ح ٤٠٤٣).

(٦) قال الخطابي: أي: بالمال الذي كان يريد أن يقامر به، وقيل: بصدقة ما لتكفر عنه القول الذي جرى على لسانه. قال النووي: وهذا هو الصواب (ينظر: فتح الباري ٨/٦١٢).

(٧) أخرجه البخاري من طريق معمر عن الزهري به. (الصحيح، التفسير، باب ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّى﴾ ح ٤٨٦٠).

(٨) أي: القبيح من الكلام.

(٩) أخرجه النسائي بسنده ومثنه (السنن، الأيمان والنذور، باب الحلف باللّات والعزى ٨/٧). وفي سنده يونس بن أبي إسحاق السبيعي وهو صدوق يهم قليلاً (التقريب ص ٦١٣).

(١٠) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَمَنْزِلَةُ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى﴾ [النجم] ح ٤٨٦١).

بجزيرة العرب وغيرها طواغيت آخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة. غير هذه الثلاثة التي نصَّ عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها.

قال ابن إسحاق في السيرة: وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة. لها سدنة وحجاب وتهدى لها كما يهدى للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها، وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده: فكانت لقريش ولبنو كنانة العزى بنخلة، وكان سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم، حلفاء بني هاشم^(١). قلت: بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول:

يا عَزَى كفرانك لا سبْحانك إني رأيت الله قد أهانك

وقال النسائي: أخبرنا علي بن المنذر، أخبرنا ابن فضيل، حدثنا الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرة، فقطع السمرة وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد، فلما أبصرته السدنة وهم حجبته أمعنوا في الحيل وهم يقولون: يا عَزَى، يا عَزَى، فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «تلك العزى!»^(٢).

قال ابن إسحاق: وكانت اللات لثقيف بالطائف، وكان سدنتها وحجابها بني معتب.

قلت: وقد بعث إليها رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة، وأبا سفيان صخر بن حرب، فهدماها وجعلها مكانها مسجداً بالطائف. قال ابن إسحاق: كانت مائة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها، ويقال علي بن أبي طالب قال: وكانت ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بنبالة.

قلت: وكان يقال لها: الكعبة اليمانية، وللکعبة التي بمكة الكعبة الشامية، فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمه، قال: وكانت فُلَس لطيء ومن يليها بجبل طيء من سلمى وأجا.

قال ابن هشام: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليه علي بن أبي طالب فهدمه، واصطفى منه سيفين: الرسوف والمخدَم، فنقله إياهما رسول الله ﷺ فهما سيفا علي^(٣).

قال ابن إسحاق: وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: ريام، وذكر أنه كان به كلب

(١) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ٨٣/١).

(٢) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم] ح ١١٥٤٧)، وأخرجه أبو يعلى من طريق محمد بن فضيل به (المسند ١٩٦/٢ ح ٩٠٢) وصححه سندته محققه.

(٣) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ٨٧/١).

أسود وأن الحبرين اللذين ذهبا مع [تبع]^(١) استخرجاه وقتلاه وهما البيت.

قال ابن إسحاق: وكانت «رُضاء» بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام.

ولقد شددت على رضاء شدة فتركها قفراً بقاع أسحاح

قال ابن هشام: إنه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة وهو القائل:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة حدثها بعدها مائتان لي وعمرت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقي إلا كما قد فاتنا يوم يمرّ وليلة تحدونا

وقال ابن إسحاق: وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد، وله يقول أعشى بن

قيس بن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الكعبات من سَنَدَاد^(٢)

ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿٦٦﴾ وَمَوَآءَ الثَّلَاثَةِ الْآخِرَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ ثم قال تعالى: ﴿الْكُفُّ

الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ أي: أتجعلون له ولداً وتجعلون ولده أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكور،

فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿قِسْمَةُ ضِيزَىٰ﴾ أي: جوراً باطلة، فكيف

تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهاً.

وقال تعالى منكرأ عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر من عبادة الأصنام

وتسميتها آلهة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ﴾ أي: من تلقاء أنفسكم ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ

سُلْطَانٍ﴾ أي: من حجة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أي: ليس لهم مستند إلا حسن

ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم

آبائهم الأقدمين. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ أي: ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير

والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به ولا انقادوا له.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾﴾ أي: ليس كل من تمنى خيراً حصل له ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ

وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣] ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من ودَّ

شيئاً يحصل له.

قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق، حدثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن

أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدري ما يكتب له

من أمنيه»^(٣). تفرد به أحمد.

وقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ أي: إنما الأمر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف في

الدنيا والآخرة، فهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

(٢) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/ ٨٧، ٨٨).

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٤/ ٣١٦ ح ٨٦٨٩) وضعف سنده محققوه لضعف عمر بن أبي

سلمة عند التفرد.

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ ﴿٣٦﴾ كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣] فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على السنة جميع رسله وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى﴾ ﴿٣٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٣٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٤٠﴾

يقول تعالى منكرًا على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، وجعلهم لها أنها بنات الله تعالى الله عن ذلك كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٧] ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس لهم علم صحيح يُصَدِّق ما قالوه، بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: لا يجدي شيئًا ولا يقوم أبدًا مقام الحق، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره. وقوله: ﴿وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فذاك هو غاية ما لا خير فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه. وقد روى الإمام أحمد، عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له».

وفي الدعاء المأثور «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ عملنا»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ أي: هو الخالق لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته وهو العادل الذي لا يجوز أبدًا لا في شرعه ولا في قدره.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّغَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَتٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٤٢﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنه الغني عما سواه الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ أي: يجازي كلًا بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش؛ أي: لا

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجرات آية ١٢. (٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ١٨.

يتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستتر عليهم كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ [النساء] وقال ههنا: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ وهذا استثناء منقطع؛ لأن اللَّمَمَ من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللَّمَمَ مما قال أبو هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّانَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَزَنَا الْعَيْنَ النَّظَرَ، وَزَنَا اللِّسَانَ النَّطْقَ، وَالنَّفْسَ تَتَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجَ يَصْدُقُ ذَلِكَ أَوْ يَكْذِبُهُ»^(١) أخرجه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به^(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن ثور، حدثنا معمر، عن الأعمش، عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال: زنا العينين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانياً وإلا فهو اللَّمَمُ^(٣)، وكذا قال مسروق والشعبي^(٤).

وقال عبد الرحمن بن نافع - الذي يقال له: ابن لبابة الطائفي - قال: سألت أبا هريرة عن قول الله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة، فإذا مسَّ الختان الختان فقد وجب الغسل، وهو الزنا^(٥).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ إلا ما سلف^(٦). وكذا قال زيد بن أسلم^(٧).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: الذي يلم بالذنب ثم يدعه، قال الشاعر:

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلْمَأَ؟^(٨)

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه. قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون:

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢/٢٧٦) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج (ح ٦٣٤٣) وصحيح مسلم، القدر، باب قدر الله على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (ح ٢٦٥٧).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق معمر به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٧٠).

(٤) أخرجهما الطبري مختصراً ويشهد لهما سابقهما.

(٥) أخرجه مسدد والطبري من طريق عبد الله بن عثمان بن خيثم عن عبد الرحمن بن نافع به. (ينظر: المطالب العالية، المسند، ٤/١٦٤ ح ٣٧٤٤) وعبد الرحمن بن نافع لم أجد له ترجمة ولمعظمه شواهد صحيحة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وليس عن زيد بن أسلم، بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح، والبيت لأمية بن الصلت كما في ديوانه ص ٥٨.

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا^(١)؟
وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعاً قال ابن جرير: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِ وَالْفُوحْشِ إِلَّا أَلَمَّا﴾ قال: هو الرجل الذي يلمُّ بالفاحشة ثم يتوب. وقال: قال رسول الله ﷺ:

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا^(٢)؟
وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن عثمان أبي عثمان البصري، عن أبي عاصم النبيل ثم قال: هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق^(٣)، وكذا قال البزار: لا نعلمه يروى متصلاً إلا من هذا الوجه، وساقه ابن أبي حاتم والبخاري من حديث أبي عاصم النبيل، وإنما ذكره البخاري في تفسير سورة تنزيل، وفي صحته مرفوعاً نظر.

ثم قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيغ، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس، عن الحسن، عن أبي هريرة ؓ أراه رفعه في: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِ وَالْفُوحْشِ إِلَّا أَلَمَّا﴾ قال: اللَّمَم من الزنا ثم يتوب ولا يعود. واللَّمَم من السرقة ثم يتوب ولا يعود، واللَّمَم من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود، قال: فذلك الإلمام^(٤).

وحدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِ وَالْفُوحْشِ إِلَّا أَلَمَّا﴾ قال: اللَّمَم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود إليه^(٥).
وحدثني يعقوب، حدثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن في قول الله: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِ وَالْفُوحْشِ إِلَّا أَلَمَّا﴾ قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: هو الرجل يصيب اللمة من الزنا، واللمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها^(٦).

وقال ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس ﴿إِلَّا أَلَمَّا﴾ يلمُّ بها في الحين قلت: الزنا؟ قال: الزنا ثم يتوب^(٧).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس ؓ قال: اللَّمَم، الذي يلمُّ المرة^(٨).

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف لكنه توبع في الرواية السابقة.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه الحاكم من طريق زكريا بن إسحاق المكي به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٦٩/٢) وصححه الألباني كما سيأتي، ولكن الحافظ ابن كثير شكك في صحة رفعه.

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة النجم (ح ٣٢٨٠) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦١٨).

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده منقطع لأن الحسن لم يسمع من أبي هريرة.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح إلى الحسن.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده مرسل.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته ورجاله ثقات وسنده صحيح.

وقال السدي: قال أبو صالح سئلت عن اللمم فقلت: هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب، وأخبرت بذلك ابن عباس فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم^(١)، حكاه البغوي.

وروى ابن جرير من طريق المثني بن الصباح - وهو ضعيف - عن عمرو بن شعيب أن عبد الله بن عمرو قال: اللمم ما دون الشرك^(٢).

وقال سفيان الثوري: عن جابر الجعفي، عن عطاء، عن ابن الزبير **﴿إِلَّا اللَّهُ﴾** قال: ما بين الحدّين حدّ الدنيا وعذاب الآخرة^(٣). وكذا رواه شعبة عن الحكم، عن ابن عباس مثله سواء^(٤).

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: **﴿إِلَّا اللَّهُ﴾** كل شيء بين الحدّين حدّ الدنيا وحدّ الآخرة، تكفره الصلوات فهو اللمم، وهو دون كل موجب، فأما حدّ الدنيا فكل حدّ فرض الله عقوبته في الدنيا، وأما حدّ الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وآخر عقوبته إلى الآخرة^(٥). وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك^(٦).

وقوله تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾** أي: رحمته وسعت كل شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها كقوله تعالى: **﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** [الزمر].

وقوله تعالى: **﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾** أي: هو بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم، وتقع منكم حين أنشأ أباكم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذرّ، ثم قسمهم فريقين: فريقاً للجنة وفريقاً للسعير. وكذا قوله: **﴿وَإِذْ أَنشَأَ أَجْنَةً فِي بَطْنِ أُمّهَاتِكُمْ﴾** قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد؟

قال مكحول: كنّا أجنةً في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط، وكنا فيمن بقي ثم كنا مرضع فهلّك منا من هلّك، وكنا فيمن بقي ثم صرنا يفعة فهلّك منا من هلّك، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شباباً فهلّك منا من هلّك، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخاً لا أبا لك فماذا بعد هذا نتنظر؟ رواه ابن أبي حاتم عنه.

وقوله: **﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾** أي: تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم **﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾** كما قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾** [النساء].

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا عمرو الناقد، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الليث، عن

(١) أخرجه البغوي عن السدي، وسنده ضعيف لضعف أبي صالح وهو باذام أو باذان مولى أم هاني **﴿عَلَّمَا﴾**.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفيه المثني بن الصباح وقد ضعفه الحافظ ابن كثير.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن حميد عن مهران عن سفيان به، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد المتقدم قبل ثلاث روايات، وفيه جابر الجعفي أيضاً.

(٤) أخرجه الطبري من طريق شعبة به، والحكم هو ابن عُتَيْبَةَ لم يسمع من ابن عباس، وسنده منقطع.

(٥) أخرجه الطبري من طريق العوفي به وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه الطبري وفي سنده ابن حميد وهو ضعيف كما تقدم، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

يزيد بن أبي حبيب، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سميت ابنتي برة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم وسميت برة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا: بَمَ نسميها؟ قال: «سموها زينب»^(١).

وقد ثبت أيضاً في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ويلك قطعت عنق صاحبك - مراراً - إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك»^(٢). ثم رواه عن عُندَر، عن شعبة، عن خالد الحذاء به^(٣)، وكذا رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذاء به^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا: أخبرنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث قال: جاء رجل إلى عثمان فأنى عليه في وجهه قال: فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب ويقول: أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب^(٥). ورواه مسلم وأبو داود من حديث الثوري [عن منصور]^(٦) به^(٧).

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدُمُ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَزَّرُ وَزْرًا وَزَرًا أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلُ ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذاماً لمن تولى عن طاعة الله: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣٦﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة] ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٨﴾﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلاً ثم قطعه^(٨)، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغير واحد^(٩).

قال عكرمة وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئراً، فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل فيقولون أكدينا ويتركون العمل.

(١) أخرجه مسلم بسنده ومثته (الصحيح، الأدب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن ح ٢١٤٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٦/٥) وسنده صحيح.

(٣) المسند ٤١/٥ وسنده صحيح.

(٤) صحيح البخاري، الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلاً كفاه (ح ٢٦٦٢) وصحيح مسلم، الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط (ح ٣٠٠٠)، وسنن أبي داود، الأدب، باب في كراهية التمداح (ح ٤٨٠٥)، وسنن ابن ماجه، الأدب، باب المدح (ح ٣٧٤٤).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٥/٦) وسنده صحيح.

(٦) زيادة من (ح) و(حم).

(٧) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ٣٠٠٢)، وسنن أبي داود، الباب السابق (ح ٤٨٠٤).

(٨) أخرجه الطبري بسندين يقوي بعضهما بعضاً ويتقويان بالآثار التالية.

(٩) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن عكرمة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿أَعِنْدُكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾ (٣٥) أي: أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق وقطع معروفة، أعنده علم الغيب أنه سينفذ ما في يده حتى قد أمسك عن معروفة فهو يرى ذلك عياناً؟ أي: ليس الأمر كذلك. وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلاً وشحاً وهلعاً، ولهذا جاء في الحديث: «أنفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقللاً»^(١). وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْبَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ﴾ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) قال سعيد بن جبير والثوري؛ أي: بلغ جميع ما أمر به^(٢).

وقال ابن عباس: ﴿وَفَّى﴾ الله بالبلاغ.

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَفَّى﴾ ما أمر به^(٣).

وقال قتادة: ﴿وَفَّى﴾ طاعة الله وأدى رسالته إلى خلقه^(٤). وهذا القول هو اختيار ابن جرير، وهو يشمل الذي قبله ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْفَيْتُكَ بِمَا نَبَّأْتُكَ مِنَ الْوَعْدِ فَاتَّخِذْ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا حَقِيرَةً قُلْ إِنَّ الدُّنْيَا زُخْرُفٌ لِلْآخِرَةِ﴾ (البقرة: ١٢٤) فقام بجميع الأوامر وترك جميع النواهي وبلغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إماماً يقتدى به في جميع أحواله وأقواله وأفعاله. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧) قال: «أتدري ما وفى؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار» ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير^(٥)، وهو ضعيف.

وقال الترمذي في جامعه: حدثنا أبو جعفر السمناني، حدثنا أبو مسهر، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله ﷺ عن الله ﷻ أنه قال: «ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره»^(٦).

قال ابن أبي حاتم رحمه الله: وحدثنا أبي، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى،

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢١٢.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق أبي حصين عن سعيد بن جبير (المصنف ٧/٤٤٧).

(٣) تقدم كسابقه.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري من طريق إسرائيل عن جعفر بن الزبير به، وجعفر ضعيف كما قرر الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر في التقریب.

(٦) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحى ح ٤٧٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٣٩٥).

حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم لِمَ سَمِيَ اللهُ تعالى إبراهيم خليله الذي وفى؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُسَوِّتُ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (٧) [الروم] حتى ختم الآية^(١).

ورواه ابن جرير عن أبي كريب [عن رشدين بن سعد، عن زبان به]^(٢)^(٣)، ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال: ﴿أَلَا نَزِدُّ وَزْرًا وَزَرًا أَفَرَى﴾ (٣٨) أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد كما قال: ﴿وَلِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِلْهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (٣٩) أي: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه، أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وبات القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما.

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: ومن ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به»^(٤) فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله، كما جاء في الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه»^(٥) والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ الآية [يس: ١٢]. والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضاً من سعيه وعمله.

وثبت في الصحيح: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً»^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَكُمْ سَوْفَ يَرَىٰ﴾ (٤١) أي: يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيَةِ فَتُنَبِّئُهُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥٥) [التوبة] أي: فيخبركم به ويجزيكم عليه أتم الجزاء إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهكذا قال ههنا: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَىٰ﴾ (٤١) أي: الأوفر.

(١) سنده ضعيف لضعف زبان بن فائد. (التقريب ص ٢١٣).

(٢) زيادة من (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض. (٣) سنده ضعيف كسابقه.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفرقان آية ٧٤.

(٥) أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها (السنن، البيوع، باب في الرجل يأكل من مال ولده ح ٣٥٢٨).

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٠١٣).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة المائدة آية ٢.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ۖ وَأَنَّ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۖ وَأَنَّ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ۖ وَأَنَّ هُوَ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ مِنْ نُّفُثَةٍ إِذَا تُمْتَقَىٰ ۖ وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشْأَةُ الْآخَرَىٰ ۖ وَأَنَّ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۖ وَأَنَّ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ۖ وَأَنَّ هُوَ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۖ وَنُوحًا مِمَّا أَقْنَىٰ ۖ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْلَمَ ۖ وَالْمُؤَنَّفَكَ أَهْوَىٰ ۖ فَشَنَنَهَا مَا عَشِنَىٰ ۖ فَبَآئِيَ مَا لَاءَ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۖ﴾.

يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ۖ﴾ أي: المعاد يوم القيامة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا مسلم بن خالد، عن عبد الرحمن بن سابط، عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود إني رسول رسول الله ﷺ إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الله إلى الجنة أو النار^(١).

وذكر البغوي من رواية أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ۖ﴾ قال: لا فكرة في الرب^(٢).

قال البغوي: وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعاً: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة»^(٣) وكذا أورده وليس بمحفوظ بهذا اللفظ، وإنما الذي في الصحيح «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته».

وفي الحديث الآخر الذي في [السنن]^(٤): «تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله تعالى فإن الله خلق ملكاً ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة»^(٥) أو كما قال.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۖ﴾ أي: خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان ﴿وَأَنَّ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ۖ﴾ كقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] ﴿وَأَنَّ هُوَ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ مِنْ نُّفُثَةٍ إِذَا تُمْتَقَىٰ ۖ﴾ كقوله: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۖ﴾ [الزك: ٣٦] ﴿أَلَمْ يَكُنْ نَفُثَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَقَىٰ ۖ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۖ فَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ﴾ [الأنثى: ٣٨] ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُجِئَ الْوَلَدَ ۖ﴾ [القيامة: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشْأَةُ الْآخَرَىٰ ۖ﴾ أي: كما خلق البداء هو قادر على الإعادة وهي النشأة الأخرى يوم القيامة ﴿وَأَنَّ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۖ﴾ أي: ملك عباده المال وجعله لهم قنية مقيماً عندهم لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم، وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين، منهم أبو صالح وابن جرير وغيرهما^(٦).

(١) سنده حسن.

(٢) أخرجه البغوي من طريق العباس بن زفر عن أبي جعفر الرازي به (التفسير ٢٥٥/٤). وسنده ضعيف لأن أبا جعفر سيئ الحفظ، وهذا الحديث لا يدخل في حكم الصحيفة المشهورة عن أبي العالية عن أبي، ولكن يشهد له الأحاديث التالية.

(٣) المصدر السابق.

(٤) زيادة من (حم) و(مح)، وفي الأصل بياض.

(٥) صححه الألباني بلفظ: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ﷻ». (السلسلة الصحيحة ٣٩٥/٤ ح ١٧٨٨).

(٦) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق السدي عن أبي صالح.

وعن مجاهد ﴿أَغْنَى﴾ مؤل ﴿وَأَقْنَى﴾ أخدم^(١)، وكذا قال قتادة^(٢).

وقال ابن عباس ومجاهد أيضاً: ﴿أَغْنَى﴾ أعطى ﴿وَأَقْنَى﴾ رضى^(٣). وقيل: معناه أغنى نفسه وأفقر الخلاق إليه، قاله الحضرمي بن لاحق^(٤)، وقيل: أغنى من شاء من خلقه، وأقنى؛ أي: أفقر من شاء منهم.

قال ابن زيد: حكاهما ابن جرير وهما بعيدان من حيث اللفظ.

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقاتدة وابن زيد وغيرهم: هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له: مِرْزَمُ الجوزاء، كانت طائفة من العرب يعبدونه^(٥).

﴿وَأَنْتَهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وهم قوم هود ويقال لهم: عاد بن إرم بن سام بن نوح كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر] فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله فأهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَارَ صَرْصِرٍ عَاتِيَةٍ﴾ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا [الحاقة] أي: متتابعة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَمُودًا إِذْ أَتَى﴾ أي: دمرهم فلم يبق منهم أحداً ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَى﴾ أي: أشد تمرداً من الذين من بعدهم ﴿وَالنُّؤُفَكَ أَهْوَى﴾ يعني: مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود، ولهذا قال: ﴿فَنَفْسُهَا مَا عَشِيَ﴾ يعني: من الحجارة التي أرسلها عليهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء].

قال قتادة: كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف إنسان، فانضرم عليهم الوادي شيئاً فشيئاً من نار ونفط وقطران كضم الأتون. ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن محمد بن وهب بن عطية، عن الوليد بن مسلم، عن خلود عنه به^(٦)، وهو غريب جداً.

﴿فَيَايَ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ أي: ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمترى؟ قاله قتادة^(٧).

(١) أخرجه الطبري من طريق ليث عن مجاهد، وليث هو ابن أبي سليم فيه مقال ويتقوى بما أخرجه الطبري بأسانيد صحاح عن الحسن البصري وقاتدة.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه أبو الشيخ (العظمة ١٧٦)، والطبري بسند حسن من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «هو الكوكب الذي يدعى الشعري»، ويتقوى بالآثار التي أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «مِرْزَمُ الجوزاء» وبسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٦) سنده ضعيف لضعف خلود وهو ابن دعلج السدوسي البصري، وقد حدث عن قتادة أحاديث منكورة. (تهذيب التهذيب ١٥٨/٣).

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

وقال ابن جريج: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ نَتَارَآءً﴾ (٥٥) يا محمد والأول أولى، وهو اختيار ابن جرير^(١).

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾ (٥٦) أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَنَ هَذَا لَحْدِيكَ تَعَجَّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾.

﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾ أي: من جنسهم أرسل كما أرسلوا كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ﴾ (٥٧) أي: اقتربت القرية وهي القيامة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (٥٨) أي: لا يدفعها إذاً من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه، ثم قال تعالى منكرًا على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم ﴿تَعَجَّبُونَ﴾ من أن يكون صحيحاً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ منه استهزاء وسخرية ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ أي: كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم ﴿وَيَحْزَنُونَ لِلْآذِقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (٦٢) [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ (٦١) قال سفيان الثوري: عن أبيه، عن ابن عباس قال: الغناء هي يمانية أسمد لنا غنّ لنا^(٢)، وكذا قال عكرمة^(٣)، وفي رواية عن ابن عباس ﴿سَمِيدُونَ﴾ معرضون^(٤)، وكذا قال مجاهد وعكرمة، وقال الحسن: غافلون، وهو رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفي رواية عن ابن عباس: تستكبرون^(٥)، وبه يقول السدي، ثم قال تعالى أمراً لعباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسوله ﷺ والتوحيد والإخلاص ﴿فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (٦٢) أي: فاحضعوا له وأخلصوا ووحده.

قال البخاري: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس^(٦). انفرد به دون مسلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا رباح، عن عمر، عن ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد، عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة، عن أبيه قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسي فأبيت أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه^(٧). وقد رواه النسائي في الصلاة عن عبد الملك بن عبد الحميد، عن أحمد بن حنبل به^(٨). [ذكر حديث له مناسبة بما تقدم من قوله

(١) اختاره ولم يذكر سواه.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الثوري عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن عكرمة.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الضحاك عن ابن عباس بلفظ: «شامخين». والضحاك لم يلق ابن عباس.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم] ح ٤٨٦٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده بنحوه (المسند ٢٢٠/٤٥ ح ٢٧٢٤٥) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٨) السنن، سجود القرآن، باب السجود في ﴿وَالنَّجْمِ﴾ [النجم: ١] ١٦٠/٢، وصحح الحافظ ابن حجر رواية النسائي (فتح الباري ٦١٥/٨) وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٩١٨).

تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ ۝٥٦ أَرْفَتِ الْأَرْفَةَ ۝٥٧﴾ فَإِنَّ النَّذِيرَ الْحَذَرَ لِمَا يَعَايِنُ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي يَخْشَى وَقَوْعَهُ فِيمَنْ أُنذِرَهُمْ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] وفي الحديث: «أنا النذير العريان»^(١)؛ أي: الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئاً، بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك فجاءهم عرياناً مسرعاً، وهو مناسب لقوله: ﴿أَرْفَتِ الْأَرْفَةَ ۝٥٧﴾ أي: اقتربت القرية يعني يوم القيامة. كما قال في أول السورة التي بعدها: ﴿أَفَرَّتْ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثني [أبو حازم] لا أعلم إلا عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، وإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بيطن وإد، فجاء ذا يعود وجاء ذا يعود حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه» وقال أبو حازم: قال رسول الله ﷺ: قال أبو نضرة: لا أعلم إلا عن سهل بن سعد قال: «مثلي ومثل الساعة كهاتين» وفرق بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان» ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة، فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم أتيتم» ثم يقول رسول الله ﷺ: «أنا ذلك»^(٢). وله شواهد من وجوه آخر من صحاح وحسان.

[آخر تفسير سورة النجم]^(٣)، والله الحمد والمنة، وبه الثقة والعصمة ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) أخرجه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. (صحيح البخاري، الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي ح ٦٤٨٢) وصحيح مسلم، الفضائل، باب شقيقته ﷺ على أمته... (ح ٢٢٨٣).
(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٧/٤٦٧ ح ٢٢٨٠٨ و ٢٢٨٠٩) وصححه سنده محققوه.
(٣) زيادة من (ح) و(حم).

سُورَةُ الْقَمَرِ

وهي مكية

قد تقدم في حديث أبي واقد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف، واقتربت الساعة^(١) في الأضحى والفطر^(٢)، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار، لاشتغالهما على ذكر الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد وإثبات النبوات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعِجٌ ۚ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ (٤) حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْتَذَرُ ۚ (٥)﴾

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ آلَهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] وقال: ﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء] وقد وردت الأحاديث بذلك.

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن المثنى وعمرو بن علي قالوا: حدثنا خلف بن موسى، حدثني أبي، عن قتادة، عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم، وقد كادت الشمس أن تغرب، فلم يبقَ منها إلا شِفٌّ^(٣) يسير فقال: «والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس إلا يسيراً»^(٤). قلت: هذا حديث مداره على خلف بن موسى بن خلف العمي عن أبيه، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما أخطأ.

حديث آخر يعضد الذي قبله ويفسره.

قال الإمام أحمد: حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا شريك، حدثنا سلمة بن كهيل، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ والشمس على قعيقعان^(٥) بعد العصر فقال: «ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى»^(٦).

(١) تقدم تخريجه في بداية تفسير سورة ق.

(٢) أي: عيد الأضحى وعيد الفطر.

(٣) الشف هو: بقية النهار.

(٤) أعلمه الحافظ ابن كثير بخلف بن موسى، ويتقوى بالشواهد الآتية.

(٥) وهو أحد جبال مكة.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتمته (المسند ١٧٧/١٢ ح ٥٩٦٦) وقال محققوه: صحيح لغيره. اهـ. وحسنه =

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين، حدثنا محمد بن مطرد، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُعِثْتُ أنا والساعة هكذا» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى^(١). وأخرجاه من حديث أبي حازم سلمة بن دينار^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا [محمد بن عبيد]^(٣)، أخبرنا الأعمش، عن أبي خالد، عن وهب السوائي قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقها» وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، حدثني إسماعيل بن عبيد الله قال: قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فسأله: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنتم والساعة كهاتين»^(٥) تفرد به أحمد رحمه الله، وشاهد ذلك أيضاً في الصحيح في أسماء رسول الله ﷺ أنه الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه^(٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز بن أسد، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، عن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان، قال بهز، وقال قبل هذه المرة: خطبنا رسول الله ﷺ، قال: فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء يتصا بها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا منها بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفير جهنم فيهبوي فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعرأ، والله لتملؤنه أفعبجتم؟ والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام»^(٧). وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم^(٨).

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا يعقوب، حدثني ابن عُلَيَّة، أخبرنا عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة، فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال: ألا إن الله يقول: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿١﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضممار وغداً السباق، فقلت لأبي: أيستبق الناس غداً؟ فقال: يا بني إنك لجاهل، إنما هو

= الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١١/٣٥٠).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٥/٣٣٨) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الطلاق، باب اللعان وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ زَوَاجَهُمْ وَلَا يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ...﴾ [النور: ٦] (ح ٥٣٠١) وصحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (ح ٢٩٥٠).

(٣) كذا في المسند، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: «محمد بن عبد».

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣١/٦٠ ح ١٨٧٧٠) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢١/٥٠ ح ١٣٣٣٧) وصححه سند محققوه.

(٦) صحيح البخاري، المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (ح ٣٥٣٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/١٧٤) وسنده صحيح.

(٨) أخرجه مسلم من طريق سليمان بن المغيرة به. (الصحيح، الزهد ح ٢٦٩٧).

السباق بالأعمال، ثم جاءت الجمعة الأخرى، فحضرنا فخطب حذيفة فقال: ألا إن الله ﷻ يقول: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقُّ الْقَمَرُ﴾ ﴿١﴾ ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضممار وغداً السابق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَشَقُّ الْقَمَرُ﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: «خمس قد مضين الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر»^(٢)، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك:

رواية أنس بن مالك:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: سألت أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين فقال: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقُّ الْقَمَرُ﴾ ﴿٣﴾. ورواه مسلم، عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق^(٤).

وقال البخاري: حدثني عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما^(٥). وأخرجاه أيضاً من حديث يونس بن محمد المؤدب، عن شيبان، عن قتادة^(٦)، ورواه مسلم أيضاً من حديث أبي داود الطيالسي ويحيى القطان وغيرهما عن شعبة، عن قتادة به^(٧).

رواية جبير بن مطعم ﷺ:

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين: فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا^(٨) محمد. فقالوا: إن كان سحرنا^(٩) فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم^(١٠). تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه وأسنده البيهقي في

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وسنده حسن لأن ابن عُليّة وهو إسماعيل سمع عطاء بن السائب قبل الاختلاط.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَكَاةٍ﴾ [الفرقان: ٧٧] (ح ٤٧٦٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنته (المسند ١٦٥/٣) وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، صفات المناققين، باب انشقاق القمر بعد (ح ٢٨٠٢).

(٥) أخرجه البخاري بسنده ومثنته (الصحيح، مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر ح ٣٨٦٨).

(٦) صحيح البخاري، المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية (ح ٣٦٣٧) وصحيح مسلم، صفات المناققين، باب انشقاق القمر (ح ٤٦/٢٨٠٢).

(٧) المصدر السابق (ح ٤٧/٢٨٠٢).

(٨) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: «سحره».

(٩) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: «سحره».

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنته (المسند ٣١٤/٢٧، ٣١٥ ح ١٦٧٥٠) وقال محققوه: إسناده ضعيف، =

الدلائل من طريق محمد بن كثير، عن أخيه سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن^(١). وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به^(٢)، ورواه البيهقي أيضاً من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم، كلاهما عن حصين، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده فذكره^(٣).

رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا بكر، عن جعفر، عن عراك بن مالك، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: انشق القمر في زمان النبي ﷺ^(٤). ورواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث بكر بن مضر، عن جعفر بن ربيعة، عن عراك به مثله^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن مثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود بن أبي عبيد، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَفَرَبَّ السَّاعَةِ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعِزٌّ﴾ قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه^(٦)، وروى العوفي، عن ابن عباس نحو هذا^(٧).

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو البزار، حدثنا محمد بن يحيى القطعي، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كشف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سحر القمر، فنزلت ﴿أَفَرَبَّ السَّاعَةِ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۖ﴾ إلى قوله: ﴿مُتَسَتِّرٌ﴾^(٨).

رواية عبد الله بن عمر:

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا وهب بن جرير، عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى: ﴿أَفَرَبَّ السَّاعَةِ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۖ﴾ قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، انشق فلقين، فلقه من دون الجبل

= حصين بن عبد الرحمن وهو السلمي لم يسمع هذا الحديث من محمد بن جبير بن مطعم، بينهما جبير بن محمد بن جبير... وهو مجهول.

- (١) دلائل النبوة (٢/٢٦٨) وسنده ضعيف كسابقه.
- (٢) أخرجه الطبري بسنده ومته، وسنده ضعيف كسابقه.
- (٣) أخرجه البيهقي من طريق حصين عن جبير بن محمد بن جبير به، وسنده ضعيف لجهالة جبير بن محمد كما تقدم قبل روايتين.
- (٤) أخرجه البخاري بسنده ومته (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا﴾ [القمر] ح ٤٨٦٦).
- (٥) صحيح البخاري، المناقب، باب انشقاق القمر (ح ٣٨٧٠) وصحيح مسلم، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر (ح ٤٨/٢٨٠٣).
- (٦) أخرجه الطبري بسنده ومته، وسنده ثابت.
- (٧) أخرجه الطبري بسنده ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما سبق.
- (٨) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١/٢٥٠ ح ١١٦٤٢) ويشهد له قول ابن مسعود التالي عند البيهقي والطبري بعد أربع روايات.

وفلقة من خلف الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اشهد» وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد به، قال مسلم كرواية مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود، وقال الترمذي: حسن صحيح^(١).

رواية عبد الله بن مسعود:

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»^(٢). وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به^(٣)، وأخرجاه من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر عبد الله بن سخرية، عن ابن مسعود به^(٤).

وقال ابن جرير: حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، حدثنا عمي يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن رجل، عن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمنى، فانشق القمر فأخذت فرقة خلف الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا اشهدوا»^(٥).

قال البخاري: وقال أبو الضحى عن مسروق، عن عبد الله: بمكة^(٦).

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة. قال: فقالوا انظروا ما يأتيك به السفار^(٧)، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال: فجاء السفار فقالوا ذلك^(٨).

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا هشيم، حدثنا مغيرة، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين، فقال كفار قريش أهل مكة: هذا سحر سحرهم به ابن أبي كبشة انظروا السفار، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحرهم به. قال: فسئل السفار، قال: وقدموا من كل جهة فقالوا: رأيناه^(٩)، ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به، وزاد فأنزل الله ﷻ:

(١) أخرجه البيهقي (دلائل النبوة ٢/٢٦٧) وهو حديث صحيح فقد أخرجه مسلم من طريق شعبة به (الصحيح، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر ح ٢٨٠٠/٤٥)، وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة القمر (ح ٣٢٨٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/٣٧٧) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، التفسير، باب «وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا﴾ [القمر] (ح ٤٨٦٥) وصحيح مسلم، الباب السابق (ح ٢٨٠٠/٤٣).

(٤) المصدر السابق صحيح البخاري (ح ٤٨٦٤) وصحيح مسلم (ح ٢٨٠٠/٤٤).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لإبهام الراوي عن عبد الله بن مسعود، ويشهد لآخره سابقه. وأخرجه البخاري من طريق أبي معمر عن ابن مسعود (الصحيح، المناقب، باب انشقاق القمر ح ٣٨٦٩).

(٦) المصدر السابق. (٧) أي: المسافرين.

(٨) أخرجه الطيالسي بسنده ومثله (المسند رقم ٢٩٥) وسنده صحيح.

(٩) أخرجه البيهقي بسنده ومثله (دلائل النبوة ٢/٢٦٦) وسنده صحيح.

﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(١).

ثم قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُليّة، أخبرنا أيوب، عن محمد هو: ابن سيرين قال: نبت أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول: لقد انشق القمر^(٢).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني محمد بن عمار، حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط، عن سماك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله قال: لقد رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق، ورواه الإمام أحمد عن مؤمل، عن إسرائيل، عن سماك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر^(٣).

وقال ليث، عن مجاهد: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «اشهد يا أبا بكر» فقال المشركون: سحر القمر حتى انشق^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً﴾ أي: دليلاً وحجة وبرهاناً ﴿يَعْرِضُوا﴾ أي: لا ينقادوا له بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: ويقولون هذا الذي شاهدناه من الحجاج سحر سحرنا به ومعنى ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: ذاهب، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما^(٥): أي: باطل مضمحل لا دوام له ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: كذبوا بالحق إذ جاءهم، واتبعوا ما أمرتهم به آرائهم وأهوائهم من جهلهم وسخافة عقولهم.

وقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ قال قتادة: معناه أن الخير واقع بأهل الخير، والشر واقع بأهل الشر^(٦).

وقال ابن جريج: مستقر بأهله^(٧).

وقال مجاهد: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: يوم القيامة^(٨).

وقال السدي: مستقر؛ أي: واقع، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ أي: من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسول وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب مما يتلى عليهم في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب.

وقوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ أي: في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله ﴿فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ﴾ يعني: أي شيء تغني النذر عن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه فمن الذي يهديه

(١) أخرجه الطبري والطيالسي (المسند رقم ٢٩٣) من طريق المغيرة به، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه الفاكهي من طريق ابن عُليّة به، وسنده منقطع بين ابن سيرين وابن مسعود، ويتقوى بما سبق من الروايات الكثيرة.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٤١٣/١) وسنده حسن. وصححه محققو المسند (٣٩٢٤ ح ٣٩/٧)، ولعل تصحيحهم بالمتابعات، فكان الأولى أن يقال: صحيح لغيره.

(٤) في سنده ليث وهو ابن أبي سليم وفيه مقال، ومجاهد لم يسمع من أبي بكر، فسنده ضعيف.

(٥) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٤٩) [الأنعام] وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكِرٍ﴾ (١) خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾.

يقول تعالى: فتول يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون ويقولون هذا سحر مستمر، أعرض عنهم وانتظرهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكِرٍ﴾ أي: إلى شيء منكر فظيع، وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء بل والزلازل والأهوال، ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ أي: ذليلة أبصارهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ أي: كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق، ولهذا قال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ لا يخالفون ولا يتأخرون ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي: يوم شديد الهول عبوس قمطير ﴿فَذَلِكَ يَوْمًا يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ يَسِيرٌ ﴿١٠﴾ [المدثر].

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ﴾ (١) فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾ فَجَرَى بِأَعْيُنِنَا جُرَّاءَ لِمَنِ كَانَ كُفْرٌ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴿١٧﴾.

يقول تعالى: ﴿كَذَبَتْ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ أي: صرحوا له بالكذب واتهموه بالجنون ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ﴾.

قال مجاهد: ﴿وَازْدَجَرَ﴾ أي: استطير جنونا^(١)، وقيل: وازدجر؛ أي: انتهره وزجره وتواعده ﴿لَمَنِ تَنَزَّهَتْ يَنْتَوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] قاله ابن زيد^(٢)، وهذا متوجه حسن.

﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ (١٠) أي: إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فانتصر أنت لدينك^(٣).

قال الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾ (١١) قال السدي: وهو الكثير. ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: نبعت جميع أرجاء الأرض حتى التناير التي هي محال النيران نبعت عيوناً ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أي: من السماء والأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: أمر مقدر. قال ابن جريج، عن ابن عباس ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾ (١١) كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب، فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم،

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) معناه صحيح.

فالتقى الماءان على أمر قد قدر^(١)، وروى ابن أبي حاتم أن ابن الكواء سأل علياً عن المجرة فقال: هي شرج السماء، ومنها فتحت السماء بماء منهمر^(٢).

﴿وَحَمَلَتْهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾﴾.

قال ابن عباس وسعيد بن جبير والقرظي وقتادة وابن زيد: هي المسامير^(٣)، واختاره ابن جرير، قال: وواحدھا دسار.

ويقال: دسير كما يقال: حبيك وحباك، والجمع: حبك^(٤).

وقال مجاهد: الدسر أضلاع السفينة^(٥).

وقال عكرمة والحسن: هو صدرها الذي يضرب به الموج^(٦).

وقال الضحاك: طرفاها وأصلها^(٧).

وقال العوفي، عن ابن عباس: هو كلكلها؛ أي: صدرها^(٨).

وقوله: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا ﴿جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفْرًا﴾ أي: جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوح عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً﴾ قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة^(٩)، والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن، كقوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُونِ ﴿١١﴾ وَخَلَقْنَا لَمْ مِّنْ مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يسر] وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَّا طَعَا أَلْمَاءَ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْبَارِيَةِ ﴿١٣﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَرَعِيَّةٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة] ولهذا قال ههنا: ﴿فَهَلْ مِّنْ مُّذَكِّرٍ﴾ أي: فهل من يتذكر ويتعظ.

قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن ابن مسعود قال: أقرأني رسول الله ﷺ ﴿فَهَلْ مِّنْ مُّذَكِّرٍ﴾ [فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن مُذَكِّرٌ أو مُذَكَّرٌ؟ قال: أقرأني رسول الله ﷺ: ﴿مُذَكِّرٍ﴾]^{(١٠)(١١)}، وهكذا رواه البخاري، حدثنا يحيى،

(١) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يلق ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري من طريق أبي الطفيل عن ابن الكواء به (الأدب المفرد ح ٧٦٦) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح ٥٨٩).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند فيه ابن لهيعة عن القرظي ويتقوى بسابقه ولاحقه، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) ذكره بنحوه ولم يذكر والجمع: «حبك».

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن بلفظ: «تدسر الماء بصدرها».

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به بلفظ: «كلكل السفينة». اهـ. أي: صدرها، ويشهد له ما سبق.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٩٥/١) وسنده صحيح.

(١١) ما بين معقوفين زيادة من المسند، ولم أجده في النسخ الخطية.

حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: قرأت على النبي ﷺ «فهل من مذكر»^(١)، وقال النبي ﷺ: «فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ»^(٢).

وروى البخاري أيضاً من حديث شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ «فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ»^(٣).

وقال: حدثنا أبو نعيم، حدثنا زهير، عن أبي إسحاق أنه سمع رجلاً سأل الأسود فهل من مذكر أو مذكر، قال: سمعت عبد الله يقرأ «فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ» وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأها «فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ» دالاً^(٤). وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث أبي إسحاق^(٥).

وقوله تعالى: «فَكَيفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۖ أَي: كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي؟ ولم يتعظ بما جاءت به نذري، وكيف انتصرت لهم وأخذت لهم بالثأر؟» وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ أَي: سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس، كما قال: «كُنْتُ أَنْزَلُهُ إِلَيْكَ مُبَرِّكًا لِيَذَّبُوا عَنْ بُيُوتِهِمْ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولَ الْأَلْبَابِ» [ص] وقال تعالى: «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا» [مريم].

قال مجاهد: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ» يعني: هونا قراءته^(٦).

وقال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: لولا أن الله يسره على لسان آدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله ﷻ^(٧).

قلت: ومن تيسيره تعالى على الناس تلاوة القرآن ما تقدم عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»^(٨) وأوردنا الحديث بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة.

وقوله: «فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ» أَي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه؟ وقال محمد بن كعب القرظي: فهل من منزجر عن المعاصي^(٩)؟

(١) كذا في (ح) وصحيح البخاري، وفي الأصل صحفت إلى: «فهل من مذكر».

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب «وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ» [القمر] ح ٤٨٧٤).

(٣) المصدر السابق (ح ٤٨٧٣).

(٤) المصدر السابق باب «أَنجَاؤُ نَحْلِ مُثَفِّرٍ...» [القمر: ٢٠] (ح ٤٨٧١).

(٥) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب ما يتعلق بالقراءات (ح ٨٢٣) وسنن أبي داود، الحروف والقراءات (ح ٣٩٩٤)، وسنن الترمذي، القراءات، باب ومن سورة القمر (ح ٢٩٣٧)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ» [القمر] (ح ١١٥٥٥).

(٦) أخرجه آدم والفريابي (تغليق التعليق ٣٧٨/٥)، والطبري كلهم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

(٧) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس ﷺ.

(٨) أخرجه البخاري (الصحيح، فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ح ٤٩٩١).

(٩) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن رافع، حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن مطر هو الوراق في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ هل من طالب علم فيعان^(١) عليه؟ وكذا علقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق^(٢)، ورواه ابن جرير، وروى عن قتادة مثله^(٣).

﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذِرٍ﴾ (١٨) ﴿إِنَّا أَوْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (١٩) ﴿نَزَعُ النَّاسَ عَنْهُمْ أَغْجَارَ تَخْلٍ مُنْفَعِرٍ﴾ (٢٠) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذِرٍ﴾ (٢١) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٢٢).

يقول تعالى مخبراً عن عاد قوم هود، إنهم كذبوا رسولهم أيضاً، كما صنع قوم نوح وأنه تعالى أرسل عليهم ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ وهي الباردة الشديدة البرد ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ أي: عليهم، قاله الضحاك وقاتلة والسدي^(٤) ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ عليهم نحسه ودماره لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي. وقوله: ﴿نَزَعُ النَّاسَ عَنْهُمْ أَغْجَارَ تَخْلٍ مُنْفَعِرٍ﴾ (٢٠) وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط على الأرض، فتتلعغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس، ولهذا قال: ﴿كَانَتْ عَادٌ تَخْلٍ مُنْفَعِرٍ﴾ (٢٠) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذِرٍ﴾ (٢١) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٢٢).

﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (٢٣) ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَبَعُهُ﴾ (٢٤) ﴿إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَشُعْرٍ﴾ (٢٥) ﴿أَمْلَقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ (٢٦) ﴿سَيَعْلَمُونَ عَدَا مَنِ الْكَذَّابُ الْآثِرُ﴾ (٢٧) ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنْ تَبِعَهَا فَرَأَى بُرْهَانَهَا وَاتَّقَبَّهَا وَأَصْطَرَّ﴾ (٢٨) ﴿وَبَيْنَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌّ﴾ (٢٩) ﴿فَادَا صَالِحٌ فَطَاعُوا فَفَعَّرَ﴾ (٣٠) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذِرٍ﴾ (٣١) ﴿إِنَّا أَوْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْحَنَظِيرِ﴾ (٣٢) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٣٣).

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَبَعُهُ﴾ (٢٤) ﴿إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَشُعْرٍ﴾ (٢٥) يقولون: لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كلنا قيادنا لواحد منا. ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم ثم رموه بالكذب فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ (٢٦) أي: متجاوز في حد الكذب، قال الله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَدَا مَنِ الْكَذَّابُ الْآثِرُ﴾ (٢٧) وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنْ تَبِعَهَا فَرَأَى بُرْهَانَهَا وَاتَّقَبَّهَا وَأَصْطَرَّ﴾ (٢٨) أي: اختباراً لهم، أخرج الله لهم ناقه عظيمة عشاء، من صخرة صماء طبق ما سألوا، لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به، ثم قال تعالى آمراً لعبده ورسوله صالح: ﴿فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَرَّ﴾ (٢٨) أي: انتظر ما يؤول إليه أمرهم، واصبر عليهم فإن العاقبة لك، والنصر في الدنيا والآخرة ﴿وَبَيْنَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ (٢٩) أي: يوم لهم ويوم للناقة كقوله: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَنَا شَرِبَ وَلَكِنْ شَرِبَ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ (٣٠) [الشعراء].

(١) أخرجه الفريابي في تفسيره عن ضمرة به (ينظر: تغليق التعليق ٣٧٩/٥) وسنده حسن.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه. وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ مُّخْتَصِرٌ﴾ قال مجاهد: إذا غابت حضروا الماء. وإذا جاءت حضروا اللبن^(١)، ثم قال تعالى: ﴿فَادَا صَاحِبَهُمْ فَطَعْنَاهُمْ فَفَقَرٌ﴾ قال المفسرون: هو عاقر الناقة، واسمه قُدار بن سالف^(٢)، وكان أشقى قومه. لقوله: ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس] ﴿فَطَعْنَاهُ﴾ أي: فجسر ﴿فَفَقَرٌ﴾ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ أي: فعاقبتهم فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْحُمْطِرِ﴾ أي: فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية، وخمدوا وهمدوا كما يهمد ويبس الزرع والنبات، قاله غير واحد من المفسرين، والمحتظر قال السدي هو المرعى بالصحراء حين يبس ويحترق وتسفيه الريح.

وقال ابن زيد: كانت العرب يجعلون حظاراً على الإبل والمواشي من يبس الشوك^(٣)، فهو المراد من قوله: ﴿فَكَانُوا كَهَشِيرٍ﴾.

وقال سعيد بن جبير: «هشيم المحتظر» هو التراب المتناثر من الحائط^(٤)، وهذا قول غريب، والأول أقوى، والله أعلم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِرِ﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ﴾ ﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذِرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بِكْرَةٌ عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ يَمْرَأًا﴾ ﴿الَّذِينَ لِلَّذِي هَلْ مِن مُّذَكَّرٍ﴾.

يقول تعالى مخبراً عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين، ولهذا أهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل ﷺ بحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها وأتبع بحجارة من سجيل منضود، ولهذا قال ههنا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ وهي الحجارة ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ﴾ أي: خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد، حتى ولا امرأته أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالماً لم يمسه سوء، ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه فما التفتوا إلى ذلك ولا أصغوا إليه بل شكوا فيه وتماروا به.

﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيْفِهِ﴾ وذلك ليلة ورد عليه الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل في صور شباب مُرد حسان محنة من الله بهم، فأضافهم لوط ﷺ^(٥)، وبعثت امرأته العجوز السوء إلى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط، فأقبلوا يهرعون إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب،

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) ذكره الطبري.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب، وهو عبد الله، عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٥) ذكر الحافظ ابن كثير قصتهم مفصلة في (قصص الأنبياء ١/ ١٧٥ - ١٧٧).

فجعلوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية ولوط عليه السلام يدافعهم ويمنعهم دون أضيافه ويقول لهم: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ [هود: ٧٨] يعني: نساءهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِيلِينَ﴾ [الحجر: ٧١] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩] أي: ليس لنا فيهن أرب ﴿وَإِنَّكَ لَنَافَعُهُمَا مَا تُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩] فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم، يقال إنها غارت من وجوههم، وقيل: إنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطاً عليه السلام إلى الصباح.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ (٢٨) ﴿أَي: لا محيد لهم عنه ولا انفكاك لهم منه﴾ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ (٣٩) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٤١).

﴿وَلَقَدْ جَاءَ مَالِ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ (٤١) ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقَدِيرٌ﴾ (٤١) ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ (٤٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ (٤٤) ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ (٤٦).

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وقومه: إنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا، والنذارة إن كفروا، وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة فكذبوا بها كلها، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر؛ أي: فأبادهم الله ولم يبق منهم مخبر ولا عين ولا أثر، ثم قال تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ أي: أيها المشركون من كفار قريش ﴿خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ يعني: من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل وكفرهم بالكتب، أنتم خير من أولئكم؟ ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: أم معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال؟

ثم قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ (٤٤) أي: يعتقدون أنهم يتناصرون بعضهم بعضاً، وأن جميعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء. قال الله تعالى: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) أي: سيتفرق شملهم ويغلبون.

قال البخاري: حدثنا إسحاق، حدثنا خالد، عن خالد، وقال أيضاً: حدثنا محمد، حدثنا عفان بن مسلم، عن وهيب، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر: «أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبداً» فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ (٤٦) (١). وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خالد، وهو ابن مهران الحذاء به (٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا حماد، عن أيوب، عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) قال عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ (٤٦) [القمر] ٤٨٧٧).

(٢) المصدر السابق باب قوله: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) [القمر] (٤٨٧٥)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) (ح ١١٥٥٧).

يغلب، قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يشب في الدرع وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فعرفت تأويلها يومئذ^(١).

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم، أخبرني يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين فقالت: نزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية اللعب^(٢) ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَأَمْرٌ ۝٤٦﴾ هكذا رواه ههنا مختصراً، ورواه في فضائل القرآن مطولاً، ولم يخرج به [مسلم]^(٣).

﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ۝٥١ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الظُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٍّ ۝٥٣ إِنَّ اللَّائِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ۝٥٥﴾.

يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال وسُعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق، ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: كما كانوا في سعر وشك وتردد أورثهم ذلك النار، وكما كانوا ضللاً يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون؟ ويقال لهم تقريباً وتوبيخاً: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بَقَدَرٍ ۝١﴾ [الفرقان] وكقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى] أي: قدر قادراً وهدى الخلائق إليه، ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابتها لها قبل برئها، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدرية، الذين [نبغوا]^(٤) في أواخر عصر الصحابة، وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلاً وما ورد فيه من الأحاديث في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري رحمه الله، ولنذكر ههنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة.

قال أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان الثوري، عن زياد بن إسماعيل السهمي، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونهم في القدر فنزلت ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾^(٥). وهكذا رواه

(١) يشهد له ما سبق في صحيح البخاري.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَأَمْرٌ ۝٤٦﴾ [القمر] ح ٤٨٧٦).

(٣) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل لم يذكر لفظ: «مسلم».

(٤) كذا في (ح)، وفي الأصل و(حم): «سعوا».

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢/ ٤٤٤) وسنده صحيح.

مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث وكيع عن سفيان الثوري به^(١).

وقال البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا يونس بن الحارث، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: ما نزلت هذه الآيات ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٤٧) ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مِن سَقَرٍ﴾ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ إِلَّا فِي أَهْلِ الْقَدَرِ^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سهل بن صالح الأنطاكي، حدثني قرة بن حبيب، عن كنانة، حدثني جرير بن حازم، عن [سعيد]^(٣) بن عمرو بن جعدة، عن ابن زرارة، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية ﴿ذُقُوا مِن سَقَرٍ﴾ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ قال: «نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله»^(٤).

وحدثنا الحسن بن عرفة: حدثنا مروان بن شجاع الجزري، عن عبد الملك بن جريج، عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو يتزع من زمزم، وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في القدر، فقال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم ﴿ذُقُوا مِن سَقَرٍ﴾ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم، إن رأيت أحداً منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين^(٥).

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر وفيه مرفوع فقال: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن بعض إخوته، عن محمد بن عبيد المكي، عن عبد الله بن عباس قال: قيل له إن رجلاً قدم علينا يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه وهو أعمى، قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبتة في يدي لأدقنها فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأنني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق إلياتهن»^(٦) مشركات، هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده ليستهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيراً، كما أخرجوه من أن يكون قدر شراً»^(٧). ثم رواه أحمد، عن أبي المغيرة، عن الأوزاعي، عن العلاء بن الحجاج، عن محمد بن عبيد فذكر مثله^(٨). لم يخرجوه. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني أبو صخر،

(١) صحيح مسلم، القدر، باب كل شيء بقدر (ح ٢٦٥٦)، وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الطور (ح ٣٢٩٠)، وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب في القدر (ح ٨٣).

(٢) أخرجه البزار (المسند ١١٠/٢ ح ١٥١٢) وسنده ضعيف لضعف يونس بن الحارث (التقريب ص ٦١٣، مجمع الزوائد ١٢٠/٧).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «سعد».

(٤) أخرجه الطبراني من طريق جرير بن حازم به (المعجم الكبير ٢٧٦/٥ ح ٥٣١٦) قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه (مجمع الزوائد ١٢٠/٧).

(٥) في سنده مروان بن شجاع الجزري صدوق له أوهام (التقريب ص ٥٢٦).

(٦) كذا في (ح) و(حم) وفي الأصل غير منقوطة.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١/٣٣٠) وسنده ضعيف لإبهام شيخ الأوزاعي.

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١/٣٣٠) وسنده ضعيف لضعف العلاء بن الحجاج، وقد ضعفه الأزدي كما نقل الحافظ ابن حجر (تعجيل المنفعة ص ٣٢٣).

عن نافع قال: كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكتبه. فكتب إليه عبد الله بن عمر: أنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فأياك أن تكتب إليّ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر». ورواه أبو داود، عن أحمد بن حنبل به^(١).

وقال أحمد: حدثنا أنس بن عياض: حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»^(٢). لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه.

وقال أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا رشدين عن أبي صخر حميد بن زياد، عن نافع، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة مسخ ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزندقية»^(٣)^(٤). ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي صخر حميد بن زياد به، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن الطباع، أخبرني مالك، عن زياد بن سعد، عن عمرو بن مسلم، عن طاوس اليماني قال: سمعت ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»^(٦). ورواه مسلم منفرداً به من حديث مالك^(٧).

وفي الحديث الصحيح: «استعن بالله ولا تعجز فإن أصابك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(٨).

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك جفت الأقلام وطويت الصحف»^(٩).

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا الليث، عن معاوية، عن أيوب بن زياد،

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٩٠/٢) وأخرجه أبو داود عن الإمام أحمد به (السنن، السنة، باب في القدر ح ٤٧١٠) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٨٦/٢) وسنده ضعيف لأن عمر بن عبد الله مولى غفرة لم يسمع من صحابي كما في جامع التحصيل ص ٢٩٦.

(٣) الزندقية: نسبة إلى الزندقة وهي اسم المذهب الزنديق قيل: وهو المبطن للكفر المظهر للإسلام أو من لا دين له أو الذي يعبد الأصنام قاله السندي في حاشية (المسند ١٠٩/١٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٠٨/١٠ ح ٥٨٦٧) وقال محققوه: إسناده ضعيف لضعف رشدين بن سعد، وهذا الحديث مما أنكر على أبي صخر حميد بن زياد.

(٥) سنن الترمذي، القدر (ح ٢١٥٤)، وسنن ابن ماجه، الفتن، باب الخسوف (ح ٤٠٦١) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٢٨٢).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٠٢/٢) وسنده صحيح.

(٧) صحيح مسلم، القدر، باب كل شيء بقدر (ح ٢٦٥٥).

(٨) صحيح مسلم، القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز (ح ٢٦٦٤).

(٩) تقدم تخريجه وتحسينه.

حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني إنك لم تطعم الإيمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» يا بني إن متَّ ولست على ذلك دخلت النار^(١).

ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى البلخي، عن أبي داود الطيالسي، عن عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه به وقال: حسن صحيح غريب^(٢).

وقال سفيان الثوري، عن منصور، عن ربعي بن خراش، عن رجل، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره» وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شميل، عن شعبة، عن منصور به، ورواه من حديث أبي داود الطيالسي، عن شعبة، عن منصور، عن ربعي، عن علي فذكره وقال: هذا عندي أصح^(٣)، وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك، عن منصور، عن ربعي، عن علي به^(٤).

وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» زاد ابن وهب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٥) [هود: ٧]، ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(٥٠) وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه، كما أخبرنا بنفوذ قدره فيهم فقال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ أي: إنما نأمر بالشيء مرة واحدة لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلاً موجوداً كلمح البصر، لا يتأخر طرفه عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له: كُنْ قَوْلُهُ فَيَكُونُ

- (١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٧٨/٣٧ ح ٢٢٧٠٥) وصححه سننه محققوه.
- (٢) سنن الترمذي، القدر، (ح ٢١٥٦)، وأخرجه أبو داود (السنن ح ٤٧٠٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٩٣٣).
- (٣) أخرجه الترمذي من طريق أبي داود الطيالسي به (السنن، القدر، باب رقم ١٠ ح ٢١٤٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ١٧٤٤).
- (٤) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في القدر (ح ٨١). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٦٦).
- (٥) صحيح مسلم، القدر، باب حجاج آدم وموسى ﷺ (ح ٢٦٥٣).
- (٦) سنن الترمذي، القدر، باب ١٨ (ح ٢١٥٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني: أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسول ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أي: فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب، كما قال تعالى: ﴿وَجِيلَ يَنْتَهُمُ وَيَوْمَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ (٥٢) أي: مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة ﷺ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أي: من أعمالهم ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ أي: مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن مسلم بن [بانك] (١) سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير، حدثني عوف بن الحارث وهو ابن أخي عائشة لأُمها، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً» (٢). ورواه النسائي وابن ماجه من طريق سعيد بن مسلم بن بانك المدني (٣)، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وغيرهم. وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر. ثم قال سعيد: فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي: ويحك يا سعيد بن مسلم! لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنباً فاستصغره فأثاه آت في منامه فقال له: يا سليمان.

لا تحقرن من الذنوب صغيراً	إن الصغير غداً يعود كبيراً
إن الصغير ولو تقادم عهده	عند الإله مُسْطَرّاً تسطيراً
فازجر هواك على البطالة	لا تكن صعب القياد وشمراً تشميراً
إن المحب إذا أحب إلهه	طار الفؤاد وألهم التفكير
فاسأل هدايتك الإله بنية	فكفى بربك هادياً ونصيراً (٤)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّائِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾ (٥٤) أي: بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر والسحب في النار على وجوههم، مع التويخ والتقريع والتهديد.

وقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: في دار كرامة الله ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ﴾ أي: عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها. وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» (٥). انفرد بإخراجه مسلم والنسائي من حديث

(١) كذا في (ح) و(حم) والتقريب، وفي الأصل صحف إلى: «ماهك».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٩٦/٤٢ ح ٢٥١٧٧) وحسن سنده محققوه.

(٣) سنن ابن ماجه، الزهد، باب ذكر الذنوب (ح ٤٢٤٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٤٢١).

(٤) أخرجه ابن عساكر من طريق سعيد بن مسلم به. (تاريخ دمشق ٧/ ٣٥٣).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٦٠/٢) وسنده صحيح.

سفيان بن عيينة بإسناده مثله^(١).

آخر تفسير سورة اقتربت، والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم.

(١) صحيح مسلم، الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل (ح ١٨٢٧)، والسنن الكبرى للنسائي، القضاء، باب فضل الحاكم العادل (ح ٥٩١٦).

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن عاصم، عن زرّ أن رجلاً قال [لابن مسعود]^(١) كيف تعرف هذا الحرف من ماء غير آسن أو أسن؟ فقال: كل القرآن قد قرأت. قال: إني لأقرأ المفصل في ركعة واحدة، فقال: أهذا كهذا الشعر لا أبالك؟ قد علمت. قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن قرينتين من أول المفصل، وكان أول مفصل ابن مسعود ﴿الرَّحْمَنُ﴾^(٢).

وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد الرحمن بن واقد وأبو مسلم السعدي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَيَأْتِيْءُ آءَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٣) قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد». ثم قال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، ثم حكى عن الإمام أحمد أنه كان لا يعرفه، ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا^(٤)، ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن مالك، عن الوليد بن مسلم، وعن عبد الله بن أحمد بن شويه، عن هشام بن عمار، كلاهما عن الوليد بن مسلم به ثم قال: لا نعرفه يروى إلا من هذا الوجه. وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري قالوا: حدثنا يحيى بن سليم، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال: «ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «ما أتيت على قول الله تعالى: ﴿فَيَأْتِيْءُ آءَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٥) إلا قالت الجن: لا بشيء من نعم ربنا نكذب» ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به، ثم قال: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد^(٦).

(١) زيادة من المسند لم أجدها في النسخ الخطية.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤١٢/١) وسنده حسن.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومثله وتعليقه (السنن، التفسير، باب ومن سورة الرحمن ح ٢٢٩١) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٢٤)، وأخرجه الحاكم من طريق الوليد بن مسلم به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٧٣/٢).

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله في تفسير الآية ١٣ من هذه السورة الكريمة وأخرجه البزار كما في كشف الأستار رقم ٢٢٦٩ ويشهد له سابقه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ﴾ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ⑤ بِحُسْبَانٍ ⑥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ⑦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩ فِيهَا فَنَكْهَةٌ وَالْأَنْحُلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ⑪ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ⑫ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⑬ ﴿١٣﴾

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن، ويسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ ﴿١٣﴾ قال الحسن: يعني النطق.

وقال الضحاك وقتادة وغيرهما: يعني الخير والشر^(١)، وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها.

وقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ⑤ أي: يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ⑥ [يس] وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ آتِلُ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ⑦ [الأنعام].

وعن عكرمة أنه قال: لو جعل الله نور جميع أبصار الإنس والجن والدواب والطيور في عيني عبد، ثم كشف حجاباً واحداً من سبعين حجاباً دون الشمس، لما استطاع أن ينظر إليها. ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، ونور العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الستر. فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر إلى وجه ربه الكريم عياناً، رواه ابن أبي حاتم^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ⑦ قال ابن جرير: اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق^(٣)، فروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: النجم ما انبسط على وجه الأرض^(٤)؛ يعني: من النبات، وكذا قال سعيد بن جبيرة والسدي وسفيان الثوري^(٥)، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله تعالى.

وقال مجاهد: النجم الذي في السماء^(٦). وكذا قال الحسن وقتادة^(٧)، وهذا القول هو الأظهر

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي العوام عن قتادة.

(٢) سنده ضعيف لإرساله وغبائه. (٣) ذكره الطبري بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق شريك عن السدي.

(٦) أخرجه الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن =

والله أعلم لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ الآية [الحج: ١٨].

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (٧) يعني: العدل كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] وهكذا قال ههنا: ﴿أَلَّا
تَقُومُوا فِي الْمِيزَانِ﴾ (٨) أي: خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق
والعدل. ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الزُّنْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (٩) أي: لا تبخسوا
الوزن بل زنوا بالحق والقسط كما قال تعالى: ﴿وَرِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (١٠) أي: كما رفع السماء وضع الأرض ومهداها
وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات، لتستقر لما على وجهها من الأنام وهم الخلائق المختلفة
أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألستهم في سائر أقطارها وأرجائها.
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: الأنام الخلق^(١).

﴿فِيهَا فَكْهَةٌ﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم والروائح ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أفردته بالذكر
لشرفه ونفعه رطباً ويابساً، والأكام.

قال ابن جريج، عن ابن عباس: هي أوعية الطلع^(٢). وهكذا قال غير واحد من المفسرين^(٣)،
وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود، فيكون بسرائاً ثم رطباً ثم ينضج ويتناهى نفعه
واستواؤه.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن عمرو بن علي الصيرفي، حدثنا أبو قتيبة، حدثنا يونس بن
الحارث، عن الشعبي قال: كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب: أخبرك أن رسلي أتتني من قبلك
فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير، تخرج مثل أذان الحمير ثم تشقق مثل
اللؤلؤ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر، ثم تينع فتتضج
فتكون كأطيب فالودج أكل، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر، فإن تكن رسلي
صدقني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة، فكتب إليه عمر بن الخطاب: من عبد الله عمر
أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم، إن رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا، وهي الشجرة التي
أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله ﴿إِنَّ
مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ
الْمُتَكَبِّرِينَ (٦) ﴿٤﴾ [آل عمران].

= معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح
من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه
الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٢) سنده ضعيف لابن جريج لم يلق ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٤) سنده ضعيف لعدم ذكر شيخ ابن أبي حاتم، وضعف يونس بن الحارث الطائفي. (التقريب ص ٦١٣).

وقيل: الأكمام: رفاتها وهو اللِّيف الذي على عتق النخلة، وهو قول الحسن وقتادة^(١).
﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ يعني: التبن^(٢).

وقال العوفي، عن ابن عباس: العصف ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه، فهو يسمى العصف إذا ييس^(٣)، وكذا قال قتادة والضحاك وأبو مالك: عصفه: تبته^(٤).
وقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: والريحان يعني الورق^(٥).
وقال الحسن: هو ريحانكم هذا^(٦).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: والريحان خَصَرَ الزرع^(٧)، ومعنى هذا - والله أعلم - أن الحب كالقمع والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف، وهو ما على السنبلة، وريحان وهو الورق الملتف على ساقها.

وقيل: العصف الورق أول ما ينبت الزرع بقلأ، والريحان الورق يعني إذا أدجن وانعقد فيه الحب، كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة:

[وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رابيا]^(٨)
ويخرج منه حبه في رؤوسه ففي ذاك آيات لمن كان واعيا^(٩)؟
وقوله: ﴿فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي الآلاء يا معشر الثقلين من الإنس والجن تكذبان؟ قاله مجاهد وغير واحد^(١٠)، ويدل عليه السياق بعده؛ أي: النعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به: اللَّهُمَّ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد^(١١). وكان ابن عباس يقول لا بأياها يا رب؛ أي: لا نكذب بشيء منها^(١٢).

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يستمعون^(١٣): ﴿فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي، ويتقوى بسابقه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به. (٨) زيادة من (ح) و(حم).

(٩) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/٢٢٨).

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(١١) تقدم تخريجه وتحسينه في بداية تفسير السورة.

(١٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(١٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٤/٥١٧ ح ٢٦٩٥٥) وضعف سنده محققوه.

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ۝ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ رَبُّ الشَّرْقَيْنِ وَرَبُّ الْغَرْبَيْنِ ۝ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۝ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۝ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ﴾

يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار، وهو طرف لهما، قاله الضحاك عن ابن عباس^(١)، وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد^(٢).

وقال العوفي، عن ابن عباس: من مارج من نار من لهب النار من أحسنها^(٣).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: من مارج من نار من خالص النار^(٤)، وكذلك قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»^(٦). ورواه مسلم، عن محمد بن رافع وعبد بن حميد، كلاهما عن عبد الرزاق به^(٧).

وقوله تعالى: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾؟ تقدم تفسيره.

﴿رَبُّ الشَّرْقَيْنِ وَرَبُّ الْغَرْبَيْنِ ۝﴾ يعني: مشرقى الصيف والشتاء ومغربى الصيف والشتاء، وقال في الآية الأخرى: ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ﴾ [المعارج: ٤٠] وذلك باختلاف مطالع الشمس وتقلها في كل يوم وبروزها منه إلى الناس.

وقال في الآية الأخرى: ﴿رَبُّ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝﴾ [المزمل] وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب، ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والإنس قال: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾؟

وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝﴾ قال ابن عباس: أي: أرسلهما^(٨).

وقوله: ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ قال ابن زيد: أي: منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما^(٩)، والمراد بقوله البحرين: الملح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس، وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾

(١) أخرجه الطبري من طريق الضحاك به، وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة، وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. (٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك، فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٥٣/٦) وسنده صحيح.

(٧) صحيح مسلم، الزهد، باب في أحاديث متفرقة (ح ٢٩٩٦).

(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلْ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ [الفرقان] وقد اختار ابن جرير ههنا أن المراد بالبحرين: بحر السماء وبحر الأرض، وهو مروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن أبيزى^(١)، قال ابن جرير: لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض^(٢)، وهذا وإن كان هكذا لكن ليس المراد بذلك ما ذهب إليه، فإنه لا يساعده اللفظ فإنه تعالى قد قال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ ﴿٥٤﴾ أي: وجعل بينهما برزخاً، وهو الحاجز من الأرض لئلا يبغى هذا على هذا، وهذا على هذا، فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه، وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخاً وحجراً محجوراً.

وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ﴿٥٥﴾ أي: من مجموعهما، فإذا وجد ذلك من أحدهما كفى كما قال تعالى: ﴿يَمَعَشَرُ الْيَمِينَ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] والرسول إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن وقد صَحَّ هذا الإطلاق. واللؤلؤ معروف، وأما المرجان فقيل هو صغار اللؤلؤ، قاله مجاهد وقتادة وأبو رزين والضحاك وروى عن علي^(٣).

وقيل: كباره وجيده^(٤)، حكاه ابن جرير، عن بعض السلف ورواه ابن أبي حاتم، عن الربيع بن أنس، وحكاه السدي عَمَّنْ حدثه عن ابن عباس^(٥)، وروى مثله عن علي ومجاهد أيضاً [ومرة]^(٦) الهمداني^(٧).

وقيل: هو نوع من الجواهر أحمر اللون.

قال السدي، عن أبي مالك، عن مسروق، عن عبد الله قال: المرجان الخرز الأحمر.

قال السدي: وهو الكسد بالفارسية، وأما قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَلَكُّوْنٍ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢] فاللحم من كل من الأجاج والعذب والحلية إنما هي من المالح دون العذب.

قال ابن عباس: ما سقطت قط قطرة من السماء في البحر فوقعت في صدفة إلا صار منها اللؤلؤ^(٨)، وكذا قال عكرمة، وزاد: فإذا لم تقع في صدفة نبتت بها عنبرة^(٩)، وروى من غير وجه عن ابن عباس نحوه^(١٠).

(١) أخرجه الطبري عن مجاهد وابن أبيزى وفي سندهما ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

(٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق موسى بن أبي عائشة عن مرة بلفظ: «المرجان جيد اللؤلؤ».

(٥) سنده ضعيف لجهالة شيخ السدي.

(٦) زيادة من (حم) و(ح)، وفي الأصل: «بياض».

(٧) تقدم قبل الرواية السابقة.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٩) أخرجه الطبري بسند فيه محمد بن سليمان الكوفي صدوق يخطئ (التقريب ص ٤٨٠).

(١٠) أخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً بنحو رواية ابن عباس المتقدمة.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهاها فما وقع فيها؛ يعني: من قطر فهو اللؤلؤ^(١). إسناده صحيح.

ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض، امتنَّ بها عليهم فقال: ﴿فِيَّ آيَ آيَةٍ رَّيَكُمَا تَكْذِبَانِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ يعني: السفن التي تجري ﴿فِي الْبَحْرِ﴾. قال مجاهد: ما رفع قلعه من السفن فهي منشآت وما لم يرفع قلعه فليس بمنشآت^(٢). وقال قتادة: ﴿الْمُنشَآتُ﴾ يعني: المخلوقات^(٣). وقال غيره، المنشآت - بكسر الشين^(٤) - يعني: البادئات^(٥).

﴿كَأَلَّكُمُ﴾ أي: كالجبال في كبرها وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم، مما فيه صلاح الناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع، ولهذا قال: ﴿فِيَّ آيَ آيَةٍ رَّيَكُمَا تَكْذِبَانِ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا [العيزار بن سويد، عن عميرة بن سعد]^(٦) قال: كنت مع علي بن أبي طالب عليه السلام على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط علي يديه ثم قال: يقول الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ والذي أنشأها تجري في بحوره ما قتلت عثمان ولا ملأت على قتله^(٧).

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۚ﴾ ﴿فِيَّ آيَ آيَةٍ رَّيَكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿فِيَّ آيَ آيَةٍ رَّيَكُمَا تَكْذِبَانِ﴾.

يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الربَّ تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحي الذي لا يموت أبداً.

قال قتادة: أنبأ بما خلق ثم أنبأ أن ذلك كله فانٍ.

وفي الدعاء المأثور: يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، لا إله

(١) تقدم تخريجه عن الطبري في الروايتين السابقتين، وصححه سننه الحافظ ابن كثير هنا.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) وهي قراءة متواترة.

(٥) أي: الظاهرات السير اللاتي يُقبلن ويدبرن. كذا ذكره الطبري.

(٦) كذا في (ج) وفي الأصل صحف إلى: «العرار بن سويد عن عمرة بن سويد» والتصويب من ترجمة عميرة بن سعد.

(٧) في سننه عميرة بن سعد وهو الهمداني: مقبول. (التقريب ص ٤٣٢).

إلا أنت برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك.

وقال الشعبي: إذا قرأت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ فلا تسكت حتى تقرأ ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١) وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية بأنه ذو الجلال والإكرام؛ أي: هو أهل أن يُجلَّ فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْفُتْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] وكقوله إخباراً عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

قال ابن عباس: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو العظمة والكبرياء^(٢).

ولما أخبر تعالى عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة، وأنهم سيصيرون إلى دار الآخرة فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال: ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٣) وهذا إخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق إليه في جميع الآتات وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم وأنه كل يوم هو في شأن.

قال الأعمش، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال من شأنه أن يجيب داعياً أو يعطي سائلاً، أو يفك عانياً أو يشفي سقيماً^(٤).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كل يوم هو يجيب داعياً ويكشف كرباً ويجيب مضطراً ويغفر ذنباً^(٥). وقال قتادة: لا يستغني عنه أهل السموات والأرض يحيى حياً ويميت ميتاً، ويربي صغيراً ويفك أسيراً وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان الحمصي، حدثنا جرير بن عثمان، عن سويد بن جبلة هو: الفزاري قال: إن ربكم كل يوم هو في شأن فيعتق رقاباً، ويعطي رغاباً، ويقحم عقاباً^(٦).

وقال ابن جرير: حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي، حدثني إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي، حدثني عمرو بن بكر السكسكي، حدثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني، عن أبيه، عن مُنيب بن عبد الله بن مُنيب الأزدي، عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقلنا: يا رسول الله وما ذاك الشأن؟ قال: «أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً،

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري في آخر سورة الرحمن بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد به، وأخرجه أيضاً من طريق الأعمش به ويتقوى بسابقه.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٦) يشهد له ما سبق عن مجاهد و قتادة.

ويرفع قوماً ويضع آخرين»^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار وسليمان بن أحمد الواسطي قالا: حدثنا الوزير بن صبيح الثقفي أبو روح الدمشقي والسياف لهشام قال: سمعت يونس بن ميسرة بن حليس، يحدث عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قال: من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين»^(٢).

وقد رواه ابن عساكر من طرق متعددة، عن هشام بن عمار به، ثم ساقه من حديث أبي همام الوليد بن شجاع، عن الوزير بن صبيح قال: «ودلنا عليه الوليد بن مسلم، عن مطرف، عن الشعبي، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ فذكره قال: والصحيح الأول^(٣)؛ يعني: إسناده الأول».

قلت: وقد روي موقوفاً كما علقه البخاري بصيغة الجزم فجعله من كلام أبي الدرداء^(٤)، فالله أعلم. وقال البزار: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن الحارث، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: كل يوم هو في شأن قال: «يغفر ذنباً، ويكشف كرباً»^(٥).

ثم قال ابن جرير: وحدثنا أبو كريب، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفناه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت، ويعزّز ويذلّ ويفعل ما يشاء^(٦).

﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ (٣١) فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمَعَشَرُ الْإِنِّ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَفْذَوْا مِن أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْذَوْا لَا تَفْذُوتَ إِلَّا سِلْطَنِي ﴿٣٣﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصَرَانِ ﴿٣٥﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ (٣١) قال:

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثنه، وسنده ضعيف جداً لأن عمرو بن بكر السكسكي متروك (التقريب ص ٤١٩) ولعله يتقوى بالرواية التالية.

(٢) أخرجه ابن ماجه من طريق هشام بن عمار به (السنن، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ح ٢٠٢) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٦٧).

(٣) ينظر: تاريخ دمشق ١٧/٧٧١، وأخرجه ابن مردويه في تفسيره من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء، وضعفه الحافظ ابن حجر. (تغليق التعليق ٣٣٢/٤) قال الحافظ ابن حجر: وللمرفوع شاهد آخر عن ابن عمر أخرجه البزار (فتح الباري ٨/٦٢٣).

(٤) ذكره البخاري تعليقاً ووصله البخاري في تأريخه والبيهقي في شعب الإيمان. (تغليق التعليق ٣٣٢/٤).

(٥) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح ٢٢٦٨)، وسنده ضعيف لضعف البيلماني، وقد جعله الحافظ ابن حجر شاهداً للمرفوع كما تقدم، ويتقوى بما سبق.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثنه، وسنده ضعيف لأن أبا حمزة الثمالي هو ثابت بن أبي صفية وهو ضعيف رافضي (التقريب ص ١٣٢).

وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ^(١)، وكذا قال الضحاك: هذا وعيد^(٢).
وقال قتادة: قد دنا من الله فراغ لخلقه^(٣).

وقال ابن جريج: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾ أي: سنقضي لكم.

وقال البخاري: سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء، وهو معروف في كلام العرب، يقال: لأتفرغن لك وما به شغل، يقول: لأخذنك على غرتك^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ الثَّقَلَانِ﴾ الثقلان: الإنس والجن كما جاء في الصحيح: «ويسمعها كل شيء إلا الثقلين»^(٥) وفي رواية «إلا الإنس والجن».

وفي حديث [الصور «الثقلان: الإنس والجن»]^(٦) [٧] ﴿قِيَّامِي ۚ آيَاتِي ۚ وَبَيْنَكُمْ تَكْذِبَانِ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿يَنْفَعُ الْبَشَرَ الْغَيْنُ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَظَعْتُمْ أَنْ تَفْعُلُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَعُوا لَا تَفْعُلُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي: لا تستطيعون هرباً من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم، لا تقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام الحشر، الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي: إلا بأمر الله ﴿يَقُولُ الْإِنْسُ يَوْمَئِذٍ أَنِّ الْقَرْ ۖ كَلَّا لَا وَزَرَ ۖ إِلَيْ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُنْتَقِرُ ۖ﴾ [القيامة]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْتَغِيهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ ۚ كَانَمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قُطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ﴾ [يونس: ٢٧] ولهذا قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس الشواظ: هو لهب النار^(٨).

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: الشواظ: الدخان.

وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع^(٩).

وقال أبو صالح: الشواظ: هو اللهب الذي فوق النار ودون الدخان.

وقال الضحاك: ﴿شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ سيل من نار.

وقوله تعالى: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ دخان النار^(١٠)،

وروي مثله عن أبي صالح وسعيد بن جبير وأبي سنان^(١١).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جوير عن الضحاك ويتقوى بسابقه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٤) ذكره البخاري وقال الحافظ ابن حجر: وهو كلام أبي عبيدة أخرجه ابن المنذر من طريقه (فتح الباري ٨/٦٢٣).

(٥) أخرجه البخاري (الصحيح، الجناز، باب الميت يسمع قرع النعال ح ١٣٣٨).

(٦) تقدم تخريج حديث الصور في تفسير سورة الأنعام آية ٧٣.

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٩) أخرجه الحافظ ابن حجر بسند حسن من طريق منصور عن مجاهد. (تغليق التعليق ٣/٥١٠).

(١٠) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(١١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر، وهو ابن المغيرة، عن سعيد بن جبير.

وقال ابن جرير: والعرب تسمي الدخان: نحاساً، بضم النون وكسرهما، والقراء مجمعة على الضم، ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابغة جعدة:

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاساً^(١)
يعني: دخاناً^(٢) هكذا قال:

وقد روى الطبراني من طريق جوير، عن الضحاك أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال: هو اللهب الذي لا دخان معه، فسأله شاهداً على ذلك من اللغة، فأنشده قول أمية بن أبي الصلت في حسان:

ألا من مبلغ حسان عني مغلغلة تدب إلى عكاظ
أليس أبوك فينا كان قيناً إلى القينات فسلاً في الحفاظ
يمانياً يظل يشب كيراً وينفخ دائباً لهب الشواظ
قال: صدقت، فما النحاس؟ قال: هو الدخان الذي لا لهب له، قال: فهل تعرفه العرب؟
قال: نعم، أما سمعت نابغة بني ذبيان يقول:

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاساً^(٣)
وقال مجاهد: النحاس الصُّفْر يذاب فيصب على رؤوسهم^(٤)، وكذا قال قتادة^(٥).

وقال الضحاك: ونحاس سيل من نحاس، والمعنى على كل قول: لو ذهبت هارين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار، والنحاس المذاب عليكم لترجعوا، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَنْصَرِفْ إِنْ يَأْتِيَنَّكَ رِجْكَمَا تُكْذِبَانِ﴾^(٦).

﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾^(٣٧) فَإِنِّي ءَالَاءَ رِجْكَمَا تُكْذِبَانِ^(٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ^(٣٩) فَإِنِّي ءَالَاءَ رِجْكَمَا تُكْذِبَانِ^(٤٠) يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ^(٤١) فَإِنِّي ءَالَاءَ رِجْكَمَا تُكْذِبَانِ^(٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ^(٤٣) يَطُوفُونَ فِيهَا بَيْنَ ذَيْنِ حَمِيمٍ^(٤٤) فَإِنِّي ءَالَاءَ رِجْكَمَا تُكْذِبَانِ^(٤٥).

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ يوم القيامة كما دلَّت عليه هذه الآيات مع ما شاكلها من الآيات الواردة في معناها كقوله تعالى: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾^(٤٦) [الحاقة].

وقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالسَّعْمِ وَزُلْزِلَتِ السَّمَاءُ تَزِيلًا﴾^(٤٧) [الفرقان] وقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِربِّهَا وَحُفَّتْ﴾^(٤٨) [الانشقاق] وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ أي: تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء

(١) ديوان النابغة الجعدي ص ٨١.

(٢) ذكره الطبري.

(٣) أخرجه الطبراني من طريق جوير به (المعجم الكبير ٣٠٥/١٠) وسنده ضعيف لضعف جوير.

(٤) أخرجه هناد بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد (الزهد ٢٧١)، وأخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

وصفراء، وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم.
وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الصهباء،
حدثنا نافع أبو غالب الباهلي، حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس يوم
القيامة والسماء تطشُّ عليهم»^(١).

قال الجوهري: الطشُّ: المطر الضعيف.

وقال الضحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَرَدَّةٌ كَالْدِهَانِ﴾ قال: هو الأديم الأحمر^(٢).
وقال أبو كدينة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالْدِهَانِ﴾ كالفرس
الورد^(٣)، وقال العوفي عن ابن عباس: تغير لونها^(٤).
وقال أبو صالح: كالبرذون الورد، ثم كانت بعد كالدهان^(٥).

وحكى البغوي وغيره أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء، وفي الشتاء حمراء، فإذا اشتد
البرد تغير لونها^(٦).

وقال الحسن البصري: تكون ألواناً.

وقال السدي: تكون كلون البغلة الوردية^(٧)، وتكون كالمهل كدردي الزيت.

وقال مجاهد: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ كألوان الدهان^(٨).

وقال عطاء الخراساني: كلون دهن الورد في الصفرة.

وقال قتادة: هي اليوم خضراء ويومئذٍ لونها إلى الحمرة يوم ذي ألوان^(٩).

وقال أبو الجوزاء: في صفاء الدهن.

وقال ابن جريج: تصير السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يصيبها حرُّ جهنم^(١٠).

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ وهذه كقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا
يَظْقُونُ﴾^(٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ^(٣٦) [المرسلات] فهذا في حال وثم في حال يسأل الخلاق عن
جميع أعمالهم، وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٩٧) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٩٨) [الحجر]
ولهذا قال قتادة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ قال: قد كانت مسألة ثم ختم على
أفواه القوم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون^(١١).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢١/٣٢٠ ح ١٣٨١٤) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، ويتقوى بما يليه.

(٣) أخرجه الطبري من طريق أبي كدينة به وسنده ضعيف ويتقوى بسابقه ولاحقه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوى بما سبق.

(٥) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.

(٦) ذكره البغوي دون إسناده إلى أحد (معالم التنزيل ٤/٢٧٢).

(٧) وهو قريب من قول أبي صالح. (٨) ذكره البغوي (المصدر السابق).

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(١٠) ذكره البغوي (المصدر السابق).

(١١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي العوام عن قتادة بنحوه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؛ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا^(١)؟ فهذا قول ثانٍ.

وقال مجاهد في هذه الآية: لا تسأل الملائكة؛ عن المجرمين بل يعرفون بسيماهم^(٢)، وهذا قول ثالث، وكأن هذا بعدما يؤمر بهم إلى النار فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم بل يقادون إليها ويلقون فيها كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سِيمَهُمْ﴾ أي: بعلامات تظهر عليهم.

وقال الحسن وقتادة: يعرفونهم بأسوداد الوجوه وزرقة العيون^(٣).

قلت: وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء.

وقوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أي: يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه في النار كذلك.

وقال الأعمش، عن ابن عباس: يؤخذ بناصرته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب في الثنور^(٤).

وقال الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره^(٥).

وقال السدي: يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه ويفتل ظهره.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يعني: جده، أخبرني عبد الرحمن، حدثني رجل من كندة قال: أتيت عائشة فدخلت عليها وبينها حجاب فقلت: حدثك رسول الله ﷺ أنه يأتي عليه ساعة لا يملك فيها لأحد شفاعة؟ قالت: نعم لقد سألته عن هذا وأنا وهو في شعار واحد قال: "نعم حين يوضع الصراط لا أملك لأحد فيها شفاعة حتى أعلم أين يسلك بي، ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بي - أو قال يوحى - وعند الجسر حين يستحد ويستحضر" فقالت: وما يستحد وما يستحضر؟ قال: "يستحد حتى يكون مثل شفرة السيف، ويستحضر حتى يكون مثل الجمرة، فأما المؤمن فيجوز له لا يضره، وأما المنافق فيتعلق حتى إذا بلغ أوسطه خر من قدميه فيهب بيديه إلى قدميه"، قالت: فهل رأيت من يسعى حافياً فتأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ قدميه؟ فإنه كذلك يهوي بيده ورأسه إلى قدميه فتضربه الزبانية بخطاف في ناصيته وقدمه، فتقذفه في جهنم فيهب فيها مقدار خمسين عاماً، قلت: ما ثقل الرجل؟ قالت: «ثقل عشر خلفات سيمان، فيومئذ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام»^(٦). هذا حديث غريب جداً، وفيه ألفاظ منكر رفعها، وفي الإسناد من لم يسم ومثله لا يحتج به، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾^(٧) أي: هذه النار التي كنتم تكذبون

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وهو سند ثابت يتكرر.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم والبيهقي، والأعمش لم يسمع من ابن عباس.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٦) أخرجه عبد الرزاق من طريق رجل من كنده عن عائشة مطولاً (المصنف رقم ١١٣١) وسنده ضعيف لإبهام

الراوي عن عائشة رضي الله عنها، وضعفه الحافظ ابن كثير.

بوجودها، ها هي حاضرة تشاهدونها عياناً، يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً.
 وقوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ (٤٤) أي: تارة يعذبون في الجحيم وتارة يسقون من الحميم، وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء، وهذه كقوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِيَّ اعْتَنَقَهُمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٦١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٦٢﴾ [غافر].
 وقوله: ﴿ءَانٍ﴾ أي: حار قد بلغ الغاية في الحرارة لا يستطيع من شدة ذلك، قال ابن عباس في قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ (٤٤) أي: قد انتهى عليه واشتد حره، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن والثوري والسدي^(١).

وقال قتادة: قد آن طبعه منذ خلق الله السموات والأرض^(٢).

وقال محمد بن كعب القرظي: يؤخذ العبد فيحرك بناصيته في ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس وهي كالتي يقول الله تعالى: ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (٧٢) والحميم الآن يعني: الحار.

وعن القرظي رواية أخرى ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: حاضر وهو قول ابن زيد أيضاً^(٣)، والحاضر لا ينافي ما روي عن القرظي أولاً أنه الحار كقوله تعالى: ﴿تُشَقَّقُ مِنْ عَيْنِ ءَانِيَةٍ﴾ (٥) [الغاشية] أي: حارة شديدة الحر لا تستطيع، وكقوله: ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يعني: استواءه ونضجه فقلوه: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: حميم حار جداً.

ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه، وكان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك قال ممتناً بذلك على بريته: ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكَمَّا تُكْذِبَانِ﴾ (٤٥)؟

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦) ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكَمَّا تُكْذِبَانِ﴾ (٤٧) ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٤٨) ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكَمَّا تُكْذِبَانِ﴾ (٤٩) ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٥٠) ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكَمَّا تُكْذِبَانِ﴾ (٥١) ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (٥٢) ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكَمَّا تُكْذِبَانِ﴾ (٥٣).

قال [ابن شوذب]^(٤) وعطاء الخراساني: نزلت هذه الآية ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦) في أبي بكر الصديق^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا محمد بن مصفي، حدثنا بقية، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن عطية بن قيس في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦) نزلت في الذي قال:

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «انتهى حره»، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري ويتقوى بما سبق.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٤) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: ابن شوذبة.

(٥) نسبه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن شوذب وعطاء وكلاهما ضعيف لأن كل واحد منهما معضل.

أحرقوني بالنار لعلّي [أضلّ الله]^(١) قال: تاب يوماً وليلة، بعد أن تكلم بهذا، فقبل الله منه وأدخله الجنة^(٢)، والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره^(٣) يقول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ بين يدي الله ﷻ يوم القيامة ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] ولم يطغ ولا أثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدّى فرائض الله واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان، كما قال البخاري رحمه الله: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ﷻ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»^(٤). وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث عبد العزيز به^(٥)، وقال حماد بن سلمة: عن ثابت، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه قال حماد: لا أعلمه إلا قد رفعه في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٦).

وفي قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن] جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين^(٦).

وقال ابن جرير: حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان [المقري]^(٧)، حدثنا ابن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة، عن عطاء بن يسار، أخبرني أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ قرأ يوماً هذه الآية ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٨) فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٩) فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٩) فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «وإن رغم أنف أبي الدرداء»^(٨). ورواه النسائي من حديث محمد بن أبي حرملة به^(٩)، ورواه النسائي أيضاً عن مؤمل بن هشام، عن إسماعيل، عن الجريري، عن موسى، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبي الدرداء به^(١٠)، وقد روي موقوفاً على أبي الدرداء، وروي عنه أنه قال: إن من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق^(١١). وهذه الآية عامة في

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: «أصل إلى الله».

(٢) وسنده ضعيف لإرساله وعنينة بقية، وهو من المدلسين الذين لا تقبل روايتهم إلا إذا صرحوا بالسماع.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه فأدوا فرائضه، الجنة».

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن] ح ٤٨٧٨).

(٥) صحيح مسلم، الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم (ح ٢٩٦).

(٦) أخرجه الطبري والبيهقي (البعث والنشور رقم ٢٤٢).

(٧) كذا في (حم) و(وح)، وفي الأصل بياض، وفي تفسير الطبري: المصري.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه الإمام أحمد من طريق إسماعيل عن محمد بن أبي حرملة به (المسند ٣١١/١٤، ٣١٢ ح ٨٦٨٣) وصح سنده محققه.

(٩) السنن الكبرى، التفسير، باب سورة الرحمن (ح ١١٥٦٠) وسنده كسابقه.

(١٠) المصدر السابق (ح ١١٥٦١).

(١١) أخرجه ابن المبارك (الزهد رقم ٩٢٤)، والطبري كلاهما من طريق معتمر عن أبيه عن سيار عن أبي الدرداء. ويشهد له سابقه المرفوع.

الإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا، ولهذا امتنَّ الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فَإِنَّهُمْ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ لَدَيْ غُرُوبِ الشَّمْسِ لَا فِي شَرِّ مَا بَخَّسَ لَكُم بَعْضُ الَّذِينَ لَا يُقِيمُونَ الْحُقُوقَ إِلَّا فِي شَرِّهَا ۚ وَالَّذِينَ ظَلُوا مِنْكُمْ فِي الْبَنَاءِ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مِمَّا بَقِيَ مِنْكُمْ وَالْوَقَارُ يَنْظُرُ بِهِمْ لَبِئْسَ مَا يَكُونُ ۚ﴾ ثم نعت هاتين الجنةين فقال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٤٨) أي: أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة ﴿فَإِنَّهُمْ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ لَدَيْ غُرُوبِ الشَّمْسِ لَا فِي شَرِّ مَا بَخَّسَ لَكُم بَعْضُ الَّذِينَ لَا يُقِيمُونَ الْحُقُوقَ إِلَّا فِي شَرِّهَا ۚ وَالَّذِينَ ظَلُوا مِنْكُمْ فِي الْبَنَاءِ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مِمَّا بَقِيَ مِنْكُمْ وَالْوَقَارُ يَنْظُرُ بِهِمْ لَبِئْسَ مَا يَكُونُ ۚ﴾ هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة أن الأفنان أغصان الشجر يمس بعضها بعضاً^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا مسلم بن قتيبة، حدثنا عبد الله بن النعمان، سمعت عكرمة يقول: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٤٨) يقول: ظل الأغصان على الحيطان، ألم تسمع قول الشاعر^(٢):

ما هاج شوقك من هديل حمامة تدعو على فنن الغصون حماما
تدعو أبا فرخين صادف طاوياً ذا مخلبين من الصقور قطاما^(٣)
وحكى البغوي عن مجاهد وعكرمة والضحاك والكلبي، أنه [الغصن المستقيم طوالاً]^{(٤)(٥)}.

قال: وحدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبد السلام بن حرب، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٤٨) ذواتا ألوان^(٦). قال: وروي عن سعيد بن جبير والحسن والسدي [وخصيف]^(٧) والنضر بن عربي وابن سنان مثل ذلك^(٨)، ومعنى هذا القول أن فيهما فنوناً من الملاذ، واختاره ابن جرير.

وقال عطاء: كل غصن يجمع فنوناً من الفاكهة^(٩).

وقال الربيع بن أنس: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٤٨) [واسعتا الفنان وكل هذه الأقوال صحيحة ولا منافاة بينها، والله أعلم.

وقال قتادة: ذواتا أفنان^(١٠) يعني بسعتها وفضلها ومزيتها على ما سواها^(١١).

وقال محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى، فقال: «يسير في ظل الفن منها الراكب مائة سنة - أو قال: يستظل في ظل الفن منها مائة راكب - فيها فراش الذهب كأن ثمرها

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق رجل من أهل البصرة عن مجاهد.

(٢) هو ثابت بن كعب، وقد استشهد به الطبري والأصبهاني (الأغاني ٢٦٢/١٤).

(٣) أخرجه الطبري من طريق عبد الله بن النعمان به، وعبد الله بن النعمان مقبول. (التقريب ص ٣٢٦).

(٤) كذا في (حم) وفي (ح): الغصن المنيف طوالاً، وفي الأصل بياض.

(٥) ذكرهم البغوي دون إسناد (معالم التنزيل ٢٧٤/٤).

(٦) أخرجه الطبري من طريق عبد السلام بن حرب به. وسنده حسن.

(٧) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.

(٨) أخرجه الطبري من قول مجاهد وأبي سنان وفي سندهما ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وأخرجه الطبري عن الضحاك بسند فيه إبهام شيخ الطبري.

(٩) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٢٧٤/٤).

(١٠) زيادة من (حم) و(ح).

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

[القلال] ^(١). ورواه الترمذي من حديث يونس بن بكير به ^(٢).

﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَحْرَبَانِ﴾ ^(٥٠) أي: تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتشمر من جميع الألوان ﴿فَيَأْتِي ءَالَءٌ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ﴾ ^(٥١).

قال الحسن البصري: إحداهما يقال لها: تسنيم، والأخرى: السلسيل.

وقال عطية: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين ^(٤)، ولهذا قال بعد هذا: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَنَكْهَةٍ زَوْجَانِ﴾ ^(٥٢) أي: من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَيَأْتِي ءَالَءٌ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ﴾ ^(٥٣).

قال إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل.

وقال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء؛ يعني: أن بين ذلك بوناً عظيماً، وفرقاً بيناً في التفاضل ^(٥).

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ ^(٥٤) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءٌ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ﴾ ^(٥٥) ﴿فِيهَا قَصِيرَتُ الظُّرُوفِ لَمْ يَطْمِئْنَنْ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ ^(٥٦) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءٌ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ﴾ ^(٥٧) ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ^(٥٨) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءٌ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ﴾ ^(٥٩) ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ^(٦٠) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءٌ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ﴾ ^(٦١).

يقول تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ يعني: أهل الجنة، والمراد بالانكاء ههنا الاضطجاع ويقال: الجلوس على صفة التربع ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو ما غلظ من الديباج، قاله عكرمة والضحاك وقتادة ^(٦).

وقال أبو عمران الجوني: هو الديباج المزين بالذهب، فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة، فهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى.

قال أبو إسحاق: عن هبيرة بن يريم، عن عبد الله بن مسعود قال: هذه البطائن، فكيف لو رأيتهم الظواهر ^(٧)؟

(١) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل بياض.

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي كريب عن يونس بن بكير به (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة ح ٢٥٤١) وسنده ضعيف لعنعة ابن إسحاق، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٤٥٨).

(٣) ورد قبل هذا سطران مكرران مقحمان تقدما قبل صفحتين وهو قول حماد بن سلمة: لا أعلمه إلا قد رفعه في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن] إلى قوله: وجنتان من ورق لأصحاب اليمين. اهـ. ولا يستقيم ذكره هنا.

(٤) ذكر قول الحسن وعطية الإمام البغوي دون سند (معالم التنزيل ٢٧٤/٤).

(٥) سنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الحكم (التقريب ص ٨٨) وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة عن أبي عباس.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عكرمة.

(٧) أخرجه الطبري من طريق سفيان عن أبي إسحاق به وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق سفيان به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٧٥/٢).

وقال مالك بن دينار: بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور^(١).

وقال سفيان الثوري أو شريك: بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد^(٢).

وقال القاسم بن [مخيمرة]^(٣): بطائنها من إستبرق وظواهرها من الرحمة^(٤).

وقال ابن شاذب، عن أبي عبد الله الشامي: ذكر الله الباطن ولم يذكر الظاهر، وعلى الظواهر المحابس ولا يعلم ما تحت المحابس إلا الله تعالى، ذكر ذلك كله الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله.

﴿وَحَيَّ الْحَيَّيْنِ دَانٍ﴾ أي: ثمرهما قريب إليهم متى شاءوا تناولوه على أي صفة كانوا، كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة] وقال: ﴿وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ [٤] ﴿[الإنسان] أي: لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط إليه من أغصانها﴾ ﴿فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥]؟ ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك ﴿فِيهِ﴾ أي: في الفرش ﴿قَصِيرَتِ الْأَطْرَفُ﴾ أي: غششيات عن غير أزواجهن فلا يرين شيئاً في الجنة أحسن من أزواجهن، قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخراساني وابن زيد^(٥).

وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلهما: والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك. ولا في الجنة شيئاً أحب إلي منك، فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك.

﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ أي: بل هن أبكار عُرب أتراب لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن، وهذه أيضاً من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة.

وقال أرتاة بن المنذر: سئل ضمرة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة؟ قال: نعم وينكحون، للجن جنيات وللإنس إنسيات، وذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٦). ثم قال ينعتن للخطاب: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(٧).

قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم: في صفاء الياقوت وبياض المرجان^(٧)، فجعلوا المرجان ههنا اللؤلؤ.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا عبيدة بن حميد، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون الأودي، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير [حتى يرى مَخْهَا]»^(٨)، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ فاما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه

(١) في آخره غرابة وهو مرسل.

(٢) كسابقه.

(٣) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل بياض. (٤) كسابقه وهو مرسل أيضاً.

(٥) أخرجه محمد بن يوسف الفريابي بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد (ينظر تغليق التعليق ٤/ ٣٣٤)، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٦) أخرجه الطبري من طريق شريح بن يزياد الحضرمي عن أرتاة بن المنذر به، وسنده ضعيف لإرساله.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن، وبسند صحيح من طريق معمر عن قتادة وبسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) كذا في سنن الترمذي والمسند، وفي الأصل بياض، وفي (حم) و(مع): «ومخها».

سلکاً ثم استصفیته لرأیته من ورائه^(١)، وهكذا رواه الترمذی من حدیث عبیدة بن حمید وأبی الأحوص عن عطاء بن السائب به، ورواه موقوفاً ثم قال: وهو أصح^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا یونس، عن محمد بن سیرین، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الثياب»^(٣). تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه.

وقد روى مسلم حديث إسماعيل بن عُلَیَّة، عن أيوب، عن محمد بن سیرین قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا، الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أولم يقل أبو القاسم ﷺ: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»^(٤). وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث همام بن منبه وأبي زرعة، عن أبي هريرة ؓ^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحة، عن حمید، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده - يعني: سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لمألت ما بينهما ريحاً ولطاب ما بينهما، ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»^(٦). ورواه البخاري من حديث أبي إسحاق، عن حمید، عن أنس بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ أي: لا لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَثَوْنٌ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقال البغوي: حدثنا أبو سعيد الشريحي، حدثنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن شيبه، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام، حدثنا الحجاج بن يوسف المكتب، حدثنا بشر بن الحسين، عن الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ وقال: «هل تدرون ما قال ربكم؟»^(٧) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة»^(٨).

(١) في سنده عبیدة بن حمید وهو صدوق ربما أخطأ (التقريب ص ٣٧٩) ولعله هو الذي رفعه لأن الترمذی أخرجه من طريق آخر موقوفاً وقال هذا أصح كما يلي.

(٢) أخرجه الترمذی من طريق عبیدة بن حمید به مرفوعاً وأخرجه من طريق قتيبة عن جرير عن عطاء بن السائب به موقوفاً وقال: وهذا أصح. (السنن، صفة الجنة، باب صفة نساء أهل الجنة ح ٢٥٣٣ و ٢٥٣٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٤/ ٢٢٠ ح ٨٥٤٢) وصححه سنده محققوه.

(٤) صحيح مسلم، صفة الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة قمر ليلة البدر (ح ٢٨٣٤/ ١٤).

(٥) المصدر السابق (ح ٢٨٣٤/ ١٥) وصحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (ح ٣٣٢٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣/ ١٤١) وسنده صحيح.

(٧) صحيح البخاري، الجهاد، باب الحور العين وصفتهن (ح ٢٧٩٦).

(٨) أخرجه البغوي بسنده ومثله (معالم التنزيل ٤/ ٢٧٦) وسنده ضعيف جداً لأن بشر بن الحسين وهو الأصبھاني صاحب الزبير بن عدي، وكان يكذب على الزبير. (لسان الميزان ٢/ ٢١).

ولما كان في الذي ذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله: ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١١)؟ ومما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤١) [الرحمن] ما رواه الترمذي والبخاري من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم، عن أبي عقيل الثقفي، عن أبي فروة يزيد بن سنان الرهاوي، عن بكير بن فيروز، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» ثم قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر (١).

وروى البخاري من حديث علي بن حجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة مولى حبيب بن عبد العزيز، عن عطاء بن يسار، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقصُّ على المنبر وهو يقول: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤١) فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤١) فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤١) فقلت الثالثة: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «وإن رغم أنف أبي الدرداء» (٢).

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٢٧) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢٨) ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ (٢٩) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٠) ﴿فِيهِمَا عَيْنَتَانِ نُضَاجَتَانِ﴾ (٣١) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٢) ﴿فِيهِمَا فَكَّهُمٌ وَغُلٌّ وَرُمَانٌ﴾ (٣٣) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٤) ﴿فِيهِمَا خَيْرٌ حَسَانٌ﴾ (٣٥) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٦) ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْبُيُوتِ﴾ (٣٧) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٨) ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَلَا جَانٌ﴾ (٣٩) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٠) ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (٤١) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٢) ﴿بَرَكًا أَمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٤٣).

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن، قال الله تعالى ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٢٧) وقد تقدم في الحديث: جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب اليمين (٣).

وقال أبو موسى: جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من فضة لأصحاب اليمين (٤).

وقال ابن عباس: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٢٧) من دونهما في [الدرج] (٥).

وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل (٦). والدليل على شرف الأوليين على الآخرين وجوه:

(١) أخرجه الترمذي (السنن، صفة القيامة، باب من خاف أدلج ح ٢٤٥٢) وصححه الألباني بطرقه في السلسلة الصحيحة (ح ٢٣٣٥).

(٢) تقدم تخريجه في الآية ٤٦ من هذه السورة الكريمة.

(٣) تقدم تخريجه في الآية ٤٦ من هذه السورة الكريمة.

(٤) تقدم تخريجه من صحيح البخاري في الآية ٤٦ من هذه السورة الكريمة.

(٥) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري وفي الأصل ضُحِفَ إلى: «المدرج». وهذا لفظ الطبري ثم ساقه بسنده إلى ابن عباس بمعناه، وقد أخرجه الطبري والحاكم من طريق عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٦) هذا لفظ الطبري، وقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بلفظ: «هما أدنى من هاتين لأصحاب اليمين».

(أحدها): أنه نعت الأوليين قبل هاتين والتقدم يدل على الاعتناء ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ وهذا ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني وقال هناك ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٤٨) وهي الأغصان أو الفنون في الملاذ، وقال ههنا ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ (٤٩) أبو سوداوان من شدة الري من الماء.

قال ابن عباس في قوله: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ (٤٩): قد اسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء^(١). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن فضيل، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ (٤٩) قال: خضراوان^(٢). وروى عن أبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبي أوفى وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في إحدى الروايات وعطاء وعطية العوفي والحسن البصري، ويحيى بن رافع وسفيان الثوري نحو ذلك^(٣). وقال محمد بن كعب: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ (٤٩) ممثلتان من الخضرة.

وقال قتادة: خضراوان من الري ناعمتان^(٤)، ولا شك في نضارة الأغصان على الأشجار المشتبكة بعضها في بعض.

وقال هناك: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٥٠) وقال ههنا: ﴿فَضَّاحَتَانِ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي فياضتان^(٥)، والجري أقوى من النضخ، وقال الضحاك ﴿فَضَّاحَتَانِ﴾ أي: ممثلتان ولا تنقطعان^(٦). وقال هناك: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (٥١)، وقال ههنا: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾ (٥٢) ولا شك أن الأولى أعم وأكثر في الأفراد والتنوع على فاكهة، وهي نكرة في سياق الإثبات لا تعم، ولهذا فسر قوله: ﴿وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾ من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وغيره^(٧)، وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما.

قال عبد بن حميد: حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا حصين بن عمر، حدثنا مخارق، عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب قال: جاء أناس من [اليهود]^(٨) إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أفي الجنة فاكهة؟ قال: «نعم فيها فاكهة ونخل ورمان» قالوا: أفياكلون كما يأكلون في الدنيا؟ قال: «نعم وأضعاف» قالوا: فيقضون الحوائج؟ قال: «لا ولكنهم يعرقون ويرشحون فيذهب الله ما في بطونهم من أذى»^(٩).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا سفيان، عن حماد، عن

- (١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (٢) أخرجه الطبري من طريق ابن فضيل به وسنده حسن ويتقوى بسابقه.
- (٣) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن عبد الله بن الزبير، وأخرجه الطبري بسند حسن عن عطية العوفي، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن بلفظ: «ناعمتان».
- (٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق سعيد بن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه، ويشهد له سابقه.
- (٧) ينظر فتح الباري ٨/٦٢٣.
- (٨) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.
- (٩) أخرجه عبد بن حميد بسنده ومتمنه. (المنتخب رقم ٣٥) وسنده ضعيف جداً لأن حصين بن عمر وهو الأحمسي: متروك. (التقريب ص ١٧٠).

سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: نخل الجنة سعتها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم، ومنها حللهم وكربها ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر، وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد، وليس له عجم^(١).

وحدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد هو: ابن سلمة، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كالبعير المقتب»^(٢). ثم قال: «فِيَهِنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ ﴿٧﴾» قيل: المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة^(٣)، وقيل: خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه، قاله الجمهور، وروي مرفوعاً عن أم سلمة، وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة إن شاء الله تعالى أن الحور العين يغنين: نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام^(٤)، ولهذا قرأ بعضهم «فِيَهِنَّ خَيْرٌ» بالتشديد^(٥) «حَسَنٌ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧﴾» ثم قال: «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ ﴿٧﴾» وهناك قال: «فِيَهِنَّ قَصِيرَاتُ الظَّرْفِ ﴿٧﴾» [الرحمن: ٥٦] ولا شك أن التي قد قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وإن كان الجميع مخدرات.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا وكيع بن سفيان، عن جابر، عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: إن لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية، لم تكن قبل ذلك لا مرحات ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات، حورٌ عِين كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ^(٦).

وقوله تعالى: «فِي الْخِيَارِ» قال البخاري: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين يطوف عليهم المؤمنون»^(٧) ورواه أيضاً من حديث أبي عمران به وقال: ثلاثون ميلاً^(٨)، وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون^(٩) ميلاً، للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»^(١٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن أبي الربيع، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة،

(١) رجاله ثقات وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق سفيان به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/ ٤٧٦، ٤٧٥).

(٢) سنده ضعيف جداً لأن أبا هارون هو عمارة بن جوين وهو متروك كما في التقريب.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظ: «خيرات في الأخلاق، حسان في الوجوه».

(٤) سياطي تخريجه في تفسير سورة الواقعة آية ٣٧.

(٥) وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٦) سنده ضعيف لضعف جابر وهو ابن يزيد الجعفي.

(٧) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ ﴿٧﴾» [الرحمن] ح ٤٨٧٩).

(٨) أخرجه البخاري (الصحيح، بدء الخلق، صفة الجنة ح ٣٢٤٣).

(٩) الميل ثلاثة آلاف ذراع أو أربعة آلاف ذراع (القاموس المحيط ٥٣/٤).

(١٠) صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة خيام الجنة (ح ٢٨٣٨).

أخبرني خلود العصري، عن أبي الدرداء قال: الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون باباً من در^(١).
 وحدثنا أبي: حدثنا عيسى بن أبي فاطمة، حدثنا جرير، عن هشام، عن محمد بن المثني، عن
 ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ قال: خيام اللؤلؤ، وفي الجنة خيمة
 واحدة من لؤلؤة واحدة أربعة فراسخ في أربعة فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب^(٢).
 وقال عبد الله بن وهب: أخبرنا عمرو أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي
 سعيد، عن النبي ﷺ قال: «أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنان وسبعون
 زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء» ورواه الترمذي من
 حديث عمرو بن الحارث به^(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئِنُّوْا إِشْرَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَاؤُا﴾ قد تقدم مثله سواء إلا أنه زاد في وصف
 الأوائل بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٨﴾ [الرحمن].
 وقوله: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَقَرٍ خُضِرَ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس:
 الرفرف: المحابس^(٤)، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم: هي
 المحابس^(٥).

وقال العلاء بن بدر: الرفرف على السرير كهيئة المحابس المتدلي.
 وقال عاصم الجحدري: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَقَرٍ خُضِرَ﴾ يعني: الوسائد^(٦)، وهو قول الحسن
 البصري في رواية عنه^(٧).
 وقال أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى:
 ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَقَرٍ خُضِرَ﴾ قال: الرفرف رياض الجنة^(٨).
 وقوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي: العبقرى: الزرابي^(٩).
 وقال سعيد بن جبير: هي: عتاق الزرابي^(١٠)؛ يعني: جيادها.

(١) سنده حسن.

(٢) أخرجه الطبري من طريق فضيل بن عياش عن هشام به، ومحمد بن المثني لم أقف على ترجمة له. وفي
 تفسير الطبري ورد باسم محمد دون ذكر والده، وقد يكون هو محمد بن سيرين.(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء ما لأهل الجنة من الكرامة ح ٢٥٦٥) وسنده
 ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به، والمحابس: المقاعد.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن
 ابن زيد.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن بلفظ: «الْبُسْط».

(٨) سنده صحيح وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق هشيم عن أبي بشر به (المصنف ٤٨/٨). وسنده صحيح.

(٩) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن
 معمر عن قتادة.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير.

وقال مجاهد: العبقري: الديباج^(١).

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى: ﴿وَعَبَقَرِي حَسَانٍ﴾ فقال: هي بسط أهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها.

وعن الحسن رواية أنها: المرافق.

وقال زيد بن أسلم: العبقري أحمر وأصفر وأخضر.

وسئل العلاء بن زيد، عن العبقري فقال: البسط أسفل من ذلك.

وقال أبو حذرة يعقوب بن مجاهد: العبقري من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد.

وقال أبو العالية: العبقري: الطنافس المخملة إلى الرقة ما هي.

وقال [القتبي]^(٢): كل ثوب موشى عند العرب عبقري.

وقال أبو عبيدة: هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي.

وقال الخليل بن أحمد: كل شيء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب: عبقرياً^(٣)،

ومنه قول النبي ﷺ في عمر: «فلم أرَ عبقرياً يفري فريه»^(٤).

وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل الجنتين الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة فإنه قد قال هناك: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظواهرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأخرى وتمايم الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٥)؟ فوصف أهلها بالإحسان، وهو أعلى المراتب والنهايات كما في حديث جبريل لما سأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان، فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأوليين على هاتين الأخريين، ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأوليين.

ثم قال: ﴿بَنَزَكْ أَنْتُمْ رَبِّكَ ذِي الْمَلِكِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٦) أي: هو أهل أن يُجَلَّ فلا يعصى، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى، وقال ابن عباس: ﴿ذِي الْمَلِكِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذي العظمة والكبرياء^(٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن عمير بن هاني، عن أبي العذراء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أَجَلُّوا اللَّهَ يَغْفِرَ لَكُمْ»^(٨).

وفي الحديث الآخر: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وذو السلطان، وحامل القرآن غير المغالي فيه ولا الجافي عنه»^(٩).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق رباح بن أبي معروف عن مجاهد. (المصنف ٨/٨٥).

(٢) كذا في (ح) و(حم) وتفسير البغوي ولكنه غير منقوط، وفي الأصل صُحِفَ إلى: «القمي».

(٣) ذكر البغوي قول القتبي وأبي عبيدة والخليل. (معالم التنزيل ٤/٢٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (الصحيح)، المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ح ٣٦٣٣ ومسلم (الصحيح)، فضائل الصحابة، باب فضائل عمر رضي الله عنه ح ٢٦٧٦.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله وفي آخره: قال ابن ثوبان يعني أسلموا (المسند ٣٦/٦٣ ح ٢١٧٣٤) وضعف سنده محققوه لجهالة أبي العذراء.

(٧) أخرجه أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. (السنن، الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم ح ٤٨٤٣) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٥٣).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو يوسف الحربي، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد، حدثنا حميد الطويل، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «الْطُّوَا بيا ذا الجلال والإكرام»^(١). وكذا رواه الترمذي، عن محمود بن غيلان، عن مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة به، ثم قال: غلط المؤمل فيه، وهو غريب وليس بمحفوظ، وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن النبي ﷺ^(٢).

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن يحيى بن حسان المقدسي، عن ربيعة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْطُّوَا بذِي الجلال والإكرام»^(٣). ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك به^(٤).

وقال الجوهري: أَلْظَ فلان بفلان: إذا لزمه، وقول ابن مسعود: أَلْطُّوَا بياذا الجلال والإكرام؛ أي: الزموا، يقال: الإلْظاظ: هو الإلحاح.

(قلت): وكلاهما قريب من الآخر، والله أعلم، وهو المداومة واللزوم والإلحاح.

وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة من حديث عبد الله بن الحارث، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم لا يقعد يعني بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكَتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٥).

آخر تفسير سورة الرحمن، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٦/٤٤٥ ح ٣٧٣٣) وله شاهد يأتي يتقوى به.

(٢) السنن، الدعوات، باب ٩٩ (ح ٣٥٢٣) ويشهد له ما يلي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٢٩/١٣٨ ح ١٧٥٩٦) وصححه سننه محققوه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ١٥٣٦).

(٤) السنن الكبرى، النعوت، باب ذو الجلال والإكرام (ح ٧٧١٦) وسنده صحيح.

(٥) صحيح مسلم، المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (ح ٥٩١).

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

وهي مكية

قال أبو إسحاق: عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شئت، قال: «شيتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَسَاءَ لُون﴾ [النبأ]، و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير]». رواه الترمذي وقال: حسن غريب^(١). قال الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلى عمرو بن الربيع بن طارق المصري، حدثنا السري بن يحيى الشيباني، عن أبي شجاع، عن أبي ظبية قال: مرض عبد الله مرضه الذي توفي فيه، فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: ألا أمر لك بعتاء؟ قال: لا حاجة لي فيه؟ قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» ثم قال ابن عساكر: كذا قال، والصواب عن شجاع كما رواه عبد الله بن وهب، عن السري. وقال عبد الله بن وهب: أخبرني السري بن يحيى أن شجاعاً حدثه عن أبي ظبية، عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» فكان أبو ظبية لا يدعها، وكذا رواه أبو يعلى عن إسحاق بن إبراهيم، عن محمد بن منيب، عن السري بن يحيى، عن شجاع، عن أبي ظبية، عن ابن مسعود به^(٢).

ثم رواه أبو يعلى عن إسحاق بن أبي إسرائيل، عن محمد بن منيب العدني، عن السري بن يحيى، عن أبي ظبية، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً»^(٣) لم يذكر في مسنده شجاعاً قال: وقد أمرت بناتي أن يقرأنها كل ليلة. وقد رواه ابن عساكر أيضاً من حديث حجاج بن نصير وعثمان بن اليمان، عن السري بن يحيى، عن شجاع، عن أبي فاطمة قال: مرض عبد الله فأتاه عثمان بن عفان يعوده، فذكر الحديث بطوله، قال عثمان بن اليمان: كان أبو فاطمة هذا مولى لعلي بن أبي طالب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا إسرائيل ويحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن سماك بن حرب أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من

(١) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة هود.

(٢) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٣٦/٤٤٤)، الحديث ضعفه ابن الجوزي (العلل المتناهية ١١٢/١ - ١١٣) وابن عراق (تنزيه الشريعة ٣٠١/١) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (ح ٢٨٩).

(٣) أخرجه أبو بكر بن السني عن أبي يعلى به (عمل اليوم والليلة ح ٦٧٤) وسنده ضعيف كسابقه.

صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، وكانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَسَسَتْ الْجِبَالُ سَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُثْبَتًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٩﴾ وَالسَّيْفُونَ السَّيْفُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقيق كونها ووجودها كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة].

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ أي: ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها كما قال: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٧] وقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ [المعارج] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُلُّ نَفْسٍ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْكُمْ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

ومعنى ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كما قال محمد بن كعب: لا بد أن تكون.

وقال قتادة: ليس فيها مثنوية ولا ارتداد ولا رجعة^(٢).

قال ابن جرير: والكاذبة مصدر كالعاقبة والعافية^(٣).

وقوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ أي: تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعزاء، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء، هكذا قال الحسن وقاتدة وغيرهما^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعني، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، عن أبيه، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ تخفض أقواماً وترفع آخرين^(٥).

وقال عبيد الله العتكي: عن عثمان بن سراقه ابن خالة عمر بن الخطاب ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ قال: الساعة خفضت أعداء الله إلى النار ورفعت أولياء الله إلى الجنة^(٦).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٤/ ٥٠٤ ح ٢٠٩٩٥) وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل سماك بن حرب.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) ذكره الطبري بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) سنده حسن.

(٦) أخرجه الطبري من طريق عبيد الله العتكي به، ويشهد له سابقه ولاحقه.

وقال محمد بن كعب: تخفض رجلاً كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجلاً كانوا في الدنيا مخفوضين.

وقال السدي: خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ ﴿٢﴾ أسمعت القريب والبعيد^(١).

وقال عكرمة: خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى^(٢)، وكذا قال الضحاك وقتادة^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ ﴿١﴾ أي: حركت تحريكاً فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها، ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد في قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ ﴿١﴾ أي: زلزلت زلزلاً^(٤).

وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه^(٥)، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا﴾ ﴿١﴾ [الزلزلة] وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١﴾ [الحج].

وقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ ﴿٥﴾ أي: فتتفتت فتاً، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم^(٦).

وقال ابن زيد: صارت الجبال كما قال الله تعالى^(٧): ﴿كَيْبًا مَهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ ﴿١﴾ قال أبو إسحاق: عن الحارث، عن علي عليه السلام: هباء منبثاً كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء^(٨).

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ ﴿١﴾ الهباء الذي يطير من النار إذا اضطربت يطير منه الشرر فإذا وقع لم يكن شيئاً^(٩).
وقال عكرمة: المنبث الذي قد ذرته الريح وبثته^(١٠).

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما رواه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظه.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف ويتقوى بسابقه ولاحقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخ الطبري، وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) لم أجد من أخرجه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري عن عكرمة بسند ضعيف فيه حفص بن عمر وهو ضعيف، ويتقوى بما سبق.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) أخرجه الثوري والطبري من طريق الحارث، وهو الأعور وهو ضعيف عن علي عليه السلام، ومعناه صحيح.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(١٠) يشهد له ما سبق.

وقال قتادة: ﴿هَبَاءٌ مُّثَبَّنًا﴾ كيبيس الشجر الذي تذروه الرياح^(١). وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسييرها ونسفها وصيرورتها كالعهن المنفوش. وقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) أي: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شقِّ آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين.

وقال السدي: وهم جمهور أهل الجنة، وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شقِّ آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار - عباداً بالله من صنعهم - وطائفة سابقون بين يديه، وهم أخصُّ وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقلُّ عدداً من أصحاب اليمين، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية [فاطر: ٣٢]. وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه.

قال سفيان الثوري، عن جابر الجعفي، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) قال: هي التي في سورة الملائكة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ (٢).

وقال ابن جريج، عن ابن عباس: هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة وفي سورة الملائكة^(٣).

وقال يزيد الرقاشي: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) قال: أصنافاً ثلاثة^(٤).

وقال مجاهد: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) يعني: فرقاً ثلاثة.

وقال ميمون بن مهران: أفواجاً ثلاثة.

وقال عبيد الله العتكي، عن عثمان بن سراقه ابن خالة عمر بن الخطاب ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) اثنان في الجنة وواحد في النار^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧) [التكوير] قال:

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) سنده ضعيف لضعف جابر الجعفي ويتقوى بما يليه.

(٣) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يلق ابن عباس ويتقوى بما يليه.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

الضُّرْبَاءُ^(١)، كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ فَأَصْحَبُ الِّيمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الِّيمَنَةِ ۖ وَأَصْحَبُ الشِّعَةِ مَا أَصْحَبُ الشِّعَةِ ۖ وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ۖ﴾ قال: هم الضُّرْبَاءُ^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى، حدثنا البراء الغنوي، حدثنا الحسن، عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿وَأَصْحَبُ الِّيمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الِّيمَنَةِ ۖ﴾ [الواقعة: ٢٧]. ﴿وَأَصْحَبُ الشِّعَةِ مَا أَصْحَبُ الشِّعَةِ ۖ﴾ [الواقعة] فقبض بيده قبضتين فقال: «هذه للجنة ولا أبالي، وهذه للنار ولا أبالي»^(٣).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا حسن: حدثنا ابن لهيعة، حدثنا خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم»^(٤).

وقال محمد بن كعب وأبو حرزة ويعقوب بن مجاهد: ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ۖ﴾ هم الأنبياء ﷺ. وقال السدي: هم أهل عليين.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ۖ﴾ قال: يوشع بن نون، سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله ﷺ. رواه ابن أبي حاتم، عن محمد بن هارون الفلاس، عن عبد الله بن إسماعيل المدائني البزار، عن شعيب بن الضحاك المدائني، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح به^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: وذكر عن محمد بن أبي حماد، حدثنا مهران، عن خارجة، عن قُرّة، عن ابن سيرين ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ۖ﴾ الذين صلوا إلى القبلتين^(٦). ورواه ابن جرير من حديث خارجة به^(٧).

وقال الحسن وقتادة: ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ۖ﴾ أي: من كل أمة^(٨).

وقال الأوزاعي، عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ۖ﴾ أُولَئِكَ

(١) أي: الأمثال والنظراء (لسان العرب ١/٥٤٨).

(٢) سنده ضعيف لضعف الوليد بن أبي ثور. (التقريب ص ٥٨٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٥/٣٩٥ ح ٢٢٠٧٧) وضعف سنده محققوه لضعف البراء وعدم سماع الحسن من معاذ ﷺ.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٠/٤٤٠ ح ٢٤٣٧٩) وضعف سنده محققوه وأعلوه بآبٍ لهيعة وإنه تفرد به.

(٥) في سنده شعيب بن الضحاك المدائني سكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٤/٣٤٨) وكذا الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد ٩/٢٤٢).

(٦) سنده ضعيف لعدم التصريح باسم شيخ ابن أبي حاتم. ومعناه صحيح كما قرر الحافظ.

(٧) أخرجه الطبري عن ابن حميد عن مهران عن خارجة به، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ومعناه صحيح كما قرر الحافظ ابن كثير.

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد عن قتادة، ومعناه صحيح كما قرر الحافظ ابن كثير.

الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ثم قال: أولهم رواحاً إلى المسجد وأولهم خروجاً في سبيل الله^(١)، وهذه الأقوال كلها صحيحة فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢٢] وقال: فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزء من جنس العمل، وكما تدين تدان، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن زكريا الفزاري الرازي، حدثنا خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو قال: قالت الملائكة: يا رب جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون فاجعل لنا الآخرة، فقال: لا أفعل، فراجعوا ثلاثاً فقال: لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له كن فيكون. ثم قرأ عبد الله ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٣﴾﴾^(٢). وقد روى هذا الأثر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الرد على الجهمية ولفظه: فقال الله ﷻ: لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كُنْ، فكان^(٣).

ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مَُّخْلَدُونَ ﴿١٧﴾ يَأْكُلُونَ وَأَبْرَأُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَمُوا مِمَّا بَخَعُوا رُءُوسَهُمْ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ فِيهَا نِسْوَاجٌ يُخْشَوْنَ ﴿٢١﴾ وَهُمْ فِيهَا فِي مَنَازِلٍ مُّكْنُونَةٍ ﴿٢٢﴾ لَا يَمَسُّونَ فِيهَا لَظْفًا وَلَا نَجِسًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا قَلِيلًا سَلَمًا سَلَامًا ﴿٢٤﴾.

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلثة؛ أي: جماعة من الأولين وقليل من الآخرين، وقد اختلفوا في المراد بقوله الأولين والآخرين فقل: المراد بالأولين الأمم الماضية وبالآخرين هذه الأمة، وهذا رواية عن مجاهد والحسن البصري^(٤)، رواها عنهما ابن أبي حاتم: وهو اختيار ابن جرير واستأنس بقوله ﷻ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»^(٥) ولم يحك غيره ولا عزاه إلى أحد، ومما يستأنس به لهذا القول ما رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع، حدثنا شريك، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ شق ذلك على

(١) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) سنده ضعيف جداً لأن خارجة بن مصعب متروك. وكذبه ابن معين (التقريب ص ١٨٦).

(٣) عزاه ابن كثير إلى عثمان بن سعيد الدارمي مرفوعاً (البداية والنهاية ٥٥/١) وأخرجه ابن الجوزي من حديث عبد الله بن عمر. وقال: لا يصح (العلل المتناهية ٤٨/١).

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وذلك في تفسير الآية ٣٩ من هذه السورة الكريمة، وكذا أخرجه الطبري عن الحسن وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٢٤.

أصحاب النبي ﷺ فنزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) [الواقعة] فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثاني»^(١). ورواه الإمام أحمد، عن أسود بن عامر، عن شريك، عن محمد بياع الملاء، عن أبيه، عن أبي هريرة... فذكره^(٢).

وقد روي من حديث جابر نحو هذا، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمار، حدثنا عبد ربه بن صالح، عن عروة بن رويم، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ: لما نزلت ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١٨) [الواقعة] ذكر فيها ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) قال عمر: يا رسول الله ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) [القيامة] فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) [القيامة] ألا وإن من آدم إلي ثلة وأمتي ثلة، ولن نستكمل ثلثنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل ممن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»^(٤) هكذا أورده في ترجمة عروة بن رويم إسناداً ومتناً، ولكن في إسناده نظر، وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»^(٥) الحديث بتمامه وهو مفرد في صفة الجنة، والله الحمد والمنة.

وهذا الذي اختاره ابن جرير ههنا فيه نظر بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فبيعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة، والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم والله أعلم.

فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) أي: من صدر هذه الأمة ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) أي: من هذه الأمة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عفان، حدثنا عبد الله بن بكر المزني، سمعت الحسن أتى على هذه الآية ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ﴾ (١٠) أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ﴿١١﴾ فقال: أما السابقون فقد مَضَوْا ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين^(٦).

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد، حدثنا السري بن يحيى قال: قرأ الحسن ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ﴾ (١٠) أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ قال ثلة ممن مضى من هذه الأمة^(٧). وحدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقري، حدثنا أبو هلال، عن محمد بن سيرين أنه قال في هذه الآية ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) قال: كانوا يقولون أو

(١) سنده ضعيف لجهالة والد محمد بن عبد الرحمن وهو عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة. وشريك هو ابن عبد الله النخعي صدوق سيء الحفظ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٨/١٥ ح ٩٠٨٠) وقال محققوه: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف.

(٣) زيادة من (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.

(٤) تاريخ دمشق ١١/١ ل ٢٧٩، وسنده ضعيف لانقطاعه بين عروة بن رويم وجابر لأنه لم يسمع منه.

(٥) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج (ح ٣٣٤٨).

(٦) سنده حسن.

(٧) سنده حسن.

يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة^(١)، فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة، ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم كل أمة بحسبها، ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» الحديث بتمامه^(٢).

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا زياد أبو عمر، عن الحسن، عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره»^(٣) فهذا الحديث، بعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم وكذلك الزرع هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول واحتياج الزرع إليه أكد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض ولا تعلق أساسه فيها ولهذا قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة» وفي لفظ «حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك»^(٤) والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها، ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ، أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وفي لفظ «مع كل ألف سبعون ألفاً» وفي آخر: «مع كل واحد سبعون ألفاً»^(٥).

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا هشام بن يزيد الطبراني، حدثنا محمد هو ابن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضمضم يعني ابن زرة، عن شريح هو ابن عبيد، عن أبي مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض، تقول الملائكة لما جاء مع محمد ﷺ أكثر مما جاء مع الأنبياء ﷺ»^(٦).

وحسن أن يذكر ههنا عند قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ و﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة حيث قال: أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي، حدثني أبو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبيد الله بن مسرح الحراني، حدثنا سليمان بن عطاء القرشي الحراني، عن مسلمة بن عبد الله الجهني، عن عمه أبي مشجعة بن ربعي، عن أبي زمل الجهني ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح يقول وهو ثان رجله: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله إن الله كان

(١) سنده حسن، وأبو هلال هو محمد بن سليم الراسي البصري.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفرقان آية ٣٨.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٧٤/٣١ ح ١٨٨٨١) وقال محققوه: حديث قوي بطرقه وشواهده وحسنه الحافظ ابن حجر بطرقه (فتح الباري ٦/٧).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٢٩.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران آية ١١٠.

(٦) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٢٩٧/٣) وسنده ضعيف لانقطاعه فإن محمد بن إسماعيل بن عياش لم يسمع من أبيه كما في التقريب.

توباً» سبعين مرة ثم يقول: «سبعين بسبعمائة لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة» ثم يقول ذلك مرتين ثم يستقبل الناس بوجهه.

وكان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا ثم يقول: «هل رأى أحد منكم شيئاً؟» قال أبو زمل: فقلت: أنا يا رسول الله، فقال: «خير تلقاه، وشر توقاه، وخير لنا، وشر على أعدائنا الحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك» فقلت: رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لاحب^(١) والناس على الجادة منطلقين، فبينما هم كذلك إذ أشفى^(٢) ذلك الطريق على مرج لم تر عيني مثله، يرف رفيفاً يقطر ماؤه فيه من أنواع الكلاء، قال: وكأني بالرعدة^(٣) الأولى حين أشفوا على المرج كبّروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق، فلم يظلموه^(٤) يميناً ولا شمالاً، قال فكأني أنظر إليهم منطلقين، ثم جاءت الرعدة الثانية، وهم أكثر منهم أضعافاً فلما أشفوا على المرج كبّروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق، فمنهم المرتع^(٥)، ومنهم الآخذ الضغث^(٦)، ومضوا على ذلك، قال: ثم قدم عظم الناس، فلما أشفوا على المرج كبّروا وقالوا: هذا خير المنزل، كأني أنظر إليهم يميلون يميناً وشمالاً، فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتى أتى أقصى المرج، فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت في أعلاها درجة، وإذا عن يمينك رجل آدم شتل^(٧) أقنى^(٨) إذا هو تكلم يسمو، فيقرع^(٩) الرجال طولاً، وإذا عن يسارك رجل ربعة باد كثير خيلان^(١٠) الوجه، كأنما حمم^(١١) شعره بالماء، إذا هو تكلم أصغيتهم إكراماً له، وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقاً ووجهاً كلکم تأمونه تريدونه، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف^(١٢)، وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعها.

قال: فامتقع لون رسول الله ﷺ ساعة ثم سُري عنه، وقال رسول الله ﷺ: «أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب، فذاك ما حملتكم عليه من الهدى وأنتم عليه، وأما المرج الذي رأيت فالدنيا وغضارة عيشها، مضيت أنا وأصحابي لم نتعلق منها بشيء ولم تتعلق منا ولم نردها ولم تردنا، ثم جاءت الرعدة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافاً، فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ونجوا على ذلك، ثم جاء عظمُ الناس فمالوا في المرج يميناً وشمالاً فإنا لله وإنا إليه راجعون. وأما أنت فمضيت على طريقة صالحة، فلن تزال عليها حتى تلقاني، وأما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة، أنا في آخرها ألفاً، وأما الرجل الذي رأيت على يميني الآدم الشتل فذلك موسى ﷺ، إذا تكلم يعلو الرجال بفضل كلام الله إياه، والذي رأيت عن يساري الباز الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما حمم شعره بالماء، فذلك عيسى ابن مريم نكرمه لإكرام الله إياه، وأما الشيخ الذي رأيت أشبه الناس بي خلقاً ووجهاً

(١) أي: الطريق الواسع الذي لا ينقطع.

(٢) أي: أشرف عليه.

(٣) أي: القطعة من الفرسان.

(٤) أي: فلم يعدلوا منه.

(٥) أي الذي يدع ركابه ترتع من العشب.

(٦) أي الذي ينال حزمة من الحشيش، والمراد: نال من الدنيا شيئاً.

(٧) أي: غليظ الأصابع.

(٨) أي: الرجل ذو ارتفاع في أعلى أنفه.

(٩) أي: يعلوهم.

(١٠) أي: كثير الشامات في الوجه.

(١١) أي: سود.

(١٢) أي: ناقة مُسنة.

فذاك أبونا إبراهيم كلنا نؤمه ونقتدي به، وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أبعثها فهي الساعة علينا تقوم لا نبي بعدي ولا أمة بعد أمتي» قال: فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيء الرجل فيحدثه بها متبرعاً^(١).

وقوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ قال ابن عباس: أي مرمولة بالذهب^(٢)؛ يعني: منسوجة به، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقتادة والضحاك وغيره^(٣). وقال السدي: مرمولة بالذهب واللؤلؤ.

وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت^(٤).

وقال ابن جرير: ومنه يسمى وضين الناقة الذي تحت بطنها^(٥)، وهو فعيل بمعنى مفعول لأنه مضفور، وكذلك السر في الجنة مضفورة بالذهب واللالئ.

وقوله تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهِا مُتَقَبِّلِينَ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: مخلدون على صفة واحدة لا يتكبرون عنها ولا يشيرون ولا يتغيرون ﴿يَأْكُوبُ وَأُيَاقُ وَيُكَلِّسُ مِنْ مَعِينِ﴾ أما الأكواب فهي: الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان، والأباريق التي جمعت الوصفين والكؤوس الهنابات، والجميع من خمر من عين جارية معين، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ أي: لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة.

وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول^(٦)، فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهاها عن هذه الخصال. وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطية وقتادة والسدي ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا﴾ يقول ليس لهم فيها صداع رأس^(٧)، وقالوا في قوله: ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ أي: لا تذهب بعقولهم^(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَفَكَهَةً مِمَّا يَتَخَبَّزُونَ﴾ وَلَحِيحٌ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ﴾ أي: ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار، وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها، ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذي رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله في مسنده، حدثنا

(١) أخرجه البيهقي (الدلائل ٣٦/٧، ٣٧) وسنده ضعيف جداً لأن سليمان بن عطاء القرشي يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربيعي أحاديث موضوعة وقد ذكر ابن حبان هذا الحديث مثلاً لها. (ينظر المجروحين ١/٣٢٥).

(٢) أخرجه هناد (الزهد رقم ٧٧) والطبري بسند صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٥) ذكره الطبري بنحوه. (٦) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبه بسند صحيح من طريق حصين عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

العباس بن الوليد الترسي، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي [سوية]^(١)، حدثنا عبيد الله بن عكراش، عن أبيه عكراش بن ذؤيب قال: بعثني بنو مرة في صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ، فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين المهاجرين والأنصار، وقدمت عليه بلبل كأنها عروق الأرطى^(٢) قال: «من الرجل؟» قلت: عكراش بن ذؤيب، قال: «ارفع في النسب» فانتسبت له إلى مُرَّة بن عُبَيد، وهذه صدقة مُرَّة بن عبيد، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «هذه إبل قومي هذه صدقات قومي» ثم أمر بها أن توسم بميسم إبل الصدقة وتضم: إليها، ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أم سلمة فقال: «هل من طعام؟» فأتينا بجفنة كالقصعة كثيرة الثريد والودر^(٣)، فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدي اليمنى فقال: يا عكراش، كل من موضع واحد فإنه طعام واحد. ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب شك عبيد الله رطباً كان أو تمرأ، فجعلت أكل من بين يدي وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق وقال: يا عكراش، كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد. ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح ببلبل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثاً ثم قال: «يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار»^(٤).

وهكذا رواه الترمذي مطولاً وابن ماجه جميعاً عن محمد بن بشار، عن أبي الهذيل العلاء بن الفضل به، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديثه^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز بن أسد وعفان، وقال الحافظ أبو يعلى، حدثنا شيبان، قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت قال: قال أنس كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه، فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله رأيت كأنني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة انتحبت لها الجنة، فنظرت فإذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسمت اثني عشر رجلاً، كان النبي ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك فجاء بهم عليهم ثياب طلس تشخب^(٦) أوداجهم^(٧)، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البیدخ أو البیدخ^(٨)، قال: فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصفحة من ذهب فيها بسر، فأكلوا من بسرهم ما شاءوا فما يقبلونها من وجهه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم فأتى البشير من تلك السرية، فقال ما كان من رؤيا كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلاً، فدعا رسول الله ﷺ المرأة، فقال قصي رؤياك،

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «معاوية».

(٢) شجر عروقه حمر طوال ذاهبة في ثرى الرمال الممطرة في الشتاء، شبه بها الإبل في اكتنازها وحمرة ألوانها.

(٣) أي: قطع من اللحم.

(٤) أخرجه ابن حبان من طريق العلاء بن الفضل بن عبد الملك به، وأعله بالعلاء. (المجروحين ١٨٣/٢).

(٥) سنن الترمذي، الأطعمة، باب ما جاء في التسمية في الطعام (ح ١٨٤٩)، وسنن ابن ماجه، الأطعمة، باب الأكل ما يليك (ح ٣٢٧٤). وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

(٦) أي: تسيل.

(٧) أي: عروق الأخادع التي يقطعها الذابح.

(٨) أي: الممتلىء.

فقصبتها، وجعلت تقول: فجيء بفلان وفلان كما قال^(١). هذا لفظ أبي يعلى، قال الحافظ الضياء: وهذا على شرط مسلم^(٢).

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا علي بن المديني، حدثنا ريحان بن سعيد، عن عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل إذا نزع ثمرة في الجنة عادت مكانها أخرى»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَحْرِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾^(٤) قال الإمام أحمد: حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، حدثنا ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طير الجنة كأمثال البُخت يرعى في شجر الجنة» فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هذه لطير ناعمة، فقال: «أكلها أنعم منها - قالها ثلاثاً - وإنني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها»^(٥). انفرد به أحمد من هذا الوجه.

وروى الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه «صفة الجنة» من حديث إسماعيل بن علي الخطمي، عن أحمد بن علي الخيوطي، عن عبد الجبار بن عاصم، عن عبد الله بن زياد، عن زرعة، عن نافع، عن ابن عمر قال: ذكرت عند النبي ﷺ طوبى فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «طوبى شجرة في الجنة ما يعلم طولها إلا الله يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفاً ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال البخت» فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هناك لطيراً ناعماً؟ قال: «أنعم منه من يأكله وأنت منهم إن شاء الله تعالى»^(٥).

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَحْرِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾^(٦): وذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله إني أرى طيرها ناعمة كأهلها ناعمون، قال: «من يأكلها والله يا أبا بكر أنعم منها وإنها لأمثال البخت، وإنني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر»^(٦).

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني مجاهد بن موسى، حدثنا معن بن عيسى، حدثني ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سئل عن الكوثر فقال: «نهر أعطانيه ربي ﷻ في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها يعني كأعناق

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٤٤/٦، ٤٥ ح ٣٢٨٩) وصححه محققه، وأخرجه ابن حبان من طريق أبي يعلى به (موارد الزمآن ح ١٨٠٣)؛ وأخرجه الإمام أحمد بسنده المذكور بنحوه. (المسند ٣٧٨/١٩ - ٣٨٠ ح ١٢٣٨٥) وصححه سند محققه.

(٢) المختارة (ح ١٧١٦).

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ١٠٢/٢ ح ١٤٤٩) وسنده حسن، وذكره الهيثمي وقال: رواه الطبراني والبخاري، ورجال الطبراني وأحد إسناده البزار ثقات. (مجمع الزوائد ٤١٧/١٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٤/٢١ ح ١٣٣١١) وقال محققه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف سيار بن حاتم، وجود إسناد هذا الحديث المنذري في «الترغيب والترهيب ٥٢٦/٤» وصححه العراقي في تخريجه على الإحياء ٤/٥٤٠هـ.

وأخرجه الضياء المقدسي من طريق سيار به (المختارة ١٣/٥ ح ١٦١٤).

(٥) يشهد له سابقه.

(٦) سنده منقطع لأن قتادة لم يسمع من أبي بكر ﷺ، ويتقوى بالشواهد السابقة الثلاثة.

الجزر» فقال عمر: إنها لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «أَكْلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا»^(١) وكذا رواه الترمذي، عن عبد بن حميد، عن القعني، عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أبيه، عن أنس، وقال حسن^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو معاوية، عن عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ فِي الْجَنَّةِ طَيْرًا فِيهِ سَبْعُونَ أَلْفَ رِيْشَةٍ فَيَقَعُ عَلَى صَفْحَةِ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَنْتَفِضُ، فَيُخْرِجُ مِنْ كُلِّ رِيْشَةٍ يَعْنِي لَوْنًا أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزَّبَدِ وَأَعَذَبُ مِنَ الشَّهْدِ، لَيْسَ مِنْهَا لَوْنٌ يَشْبَهُ صَاحِبَهُ ثُمَّ يَطِيرُ»^(٣) هذا حديث غريب جداً، والوصافي وشيخه ضعيفان.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني الليث، حدثنا خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي حازم، عن عطاء، عن كعب قال: إن طائر الجنة أمثال البخت [يأكلن]^(٤) من ثمرات الجنة ويشرب من أنهار الجنة، فيصطففن له، فإذا انتهى منها شيئاً أتى حتى يقع بين يديه، فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء، صحيح إلى كعب^(٥).

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلَى الطَّيْرِ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْتَهِيهِ فَيُخْرِجُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشُوبًا»^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ۖ﴾ قرأ بعضهم بالرفع، وتقديره: ولهم فيها حور عين! وقراءة الجر^(٧) تحتل معنيين: أحدهما: أن يكون الإعراب على الإتيان بما قبله كقوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخْلَدُونَ ۖ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۖ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزِفُونَ ۖ وَفِيكُمْ مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ ۖ وَلَحِيرَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ ۖ﴾ وحوْرٌ عِينٌ ۖ ﴿كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وكما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُصْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١].

والاحتمال الثاني أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين، ولكن يكون ذلك في القصور لا بين بعضهم بعضاً، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين، والله أعلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريق عبد الله بن مسلم ابن أخي ابن شهاب عن ابن شهاب به بلفظ: «أَكْلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا يا عمر». (المسند ٣٠/٢١ ح ١٣٣٠٦) وصححه سننه محققوه.

(٢) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة طير أهل الجنة ح ٢٥٤٢) وقال الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن الترمذي ح ٢٠٦٣).

(٣) سننه ضعيف لضعف عطية والوصافي.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض مقدار كلمة ثم لفظ: «ما خلق».

(٥) صححه الحافظ ابن كثير، وكعب مشهور برواية الإسرائيليات.

(٦) في سننه خلف بن خليفة صدوق اختلط في الآخر. (التقريب ص ١٩٤) وحميد الأعرج يقع في حديثه من الإنكار من جهة من يروي عنه. (تهذيب التهذيب ٤٧/٢) ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

(٧) القراءة بالرفع والجر متواترتان.

وقوله تعالى: ﴿كَأَمْثَلِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (٢٧) أي: كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه كما تقدم في سورة الصافات ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (٢٨) [الصفات] وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضاً، ولهذا قال: ﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٩) أي: هذا الذي أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل.

ثم قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾ (٣٠) إِلَّا قِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا (٣١) أي: لا يسمعون في الجنة كلاماً لاغياً؛ أي: عبثاً خالياً من المعنى أو مشتملاً على معنى حقير أو ضعيف كما قال: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (٣٢) [الغاشية] أي: كلمة لاغية.

﴿وَلَا تَأْتِيًا﴾ (٣٣) أي: ولا كلاماً فيه قبح ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ (٣٤) أي: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣] وكلامهم أيضاً سالم من اللغو والإثم.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٣٥) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ (٣٦) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ (٣٧) وَفُكْهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (٣٨) وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾ (٣٩) فَعَلَّاتٍ أَبْكَارًا ﴿عُرَىٰ أَزْرَابًا﴾ (٤٠) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَْ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤١) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿﴾ (٤٢).

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون، عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الأبرار، كما قال ميمون بن مهران أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٣٧) أي: أي شيء أصحاب اليمين وما حالهم وكيف مآلهم. ثم فسر ذلك فقال تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ (٣٨) قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابن الأحوص وقسامة بن زهير [السفر بن نسير]^(١)، والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وأبو حذرة وغيرهم: هو الذي لا شوك فيه^(٢).

وعن ابن عباس: هو الموقر بالثمر، وهو رواية عن عكرمة ومجاهد^(٣)، وكذا قال قتادة أيضاً: كنا نحدث أنه الموقر الذي لا شوك به^(٤)، والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله، كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجّاد، حدثنا محمد بن محمد بن محمد هو البغوي، حدثني حمزة بن العباس، حدثنا عبد الله بن عثمان، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها،

(١) السفر بن نسير كذا في الطبري وترجمته في التقريب ص ٢٤٣ وفي الأصل: «السفر بن قيس».

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه هناد (الزهد رقم ١٠٩) والطبري بسند صحيح من طريق حبيب بن أبي ثابت عن عكرمة وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن قتادة.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

فقال رسول الله: «وما هي؟» قال: السدر فإن له شوكاً مؤذياً. فقال رسول الله ﷺ: «أليس الله تعالى يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾؟» خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمراً تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعام، ما فيها من لون يشبه الآخر^(١).
طريق آخر:

قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمد بن المصنف، حدثنا محمد بن المبارك، حدثني يحيى بن حمزة، حدثني ثور بن يزيد، حدثني حبيب بن عبيد، عن عتبة بن عبد السلمي قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ: فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجراً أكثر شوكاً منها؛ يعني: الطلح، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود^(٢)، فيها سبعون لوناً من الطعام لا يشبه لون الآخر^(٣)».

وقوله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ (١٩) الطلح شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر العضاء واحدة طلحة، وهو شجر كثير الشوك، وأنشد ابن جرير لبعض الحداة:

بشرها دليلاً وقالا غداً ترين الطلح والجبالا^(٤)
وقال مجاهد: ﴿مَنْضُودٍ﴾ أي: متراكم الثمر يذكر بذلك قريشاً لأنهم كانوا يعجبون من وجّ^(٥) وظلاله من طلح وسدر^(٦).
وقال السدي: ﴿مَنْضُودٍ﴾ مصفود.

قال ابن عباس: يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل، قال الجوهري: والطلح لغة في الطلع. قلت: وقد روى ابن أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد، عن شيخ من همدان قال: سمعت علياً يقول هذا الحرف في طلح منضود، قال: طلع منضود، فعلى هذا يكون من صفة السدر، فكأنه وصفه بأنه مخضود، وهو الذي لا شوك له، وأن طلعه منضود وهو كثرة ثمره^(٧)، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو معاوية، عن إدريس، عن جعفر بن إياس، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ (١٩) قال: الموز^(٨)، قال وروي عن ابن

(١) أخرجه الحاكم من طريق بشر بن بكر عن صفوان بن عمرو به عن أبي أمامة وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٧٦/٢).

(٢) أي: الخصوة الضخمة التي عند التيس المكتنز باللحم.

(٣) أخرجه الطبراني من طريق يحيى بن حمزة به (مسند الشاميين رقم ٢٩٢) وكذا أبو نعيم (الحلية ١٠٣/٦) قال الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ٤١٤/١).

(٤) استشهد به الطبري نقلاً مصرحاً عن معمر بن المثنى (مجاز القرآن ٢٥٠/٢).

(٥) هو من أودية الطائف المشهورة.

(٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، والسدر هو شجر النبق.

(٧) سنده ضعيف لجهالة الشيخ الهمداني، ويتقوى بشواهد السابقة.

(٨) سنده صحيح.

عباس وأبي هريرة والحسن وعكرمة وقسامة بن زهير وقتادة وأبي حذرة مثل ذلك^(١)، وبه قال مجاهد وابن زيد: وزاد فقال: أهل اليمن يسمون الموز: الطلح^(٢)، ولم يحك ابن جرير غير هذا القول.

وقوله تعالى: ﴿وَوَلَّى مَمْدُورٌ﴾ قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»، اقرأوا إن شئتم ﴿وَوَلَّى مَمْدُورٌ﴾^(٣). ورواه مسلم من حديث الأعرج به^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سريج، حدثنا فليح، عن هلال بن علي، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، اقرءوا إن شئتم ﴿وَوَلَّى مَمْدُورٌ﴾»^(٥). وكذا رواه البخاري عن محمد بن سنان، عن فليح به^(٦)، وكذا رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة^(٧)، وكذا رواه حماد بن سلمة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة^(٨). والليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة: وعوف، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالوا: حدثنا شعبة، سمعت أبا الضحاك يحدث أبا هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو مائة - سنة هي شجرة الخلد»^(٩).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا يزيد بن هارون، عن محمد بن عمرو بن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها»، وقرءوا إن شئتم ﴿وَوَلَّى مَمْدُورٌ﴾^(١٠). إسناد جيد ولم يخرجوه، وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن عبدة وعبد الرحيم عن محمد بن عمرو به، وقد رواه الترمذي من

(١) أخرجه الطبري وعبد الرزاق من خمسة طرق كلها عن أبي سعيد الرقاشي عن ابن عباس، وأبو سعيد سكت عنه ابن أبي حاتم والبخاري، ويشهد له سابقه ولاحقه، وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري بالسند المتقدم الصحيح عن ابن زيد.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَوَلَّى مَمْدُورٌ﴾ [الواقعة] ح (٤٨٨)).

(٤) صحيح مسلم، صفة الجنة، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها.. (ح (٢٨٢٦)).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٢/ ٤٨٢) وسنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (ح (٣٢٥٢)).

(٧) مصنف عبد الرزاق ١١/ ٤١٧ رقم ٢٠٨٧٧.

(٨) (المسند ٢/ ٤٦٩).

(٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٥/ ٥٣٧ ح (٩٨٧٠) وقال محققوه: صحيح دون قوله: شجرة الخلد. اه. أي: أنه له شواهد يتقوى بها دون قوله: شجرة الخلد.

(١٠) جَوَّدَ سنده الحافظ ابن كثير.

حديث عبد الرحيم بن سليمان به^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى بني مخزوم، عن أبي هريرة قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرءوا إن شئتم: ﴿وَلَا يَمْدُورُ﴾ فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد، لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط [هرماً]^(٢)، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة^(٣).

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا محمد بن منهال الضرير: حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَمْدُورُ﴾ قال: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»^(٤). وكذا رواه البخاري، عن روح بن عبد المؤمن، عن يزيد بن زريع^(٥)، وكذا رواه أبو داود الطيالسي، عن عمران بن دوار القطان، عن قتادة به، وكذا رواه معمر وأبو هلال، عن قتادة به^(٦).

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد، عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها»^(٧). فهذا حديث ثابت، عن رسول الله ﷺ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد، لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقة رجاله.

وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو حصين قال: كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق يعني: الضبي، فحدث أبو صالح قال: حدثني أبو هريرة قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً، قال أبو صالح: أتكذب أبا هريرة؟ قال: ما أكذب أبا هريرة ولكني أكذبك أنت، فشق ذلك على القراء يومئذ^(٨). قلت: فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث مع ثبوته وصحته ورفعته إلى رسول الله ﷺ.

وقال الترمذي: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا زياد بن الحسن بن الفرات القزاز، عن أبيه،

(١) أخرجه الطبري والترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة الواقعة ح ٣٢٨٨ وقال: حسن صحيح) وصححه الألباني من حديث أنس (صحيح سنن الترمذي ح ٢٦٢٦).

(٢) كذا في (حم) و(ج)، وفي الأصل بياض.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق إسماعيل بن أبي خالد به (المصنف ١٣/ ١٠٥) وفي سننه زياد لم يسمع من أبي هريرة وسنده ضعيف وقول كعب فيه غرابة.

(٤) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (٣٤٨/٥ ح ٢٩٩١) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (ح ٣٢٥١).

(٦) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الواقعة (ح ٣٢٨٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٢٦).

(٧) صحيح البخاري، الرقاق، باب صفة الجنة والنار (ح ٦٥٥٣) وصحيح مسلم، الجنة وصفه نعيمها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام (ح ٢٨٢٨).

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، واستشهد به الحافظ ابن كثير.

عن جده، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب» ثم قال: حسن غريب^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن أبي الربيع، حدثنا أبو عامر العقدي، عن زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها، مائة عام، قال: فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها، قال: فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا^(٢). هذا أثر غريب إسناده جيد قوي حسن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن يمان، حدثنا سفيان، حدثنا أبو إسحاق، عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَمْدُودٌ﴾^(٣) قال سبعة ألف سنة^(٣)، وكذا رواه ابن جرير، عن بNDAR، عن ابن مهدي، عن سفيان مثله^(٤)، ثم قال: ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون ﴿وَلَبِئْسَ مَمْدُودٌ﴾^(٣) قال: خمسمائة ألف سنة^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا حصين بن نافع، عن الحسن في قول الله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَمْدُودٌ﴾^(٣) قال: في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها.

وقال عوف، عن الحسن: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»^(٦) رواه ابن جرير^(٧).

وقال شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس: في الجنة شجر لا يحمل يستظل به^(٨)، رواه ابن أبي حاتم.

وقال الضحاك والسدي وأبو حزة في قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَمْدُودٌ﴾^(٣) لا ينقطع، ليس فيها شمس ولا حرٌّ مثل قبل طلوع الفجر.

وقال ابن مسعود: الجنة سجسج^(٩) كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقد تقدمت الآيات كقوله تعالى: ﴿وَنَدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] وقوله: ﴿أَكُلُوا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] وقوله: ﴿فِي ظِلِّلٍ وَغُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١] إلى غير ذلك من الآيات.

(١) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة شجر الجنة ح ٢٥٢٧) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٠٤٩).

(٢) سنده ضعيف لضعف زمعة بن صالح (التقريب ص ٢١٧).

(٣) سنده مرسل لأن عمرو بن ميمون تابعي.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده مرسل لأن عمرو بن ميمون تابعي.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده مرسل كسابقه.

(٦) سنده مرسل ويتقوى بالأحاديث المرفوعة المتقدمة.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثله مرسلًا، وحكمه كسابقه.

(٨) سنده حسن. (٩) أي: ظلها معتدل لا ولا برد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ﴾ (٢٧) قال الثوري: يجري في غير أخذود، وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ الآية [محمد: ١٥]. بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله تعالى: ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ (٢٨) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٢٩) أي: وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] أي: يشبه الشكل الشكل ولكن الطعم غير الطعم، وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى: «إذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلال هجر»^(١). وفيهما أيضاً من حديث مالك، عن زيد، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: خسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فذكر الصلاة، وفيه قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكت^(٢)، قال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»^(٣).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، حدثنا ابن عقيل، عن جابر قال: بينا نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فنقدمنا معه، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال أبي بن كعب: يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما كنت تصنعه، قال: «إنه عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقص منه». وروى مسلم من حديث أبي الزبير، عن جابر نحوه^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن بحر، حدثنا هشام بن يوسف، أخبرنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: «نعم وفيها شجرة تدعى طوبى». قال: فذكر شيئاً لا أدري ما هو، قال: أي شجر أرضنا تشبه؟ قال: «ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك؟» فقال النبي ﷺ «أتيت الشام؟» قال: لا. قال: «تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحدة وينفرش أعلاها». قال: ما عظم العنقود؟ قال: «مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يفتري». قال: ما عظم أصلها؟ قال: «لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماء» قال: فيها عنب؟ قال: «نعم» قال: فما عظم الحبة؟ قال: «هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً؟» قال: نعم، قال: «فسلخ إهابه فأعطاه أمك فقال اتخذي لنا منه دلوأ؟» قال: نعم. قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي؟ قال: «نعم وعامة عشيرتك»^(٥).

وقوله تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (٣٠) أي: لا تنقطع شتاء ولا صيفاً بل أكلها دائم مستمر أبداً، مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء.

(١) تقدم تخريجه في بداية تفسير سورة الإسراء. (٢) أي: احجمت.

(٣) صحيح البخاري، الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة (ح٧٤٨) وصحيح مسلم، الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (ح٩٠٧).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الرعد آية ٣٥.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٩/١٩١، ١٩٢ ح١٧٦٤٢) وقال محققوه: إسناده قابل للتحسين.

وقال قتادة: لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد، وقد تقدم في الحديث إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَفُرشِ مَرْفُوعَةٍ﴾ ٢٤ أي: عالية وطيئة ناعمة قال النسائي وأبو عيسى الترمذي: حدثنا أبو كريب، حدثنا رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَفُرشِ مَرْفُوعَةٍ﴾ ٢٤ قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام». ثم قال الترمذي: هذا الحديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد، قال: وقال بعض أهل العلم: معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، هكذا قال إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد^(٢)، وهو المصري وهو: ضعيف، هكذا رواه أبو جعفر بن جرير، عن أبي كريب، عن رشدين به^(٣).

ثم رواه هو وابن أبي حاتم كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث فذكره، وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضاً عن نعيم بن حماد، عن ابن وهب، وأخرجه الضياء في «صفة الجنة» من حديث حرمله، عن ابن وهب به مثله، ورواه الإمام أحمد، عن حسن بن موسى، عن ابن لهيعة، حدثنا دراج فذكره^(٤).

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو معاوية [عن جوير]، عن أبي سهل يعني: كثير بن زياد، عن الحسن ﴿وَفُرشِ مَرْفُوعَةٍ﴾ ٢٤ قال: ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة^(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ ٢٥ ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ ٢٦ ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ ٢٧ ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ٢٨ جرى الضمير على غير مذكور. ولكن لما دلّ السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاغن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن، وعاد الضمير عليهن كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِئَاتُ﴾ ٢٩ ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ٣٠ [ص] يعني: الشمس على المشهور من قول المفسرين.

وقال الأخفش في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ﴾: أضمرهن ولم يذكرن قبل ذلك.

وقال أبو عبيدة: ذكرن في قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ ٣١ ﴿كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ ٣٢ [الواقعة] فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ﴾ أي: أعدناهن في النشأة الأخرى بعدما كن عجائز رمصاً، صرن أبكاراً عرباً؛ أي: بعد الثوبة عدن أبكاراً ﴿عُرُبًا﴾ متحبات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة.

(١) تقدم تخريجه في تفسير آية ٢٠ من هذه السورة الكريمة.

(٢) أخرجه الترمذي بسنده ومثله وتعليقه (السنن، التفسير، باب ومن سورة الواقعة ح ٣٢٩٤) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

(٣) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وسنده كسابقه.

(٤) كل هذه المصادر فيها ضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: «جوهر».

(٦) سنده ضعيف لإرساله.

وقال بعضهم ﴿عُرْبًا﴾ أي: غَنَجَات^(١)، قال موسى بن عبيدة الربذي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ» قال: نساء عجائز كن في الدنيا عمشاً رُمُصاً^(٢)». رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال الترمذي: غريب، وموسى ويزيد ضعيفان.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا آدم - يعني: ابن أبي إياس -، حدثنا شيبان، عن جابر، عن يزيد بن مُرَّة، عن سلمة بن يزيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾^(٣) «يعني: الثيب والأبكار اللاتي كنَّ في الدنيا»^(٤).

وقال عبد بن حميد: حدثنا مصعب بن مقدم، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: أتت عجوز فقالت: يا رسول الله ادْعُ الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز» قال: فولّت تبكي. قال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾^(٥) فَعَلَّهِنَّ أَتْكَارًا»^(٦).

وهكذا رواه الترمذي في «الشماثل» عن عبد بن حميد^(٦).

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا بكر بن سهل الدمياني، حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي، أخبرنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾^(٧) [الواقعة] قال: «حور بيض عِين ضخام العيون شفر^(٧) الحوراء بمنزلة جناح النسر» قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَمْثَلِ الزُّلْفَى أَلَمْ تَكُنْ فِي مَرْجَى مِمَّا كَانَتْ تُؤْمِنُ أَنَّهَا تُنْفَكُ﴾ [الواقعة] قال: «صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداغ الذي لم تمسه الأيدي» قلت: أخبرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾^(٨) [الرحمن] قال: «خيرات الأخلاق حسان الوجوه» قلت: أخبرني عن قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾^(٩) [الصافات] قال: «رقتهن كرقعة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقى» قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾^(١٠) قال: «هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصاً شمساً، خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عرباً متعشقات محبيات أتراباً على ميلاد واحد» قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة» قلت: يا رسول الله وبم ذاك؟ قال: «بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله ﷻ، ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير، بيض الألوان خضر الشياح صُفر الحلي مجامرهن الدر

(١) غنجات جمع غَنَجَة وهي الجارية التي تدلل وتتكر في حركاتها (ينظر: النهاية ٣/٣٨٩).

(٢) رُمُص: جمع رمضاء، والرمض هو الغشاء الأبيض الذي يتجمع في العين ويسمى: الدمص. بالدال.

(٣) أخرجه الترمذي من طريق موسى بن عبيدة، (السنن، التفسير، باب ومن سورة الواقعة ح ٣٢٩٢). وسنده ضعيف لضعف موسى والرقاشي.

(٤) أخرجه الطبراني من طريق جابر به (المعجم الكبير ٧/٤٠) وسنده ضعيف لضعف جابر وهو ابن يزيد الجعفي.

(٥) سنده مرسل ويشهد له سابقه ولاحقه.

(٦) أخرجه الترمذي عن عبد بن حميد به (الشماثل المحمدية رقم ٢٣٠). وسنده مرسل، ويتقوى بالشواهد كسابقه.

(٧) أي: حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر.

وأمشاطهن الذهب، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبداً ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا! قلت: يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها؟ قال: «يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً، فتقول: يا رب إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»^(١).

وفي حديث الصور الطويل المشهور أن رسول الله ﷺ، يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة، فيقول الله تعالى: قد شفعتك وأذنت لهم بدخولها، فكان رسول الله ﷺ يقول: «والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثنيتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوته على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس وإستبرق، وإنه ليضع يده بين كتفها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها امرأة، يعني وكبدها له امرأة، فبينما هو عندها لا يملأها ولا تملأه ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء، ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها إلا أنه لا مني ولا منية، فبينما هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تَمَلّ ولا تُمَلّ، إلا أن لك أزواجاً غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة، كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إلي منك»^(٢).

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن درّاج، عن ابن حجريرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال له: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده دحماً دحماً»^(٣)، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرة»^(٤).

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي، حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطي، حدثنا شريك، عن عاصم الأحول، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عُدن أبكاراً»^(٥).

وقال أبو داود الطيالسي: أخبرنا عمران، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء، قلت: يا رسول الله ويطلق ذلك؟ قال: يعطى

(١) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ٣٦٧/٢٣ ح ٨٧٠) وسنده ضعيف لضعف سليمان بن أبي كريمة (مجمع الزوائد ١٢٢/٧).

(٢) تقدم تخريج حديث الصور في تفسير سورة الأنعام آية ٧٣.

(٣) الدحّم: النكاح والوطء بدفع وإزعاج.

(٤) أخرجه ابن حبان من طريق عبد الله بن وهب به (موارد الزمّان ح ٢٦٣٣) وسنده ضعيف لضعف درّاج.

(٥) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الصغير ٩١/١) وسنده ضعيف جداً لأن معلى بن عبد الرحمن الواسطي متهم بالوضع. (التقريب ص ٥٤١).

قوة مائة». ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال: صحيح غريب^(١).

وروى أبو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله هل نصل إلى نساء في الجنة؟ قال: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء»^(٢) قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: هذا الحديث عندي على شرط الصحيح، والله أعلم.

وقوله: ﴿عُرْبًا﴾ قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يعني متحبيات إلى أزواجهن^(٣)، ألم تر إلى الناقة الضبعة هي كذلك.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: العُرب: العواشق^(٤) لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون، وكذا قال عبد الله بن سرجس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية ويحيى بن أبي كثير وعطية والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم^(٥).

وقال ثور بن يزيد، عن عكرمة قال: سئل ابن عباس، عن قوله: ﴿عُرْبًا﴾ قال: هي المِلقة لزوجها^(٦).

وقال شعبة، عن سماك، عن عكرمة: هي الغنجة^(٧).

وقال الأجلح بن عبد الله، عن عكرمة: هي الشكلة، وقال صالح بن حيّان، عن عبد الله بن بريدة في قوله: ﴿عُرْبًا﴾ قال: الشكلة بلغة أهل مكة، والغنجة بلغة أهل المدينة^(٨).

وقال تميم بن حذلم: هي حسن التبعّل^(٩).

وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن: العُرب: حسنة الكلام^(١٠).

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن سهل بن عثمان العسكري، حدثنا أبو علي، عن جعفر بن

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده ومثله (المسند ص ٢٦٩ وسنده حسن، وأخرجه الترمذي من طريق عمران به وقال: صحيح غريب (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة ح ٢٥٣٦) وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح سنن الترمذي (ح ٢٠٥٩).

(٢) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الصغير ١٢/٢) وصححه الضياء المقدسي كما نقل الحافظ ابن كثير عنه.

(٣) هذا التفسير للطبري ذكره بعد رواية لابن عباس ليس فيها هذا اللفظ.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «متحبيات إلى أزواجهن» وكذا أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن سعيد بن جبير.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي أويس عن ثور بن يزيد به.

(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق يحيى بن يمان عن شعبة به.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق صالح بن حيّان به، وعزاه السيوطي إلى هناد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو سند ضعيف جداً.

(٩) أخرجه الطبري من طريق عثمان بن بشار عن تميم بن حذلم، ولم أقف على ترجمه لعثمان.

(١٠) أخرجه الطبري من طريق أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه، وأسامة ضعيف (التقريب ص ٩٨).

محمد، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرْبًا»، قال: كلامهنَّ عربي»^(١).

وقوله: «أَتْرَابًا» قال الضحاك، عن ابن عباس: يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة^(٢).

وقال مجاهد: الأتراب المستويات^(٣)، وفي رواية عنه الأمثال^(٤).

وقال عطية: الأقران^(٥).

وقال السدي: «أَتْرَابًا» أي: في الأخلاق المتواخيات بينهم، ليس بينهم تباغض ولا تحاسد؛ يعني: لا كما كن ضرائر متعاديات.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن عبد الله بن الكهف، عن الحسن ومحمد «عُرْبًا أَتْرَابًا»^(٦) قالوا: المستويات الأسنان يأتلفن جميعاً ويلعبن جميعاً^(٦).

وقد روى أبو عيسى الترمذي، عن أحمد بن منيع، عن أبي معاوية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعاً للهور العين يرفعن أصواتاً لم تسمع الخلائق بمثلها، قال: يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له». ثم قال: هذا حديث غريب^(٧).

وقال الحافظ أبو يعلى: أخبرنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا ابن أبي ذئب، عن فلان عبد الله بن رافع، عن بعض ولد أنس بن مالك، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن: نحن خيرات حسان خبتنا لأزواج كرام»^(٨).

قلت: إسماعيل بن عمر هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الأثبات.

وقد روى هذا الحديث الإمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدُحيم، عن ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع، عن ابن أنس، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحور العين يغنين في الجنة: نحن الحور الحسان، خلقنا لأزواج كرام»^(٩).

وقوله تعالى: «لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ»^(١٠) أي: خلقن لأصحاب اليمين [أو ادخرن لأصحاب اليمين]^(١٠) أو زوجن لأصحاب اليمين، والأظهر أنه متعلق بقوله: «إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً»^(١١) فَعَمَلْنَهُنَّ أَجْرًا^(١٢) عُرْبًا أَتْرَابًا^(١٣) لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ^(١٤) فتقديره أنشأناهن لأصحاب اليمين، وهذا توجيه ابن جرير.

(١) سنده ضعيف لعدم ذكر شيخ ابن أبي حاتم. (٢) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٣) عزاه السيوطي إلى هناد وعبد بن حميد.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) يشهد له ما سبق.

(٦) في سنده عبد الله بن الكهف لم أجده له ترجمة، ويشهد له ما سبق.

(٧) أخرجه الترمذي بسنده ومثله وحكمه (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في كلام حور العين ح ٢٥٧) وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن إسحاق وهو الواسطي (التقريب ص ٣٣٦).

(٨) عزاه الحافظ ابن حجر إلى أبي يعلى (المطالب العالية ٤٠٢/٤ ح ٤٦٨٤) وسنده ضعيف لجهالة الراوي عن أنس.

(٩) سنده ضعيف كسابقه. (١٠) زيادة من (حم) و(ح).

وروي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى قال: صليت ليلة ثم جلست أدعو وكان البرد شديداً فجعلت أدعو بيد واحدة، فأخذتني عيني فنمت فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول: يا أبا سليمان أتدعو بيد واحدة وأنا أغذى لك في النعيم منذ خمسمائة سنة.

قلت: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لَا ضَحْبَ الْيَمِينِ﴾ متعلقاً بما قبله وهو قوله: ﴿أَتَرَابًا﴾ (٢٧) ﴿لَا ضَحْبَ الْيَمِينِ﴾ (٢٨) أي: في أسنانهم، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث جرير، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب وورشهم المسك ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا: حدثنا حماد بن سلمة، وروى الطبراني واللفظ له من حديث حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جُرداً مُرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع»^(٢). وروى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن عمران القطان، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين بني ثلاث وثلاثين سنة» ثم قال: حسن غريب^(٣).

وقال ابن وهب: أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار» ورواه الترمذي، عن سويد بن نصر، عن ابن المبارك، عن رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث به^(٤).

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رثاب، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك! على حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد جُردٌ مُردٌ مكحلون»^(٥).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة مريم آية ٦٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه (المسند ٢/٢٩٥). وسنده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان. وأخرجه الطبراني من طريقه أيضاً (المعجم الأوسط ٥/٣١٨ ح ٥٤٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة محمد بن فراس عن أبي داود به، وقال الترمذي وبعض أصحاب قتادة روي هذا عن قتادة مرسلاً ولم يسندوه. (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في سنن أهل الجنة ح ٢٥٤٥). وسنده ضعيف لضعف شهر بن حوشب.

(٤) أخرجه الترمذي عن سويد بن نصر به. (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة ح ٢٥٦٢). وسنده ضعيف لضعف رشدين وضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٥) سند ضعيف لعدم سماع هارون من أنس، كما في تهذيب التهذيب، ولبعضه شواهد صحيحة.

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قالا: حدثنا عمر، عن الأوزاعي، عن هارون بن رثاب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين جرداً مرداً مكحلين. ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»^(١).

وقوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۖ﴾ أي: جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا محمد بن بكار، حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، عن عبد الله بن مسعود، قال: وكان بعضهم يأخذ عن بعض قال: أكرينا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه فقال: «عرضت عليّ الأنبياء وأتباعها بأممها فيمر علي النبي والنبي في العصابة! والنبي في الثلاثة والنبي وليس معه أحد - وتلا قتادة هذه الآية ﴿الَّذِينَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨] قال: حتى مرّ علي موسى بن عمران في كبكبة^(٢) من بني إسرائيل! قال: قلت: ربّ من هذا؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني إسرائيل! قال: قلت: ربّ من هذا؟ قال: أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني إسرائيل! قال: قلت: ربّ فأين أمتي؟ قال: انظر عن يمينك في الضراب قال: فإذا وجوه الرجال قال: قال أرضيت؟ قال: قلت: قد رضيت رب. قال: انظر إلى الأفق عن يسارك فإذا وجوه الرجال قال: أرضيت؟ قلت: قد رضيت رب. قال: فإن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب». قال: وأنشأ عكاشة بن محصن من بني أسد قال سعيد: وكان بدرياً قال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: فقال: «اللهم اجعله منهم» [قال أنشأ رجل آخر^(٣)] قال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «سبقك بها عكاشة» قال: فقال رسول الله ﷺ: «فإن استطعتم فداكم أبي وأمي أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا، وإلا فكونوا من أصحاب الضراب، وإلا فكونوا من أصحاب الأفق، فإني قد رأيت أناساً كثيراً قد تأشّبوا حوله - ثم قال: - إني لأرجو أن تكونوا ريع أهل الجنة» فكبرنا ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قال: فكبرنا قال: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» قال فكبرنا، قال: ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۖ﴾ قال: فقلنا بيننا: من هؤلاء السبعون ألفاً؟ فقلنا: هم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا. قال: [فبلغه]^(٤) ذلك فقال: «بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»^(٥). وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه^(٦)، وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها.

(١) سنده ضعيف لعدم سماع هارون من أنس. (٢) أي: جماعة متضامة من الناس.

(٣) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل بياض. (٤) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل بياض.

(٥) سنده ضعيف لضعف سعيد بن بشير كما في التقريب، وكذلك الحسن البصري لم يسمع من عمران بن الحصين (جامع التحصيل ص ١٩٥).

(٦) أخرجه الطبري من طريقين كلاهما عن الحسن البصري عن عمران بن الحصين به. وسنده ضعيف كسابقه.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، حدثنا سفيان، عن أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «هما جميعاً من أمتي»^(١).

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْيَنبِطِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أُنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَاطُ الْفَالُوكِ الْمَكْذُوبُونَ ﴿٥١﴾ لَا يَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن زُفُورٍ ﴿٥٢﴾ فَالِثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِّنَ الْخَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَتَشْرَبُونَ شَرْبَ الْهَمِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾.

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ ﴿٤١﴾ أي: أي شيء هم فيه أصحاب الشمال؟ ثم فسر ذلك فقال: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ وهو الهواء الحار ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وهو الماء الحار ﴿وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ﴾ قال ابن عباس: ظل الدخان^(٢)، وكذا قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وقتادة والسدي وغيرهم^(٣)، وهذه كقوله تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٤٧﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٤٨﴾ إِنَّهَا تَرَىٰ بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٥٠﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥١﴾ [المرسلات] ولهذا قال ههنا: ﴿وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ﴾ وهو الدخان الأسود ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ ﴿٤٤﴾ أي: ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر كما قال الحسن وقتادة: ﴿لَا كَرِيمٍ﴾ أي: ولا كريم المنظر^(٤). قال الضحاك: كل شراب ليس بعذب فليس بكريم^(٥).

وقال ابن جرير: العرب تتبع هذه اللفظة في النفي فيقولون: هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم. وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة^(٦). وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه^(٧).

ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ أي: كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون ما جاءتهم به الرسل ﴿وَكَانُوا يُصْرُونَ﴾ أي: يقيمون ولا ينوون توبة ﴿عَلَىٰ الْيَنبِطِ الْعَظِيمِ﴾ وهو الكفر بالله وجعل الأوثان والأنداد أرباباً من دون الله.

- (١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف جداً لأن أبان بن أبي عياش متروك. (التقريب ص ٨٦).
- (٢) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر، وأخرجه أيضاً الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «من دخان جهنم».
- (٣) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
- (٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جوير عن الضحاك.
- (٦) ذكره الطبري بلفظ: «والعرب تتبع كل منفي عنه صفة حمد»، نفى الكرم عنه.
- (٧) أي: الرواية السابقة بلفظ: «ظل الدخان».

قال ابن عباس: ﴿لَيْتَ الْعَظِيمِ﴾: الشرك^(١). وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم^(٢).

وقال الشعبي: هو اليمين الغموس^(٣) ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاكًا وَعِظْمًا إِذَا لَمَجُوعُونَ﴾ (٤٧) أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) يعني: أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعبدين لوقوعه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ (٥٠)﴾ أي: أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخريين من بني آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يغادر منهم أحداً، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ نَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (٥١) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ (٥٢) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (٥٣)﴾ [هود] ولهذا قال ههنا: ﴿لَمَجُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ (٥٠)﴾ أي: هو موقت بوقت محدود، لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْأَصْلَافُ الْمَكِيدُونَ (٥١) لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفَرٍ (٥٢) فَالْتَوَيْنَا مِنْهَا الْبَطُونَ (٥٣)﴾ وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم، ﴿فَنَشْرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَرِبُوا شَرِبَ الْحَمِيمِ (٥٥)﴾ وهي الإبل العطاش، واحداها أهيم والأنثى هيما، ويقال: هائم وهائمة.

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة: الهيم، الإبل العطاش الظماء^(٤). وعن عكرمة أنه قال: الهيم الإبل المراض تمص الماء مصاً ولا تروى^(٥). وقال السدي: ﴿الْهِيمِ﴾: داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذاك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً.

وعن خالد بن معدان أنه كان يكره أن يشرب شرب الهيم غبة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثاً. ثم قال تعالى: ﴿هَذَا نُزْلُهُ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)﴾ أي: هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم، كما قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (٥٧)﴾ [الكهف]، أي: ضيافة وكرامة.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدْ زُنَا بَيْنَكُمْ أَلَمْ تَكُنْ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ تَبْدَلَ أَمْنَالَكُمْ وَنُنَشِّقَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾.

يقول تعالى مقررًا للمعاد، وراذلاً على المكذبين به من أهل الزيف، والإلحاد من الذين قالوا:

- (١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
- (٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك. وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «الذنب» وكذا أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بلفظ: «الذنب العظيم».
- (٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد عن الشعبي بلفظ: «الكبائر».
- (٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة. وأخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن عكرمة، وأخرجه آدم وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «الإبل الهيم».
- (٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عمران بن حدير عن عكرمة.

﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَمُبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢]؟ وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد. فقال تعالى: ﴿تَحْنُ خَلْقَنَكُم﴾ أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى؟ ولهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلا تصدقون بالبعث! ثم قال مستدلاً عليهم بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ (٥٨) **﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾** (٥٩)؟ أي: أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك؟ ثم قال تعالى: ﴿تَحْنُ قَدْزَنَا يُنَكِّرُ الْمَوْتَ﴾ أي: صرفناه بينكم.

وقال الضحاك: ساوى فيه بين أهل السماء والأرض^(١). **﴿وَمَا تَحْنُ بِمَسْبُوثِينَ﴾** أي: وما نحن بعاجزين **﴿عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ أَمْنَلَكُمْ﴾** أي: نغير خلقكم يوم القيامة. **﴿وَنُنَشِّئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** أي: من الصفات والأحوال.

ثم قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾** (٦٠) أي: قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة وهي البداءة، قادر على النشأة الأخرى وهي الإعادة بطريق الأولى والأخرى، كما قال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾** [الروم: ٢٧] وقال تعالى: **﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾** (٦١) [مریم] **﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾** (٦٢) **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسَى خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْجِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾** (٦٣) **﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾** (٦٤) [يسر] وقال تعالى: **﴿يَتَحَسَّبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾** (٦٥) **﴿أَوَلَيْكَ نُطْفَةٌ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾** (٦٦) **﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَتُهُ فُتُورًا﴾** (٦٧) **﴿فَعَمَلُ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنثَى﴾** (٦٨) **﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾** (٦٩) [القيامة].

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٧٠) **﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾** (٧١) **﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَمْتُمْ فَتَكْهُونَ﴾** (٧٢) **﴿إِنَّا لَمَعْرِضُونَ﴾** (٧٣) **﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾** (٧٤) **﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾** (٧٥) **﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾** (٧٦) **﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُنْجَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾** (٧٧) **﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾** (٧٨) **﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾** (٧٩) **﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾** (٨٠) **﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾** (٨١).

يقول تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾** (٧٠)؟ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها **﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾** أي: تنبتونه في الأرض **﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾** أي: بل نحن الذين نفره قراره وننبتة في الأرض.

قال ابن جرير: وقد حدثني أحمد بن الوليد القرشي، حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي، حدثنا مغلد بن الحسين، عن هشام، عن محمد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولن: زرعت. ولكن قل: حرثت» قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قوله تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾** (٧٠) **﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾** (٧١) **﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾** (٧٢)؟^(٢) ورواه البزار، عن محمد بن عبد الرحيم، عن مسلم

(١) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، في سننه مسلم بن أبي مسلم الجرمي نقل الحافظ ابن حجر في ترجمته عن البيهقي هذا الإسناد ثم قال: غير قوي. (لسان الميزان ٣٢/٦).

الجرمي به^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن: لا تقولوا زرعنا ولكن قولوا: حرثنا^(٢). وروي عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ ﴿أَنْتُمْ تَزْعُمُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^(٣) وأمثالها يقول: بل أنت يا رب^(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ أي: نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمة بكم بل ولو نشاء لجعلناه حطاماً؛ أي: لأيسنناه قبل استوائه واستحصاده ﴿فَطَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ﴾ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾^(٤) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ^(٥) أي: لو جعلناه حطاماً لظللتم تفكهون في المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة إنا لمغرمون؛ أي: لملقون.

وقال مجاهد وعكرمة: إنا لمولع بنا^(٤).

وقال قتادة: معذبون^(٥) وتارة يقولون: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾^(٥).

وقال مجاهد أيضاً: ﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾^(٦) ملقون للبشر^(٦)؛ أي: بل نحن محارفون، قاله قتادة^(٧)؛ أي: لا يثبت لنا مال، ولا ينتج لنا ربح.

وقال مجاهد: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾^(٧)؛ أي: محدودون^(٨) يعني: لا حظ لنا.

وقال ابن عباس ومجاهد: ﴿فَطَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ﴾ تعجبون^(٩).

وقال مجاهد أيضاً: ﴿فَطَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ﴾ تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم^(١٠)، وهذا يرجع إلى الأول، وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم، وهذا اختيار ابن جرير. وقال عكرمة: ﴿فَطَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ﴾ تلاومون^(١١).

وقال الحسن وقاتدة والسدي: ﴿فَطَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ﴾ تندمون^(١٢)، ومعناه: إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب.

(١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح ١٢٨٩) وسنده كسابقه.

(٢) سنده حسن.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (المصنف رقم ٤٠٥٣)، والحاكم كلاهما من طريق معمر عن شداد بن جابان عن حجر بن قيس المدري، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٧٧/٢).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن مجاهد، وأخرجه أيضاً بسند حسن من طريق يزيد النحوي عن عكرمة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(١٠) هذا قول الطبري ثم أخرجه بنحوه بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١١) أخرجه الطبري بسندين قد يقوي أحدهما الآخر.

(١٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

قال [الكسائي]^(١): تفكه من الأضداد، تقول العرب تفككت بمعنى تنعمت، وتفككت بمعنى حزن^(٢).

ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ يعني: السحاب، قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد^(٣).

﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ يقول: بل نحن المنزلون ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ أي: زعافاً مرّاً لا يصلح لشرب ولا زرع ﴿فَلَوْلَا نَشْكُرُوتُ﴾ أي: فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٦٤﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النحل].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن جابر، عن أبي جعفر، عن النبي ﷺ أنه كان إذا شرب الماء قال: «الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا»^(٤).

ثم قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٦٦﴾﴾ أي: تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أي: بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها. وللعب شجرتان (إحدهما) المرخ، (والأخرى) العفار، إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار.

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ قال مجاهد وقتادة: أي تذكر النار الكبرى^(٥)، قال قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: «يا قوم ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية. قال: «إنها قد ضربت بالماء ضربتين - أو مرتين - حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها»^(٦). وهذا الذي أرسله قتادة قد رواه الإمام أحمد في مسنده فقال: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد»^(٧).

وقال الإمام مالك: عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، فقال: «إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً»^(٨). رواه البخاري من حديث مالك ومسلم من حديث أبي الزناد ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة

(١) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض. (٢) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٢٨٨/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ويتقوى بما أخرجه آدم والطبري بسند صحيح.

(٤) سنده ضعيف لإرساله.

(٥) أخرجه آدم بن أبي آياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) الحديث تنمة للأثر السابق لكنه مرسل ويشهد لشقه الأول الحديث التالي.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٤٤/٢) وسنده صحيح.

(٨) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثله (الموطأ)، كتاب جهنم، باب ما جاء في صفة جهنم، ٧٥٩/٢ ح (١). وسنده صحيح.

به^(١). وفي لفظ «والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»^(٢).

وقد قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو الخلال، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا معن بن عيسى القزار، عن مالك، عن عمه أبي السهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم؟ لهي أشد سواداً من ناركم هذه بسبعين ضعفاً»^(٣).

قال الضياء المقدسي: وقد رواه ابن مصعب، عن مالك، ولم يرفعه وهو عندي على شرط الصحيح. وقوله تعالى: ﴿وَمَتَّعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والنضر بن عربي: يعني بالمقوين: المسافرين^(٤)، واختاره ابن جرير وقال: ومنه قولهم أقوت الدار إذا رحل أهلها. وقال غيره: القي والقواء: القفر الخالي البعيد من العمران.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: المقوي ههنا الجائع^(٥).

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: ﴿وَمَتَّعًا لِلْمُقْوِينَ﴾، للحاضر والمساfer لكل طعام لا يصلحه إلا النار^(٦)، وكذا روى سفيان، عن جابر الجعفي، عن مجاهد^(٧).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: قوله: ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ يعني: المستمتعين من الناس أجمعين^(٨)، وكذا ذكر عن عكرمة، وهذا التفسير أعم من غيره، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير الجميع محتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع، ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فأطبخ بها واصطلى بها واشتوى، واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات، لهذا أفرد المسافرين وإن كان ذلك عاماً في حق الناس كلهم! وقد يستدل به بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خدّاش حبان بن زيد الشرعي الشامي، عن رجل من المهاجرين من قرن أن رسول الله ﷺ قال: «المسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكأ والماء»^(٩). وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة قال: قال

(١) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (ح ٣٢٦٥) وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في شدة حر جهنم بعد (ح ٢٨٤٣).

(٢) المصدر السابق (٢٨٤٣).

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الأوسط ١/ ٣٠٠ ح ٤٨٩) ويشهد له ما سبق في رواية مالك والشيخين، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٧).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٦) في سنده ليث فيه مقال ويخالف ما صح عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري من طريق سفيان به، وسنده ضعيف لضعف جابر وهو ابن يزيد الجعفي.

(٨) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٩) (المسند ٥/ ٣٦٤) وسنن أبي داود، البيوع، باب في منع الماء (ح ٣٤٧٧) وصححه الألباني في صحيح سنن

أبي داود (ح ٢٩٦٨).

رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يمنعن: الماء والكلاء والنار»^(١) وله من حديث ابن عباس مرفوعاً مثل هذا وزيادة: وثمنه حرام، ولكن في إسناده عبد الله بن خراش بن حوشب وهو ضعيف، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٧٤) أي: الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة: الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً كالبهار المغرقة، وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزاجراً لهم في المعاد^(٢).

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾^(٧٥) وَإِنَّكُمْ لَفَسَدْتُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمُ﴾^(٧٦) إِنَّكُمْ لَقَرَأْتُمْ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

قال جوير، عن الضحاك: إن الله تعالى لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتح يستفتح به كلامه^(٣)، وهذا القول ضعيف، والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته، ثم قال بعض المفسرين: لا ههنا زائدة وتقديره أقسم بمواقع النجوم، ورواه ابن جرير عن سعيد بن جبير^(٤). ويكون جوابه ﴿إِنَّكُمْ لَقَرَأْتُمْ كَرِيمٌ﴾^(٧٦).

وقال آخرون: ليست لا زائدة لا معنى لها بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسماً به على منفي كقول عائشة رضي الله عنها: لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط^(٥)، وهكذا ههنا تقدير الكلام: لا أقسم بمواقع النجوم، ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم.

وقال ابن جرير: وقال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ فليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد ذلك فقليل: أقسم^(٦). واختلفوا في معنى قوله: ﴿بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ فقال حكيم بن جبير: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يعني: نجوم القرآن فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً في السنين بعد. ثم قرأ ابن عباس هذه الآية^(٧).

وقال الضحاك، عن ابن عباس: نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفارة

(١) سنن ابن ماجه، الرهون باب المسلمون شركاء في ثلاث (ح ٢٤٧٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٠٠٥).

(٢) المصدر السابق (ح ٢٤٧٢) وصححه الألباني دون قوله: وثمنه حرام صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٠٠٤).

(٣) سنده ضعيف جداً لأن جوير متروك كما في التقريب.

(٤) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو حميد الرازي وهو ضعيف، ولفظه: أقسم.

(٥) أخرجه البخاري (الصحيح، الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام ح ٢٧١٣).

(٦) ذكره الطبري بلفظه.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري كلاهما من طريق حكيم بن جبير به وسنده ضعيف لضعف حكيم

(التقريب ص ١٧٦) ويتقوى برواية عكرمة عن ابن عباس المتقدمة في تفسير سورة الإسراء آية ١٠٦.

الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة فهو قوله: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ ﴿٧٥﴾ نجوم القرآن^(١)، وكذا قال عكرمة ومجاهد والسدي وأبو حزره^(٢).

وقال مجاهد أيضاً: مواقع النجوم في السماء ويقال: مطالعها ومشارقها^(٣).

وكذا قال الحسن وقتادة^(٤) وهو اختيار ابن جرير.

وعن قتادة: مواقعها منازلها^(٥).

وعن الحسن أيضاً: أن المراد بذلك انتشارها يوم القيامة^(٦).

وقال الضحاك: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ ﴿٧٥﴾ يعني: بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا أمطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا.

وقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَقَسَمْتُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ﴿٧٦﴾ أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمتهم لعظمتهم المقسم به عليه ﴿إِنَّكُمْ لَقَرَأْتُمْ كَرِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾ أي: إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ ﴿٧٨﴾ أي: معظم، في كتاب معظم محفوظ موقر.

وقال ابن جرير: حدثني إسماعيل بن موسى: أخبرنا شريك، عن حكيم هو: ابن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ قال: الكتاب الذي في السماء^(٧).

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ يعني: الملائكة^(٨)، وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد، وأبو نهيك والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم^(٩).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، حدثنا معمر، عن قتادة ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ قال: لا يمسّه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فإنه يمسّه المجوس النجس، والمنافق الرجس، وقال: وهي في قراءة ابن مسعود: «ما يمسّه إلا المطهرون»^(١٠).

(١) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس، ويشهد لبعضه ما تقدم في تخريج الرواية السابقة.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عكرمة.

(٣) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وسنده ضعيف لضعف حكيم بن جبير (التقريب ص ١٧٦).

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوى بالآثار التالية. وأخرجه الطبري من قول جابر بن

زيد وأبي نهيك وعكرمة، وفي أسانيدهم ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ويتقوى بما

سبق.

(٩) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بأسانيد من طريق

الربيع بن أبي راشد عن سعيد بن جبير، والربيع لم أجده له ترجمة.

(١٠) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وسنده إلى قتادة صحيح، ولكنه منقطع عن ابن مسعود لأن قتادة لم يسمع منه.

وقال أبو العالية: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٦) ليس أنتم، أنتم أصحاب الذنوب^(١).

وقال ابن زيد: زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون^(٢) كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (٧٦) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعُزُونَ﴾ [الشعراء] وهذا القول قول جيد، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله.

وقال الفراء: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به^(٣).

وقال آخرون: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٦) أي: من الجنابة والحدث قالوا: ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن ههنا المصحف، كما روى مسلم، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو^(٤). واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم: أن لا يمس القرآن إلا طاهر^(٥).

وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال: «ولا يمس القرآن إلا طاهر»^(٦). وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره، ومثل هذا ينبغي الأخذ به، وقد أسنده الدارقطني، عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبي العاص وفي إسناد كل منهما نظر^(٧)، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠) أي: هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر، بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع.

وقوله تعالى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ﴾ (٨١) قال العوفي، عن ابن عباس: أي مكذبون غير مصدقين^(٨)، وكذا قال الضحاك وأبو حذرة والسدي.

وقال مجاهد: ﴿مُذْهَبُونَ﴾ أي: تريدون أن تمالئوهم فيه وتركوا إليهم^(٩). ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ (٨٢) قال بعضهم: معنى ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ بمعنى شكركم أنكم تكذبون [أي تكذبون بدل

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٥٤٨/١٣) والطبري بسند حسن من طريق عاصم الأحول عن أبي العالية.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) ذكره الفراء (معاني القرآن ١٣٠/٣).

(٤) أخرجه مسلم (الصحيح، الإمامة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم ح ١٨٦٩).

(٥) الموطأ، القرآن، باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن ١٧٧/١ ح ١. وسنده مرسل.

(٦) أخرجه أبو داود وقال: روي هذا الحديث مسنداً ولا يصح. (المراسل ح ٩٤).

(٧) سنن الدارقطني، الطهارة، باب في نهى المحدث عن مس القرآن ٢٢/١ (ح ٥) وألمح الحافظ ابن كثير إلى تضعيفه، وضعفه الألباني (إرواء الغليل ١٥٨/١).

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

الشكر، وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرآها «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»^(١) [٢] كما سيأتي وقال ابن جرير: وقد ذكر عن الهيثم بن عدي أن من لغة أزدشنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكر فلان^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل، عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «وتجعلون رزقكم يقول: شكركم أنكم تكذبون، وتقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا»^(٤). وهكذا رواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن مخول بن إبراهيم النهدي، وابن جرير، عن محمد بن المثنى، عن عبيد الله بن موسى، وعن يعقوب بن إبراهيم، عن يحيى بن أبي بكير، ثلاثتهم عن إسرائيل به مرفوعاً، وكذا رواه الترمذي، عن أحمد بن منيع، عن حسين بن محمد وهو: المروزي به، وقال: حسن غريب، وقد رواه سفيان الثوري، عن عبد الأعلى ولم يرفعه^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا. وقرأ ابن عباس (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون)^(٦). وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس. وقال مالك في الموطأ: عن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت في الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب»^(٧). أخرجاه في الصحيحين وأبو داود والنسائي، كلهم من حديث مالك به^(٨).

وقال مسلم: حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعمرو بن سواد، حدثنا عبد الله بن وهب، عن

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسرائيل عن عبد الأعلى التغلبي عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي، وهي قراءة شاذة تفسيرية، وأخرجه الثوري عن عبد الأعلى به (ينظر: سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الواقعة بعد ح ٣٢٩٥). وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وصححه الحافظ ابن كثير كما سيأتي.

(٣) ذكره الطبري بلفظه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢/ ٢١٠ ح ٨٤٩) وقال محققوه: حسن لغيره.

(٥) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الواقعة (ح ٣٢٩٥). وأخرجه الضياء المقدسي من طريق حسين بن محمد به (المختارة ٢/ ١٩١ ح ٥٧١) وحسن سنده محققه، والراجح وقفه على علي عليه السلام.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح.

(٧) الموطأ، الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم ١/ ١٧٠ (ح ٤).

(٨) صحيح البخاري، الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (ح ٨٤٦)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب كفر من قال: مطرنا بالنوء (ح ١٢٥).

عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا»^(١). انفرد به مسلم من هذا الوجه.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا سفيان، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسهم بها فيصبح بها قوم كافرين، يقولون: مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا»، قال محمد: هو ابن إبراهيم، فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال: ونحن قد سمعنا من أبي هريرة، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي، فلما استسقى التفت إلى العباس فقال: يا عباس يا عم رسول الله: كم أبقى من نوء الثريا؟ فقال: العلماء يزعمون أنها تعرض في الأفق بعد سقوطها سبعا، قال: فما مضت سابعة حتى مُطَرُوا^(٢).

وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر، لا أن ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزول المطر، فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده، وقد تقدم شيء من هذه الأحاديث عند قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية فيما أحسبه أو غيره أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً ومُطَرُوا يقول: مُطَرْنَا ببعض عثانين الأسد، فقال: «كذبت بل هو رزق الله»^(٣).

ثم قال ابن جرير: حدثني أبو صالح الصراري، حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدي، حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «ما مُطَر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين، ثم قال: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٤) يقول قائل: مطرنا بنجم كذا وكذا»^(٥). وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعاً: «لو قحط الناس سبع سنين ثم أمطروا لقالوا: مُطَرْنَا بنوء المجدح»^{(٥)(٦)}.

وقال مجاهد: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٦) قال: قولهم في الأنواء مُطَرْنَا بنوء كذا، وبنوء كذا، يقول: قولوا هو من عند الله وهو رزقه^(٧)، وهكذا قال الضحاك وغير واحد^(٨).

وقال قتادة: أما الحسن فكان يقول: بئس ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا

(١) أخرجه مسلم بسنده ومثله. (المصدر السابق، الحديث الذي بعده مباشرة).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وأخرجه الحميدي من طريق سفيان به (المسند ٤٣٢/٢ ح ٩٧٩) وسنده ضعيف لعنعة ابن إسحاق.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لإرساله وترده.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف جداً لأن جعفر بن الزبير متروك. (التقريب ص ١٤٠)

(٥) هو اسم نجم من النجوم.

(٦) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد مرفوعاً. (المسند ٩٥/١٧ ح ١١٠٤٢). وحسنه محققوه.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه، ويتقوى بسابقه.

التكذيب^(١)، فمعنى قول الحسن هذا وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ولهذا قال قبله: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُعْثُورُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ ﴿٨٣﴾ أَي: الروح ﴿الْحُلُقُومَ﴾ أَي: الحلق وذلك حين الاحتضار، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْتَرَاقِي ﴿٨٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٨٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٨٨﴾ وَالْقَبْتُ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٨٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٩٠﴾﴾ [القيامة] ولهذا قال ههنا: ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أَي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴿٨٥﴾﴾ أَي: بملائكتنا ﴿وَلَكِنْ لَا بُعْثُورُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أَي: ولكن لا ترونهم، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٩١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَمَرٌ غَلِيظٌ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا﴾ معناه فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من الجسد إن كنتم غير مدنيين.

قال ابن عباس: يعني محاسبين^(٢)، وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي حنيفة^(٣).

وقال سعيد بن جبيرة والحسن البصري: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ غير مصدقين^(٤) أنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس.

وعن مجاهد: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير موقنين^(٥).

وقال ميمون بن مهران: غير معذبين مقهورين.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٩٣﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٦﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٧﴾ فَتَرْزِيلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٨﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿١٠٠﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١٠١﴾﴾

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم، إما أن يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أَي: المحتضر ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم الذين فعلوا

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف، وهو الأعرابي، عن الحسن.

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ (٨٩) أي: فلهم روح ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء أن ملائكة الرحمة تقول: أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان^(١).

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿فَرَوْحٌ﴾ يقول: راحة، وريحان يقول: مستراحة^(٢)، وكذا قال مجاهد: إن الروح الاستراحة^(٣).

وقال أبو حذرة: الراحة من الدنيا.

وقال سعيد بن جبير والسدي: الروح الفرح^(٤).

وعن مجاهد: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ جنة ورحاء.

وقال قتادة: فروح فرحة^(٥).

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: وريحان: ورزق^(٦)، وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق الحسن، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾.

وقال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه^(٧) فيه.

وقال محمد بن كعب: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار، وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [٢٧] ولو كتبت ههنا لكان حسناً، من جملتها حديث تميم الداري، عن النبي ﷺ يقول: «يقول الله تعالى لملك الموت انطلق إلى [فلان فائتني به فإنه قد جربته بالسراء والضراء]^(٨) فوجدته حيث أحب، ائتني فلأريحه، قال: فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة، ومعهم ضبائر الريحان - أصل الريحانة واحد - وفي رأسها عشرون لوناً لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك^(٩). وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية.

قال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا هارون، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) تقدم تخريجه بالأسانيد المتقدمة في الروايات الأربع السابقة.

(٧) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية.

(٨) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.

(٩) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.

شقيق، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ ﴿فَرُوحٌ وَرَّيْحَانٌ﴾ برفع الراء^(١)، وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث هارون، وهو ابن موسى الأعمش به، وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديثه^(٢). وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده وخالفه الباقر فقرأوا ﴿فَرُوحٌ وَرَّيْحَانٌ﴾ بفتح الراء.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أنه سمع [دُرَّةَ]^(٣) بنت معاذ تحدث عن أم هانئ، أنها سألت رسول الله ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «يكون النسم طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها»^(٤). هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن، ومعنى يعلق يأكل، ويشهد له بالصحة أيضاً ما رواه الإمام أحمد، عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، عن الإمام مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبي، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»^(٥). وهذا إسناد عظيم ومتن قوي.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش» الحديث^(٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا عطاء بن السائب قال: كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيخاً أبيض الرأس واللحية على حمار، وهو يتبع جنازة فسمعتة يقول: حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول: «من أحب لقاء الله أحب لقاء الله، ومن كره لقاء الله كره لقاء الله» قال: فأكب القوم يبكون، فقال: «ما يبكيكم؟» فقالوا: إنا نكره الموت، قال: «ليس ذاك ولكنه إذا احتضر ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿فَرُوحٌ وَرَّيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ ﴿٨٩﴾ فإذا بُشِّرَ بذلك أحب لقاء الله ﷻ، والله ﷻ للقاءه أحب ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الْأَفْالِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ فَرُلْ مِنْ حِمِيرٍ ﴿٩١﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٢﴾، فإذا بُشِّرَ بذلك كره لقاء الله ﷻ تعالى للقاءه أكره»^(٧)، هكذا رواه الإمام أحمد، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها^(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ أي: وأما إذا كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَلِيمِينَ﴾ ﴿٩١﴾ أي: تبشرهم الملائكة بذلك تقول

- (١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٠/٤١٠ ح ٢٤٣٥٢) وصححه سندته محققوه. والقراءة متواترة.
- (٢) سنن أبي داود، الحروف والقراءات (ح ٣٩٩١)، وسنن الترمذي، أبواب القراءات (ح ٣١١٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي بعد (ح ٢٣٤٠).
- (٣) كذا بالذال كما في المسند وترجمتها في الإكمال وتعجيل المنفعة، وفي الأصول الخطبة بالذال: «دره».
- (٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٥/٣٨٣ ح ٢٧٣٨٧) وقال محققوه: صحيح لغيره. ولو قالوا: حسن لغيره لكان أضعف، ويشهد له ما يليه.
- (٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٥/٥٨ ح ١٥٧٧٨) وصححه سندته محققوه، ومن قبلهم الحافظ ابن كثير.
- (٦) صحيح مسلم، الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (ح ١٨٨٧).
- (٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٠/٢١٦ ح ١٨٢٨٣) وحسن سندته محققوه.
- (٨) صحيح مسلم، الذكر والدعاء، باب من أحب الله أحب لقاءه (ح ٢٦٨٤).

لأحدهم: سلام لك؛ أي: لا بأس عليك أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين.

وقال قتادة وابن زيد: سلم من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله^(١)، كما قال عكرمة: تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين، وهذا معنى حسن، ويكون ذلك كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ تَحْنُ أُولَآئِكَمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت].

وقال البخاري: ﴿سَلَّمَ لَكَ﴾ أي: مسلم لك أنك ﴿مِنْ أَحْبَابِ الْيَمِينِ﴾ وألغيت إن وبقي معناها كما تقول أنت مصدق مسافر عن قليل إذا كان قد قال إني مسافر عن قليل، وقد يكون كالدعاء له كقولك: سقياً لك من الرجال إن رفعت السلام، فهو من الدعاء^(٢)، وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال إليه والله أعلم^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ حِمِيرٍ ﴿٩٢﴾ وَنَصْلِيَّةً حَمِيرٍ ﴿٩٣﴾﴾ أي: وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ﴿نَزَّلْنَا﴾ أي: فضيافة ﴿مِنْ حِمِيرٍ﴾ وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿وَنَصْلِيَّةً حَمِيرٍ﴾ أي: وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ أي: إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه ﴿فَسَيَحِبُّكُمْ رَبُّكَ الْعَظِيمُ ﴿٩٦﴾﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا موسى بن أيوب الغافقي، حدثني عمي إياس بن عامر، عن عقبه بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿فَسَيَحِبُّكُمْ رَبُّكَ الْعَظِيمُ ﴿٩٦﴾﴾ قال: «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت ﴿سَيَحِبُّكُمْ رَبُّكَ الْعَظِيمُ﴾ [الأعلى] قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»^(٤). وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أيوب^(٥) به.

وقال روح بن عبادة: حدثنا حجاج الصواف، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة». هكذا رواه الترمذي من حديث روح، ورواه هو والنسائي أيضاً من حديث حماد بن سلمة، من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ به، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) ذكره البخاري بلفظه (ينظر فتح الباري ٦٢٥/٨) وهو منقول عن الفراء في (معاني القرآن ١٣١/٣).

(٣) أي: نقله عن الفراء أيضاً.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومته (المسند ١٥٥/٤). وفي سنده موسى بن أيوب: مقبول (التقريب ص ٥٤٩).

(٥) سنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه (ح ٨٦٩) وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب التسبيح في الركوع والسجود (ح ٨٨٧) وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٦) سنن الترمذي، الدعوات، باب فضل سبحان الله (ح ٣٤٦٠) والسنن الكبرى، عمل اليوم والليلة (ح ١٠٦٦٣) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٧٥٧).

وقال البخاري في آخر كتابه: حدثنا أحمد بن أشكاب، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عمار بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(١). ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل بإسناده مثله^(٢). آخر تفسير سورة الواقعة، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه البخاري بسنده وامتنه (الصحيح، التوحيد، قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ح ٧٥٦٣).

(٢) صحيح مسلم، الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (ح ٢٦٩٤).

سُورَةُ الْحَٰدِّثِ

وهي مدنية

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا بَقِيَّةُ بن الوليد، حدثني بَحِير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن ابن أبي بلال، عن عرياض بن سارية أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال: «إِنَّ فِيْهِنَّ آيَةٌ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ»^(١). وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن بَقِيَّة به.

وقال الترمذي: حسن غريب^(٢). ورواه النسائي، عن ابن أبي السرح، عن ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن بَحِير بن سعد، عن خالد بن معدان قال: كان رسول الله ﷺ يذكره مرسلًا^(٣)، ولم يذكر عبد الله بن أبي بلال ولا العرياض بن سارية، والآية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤) كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى، وبه الثقة [وعليه التكلان، وهو حسبننا ونعم الوكيل]^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١) لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٣).

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض؛ أي: من الحيوانات والنباتات، كما قال في الآية الأخرى: ﴿سُبِّحْ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيْهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٤) [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: الذي قد خضع له كل شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه وأمره وشرعه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/١٢٨) وسنده ضعيف.

(٢) سنن أبي داود، الأدب، باب ما يقال عند النوم (ح ٥٠٥٧، وسنن الترمذي، ثواب القرآن، باب رقم ٢١ ح ٢٩٢١)، والسنن الكبرى للنسائي، باب عمل اليوم والليلة (ح ١٠٥٤٩) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ١٠٧٣).

(٣) السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة (ح ١٠٥٥١).

(٤) زيادة من (ح).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرياض بن سارية أنها أفضل من ألف آية.

وقال أبو داود: حدثنا عباس بن عبد العظيم، حدثنا النضر بن محمد، حدثنا عكرمة؛ - يعني: ابن عمار - حدثنا أبو زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله تعالى: ﴿إِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية [يونس: ٩٤]، قال: وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١) وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولاً.

وقال البخاري: قال يحيى: الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً (٢).

وقال شيخنا الحافظ المزي: يحيى هذا هو ابن زياد الفراء، له كتاب سماه «معاني القرآن» (٣)، وقد ورد في ذلك أحاديث، فمن ذلك ما قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا ابن عياش، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر» (٤).

ورواه مسلم في صحيحه: حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر، وكان يروي ذلك عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ (٥).

وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا فقال: حدثنا عقبه، حدثنا يونس، حدثنا السري بن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة أنها

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، الأدب، باب في رد الوسوسة ح ٥١١٠) وحسن سنده الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٢٦٢).

(٢) ذكره البخاري بلفظ (الصحيح، التفسير سورة الحديد بعد ح ٤٨٨١). وهو منقول عن الفراء كما يلي:

(٣) معاني القرآن ١٣٢/٣.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٥/١٤٠ ح ٩٢٤٧). وصححه محققوه.

(٥) أخرجه مسلم بسنده ومثله وتعليقه. (الصحيح، الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ح ٢٧١٣).

قالت: كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة، فإذا أوى إليه توسد كفه اليمنى ثم همس ما يدرى ما يقول، فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، إِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ وَمَنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى. أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، أَقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»^(١). السري بن إسماعيل هذا هو ابن عمِّ الشعبي، وهو: ضعيف جداً، والله أعلم.

وقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدثنا عبد بن حميد وغير واحد المعنى واحد قالوا: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة قال: حدث الحسن، عن أبي هريرة قال: بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم صاحب فقال نبي الله ﷺ: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا العنان هذه روايا الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه. ثم قال: هل تدرون ما فوقكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها الرفيع سقف محفوظ وموج مكفوف. ثم قال: هل تدرون كم بينكم وبينها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بينكم وبينها خمسمائة سنة. ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن فوق ذلك سماء بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة، حتى عدَّ سبع سماوات ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل بعد ما بين السماءين، ثم قال: هل تدرون ما الذي تحت ذلك. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة، حتى عدَّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلاً إلى الأرض السفلى لهبط على الله ثم قرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ويروى عن أيوب ويونس؛ يعني: ابن عبيد وعلي بن زيد وقالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه^(٢)، انتهى كلامه.

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن سريج، عن الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فذكره وعنده وبعد ما بين الأرضين مسيرة سبعمائة عام وقال: لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لهبط على الله ثم قرأ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٢١٠/٨ ح ٤٧٤٤) وسنده ضعيف لكن يشهد له سابقه.

(٢) أخرجه الترمذي بسنده ومثله وتعليقه وحكمه. (السنن، التفسير، باب ومن سورة الحديد ح ٣٢٩٨). وسنده ضعيف، لانقطاعه بين الحسن وأبي هريرة.

وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿٤﴾^(١). ورواه ابن أبي حاتم والبزار من حديث أبي جعفر الرازي، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة فذكر الحديث^(٢) ولم يذكر ابن أبي حاتم آخره، وهو قوله: لو دلّيتم بحبل وإنما قال: حتى عدّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام، ثم تلا ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿٤﴾﴾. وقال البزار: لم يروه عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة.

ورواه ابن جرير، عن بشر، عن يزيد، عن سعيد، عن قتادة ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾. وذكر لنا أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس في أصحابه إذ مرّ عليهم سحاب فقال: هل تدرون ما هذا^(٣)؟ وذكر الحديث مثل سياق الترمذي سواء، إلا أنه مرسل من هذا الوجه، ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم. وقد روي من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه، رواه البزار في مسنده والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات»^(٤)، ولكن في إسناده نظر وفي متنه غرابة ونكارة، والله ﷻ أعلم.

وقال ابن جرير عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض فقال بعضهم لبعض: من أين جئت؟ قال أحدهم: أرسلني ربي ﷻ من السماء السابعة وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من الأرض السابعة وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من المشرق وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من المغرب وتركته ثم^(٥). وهذا حديث غريب جداً، وقد يكون الحديث الأول موقوفاً على قتادة كما روي ههنا من قوله، والله أعلم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرْجِعُ الْأُمُورَ ﴿٥﴾﴾ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾.

يخبر تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم أخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن، وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهاها في سورة الأعراف^(٦) بما أغنى عن إعادته ههنا.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢/ ٣٧٠) وسنده ضعيف كسابقه، وقال ابن الجوزي حديث منكر العلل (٢٧/١).

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار ٢/ ٢٨٩ وسنده ضعيف كسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإرساله.

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥٠٦ وقال الجوزقاني: حديث منكر (الأباطيل ١/ ٦٨) وضعفه الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لأنه مرسل ومثله لا يؤخذ إلا من الوحي لأنه من الغيبات.

(٦) في الآية ٥٤.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يعلم عدد ما يدخل فيها من حَبٍّ وقطر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وزرع وثمار كما قال تعالى: ﴿وَعِنْدُ مَفَاتِحِ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَالْبَحْرِ وَمَا قَسْفُتْ مِنْ رَوْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من الأمطار، والثلوج والبرد والأقذار، والأحكام مع الملائكة الكرام. وقد تقدم في سورة البقرة أنه ما ينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا﴾ أي: من الملائكة والأعمال كما جاء في الصحيح: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم براً أو بحراً، في ليل أو نهار في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِیَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَدَاتُ الْأَعْدُوِّ﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالنُّيُوتِ وَسَارٍ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد] فلا إله غيره ولا رب سواه؛ وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: لما سأله عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٢).

وروى الحافظ أبو بكر الإسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة: حدثني أبي، عن نصر بن علقمة، عن أخيه، عن عبد الرحمن بن عائذ قال: قال عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: زودني حكمة أعيش بها فقال: «استح الله كما تستحي رجلاً من صالح عشيرتك لا يفارقك»^(٣). هذا حديث غريب.

وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري مرفوعاً: «ثلاث من فعلهنَّ فَقَدْ طَعِمَ الإيمان إن عَبَدَ الله وحده، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام، ولم يعط الهمة ولا الدرة»^(٤) ولا الشَّرط اللثيمة^(٥) ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم وزكى نفسه» وقال رجل: يا رسول الله ما تزكية المرء نفسه؟ فقال: «يعلم أن الله معه حيث كان»^(٦).

(١) صحيح مسلم، الإيمان، باب في قوله ﷺ: «إن الله لا ينام» (ح ١٧٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) عزاه الحافظ ابن كثير إلى الإسماعيلي من حديث ابن خزيمة بن جنادة به، وقال: إسناده غريب. (مسند الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ٦٠٩/٢). وخرجه الألباني من مصادر أخرى وحكم بجودة السند. (السلسلة الصحيحة ٣٧٦/٢ ح ٧).

(٤) أي: الجرباء. (٥) أي: رذال المال.

(٦) أخرجه أبو داود (السنن، الزكاة، باب في زكاة السائمة ح ١٥٨٢) والبيهقي من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري (السنن الكبرى ٩٦/٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٤٠٠).

وقال نعيم بن حماد رحمته الله: حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، عن محمد بن مهاجر، عن عروة بن رويم، عن عبد الرحمن بن غنم، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت»^(١) غريب. وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ تُرْجِعُ الْأُمُورَ ۖ أَي: هو المالك للعالمين والآخر كما قال تعالى: ﴿وَإِن لَّنَا لَلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [الليل] وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠] وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ]، فجميع ما في السموات والأرض ملك له، وأهلها عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۚ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۚ﴾ [مریم] ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ تُرْجِعُ الْأُمُورَ ۖ أَي: إليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة بل إن يكن عمل أحدهم حسنة واحدة يضاعفها إلى عشرة أمثالها ﴿وَيُؤْتِي مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وكما قال تعالى: ﴿رَضِعُوا الرُّضُوعَ الْيَوْمَ فَالْيَوْمَ أَفْقِيصُهُمْ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ ۚ أَي: هو المتصرف في الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء، فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس، وتارة يتركهما معتدلين، وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعاً ثم قيطاً ثم خريفاً، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد به خلقه ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أَي: يعلم السرائر وإن دقت وخفيت.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۖ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٧) هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٩) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَمْ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٠).

أمر تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار، وحث على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه؛ أَي: مما هو معكم على سبيل

(١) أخرجه الطبراني (المعجم الأوسط ٣٣٦/٨ ح ٨٧٩٦)، وأبو نعيم (الحلية ١٢٤/٦) كلاهما من طريق نعيم بن حماد به، ونعيم بن حماد صدوق يخطي كثيراً (التقريب ص ٥٦٤).

العارية، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد الله تعالى إلى استعمال ما استخلفتم فيه من المال في طاعته، فإن فعلوا وإلا حاسبكم عليه وعاقبكم لترككم الواجبات فيه. وقوله تعالى: ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾ فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك، ففعل وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك، أو يعصي الله فيه فتكون قد سعت في معاونته على الإثم والعدوان.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «ألهاكم التكاثر، يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟»^(١). ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد: «وما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة ثم قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِيُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ أي: وأي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به.

وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح كتاب الإيمان من «صحيح البخاري» أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ قالوا: فالأنبياء. قال: وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟ قالوا: فنحن. قال: وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها»^(٣). وقد ذكرنا طرفاً من هذه الرواية في أول سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا لَكُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧] ويعني: بذلك بيعة الرسول ﷺ.

وزعم ابن جرير أن المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم وهو مذهب مجاهد^(٤)، فالله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: حججاً واضحة ودلائل باهرات وبراهين قاطعات ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس وإزاحة العلل وإزالة الشبه.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٤/٤) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (ج ٢٩٥٨). (٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٣.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

ولما أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق ثم حثهم على الإيمان وبين أنه قد أزال عنهم موانعه حثهم أيضاً على الإنفاق فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْثُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟﴾ أي: أنفقوا ولا تخشوا فقراً وإقلالاً فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض وبيده مقاليدهما وعنده خزائنها، وهو مالك العرش بما حوى، وهو القائل ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذي العرش إقلالاً، وعلم أن الله سيخلفه عليه. وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ﴾ أي: لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس في دين الله أفواجا. ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة.

وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية^(١)، وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا زهير، حدثنا حميد الطويل، عن أنس قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها، فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ فقال: «دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغت أعمالهم»^(٢).

ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة، وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جذيمة الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم، فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر وغيرهما، فاختم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك^(٣). والذي في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٤).

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب، أخبرنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» فقلنا: من هم يا رسول الله أقريش؟ قال: «لا ولكن أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً» فقلنا: أهم خير منا يا رسول الله؟ قال: «لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ألا إن هذا فصل ما بيننا وبين الناس ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق داود عن عامر الشعبي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣١٩/٢١ ح ١٣٨١٢) وصححه سننه محققوه.

(٣) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر ﷺ (الصحيح، الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو ردّ ح ٧١٨٩).

(٤) صحيح البخاري، فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (ح ٣٦٧٣) وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب تحريم الصحابة ﷺ (ح ٢٥٤١).

وَقَتْلُ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»^(١) وهذا الحديث غريب بهذا السياق [والذي في الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد ذكر الخوارج: «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(٢). الحديث، ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال: حدثني ابن البرقي، حدثني ابن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرني زيد بن أسلم، عن أبي سعيد التمار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» قلنا: من هم يا رسول الله؟ قریش؟ قال: «لا ولكن أهل اليمن لأنهم أرق أفئدة وألين قلوباً» وأشار بيده إلى اليمن فقال: «هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية» فقلنا: يا رسول الله هم خير منا؟ قال: «والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مد أحدكم ولا نصيفه» ثم جمع أصابعه ومدّ خنصره وقال: «ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس» لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلُ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»^(٣). فهذا السياق^(٤) ليس فيه ذكر الحديبية، فإن كان ذلك محفوظاً كما تقدم فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخباراً عما بعده كما في قوله تعالى في سورة المزمل وهي مكية من أوائل ما نزل ﴿وَالْآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية [٢٠]. فهي بشارة بما يستقبل وهكذا هذه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ يعني: المنفقين قبل الفتح وبعده، كلهم لهم ثواب على ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاتِلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاتِلِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاتِلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء] وهكذا الحديث الذي في الصحيح: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»^(٥). وإنما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر، فيتوهم متوهم ذمه، فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعد ذلك وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق، وفي الحديث: «سبق درهم مائة ألف»^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده هشام بن سعد وهو صدوق له أوهام ورمي بالتشيع. (التقريب ص ٥٧٢).

(٢) صحيح البخاري، استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدین بعد إقامة الحجة عليهم (ح ٦٩٣١) وصحيح مسلم، الزكاة، باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام (ح ١٠٦٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده أبو سعيد التمار ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وسكت عنه.

(٤) زيادة من (ح) و(حم).

(٥) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ؓ كاملاً. (الصحيح، القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ح ٢٦٦٤).

(٦) أخرجه النسائي من حديث أبي هريرة ؓ وتتمته: قالوا: وكيف؟ قال: كان لرجل درهماً تصدق =

ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضي الله عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيد من عمل بها من سائر أُمم الأنبياء، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله تعالى، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها.

وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، حدثنا سفيان بن سعيد، عن آدم بن علي، عن ابن عمرو قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال، فنزل جبريل فقال: ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال؟ فقال: «أنفق ماله علي قبل الفتح» قال: فإن الله يقول: اقرأ عليه السلام وقل له: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟» فقال أبو بكر رضي الله عنه: أسخط على ربي صلى الله عليه وسلم؟ إني عن ربي راضٍ ^(١). هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال عمر بن الخطاب: هو الإنفاق في سبيل الله، وقيل: هو النفقة على العيال، والصحيح أنه أعم من ذلك، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة، وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَكُمْ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] وله أجر كريم أي: جزاء جميل وورزق باهر، وهو الجنة يوم القيامة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَكُمْ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح» قال: أرني يدك يا رسول الله. قال: فناوله يده. قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، وله حائط فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها. قال: فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح. قالت: لبيك، قال: اخرجي فقد أقرضته ربي صلى الله عليه وسلم، وفي رواية أنها قالت له: ربح بيعك يا أبا الدحداح. ونقلت منه متاعها وصبيانها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح» ^(٢). وفي لفظ «رُبَّ نخلة مدلاة عروقتها درّ وياقوت لأبي الدحداح في الجنة».

= بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها. (السنن، الزكاة، باب جهد المقل ٥٩/٥) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٢٣٦٧). وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤١٦/١).

(١) أخرجه البغوي بسنده ومثنه (معالم التنزيل ٢٩٥/٤) وسنده ضعيف جداً، وفيه العلاء بن عمر الفزاري وهو متروك، واتهم بهذا الحديث بأنه كذب. (ينظر: لسان الميزان ١٨٥/٤) وضعف سنده الحافظ ابن كثير.

(٢) سنده ضعيف لضعف حميد الأعرج، وأخرجه أبو يعلى من طريق خلف بن خليفة به (المسند ٤٠٤/٨ ح ٤٩٨٦) وضعفه محققه. وأعله الحافظ ابن حجر بحميد الأعرج (المطالب العالية المسند ٢٩٤/٤ ح ٢٩٤).

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَتُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ تُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمُ اللَّهُ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَاَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَفِيهَا الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة، بحسب أعمالهم كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: على قدر أعمالهم يمشون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة^(١)، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك حتى أن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه»^(٢).

وقال سفيان الثوري: عن حصين، عن مجاهد، عن جنادة بن أبي أمية قال: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم وحلالكم ونجواكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة، قيل: يا فلان هذه نورك، يا فلان لا نور لك، وقرأ ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

وقال الضحاك: ليس أحد إلا يعطي نوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفيء نور المنافقين^(٣)، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفيء نور المنافقين فقالوا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا﴾ [التحریم: ٨]، وقال الحسن: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: على الصراط.

وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، أخبرنا عمي. عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعيد بن مسعود أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث، أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذرَّ يخبران عن النبي ﷺ قال: «أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم» فقال له رجل: يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ فقال: «أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم

= (ح ٤٠٤٤). ولبعضه شاهد من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه ابن حبان (الإحسان ١٦/١١٣ ح ٧١٥٩).

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن إدريس عن أبيه، عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن ابن مسعود. (المصنف ١٣/٢٩٩) وأخرجه الحاكم من طريق ابن أبي شيبة به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٧٨).

(٢) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات إلى قتادة لكنه مرسل.

(٣) رجاله ثقات لكن جنادة مختلف في صحبته (ينظر التقريب ص ١٤٢) وذكر السيوطي في الدر المنثور بنحوه ونسبه إلى ابن المنذر.

بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم»^(١).
وقوله: ﴿وَبِأَيِّهِمْ﴾ قال الضحاك: أي وبأيمانهم كتبهم كما قال: ﴿فَمَنْ أَوْقَى كَتَبَهُ يَمِينِهِ﴾ [الإسراء: ٧١]^(٢).

وقوله: ﴿بُشْرِكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: قال لهم: بشراكم اليوم جنات؛ أي: لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين فيها أبداً ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِمَ مِنْ ثَوْرِكُمْ﴾ وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة، وأنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبدة بن سليمان، حدثنا ابن المبارك، حدثنا صفوان بن عمرو، حدثني سليم بن عامر قال: خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها. قال أبو أمامة: أيها الناس إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله، فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نوراً، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذي ضربه الله تعالى في كتابه فقال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكَدُونَ لَمْ يَكَدْ يَرَوْهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴿انظُرُونَا نَقْتَسِمَ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ وهي خدعة الله التي يخدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم ﴿سُورٌ لَّهُمْ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ الآية^(٣).

يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغترّاً حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن^(٤).

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عثمان، حدثنا ابن حيوة، حدثنا أرطاة بن المنذر، حدثنا

(١) أخرجه الحاكم من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٧٨/٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه بلفظ: «كتبهم قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْقَى كَتَبَهُ يَمِينِهِ﴾ [الانشقاق: ٧]».

(٣) أخرجه الحاكم من طريق صفوان بن عمرو به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٠٠/٢ - ٤٠١).

(٤) هذا القول تنمى لرواية ابن أبي حاتم لم يرد في رواية الحاكم.

يوسف بن الحجاج، عن أبي أمامة قال: يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ﴾^(١).

وقال العوفي والضحاك وغيرهما، عن ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا: حينئذٍ ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ فإننا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون: ﴿أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور^(٢).

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا الحسن بن عرفة بن علوية القطان، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار، حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة، حدثنا ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترأ منه على عباده، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ وقال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا﴾ [التحریم: ٨] فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ يَتَنَّهُمْ سُورٌ لَمْ يَبَأْ بِأَطْنُفٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهَرُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ قال الحسن وقتادة: هو حائط بين الجنة والنار^(٤).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو الذي قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾^(٥) [الأعراف: ٤٦] وهكذا روي عن مجاهد رحمته^(٦) وغير واحد وهو الصحيح ﴿بِأَطْنُفٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: الجنة وما فيها ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي: النار، قاله قتادة وابن زيد وغيرهما^(٧).

قال ابن جرير: وقد قيل: إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم. ثم قال: حدثنا ابن البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد، عن عطية بن قيس، عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: إن السور الذي ذكره الله في القرآن ﴿فَضْرِبَ يَتَنَّهُمْ سُورٌ لَمْ يَبَأْ بِأَطْنُفٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهَرُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ وهو السور الشرقي باطنه المسجد وما يليه وظاهره وادي جهنم^(٨). ثم روي عن عبادة بن الصامت وكعب الأحبار وعلي بن الحسين زين

(١) يوسف بن حجاج لم أعرف من هو؟ ويتقوى بسابقه، فإنه طرف من سابقه.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، وطريق الضحاك عن ابن عباس منقطع لأنه لم يلقاه، ولكن يشهد له ما سبق.

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ١١/١٢٢ ح ١١٢٤٢) وسنده ضعيف جداً لأن إسحاق بن بشر متروك (مجمع الزوائد ١٠/٣٩٥).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) أخرجهما الطبري بالسندين المتقدمين الصحيحين عن قتادة وابن زيد.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وأخرجه الحاكم من طريق سعيد بن عبد العزيز عن عطية بن قيس به وصححه =

العابدين نحو ذلك^(١)، وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالاً لذلك، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين نفسه ونفس المسجد، وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم، فإن الجنة في السموات في أعلى عليين والنار في الدركات أسفل سافلين.

وقول كعب الأحبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلياته وترهاته، وإنما المراد بذلك السور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة.

﴿يَأْتِدُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين أما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى قد كنتم معنا ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا فَتَنَّا أَنْفُسَكُمْ وَزَيَّغْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ قال بعض السلف: أي: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي^(٢). والشهوات وتربصتم؛ أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت.

وقال قتادة: ﴿وَزَيَّغْتُمْ﴾ بالحق وأهله ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي: بالبعث بعد الموت ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ أي: قلت: سيغفر لنا وقيل: غرتكم الدنيا ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: ما زلت في هذا حتى جاءكم الموت ﴿وَغَرَّتْكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ أي: الشيطان قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار^(٣). ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين أنكم كنتم معنا؛ أي: بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلاً.

قال مجاهد: كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرهم، وكانوا معهم أموالاً ويعطون النور جميعاً يوم القيامة، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ويماز بينهم حينئذ^(٤).

= ووافقه الذهبي (المستدرک ٦٠١/٤) وأخشى أن هذا الخبر من الزاملتين اللتين جاء بها عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وفيها ما فيها من الإسرائيليات، وسيأتي ما يؤكد ذلك.

(١) أخرجه الحاكم من طريق محمد بن ميمون عن بلال بن عبد الله مؤذن بيت المقدس عن عبادة بن الصامت. بنحوه وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: بل منكر، وآخره باطل لأنه ما اجتمع عبادة برسول الله ﷺ هناك، ثم من هو ابن ميمون وشيخه؟ وفي نسخة أبي مسهر عن سعيد عن زياد بن أبي سودة قال: رأي عبادة على سور بيت المقدس يبكي وقال: من ها هنا أخبرنا رسول الله ﷺ رأى جهنم. فهذا المرسل أجود. (المستدرک ٤٧٩/٢). وأخرجه الطبري من قول كعب الأحبار وهو معروف برواية الإسرائيليات، وقد أكد الحافظ ابن كثير إنه من إسرائيلياته.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بالسند الصحيح السابق.

(٤) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول، وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا أَرْحَبَ آلَئِينَ ۖ﴾ (٢٨) ﴿فِي جَنَّتٍ يَسْأَلُونَ ۖ﴾ (٢٩) ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ﴾ (٣٠) ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ﴾ (٣١) ﴿قَالُوا لَوْ نَكَّ مِنْ الْمُصَلِّينَ ۖ﴾ (٣٢) ﴿وَلَوْ نَكَّ نَطَعُمُ الْيَتَامَى ۖ﴾ (٣٣) ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَٰضِلِينَ ۖ﴾ (٣٤) ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ۖ﴾ (٣٥) ﴿حَتَّىٰ آتَيْنَا آلَئِينَ ۖ﴾ (٣٦) [المدرثر] فهذا إنما خرج منهم على وجه التقرع لهم والتوبيخ.

ثم قال تعالى: ﴿فَمَا نَعْمُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ۖ﴾ (٣٧) [المدرثر] كما قال ههنا: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ﴾ أي: لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه. وقوله: ﴿مَأْوَانَكُمْ أَنْتَ ۖ﴾ أي: هي مصيركم وإليها منقلبكم. وقوله: ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ ۖ﴾ أي: هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيا بكم وبش المصير.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۖ﴾ (٣٨) ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۖ﴾ (٣٩).

يقول تعالى: أما أن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله؛ أي: تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه. قال عبد الله بن المبارك: حدثنا [صالح المري]^(١)، عن قتادة، عن ابن عباس أنه قال: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾ الآية، رواه ابن أبي حاتم، عن الحسن بن محمد بن الصباح، عن حسين المرزوي، عن ابن المبارك به^(٢). ثم قال هو ومسلم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال؛ يعني: الليثي، عن عون بن عبد الله، عن أبيه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾ الآية، إلا أربع سنين^(٣)، كذا رواه مسلم في آخر الكتاب، وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية عن هارون بن سعيد الأيلي، عن ابن وهب به^(٤). وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعي، عن أبي حازم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه مثله^(٥)، فجعله من مسند ابن الزبير، لكن رواه البزار في مسنده من طريق موسى بن يعقوب، عن أبي حازم، عن

(١) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل صحف إلى: صالح المدني.

(٢) سنده ضعيف لضعف صالح المري، وقاتدة لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنه، ومثله مخالف لما في الصحيح كما يلي.

(٣) أخرجه الإمام مسلم بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾ [الحديد: ١٦] ح ٣٠٢٧).

(٤) السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ (ح ١٥٦٨).

(٥) سنن ابن ماجه، الزهد، باب الحزن والبكاء (ح ٤١٩٢). وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٣٨٠).

عامر، عن ابن الزبير، عن ابن مسعود... فذكره^(١).

وقال سفيان الثوري: عن المسعودي، عن القاسم قال: ملّ أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله، [فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] قال: ثم ملّوا ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله^(٢) فنزلت ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] ثم ملّوا ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣).

وقال قتادة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروي عن رسول الله ﷺ قال: «إن أول ما يرفع من الناس الخشوع»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتلفة، وقلدوا الرجال في دين الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعده ولا وعيد.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُونَ﴾ أي: في الأعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة كما قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ يَتَّبِعُهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣] أي: فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نهوا عنه، ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا شهاب بن خراش، حدثنا حجاج بن دينار، عن منصور بن المعتمر، عن الربيع بن عميلة الفزاري قال: حدثنا عبد الله بن مسعود حديثاً ما سمعت أعجب إليّ منه إلا شيئاً من كتاب الله أو شيئاً قاله النبي ﷺ قال: «إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم استهوت به قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا: تعالوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فمن تابعتنا عليه تركناه ومن كره أن يتابعنا قتلناه، ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه، فلما رأى ما يصنعون عمد إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف ثم

(١) مسند البزار ٢٧٥/٤ ح ١٤٤٣، وأخرجه الحاكم من طريق موسى بن يعقوب به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٧٩/٢).

(٢) زيادة من (حم) و(ح).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة يوسف آية ٣ من طريق محمد بن أبي عمر العدني عن سفيان عن المسعودي به. والمسعودي هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي: صدوق اختلط قبل موته، وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط. (التقريب ص ٣٤٤).

(٤) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل، وأخرجه أبو الشيخ من طريق قتادة عن الحسن عن شداد (طبقات أصبهان ١٦٤/٣) وسنده منقطع لأن الحسن لم يسمع من شداد.

أدرجه، فجعله في قرن ثم علّق ذلك القرن في عنقه، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء إنكم أفشيتم القتل في بني إسرائيل فادعوا فلاناً فاعرضوا عليه كتابكم، فإنه إن تبعكم فسيتابكم بقية الناس وإن أبى فاقتلوه، فدعوا فلاناً ذلك الفقيه قالوا: أتؤمن بما في كتابنا هذا، قال: وما فيه؟ اعرضوه عليّ؟ فعرضوه عليه إلى آخره، ثم قالوا: أتؤمن بما في كتابنا هذا؟ قال: نعم آمنت بما في هذا، وأشار بيده إلى القرن فتركوه فلما مات فتشوه فوجدوه مُتعلّقاً ذلك القرن، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض: يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة، فافتقرت بنو إسرائيل على اثنين وسبعين ملة، وخير مللهم ملة أصحاب ذي القرن قال ابن مسعود: وإنكم أوشك بكم إن بقيتم أو بقي من بقي منكم أن تروا أموراً تنكرونها لا تستطيعون لها غيراً، فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره^(١).

وروى أبو جعفر الطبري، حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي معشر، عن إبراهيم قال: جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود فقال: يا أبا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، فقال عبد الله. هلك من لم يعرف قلبه معروفاً ولم ينكر قلبه منكراً. إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من بين أيديهم وأرجلهم استهوت قلوبهم واستحلته ألسنتهم، وقالوا: نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب، فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه، قال فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن ثم جعل القرن بين ثنودتيه^(٢)، فلما قيل له: أتؤمن بهذا؟ قال: آمنت به ويومئ إلى القرن بين ثنودتيه، وما لي لا أؤمن بهذا الكتاب؟ فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن^(٣).

وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٤) فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضلل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعّال، وهو الحكيم العدل في جميع الفعّال، اللطيف الخبير الكبير المتعال.

﴿إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(٥) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٦).

يخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة

(١) في سنده هشام بن عمار صدوق كبير فصار يتلقن. (التقريب ص ٥٧٣) وشهاب بن خراش: صدوق يخطئ. (التقريب ص ٢٦٩).

(٢) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل وردت من غير نقط، والثنودتان للرجل كالثدين للمرأة.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي، وضعف أبي معشر وهو نجيب.

﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكوراً، ولهذا قال: ﴿يُضَعَّفُ لَهُمْ﴾ أي: يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها، ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف، وفوق ذلك ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب كريم.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ هذا تمام لجملة وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون.

قال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ هذه مفصلة ﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾^(١).

وقال أبو الضحى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٢). وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم^(٣).

وقال الأعمش: عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: هم ثلاثة أصناف^(٤): يعني المصدقين والصادقين والشهداء، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَادَةِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على أنهما صنفان ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد، كما رواه الإمام مالك بن أنس رحمهم الله في كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قال: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(٥). اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث مالك به^(٦).

وقال آخرون: بل المراد من قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء، حكاه ابن جرير، عن مجاهد^(٧)، ثم قال ابن جرير: حدثني صالح بن حرب أبو معمر، حدثنا إسماعيل بن يحيى، حدثنا ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مؤمنو أمتي شهداء» قال: ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٨). هذا حديث غريب.

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما يليه

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد المتقدم ذكره قبل الرواية السابقة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي الضحى عن مسروق، وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه.

(٤) سنده صحيح.

(٥) سنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (ح ٣٢٥٦) وصحيح مسلم، الجنة

وصفة نعيمها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف... (ح ٢٨٣١).

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «بالإيمان على أنفسهم بالله».

(٨) سنده ضعيف لضعف إسماعيل بن يحيى. (التقريب ص ١١٠).

وقال أبو إسحاق: عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّابِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ قال: يجيئون يوم القيامة معاً كالأصبعين.

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين: «إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال: ماذا تريدون؟! فقالوا: نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة، فقال: إني قد قضيت أنهم إليها لا يرجعون»^(١).

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي: لهم عند الله أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال كما قال الإمام أحمد، حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن أبي يزيد الخولاني قال: سمعت فضالة بن عبيد يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله فقتل فذاك الذي ينظر الناس إليه هكذا ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله ﷺ أو قلنسوة عمر، «والثاني: مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية، والثالث: رجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة، والرابع: رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة»^(٢). وهكذا رواه علي بن المديني، عن أبي داود الطيالسي، عن ابن المبارك، عن ابن لهيعة، وقال هذا إسناد مصري صالح^(٣)، ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال: حسن غريب^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ لما ذكر السعداء ومآلهم عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَٰعِبٌ غَرُورٌ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى موهناً أمر الحياة الدنيا ومحقرأ لها: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال تعالى: ﴿يُنِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الواقعة آية ٨٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/ ٢٩٣ ح ١٥٠) وضعف سنده محققوه، لجهاله أبي يزيد الخولاني.

(٣) أخرجه عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة به (الجهاد رقم ١٢٦).

(٤) سنن الترمذي، فضائل الجهاد، باب ما جاء في الشهداء عند الله (ح ١٦٤٤).

وَالْحَرِّ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٨﴾ [آل عمران] ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَآئِهِ﴾ أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها ﴿ثُمَّ يَسْجُ فَرَّتْهُ مَصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ أي: يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعد ما كان خضراً نضراً، ثم يكون بعد ذلك كله حطاماً؛ أي: يصير يبساً متحطماً، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى، قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم] ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ أي: هي متاع فانٍ غارٍ لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة.

قال ابن جرير: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا المحاربي، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾»^(١). وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير ووکیع كلاهما عن الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «للجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك»^(٢). انفرد بإخراجه البخاري في الرقاق من حديث الثوري، عن الأعمش به^(٣).

ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان، وإذا كان الأمر كذلك فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات من فعل الطاعات وترك المحرمات التي تكفر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثله دون الزيادة في قوله: اقرؤوا ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ وهو حديث صحيح تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران آية ١٨٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/٤٤٢). وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله.. (ح ٦٤٨٨).

عَرَضَهَا كَعَرَضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ* والمراد جنس السماء والأرض كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران] وقال ههنا: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي: هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم، كما قدمناه في الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. قال: «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتهم من بعدهم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» قال: فرجعوا فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»^(١).

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٣٣] لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ [٣٤] الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِأَمْوَالِهِمُ الَّتِي بَالِغُلُومٍ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [٣٥].

يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: في الآفاق وفي أنفسكم ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي: من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة.

وقال بعضهم: من قبل أن نبرأها عائد على النفوس.

وقيل: عائد على المصيبة، والأحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثني ابن عليه، عن منصور بن عبد الرحمن قال: كنت جالساً مع الحسن فقال رجل سلّه عن قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ فسألته عنها فقال: سبحان الله ومن يشك في هذا؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة^(٢).

وقال قتادة: ما أصاب من مصيبة في الأرض قال: هي السنون يعني الجذب ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يقول: الأوجاع والأمراض^(٣)، قال: وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر^(٤).

وهذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق - قبهم الله.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة وابن لهيعة قالوا: حدثنا أبو هانئ

(١) صحيح البخاري، الأذان، باب الذكر بعد الصلاة (ح ٨٤٣) وصحيح مسلم، المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة (ح ٥٩٥).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٤) الأثر تمة لسابقه لكن هذه التمة فيها ضعف لأن قتادة. رواه بلاغاً.

الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»^(١). ورواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن زيد، ثلاثتهم عن أبي هانئ به، وزاد ابن وهب: «وكان عرشه على الماء»^(٢). ورواه الترمذي وقال حسن صحيح^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابتها لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله ﷻ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، ولو كان كيف كان يكون.

وقوله تعالى: ﴿لَيْكِلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي: أعلمناكم بتقديم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطاكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي: جاءكم، وتفسير آتاكم؛ أي: أعطاكم وكلاهما متلازم؛ أي: لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً تفخرون بها على الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: مختال في نفسه متكبر فخور؛ أي: على غيره.

وقال عكرمة: ليس أحد إلا هو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً^(٤).

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْلُوتُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ أي: يفعلون المنكر ويحضنون الناس عليه ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي: عن أمر الله وطاعته ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ كما قال موسى ﷺ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَضُرُّهُ وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٥).

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهو النقل الصدق ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وهو العدل، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما^(٥)، وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَتَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ [هود: ١٧] وقال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلْفِي فَطَرَتِ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧].

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٦٩/٢). وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، القدر، باب حجاج آدم وموسى ﷺ (ح ٢٦٥٣).

(٣) أخرجه الترمذي من طريق حيوة به (السنن، القدر، باب رقم ١٨ ح ٢١٥٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبه عن وكيع عن سفيان عن سماك البكري عن عكرمة عن ابن عباس (المصنف ١٣/٣٧٣).

وأخرجه الحاكم من طريق ابن أبي شيبه به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٧٩/٢).

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

ولهذا قال في هذه الآية: ﴿لَيَقُومَنَّ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به، فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي، ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوأوا غرف الجنات، والمنازل العاليات، والسرر المصفوفات: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبينات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف، شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهوام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن حسان بن عطية، عن أبي المنيب الجرشي الشامي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَمْحِي، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١). ولهذا قال تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني: السلاح كالسيوف والحرايب والسنان والنصال والدروع ونحوها ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: في معاشهم كالسكة والفأس والقندوم والمنشار والإزميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز، وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك.

قال علباء بن أحمد: عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم: السندان والكلبتان والميقعة يعني: المطرقة، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يُضِرُّهُ وَيُؤْمَلُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسوله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس، وإنما شرع الجهاد ليلبوا بعضهم ببعض.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلِيًّا أَثَرَهُمْ بِرُسُلِنَا وَفَقَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنَاهُ أَتَدْعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحاً ﷺ لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته وكذلك إبراهيم ﷺ خليل الرحمن، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٠٤.

(٢) أخرجه الطبري من طريق علباء بن أحمر به، وسنده ضعيف لأن فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

بعده إلا وهو من سلالة، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ فَفَعَلْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بُرْسُلَنَا وَفَعَلْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم الحواريون ﴿رَأْفَةً﴾ أي: رقة وهي الخشية ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلق.

وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: ابتدعها أمة النصارى ﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: ما شرعناها لهم وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ فيه قولان:

(أحدهما): أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد بن جبير وقتادة^(١).

(والآخر): ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: فما قاموا بما التزموا حق القيام، وهذا ذم لهم من وجهين:

(أحدهما): في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله.

(والثاني): في عدم قيامهم بما التزموا مما زعموا أنه قرينة يقربهم إلى الله ﷻ.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي، حدثنا السري بن عبد ربه، حدثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن جده ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا ابن مسعود» قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، فدعت إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم، فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال، فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيرات فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط، فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾»^(٢).

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال: حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا الصعق بن حزن، حدثنا عقيل الجعدي، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سويد بن غفلة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم» وذكر نحو ما تقدم وفيه ﴿فَقَاتِلْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ هم الذين آمنوا بي وصدقوني ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهم الذين كذبوني

(١) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٢) في سنده بكير بن معروف وهو: صدوق فيه لين. (التقريب ص ١٢٨) ويتقوى بالروايات التالية على رأي الحافظ ابن كثير كما يلي.

وخالفوني^(١). ولا يقدح في هذه المتابعة لحال داود بن المحبر فإنه أحد الوضاعين للحديث، ولكن قد أسنده أبو يعلى عن شيبان بن فروخ، عن الصعق بن حزن به مثل ذلك^(٢)، فقوي الحديث من هذا الوجه.

وقال ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائي واللفظ له: أخبرنا الحسين بن حريث، حدثنا الفضل بن موسى، عن سفيان بن سعيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلت التوراة والإنجيل فكان منهم مؤمنون يقرأون التوراة والإنجيل، فقبل لملوكهم ما نجد شيئاً أشد من شتم يشتمونه هؤلاء إنهم يقرأون: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] هذه الآيات مع ما يعيبونها به من أعمالنا في قراءتهم فادعهم فليقرأوا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمننا، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نردّ عليكم، وقالت طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنوا لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نردّ عليكم ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم، ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

والآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق إلا القليل انحطّ منهم رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديره فأمّنوا به وصدقوه فقال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] أجرين بإيمانهم بعيسى ابن مريم وتصديقهم بالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم به قال: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الذين يتشبهون بكم ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣). هذا السياق فيه غرابة، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين على غير هذا، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء أن سهل بن أبي أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف داود بن المحبر، وضعف عقيل الجعدي، ولكن داود بن المحبر توبع كما سيأتي وببقى ضعف عقيل، فقد أخرجه الحاكم من طريق عبد الرحمن بن المبارك عن الصعق بن حزن عن عقيل به وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بأن عقيل الجعدي منكر الحديث. (المستدرک ٤٨٠/٢).

(٢) وفي سنده أيضاً شيخ الصعق وهو عقيل.

(٣) أخرجه النسائي والطبري بسنده ومثته (السنن الكبرى، التفسير، سورة الحديد، ح ١١٥٠٣). وفي سندهما عطاء بن السائب وهو صدوق اختلط. (التقريب ص ٣٩١).

مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير، وهو يصلي صلاة خفيفة كأنها صلاة المسافر أو قريباً منها، فلما سلم قال: يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تنفلته؟ قال: إنها المكتوبة وإنها صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه، إن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» ثم غدوا من الغد فقالوا: نركب فننظر ونعتبر، قال: نعم. فركبوا جميعاً فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها، فقالوا: أتعرف هذه الديار؟ قال: ما أعرفني بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغي والحسد، إن الحسد يطفئ نور الحسنات والبغي يصدق ذلك أو يكذبه، والعين تزني، والكف تزني، والقدم والجسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعمر، حدثنا عبد الله، أخبرنا سفيان، عن زيد العمي، عن أبي إياس، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله ﷻ»^(٢). ورواه الحافظ أبو يعلى، عن عبد الله بن محمد بن أسماء، عن عبد الله بن المبارك به ولفظه: «لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين - هو ابن محمد - حدثنا ابن عياش يعني: إسماعيل، عن الحجاج بن مروان الكلاعي وعقيل بن مُدرك السلمي، عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رجلاً جاء فقال: أوصني، فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض^(٤). تفرد به أحمد، والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَعْزَّزُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَفْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٩﴾﴾

قد تقدم في رواية النسائي، عن ابن عباس أنه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص^(٥)، وكما في حديث الشعبي، عن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٦/٣٦٥ ح ٣٦٩٤) وحسنه محققه، وأخرجه أبو داود من طريق عبد الله بن وهب به. (السنن، الأدب، باب في الحسد ح ٤٩٠٤) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٤٦٨ ح).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢١/٣١٧ ح ١٣٨٠٧) وضعفه سند محققه لضعف زيد العمي.

(٣) أخرجه أبو يعلى من طريق زيد العمي أيضاً (المسند ٧/٢١٠ ح ٤٢٠٤)، فسند ضعيف، وضعفه محققه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (١٨/٢٩٨ ح ١١٧٧٤) وضعفه سند محققه لأن عقيل بن مدرك لم يدرك أبا سعيد.

(٥) آية ٥٤.

من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران» أخرجاه في الصحيحين^(١)، ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما^(٢) وهو اختيار ابن جرير.

وقال سعيد بن جبیر: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية في حق هذه الأمة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ أَي: ضعفين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وزادهم ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني: هدى يتبصر به من العمى والجهالة ويغفر لكم، ففضلهم بالنور والمغفرة. رواه ابن جرير عنه^(٣).

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال] وقال سعيد بن عبد العزيز: سأل عمر بن الخطاب حبراً من أحبار اليهود كم أفضل ما ضُغِفَتْ لكم حسنة؟ قال كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة، قال فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين، ثم ذكر سعيد قول الله ﷻ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال سعيد: والكفلان في الجمعة مثل ذلك^(٤)، رواه ابن جرير. ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ ألا فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم، فغضب النصارى واليهود وقالوا: نحن أكثر عمالاً وأقل عطاءً قال: هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإنما هو فضلي أوتيته من أشياء»^(٥).

قال أحمد: وحدثناه مؤمل، عن سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر نحو حديث نافع عنه^(٦) انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب، عن حماد، عن نافع به، وعن قتيبة، عن الليث، عن نافع بمثله^(٧).

وقال البخاري: حدثني محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن [بُريد]^(٨)، عن أبي بردة، عن

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه عن الضحاك.

(٣) أخرجه الطبري مطولاً بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لأن سعيد بن عبد العزيز لم يدرك عمر ﷺ، وهو من الطبقة السابعة وقد اختلط (التقريب ص ٢٣٨).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٦/٢) وسنده صحيح.

(٦) (المسند ١١١/٢).

(٧) صحيح البخاري، الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار (ح ٢٢٦٨).

(٨) كذا في (ح) و(حم) وصحيح البخاري، وفي الأصل صحف إلى: «يزيد».

أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «مثلُ المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قومًا يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم، فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر قالوا: ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه. فقال: أكملوا بقية عملكم فإنما بقي من النهار شيء يسير فأبوا. فاستأجر قومًا أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا له بقية يومهم حتى غابت الشمس، فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور»^(١). انفرد به البخاري ولهذا قال تعالى: ﴿ثَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: ليتحققوا أنهم لا يقدرُونَ على ردِّ ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

قال ابن جرير: ﴿ثَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي: ليعلم، وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها (لكي يعلم)^(٢) وكذا خطاب بن عبد الله، وسعيد بن جبير^(٣). قال ابن جرير: لأن العرب تجعل «لا» صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] بالله ﴿وَحَكْرُمُ عَلَى قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٤) [الأنبياء]. آخر تفسير سورة الحديد.

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، الإجازة، باب الإجازة من العصر إلى الليل ح ٢٢٧١).

(٢) ذكره الطبري بنحوه، وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي هارون الغنوي عن خطاب بن عبد الله، وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق أبي المعلى عن سعيد بن جبير.

(٤) ذكره الطبري بنحوه.

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى آخر الآية^(١)، وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقاً فقال: وقال الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة فذكره^(٢). وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن الأعمش به^(٣). وفي رواية لابن أبي حاتم، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ قالت: وزوجها أوس بن الصامت.

وقال ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة هو أوس بن الصامت: وكان أوس امرأً به لمم، فكان إذا أخذه لممه واشتد به يظاھر من امرأته، وإذا ذهب لم يقل شيئاً فأتت رسول الله ﷺ تستفتيه في ذلك وتشتكي إلى الله، فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ الآية. وهكذا روى هشام بن عروة، عن أبيه أن رجلاً كان به لمم فذكر مثله^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي: حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة، حدثنا جرير يعني ابن

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٦/٦) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً ووصله الحافظ ابن حجر برواية الإمام أحمد السابقة، وأخرجه الحافظ ابن حجر بسنده من طريق الأعمش به. (تغليق التعليق ٣٣٨/٥، ٣٣٩).

(٣) سنن النسائي، الطلاق، باب الظهار (ح ١٦٨/٨) وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ح ١٨٨) وتفسير الطبري من عدة طرق.

(٤) أخرجه الطبري من طريق أبان العطار عن هشام بن عروة به، ويشهد له سابقه.

حازم قال: سمعت أبا يزيد يحدث قال: لقيت امرأة عمر يقال لها: خولة بنت ثعلبة، وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه، ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالاً قريش على هذه العجوز، قال: ويحك وتندري من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها^(١). هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روي من غير هذا الوجه.

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا يعلى، حدثنا زكريا، عن عامر قال: المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت، وأمها: معاذة^(٢) التي أنزل الله فيها ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتِكُمْ عَلَى الْإِغْيَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]^(٣) صوابه: خولة امرأة أوس بن الصامت.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَا هُمْ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ نُوعَطُونَ بِهِ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قالوا: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن خويلة بنت ثعلبة قالت: فيّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، قالت: فدخل علي يوماً فراجعته بشيء، فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل علي فإذا هو يريدني عن نفسي قالت: قلت: كلاً، والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلي، وقد قلت ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني، فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه».

قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيّ قرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سري عنه فقال لي: «يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً»، ثم قرأ عليّ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة] إلى قول

(١) سنده ضعيف لأن أبا يزيد لم يسمع من عمر ﷺ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: وتسمية أمها غريب. (فتح الباري ١٣/ ٣٧٤).

(٣) سنده مرسل.

تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «مريه فليعتق رقبة» قالت: فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: «فليصم شهرين متتابعين» قالت: فقلت والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام قال: «فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر» قالت: فقلت والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإننا سنعيّنه بعرقٍ من تمر» قالت: فقلت يا رسول الله وأنا سأعيّنه بعرقٍ آخر قال: «قد أصبت وأحسنيت فاذهبي فتصدقني به عنه ثم استوصي بأبن عمك خيراً» قالت: ففعلت^(١).

ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين عن محمد بن إسحاق بن يسار به^(٢)، وعنده خولة بنت ثعلبة ويقال فيها: خولة بنت مالك بن ثعلبة، وقد تُصَغَّرُ فيقال: خويلة، ولا منافاة بين هذه الأقوال فالأمر فيها قريب والله أعلم. هذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كانت سبب النزول ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة، من العتق أو الصيام أو الإطعام، كما قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سليمان بن يسار، عن سلمة بن صخر الأنصاري قال: كنت امرأً قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري، فلما دخل رمضان ظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقاً من أن أصيب في ليلتي شيئاً فأتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع، فبينما هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها، فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت: انطلقوا معي إلى النبي ﷺ فأخبره بأمرى، فقالوا: لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا، أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة علينا عارها، ولكن اذهب أنت، فاصنع ما بدا لك.

قال: فخرجت حتى أتيت النبي ﷺ فأخبرته خبري فقال لي: «أنت بذاك» فقلت: أنا بذاك فقال: «أنت بذاك» فقلت: أنا بذاك قال: «أنت بذاك» قلت: نعم، ها أنا ذا فأمض في حكم الله ﷻ فإنني صابر له قال: «أعتق رقبة» قال: فضربت صفحة رقبتى بيدي وقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها، قال: «فصم شهرين متتابعين» قلت: يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام؟ قال: «فتصدق» فقلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشى ما لنا عشاء، قال: «اذهب إلى صاحب صدقة بني رزيق فقل له فليدفعها إليك فأطعم عنك منها وسقاً من تمر ستين مسكيناً ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك» قال: فرجعت إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة قد أمر لي بصدقتكم فادفعوها إليّ فدفعوها إليّ^(٣)، وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه واختصره الترمذي وحسنه، وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٠٢/٤٥ ح ٢٧٣١٩) وضعف سنده محققوه لجهالة معمر بن عبد الله بن حنظلة فلم يرو عنه سوى محمد بن إسحاق.

(٢) سنن أبي داود، الطلاق، باب في الظهار (ح ٢٢١٤)، وسنده كسابقه، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٩٣٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٤٧/٢٦ - ٣٤٩ ح ١٦٤٢١) وصححه محققوه بطرقه وشواهده.

الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة، كما دلَّ عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل.

قال خُصيف: عن مجاهد، عن ابن عباس: أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك، فلما ظاهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقاً، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أوساً ظاهر مني، وإنّا إن افترقنا هلكنّا وقد نثرت بطني منه وقدمت صحبتته، وهي تشكو ذلك وتبكي ولم يكن جاء في ذلك شيء، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١] إلى قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «أتقدر على رقبة تعتقها»^(١) قال: لا والله يا رسول الله ما أقدر عليها. قال: فجمع له رسول الله ﷺ حتى أعتق عنه ثم راجع أهله^(٢). رواه ابن جرير ولهذا ذهب ابن عباس والأكثر إلى ما قلناه والله أعلم.

فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أصل الظهار مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها: أنت عليّ كظهر أمي ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم، هكذا قال غير واحد من السلف.

قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي حمزة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية أنت علي كظهر أمي حرمت عليه فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس، وكان تحته ابنة عم له يقال لها: خويلة بنت ثعلبة، فظاهر منها فأسقط في يديه، وقال ما أراك إلا قد حرمت علي وقالت له مثل ذلك، قال: فانطلقني إلى رسول الله ﷺ فأتت رسول الله ﷺ فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه فقال: «يا خويلة» ما أمرنا في أمرك بشيء، فأنزل الله على رسوله فقال: «يا خويلة أبشري» قالت: خيراً، فقرأ عليها ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١] إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ قالت: وأي رقبة لنا والله ما يجد رقبة غيري قال: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ قالت: والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره قال: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾ قالت: من أين؟ ما هي إلا أكلة إلي مثلها، قال: فدعا بشطر وشق ثلاثين صاعاً والوسق ستون صاعاً فقال: ليطلع ستين مسكيناً وليراجعك^(٣). وهذا إسناد قوي وسياق غريب، وقد روي عن أبي العالية نحو هذا.

(١) سنن أبي داود، الطلاق، باب في الظهار (ح ٢٢١٣) وسنن ابن ماجه، الطلاق، باب في الظهار (ح ٢٠٦٢) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٩٣٣)، وسنن الترمذي، التفسير باب ومن سورة المجادلة (ح ٣٢٩٥).

(٢) أخرجه الطبري من طريق عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموي عن خصيف به، وفي سننه عبد العزيز الأموي وهو متهم (ينظر الجرح والتعديل ٣٨٨/٥) لكنه يتقوى بما سبق من الشواهد.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتمته، وسنده ضعيف لضعف أبي حمزة وهو ثابت بن أبي صفية وهو رافضي أيضاً. (التقريب ص ١٣٢). وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح ١٥١٣) وقال البزار: وأبو حمزة لين الحديث، وقد خالف في روايته ومتن حديثه الثقات في أمر الظهار.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الرحمن [الهروي]^(١)، حدثنا علي بن العاصم، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية قال: كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الأنصار، وكان ضرير البصر فقيراً سيء الخلق، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد رجل أن يطلق امرأته قال: أنت عليّ كظهر أمي، وكان لها منه عَيْلٌ أو عَيْلان فنازعته يوماً في شيء فقال: أنت عليّ كظهر أمي، فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبي ﷺ وهو في بيت عائشة، وعائشة تغسل شقَّ رأسه فقدمت عليه ومعها عَيْلُها، فقالت: يا رسول الله إن زوجي ضرير البصر فقير لا شيء له سيء الخلق، وإنني نازعته في شيء، فغضب فقال: أنت عليّ كظهر أمي ولم يرد به الطلاق، ولي منه عَيْلٌ أو عَيْلان فقال: «ما أعلمك إلا قد حرمت عليه».

فقالت: أشكو إلى الله ما نزل بي أنا وصبيتي، قالت: ودارت عائشة فغسلت شقَّ رأسه الآخر، فدارت معها فقالت: يا رسول الله زوجي ضرير البصر فقير سيء الخلق وإن لي منه عيل أو عيلان وإنني نازعته في شيء فغضب وقال: أنت عليّ كظهر أمي ولم يرد به الطلاق، قالت: فرفع إلي رأسه وقال: «ما أعلمك إلا قد حرمت عليه» فقالت: أشكو إلى الله ما نزل بي أنا وصبيتي قال: ورأت عائشة وجه النبي ﷺ تغير، فقالت لها: وراءك فتنت، فمكث رسول الله ﷺ في غشيانه ذلك ما شاء الله، فلما انقطع الوحي قال: يا عائشة أين المرأة فدعتها، فقال لها رسول الله ﷺ: «اذهبي فأتني بزواجك» فانطلقت تسعى، فجاءت به فإذا هو كما قالت ضرير البصر فقير سيء الخلق.

فقال النبي ﷺ: «أستعِذ بالله السميع العليم ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ قال النبي ﷺ: «أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها» قال: لا، قال: «أفلا تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: والذي بعثك بالحق إني إذا لم أكل المرتين والثلاث يكاد يعشو بصري. قال: «أفتستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟» قال: لا، إلا أن تعينني. قال: فأعانه رسول الله ﷺ فقال: «أطعم ستين مسكيناً» قال: وحول الله الطلاق فجعله ظهاراً^(٢)، ورواه ابن جرير، عن ابن المثنى، عن عبد الأعلى، عن داود سمعت أبا العالية فذكر نحوه بأخصر من هذا السياق^(٣)، وقال سعيد بن جبیر: كان الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية، فوقت الله الإيلاء أربعة أشهر وجعل في الظهار الكفارة، رواه ابن أبي حاتم بنحوه، وقد استدلل الإمام مالك على أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله منكم فالخطاب للمؤمنين، وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، واستدل الجمهور عليه بقوله: ﴿مِنْ﴾ على أن الأمة لا ظهار منها ولا تدخل في هذا الخطاب.

وقوله تعالى: ﴿مَا مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ أي: لا تصير المرأة بقول الرجل أنت عليّ كأمي أو مثل أمي أو كظهر أمي وما أشبه ذلك، لا تصير أمه بذلك إنما أمه التي

(٢) سنده مرسل ويشهد له ما سبق من الصحيح.

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٣) أخرجه الطبري عن ابن المثنى به، وحكمه كسابقه.

ولدته، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَهُنَّ يَتْمَسُكَةٌ مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أي: كلاماً فاحشاً باطلاً ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ أي: عما كان منكم في حال الجاهلية، وهكذا أيضاً عما خرج من سبق اللسان، ولم يقصد إليه المتكلم، كما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول لامرأته يا أختي، فقال: «أختك هي؟» فهذا إنكار، ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده، ولو قصده لحرمت عليه لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ فقال بعض الناس: العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره، وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم وقول داود، وحكاه أبو عمر بن عبد البر، عن [بكير]^(١) بن الأشج والفراء وفرقة من أهل الكلام.

وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد المظاهرة زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق.
وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة.

وقد حُكي عن مالك أنه العزم على الجماع والإمساك، وعنه أنه الجماع.
وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريره ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرّمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة، وإليه ذهب أصحابه والليث بن سعد.

وقال ابن لهيعة: حدثني عطاء، عن سعيد بن جبير ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يعني يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرموه على أنفسهم^(٢).

وقال الحسن البصري: يعني الغشيان في الفرج، وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر^(٣).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَمَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَسَّأَ﴾ والمس: النكاح^(٤)، وكذا قال عطاء والزهري وقتادة ومقاتل بن حيان.
وقال الزهري: ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر.

وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة، عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر. فقال: «ما حملك على ذلك يرحمك الله» قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر. قال: «فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله ﷻ»، وقال

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «بكر».

(٢) سنده حسن لأن ابن لهيعة يرويه من نسخة عطاء بن دينار لتفسير سعيد بن جبير.

(٣) أخرجه الطبري من طريق أشعث عن الحسن، وأخرجه عبد الرزاق من طريق هشام عن الحسن بنحوه، وهذان الطريقان يقوي أحدهما الآخر.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به مطولاً.

(٥) سنن أبي داود، الطلاق، باب في الظهار (ح ٢٢٢٣)، وسنن الترمذي، الطلاق، باب في المظاهر =

الترمذي: حسن غريب صحيح، ورواه أبو داود والنسائي من حديث عكرمة مرسلاً، قال النسائي: وهو أولى بالصواب.

وقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا، فههنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان، فحمل الشافعي رحمته الله ما أطلق ههنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله ﷺ قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» وقد رواه أحمد في مسنده في صحيحه^(١).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عبد الله بن نمير، عن إسماعيل بن يسار، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس: قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال إني ظاهرت من امرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر، فقال رسول الله ﷺ: «ألم يقل الله تعالى: ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسَا﴾» قال: أعجبتني، قال: «أمسك حتى تكفر»^(٢). ثم قال البزار: لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا، وإسماعيل بن مسلم تكلم فيه وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم، وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ تُوَعُّظُونَ بِهِ﴾ أي: تزجرون به ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خبير بما يصلحكم عليم بأحوالكم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ قد تقدمت الأحاديث الآمرة بهذا على الترتيب كما ثبت في الصحيحين في قصة الذي جامع امرأته في رمضان^(٣).

﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: شرعنا هذا لهذا. وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: محارمه فلا تنتهكوها.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء كلا ليس الأمر كما زعموا بل لهم عذاب أليم؛ أي: في الدنيا والآخرة.

= (ح ١١٩٩) وسنن النسائي، الطلاق، باب الظهار ١٦٧/٦، وسنن ابن ماجه، الطلاق، باب المجامع يظهر قبل أن يكفر (ح ٢٠٦٥)، وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٤٣٣/٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٩٤٣).

(١) الموطأ، العتق والولاء، باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة (٢/ ٥٩٥ ح ٨) والمسند ٤٤٧/٥، وصحيح مسلم، المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (ح ٥٣٧).

(٢) أخرجه الحاكم من طريق إسماعيل بن مسلم به، وقال الحاكم: لم يحتج الشيخان بإسماعيل. وقال الذهبي: إسماعيل: وإ. (المستدرک ٢/ ٢٠٤).

(٣) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (صحيح البخاري، الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء وتصدق عليه فليکفر ح ١٩٣٦) وصحيح مسلم، الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم (ح ١١١١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَفَدَّ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسَوْءَ مَا لِلشَّيْءِ شَهِيدٌ ٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧﴾.

يخبر تعالى عمَّن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه ﴿كُنُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: أهيئوا ولعنوا وأخزوا كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم ﴿وَفَدَّ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: واضحات لا يعاندها ولا يخالفها إلا كافر فاجر مكابر ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه.

ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: فيخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر. ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسَوْءَ مَا لِلشَّيْءِ شَهِيدٌ﴾ أي: ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء ولا يخفى ولا ينسى شيئاً، ثم قال تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه وإطلاعه عليهم وسماعه كلامهم، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ أي: من سرِّ ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا﴾ أي: مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبُ ٧٨﴾ [التوبة] وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ٨٠﴾ [الزخرف] ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم محيط بهم وبصره نافذ فيهم فهو ﷻ مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء، ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَ عَنْهُ وَيَنْجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يَحْكَ بِهِنَّ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَوَّأْنَاهَا لِقَوْمٍ قَبْلُهَا الْأَمِيزُ ٨١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٨٢﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ٨٣﴾.

قال ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَ عَنْهُ﴾ قال اليهود^(١)، وكذا قال مقاتل بن حيان وزاد: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودة، وكانوا إذا مرَّ

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به.

بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَ عَنَّهُ﴾^(١). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزامي، حدثني سفيان بن حمزة، عن كثير بن زيد، عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن جده قال: كنا نتناوب رسول الله ﷺ نبيت عنده يطرقه من الليل أمر وتبدو له حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه النجوى؟ ألم تنهوا عن النجوى؟» قلنا: تبنا إلى الله يا رسول الله، إنا كنا في ذكر المسيح فرقا منه. فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل»^(٢). هذا إسناد غريب وفيه بعض الضعفاء.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنَجُونَ بِالْأَثَرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ أي: يتحدثون فيما بينهم ﴿بِالْأَثَرِ﴾ وهو ما يختص بهم ﴿وَالْعُدُونِ﴾ وهو ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن مسروق، عن عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة: وعليكم السام قالت: فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش» قلت: ألا تسمعهم يقولون السام عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أو ما سمعت أقول وعليكم؟» فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾^(٣). وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم: عليكم السام والذام واللعنة^(٤)، وأن رسول الله ﷺ قال: «إنه يُستجاب لنا فيهم، ولا يُستجاب لهم فينا».

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه إذ أتى عليهم يهودي، فسلم عليهم فردُّوا عليه فقال نبي الله ﷺ: «هل تدرون ما قال؟» قالوا: سلَّم يا رسول الله. قال: «بل قال: سام عليكم» أي: تسامون دينكم. قال رسول الله ﷺ: «ردُّوه» فردُّوه عليه فقال نبي الله ﷺ: «أقلت: سام عليكم؟» قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «إذا سلَّم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: عليك»^(٥). أي: عليك

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وهو معضل.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من طريق كثير بن زيد به (المسند ١٧/٣٥٤، ٣٥٥ ح ١١٢٥٢) وضعف سنده محققوه لضعف كثير بن زيد وربيعة بن عبد الرحمن.

(٣) سنده صحيح وأخرجه مسلم من طريق مسلم أبي الضحى عن مسروق عن عائشة بنحوه (الصحيح، السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ح ٢١٦٥).

(٤) أخرجه الشيخان بدون لفظ: والذام. (صحيح البخاري، الدعوات، باب الدعاء على المشركين ح ٦٣٩٥، وصحيح مسلم، السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ح ٢١٦٤).

(٥) سنده صحيح.

ما قلت، وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح^(١). وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة بنحوه^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي: يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسرّه، فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا^(٣)، فقال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: جهنم كفايتهم في الدار الآخرة ﴿يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسُ الْغَصِيرُ﴾.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سامٌ عليكم، ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول؟ فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسُ الْغَصِيرُ﴾. إسناده حسن ولم يخرجوه.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه: سامٌ عليك.

قال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسُ الْغَصِيرُ﴾^(٤).

ثم قال الله تعالى مؤدباً عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْآثَرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ أي: كما يتناجى به الجهلة من كفر أهل الكتاب ومن مآلهم على ضلالهم من المنافقين ﴿وَتَنَجَّوْا بِالْبَرِّ وَالْقَوَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم وسيجزيك بها.

قال الإمام أحمد: حدثنا بهز وعفان قالا: أخبرنا همام، عن قتادة، عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستتره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]^(٥). أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة^(٦).

(١) صحيح البخاري، استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي... (ح ٦٩٢٦).

(٢) تقدم تخريجه عن عائشة في الروايات قبل السابقة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٧٠/٢)، وحسن سنده الحافظ ابن كثير. وقال الهيثمي إسناده جيد (مجمع الزوائد ١٥٧/٧).

(٤) أخرجه الطبري بسنده ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بسابقه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٧٤/٢) وسنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا...﴾ [هود: ١٨] (ح ٤٦٨٥)، وصحيح مسلم، التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (ح ٢٧٦٨).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ أي: إنما النجوى وهي: المُسَارَّة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيئاً إلا بإذن الله، ومن أحسن من ذلك شيئاً فليستعذ بالله ولتوكل على الله، فإنه لا يضره شيء بإذن الله.

وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن، كما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا: حدثنا الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه»^(١). أخرجاه من حديث الأعمش^(٢). وقال عبد الرزاق: حدثنا معمر، عن أيوب، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه»^(٣). انفرد بإخراجه مسلم، عن أبي الربيع وأبي كامل، كلاهما عن حماد بن زيد، عن أيوب به^(٤).

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَاسْعَوْا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْعَوْا فَيَسْجَعُ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى مؤدباً عباده المؤمنين وأمرأ لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَاسْعَوْا فِي الْمَجَالِسِ﴾ وقرئ (في المجلس)^(٥). ﴿فَاسْعَوْا فَيَسْجَعُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وذلك أن الجزء من جنس العمل كما جاء في الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة»^(٦) وفي الحديث الآخر: «ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(٧) ولهذا أشباه كثيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَاسْعَوْا فَيَسْجَعُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض^(٨). وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يومئذ في الصُفَّة

- (١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٣١/١) وسنده صحيح.
- (٢) صحيح البخاري، الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارَّة والمناجاة (ح ٦٢٩٠) وصحيح مسلم، السلام، باب تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث بغير رضا (ح ٢١٨٤).
- (٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثله (المصنف ٢٦/١١ رقم ١٩٨٠٦) وسنده صحيح.
- (٤) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ٢١٨٣). (٥) وهي قراءة متواترة.
- (٦) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عثمان ؓ (صحيح البخاري، الصلاة، باب من بنى لله مسجداً ح ٤٥٠) وصحيح مسلم، المساجد، باب فضل بناء المساجد والحث عليها (ح ٥٣٣).
- (٧) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ؓ (الصحيح، الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ح ٢١٩٩).
- (٨) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وسنده مرسل.

وفي المكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوه إلى المجالس، فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فردَّ النبي ﷺ عليهم، ثم سلَّموا على القوم بعد ذلك فردُّوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم، فشقَّ ذلك على النبي ﷺ فقال: لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: «قُمْ يا فلان وأنت يا فلان» فلم يزل يقيمهم بعدة نفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر، فشقَّ ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهة في وجوههم، فقال المنافقون: أَلَسْتُمْ تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأيناه قد عدل على هؤلاء، إن قوماً أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه، فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلاً يفسح لأخيه» فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعاً فيفسح القوم لإخوانهم، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة^(١). رواه ابن أبي حاتم.

وقد قال الإمام أحمد والشافعي: حدثنا سفيان، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا». وأخرجه في الصحيحين من حديث نافع به^(٢).

وقال الشافعي: أخبرنا عبد المجيد، عن ابن جريج قال: قال سليمان بن موسى، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل: افسحوا»^(٣). على شرط السنن ولم يخرجه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا فليح، عن أيوب، عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، عن يعقوب بن أبي يعقوب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم»^(٤). ورواه أيضاً عن [سُريج]^(٥) بن يونس ويونس بن محمد المؤدب، عن فليح به ولفظه: «لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم»^(٦). تفرد به أحمد.

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال: فمنهم من رخص في ذلك

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وسنده ضعيف لأنه معضل.

(٢) صحيح البخاري، الاستئذان، باب ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا...﴾ [المجادلة: ١١] (ح ٦٢٧٠) وصحيح مسلم، السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه (ح ٢١٧٧).

(٣) أخرجه الإمام الشافعي (المسند رقم ٦٦٥) وفي سنده سليمان بن موسى صدوق في حديثه بعض لين، وخولط قبل موته. (التقريب ص ٢٥٥) وخالف ما في الصحيحين بتقييده بيوم الجمعة.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٥٣/١٦ ح ١٠٧٧٦) وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

(٥) سُريج: كذا في المسند وفي النسخ الخطية صحف إلى: «شريح».

(٦) أخرجه الإمام أحمد عن سُريج عن فليح به (المسند ١٨٦/١٦ ح ١٠٢٦٦) وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، وأخرجه أيضاً عن يونس عن فليح به (المسند ١٧٢/١٤ ح ٨٤٦٢) وقال محققوه: إسناد حسن.

محتجاً بحديث: «قوموا إلى سيدكم»^(١)، ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢)، ومنهم من فصل فقال: يجوز عند القدوم من سفر وللحاكم في محل ولايته، كما دلَّ عليه قصة سعد بن معاذ، فإنه لما استقدمه النبي حاكماً في بني قريظة فرآه مقبلاً قال للمسلمين: «قوموا إلى سيدكم» وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم. فأما اتخاذه ديدناً فإنه من شعار العجم، وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك^(٣).

وفي الحديث المروي في السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس، فكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم، فالصديق يجلسه عن يمينه وعمر عن يساره، وبين يديه غالباً عثمان وعلي لأنهما كانا ممن يكتب الوحي، وكان يأمرهما بذلك كما رواه مسلم من حديث الأعمش، عن عمارة بن عُمر، عن أبي معمر، عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقول: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم، ثم الذي يلونهم»^(٤). وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا أمر أولئك نفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر، إما لتقصير أولئك في حق البدرين أو ليأخذ البدريون من العلم نصيبهم، كما أخذ أولئك قبلهم أو تعليمًا بتقديم الأفاضل إلى الأمام.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير التيمي، عن أبي معمر، عن أبي مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يسمح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال أبو مسعود: فأنتم اليوم أشد اختلافًا^(٥)، وكذا رواه مسلم وأهل السنن إلا الترمذي من طرق عن الأعمش به^(٦)، وإذا كان هذا أمره لهم في الصلاة أن يليه العقلاء منهم والعلماء فبطريق الأولى أن يكون ذلك في غير الصلاة.

وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن كثير بن مرة، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تذروا فرجات للشياطين ومن وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله»^(٧). ولهذا كان أبي بن كعب سيد القراء إذا انتهى إلى الصف الأول انتزع منه رجلاً

(١) أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. (صحيح البخاري، الجهاد، باب إذا نزل العدو على

حكم رجل ح ٣٠٤٣، وصحيح مسلم، الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد ح ١٧٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث معاوية رضي الله عنه. (السنن، الأدب، باب في قيام الرجل للرجل ح ٥٢٢٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٣٥٧).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه. (السنن، الاستئذان، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ح ٢٧٥٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٢١١).

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. (الصحيح، الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها.. ح ٤٣٢/١٢٣).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٤/١٢٢) وسنده صحيح.

(٦) صحيح مسلم، الصلاة، باب تسوية الصفوف (ح ٤٣٢).

(٧) سنن أبي داود، الصلاة، باب تسوية الصفوف (ح ٦٦٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٦٢٠).

يكون من أفناد الناس^(١)، ويدخل هو في الصف المتقدم ويحتج بهذا الحديث: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهي»^(٢) وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه عملاً بمقتضى ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه، ولنقتصر على هذا المقدار من الأنموذج المتعلق بهذه الآية، وإلا فبسطه يحتاج إلى غير هذا الموضع.

وفي الحديث الصحيح: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ أقبل ثلاثة نفر، فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها، وأما الآخر فجلس وراء الناس، وأدبر الثالث ذاهباً فقال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخبر الثلاثة، أما الأول فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عتاب بن زياد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا أسامة بن زيد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما»^(٤). ورواه أبو داود والترمذي من حديث أسامة بن زيد الليثي به، وحسنه الترمذي^(٥).

وقد روي عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ لَكُم بَلَاءٌ مِمَّنْ لَا يَفْقَهُونَ الصَّلَاةَ أَكْثَرُ﴾: «إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ لَكُم بَلَاءٌ مِمَّنْ لَا يَفْقَهُونَ الصَّلَاةَ أَكْثَرُ» أي: انهضوا للقتال.

وقال قتادة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا فَاسْبَحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ لَكُم بَلَاءٌ مِمَّنْ لَا يَفْقَهُونَ الصَّلَاةَ أَكْثَرُ﴾ أي: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا^(٦).

وقال مقاتل: إذا دعيتم إلى الصلاة فارتفعوا إليها.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كانوا إذا كانوا عند النبي ﷺ في بيته فأرادوا الانصراف، أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجاً من عنده، فربما يشق ذلك عليه، وقد تكون له الحاجة فأمرهم أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا^(٨) كقوله تعالى: ﴿وَأِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَأَرْجِعُوا﴾ [النور: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: لا

(١) إفناد الناس: أي فرقاً من الناس فرادى بلا إمام. (النهاية ٣/٤٧٥).

(٢) تقدم تخريجه قبل روايتين.

(٣) أخرجه الشيخان من حديث أبي واقد الليثي ر. (صحيح البخاري، العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ح ٦٦، وصحيح مسلم، السلام، باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها ح ٢١٧٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١١/٥٧٦، ٥٧٧ ح ٦٩٩٩) وحسن سنده محققوه.

(٥) سنن أبي داود، الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (ح ٤٨٤٥)، وسنن الترمذي، الأدب، باب ما جاء في كراهية الجلوس بين رجلين بغير إذنهما (ح ٥٧٥٣) وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح ٤٠٥٤).

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه، وسنده ضعيف لأنه معضل.

تعتقدوا أنه إذا أفسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو إذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصاً في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله، والله تعالى لا يضيع ذلك له، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة، فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره، ولهذا قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن شهاب، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسفان، وكان عمر استعمله على مكة، فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبنى رجل من مواليها، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاض، فقال عمر رضي الله عنه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به آخرين»^(١). وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به^(٢)، وروي من غير وجه عن عمر بنحوه، وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد في ذلك من الأحاديث مستقصاة في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري، والله الحمد والمنة.

﴿يَتْلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَتَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَقْدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧) ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨).

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ؛ أي: يسأله فيما بينه وبينه، أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهَرُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا﴾ أي: إلا من عجز عن ذلك لفقره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فما أمر بها إلا من قدر عليها. ثم قال تعالى: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ﴾ أي: أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فنسخ وجوب ذلك عنهم، وقد قيل: إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال ابن أبي نجيج، عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا فلم يناجيه إلا علي بن أبي طالب قدم ديناراً صدقة تصدق به، ثم ناجى النبي ﷺ، فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة^(٣)، وقال ليث بن أبي سليم: عن مجاهد قال علي رضي الله عنه: آية في كتاب الله ﷻ لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ١/٣٥) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (ح ٨١٧).

(٣) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجيج به بدون: فسأله عشر خصال، وسنده ضعيف لأن مجاهداً لم يسمع من علي رضي الله عنه ولكنه يتقوى بالرواية الموصولة التي أخرجه الحاكم من طريق مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي رضي الله عنه بنحوه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٤٨١، ٤٨٢).

ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم، فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ صَدَقَةٌ﴾^(١) الآية.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن عثمان بن المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما ترى، دينار؟» قال: لا يطيقون. قال: «نصف دينار» قال: لا يطيقون. قال: «ما ترى؟» قال: شعيرة. فقال له النبي ﷺ: «إنك لزهيذ» قال: فنزلت ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ صَدَقَتِ﴾ قال علي: في خفف الله عن هذه الأمة^(٢).

ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع، عن يحيى بن آدم، عن عبيد الله الأشجعي، عن سفيان الثوري، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ صَدَقَةٌ﴾ إلى آخرها قال لي النبي ﷺ: «ما ترى، دينار» قلت: لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله، ثم قال: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، ثم قال: ومعنى قوله: شعيرة، يعني: وزن شعيرة من ذهب^(٣). ورواه أبو يعلى، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن آدم به^(٤).

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ صَدَقَةٌ﴾ إلى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا^(٥).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ صَدَقَةٌ﴾ وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه ﷺ، فلما قال ذلك جئن كثير من المسلمين وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ صَدَقَتِ﴾ فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقیموا الصلوة وءاتوا الزكوة فوسع الله عليهم ولم يضيق^(٦).

وقال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى: ﴿فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ صَدَقَةٌ﴾ نسختها الآية التي بعدها ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ صَدَقَتِ﴾... إلى آخرها^(٧).

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة ومقاتل بن حيان: سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه

(١) أخرجه الطبري من طريق ليث به، وفيه العلة السابقة وليث فيه مقال، ويتقوى برواية الحاكم السابقة.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده علي بن علقمة: مقبول (التقريب ص ٤٠٤)، وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومثته (السنن، التفسير، باب ومن سورة المجادلة ح ٣٣٠) وسنده كسابقه، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٦٥٢).

(٤) مسند أبي يعلى ٣٢٢/١ (ح ٤٠٠) وفي سنده أيضاً علي بن علقمة.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما تقدم في رواية الحاكم، وما يليه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٧) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف ولكنه يتقوى إذ توبع في رواية ابن الجوزي فقد أخرجه بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس. (نواسخ القرآن ص ٤٧٩).

بالمسألة فقطعهم الله بهذه الآية، فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة، فاشتد ذلك عليهم، فأنزل الله الرخصة بعد ذلك ﴿فَإِنْ لَّمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وقال معمر، عن قتادة ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَكُمُ صَدَقَةٌ﴾ إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار^(٢). وهكذا روى عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن مجاهد قال علي: ما عمل بها أحد غيري حتى نُسخت، وأحسبه قال: وما كانت إلا ساعة^(٣).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٤ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٥ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ١٦ ﴿لَنْ تَغْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ١٧ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ١٨ ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ١٩.

يقول الله تعالى منكرًا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن. وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿مُذَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء] وقال ههنا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود الذين كان المنافقون يمالؤونهم ويوالونهم في الباطن.

ثم قال تعالى: ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ أي: هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون، ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود، ثم قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: المنافقين يحلفون على الكذب، وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا وهي اليمين الغموس، ولا سيما في مثل حالهم اللعين عيادًا بالله منه، فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا جاؤوا الرسول حلفوا له بالله إنهم مؤمنون، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به؛ لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وإن كان في نفس الأمر مطابقاً، ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك.

ثم قال تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٥ أي: أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهي موالات الكافرين ونصحهم ومعاداة المؤمنين، وغشهم، ولهذا قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالإيمان الكاذبة، فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم، فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: في مقابلة ما امتنوا من الحلف باسم الله العظيم في الإيمان الكاذبة الحائثة.

(١) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ورجاله ثقات لكنه مرسل وذكر الرخصة يتقوى بسابقتها، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن مقاتل، وسنده معضل.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثته، وسنده صحيح.

ثم قال تعالى: ﴿لَنْ تَقِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحداً ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: يحلفون بالله ﷻ أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا؛ لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ولهذا قال: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: حلفهم بذلك لربهم ﷻ.

ثم قال تعالى منكرأ عليهم حسابانهم: ﴿آلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ فأكد الخبر عنهم بالكذب.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن نفيل، حدثنا زهير، عن سماك بن حرب، حدثني سعيد بن جبير، أن ابن عباس حدثه أن النبي ﷺ كان في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال: «إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان فإذا أتاكم فلا تكلموه» فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله فكلمه فقال: «علام تشمتني أنت وفلان وفلان» نفر دعاهم بأسمائهم، قال: فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا له واعتذروا إليه، قال فأنزل الله ﷻ: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآية (١).

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين عن سماك به، ورواه ابن جرير، عن محمد بن المثنى، عن غندر، عن شعبة، عن سماك به نحوه، وأخرجه أيضاً من حديث سفيان الثوري، عن سماك بنحوه (٢). إسناده جيد ولم يخرجوه، وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (٣) أنظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴿[الأنعام]﴾.

ثم قال تعالى: ﴿اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّهُمُ فَاسِقُونَ﴾ أي: استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله ﷻ، وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه، ولهذا قال أبو داود: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زائدة، حدثنا [السائب بن حبيش] (٣)، عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية» قال زائدة: قال السائب: يعني الصلاة في الجماعة (٤).

ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ يعني: الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ثم قال تعالى: ﴿آلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاقِقُونَ﴾.

(١) سنده حسن وأخرجه الإمام أحمد من طريق شعبة عن سماك به (المسند ٤٨/٤ ح ٢١٤٧) وحسن سنده محققه، وأخرجه الحاكم من طريق سماك به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٤٨٢).

(٢) أخرجه الطبري من هذه الطرق، وحكمه كسابقه.

(٣) كذا في (ح) و(حم) وسنن أبي داود، وفي الأصل ضحف إلى: «السائب بن حنيس».

(٤) أخرجه أبو داود بسنده ومثته. (السنن، الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة ح ٥٤٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٥١١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَکَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المعاندين المحادّين لله ورسوله؛ يعني: الذين هم في حدّ والشرع في حدّ؛ أي: مجانبون للحقّ مشاقون له هم في ناحية والهدى في ناحية ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والآخرة. ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَکَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ أي: قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل، بأن النصر له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة وأن العاقبة للمتقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ [غافر] وقال ههنا: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَکَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢١) أي: كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه، وهذا قدر محكم وأمر مبهرم أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أي: لا يوادون المحادّين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيَعِذِّكُمُ اللَّهُ نَفْسُكَ﴾ الآية [آل عمران: ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) [التوبة] وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: أنزلت هذه الآية ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر^(١)، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم: ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾: نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ في مصعب بن عمير، قتل

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن شاذب، وسنده معضل وكذلك رواية سعيد بن عبد العزيز، وأخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١/١٥٤ ح ٣٦٠) والحاكم في (المستدرک ٣/٢٦٤) كلاهما من طريق عبد الله بن شاذب. وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبراني بسند جيد عن عبد الله بن شاذب. (الإصابة ٩٣/٧) ولكنه منقطع في عدم ذكر شيخ ابن شاذب ومن يليه.

أخاه عُبيد بن عُمير يومئذٍ ﴿أَوْ عَشِيرَتُهُمْ﴾ في عمر قتل قريباً له يومئذٍ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ والوليد بن عُتْبَةَ يومئذٍ، فالله أعلم.

قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعلَّ الله تعالى أن يهديهم. وقال عمر: لا أرى ما رأى، يا رسول الله هل تمكّني من فلان قريب لعمر فأقتله، وتمكّن علياً من عقيل وتمكّن فلاناً من فلان ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا مادة للمشركين القصة بكمالها^(١).

وقوله تعالى: ﴿أَوَّلِيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: من اتّصف بأنه لا يوادّ من حادّ الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه، فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان؛ أي: كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته.

قال السدي: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ جعل في قلوبهم الإيمان.

وقال ابن عباس: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: قواهم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَذُلُّهُمْ جَنَّتْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ كل هذا تقدم تفسيره غير مرة، وفي قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سرٌّ بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم.

وقوله تعالى: ﴿أَوَّلِيكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: هؤلاء حزب الله؛ أي: عباد الله وأهل كرامته. وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا هارون بن حميد الواسطي، حدثنا الفضل بن عنبسة، عن رجل قد سماه فقال: هو عبد الحميد بن سليمان - انقطع من كتابي - عن الديال بن عباد قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: اعلم أن الجاه جاهان: جاء يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه، وأنهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة»^(٢). فهوؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله: ﴿أَوَّلِيكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقال نعيم بن حماد: حدثنا محمد بن ثور، عن يونس، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة، فإني وجدت فيما أوحيته إليّ ﴿لَا تَجِدُ

(١) تقدم تخريجها في تفسير سورة الأنفال آية ٦٧.

(٢) سنده ضعيف لإرساله، ولبعضه شاهد في صحيح مسلم بلفظ: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي». (صحيح مسلم، الزهد والرقائق ج ٢٩٦٥).

قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^(١). قال سفيان: يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان^(٢). رواه أبو أحمد العسكري.

آخر تفسير سورة المجادلة، والله الحمد والمنة.

وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه وحزبه آمين.

(١) سنده ضعيف لإرساله أيضاً.

(٢) سنده ضعيف لأنه معضل.

سُورَةُ الْحَشْرِ

وهي مدنية

[وكان ابن عباس يقول: سورة بني النضير^(١)].

قال سعيد بن المنصور: حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال: أنزلت في بني النضير^(٢)، ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر عن هشيم به^(٣)، ورواه البخاري من حديث أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير: قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: سورة بني النضير^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْتَنَّهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَكْفُورُوا ٢ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ٣ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٤ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ٥ ﴿﴾

يخبر تعالى أن جميع ما في السموات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجده ويقدهسه ويصلي له ويوحده كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: منيع الجنب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في قدره وشرعه.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: يهود بني النضير. قاله ابن عباس ومجاهد والزهرى وغير واحد^(٥)، كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادئهم وأعطاهم عهداً وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحلَّ الله بهم بأسه الذي لا مردَّ له، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يصد، فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من

(١) زيادة من (حم).

(٢) سنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، المغازي، باب حديث بني النضير (ح ٤٠٢٩). وصحيح مسلم، التفسير (ح ٣٠٣١).

(٤) المصدر السابق من صحيح البخاري (ح ٤٨٨٣).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري أيضاً بسند صحيح من طريق معمر عن الزهرى.

حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله، فما أغنى عنهم من الله شيئاً وجاءهم من الله ما لم يكن ببالهم، [وسيرهم]^(١) رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي لا يمكن أن تحمل معهم، ولهذا قال تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ أي: تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحلّ به من بأسه المخزي له في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم.

قال أبو داود: حدثنا محمد بن داود وسفيان، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى [ابن أبي ومن]^(٢) كان معه يعبد الأوثان من الأوس، والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر: إنكم آويتم صاحبنا وإنا نقسم بالله لنقاتلنه أو لنخرجنه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسبي نساءكم، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان أجمعوا لقتال النبي ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم يريدون أن يقاتلوا أبناءكم وإخوانكم» فلما سمعوا ذلك من النبي تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش فكتب كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نساءكم شيء وهو الخلاخل، فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ أيقنت بنو النضير بالغدر، فأرسلوا إلى النبي ﷺ: أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منا ثلاثون [حبراً حتى نلتقي بمكان النصف، وليسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنّا بك]^(٣).

فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم فقال لهم: «إنكم والله لا تؤمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا أن يعطوه عهداً فقاتلهم يومهم ذلك»، ثم غدا من الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه، فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها، وكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاه الله إياها وخصّه بها فقال تعالى: ﴿وَمَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] يقول بغير قتال، فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانا ذوي حاجة ولم يقسم من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة^(٤).

(١) كذا في (ح) وفي الأصل صحف إلى: «وسرهم».

(٢) كذا في (حم) وسنن أبي داود، وفي الأصل حُرِفَ إلى: «ابن أم رب».

(٣) كذا في (حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه أبو داود بسنده ومثته. (السنن، الخراج والإمارة، باب في خبر النضير ح ٣٠٠٤) وصححه سننه =

ولنذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله المستعان.

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسير أنه لما قُتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا سبعين، وأُفلت منهم عمرو بن أمية الضمري، فلما كان في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر، وكان معهما عهد من رسول الله ﷺ وأمان لم يعلم به عمرو، فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «لقد قتلت رجلين لأديئهما»^(١) وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد، فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير ليستعينهم في دية ذينك الرجلين، وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقها.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر الذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما فيما حدثني يزيد بن رومان، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا: نعم يا أبا القاسم نُعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم - فَمَنْ رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحش بن كعب أحدهم فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة.

فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقال رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم، ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، ووديعه، ومالك بن أبي قوقل، وسويد، وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا، فإننا لن نسلمكم إن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا فقفذ الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكفَّ عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعل، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بعيه فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دُجانة

= الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٢٥٩٥).

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١٩٠/٢.

- سماك بن خرشة - ذكرا فقراً فأعطاها رسول الله ﷺ، قال: ولم يسلم من بني النضير إلا رجلاً: يامين بن عمرو بن كعب عم عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله ﷺ قال ليامين: «ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني» فجعل يامين بن عمرو لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون.

قال ابن إسحاق: ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها^(١)، وهكذا روى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق بنحو ما تقدم.

فقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: بني النضير ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن أبي سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: من شك في أن أرض المحشر ههنا؛ يعني: الشام فليقرأ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ قال لهم رسول الله ﷺ: «اخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»^(٢).

وحدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن عوف، عن الحسن قال: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير قال: «هذا أول الحشر وأنا على الأثر»^(٣). ورواه ابن جرير، عن بNDAR، عن ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن به^(٤).

وقوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ أي: في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها، ولهذا قال تعالى: ﴿وظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أي: جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل].

وقوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي: الخوف والهلع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصروهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه؟

وقوله: ﴿يُخْرِجُونَ يُؤْتِيهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك، وهو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم وتحمّلها على الإبل، وكذلك قال عروة بن الزبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد^(٥).

(١) ينظر: السيرة النبوية ٢/ ١٩٠، ١٩١. وسنده معضل، وله شواهد تأتي في الروايات التالية.

(٢) سنده ضعيف لضعف أبي سعد وهو البقال، (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٦).

(٣) رجال ثقات لكنه مرسل. (٤) أخرجه الطبري عن بNDAR به، وسنده كسابقه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الزهري بنحوه، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً.

وقال مقاتل بن حيان: كان رسول الله ﷺ يقاتلهم فإذا ظهر على درب أو دار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال، وكان اليهود إذا علّوا مكاناً أو غلبوا على درب أو دار نقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودبروها، يقول الله تعالى: ﴿فَاعْتَرِضُوا يَنَاقِلُوا الْبَصَرِ﴾^(١).

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهم فِي الدُّنْيَا﴾ أي: لولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفي من ديارهم وأموالهم لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي ونحو ذلك، قاله الزهري، عن عروة والسدي وابن زيد^(٢)؛ لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الدار الآخرة من العذاب في نار جهنم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير قال: ثم كانت وقعة بني النضير، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وأن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهي السلاح، فأجلاهم رسول الله ﷺ قبل الشام، قال: والجلاء كُتب عليهم في أي من التوراة، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ما سلط عليهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله فيهم ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِيُخْرِىَ الْفَلْسَفِينَ﴾^(٣).

وقال عكرمة: ﴿الْجَلَاءُ﴾ القتل، وفي رواية عنه الفناء.

وقال قتادة: ﴿الْجَلَاءُ﴾ خروج الناس من البلد إلى البلد^(٤).

وقال الضحاك: أجلاهم إلى الشام، وأعطى كل ثلاثة بغيراً وسقاء، فهذا الجلاء.

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضي، حدثنا محمد بن سعيد العوفي، حدثني أبي، عن عمي، حدثنا أبي، عن جدي، عن ابن عباس، قال: كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم، وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام، وجعل لكل ثلاثة منهم بغيراً وسقاء، والجلاء إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى^(٥).

وروي أيضاً من حديث يعقوب بن محمد الزهري، عن إبراهيم بن جعفر، عن محمود بن محمد بن [مسلمة]^(٦)، عن أبيه، عن جده، عن محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير، وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام^(٧).

(١) أخرجه البيهقي عن مقاتل بن حيان. (دلائل النبوة ٣/٣٥٨) وسنده معضل.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الزهري.

(٣) سنده حسن لكنه مرسل ويتقوى بالسابق واللاحق.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه البيهقي (دلائل النبوة ٣/٣٥٩) وسنده ضعيف.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «مسلم».

(٧) أخرجه البيهقي (دلائل النبوة ٣/٣٦٠) في سنده محمود بن محمد بن مسلمة سكت عنه ابن أبي حاتم. =

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ أي: حتم لازم لا بدّ لهم منه.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين؛ لأنهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد ﷺ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم. ثم قال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥)
اللين نوع من التمر وهو جيد.

قال أبو عبيدة: وهو ما خالف العجوة والبرني من التمر^(١).

وقال كثيرون من المفسرين: اللينة ألوان التمر سوى العجوة^(٢).

قال ابن جرير: هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو^(٣) البويرة أيضاً، وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم، فروى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان، وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا: [فبعث بنو النضير]^(٤) يقولون لرسول الله ﷺ: إنك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة؛ أي: ما قطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذنه ومشئته وقدره ورضاه، وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم، وإرغام لأنوفهم^(٥).

وقال مجاهد: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغنم المسلمين، فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذنه^(٦)، وقد روي نحو هذا مرفوعاً، فقال النسائي: أخبرنا الحسن بن محمد، عن عفان، حدثنا حفص بن غياث، حدثنا حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥) قال: يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل، فحاك في صدورهم، فقال المسلمون: قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً فلنسألن رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾^(٧).

= (الجرح والتعديل ٨/ ٢٩٠).

(١) ذكره أبو عبيدة. (مجاز القرآن ٢/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه الطبري وابن أبي شيبة بسند حسن من طريق داود عن عكرمة (المصنف ١٢/ ٣٩٣).

(٣) ذكره الطبري وأخرجه هو وأدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: نخلة، قال: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) ذكره ابن هشام (السيرة ٢/ ١٩١)، وأخرجه البيهقي من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم (دلائل النبوة ٣/ ٣٥٥)، وأخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة لكنه مرسل وهذان المرسلان يقوي أحدهما الآخر.

(٦) تقدم تخريجه قبل الرواية السابقة.

(٧) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن الكبرى، التفسير، باب ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥] ح ١١٥٧٤) وسنده صحيح.

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا حفص، عن ابن جريج، عن سليمان بن موسى، عن جابر، وعن أبي الزبير، عن جابر، قال: رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله علينا إثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير وحرَّق^(٢)، وأخرجه صاحبنا الصحيح من رواية موسى بن عقبة بنحوه^(٣)، ولفظ البخاري من طريق عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حارب قريظة، فقتل من رجالهم وسبى وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فأمتهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود بالمدينة^(٤)، ولهما أيضاً عن قتيبة، عن الليث بن سعد، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرَّق نخل بني النضير وقطع، وهي: [البويرة]^(٥)، [فأنزل الله ﷻ فيه ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ﴾]^(٦).

وللبخاري رحمه الله من رواية جويرية ابن أسماء، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع البويرة^(٧) ولها يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وهان على سراة بني لؤي تحريق بالبويرة مستطير
فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول:

أدام الله ذلك من صنيع وحرَّق في نواحيها السعير
ستعلم أينما منها بنزه وتعلم أي أرضينا نضير^(٨)
كذا رواه البخاري ولم يذكره ابن إسحاق.

وقال محمد بن إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف:

(١) أخرجه أبو يعلى (المسند ٤/١٣٥ ح ٢١٨٩) وسنده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع (مجمع الزوائد ٧/١٢٥) وفيه مخالفة لرواية الصحيح في قوله: ثم شدد عليهم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٧/٢) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، الجهاد، باب حرق الدور والنخيل (ح ٣٠٢١)، وصحيح مسلم، الجهاد، باب جواز قطع أشجار الكفار (ح ١٧٤٦/٣٠).

(٤) صحيح البخاري، المغازي، باب حديث بني النضير (ح ٤٠٢٨).

(٥) كذا في (ح) و(حم) وصحيح البخاري، وفي الأصل صحفت إلى: «البريدة».

(٦) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر: ٥] (ح ٤٨٨٤)، وصحيح مسلم، الجهاد والسير، باب جواز قطع أشجار الكفار (ح ١٧٤٦/٢٩).

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

(٨) أخرجه البخاري من طريق حبان عن جويرية بن أسماء به. (الصحيح، المغازي، باب حديث بني النضير ح ٤٠٣٢).

لقد خزيت بغدرتها الحَبَور^(١) وذلك أنهم كفروا برب وقد أوتوا معاً فهماً وعِلْماً نذير صادق أدى كتاباً فقالوا ما أتيت بأمر صدق فقال بلى لقد أديت حقاً فمن يتبعه يُهدَ لكل رشد فلما أشربوا غدراً وكفراً أرى الله النبي برأي صدق فأيده وسلطه عليهم فغودر منهم وكعب صريعاً على الكفين ثم وقد علتة بأمر محمد إذ دس ليلاً فما كره فأنزله بمكر فتلك بنو النضير بدار سوء غداة أتاهم وفي الزحف وغسان الحماة موازروه فقال السلم ويحكمُ فصدوا فذاقوا غببَ أمرهم وأجلوا عامدين لقينقاع

كذلك الدهر ذو صرف يدور عظيم أمره أمر كبير وجاءهم من الله النذير وآيات مبينة تنير وأنت بمنكر منا جدير يصدقني به الفهم الخبير ومن يكفر به يجز الكفور وجد بهم عن الحق النفور وكان الله يحكم لا يجور وكان نصيره نعم النصير فذلت بعد مصرعه النضير بأيدينا مشهرة ذكور^(٢) إلى كعب أخا كعب يسير ومحمود أخو ثقة جصور أبارهم بما اجترموا المبير رهواً رسول الله وهو بهم بصير على الأعداء وهو لهم وزير [وحالف]^(٣) أمرهم كذب وزور وبالأل لكل ثلاثة منهم بعير وغودر منهمو نخل ودور^(٤)

قال: وكان مما قيل من الأشعار في بني النضير قول ابن القيم العبسي، ويقال: قالها قيس بن بحر بن طريف، قال ابن هشام الأشجعي:

أهلي فداء لامرئ غير هالك
يقللون في جمر العضاة
فإن يك ظني صادقاً بمحمد
يؤم بها عمرو بن بهثة إنهم
عليهنَّ أبطال مساعير في الوغر
وكل رقيق الشفرتين مهندي
فمن مبلغ عني قريشاً رسالة

أجلى اليهود بالحسي المزئم
وبدلوا أهيبض عوداً بالودي^(٥) المكمم
يروا خيله بين الصلا ويرمرم^(٦)
عدوا ما حيي صديق كمجرم
يهزّون أطراف الوشيح^(٧) المقوم
تورثن من أزمان عاد وجرهم
فهل بعدهم في المجد من متكرم

(٢) أي: سيوف مسلولة من أغمادها.

(١) أي: علماء اليهود.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «وحالة».

(٤) ينظر السيرة النبوية لابن هشام ١٩٩/٢.

(٥) أي: صغار النخل.

(٧) أي: الرماح.

(٦) الصلا ويرمرم: موضعان.

بأن أخاكم فاعلمنّ محمداً
فدينوا له بالحق تجسم أموركم
نبي تلاقته من الله رحمة
فقد كان في بدر لعمري عبرة
غداة أتى في الخزرجية عامداً
مُعَاناً بروح القدس ينكي عدوه
رسولاً من الرحمن يتلو كتابه
أرى أمره يزداد في كل موطن

تليد الندي بين الحجون وزمزم
وتسموا من الدنيا إلى كل معظم
ولا تسألوه أمر غيب مرجم
لكم يا قريش والقلب الملمم
إليكم مطيعاً للعظيم المكرم
رسولاً من الرحمن حقاً بمعلم
فلما أنار الحق لم يتلعثم
علواً لأمر حُثِّه الله محكم^(١)

وقد أورد ابن إسحاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ههنا أشعاراً كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفاصيل للقصة، تركنا باقيها اختصاراً واكتفاء بما ذكرناه، والله الحمد والمنة.

قال ابن إسحاق: كانت وقعة بني النضير بعد [وقعة أحد وبعد بئر معونة].
وحكى البخاري عن الزهري، عن عروة أنه قال: كانت وقعة بني النضير^(٢) بعد بدر بستة أشهر^(٣).

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١ ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٧ ﴿

يقول تعالى مبيناً ما الفيء وما صفته وما حكمه، فالفيء: كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب؛ أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ، فأفأه على رسوله، ولهذا تصرّف فيه كما يشاء فردّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله ﷻ في هذه الآيات فقال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ أي: من بني النضير ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يعني: الإبل ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء.

ثم قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ أي: جميع البلدان التي تفتح هكذا فتحكمها حكم أموال بني النضير ولهذا قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ إلى آخرها والتي بعدها فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه.

(١) المصدر السابق ١٩٥/٢.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً، وقال الحافظ ابن حجر: وصله عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري أتم من هذا. (فتح الباري ٣٢٩/٧، ٣٣٠).

(٢) زيادة من (ح) و(حم).

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو ومعمرو، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان، عن عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لو يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خالصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته، وقال مرة: قوت سنته وما بقي جعله في الكراع والسلاح في سبيل الله ﷻ ^(١)، هكذا أخرجه أحمد ههنا مختصراً، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم إلا ابن ماجه من حديث سفيان، عن عمرو بن دينار، عن الزهري به ^(٢)، وقد رويناه مطولاً.

وقال أبو داود رحمته الله: حدثنا الحسن بن علي ومحمد بن يحيى بن فارس المعنى واحد قالا: حدثنا بشر بن عمر الزهراني، حدثني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن مالك بن أوس قال: أرسل إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تعالى النهار فجئته فوجدته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله ^(٣)، فقال حين دخلت عليه: يا مالك إنه قد دف ^(٤) أهل أبيات من قومك، وقد أمرت فيهم بشيء فاقسم فيهم، قلت: لو أمرت غيري بذلك. فقال: خذه، فجاءه يرفاً ^(٥) فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزيبر بن العوام وسعد بن أبي وقاص؟ قال: نعم.

فأذن لهم فدخلوا، ثم جاءه يرفاً فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في العباس وعلي؟ قال: نعم، فأذن لهما فدخلا فقال العباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا يعني: علياً، فقال بعضهم: أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرحهما، قال مالك بن أوس: حُيل إليّ أنهما قدما أولئك النفر لذلك، فقال عمر رضي الله عنه اتئدا ثم أقبل على أولئك الرهط فقال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة؟» قالوا: نعم. ثم أقبل على علي والعباس فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة؟» فقالا: نعم. فقال: إن الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها أحداً من الناس فقال تعالى: ﴿وَمَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ فكان الله تعالى أفاء على رسوله أموال بني النضير، فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم، فكان رسول الله ﷺ يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة، ويجعل ما بقي أسوة ^(٦) المال.

ثم أقبل على أولئك الرهط فقال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم. ثم أقبل على علي والعباس فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٥/١) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الجهاد، باب المجن ومن يترس بترس صاحبه (ح ٢٩٠٤) وصحيح مسلم، الجهاد، باب حكم الفبي (ح ١٧٥٧)، وسنن أبي داود، الخراج، باب في صفايا رسول الله ﷺ (ح ٢٩٦٥)، وسنن الترمذي، الجهاد، باب ما جاء في الفبي (ح ١٧١٩)، وسنن النسائي، قسم الفبي ١٣٢/٧.

(٣) أي: موصلاً جسده إلى رماله، ورمال السرير: ما ينسج في وجهه بالسعف.

(٤) أي: جاءوا مسرعين.

(٥) هو اسم غلام لعمر رضي الله عنه.

(٦) أي: يجعله لا ينفرد به أحد.

والأرض هل تعلمان ذلك؟ قالوا: نعم. فلما توفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، فجئت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «لا نورث، ما تركنا صدقة» والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق فوليها أبو بكر، فلما توفي قلت أنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر فوليتها ما شاء الله أن أليها، فجئت أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد فسألتما فيها، فقلت إن شئتما فأنا أؤدفعها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تليها بالذي كان رسول الله ﷺ يليها، فأخذتماها مني على ذلك ثم جئتماني لأقضي بينكما بغير ذلك، والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فرداها إلي^(١). أخرجه من حديث [الزَّهْرِي] ^(٢) به ^(٣).

قال الإمام أحمد: حدثنا عارم وعفان قالا: أخبرنا معتمر سمعت أبي يقول: حدثنا أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: إن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير. قال: فجعل يرد بعد ذلك، قال: وإن أهلي أمروني أن آتي النبي ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه، وكان نبي الله ﷺ قد أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله قال: فسألت النبي ﷺ فأعطانيهن، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول: كلا والله الذي لا إله إلا هو لا يعطينكن وقد أعطانيهن، أو كما قالت، فقال نبي الله: «لك كذا وكذا». قال: وتقول: كلاً والله. قال: ويقول: «لك كذا وكذا» قال: وتقول: كلاً والله، قال: «ويقول لك كذا وكذا» قال: حتى أعطاه حسبته أنه قال: عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله، أو كما قال ^(٤). رواه البخاري ومسلم من طرق عن معتمر ^(٥) به.

وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خمس الغنيمة، وقد قدمنا الكلام عليها في سورة الأنفال بما أغنى عن إعادته ههنا، والله الحمد.

وقوله تعالى: ﴿كَفَى لَكُمْ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي: جعلنا هذه المصارف لمال الفتيء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ أَرْسُولًا فَعْدُوهُمْ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ أي: مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر.

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثته (السنن، الخراج والإمارة، باب في صفايا رسول الله ﷺ ح ٢٩٦٣) وسنده صحيح.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: «الترمذي».

(٣) صحيح البخاري، فرض الخمس، باب فرض الخمس (ح ٣٠٩٤) وصحيح مسلم، الجهاد، باب حكم الفتيء (ح ١٧٥٧)، وسنن الترمذي، السير، باب ما جاء في تركة رسول الله ﷺ (ح ١٦١٠) والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب (ما أفاء على الله مع رسوله) (ح ١١٥٧٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢١٩/٣) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (ح ٤١٢٠) وصحيح مسلم، الجهاد، باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والتمر... (ح ١٧٧١).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن العرنى، عن يحيى بن الجزار، عن مسروق قال: جاءت امرأة إلى ابن مسعود قالت: بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة، أشيء وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ؟ قال: بلى شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ. قالت: والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول. قال: فما وجدت فيه: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟ قالت: بلى. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة، قالت: فلعله في بعض أهلك، قال: فادخلي فانظري، فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت: ما رأيت بأساً، فقال لها: أما حفظت وصية العبد الصالح ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ﴾^(١) [هود: ٨٨].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن منصور، عن علقمة، عن عبد الله هو: ابن مسعود قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله ﷻ، قال فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها: أم يعقوب، فجاءت إليه فقالت بلغني أنك قلت كيت وكيت، قال: ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله تعالى، فقالت: إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته، فقال: إن كنت قرأته فقد وجدته أما قرأت ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟ قالت: بلى. قال: فإن رسول الله ﷺ نهى عنه. قالت: إني لأظن أهلك يفعلونه، قال: اذهبي فانظري فذهبت فلم تر من حاجتها شيئاً، فجاءت فقالت: ما رأيت شيئاً، قال: لو كان كذا لما تجامعنا^(٢). أخرجه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري^(٣).

وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»^(٤).

وقال النسائي: أخبرنا أحمد بن سعيد، حدثنا يزيد، حدثنا منصور بن حيان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر وابن عباس أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه نهى عن الدباء والحتمم والنقير والمزفت، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه زجره ونهاه.

(١) السند فيه اضطراب من قتادة إلى مسروق، ويشهد له ما يليه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٣٣/١) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّوهُ﴾ [الحشر: ٧] (ح ٤٨٨٦) وصحيح مسلم، اللباس، تحريم فعل الواصلة والمستوصلة (ح ٢١٢٥).

(٤) صحيح البخاري، الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (ح ٧٢٨٨)، وصحيح مسلم، الفضائل، باب توقير رسول الله ﷺ (ح ١٣٣٧).

(٥) أخرجه النسائي بسنده ومثله. (السنن الكبرى، التفسير، باب ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّوهُ﴾ ح ١١٥٧٨)، وسنده صحيح.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩) ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠).

يقول تعالى مُبيِّناً حال الفقراء المستحقين لمال الفتيء أنهم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي: خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين. ثم قال تعالى مادحاً للأنصار ومبيِّناً فضلهم وشرفهم وكرمهم، وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم.

قال عمر: وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم^(١). رواه البخاري ههنا أيضاً.

وقوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم. قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حميد، عن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: «لا ما أثبتتم عليهم ودعوتهم الله لهم»^(٢). لم أره في الكتب من هذا الوجه.

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين. قالوا: لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال: «إما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم بعدي أثر»^(٣). تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقال البخاري: حدثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا. فقالوا: أتكفوننا المؤنة ونشرككم في الثمرة. قالوا: سمعنا وأطعنا^(٤). تفرد به دون مسلم. ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

(١) أخرجه البخاري بسنده عن عمر رضي الله عنه. (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩] ح ٤٨٨٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٠/٣٦٠، ٣٦١ ح ١٣٠٧٥) وصححه سندته محققوه.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض» ح ٣٧٩٤).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، الحرث والمزارعة، باب إذا قال: اكفني مؤونة النخل وغيره.. ح ٢٣٢٥).

حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي: ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة.

قال الحسن البصري: ﴿وَلَا يَحْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ يعني: الحسد^(١) ﴿مِّمَّا أُوتُوا﴾.

قال قتادة: يعني: فيما أُعطى إخوانهم. وكذا قال ابن زيد^(٢).

ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال:

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن أنس قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ: مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ: مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحت^(٣) أبي، فأقسمت أنني لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي [فعلت]^(٤) قال: «نعم».

قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله: غير أنني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحترق عمله، قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث المرات، فأردت أن أوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فهذه التي بلغت بك، وهي التي لا تطاق^(٥)، ورواه النسائي في اليوم واللييلة عن سويد بن نصر، عن ابن المبارك، عن معمر به^(٦)، وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس^(٧)، فالله أعلم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ يعني: مما أوتوا المهاجرين، قال: وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أي: نازعت. (٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) سنده صحيح وصححه الحافظ ابن كثير.

(٦) السنن الكبرى، عمل اليوم واللييلة، باب ما يقول إذا انتبه من منامه (ح ١٠٦٩٩).

(٧) قال الحافظ ابن حجر: وذكر البيهقي في «الشعب»: أن شعبياً رواه عن الزهري، حدثني من لا اتهم، عن أنس.. ورويناه في «مكارم الأخلاق» وفي عدة أمكنة عن عبد الرزاق. وقد ظهر أنه معلول. (النكت الظراف ٣٩٥/١).

الأنصار فعاتبهم الله في ذلك فقال تعالى: ﴿وَمَا آفَأَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسْطِرُّ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ❶ قال: وقال رسول الله ﷺ: «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم» فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر» فقالوا: نعم يا رسول الله ❶.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني: حاجة؛ أي: يقدمون المحاويع على حاجة أنفسهم ويبدئون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة جهد المقل» ❷ وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله تعالى: ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨].

وقوله: ﴿وَأَتَى أَمْوَالَهُ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه، ومن هذا المقام تصدق الصديق ﷺ بجميع ماله، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال ﷺ: أبقيت لهم الله ورسوله ❸، وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فردّه الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم، ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير، حدثنا أبو أسامة، حدثنا فضيل بن غزوان، حدثنا أبو حازم الأشجعي، عن أبي هريرة قال: أتى رجل لرسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال النبي ﷺ: «ألا رجل يضيف هذه الليلة ﷺ» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: هذا ضيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئاً، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهن، وتعالى فأطفئ السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: «لقد عجب الله ﷺ - أو ضحك - من فلان وفلانة» فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ❹. وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان ❺، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري

(١) أخرجه الطبري بسنده عن عبد الرحمن بن زيد، وسنده ضعيف لأنه معضل، وعبد الرحمن بن زيد: ضعيف.
(٢) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن حبشي الخثعمي (السنن، الصلاة ح ١٤٤٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٢٨٦).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث عمر بن الخطاب ﷺ. (السنن، المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق ح ٣٩٣٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٩٠٢).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] ح ٤٨٨٩).

(٥) صحيح البخاري، مناقب الأنصار، باب قول الله ﷺ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ (ح ٣٧٩٨) وصحيح مسلم، الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (ح ١٧٢/٢٠٥٤). وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الحشر (ح ٣٣٠١)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ (ح ١١٥٨٢).

بأبي طلحة رضي الله عنه ^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح. قال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا داود بن قيس الفراء، عن عبيد الله بن مقسم، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» ^(٢). انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن القعني، عن داود بن قيس به ^(٣).

وقال الأعمش وشعبة: عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن زهير بن الأقرم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش، وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا» ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعمش، كلاهما عن عمرو بن مرة به ^(٤).

وقال الليث: عن يزيد بن الهاد، عن سهيل بن أبي صالح، عن صفوان بن أبي يزيد، عن القعقاع بن اللجلاج، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً» ^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، أخبرنا ابن المبارك، حدثنا المسعودي، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلك، فقال له عبد الله: وما ذاك؟ قال: سمعت الله يقول: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئاً، فقال عبد الله: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله في القرآن، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً، ولكن ذاك البخل وبش الشيء البخل ^(٦).

وقال سفيان الثوري: عن طارق بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبير، عن أبي الهيثاج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول: اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل، وإذا الرجل عبد الرحمن بن

(١) صحيح مسلم، الباب السابق (ح/٢٠٥٤/١٧٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣/٣٢٣) وسنده صحيح.

(٣) صحيح مسلم، البر والصلة، باب تحريم الظلم (ح/٢٥٧٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد عن ابن أبي عدي عن شعبة به كاملاً. (المسند ١١/٢٦ ح/٦٤٨٧) وصححه سننه محققوه، وأخرجه أبو داود السنن، الزكاة، باب في الشح (ح/١٦٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح/١٤٨٩) وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، التفسير، باب ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ [الحشر: ٩ ح/١١٥٨٣].

(٥) أخرجه النسائي من طريق الليث به (السنن، الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ٧/١٣) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح/٢٩١٠)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٧٢/٢).

(٦) سننه حسن، وأخرجه الطبري من طريق المسعودي به.

عوف رضي الله عنه. رواه ابن جرير ^(١).

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن إسحاق، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا مجمع بن جارية الأنصاري، عن عمه: يزيد بن جارية، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «برئ من الشح من أدى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى في [النائبة]» ^{(٢)(٣)}.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٤) هؤلاء هم: القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم: المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ هَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ أي: بغضاً وحسداً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمته الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب، لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت: أمروا أن يستغفروا لهم فسبواهم ثم قرأت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ^(٥) الآية.

وقال إسماعيل بن علي، عن عبد الملك بن عمير، عن مسروق، عن عائشة قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسببتموهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها» رواه البغوي ^(٥).

وقال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أيوب، عن الزهري قال: قال عمر رضي الله عنه: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] قال

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن.

(٢) كذا في (ح) والطبري وفي الأصل بلفظ: «النائية».

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لأن إسماعيل بن عياش الحمصي صدوق في روايته عن أهل بلده، مُخلط في غيرهم. (التقريب ص ١٠٩) ويروي هنا عن غير أهل بلده وهو مجمع بن جارية وهو من المدينة وليس من حمص.

(٤) سنده ضعيف لضعف إسماعيل بن إبراهيم، وأبو فيه لين. (التقريب ص ٩٤ وص ١٠٥).

(٥) أخرجه البغوي من طريق إسماعيل بن علية به. (معالم التنزيل ٣٢١/٤) ولشطره الأول الموقوف شاهد في صحيح مسلم (الصحيح، التفسير ح ٣٠٢٢).

الزهري: قال عمر رضي الله عنه: هذه لرسول الله ﷺ خاصة وقرى عربية فذك، وكذا مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وللفقراء المهاجرين الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق. قال أيوب: - أو قال: حظ - إلا بعض من تملكون من أرقائكم^(١). كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن أبو ثور، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة بن خالد، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قرأ عمر بن الخطاب: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ حتى بلغ ﴿عَلَيْمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠] ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُمُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الآية [الأنفال: ٤١]. ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الحشر: ٧] حتى بلغ ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ثم قال: استوعبت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلا له فيها حق ثم قال: لئن عشت لياتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه^(٢).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصْرُونَ﴾ ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿لَا يَتْلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُخَصَّصَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿كَذَلِكَ يَكْفُرُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿كَذَلِكَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧﴾.

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: لكاذبون فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا لهم قولاً، ومن نيتهم أن لا يفوا لهم به، وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ﴾ أي: لا يقاتلون معهم ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ أي: قاتلوا معهم ﴿لَيُولَّيْنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصْرُونَ﴾ وهذه بشارة مستقلة بنفسها، كقوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: يخافون

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثنته (السنن، الخراج والإمارة، باب في تدوين العطاء ح ٢٩٦٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٢٥٧٠)، وفي سننه الزهري لم يسمع من عمر رضي الله عنه كما قرر الإمام أحمد بن حنبل (ينظر المراسيل لابن أبي حاتم ص ١٩٠) وهذا التصحيح لعله بالشواهد والطرق.

(٢) سنده ضعيف لضعف عكرمة بن خالد وهو ابن سلمة بن العاص المخزومي. (التقريب ص ٣٩٦).

منكم أكثر من خوفهم من الله ﴿إِذَا فُرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿لَا يَفْلُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ يعني: أنهم من جنهم واهلهم لا يقدرّون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة.

ثم قال تعالى: ﴿بِأَسْهُمٍ يَّيْتَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: عداوتهم فيما بينهم شديدة، كما قال تعالى: ﴿وَيَذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] ولهذا قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف.

قال إبراهيم النخعي: يعني أهل الكتاب والمنافقين ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا وِبَالٍ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٥).

قال مجاهد والسدي ومقاتل بن حيان: يعني كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر^(١).

وقال ابن عباس: كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع^(٢)، وكذا قال قتادة ومحمد بن إسحاق، وهذا القول أشبه بالصواب فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ﴾ يعني: مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتهم لننصرنكم، ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال، تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للإنسان - والعياذ بالله - الكفر، فإذا دخل فيما سول له تبرأ منه وتنصل وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقد ذكر بعضهم ههنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل، لا أنها المرادة وحدها بالمثل، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها، فقال ابن جرير: حدثنا خلاد بن أسلم، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمعت عبد الله بن نهيك قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول إن راهباً تعبّد ستين سنة، وإن الشيطان أَرَادَهُ فَأَعْيَاهُ فَعَمِدَ إِلَى امْرَأَةٍ فَأَجْنَهَا، وَلَهَا إِخْوَةٌ فَقَالَ لِإِخْوَتِهَا: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقَسِّ فَيَدَاوِيهَا، قَالَ: فَجَاؤُوا بِهَا إِلَيْهِ فِدَاوَاهَا وَكَانَتْ عِنْدَهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا عِنْدَهَا إِذْ أَعْجَبَتْهُ فَأَتَاهَا فَحَمَلَتْ، فَعَمِدَ إِلَيْهَا فَفَتَلَهَا فَجَاءَ إِخْوَتُهَا، فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلرَّاهِبِ: أَنَا صَاحِبُكَ إِنَّكَ أَعْيَيْتَنِي أَنَا صَنَعْتُ هَذَا بِكَ فَأَطْعَمَنِي أَنْجَكَ مِمَّا صَنَعْتُ بِكَ، فَاسْجُدْ لِي سَجْدَةً، فَسَجَدَ لَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ لَهُ قَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦) (٣).

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه عن عتبة ابن إسحاق، وفيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثنه، وأخرجه عبد الرزاق من طريق أبي إسحاق به، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق عبد الرزاق به وفيه ورد اسم حميد بن عبد الله بدلاً من عبد الله بن نهيك وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٤٨٤، ٤٨٥).

وقال ابن جرير: حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية ﴿كَتَلَّ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها فحملت، فأتاه الشيطان فقال له: اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدق يسمع قولك، فقتلها ثم دفنها قال: فأتى الشيطان إختوها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا بل قصها علينا. قال فقصها فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، قالوا: فوالله ما هذا إلا لشيء قال: فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقية الشيطان، فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه، قال: فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل^(١). وكذا روي عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا. فالله أعلم.

وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد فإن جريجاً اتهمته امرأة بغي بنفسها، وادعت أن حملها منه ورفعت أمرها إلى ولي الأمر فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول: ما لكم ما لكم؟ قالوا: يا عدو الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا، فقال جريج: اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً، ثم قال: يا غلام من أبوك؟ قال: أبي الراعي، وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيماً بليغاً، وقالوا: نعيد صومعتك من ذهب، قال: لا بل أعيدوها من طين كما كانت^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾ أي: فكان عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: جزاء كل ظالم.

﴿بَنَاتِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَنْ نَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٨﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٩﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عون بن أبي جحيفة، عن المنذر بن جرير، عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاء قوم حفاة عراة محتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مُضَر بل كلهم من مُضَر، فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، قال: فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام الصلاة

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ويشهد له سابقة.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ؓ. (الصحيح، أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْمٍ إِذْ أَنْبَأَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] ح ٣٤٣٦) وهذه القصة غير القصة السابقة.

فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [النساء: ١] إلى آخر الآية، وقرأ الآية التي في الحشر ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال: «ولو بشق تمره» قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول الله ﷺ يتהלّل وجهه كأنه مُدْهَبَةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١). انفرد بإخراجه مسلم من حديث شعبة بإسناده مثله^(٢)، فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما به أمر وترك ما عنه زجر.

وقوله تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تأكيد ثانٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: اعلّموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم، لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب من أموركم جليل ولا حقير.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: لا تنسوا ذكر الله تعالى: فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافون].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن [نجدة]^(٣) الحوطي، حدثنا المغيرة، حدثنا جرير بن عثمان، عن نعيم بن نمحة قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق ﷺ: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله ﷻ فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله ﷻ، إن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أين: من تعرفون من إخوانكم؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة، وأين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار، هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، واستضيئوا بسنائه وبيانه، إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] لا خير في قول لا يُرَادُ بِهِ وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم^(٤). هذا

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٥٨/٤) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره (ح ١٠١٧).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «محمد».

(٤) أخرجه الطبراني بسنده ومثته (المعجم الكبير ٦٠/١ ح ٣٩) وقد حكم الحافظ ابن كثير بجودة سنده.

إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات، وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لا أعرفه بنفي ولا إثبات، غير أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ جرير كلهم ثقات، وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أي: لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْلُوحَاتِهِمْ وَمِمَّا هُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجنابية] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر] وقال تعالى: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص] في آيات أخر دالات على أن الله تعالى يكرم الأبرار ويهين الفجار، ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ أي: الناجون المسلمون من عذاب الله ﷻ.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤).

يقول تعالى معظماً لأمر القرآن ومبيناً علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه، لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتتصدع من خوف الله ﷻ، فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

قال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ إلى آخرها يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع، ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١) وكذا قال قتادة وابن جرير (٢).

وقد ثبت في الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبي ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر، فعند ذلك حنَّ الجذع وجعل يئنُّ كما يئنُّ الصبي الذي يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحي عنده (٣)، ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بمعناه.

(٣) أخرجه البخاري (الصحيح، المناقب، باب علامات النبوة ح ٣٥٨٣، ٣٥٨٥).

إيراده: فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ نَفْسٍ بِهِ الْمَوْتُ﴾ الآية [الرعد: ٣١]. وقد تقدم أن معنى ذلك؛ أي: لكان هذا القرآن، وقد قال تعالى: ﴿وَلَإِنْ مِنْ الْجِبَالِ لَمَا يَنْفَجَرُ مِنْهُ الْآتَهُزُّ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ حَشِيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ❶ أخبر تعالى أنه الذي لا إله إلا هو فلا ربَّ غيره ولا إله للوجود سواه، وكل ما يعبد من دونه فباطل، وأنه عالم الغيب والشهادة؛ أي: يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقيق وصغير وكبير حتى الذر في الظلمات.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قد تقدم الكلام على ذلك في أول التفسير بما أغنى عن إعادته ههنا، والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وقد قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال تعالى: ﴿قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ❷ [يونس].

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة.

وقوله تعالى: ﴿الْقُدُّوسُ﴾ قال وهب بن منبه: أي الطاهر.

وقال مجاهد وقتادة: أي: المبارك^(١).

وقال ابن جريج: تقدسه الملائكة الكرام ﴿السَّلَامُ﴾ أي: من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله.

وقوله تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس: أي: [أمن خلقه من]^(٢) أن يظلمهم^(٣). وقال قتادة: أمن بقوله أنه حق^(٤).

وقال ابن زيد: صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به^(٥).

وقوله تعالى: ﴿الْمُهَيَّمُنُ﴾.

قال ابن عباس وغير واحد: أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم^(٦)، بمعنى هو رقيب عليهم

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل بياض. (٣) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «الشهيد».

كقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]. وقوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦] وقوله: ﴿أَفَنَنْتَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الآية [الرعد: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ﴾ أي: الذي قد عزَّ كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنبه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه، ولهذا قال تعالى: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ أي: الذي لا تليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته، كما تقدم في الصحيح: «العظمة إزارى والكبرياء رادئي فمن نازعني واحداً منهما عذبت»^(١).

وقال قتادة: ﴿الْجَبَّارُ﴾ الذي جبر خلقه على ما يشاء^(٢).

وقال ابن جرير: ﴿الْجَبَّارُ﴾ المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم^(٣). وقال قتادة: ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ يعني: عن كل شر^(٤)، ثم قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ الخلق التقدير والبرء هو [الفري]^(٥)، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله ﷻ. قال الشاعر^(٦) يمدح آخر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
أي: أنت تنفذ ما خلقت؛ أي: قدرت، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد، فالخلق التقدير والفري التنفيذ، ومنه يقال: قدر الجَلَاد ثم فرى؛ أي: قطع على ما قدره بحسب ما يريد.

وقوله تعالى: ﴿الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار كقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الإنفطار] ولهذا قال: ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قد تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف^(٧). ونذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر». وتقدم سياق الترمذي وابن ماجه له عن أبي هريرة أيضاً وزاد بعد قوله: «وهو وتر يحب الوتر». واللفظ للترمذي: «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الباري، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت،

(١) أخرجه مسلم (الصحيح، البر والصلة، باب تحريم الكبر ح ٢٦٢٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) ذكره الطبري.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «الذي».

(٦) هو زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان، والبيت في ديوانه ص ٩٤.

(٧) آية ١٨٠.

الحسب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواحد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المعطي، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور». وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وقد قدمنا ذلك مبسوطاً مطولاً بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا^(١).

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: فلا يُرام جنباه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في شرعه وقدره.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا خالد يعني: ابن طهمان [أبو العلاء]^(٢) الخفاف، حدثنا نافع بن أبي نافع، عن معقل بن يسار، عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكُلَّ الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يُمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يُمسي كان بتلك المنزلة»^(٣). ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان، عن أبي أحمد الزبيري به. وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه^(٤).

آخر تفسير سورة الحشر.

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ١٨٠.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «أبو المعلاء».

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٢١/٣٣ ح ٢٠٣٠٦) وضعفه محققوه لضعف خالد بن طهمان.

(٤) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، ثواب القرآن، باب فضل آخر سورة الحشر ح ٢٩٢٣) وسنده ضعيف. كسابقه.

سُورَةُ الْمُتَحَنِّنَةِ

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْنَعَلَةَ مَرْضَايَ تُشْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَشْفِقُوكُمْ بِكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

كان سبب نزول هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفاً لعثمان، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، فأمر النبي ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال: «اللهم عمّ عليهم خبرنا»^(١) فعبد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم، ليتخذ بذلك عندهم يداً، فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه، فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها، وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته.

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن عمه، أخبرني حسن بن محمد بن علي، أخبرني عبد الله بن أبي رافع وقال مرة: إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ»^(٢) فإن بها طعينة^(٣) معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالطعينة قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها^(٤)، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟»

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٢٣/٤٣٥) بسند ضعيف فيه يحيى بن سليمان بن نضلة وهو ضعيف (مجمع الزوائد ٦/١٦٧) والقصة سردها ابن هشام (السيرة النبوية ٤/٨٥٢).

(٢) روضة خاخ: موضع على اثني عشر ميلاً من المدينة. والميل ثلاثة آلاف ذراع أو أربعة آلاف ذراع. (المقادير في الفقه الإسلامي ص ٧٠).

(٣) أي: امرأة.

(٤) أي: من ذوائبها المصفورة.

قال: لا تعجل عليّ إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنه صدقكم».

فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(١). وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به^(٢)، وزاد البخاري في كتاب المغازي: فأُنزل الله السورة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٣) وقال في كتاب التفسير: قال عمرو: ونزلت فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ وقال: لا أدري الآية في الحديث أو قال عمرو^(٤). قال البخاري: قال علي يعني: ابن المديني: قيل لسفيان في هذا نزلت ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ فقال سفيان: هذا في حديث الناس حفظته من عمرو، ما تركت منه حرفاً ولا أدري أحداً حفظه غيري^(٥).

وقد أخرجه في الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير بن العوام وكلنا فارس، وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأدركنها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا: الكتاب؟ فقالت: ما معي كتاب، فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه فقال النبي ﷺ: «ما حملك على ما صنعت؟» قال حاطب: والله ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله ﷺ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال: «صدق لا تقولوا له إلا خيراً».

فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فلاضرب عنقه، فقال: «أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة - أو قد غفرت لكم - فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله، أعلم»^(٦). هذا لفظ البخاري في المغازي في غزوة بدر.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/٧٩) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الجهاد، باب الجاسوس (ح ٣٠٠٧) وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر ﷺ (ح ٢٤٩٤).

(٣) صحيح البخاري، المغازي، باب غزوة الفتح (ح ٤٢٧٤).

(٤) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] (ح ٤٨٩٠).

(٥) المصدر السابق بعد الحديث رقم ٤٨٩٠ مباشرة.

(٦) أخرجه البخاري من طريق عبد الله بن إدريس عن حصين بن عبد الرحمن به (الصحيح، المغازي، باب فضل من شهد بدرًا ح ٣٩٨٣).

وقد روي من وجه آخر، عن علي قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن [الهسنجاني]^(١)، حدثنا عبيد بن يعيش، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي سنان هو: سعيد بن سنان، عن عمرو بن مرة الجملي، عن أبي البحتري الطائي، عن الحارث، عن علي قال: لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة أسراً إلى أناس من أصحابه أنه يريد مكة منهم حاطب بن أبي بلتعة، وأفشى في الناس أنه يريد خيبر، قال: فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم، فأخبر رسول الله ﷺ، قال: فبعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس فقال: «اتتوا روضة خاخ، فإنكم ستلقون بها امرأة معها كتاب فخذوه منها».

فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر رسول الله ﷺ فقلنا لها: هات الكتاب. فقالت: ما معي كتاب، فوضعنا متاعها وفتشناها فلم نجده في متاعها، فقال أبو مرثد: لعله أن لا يكون معها، فقلت: ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، فقلنا لها: لتخرجنه أو لنعرينك. فقالت: أما تتقون الله! ألستم مسلمين! فقلنا: لتخرجنه أو لنعرينك. قال عمرو بن مرة: فأخرجته من حجزتها. وقال حبيب بن أبي ثابت: أخرجته من قبلها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة، فقام عمر فقال: يا رسول الله خان الله ورسوله، فاذن لي فلاضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «أليس قد شهد بدرًا؟» قالوا: بلى، وقال عمر: بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك، فقال رسول الله ﷺ: «فلعل الله أطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم إنني بما تعملون بصير» ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم فأرسل، رسول الله ﷺ إلى حاطب فقال: «يا حاطب ما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله إنني كنت امرأً ملصقاً في قريش، وكان لي بها مال وأهل ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله، فكتبت بذلك إليهم والله يا رسول الله إنني لمؤمن بالله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب إلا خيراً» قال حبيب بن أبي ثابت: فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾^(٢). الآية وهكذا رواه ابن جرير، عن ابن حميد، عن مهران، عن أبي سنان سعيد بن سنان بإسناده مثله^(٣).

وقد ذكر ذلك أصحاب المغازي والسير فقال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ثم أعطاه امرأة، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم غيره أنها سارة مولاة لبني عبد المطلب وجعل لها جعلاً على أن تبلغه لقريش، فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال: «أدركا امرأة قد كتب معها حاطب كتاباً إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم».

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: صحف إلى: «الهجاني».

(٢) سنده ضعيف لضعف الحارث وهو الأعور الكوفي كما في التقريب، ولبعضه شواهد تقدمت في الصحيح.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن حميد به، وسنده كسابقه.

فخرجوا حتى أدركاها بالحليفة، حليفة بني أبي أحمد، فاستنزلاها بالحليفة فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أبي طالب: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك. فلما رأت الجدّ منه قالت: أعرض، فأعرض فحلّت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال: «يا حاطب ما حملك على هذا؟» فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر؟ لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فأنزل الله ﷻ في حاطب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾^(١) إلى آخر القصة، وروى معمر، عن الزهري، عن عروة نحو ذلك^(٢)، وهكذا ذكر مقاتل بن حيان أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة أنه بعث سارة مولاة بني هاشم، وأنه أعطاه عشرة دراهم، وأن رسول الله ﷺ بعث في أثرها عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ﷺ فأدركاها بالجحفة وذكر تمام القصة كنحو ما تقدم^(٣).

وعن السدي قريباً منه، وهكذا قال العوفي، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة^(٤).

فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني: المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ أَثَرُهُمْ أَن تَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤١] وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٨] ولهذا قبل رسول الله ﷺ عذر حاطب، لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد.

ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا مصعب بن سلام، حدثنا الأجلح، عن

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق به وذكره ابن هشام. (السيرة النبوية ٨٥٨/٤) وسنده مرسل.

(٢) أخرجه الطبري من طريق معمر به، وهو مرسل أيضاً.

(٣) سنده معضل.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما سبق، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بنحوه، وسنده مرسل ويتقوى بما سبق.

قيس بن أبي مسلم، عن ربعي بن خراش سمعت حذيفة يقول: ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالا واحداً وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر، قال: فضرب لنا منها مثلاً وترك سائرهما قال: «إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم، فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه»^(١).

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ هذا مع ما قبله من التهيج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي: لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج] وكقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ بغير حقٍ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتَغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم، فلا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حقاً عليكم وسخطاً لدينكم.

وقوله تعالى: ﴿تُشْرُونَ إِلَهُكُمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ أي: تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [١] إن يتفقوكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء. أي: لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: ويحرصون على أن لا تنالوا خيراً فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء؟ وهذا تهيج على عداوتهم أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: قرباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءاً، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتهم بما يسخط الله، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله، ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد، ولو كان قريباً إلى نبي من الأنبياء.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار»^(٢). ورواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به^(٣).

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْلِبَنَّكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [١] رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْرِضْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٢] لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [٣].

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٤٨/٣٨ ح ٢٣٤٦٣) وضعف سنده محققوه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٦٨/٣) وسنده صحيح.

(٣) صحيح مسلم، الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار (ح ٣٤٧).

منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: وأتباعه الذين آمنوا معه ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ﴾ أي: تبرأنا منكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُرْ﴾ أي: بدينكم وطريقكم ﴿وَبَدَلًا يَنْتَهِ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ يعني: وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمت على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّى تَوَمَّنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ أي: إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١٣٦﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٣٧﴾ [التوبة].

وقال تعالى في هذه الآية: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ليس لكم في ذلك أسوة؛ أي: في الاستغفار للمشركين، هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد^(١).

ثم قال تعالى مخبراً عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم، فلجأوا إلى الله وتضرعوا إليه فقالوا: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي: توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك وإليك المصير؛ أي: المعاد في الدار الآخرة ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قال مجاهد: معناه: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم^(٢) هذا، وكذا قال الضحاك.

وقال قتادة: لا تظهرهم علينا فيفتنونا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه^(٣)، واختاره ابن جرير.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا تسلطهم علينا فيفتنونا^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَعِزَّنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ أي: الذي لا يضام من لاذ بجنابك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقوالك

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه آدم والطبري كسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وأفعالك وشرعك وقدرك ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ﴾ وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضاً لأن هذه الأسوة المثبتة ههنا هي الأول
بعينها.

وقوله تعالى: ﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ تهيج إلى ذلك لكل مُقر بالله والمعاد، وقوله
تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: عما أمر الله به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ
وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الغني الذي قد كمل في غناه وهو الله، هذه صفته
لا تنبغي إلا له ليس له كفاء وليس كمثل شيء سبحانه الله الواحد القهار الحميد المستحمد إلى
خلقه؛ أي: هو الم محمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا ربَّ سواه.

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ لِكُفْرِكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧) لَا
يَهْتَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا يَخْرُجُوكُمْ مِّن دِينِكُمْ أَن يَرْوَاهُمْ وَيُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَهْتَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن قَوْلُهُمْ
وَمَن يَتَوَلَّ فَاُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعبادة الكافرين: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ لِكُفْرِكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ
عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ أي: محبة بعد البغضة، ومودة بعد النفرة، وألفة بعد الفرقة ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ أي:
على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة، فيؤلف بين القلوب بعد
العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة، كما قال تعالى ممتناً على الأنصار: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِإِيعَاقِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾
الآية [آل عمران: ١٠٣] وكذا قال لهم النبي ﷺ: «ألم أجدكم ضللاً فهداكم الله بي، وكنتم
متفرقين فآلفكم الله بي؟»^(١) وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِصُرُوفِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾
[الأنفال] وفي الحديث: «أحب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض
بغيضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما»^(٢).

وقال الشاعر^(٣):

وقد يجمع الله الشيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا
وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأتابوا إلى ربهم

(١) تقدم تخريجه في سورة التوبة آية ٧٤.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ثم قال: حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا
الوجه، وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا، رواه الحسن بن أبي جعفر بإسناده عن علي عن
النبي ﷺ، والصحيح عن علي موقوف قوله. (السنن، البر، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض
ح ١٩٩٨).

(٣) هو قيس بن الملوّح كما في ديوانه ص ٣١٥.

وأسلموا له، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه من أي ذنب كان.

وقد قال مقاتل بن حيان: إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب، فإن رسول الله ﷺ تزوج ابنته، فكانت هذه مودة ما بينه وبينه، وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر، فإن رسول الله ﷺ تزوج بأُم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف^(١)، وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم حيث قال: قرى على محمد بن عزيز، حدثني سلامة، حدثني عقيل، حدثني ابن شهاب أن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان صخر بن حرب على بعض اليمن، فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل فلقي ذا الخمار مرتداً فقاتله، فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين، قال ابن شهاب: وهو ممن أنزل الله فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَةً﴾^(٢) الآية.

وفي صحيح مسلم، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال: يا رسول الله ثلاث أعطينهن قال: «نعم» قال: تأمرني أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نعم» قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: «نعم» قال: وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكما^(٣) الحديث، وقد تقدم الكلام عليه.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَنَكَّرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُّوكُمْ فِي الْإِيمَانِ وَلَمْ يَخْرُجُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ أي: يعاونوا على إخراجكم؛ أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ﴾ أي: تحسنوا إليهم ﴿وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: تعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قدمت أُمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أُمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «نعم صلي أمك»^(٤). أخرجه^(٥). وقال الإمام أحمد: حدثنا عارم، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مصعب بن ثابت، حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ^(٦) وسمن وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها. فسألت عائشة النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يَتَنَكَّرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُّوكُمْ فِي الْإِيمَانِ﴾ إلى آخر الآية. فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها^(٧).

وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به^(٨)، وفي رواية لأحمد

(١) سنده معضل.

(٢) سنده مرسل.

(٣) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي سفيان بن حرب (ج ٢٥٠١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد عن سفيان عن هشام به (المسند ٤٨٢/٤٤ ح ٢٦٩١٣) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الشيخان من طريق أبي أسامة عن هشام به. (صحيح البخاري، الهبة، باب الهدية للمشركون

ح ٢٦٢٠) وصحيح مسلم، الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين (ح ٥٠/١٠٠٣).

(٦) هو ورق يدبغ به.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومنتنه وزيادة في بيان نسب قتيلة. (المسند ٣٧/٢٦ ح ١٦١١١) وضعف سنده

محققوه لضعف مصعب بن ثابت.

(٨) أخرجه الطبري من طريق مصعب، وحكمه كسابقه.

ولابن جرير قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد من بني مالك بن حسل^(١)، وزاد ابن أبي حاتم في المدة التي كانت بين قريش ورسول الله ﷺ.

وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: حدثنا عبد الله بن شبيب، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو قتادة العدوي، عن ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة وأسماء أنهما قالتا: قدمت علينا أمنا المدينة وهي مشركة في الهدنة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فقلنا: يا رسول الله إن أمنا قدمت علينا المدينة وهي راغبة أفنصلها؟ قال: «نعم فصلها؟» ثم قال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن الزهري، عن عروة، عن عائشة إلا من هذا الوجه^(٢).

قلت: وهو منكر بهذا السياق لأن أم عائشة هي: أم رومان وكانت مسلمة مهاجرة وأم أسماء غيرها كما هو مصرح باسمها في هذه الأحاديث المتقدمة، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ قد تقدم تفسير ذلك في سورة الحجرات وأورد الحديث الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ دِينٌ وَلَا يَهْدَى اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: إنما ينهاكم عن مولاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ينهاكم الله ﷻ عن مولاتهم ويأمركم بمعاداتهم، ثم أكد الوعيد على مولاتهم فقال: ﴿وَمَنْ يَكُفِّرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ بَنَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا يَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ جِلٍّ لَهُنَّ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَوَأْتُوهُنَّ مِمَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُسِيكُوا بِبَعْضِهِنَّ الْكُفَّارَ وَنَسَلُوا مِمَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَهُنَّ مِمَّا أَنْفَقُوا مِنْكُمْ شَيْءٌ وَإِنْ فَانَكُوا شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِمَّا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

تقدم في سورة الفتح في ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش فكان فيه: على أن لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وفي رواية: على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهري ومقاتل بن حيان والسدي^(٤)، فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة،

(١) المصدر قبل السابق.

(٢) أخرجه البزار بسنده ومثته، وضعفه الحافظ ابن حجر ونقل عن الهيثمي قوله: حديث أسماء في الصحيح، وأم عائشة غير أم أسماء. (مختصر زوائد مسند البزار ٢/٢٤١ ح ١٧٨٤).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجرات آية ٩.

(٤) أخرجه الطبري والبيهقي (السنن الكبرى ٩/٢٢٨) من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن عروة بن الزبير، =

وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف ناسخة، فإن الله ﷻ أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن، فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعهن إلى الكفار لا هن حل لهن ولا هم يحلون لهن، وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن أبي أحمد بن جحش من المسند الكبير من طريق أبي بكر بن أبي عاصم، عن محمد بن يحيى الذهلي، عن يعقوب بن محمد، عن عبد العزيز بن عمران، عن مجمع بن يعقوب، عن حنين بن أبي لبانة، عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط في الهجرة فخرج أخوها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله ﷺ، فكلماه فيها أن يردها إليهما فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة، فمنعهم أن يرُدُّوهن إلى المشركين وأنزل الله آيات الامتحان^(١).

قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا يونس بن بكير، عن قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر الأسدي قال: سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله، ثم رواه من وجه آخر عن الأغر بن الصباح به^(٢)، وكذا رواه البزار من طريقه وذكر فيه أن الذي كان يحلفهن عن أمر رسول الله ﷺ له عمر بن الخطاب.

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ وكان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله^(٣).

وقال مجاهد: ﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ فاسألوهن عما جاء بهن، فإذا كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطه أو غيره ولم يؤمن فارجعوهن إلى أزواجهن^(٤).

وقال عكرمة: يقال لها: ما جاء بك إلا حب الله ورسوله، وما جاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله: ﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾^(٥).

وقال قتادة: كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن^(٦).

= وهو مرسل وأخرجه ابن سعد من قول الزهري. (الطبقات الكبرى ٢٣١/٨)، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بنحوه، وهذه الروايات يقوي بعضها بعضاً.

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في جامع المسانيد ٢٤٣/٧، وأخرجه ابن الأثير من طريق أبي بكر بن أبي عاصم به (أسد الغابة ٦٧/٣) وسنده ضعيف لضعف عبد العزيز بن عمران. (التقريب ص ٣٥٨).

(٢) أخرجه الطبري بسنديهما ومثته، وسنده ضعيف لأن أبا نصر الأسدي: مجهول (التقريب ص ٦٧٨). وهو لم يسمع من ابن عباس، فقد أخرجه البزار من الطريق نفسه، وصرح الحافظ ابن حجر بالانقطاع. (مختصر زوائد مسند البزار ١١٢/٢ ح ١٥١٧).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً.

وقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة، ولهذا كان أبو العاص بن الربيع زوج ابنة النبي ﷺ زينب رضي الله عنها، قد كانت مسلمة وهو على دين قومه، فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فداءه بقلادة لها كانت لأُمها خديجة فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقة شديدة وقال للمسلمين: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا» ففعلوا فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته إليه، فوقى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها إلى رسول الله ﷺ مع زيد بن حارثة رضي الله عنه^(١)، فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر. وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان فردّها عليه بالنكاح الأول، ولم يحدث لها صداقاً.

كما قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، حدثنا ابن إسحاق، حدثني داود بن الحصين، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردَّ ابنته زينب على أبي العاص، وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول ولم يحدث شهادة ولا صداقاً^(٢). ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. ومنهم من يقول بعد سنتين، وهو صحيح؛ لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بستتين وقال الترمذي: ليس بإسناده بأس ولا نعرف وجه هذا الحديث ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين، وسمعت عبد بن حميد يقول: سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث وحديث ابن الحجاج يعني ابن أرطاة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ ردَّ ابنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد، فقال يزيد: حديث ابن عباس أجود إسناداً والعمل على حديث عمرو بن شعيب^(٣)، ثم قلت: وقد روى حديث الحجاج بن أرطاة، عن عمرو بن شعيب الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وضعفه الإمام أحمد وغير واحد^(٤)، والله أعلم.

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين، يحتمل أنه لم تنقض عدتها منه لأن الذي عليه الأكثر أنها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه. وقال آخرون: بل إذا انقضت العدة هي بالخيار، إن شئت أقامت على النكاح واستمرت، وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت وحملوا عليه حديث ابن عباس، والله أعلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٢٧٦/٦) وأبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها (السنن، الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال ح ٢٦٩٢). وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٢٣٤١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٩٥/٤ ح ٢٣٦٦) وحسن سنده محققوه.

(٣) سنن أبي داود، الطلاق، باب إلى متى ترد عليه امرأته إذا أسلم بعدها (ح ٢٢٤٠) وسنن الترمذي، النكاح، باب ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما (ح ١١٤٣، ١١٤٤) وسنن ابن ماجه، النكاح، باب الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر (ح ٢٠٠٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٦٣٥).

(٤) (المسند ٢٠٧/٢)، وسنن الترمذي (ح ١١٤٤)، وسنن ابن ماجه (ح ٢٠١٠).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَفْقَاهُمْ مَّا أَفْقَاهُ﴾ يعني: أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا إليهم الذي غرموه عليهن من الأصدقة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهري وغير واحد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾ يعني: إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن؛ أي: تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ تحريم من الله ﷻ على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن.

وفي الصحيح عن الزهري، عن عروة، عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية، جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية^(١).

وقال ابن ثور: عن معمر، عن الزهري: أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو بأسفل الحديبية حين صالحهم، على أنه من أتاه منهم ردّه إليهم، فلما جاء النساء نزلت هذه الآية وأمره أن يردّ الصداق إلى أزواجهن، وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى أزواجهن وقال: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾^(٢).

وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال: وإنما حكم الله بينهم بذلك لأجل ما كان بينهم وبينهم من العهد^(٣).

وقال محمد بن إسحاق، عن الزهري: طلق عمر يومئذ قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة. فتزوجها معاوية وأم كلثوم بنت عمرو بن جرويل الخزاعية، وهي أم عبيد الله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما، وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا مَّا أَفْقَاهُمْ وَلَسْتَلُوا مَّا أَفْقَاهُ﴾ أي: وطالبوا بما أفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار إن ذهبن وليطالبوا بما أفقوا على أزواجهن اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي: في الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما يصلح عباده حكيم في ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ ثَغْوٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِثْلَ مَا أَفْقَاهُ﴾ قال مجاهد وقتادة: هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد إذا فرّت إليهم امرأة، ولم يدفعوا إلى زوجها شيئاً، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء حتى يدفع إلى زوج الذاهبة

(١) أخرجه البخاري من طريق معمر عن الزهري مطولاً. (الصحيح، الشروط، باب الشروط في الجهاد ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) أخرجه الطبري عن ابن عبد الأعلى عن ابن ثور به، ورجاله ثقات لكنه مرسل. ويتقوى بما سبق.

(٣) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات، لكنه معضل ويتقوى بما سبق.

(٤) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ٣/ ٧٩٠) وسنده مرسل.

إليهم مثل نفقته عليها^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن الزهري قال: أقرّ المؤمنون بحكم الله فأدوا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين^(٢)، فقال الله تعالى للمؤمنين به ﴿وَلَنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين، ردّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم الذي أمروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم، التي أنفقوا على أزواجهم اللاتي آمنّ وهاجرن، ثم ردّوا إلى المشركين فضلاً إن كان بقي لهم، والعقب ما كان بقي من صداق نساء الكفار حين آمن وهاجرن.

وقال العوفي، عن ابن عباس في هذه الآية؛ يعني: إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ أنه يعطي مثل ما أنفق من الغنيمة^(٣)، وهكذا قال مجاهد^(٤): ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم ﴿فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ يعني: مهر مثلها. وهكذا قال مسروق وإبراهيم وقتادة ومقاتل والضحاك وسفيان بن حسين والزهري أيضاً^(٥). وهذا لا ينافي الأول لأنه إن أمكن الأول فهو الأولى وإلا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من أيدي الكفار، وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير، والله الحمد والمنة.

﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ سُبُتًا وَلَا يَشْرِفْنَ وَلَا يَزِينْنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَنٍ يَفَرِّيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْبِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

قال البخاري: حدثنا إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمه قال: أخبرني عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال عروة: قالت عائشة فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله: «قد بايعتك» كلاماً ولا والله ما مسّت يده يد امرأة في المبايعة قط، وما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك»^(٦). هذا لفظ البخاري.

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما يليه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق مسلم بن صبيح عن مسروق. (المصنف ٤٣٢/٣) وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ [المتحنة: ١٠] ح (٤٨٩١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئاً، الآية وقال: «فيما استطعتن وأطقتن» قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله ألا تصافحنا؟ قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قلتي لامرأة واحدة كقولتي لمائة امرأة»^(١). هذا إسناد صحيح. وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة^(٢)، والنسائي أيضاً من حديث الثوري ومالك بن أنس، كلهم عن محمد بن المنكدر عن أميمة به، وقال الترمذي: حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر، وقد رواه أحمد أيضاً من حديث محمد بن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن أميمة به وزاد: ولم يصافح منا امرأة^(٣)، وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر به^(٤).

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر الرازي، عن محمد بن المنكدر، حدثني أميمة بنت رقيقة وكانت أخت خديجة خالة فاطمة من فيها إلى في فذكره^{(٥)(٦)}.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني سليط بن أيوب بن الحكم بن سليم، عن أمه سلمى بنت قيس، وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه القبلتين، وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجار قالت: جئت رسول الله ﷺ نبايعه في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال: «ولا تغششن أزواجكن» قالت: فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعي فسلي رسول الله ﷺ ما غش أزواجنا؟ قالت: فسألته فقال: «تأخذ ماله فتحابي به غيره»^(٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد بن حاطب، حدثني أبي، عن أمه عائشة بنت قدامة يعني: ابن مظعون قالت: أنا مع أمي رائطة ابنة سفيان الخزاعية والنبي ﷺ يبايع النسوة ويقول: «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، ولا تعصينني في معروف - قلن: نعم - فيما استطعتن» فكن يقرن وأقول معهن وأمي تقول لي: أي بنية: نعم، فكنت أقول كما يقلن^(٨).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/٣٥٧) وصححه سننه الحافظ ابن كثير.

(٢) سنن الترمذي، السير، باب ما جاء في بيعه النساء (ح ١٥٩٧) وسنن النسائي، البيعة، باب بيعة النساء ٧/١٤٩ وسنن ابن ماجه، الجهاد، باب بيعة النساء (ح ٢٨٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ١٣٠٠) وصححه سنن ابن ماجه (ح ٢٣٢٣).

(٣) (المسند ٦/٣٥٧). (٤) أخرجه الطبري من طريق موسى بن عقبة به.

(٥) قوله: من فيها إلى في، اصطلاح يدل على ضبط السماع ثم ضبط الأداء.

(٦) سننه ضعيف لأن أبا جعفر الرازي صدوق سيء الحفظ.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٤٥/١٠٣ - ١٠٤ ح ٢٧١٣٣)، وضعف سننه محققوه.

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٦/٦١٨ ح ٢٧٠٦٢) وقال محققوه: صحيح لغيره. اهـ. والأضبط أن يقال: حسن لغيره. لأن سننه ضعيف كما ذكره، وبالشواهد والطرق يرقى إلى الحسن لغيره.

وقال البخاري: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا ﴿لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت: أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها، فما قال لها رسول الله ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت فبايعها^(١)، ورواه مسلم^(٢).

وفي رواية: فما وقى منهن امرأة غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان، وللبخاري عن أم عطية قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا ننوح، فما وقى منا امرأة غير خمسة نسوة. أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة معاذ وامرأتان أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى، وقد كان رسول الله ﷺ يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد، كما قال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا هارون بن معروف، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني ابن جريج أن الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس، عن ابن عباس قال: شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصلونها قبل الخطبة ثم يخطب بعد، فنزل نبي الله ﷺ فكأنني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده، ثم أقبل يشقههم حتى أتى النساء مع بلال فقال: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ حتى فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: «أنتنَّ على ذلك؟»^(٣) فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله، لا يدري الحسن من هي، قال: فتصدقن، قال: وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتح والخواتيم في ثوب بلال^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا ابن عياش، عن سليمان بن سليم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تباعه على الإسلام فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقى ولا ترقى ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفتريه بين يديك ورجليك، ولا تنوحى، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى»^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن الزهري، عن أبي إدريس الخولاني، عن عبادة بن الصامت قال: كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس فقال: تباعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم - قرأ الآية التي أخذت على النساء: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه^(٦). أخرجاه في الصحيحين^(٧).

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله. (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢] ح ٤٨٩٢).

(٢) صحيح مسلم، الجنائز، باب التشديد في النياحة (ح ٩٣٦).

(٣) صحيح البخاري، الجنائز، باب ما ينهى من النوح والبكاء (ح ١٣٠٦).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ ح ٤٨٩٥).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١١/ ٤٣٧ ح ٦٨٥٠) وحسن سنده محققوه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/ ٣٥١، ٣٥٢ ح ٢٢٦٧٨) وصح سنده محققوه.

(٧) أخرجه الشيخان من طريق الزهري به (صحيح البخاري، الإيمان باب رقم ١١ ح ١٨) وصحيح مسلم، الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها (ح ١٧٠٩).

وقال محمد بن إسحاق: عن يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد بن عبد الله اليزني، عن أبي عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي، عن عبادة بن الصامت قال: كنتُ فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا ننزي، ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، وقال: «فإن وفيتم فلكم الجنة»^(١) رواه ابن أبي حاتم.

وقد روى ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب فقال: «قل لهم إن رسول الله ﷺ يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً» وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة متنكرة في النساء فقالت: إني إن أتكلم يعرفني وإن عرفني قتلني، وإنما تنكرت فرقاً^(٢) من رسول الله ﷺ، فسكت النسوة اللاتي مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهي متنكرة: كيف تقبل من النساء شيئاً لم تقبله من الرجال؟

ففظن إليها رسول الله ﷺ وقال لعمر: «قل لهم ولا يسرقن» قالت هند: والله إني لأصيب من أبي سفيان الهنات ما أدري أيحلهم لي أم لا؟ قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضى أو قد بقي فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فدعاها، فأخذت بيده فعازت به فقال: «أنت هندی؟» قالت: عفا الله عما سلف، فصرف عنها رسول الله ﷺ فقال: «ولا يزينن» فقالت: يا رسول الله، وهل تزني امرأة حرة؟ قال: «لا والله ما تزني الحرة، قال: ولا يقتلن أولادهن» قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر، قال: «وَلَا يَأْتِينَ بِيْهَتَيْنِ يَفْتَرِيْنِ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ» قال: «وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ» قال: منعهن أن ينحن، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور، ويدعون بالويل والثبور^(٣). وهذا أثر غريب وفي بعضه نكارة والله أعلم، فإن أبا سفيان وامراته لما أسلما لم يكن رسول الله ﷺ يخيفهما بل أظهرهما الصفاء والودَّ له، وكذلك كان الأمر من جانبه ﷺ لهما.

وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الفتح، بايع رسول الله ﷺ الرجال على الصفا، وعمر بايع النساء تحتها عن رسول الله ﷺ فذكر بقيته كما تقدم وزاد: فلما قال: ولا تقتلن أولادكن. قالت هند: ربيّناهم صغاراً فقتلتهموهم كباراً، فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى. رواه ابن أبي حاتم^(٤). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، حدثني غبطة بنت سليمان، حدثني عمتي، عن جدتها، عن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله ﷺ لتبايعه فنظر إلى يدها فقال: «أذهبي فغيري يدك» فذهبت فغيرتها بحناء ثم جاءت فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً فبايعته وفي يدها سواران من ذهب، فقالت: ما تقول في هذين السوارين؟ فقال: «جمرتان من نار جهنم»^(٥).

(١) ذكره ابن هشام (السيرة ٢/٢٩٥) ويتقوى بما سبق.

(٢) أي: خوفاً.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي به.

(٤) سنده ضعيف لإعضاله.

(٥) أخرجه أبو يعلى من طريق نصر بن علي به (المسند ٨/١٩٤ ح ٤٧٥٤) قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهن. =

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن فضيل، عن حصين، عن عامر هو: الشعبي قال: بايع رسول الله ﷺ النساء وفي يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال: «ولا تقتلن أولادكن» فقالت امرأة: تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم؟ قال، وكان بعد ذلك إذا جاء النساء يبايعنه جمعهنّ فعرض عليهنّ، فإذا أقررنّ رجعن^(١)، فقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبْكِينَكَ﴾ أي: من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها ﴿عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ أموال الناس الأجانب، فأما إذا كان الزوج مقصراً في نفقتها فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة أمثالها، وإن كان من غير علمه عملاً بحديث هند بنت عتبة أنها قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، فهل عليّ جناح إن أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك» أخرجاه في الصحيحين^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء] وفي حديث سُمرة: ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الأليم في نار الجحيم^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة تباع رسول الله ﷺ فأخذ عليها ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ الآية، قال: فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجبه ما رأى منها، فقالت عائشة: أقري أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا، قالت: فنعنم إذا، فبايعها بالآية^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا بن فضيل، عن حصين، عن عامر هو: الشعبي قال: بايع رسول الله ﷺ النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال: «ولا تقتلن أولادكن» فقالت امرأة: تقتل آباءهم وتوصي بأولادهم؟ قال: وكان بعد ذلك إذا جاءت النساء يبايعنه جمعهنّ فعرض عليهنّ، فإذا أقررنّ رجعن^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق ويعمّ قتله وهو جنين، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء تطرح نفسها لثلاث تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِيْهَتَيْنِ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ﴾ قال ابن عباس: يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم^(٦). وكذا قال مقاتل. ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو داود: حدثنا

= (مجمع الزوائد ٤٠/٦) وأخرجه أبو داود من طريق غبطه به مختصراً (السنن، كتاب الترجل، ح ٤١٦٥) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٨٩٤).

(١) سنده ضعيف لإرساله.

(٢) صحيح البخاري، البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم (ح ٢٢١١) وصحيح مسلم، الأقضية، باب قضية هند (ح ١٧١٤).

(٣) أخرجه البخاري مطولاً. (الصحيح، التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ح ٧٠٤٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٥١/٦). وسنده صحيح.

(٥) سنده ضعيف لإرساله.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب. حدثنا عمرو يعني: ابن الحارث، عن ابن الهاد، عن عبد الله بن يونس، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملائكة: «أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله الجنة، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يعني فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر. قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي قال: سمعت الزبير، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: إنما هو شرط شرطه الله للنساء^(٢).

وقال ميمون بن مهران: لم يجعل الله طاعة لنبه إلا في المعروف والمعروف طاعة.

وقال ابن زيد: أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه في المعروف^(٣).

وقد قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبي الجعد وأبي صالح وغير واحد: نهاهن يومئذ عن النوح^(٤)، وقد تقدم حديث أم عطية في ذلك أيضاً.

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة في هذه الآية ذكر لنا أن النبي ﷺ أخذ عليهن النياحة ولا تحدثن الرجال إلا رجلاً منكم محرماً، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله إن لنا أضيافاً وإننا نغيب عن نسائنا فقال رسول الله ﷺ: «ليس أولئك عنيت، ليس أولئك عنيت»^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء، أخبرنا ابن أبي زائدة، حدثني مبارك، عن الحسن قال: كان فيما أخذ النبي ﷺ ألا تحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم، فإن الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يمضي بين فخذه^(٦).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا هارون، عن عمرو، عن عاصم، عن ابن سيرين، عن أم عطية الأنصارية قالت: كان فيما اشترط علينا رسول الله ﷺ من المعروف حين بايعناه أن لا نوح، فقالت امرأة من بني فلان: إن بني فلان أسعدوني فلا حتى أجزيهم، فانطلقت فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت، قالت: فما وفي منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك^(٧).

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله. (السنن، الطلاق، باب التغليظ في الانتفاء ح ٢٢٦٣) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢] ح ٤٨٩٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن سالم بن أبي الجعد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، ورجاله ثقات لكنه مرسل، لأن قتادة لم يسمع من عبد الرحمن بن عوف.

(٦) سنده حسن.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وأخرجه الإمام أحمد من طريق هشام وحبيب عن ابن سيرين به (المسند ٤٥/

٢٨٧ ح ٢٧٣٠٨) وصححه سنده محققوه.

وقد روى البخاري هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين، عن أم عطية نسيبة الأنصارية رضي الله عنها ^(١). وقد روي نحوه من وجه آخر أيضاً قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمر بن فروخ القتاب، حدثني مصعب بن نوح الأنصاري قال: أدركت عجزاً لنا كانت فيمن بايع رسول الله ﷺ، قالت: فأتيته لأبايعه فأخذ علينا فيما أخذ أن لا تنحن، فقالت عجزوز: يا رسول الله إن أناساً قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابتني، وإنهم قد أصابتهم مصيبة فأنا أريد أسعدهم قال: «فانطلق في كفائهم» فانطلقت فكافأتهم ثم إنها أتته فبايعته، وقال: هو المعروف الذي قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ ^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا القعني، حدثنا الحجاج بن صفوان، عن أسيد بن أبي أسيد البراد، عن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ: أن لا نعصيه في معروف أن لا نخمش وجهاً، ولا ننشر شعراً، ولا نشق جيباً، ولا ندعوا ويلاً ^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن يزيد مولى الصهباء، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، عن رسول الله ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: النوح ^(٤)، ورواه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد، عن أبي نعيم، وابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع كلاهما، عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولى الصهباء به وقال الترمذي: حسن غريب ^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن سنان القزاز، حدثنا إسحاق بن إدريس، حدثنا إسحاق بن عثمان أبو يعقوب، حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية، عن جدته أم عطية قالت: لما قدم رسول الله ﷺ جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقام على الباب وسلم علينا فرددنا أو فرددنا ﷺ، ثم قال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكن قالت فقلنا: مرحباً برسول الله وبرسول رسول الله، فقال: تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين، قالت: فقلنا نعم، قالت فمدَّ يده من خارج الباب أو البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال: اللهم اشهد، قالت: وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحُيَّض والعواتق ولا جمعة علينا، ونهانا عن اتباع الجنائز قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قالت: النياحة ^(٦).

(١) تقدم في تفسير هذه الآية من رواية الشيخين.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لجهالة مصعب بن نوح الأنصاري. (الجرح والتعديل ٣٠٧/٨).

(٣) سنده ضعيف لأن أسيد بن أبي أسيد لم يسمع من الصحابة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف شهر.

(٥) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الممتحنة (ح ٣٣٠٤) وسنن ابن ماجه، الجنائز، باب النهي عن النياحة (ح ١٥٧٩). وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٢٨٣).

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لأن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية: مقبول (التقريب ص ١٠٨) ومحمد بن سنان القزاز: ضعيف. (التقريب ص ٤٨٢).

وفي الصحيحين من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من ضرب الخدود وشقَّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»^(١).

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة^{(٢)(٣)}.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا هذبة بن خالد، حدثنا أبان بن يزيد، حدثنا يحيى بن أبي كثير أن زيدا حدثه أن أبا سلام حدثه أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»^(٤). ورواه مسلم في صحيحه منفرداً به من حديث أبان بن يزيد العطار به^(٥).

وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة، رواه أبو داود^(٦).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُوءُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْصَى الْقُبُورِ﴾^(٧).

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يسوءوا من الآخرة؛ أي: من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله ﷻ؟ وقوله تعالى: ﴿كَمَا يَبِيسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْصَى الْقُبُورِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: كما يبس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بعثاً ولا نشوراً، فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه.

قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر السورة يعني من مات من الذين كفروا فقد يبس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله ﷻ^(٧).

(١) صحيح البخاري، الجنائز، باب ليس منا من ضرب الخدود (ح ١٢٩٧) وصحيح مسلم، الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود (ح ١٦٥).

(٢) الصالقة هي: التي ترفع صوتها، والحالقة: التي تحلق شعرها، والشاقة: التي تشق الجيوب.

(٣) صحيح البخاري، الجنائز، باب ما ينهى عن الحلق عند المصيبة (ح ١٢٩٦) وصحيح مسلم، الباب السابق (ح ١٦٧).

(٤) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ٣/ ١٤٨ ح ١٥٧٧) وسنده صحيح.

(٥) صحيح مسلم، الجنائز، باب التشديد في النياحة (ح ٩٣٤).

(٦) أخرجه أبو داود من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد (السنن، الجنائز، باب في النوح ح ٣١٢٨)، وسنده ضعيف لضعف عطية.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

وقال الحسن البصري: ﴿كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال: الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات^(١).

وقال قتادة: كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا^(٢). وكذا قال الضحاك^(٣)، رواه ابن جرير.

والقول الثاني: معناه: كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير، قال الأعمش: عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود ﴿كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال: كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاین ثوابه واطلع عليه^(٤)، وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والكلبي ومنصور^(٥)، وهو اختيار ابن جرير رَحِمَهُمُ اللَّهُ. آخر تفسير سورة الممتحنة، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور بن زاذان عن الحسن.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه، ويتقوى بما سبق.

(٤) سنده صحيح.

(٥) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الحكم عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق سماك عن عكرمة (المصنف ٥٧١/١٣) وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

سُورَةُ الصَّفِّ

وهي مدنية

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، وعن عطاء بن يسار، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ، فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يقم أحد منا، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً، فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة يعني: سورة الصف كلها^(١). هكذا رواه الإمام أحمد. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة، قال أخبرني أبي، سمعت الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، حدثني عبد الله بن سلام أن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلى الله ﷻ، فلم يذهب إليه أحد منا وهبنا أن نسأله عن ذلك، قال: فدعا رسول الله ﷺ أولئك النفر رجلاً رجلاً حتى جمعهم، ونزلت فيهم هذه السورة ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ﴾ الصف. قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ كلها.

قال أبو سلمة: وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها.

قال يحيى بن أبي كثير: وقرأها علينا أبو سلمة كلها. قال الأوزاعي: وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كلها، قال أبي وقرأها علينا الأوزاعي كلها، وقد رواه الترمذي، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله ﷻ لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ. قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سلام، قال يحيى: فقرأها علينا أبو سلمة، قال ابن كثير: فقرأها علينا الأوزاعي، قال عبد الله: فقرأها علينا ابن كثير^(٢). ثم قال الترمذي، وقد خولف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي، فروى ابن المبارك عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن سلام أو عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام^(٣).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٩/٢٠٥ ح ٢٣٧٨٨) وصححه سنداه محققوه.

(٢) سنداه صحيح وأخرجه الإمام أحمد عن يعمر عن عبد الله بن المبارك عن الأوزاعي به. (المسند ٣٩/٢٠٦ ح ٢٣٧٨٩) وصححه سنداه محققوه.

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الصف (ح ٣٣٠٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٣٦).

قلت: وهكذا رواه الإمام أحمد، عن يَعْمَر، عن ابن المبارك به^(١)، قال الترمذي وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي نحو رواية محمد بن كثير.

قلت: وكذا رواه الوليد بن يزيد، عن الأوزاعي كما رواه ابن كثير.

قلت: وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه، وأنا أسمع، أخبرنا أبو المُنْجَا عبد الله بن عمر بن اللتي، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي قال: أخبرنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا عيسى بن عمران السمرقندي. أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بجميع مسنده، أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي فذكر بإسناده مثله^(٢)، وتسلسل لنا قراءتها إلى شيخنا أبي العباس الحجار ولم يقرأها لأنه كان أُمياً، وضاق الوقت عن تلقينها إياه ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمته الله، أخبرنا القاضي تقي الدين بن سليمان بن الشيخ أبي عمر، أخبرنا أبو المُنْجَا بن اللتي، فذكره بإسناده وتسلسل لي من طريقه وقرأها عليّ بكمالها، والله الحمد والمنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُورٌ﴾.

قد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ غير مرة بما أغنى عن إعادته. وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إنكار على من يعد وعداً أو يقول قولاً لا يفي به، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً، سواء ترتب عليه عزم الموعود أم لا، واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا أُوْتِمَن خان»^(٣).

وفي الحديث الآخر في الصحيح: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها» فذكر منهن إخلاف الوعد^(٤)، وقد استقصينا الكلام

(١) تقدم تخريجه في الرواية قبل السابقة.

(٢) أخرجه الدارمي عن محمد بن كثير عن الأوزاعي به. (السنن، الجهاد، باب الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال ٢/٢٠٠)، وأخرجه الحاكم من طريق الأوزاعي به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٦٩) قال الحافظ ابن حجر: وقد وقع لنا سماع هذه السورة مسلسلاً في حديث ذكر في أوله سبب نزولها، وإسناده صحيح. (فتح الباري ٨/٦٤١).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٧٧.

(٤) أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، (صحيح البخاري، الإيمان، باب علامة =

على هذين الحديثين في أول شرح البخاري والله الحمد والمنة، ولهذا أكد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (١).

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: أتانا رسول الله ﷺ وأنا صبي فذهبت لأخرج لألعب فقالت أُمِّي: يا عبد الله تعال أعطك. فقال لها رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: تمرأ. فقال: «أما إنك لو لم تفعلني كتبت عليك كذبة» (١).

وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أنه إذا تعلق بالوعد غرم على الموعود وجب الوفاء به كما لو قال لغيره تزوج ولك علي كل يوم كذا فتزوج وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك؛ لأنه تعلق به حق آدمي وهو مبني على المضايقة، وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقاً، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكل عنه بعضهم كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَى الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ النَّفْثُ وَلَا تَظْلَمُونَ فَبَيِّنَا ﴿٢٠﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِقِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ الآية [محمد: ٢٠]. وهكذا هذه الآية معناها كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله ﷻ: دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) وهذا اختيار ابن جرير.

وقال مقاتل بن حيان: قال المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، فدلهم الله على أحب الأعمال إليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾ فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك، فولوا عن النبي ﷺ مدبرين، فأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، وقال: أحبكم إلي من قاتل في سبيلي (٣).

ومنهم من يقول: أنزلت في شأن القتال، يقول الرجل: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، وصبرت ولم يصبر (٤).

وقال قتادة والضحاك: نزلت توبيخاً لقوم كانوا يقولون قتلنا وضربنا وطعنا وفعلنا، ولم يكونوا

= المناقق ح ٣٤، وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان خصال المنافق ح ١٠٦.

(١) أخرجه أبو داود (السنن، الأدب، باب في التشديد في الكذب ح ٤٩٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤١٧٦)، وأخرجه الإمام أحمد (المسند ٢٤/٤٧٠ ح ١٥٧٠٢) وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وسنده ضعيف لإعضاله.

(٤) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

فعلوا ذلك^(١).

وقال ابن زيد: نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك^(٢).

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال: في الجهاد^(٣).
وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿كَانَهُمْ بَيْنَهُمْ مَرُصُوصٌ﴾ فما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة قالوا في مجلس لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا بها حتى نموت فأنزل الله تعالى هذا فيهم، فقال عبد الله بن رواحة: لا أبرح حبساً في سبيل الله حتى أموت، فقتل شهيداً^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا فروة بن أبي المغراء، حدثنا علي بن مسهر، عن داود بن أبي هند، عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، عن أبيه قال: بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه منهم ثلاثمائة رجل كلهم قد قرأ القرآن، فقال: أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم. وقال: كنا نقرأ سورة كنا نسبها بإحدى المسبحات فأنسيناها غير أني قد حفظت منها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة^(٥)، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَهُ مَرُصُوصٌ﴾ فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهمين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان.

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال»^(٦). ورواه ابن ماجه من حديث مجالد، عن أبي الوداك جبر بن نوف به^(٧).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا الأسود يعني: ابن شيان، حدثني يزيد بن عبد الله بن الشخير قال: قال مطرف: كان يبلغني عن أبي ذرٍّ حديث كنت أشتهي لقاءه فلقيته، فقلت: يا أبا ذرٍّ كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتهي لقاءك، فقال: الله أبوك فقد لقيت فهات، فقلت: كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله ﷺ حدثكم أن الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة، قال: أجل فلا إخالني أكذب على خليلي ﷺ قلت: فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله ﷻ؟ فقال: رجل غزا في سبيل الله خرج محتسباً مجاهداً فلقي العدو فقتل وأنتم

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه، وأخرجه أيضاً بسند ضعيف عن الضحاك فيه إيهام الطبري.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٣) سنده صحيح.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد لكنه مرسل.

(٥) سنده صحيح.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٨٤/١٨ ح ١١٧٦١) وضعف سنده محققوه لضعف مجالد.

(٧) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ح ٢٠٠) وسنده كسابقه.

تجدونه في كتاب الله المنزل ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنَيْنٌ مَرْصُورٌ﴾ (١). وذكر الحديث هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق، وهذا اللفظ واختصره، وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث شعبة، عن منصور بن المعتمر، عن رباعي بن حراش، عن زيد بن ظبيان، عن أبي ذرٍّ بأبسط من هذا السياق وأتم (٢)، وقد أوردناه في موضع آخر والله الحمد.

وعن كعب الأحبار أنه قال: يقول الله تعالى لمحمد ﷺ: «عبدى المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطابة، وملكه الشام، وأمته الحمادون يحمدون الله على كل حال، وفي كل منزلة لهم دوي كدوي النحل في جو السماء بالسحر، يوضون أطرافهم ويأتزون على أنصافهم صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة» ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنَيْنٌ مَرْصُورٌ﴾ (٣) «رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث أدركتهم لو على ظهر دابة» (٤). رواه ابن أبي حاتم.

وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ قال: كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم (٥)، وهذا تعليم من الله للمؤمنين. قال: وقوله تعالى: ﴿كَانَهُمْ بُنَيْنٌ مَرْصُورٌ﴾ أي: ملتصق بعضه في بعض من الصف في القتال. وقال مقاتل بن حيان: ملتصق بعضه إلى بعض (٦).

وقال ابن عباس: ﴿كَانَهُمْ بُنَيْنٌ مَرْصُورٌ﴾ مثبت لا يزول ملتصق بعضه ببعض (٧).

وقال قتادة: ﴿كَانَهُمْ بُنَيْنٌ مَرْصُورٌ﴾ ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه؟ فكذلك الله ﷻ لا يحب أن يختلف أمره وإن الله صف المؤمنين في قتالهم، وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به (٨)، أورد ذلك كله ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثني سعيد بن عمرو السكوني، حدثنا بقية بن الوليد، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن يحيى بن جابر الطائي، عن أبي بحرية قال: كانوا يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الأرض لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنَيْنٌ مَرْصُورٌ﴾ (٩) قال: وكان أبو بحرية يقول: إذا رأيتموني ألتفت في الصف فجئوا (١٠) في لحبي.

(١) سنده صحيح.

(٢) سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ثلاثة يحبهم الله (ح ٥٧٠)، وقال الترمذي: والصحيح ما روي عن شعبة وغيره عن منصور عن رباعي بن حراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر عن النبي ﷺ. وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٤٧١).

(٣) سنده ضعيف لإرساله ولأوله شواهد تقويه. (٤) سنده ضعيف لإرساله.

(٥) معناه صحيح. (٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أي: ادفعوا.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم. (التقريب ص ٦٢٣).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٩﴾﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكنيسته موسى بن عمران ﷺ أنه قال لقومه: ﴿لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ أي: لم توصلون الأذى إلي وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة. وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر ولهذا قال: «رحمة الله على موسى: لقد أودى بأكثر من هذا فصبر»^(١) وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يوصلوا إليه أذى كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاع الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى: ﴿وَنَقَلْبُ أَفْئِدَتِهِمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ ءَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدَرْتُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء] ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعني: التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد. فعيسى ﷺ هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملا بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، وما أحسن ما أورد البخاري الحديث الذي قال فيه: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب». ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه^(٢).

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى قال: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال: «أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والمقفي ونبي الرحمة والتوبة والملحمة»^(٣). ورواه مسلم من حديث الأعمش، عن عمرو بن مرة به^(٤)، وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا ءَاتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأحزاب آية ٦٩. (٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأحزاب آية ٤٠.

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده ومثله بدون نبي الرحمة (المسند ص ٦٧ رقم ٤٩٢)، وسنده حسن.

(٤) أخرجه مسلم من طريق الأعمش به وفيه «نبي الرحمة» بدلاً من «نبي الملحمة». (الصحيح، الفضائل، باب في أسمائه ﷺ ح ٢٣٥٥).

وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران] قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام»^(١). وهذا إسناد جيد وروى له شواهد من وجوه آخر، فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين»^(٢).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا أبو النضر، حدثنا الفرج بن فضالة، حدثنا لقمان بن عامر قال: سمعت أبا أُمّامة قال: قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام»^(٣).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا حسن بن موسى، سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن [عرفطة]^(٤) وعثمان بن مظعون وأبو موسى، فأتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجداً له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالوا له: إن نفرأ من بني عمننا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال: فأين هم؟ قالوا: هم في أرضك فابعث إليهم فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك. قال: إنا لا نسجد إلا لله ﷻ قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله ﷻ وأمرنا بالصلاة والزكاة.

قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفوك في عيسى ابن مريم، قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله ﷻ: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يسمها بشر ولم يعترضها ولد، قال: فرفع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقيسيين

(١) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/١٠٧) وجود سنده الحافظ ابن كثير وساق له بعض الشواهد، وأخرجه الحاكم من طريق ابن إسحاق به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٦٠٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/١٢٧) وفي سنده سعيد بن سويد ونقل الحافظ ابن حجر عن البخاري إنه لم يصح حديثه، أي هذا الحديث، وعن ابن حبان والحاكم أنهما صححا. (تجليل المنفعة ص ١٥٢). ويشهد ما يليه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٦/٥٩٥ ح ٢٢٢٦١) وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف. اهـ. ولو قالوا: حسن لغيره لكان أحسن. وحسنه الهيثمي بالشواهد (مجمع الزوائد ٨/٢٢٥).

(٤) كذا في المسند، وفي الأصل (ح) و(حم): بياض.

والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه، وأمر بهدية الآخرين فُرِدَّت إليهما، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرأ، وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته^(١).

قد رويت هذه القصة عن جعفر وأُم سلمة رضي الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة والمقصد أن الأنبياء ﷺ لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها وتأميرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث، وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، وكذا على لسان عيسى ابن مريم، ولهذا قالوا: أخبرنا عن بدء أمرك يعني في الأرض قال: «دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ابن مريم ورؤيا أمي التي رأْتُ؛ أي: ظهر في أهل مكة أثر ذلك، [والإرهاص]^(٢) فذكره صلوات الله وسلامه عليه. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ قال ابن جريج وابن جرير: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أحمد؛ أي: المبشر به في الأعصار المتقدمة المنوه بذكره في القرون السالفة. لما ظهر أمره وجاء بالبينات، قال الكفرة والمخالفون: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له أنداداً وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثّل من يريد أن يطفى شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذاك ذلك مستحيل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة بما فيه كفاية، والله الحمد والمنة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى بِحْرٍ نُجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١٠) تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَقْعُرْ لَكُمْ دُونُكُمْ وَيَدْخَلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾.

تقدم في حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه (المسند ٤٠٨/٧، ٤٠٩ ح ٤٤٠٠) وضعف سند محققوه، وحسن سنده الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١٧٩/٧) وجود سنده الحافظ ابن كثير (البداية ٦٩/٣).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

الأعمال إلى الله ﷻ ليفعلوه، فأنزل الله تعالى هذه السورة^(١) ومن جملتها هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَجٍ يُخْرِجُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور، التي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتُحِبُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُرُكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: من تجارة الدنيا والكّد لها والتصدي لها وحدها، ثم قال تعالى: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ أي: وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهي ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي: إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد] وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي: عاجل، فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَنَبِّشِرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (٤).

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من معيني في الدعوة إلى الله ﷻ؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ وهم أتباع عيسى ﷺ ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك، ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج: «من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي»^(٢) حتى قبض الله ﷻ له الأوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازره، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه، وقوا له بما عاهدوا الله عليه، ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار، وصار ذلك علماً عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ أي: لما بلغ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه وآزره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة، فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى

(١) تقدم في بداية تفسير هذه السورة الكريمة.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث جابر بن عبد الله ﷺ (السنن، السنة، باب في القرآن ح ٤٧٣٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٩٦٠) وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/ ٦٢٤) وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٧/ ٦٣).

رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقاً وشيعاً فمن قائل منهم: إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، ومن قائل: إنه الله، وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء. وقوله تعالى: ﴿فَأَيُّدُنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُومِهِمْ﴾ أي: نصرناهم على من عاداهم من فرق النصراري.

﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي: عليهم، وذلك ببعثة محمد ﷺ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمته الله: حدثني أبو السائب، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال يعني ابن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أراد الله ﷻ أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، قال: ثم قال أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدثهم سنّاً فقال: أنا. فقال له: اجلس. ثم عاد عليهم فقام الشاب فقال: أنا، فقال له: اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا، فقال: نعم أنت ذاك.

قال: فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روزنة في البيت إلى السماء قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبيهه فقتلوه وصلبوه وكفروا به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمنوا به، فافترقوا فيه ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوهما فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ ﴿فَنَامَتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ﴾ يعني: الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى ﴿فَأَيُّدُنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُومِهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ بإظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار^(١). ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة، وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الآية من سننه عن أبي كريب محمد بن العلاء، عن أبي معاوية بمثله سواء^(٢)، فأمّة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

[آخر تفسير سورة الصف]^(٣).

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، أخرجه ابن أبي شيبه عن أبي معاوية به (المصنف ٥٤٦/١١) وأخرجه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن أبي معاوية به، وصححه سننه الحافظ ابن كثير (البداية والنهاية ١٠٨/٢).

(٢) السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَنَامَتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ﴾ [الصف: ١٤] (ح ١١٥٩١) وسنده صحيح كسابقه.

(٣) زيادة من (حم).

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

وهي [مدنية]^(١)

عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين، رواه مسلم في صحيحه^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض؛ أي: من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] ثم قال تعالى: ﴿الَّذِي الْقُدُّوسِ﴾ أي: هو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه، وهو ﴿الْقُدُّوسِ﴾؛ أي: المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ تقدم تفسيرهما غير مرة.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ الأميون هم العرب، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ أَهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِأَلْبَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٠] وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر، كما قال تعالى في قوله: ﴿وَإِنَّمَا لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به، وكذا قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكُنْ أَتَى النَّاسِ إِيَّيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقوله: ﴿لَا تُنذِرُكُمْ بِهِمْ وَمَنْ يَلْعَنُ﴾ [الأنعام: ١٩] وقوله تعالى إخباراً عن القرآن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلَنَّا مَوْعِدَهُ﴾ [هود: ١٧] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته، صلوات الله وسلامه عليه، إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم، وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام بالآيات والأحاديث الصحيحة، والله الحمد والمنة.

وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم

(١) زيادة من (حم) و(ح).

(٢) صحيح مسلم، الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة (ح ٨٧٩، ٨٨٠).

رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فبعثه الله ﷺ وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل، وقد اشتدت الحاجة إليه، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب؛ أي: نزرأ يسيراً [ممن تمسك]^(١) بما بعث الله به عيسى ابن مريم ﷺ، ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٢. وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل ﷺ، فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها، فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق، فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع، وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين ولا يعطيه أحداً من الآخرين، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٣. قال الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا سليمان بن بلال، عن ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قالوا: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان الفارسي ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال - أو رجل - من هؤلاء»^(٢). ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق، عن ثور بن زيد الديلي، عن سالم أبي الغيث، عن أبي هريرة رضي الله عنه به^(٣)، ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس؛ لأنه فسر قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ﴾ بفارس، ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم، يدعوهم إلى الله ﷻ وإلى اتباع ما جاء به، ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: هم الأعاجم وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال

(١) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، سورة الجمعة ح ٤٨٩٧).

(٣) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل فارس (ح ٢٥٤٦) وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الجمعة (ح ٣٣٠٧) وتفسير الطبري.

(٤) أخرجه الطبري من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد بلفظ: «الأعاجم»، وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح بلفظ: «من ردف الإسلام من الناس كلهم». وليث فيه مقال والرواية الأخرى تقويه.

رسول الله ﷺ: «إِنْ فِي أَصْلَابِ أَصْلَابِ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» ثم قرأ: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ يعني بقية من بقي من أمة محمد ﷺ. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: ما أعطاه الله محمداً ﷺ من النبوة العظيمة، وما خصَّ به أُمته من بعثته ﷺ إليهم^(١).

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قُلْ يَتَائِبُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَالشَّهَادَةُ فَيَنْشُرْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها: مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً؛ أي: كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسيماً ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أُولَٰئِكَ كَانَتْ لَهُمْ آصُلٌ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَافِقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقال تعالى ههنا: ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. وقال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا ابن نمير، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له: أنصت ليس له جمعة»^(٢). ثم قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَائِبُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: إن كنتم تزعمون أنكم على هدى، وأن محمداً وأصحابه على ضلالة، فادعوا بالموت على الضلال من الفتنين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي: فيما تزعمونه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما يعملون لهم من الكفر والظلم والفجور ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المبالغة لليهود، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنَجْذِثُنَّ عَنْ النَّاسِ عَنِ حَيَوةٍ وَمِنْ آيَاتِ أَلْحَرُومٍ لَوْ يَعْلَمُ الْفَسَادُ فِي الْبَقَرَةِ أَنَّ الْفَسَادَ فِي الْبَقَرَةِ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ وقد أسلفنا الكلام هناك، وبيننا أن المراد أن يدعوا على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدمت مبالغة النصارى في آل عمران ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ

(١) أخرجه الطبراني من طريق الوليد بن مسلم به (المعجم الكبير ٢٠١/٦) قال الهيثمي: إسناده جيد (مجمع الزوائد ٤٠٨/١٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٨٤/٢) وسنده ضعيف.

بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْأَمْرِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١١﴾ [آل عمران] ومباهلة المشركين في سورة مريم ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدَدْ لَهُ الرِّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي، أبو زيد، حدثنا فرات عن عبد الكريم بن مالك الجزري، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال أبو جهل لعنه الله: إن رأيت محمداً عند الكعبة لا يتينه حتى أطأ على عنقه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً»^(١). رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم، قال البخاري وتبعه عمرو بن خالد، عن عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم، ورواه النسائي أيضاً عن عبد الرحمن بن عبيد الله الحلبي، عن عبيد الله بن عمرو الرقي به أتم^(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَالشَّهَادَةُ فَيَنْتِظُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ كقوله تعالى في سورة النساء: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَوِيَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] وفي معجم الطبراني من حديث معاذ بن محمد الهذلي، عن يونس، عن الحسن، عن سمر مرفوعاً: «مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين، فجاء يسعى حتى إذا أعيان وانبه دخل جحره فقالت له الأرض: يا ثعلب ديني، فخرج له حصاص، فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات»^(٣).

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾.

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار، وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض، وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عبيدة بن حميد، عن منصور، عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن علقمة، عن قرثع الضبي، حدثنا سلمان قال: قال أبو القاسم ﷺ: «يا سلمان ما يوم الجمعة؟» قلت: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «يوم الجمعة يوم جمع الله

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٤٨/١) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾... (ح ٤٩٥٨) وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَفَرَأَى بِأَسْمَارِهِ﴾ (ح ٣٣٤٥) السنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب سورة العلق (ح ١١٦٨٥).

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومثته (المعجم الكبير ٢٦٨/٧ ح ٦٩٢٢) وضعفه العجلي (الضعفاء الكبير ٢٠٠/٤)، وابن الجوزي (العلل المتناهية ٤٠٥/٢)، والهيتمي (مجمع الزوائد ٣٢٣/٢).

فيه أبواكم - أو أبوكم -^(١) وقد روي عن أبي هريرة من كلامه نحو هذا فالله أعلم.

وقد كان يقال له في اللغة القديمة: يوم العروبة، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالتاس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد»^(٢). لفظ البخاري وفي لفظ لمسلم «أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق»^(٣).

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩] وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما يقرآنها فامضوا إلى ذكر الله^(٤) فأما المشي السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه لما أخرجه في الصحيحين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا»^(٥) لفظ البخاري.

وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى قال: «ما شأنكم؟» قالوا: استعجلنا إلى الصلاة قال: «فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا»^(٦) أخرجه.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون، وعليكم

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريق مغير عن أبي معشر به بنحوه. (المسند ١٣٣/٣٩ ح ٢٣٧٢٩) وصححه محققوه، وأخرجه الحاكم من طريق منصور به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/٢٧٧).

(٢) أخرجه البخاري مختصراً على مطلعته (الصحيح، التعبير، باب النفخ في المنام ح ٧٠٣٦) وأخرجه مسلم كاملاً (الصحيح، الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ح ٨٥٥).

(٣) المصدر السابق (ح ٨٥٦).

(٤) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن عمر رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي شيبة (الصمنف ٢/١٥٧)، والطبري بسند رجاله ثقات عن إبراهيم النخعي عن ابن مسعود لكنه منقطع فإن إبراهيم لم يسمع من ابن مسعود. والقراءة شاذة تفسيرية. وللمزيد ينظر (فتح الباري ٨/٦٤٢).

(٥) صحيح البخاري، الأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار (ح ٦٣٦) وصحيح مسلم، المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة (ح ٦٠٢).

(٦) صحيح البخاري، الأذان، باب قول الرجل فاتتنا الصلاة (ح ٦٣٥) وصحيح مسلم، الباب السابق (ح ٦٠٣).

السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»^(١). رواه الترمذي من حديث عبد الرزاق كذلك، وأخرجه من طريق يزيد بن زريع، عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة بمثله^(٢).

قال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع^(٣).

وقال قتادة في قوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾: يعني أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها^(٤)، وكان يتأول قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى﴾ [الصفات: ١٠٢] أي: المشي معه، وروي عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك^(٥).

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها، لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»^(٦).

ولهما عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»^(٧). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «حق الله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده» رواه مسلم^(٨).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة» رواه أحمد والنسائي وابن حبان^(٩).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غَسَلَ واغتسل يوم الجمعة وبُكَّرَ وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها»^(١٠). وهذا الحديث له طرق وألفاظ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي^(١١).

(١) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثله (المصنف ٢/ ٢٨٨ رقم ٣٤٠٤) وسنده صحيح.

(٢) سنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى المسجد. (ح ٣٢٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٧٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق عباد بن راشد عن الحسن (المصنف ٢/ ٦٤).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بن أسلم.

(٦) صحيح البخاري، الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة (ح ٨٧٧) وصحيح مسلم، الجمعة (ح ٨٤٤).

(٧) صحيح البخاري، الباب السابق (ح ٨٧٩)، وصحيح مسلم، الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال (ح ٨٤٦).

(٨) صحيح مسلم، الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة (ح ٨٤٩).

(٩) (المسند ٣/ ٣٠٤)، وسنن النسائي، الجمعة، باب إيجاب الغسل يوم الجمعة ٣/ ٩٣ والإحسان ٤/ ٢١ ح ١٢١٩ ويشهد له سابقه.

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٦/ ٩٤ ح ١٦١٧٣) وصححه سننه محققوه.

(١١) سنن أبي داود، الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة (ح ١٨) وسنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» أخرجه ^(١).

ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتنظف ويتسوك ويتنظف ويتطهر. وفي حديث أبي سعيد المتقدم «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس من طيب أهله».

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، عن عمران بن أبي يحيى، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبي أيوب الأنصاري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحداً، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى» ^(٢).

وفي سنن أبي داود وابن ماجه، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته» ^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة، فرأى عليهم ثياب النمار فقال: «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعه سوى ثوبي مهنته» رواه ابن ماجه ^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر، فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد، فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخاري رحمته الله حيث قال: حدثنا آدم - هو: ابن أبي إياس -، حدثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس، زاد النداء الثاني على الزوراء ^(٥). يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء، وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد.

= فضل الغسل يوم الجمعة (ح ٤٩٦) وسنن النسائي، الجمعة، باب فضل غسل يوم الجمعة ٩٥/٣، وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة (ح ١٠٨٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٨٩١).

(١) صحيح البخاري، الجمعة، باب فضل الجمعة (ح ٨٨١) وصحيح مسلم، الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة (ح ٨٥٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٨/٥٤٧ ح ٢٣٥٧١) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) سنن أبي داود، الصلاة، باب اللبس للجمعة (ح ١٠٧٨) وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة (ح ١٠٩٥) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٨٩٨).

(٤) المصدر السابق (ح ١٠٩٦) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٨٩٩).

(٥) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة ح ٩١٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا محمد بن راشد المكحولي، عن مكحول أن النداء كان في الجمعة مؤذن واحد، حين يخرج الإمام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودي به، فأمر عثمان رضي الله عنه أن ينادي قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس^(١). وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان، ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار، كما هو مقرر في كتب الفروع.

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي: اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة، ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا؟ على قولين: وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم؛ أي: في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي: فرغ منها ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله، كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين، رواه ابن أبي حاتم.

وروي عن بعض السلف أن قال: من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكراً كثيراً، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة، ولهذا جاء في الحديث: «من دخل سوقاً من الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ومُحي عنه ألف سيئة»^(٢).

وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً، ومضطجعاً.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ أي: على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين، منهم أبو العالية والحسن وزيد بن

(١) سنده حسن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عمر رضي الله عنه. (المسند ٤١١/١ ح ٣٢٧) وقال محققوه: إسناده ضعيف جداً، عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير منكر الحديث. اهـ. ومن هذا الطريق أخرجه الترمذي (السنن، الدعوات، باب ما يقول إذا دخل السوق ح ٣٤٢٤) وابن ماجه (السنن، التجارات، باب الأسواق ودخولها ح ٢٢٣٥)، وأخرجه الحاكم وصححه وتعبه الذهبي باب مسروق بن المرزبان ليس بحجة. (المستدرک ٥٣٩/١).

أسلم وقتادة^(١).

وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم، وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر إلا القليل منهم^(٢)، وقد صحَّ بذلك الخبر^(٣) فقال الإمام أحمد: حدثنا ابن إدريس، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر قال: قدمت غير مرة المدينة، ورسول الله ﷺ يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً فنزلت ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾^(٤). أخرجاه في الصحيحين من حديث سالم به^(٥).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا هشيم، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان، عن جابر بن عبد الله قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت غير إلى المدينة فابتدراها أصحاب رسول الله ﷺ، حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً» ونزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾ وقال: كان في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما^(٦).

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾ دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائماً. وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس^(٧)، ولكن ههنا شيء ينبغي أن يعلم وهو: أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة، كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل، حدثنا محمود بن خالد، عن الوليد، أخبرني أبو معاذ بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين، حتى إذا كان يوم والنبي ﷺ يخطب، وقد صلى الجمعة، فدخل رجل فقال: إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة؛ يعني: فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير^(٨).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الرِّزْقِ﴾ أي: الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْوَى وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنَ الرِّزْقِ﴾ أي: لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته.

آخر تفسير سورة الجمعة، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن، وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بن أسلم وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً.

(٢) أخرجه البيهقي بسند ضعيف معضل عن مقاتل بن حيان. (الجامع لشعب الإيمان رقم ٦٤٩٥)، وهو مخالف لما سيأتي في الصحيحين إذ ليس فيهما ذكر الطبل.

(٣) أي: الخبر الذي ورد عن الصحابي جابر رضي الله عنه التابعين وليس عن مقاتل بن حيان وهو من اتباع التابعين.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣/٣١٣) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، البيوع، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً﴾ [الجمعة: ١١] (ح ٤٨٩٩) وصحيح مسلم، الجمعة، باب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً﴾ (ح ٨٦٣).

(٦) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٣/٤٦٨ ح ١٩٧٩) وصححه سند محققه.

(٧) صحيح مسلم، الجمعة، باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة (ح ٨٦٣).

(٨) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (المراسيل ص ١٠٤ رقم ٦٢) وسنده ضعيف لأنه معضل.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا لَرَسُولُ اللَّهِ إِنَّكَ لَمَعْلَمٌ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ يُؤَفَّكَونَ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين أنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي ﷺ، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا شَهِدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: إذا حضروا عندك واجهوك بذلك، وأظهروا لك ذلك، وليس كما يقولون، ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للخارج؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم.

وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الآثمة ليصدقوا فيما يقولون، فاعترَّب بهم من لا يعرف جليلة أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبلاً، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرؤها اتخذوا إيمانهم جنة^(١)؛ أي: تصديقهم الظاهر جنة؛ أي: تقية يتقوى به القتل^(٢)، والجمهور يقرؤها ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ جمع يمين، [وقوله]^(٣): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى، فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون؛ أي: فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير، فلا تعي ولا تهتدي.

(١) قراءة «إيمانهم» شاذة تفسيرية.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه إبهام شيخه، عن الضحاك بنحوه.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ أي: وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة، وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن، ولهذا قال تعالى: ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم كما قال تعالى: ﴿أَشْحَثَ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيَةِ حِدَادٍ أَشْحَثَ عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب] فهم جهامات وصور بلا معاني، ولهذا قال تعالى: ﴿هُرُّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرُهُمْ فَتَلَاهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال؟ وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحي، عن إسحاق بن بكر بن أبي الفرات، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة وطعامهم نهبه وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون، خُشِبَ بالليل، صُخِبَ بالنهار» وقال يزيد بن مرة: سخب بالنهار^(١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسُهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسُهُمْ﴾ أي: صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً لما قيل لهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ كما قال في سورة براءة، وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الأحاديث المروية هنالك^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا ابن أبي عمر العدني قال: قال سفيان: ﴿لَوَّأَ رُءُوسُهُمْ﴾ قال ابن أبي عمر: وحول سفيان وجهه على يمينه ونظر شراً ثم قال: هو هذا^(٣). وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبي بن سلول كما سنورده قريباً إن شاء الله تعالى، وبه الثقة وعليه التكلان. وقد قال محمد بن إسحاق في السيرة: ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ يعني: مرجعه من أحد، وكان عبد الله بن أبي بن سلول كما حدثني ابن شهاب الزهري له مقام يقومه كل جمعة، لا ينكر شرفاً له من نفسه ومن قومه، وكان فيهم شريفاً،

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٣/٣٠٢، ٣٠٣ ح ٧٩٢٦) وضعف سنده محققوه لضعف عبد الملك بن قدامة، وجهالة إسحاق بن بكر بن أبي الفرات.

(٢) تقدم في تفسير سورة التوبة آية ١١٣، ١١٤. (٣) سنده صحيح.

إذا جلس النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع؛ يعني: مرجعه بثلاث الجيش ورجع الناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعل، فأخذ المسلمون بشيابه من نواحيه وقالوا: اجلس، أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بجرأ أن قمت أشدد أمره، فلقية رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك ما لك؟ قال: قمت أشدد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني، لكأنما قلت بجرأ أن قمت أشدد أمره. قالوا: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ، فقال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي^(١).

وقال قتادة والسدي: أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي، وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ، فحدثه بحديث عنه وأمر شديد، فدعاه رسول الله ﷺ فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه، وأنزل الله فيه ما تسمعون، وقيل لعدو الله: لو أتيت رسول الله ﷺ فجعل يلوي رأسه؛ أي: لست فاعلاً^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب، عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصلي فيه، فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أبي بن سلول قال: ليخرجن الأعز منها الأذل، فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار، وقيل لعبد الله بن أبي: ائت النبي ﷺ حتى يستغفر لك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتُنَفِّثُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ﴾^(٣) وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير. وقوله: إن ذلك كان في غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد، فإن عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة في قصة بني المصطلق، فبينما رسول الله ﷺ مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري، وكان أجيراً لعمر بن الخطاب وسان بن وبر.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن يحيى بن حبان قال: ازدحما على الماء فاقتتلا، فقال سنان: يا معشر الأنصار، وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين، وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي، فلما سمعها قال: قد ثاورونا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال القائل: سَمَنَ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من عنده من قومه وقال: ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل، وذكره ابن هشام (السيرة النبوية ٢/١٠٥)، ويتقوى بالمراسيل التالية.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند رجاله ثقات عن معمر بن قتادة لكنه مرسل، وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند رجاله ثقات من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد لكنه مرسل، وهذان المرسلان يقوي أحدهما الآخر، ويتقوى أيضاً بالروايات المرسلة والموصولة التالية.

(٣) رجاله ثقات لكنه مرسل، ويتقوى بسابقه ولاحقه.

أموالكم، أما والله لو كففتهم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها، فسمعها زيد بن أرقم رضي الله عنه فذهب بها إلى رسول الله ﷺ: وهو غليم عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخبره الخبر، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله مُرْ عباد بن بشر فليضرب عنقه، قال رسول الله ﷺ: «فكيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمداً يقتل أصحابه، لا، ولكن ناد يا عمر الرحيل» فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال، ما قال عليه زيد بن أرقم، وكان عند قومه بمكان فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل.

وراح رسول الله ﷺ مهجراً في ساعة كان لا يروح فيها، فلقيه أسيد بن الحضير رضي الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال: والله لقد رحت في ساعة منكراً ما كنت تروح فيها، فقال رسول الله ﷺ: «أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل» قال: فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل. ثم قال: ارفق به يا رسول الله، فوالله لقد جاء الله بك وإنا لتنظم له الخرز لتوجه، فإنه ليرى أن قد سلبته ملكاً، فسار رسول الله ﷺ بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا، وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشتغلهم عما كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مسَّ الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين^(١).

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا بشر بن موسى، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمر بن دينار، سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار: فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة».

وقال عبد الله بن أبي بن سلول: وقد فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال جابر: وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ، ثم كثر المهاجرون بعد ذلك، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»^(٢). ورواه الإمام أحمد، عن حسين بن محمد المروزي، عن سفيان بن عيينة، ورواه البخاري، عن الحميدي ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن سفيان به نحوه^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن محمد بن كعب القرظي، عن زيد بن أرقم قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: فحلف

(١) أخرجه البيهقي من طريق ابن إسحاق عن محمد بن يحيى. (دلائل النبوة ٥٢/٤، ٥٣) وذكره ابن هشام في السيرة ٢٩٠/٢ - ٢٩٢. وسنده مرسل لكنه ورد عن عدة رواة ويتقوى بالروايات الموصولة التالية.

(٢) أخرجه البيهقي (دلائل النبوة ٥٣/٤) وسنده صحيح.

(٣) مسند الإمام أحمد ٣/٣٩٢، وصحيح البخاري، التفسير باب «يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ» [المنافقون: ٨] (ج ٤٩٠٧) وصحيح مسلم، البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (ج ٢٥٨٤).

عبد الله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك، قال: فلامني قومي وقالوا: ما أردت إلى هذا؟ قال: فانطلقت فتمت كئيهاً حزياً، قال: فأرسل إلي نبي الله ﷺ فقال: «إن الله قد أنزل عذرك وصدقك» قال: فنزلت هذه الآية ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا﴾ حتى بلغ ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾^(١) ورواه البخاري عند هذه الآية، عن آدم بن أبي إياس، عن شعبة، ثم قال: وقال ابن أبي زائدة، عن الأعمش، عن عمرو، عن ابن أبي ليلي، عن زيد، عن النبي ﷺ^(٢)، ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضاً من حديث شعبة به^(٣).

طريق أخرى عن زيد:

قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبي بكير قالوا: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال: سمعت زيد بن أرقم، وقال ابن أبي بكير، عن زيد بن أرقم قال: خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل إلي رسول الله ﷺ فحدثته، فأرسل إلى عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط، وجلست في البيت فقال عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك! قال حتى أنزل الله ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ قال: فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله ﷺ ثم قال: «إن الله قد صدقك»^(٤).

ثم قال أحمد أيضاً: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق أنه سمع زيد بن أرقم يقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله، وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا: كذب زيد يا رسول الله، فوقع في نفسي مما قالوا فأنزل الله تصديقي ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ قال: ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم. وقوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ حُسْبٌ مُّسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] قال: كانوا رجالاً أجمل شيء^(٥)، وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث زهير ورواه البخاري أيضاً والترمذي من حديث إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي، عن زيد به^(٦).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٦٨/٤) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا...﴾ [المنافقون: ٣] (ح ٤٩٠٢).

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة المنافقون (ح ٣٣١٤)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، سورة المنافقون (ح ١١٥٩٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٧٣/٤) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٧٣/٤) وسنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبَٰعِبُكَ جَسَامُهُمْ...﴾ [المنافقون: ٤] (ح ٤٩٠٣) وصحيح مسلم، صفات المنافقين (ح ٢٧٧٢)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] (ح ١١٥٩٨).

طريق أخرى عن زيد:

قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي، قال: حدثنا زيد بن أرقم قال: غزونا مع رسول الله ﷺ، وكان معنا أناس من الأعراب، فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقونا إليه فسبق أعرابي أصحابه ليملا الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، قال: فأتى رجل من الأنصار الأعرابي فأرخی زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه فانتزع حجراً فغاض الماء، فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجه، فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره، وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله؛ يعني: الأعراب، وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام، فقال عبد الله لأصحابه: إذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمداً بالطعام فليأكل هو ومن معه، ثم قال لأصحابه: لئن رجعتن إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل.

قال زيد: وأنا ردف عمي، قال فسمعت عبد الله بن أبي يقول ما قال: فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف وجحد، قال فصدقه رسول الله ﷺ وكذبني، قال: فجاء إلي عمي فقال: ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون، قال: فوقع علي من الغم ما لم يقع على أحد قط، قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر، وقد خفقت برأسي من الهم، إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا، ثم إن أبا بكر لحقني وقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت: ما قال شيئاً إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي، فقال: أبشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قلبي لأبي بكر، فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين^(١). انفرد بإخراجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. وهكذا رواه الحافظ البيهقي، عن الحاكم [عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي، عن سعيد بن مسعود عن^(٢) عبيد الله بن موسى به، وزاد بعد قوله سورة المنافقين ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] حتى بلغ ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ حتى بلغ ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾.

وقد روى عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود عروة بن الزبير في المغازي، وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أيضاً هذه القصة بهذا السياق، ولكن جعلاً الذي بلغ رسول الله ﷺ كلام عبد الله بن أبي بن سلول إنما هو أوس بن أرقم من بني الحارث بن الخزرج، فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم.

وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله: حدثنا محمد بن عزيز الأيلي، حدثني سلامة، حدثني عقيل،

(١) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، التفسير، باب ومن سورة المنافقون ح ٣٣١٣) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٤٠)، وأخرجه الحاكم من طريق عبيد الله بن موسى به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٨٨/٢ - ٤٨٩) وأخرجه البيهقي عن الحاكم به (دلائل النبوة ٥٤/٤).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

أخبرني محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري^(١) أخبراه أن رسول الله ﷺ غزا غزوة المريسيع، وهي التي هدم رسول الله ﷺ فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل وبين البحر، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فكسر مناة، فاقتتل رجالان في غزوة رسول الله ﷺ تلك أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز، وهم حلفاء الأنصار، فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزي فقال البهزي: يا معشر الأنصار، فنصره رجال من الأنصار، وقال المهاجري: يا معشر المهاجرين، فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال، ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل في قلبه مرض إلى عبد الله بن أبي بن سلول فقال: قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لا تضر ولا تنفع، قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب، فقال عبد الله بن أبي عدو الله: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين: ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه، يريد عمر عبد الله بن أبي، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟» قال عمر: نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «اجلس» فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الأنصار ثم أحد بني عبد الأشهل حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟» قال: نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه، فقال رسول الله ﷺ: «اجلس» ثم قال رسول الله ﷺ: «آذنوا بالرحيل» فهجّر بالناس فسار يومه وليته والغد حتى متع النهار، ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله ﷺ: «أي عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله؟» قال عمر: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله امتثلوه، فيتحدث الناس أني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبراً» وأنزل الله ﷻ: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ الآية^(٢). وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا

(١) كذا في الأصول. قال الحافظ ابن حجر: صوابه عمر بن ثابت الأنصاري (التقريب ص ٤١٩).

(٢) سنده ضعيف لإرساله ولبعضه شواهد تقدم ذكرها.

تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل نترقب به ونحسن صحبته ما بقي معنا»^(١).

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة، واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه: وراءك! فقال: ما لك ويليكَ؟ فقال: والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الدليل، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقية فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه، فقال ابنه عبد الله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ فقال: أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن^(٢).

وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا أبو هارون المدني قال: قال عبد الله بن أبي بن سلول لأبيه: والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول: رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل، قال وجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فوالذي بعثك بالحق، ما تأملت وجهه قط هيبة له، ولئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فإنني أكره أن أرى قاتل أبي^(٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْتُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ١٠ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١١﴾

يقول تعالى أمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبراً لهم بأنه من التَّهَى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، ثم حثهم على الإنفاق في طاعته فقال: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْتُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ٩﴾ فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئاً سيراً ليستعتب ويستدرك ما فاتته وهيهات، كان ما كان وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه، أما الكفار فكما قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَّلَمَ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ١٢﴾ [إبراهيم] وقال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ١٣ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤﴾ [المؤمنون].

(١) ذكره ابن هشام وسنده مرسل ويتقوى بالمراسيل التالية (السيرة النبوية ٢/٢٩٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وهذه المراسيل تتقوى ببعضها وبما سبق.

(٣) أخرجه الحميدي بسنده ومثله (المسند ٢/٥٢٠ ح ١٢٤٠) وسنده مرسل، ويشهد له ما تقدم.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١) أي: لا ينظر أحداً بعد حلول أجله. وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لورد لعاد إلى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو جناب الكلبي، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس اتق الله فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سأتلو عليك بذلك قرأناً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠) إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتين فصاعداً، قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعر^(١).

ثم قال: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن يحيى بن أبي حية وهو: أبو جناب الكلبي، عن الضحاك، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ بنحوه ثم قال: وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبي جناب، عن الضحاك، عن ابن عباس من قوله وهو أصح، وضعف أبا جناب الكلبي^(٢).

قلت: ورواية الضحاك، عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن نفيل، حدثنا سليمان بن عطاء، عن مسلمة الجهني، عن عمه يعني: أبا مشجعة بن ربيعي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال: «إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره»^(٣).

آخر تفسير سورة المنافقين.

والله الحمد والمنة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، آمين.

(١) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، التفسير، باب ومن سورة المنافقون ح ٣٣١٦) وسنده ضعيف لضعف أبي جناب الكلبي، والضحاك لم يلق ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) الحديث تنممه لسابقه.

(٣) سنده ضعيف جداً فيه سليمان بن عطاء وهو منكر الحديث كما في التقريب، ومثله مخالف لما في الصحيح أن الزيادة في العمر غير ما ذكر في هذه الرواية.

سُورَةُ النَّجَّاتِ

وهي مدنية [وقيل: مكية]^(١)

قال الطبراني: حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقي، حدثنا العباس بن الوليد الخلال، حدثنا الوليد بن الوليد، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشييك رأسه خمس آيات من سورة النجاة»^(٢) أورده ابن عساكر في ترجمة الوليد بن صالح^(٣) وهو غريب جداً بل منكر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكُمْ كَافِرٌ وَنَكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَحْلُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝﴾

هذه السورة هي آخر المسبحات، وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها، ولهذا قال: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي: هو المتصرف في جميع الكائنات المحمود على جميع ما يخلق ويقدره.

وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع وما لم يشأ لم يكن.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكُمْ كَافِرٌ وَنَكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ أي: هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده، وسيجزئهم بها أتم الجزاء، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ثم قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل والحكمة، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أي: أحسن أشكالكم كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الْإِنْسَانَ مَا عَرَفَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ

(١) زيادة من (ح).

(٢) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الأوسط ح ٣٢٩٠) وسنده ضعيف جداً لأن الوليد بن الوليد يروي عن ابن ثوبان الغرائب والعجائب. (ينظر المجروحين لابن حبان ٨١/٣) وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٣) أخرجه ابن عساكر من طريق الطبراني به (تاريخ دمشق ١٧/٨٣١) وسنده كسابقه.

﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار] وكقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الآية [غافر: ٦٤] وقوله: ﴿وَلِيَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب.

ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السماوية والأرضية والنفسية فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْجُوْنَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٩﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿١١﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الأمم الماضين وما حلَّ بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ أي: خبرهم وما كان من أمرهم ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ﴾ أي: وخيم تكذيبهم، وردى أفعالهم، وهو ما حلَّ بهم في الدنيا من العقوبة، والخزي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي ثم علَّل ذلك فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالحجج والدلائل والبراهين ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أي: استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ أي: كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ أي: عنهم ﴿وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْطُوا قُلٌ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُ ثُمَّ لَنَحْبِثَنَّهُ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّفَاقِ وَمَن يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُ ثُمَّ لَنَحْبِثَنَّهُ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ أي: لشخبرن بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: بعثكم ومجازاتكم.

وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه ﷻ على وقوع المعاد ووجوده فالأولى في سورة يونس: ﴿وَيَسْتَبِشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ والثانية في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ والآية الثالثة هي هذه ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْطُوا قُلٌ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُ ثُمَّ لَنَحْبِثَنَّهُ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٧﴾.

ثم قال تعالى: ﴿فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلَ﴾ يعني: القرآن ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيامة سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ لَهٗ الْنَّاسَ وَذَلِكَ يَوْمَ مَسْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ ﴿٨﴾ لَمَجْبُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٩﴾ [الواقعة].

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَّازِ﴾ قال ابن عباس: هو اسم من أسماء يوم القيامة^(١)، وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار، وكذا قال قتادة ومجاهد^(٢).

وقال مقاتل بن حيان: لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ويذهب بأولئك إلى النار. قلت: وقد فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ. وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾ وقد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾.

يقول تعالى مخبراً بما أخبر به في سورة الحديد: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] وهكذا قال ههنا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: بأمر الله يعني: عن قدره ومشيئته^(٣).

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه يقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ يعني: يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه^(٤).

وقال الأعمش: عن أبي ظبيان قال: كنا عند علقمة فقري عنه هذه الآية ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ فسئل عن ذلك فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم^(٥). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما.

وقال سعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ يعني: يسترجع يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

وفي الحديث المتفق عليه: «عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بمعناه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق الأعمش به.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ٩٥.

وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح أنه سمع جنادة بن أبي أمية يقول: سمعت عبادة بن الصامت يقول: إن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيل الله». قال: أريد أهون من هذا يا رسول الله. قال: «لا تنهم الله في شيء قضى لك به»^(١). لم يخرجوه.

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر وترك ما عنه نهى وزجر، ثم قال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ أي: إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة.

قال الزهري: من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم^(٢). ثم قال تعالى مخبراً أنه الأحد الصمد الذي لا إله غيره فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣) فالأول خبر عن التوحيد، ومعناه معنى الطلب؛ أي: وحدوا الإلهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه كما قال تعالى: ﴿رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾^(٤) [المزمل].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنَ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ^(٦) فَأَنْفِقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٧) إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ^(٨) عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٩).

يقول تعالى مخبراً عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والولد بمعنى أنه يلتهب به عن العمل الصالح كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١٠) [المنافقون] ولهذا قال ههنا: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

قال ابن زيد: يعني على دينكم^(٣).

وقال مجاهد: ﴿إِن مِّنَ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ قال: يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا الفريابي، حدثنا إسرائيل، حدثنا سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا

(١) أخرجه الإمام بسنده ومثته (المسند ٣٧/٣٩٠ ح ٢٢٧١٧) قال محققوه: حديث محتمل للتحسين، وهذا إسناد ضعيف من أجل ابن لهيعة.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، وقال الحافظ ابن حجر: هذا وقع في قصة أخرجها الحميدي في «النوادر»، ومن طريقه الخطيب، قال الحميدي: حدثنا سفيان قال: قال رجل للزهري: يا أبا بكر قول النبي ﷺ: «ليس منا من شقَّ الجيوب» ما معناه؟ فقال الزهري: من الله العلم، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم. (فتح الباري ١٣/٥٠٤).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد وفي آخره بلفظ: «إلا أن يقطعه».

الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» قال: فهؤلاء رجال أسلموا من مكة، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) وكذا رواه الترمذي، عن محمد بن يحيى، عن الفريابي وهو محمد بن يوسف به. وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير والطبراني من حديث إسرائيل به^(٢)، وروي من طريق العوفي، عن ابن عباس نحوه^(٣) وهكذا قال عكرمة مولاة سواء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٤) يقول تعالى: إنما الأموال والأولاد فتنة؛ أي: اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. وقوله: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ﴾ أي: يوم القيامة أجر عظيم كما قال: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ﴾^(٥) [آل عمران] والتي بعدها.

قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين بن واقد، حدثني عبد الله بن بريدة، سمعت أبا بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله ورسوله، ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ﴾»، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»^(٦) ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به، وقال الترمذي: حسن غريب إنما نعرفه من حديثه^(٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا شريح بن النعمان، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن الشعبي، حدثنا الأشعث بن قيس قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة فقال لي: «هل لك ولد؟» قلت: غلام ولد لي في مخرجي إليك من ابنة جمد، ولوددت أن بمكانه سبع القوم. فقال: «لا تقولن ذلك، فإن فيهم قرة عين وأجراً إذا قبضوا»، ثم قال: «ولئن قلت ذاك إنهم لمجينة محزنة»^(٨)، إنهم لمجينة محزنة»^(٩). تفرد به أحمد.

(١) سننه حسن.

(٢) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة التغابن (ح ٣٣١٤) والمعجم الكبير للطبراني ٢٧٥/١١ (ح ١١٧٢٠). وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٤٢).

(٣) سننه ضعيف ويتقوى بسابقه فقد تبع العوفي في الرواية السابقة.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٩٩/٣٧، ١٠٠ ح ٢٢٩٩٥) وقال محققوه: إسناده قوي.

(٥) سنن أبي داود، الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة (ح ١١٠٩) وسنن الترمذي، المناقب، باب مناقب الحسن والحسين (ح ٣٧٧٦) وسنن النسائي، الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة ١٩٢/٣ وسنن ابن ماجه، اللباس، باب لبس الأحمر للرجال (ح ٣٦٠٠). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٩٠٠).

(٦) قال البيهقي: أراد أن الرجل إذا كثر ولده بخل بماله إبقاء عليهم، وجبن عن الحروب استبقاء لنفسه. (شرح السنة ٢٦/١٣).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٦١/٣٦ ح ٢١٨٤٠) وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد =

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمود بن بكر، حدثنا أبي، عن عيسى، عن ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الولد ثمرة القلوب، وإنهم مجبنة محزنة». ثم قال: لا نعرفه إلا بهذا الإسناد^(١).

وقال الطبراني: حدثنا هاشم بن مرثد، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزاً لك وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن الذي لعله عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينك»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»^(٣). وقد قال بعض المفسرين كما رواه مالك، عن زيد بن أسلم إن هذه الآية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]^(٤).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير، حدثني ابن لهيعة، حدثني عطاء هو ابن دينار، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قال: لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيتهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفاً على المسلمين: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فنسخت الآية الأولى^(٥).

وروى عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك^(٦).

وقوله: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ أي: كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله، ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة، ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا تتخلفوا عما به أمرتم، ولا تركبوا ما عنه زجرتم.

وقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء

= ضعيف، مجالد وهو ابن سعيد الهمداني ضعيف. اهـ. ولو قالوا: حسن لغيره لكان أحسن.

(١) أخرجه البزار بسنده ومثله وتعليقه (المسند ٢/ ٢٤٧ ح ١٧٩٧) وسنده ضعيف لضعف عطية وهو العوفي. (مجمع الزوائد ٨/ ١٥٨).

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٣/ ٢٩٤ ح ٣٤٤٥) وسنده ضعيف لضعف رواية إسماعيل بن عياش عن أبيه كما في التقريب.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحشر آية ٧.

(٤) سنده صحيح لكنه مرسل ويتقوى بما يليه من المراسيل.

(٥) سنده حسن لكنه مرسل ويتقوى بالمراسيل السابقة واللاحقة.

(٦) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر بن قتادة لكنه مرسل، وبقيّة الآثار عن أبي العالية والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي تقدم ذكرها في تفسير سورة آل عمران آية ١٠٢.

والمساكين وذوي الحاجات، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم، يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة، وإن لا تفعلوا يكن شراً لكم في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تقدم تفسيره في سورة الحشر^(١)، وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول: «من يقرض غير ظلوم ولا عديم»^(٢) ولهذا قال تعالى: ﴿يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ كما تقدم في سورة البقرة ﴿يُّضَاعِفْهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ويغفر لكم أي: ويكفر عنكم السيئات ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ أي: يجزي على القليل بالكثير ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: يصفح ويغفر ويستتر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم تفسيره غير مرة.

آخر تفسير سورة التغابن، والله الحمد والمنة.

(١) في الآية رقم ٩.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (الصحيح، صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل ح ٧٥٨/١٧١).

سُورَةُ الطَّلَاقِ

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

خوَّطب النبي ﷺ أولاً تشريعاً وتكريماً، ثم خاطب الأمة تبعاً فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهباري، حدثنا أسباط بن محمد، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: طَلَّقَ رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ فقبل له: راجعها فإنها صوامه قوامه، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة^(١). ورواه ابن جرير، عن ابن بشار، عن عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة فذكره مرسل^(٢). وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طَلَّقَ حفصة ثم راجعها.

وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طَلَّقَ امرأة له وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيَّظ رسول الله ﷺ منه ثم قال له: «ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر بها الله ﷻ»^(٣). هكذا رواه البخاري ههنا وقد رواه في مواضع من كتابه ومسلم ولفظه: «فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء»^(٤). ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طريق متعددة وألفاظ كثيرة ومواضع استقصائها كتب الأحكام.

(١) في سنده أسباط بن محمد ثقة لكن فيه ضعف يسير (تهذيب التهذيب ٢١١/١) وقد أخرجه من هو أوثق منه مرسل^(٢) كما في رواية الطبري التالية، فقد أخرجه عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة مرسل^(٣) وهو أرجح.

(٢) أخرجه الطبري عن ابن بشار به، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، سورة الطلاق باب رقم ١ ح ٤٩٠٨).

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضيهما الله عنهما (الصحيح، الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ح ١٤٧١).

وأُسُّ لفظ يورد ههنا ما رواه مسلم في صحيحه من طريق ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عَزَّة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع ذلك، كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضاً؟ فقال: طلق ابن عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ليراجعها». فردَّها. وقال: إذا طهرت فليطلق أو يمسك. قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(١).

وقال الأعمش: عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله في قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قال: الطهر من غير جماع^(٢). وروي عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك وهو رواية عن عكرمة والضحاك^(٣).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قال: لا يطلقها وهي حائض، ولا في طهر قد جامعها فيه، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت يطلقها تطليقة^(٤).

وقال عكرمة: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ العدة: الطهر، والقرء: الحيضة أن يطلقها حبلى مستبيناً حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدري حبلى هي أم لا.

ومن ههنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق، وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة، فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملاً قد استبان حملها، والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدري أحملت أم لا؟ وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها، وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع والله ﷻ أعلم.

وقوله: ﴿وَأَحْضُوا أَلْعِدَّةَ﴾ أي: احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها، لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: في ذلك.

وقوله: ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ أي: في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه، فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضاً الخروج لأنها معتقلة لحق الزوج أيضاً.

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ أي: لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة

(١) أخرجه مسلم من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج به بلفظ: «أو ليمسك». (الصحيح، الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ح ١٤٧/١٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق الثوري عن الأعمش به.

(٣) قول ابن عمر تقدم مرفوعاً، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود (المصنف ٣/٥) وأخرجه ابن أبي شيبة أيضاً بسند حسن من طريق هشام عن ابن سيرين والحسن. (المصدر السابق ٢/٥)، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير أبو قلابة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والسدي وسعيد بن أبي هلال وغيرهم^(١).

وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وأذتهم في الكلام والفعال كما قاله أبي بن كعب وابن عباس^(٢) وعكرمة وغيرهم. وقوله: ﴿وَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: شرائعه ومحارمه ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأتمر بها فقد ظلم نفسه؛ أي: بفعل ذلك.

وقوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ أي: إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل.

قال الزهري: عن عبيد الله بن عبد الله، عن فاطمة بنت قيس في قوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ قالت: هي الرجعة^(٣). وكذا قال الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والثوري^(٤).

ومن ههنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى إلى أنه لا تجب السكنى للمبتوتة؛ أي: المقطوعة وكذا المتوفى عنها زوجها، واعتمدوا أيضاً على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائباً عنها باليمن، فأرسل إليها بذلك فأرسل إليها وكيله بشعير يعني نفقة فتسخطته فقال: والله ليس لكى علينا نفقة، فأتت رسول الله ﷺ فقال: «ليس لك عليه نفقة»^(٥). ولمسلم ولا «سكنى»، وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك» الحديث^(٦).

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد،

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويشهد له ما أخرجه الحاكم من قول ابن عمر وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٩١/٢)، وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي وهب عن ابن زيد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند ضعيف من طريق صالح بن مسلم عن عامر الشعبي وصالح بن مسلم هو ابن رومان وهو ضعيف (التقريب ص ٥٤٥) ويشهد له ما تقدم.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ١٧٤/٤) والطبري بسند حسن من طريق محمد بن إبراهيم عن ابن عباس.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الزهري به (مصنف عبد الرزاق رقم ١٢٠٢٤).

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق ابن عليه عن أيوب عن عكرمة، (المصنف ٢٦٢/٥) وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أيوب عن الحسن.

(٥) أخرجه مسلم بنحوه (الصحيح، باب المطلقة ثلاثاً ح ٤١/١٤٨٠).

(٦) المصدر السابق (٤٢/١٤٨٠).

حدثنا عامر قال: قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس فحدثتني أن زوجها طلقها على عهد النبي ﷺ، فبعثه رسول الله ﷺ في سرية قالت: فقال لي أخوه: اخرجي من الدار. فقلت: إن لي نفقة وسكنى حتى يحلّ الأجل. قال: لا. قالت: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن فلاناً طلقني وإن أخاه أخرجني ومنعني السكنى والنفقة فقال له: «ما لك ولاينة آل قيس». قال: يا رسول الله إن أخي طلقها ثلاثاً جميعاً. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «انظري يا بنت آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة، فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجي فانزلي على فلانة»، ثم قال: «إنه يتحدث إليها انزلي على ابن أم مكتوم فإنه أعمى لا يراك»^(١). وذكر تمام الحديث.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الله البزار التستري، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف، حدثنا بكر بن بكار، حدثنا سعيد بن يزيد البجلي، حدثنا عامر الشعبي أنه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي وزوجها أبو عمرو بن حفص بن حفص بن المغيرة المخزومي فقالت: إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلي وهو منطلق في جيش إلى اليمن بطلاقي، فسألت أوليائه النفقة علي والسكنى فقالوا: ما أرسل إلينا في ذلك شيئاً ولا أوصانا به، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلي بطلاقي فسألت أوليائه السكنى والنفقة علي فقال أوليائه: لم يرسل إلينا في ذلك بشيء. فقال رسول الله ﷺ: «إنما السكنى والنفقة للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة فإذا كانت لا تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره فلا نفقة لها ولا سكنى»^(٢). وكذا رواه النسائي عن أحمد بن يحيى الصوفي، عن أبي نعيم الفضل بن دكين، عن سعيد بن يزيد^(٣) وهو الأحمسي البجلي الكوفي قال أبو حاتم الرازي: وهو شيخ يروى عنه.

﴿إِذَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُم يُوعِظُ بِهِ، مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾

يقول تعالى: إذا بلغت المعتدات أجلهن أي: شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة الكلية، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده بمعروف؛ أي: محسناً إليها في صحبتها، وإما أن يعزم

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده بنحوه (المسند ٦/٣٧٣) وسنده ضعيف لضعف مجالد، ويتقوى بالشاهد الصحيح السابق في صحيح مسلم.

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٣٨٢/٢٤ ح ٩٤٨)، وأخرجه النسائي من طريق الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد به. (السنن، الطلاق، باب الرخصة في ذلك ١٤٤/٦ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ح ٣١٨٨).

(٣) الجرح والتعديل ٧٤/٤.

على مفارقتها بمعروف؛ أي: من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسيل حسن.

وقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: على الرجعة إذا عزمتم عليها كما رواه أبو داود وابن ماجه، عن عمران بن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها، فقال: طلقت لغير سنة، وراجعت لغير سنة، وأشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد^(١).

وقال ابن جريج: كان عطاء يقول: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال: لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهدا عدل كما قال الله ﷻ إلا أن يكون من عذر.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة إنما يأتى به من يؤمن بالله واليوم الآخر، وأنه شرع هذا ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة.

ومن ههنا ذهب الشافعي في أحد قوليهِ إلى وجوب الإشهاد في الرجعة كما يجب عنده في ابتداء النكاح، وقد قال بهذا طائفة من العلماء، ومن قال بهذا يقول: إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الإشهاد عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب؛ أي: من جهة لا تخطر بباله.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا كهمس بن الحسن، حدثنا أبو السليل، عن أبي ذرٍّ قال: جعل رسول الله ﷺ يتلو عليّ هذه الآية ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ حتى فرغ من الآية ثم قال: «يا أبا ذرٍّ لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم». قال: فجعل يتلوها ويردها عليّ حتى نعست، ثم قال: «يا أبا ذرٍّ كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة؟» قلت: إلى السعة والدعة أنطلق فأكون حمامة من حمام مكة. قال: «كيف تصنع إذا خرجت من مكة؟». قال: قلت: إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة قال: «وكيف تصنع إذا خرجت من الشام؟» قلت: إذا والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي. قال: «أو خير من ذلك؟» قلت: أو خير من ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً»^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا علي بن عبيد، حدثنا زكريا، عن عامر، عن [شُتير]^(٣) بن شُكل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: إن أجمع آية في القرآن

(١) سنن أبي داود، الطلاق، باب الرجل يراجع ولا يشهد (ح ٢١٨٦) وسنن ابن ماجه، الطلاق، باب الرجعة (ح ٢٠٢٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٩١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنته (المسند ٤٣٦/٣٥ ح ٢١٥٥١) وضعف سنده محققوه لأن أبا السليل لم يدرك أبا ذرٍّ.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «شتل».

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] وَإِنْ أَكْبَرُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَرَجاً ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾^(١).

وفي المسند: حدثني مهدي بن جعفر، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الحكم بن مصعب، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، وورقه من حيث لا يحتسب»^(٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ يقول: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٣).

وقال الربيع بن خثيم: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ أي: من كل شيء ضاق على الناس^(٤).
وقال عكرمة: من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجاً^(٥). وكذا روي عن ابن عباس والضحاك^(٦).

وقال ابن مسعود ومسروق: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ يعلم أن الله إن شاء أعطى وإن شاء منع ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من حيث لا يدرى^(٧).

وقال قتادة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من شبهات الأمور والكرب عند الموت، ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو ولا يأمل.

وقال السدي: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ يطلق للسنّة ويراجع للسنّة وزعم أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عوف بن مالك الأشجعي كان له ابن، وأن المشركين أسروه فكان فيهم، وكان أبوه يأتي رسول الله ﷺ فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته، فكان رسول الله ﷺ يأمره بالصبر ويقول له: إن الله سيجعل لك فرجاً، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً أن انفلت ابنه من أيدي العدو، فمر بغنم من أغنام العدو فاستقاها فجاء بها إلى أبيه وجاء معه [بغنم]^(٨) قد أصابه من المغنم، فنزلت فيه هذه الآية ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٩) رواه ابن جرير.

(١) سنده جيد.

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد وجادة عن أبيه عن مهدي بن جعفر الرملي به. (المسند ١٠٤/٤ ح ٢٢٣٤) وضعف سنده محققوه لجهالة الحكم بن مصعب.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٣٧١/١٤) والطبري من طريق الربيع بن المنذر عن أبيه عن الربيع بن خثيم. والربيع بن المنذر سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ويشهد له ما يليه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مسروق عن ابن مسعود مختصراً. وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي الضحى عن مسروق.

(٨) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أسباط عن السدي وسنده مرسل.

وروي أيضاً من طريق سالم بن أبي الجعد مرسلًا نحوه^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»^(٢) رواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان وهو الثوري به^(٣).

وقال محمد بن إسحاق: جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال له: أسر ابني عوف. فقال له رسول الله ﷺ: «أرسل إليه أن رسول الله يأمر أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله»، وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القدر عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل، فإذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب فقال أبوه: عوف ورب الكعبة! فقالت أمه: واسوأناه وعوف [كيف يقدم]^(٤) بما هو فيه من القدر؟ فاستبقا الباب والخادم فإذا هو عوف قد ملأ الفناء إبلًا، فقصر على أبيه أمره وأمر الإبل فقال أبوه: قفا حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله عنها، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله ﷺ: اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بمالك ونزل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٥) رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض، عن هشام بن حسان، عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها»^(٦).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا ليث، حدثنا قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن عبد الله بن عباس أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ: «يا غلام إني معلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده

(١) أخرجه الطبري من طريق عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد، وسنده مرسل. وأخرجه الحاكم من طريق سالم بن أبي الجعد عن جابر وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر فيه عباد بن يعقوب رافضي وعبيد بن كثير العامري متروك (المستدرک ٢/ ٤٩٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٧/ ٦٨ ح ٢٢٣٨٦) وقال محققوه: حسن لغيره دون قوله: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».

(٣) سنن ابن ماجه، الفتن، باب العقوبات (ح ٤٠٢٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٢٤٨) وعزاه المزني إلى النسائي في السنن الكبرى، كتاب الرقاق. (تحفة الأشراف ٢/ ١٣٣) وأخرجه الحاكم من طريق الثوري به كما في رواية الإمام أحمد السابقة، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/ ٤٩٣).

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) سنده ضعيف لانقطاعه بين ابن إسحاق ومالك الأشجعي.

(٦) سنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الأشعث. (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠٦) وأخرجه الطبراني من طريق إبراهيم بن الأشعث به. (المعجم الصغير ١/ ١١٦).

تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف».

وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد وابن لهيعة به وقال: حسن صحيح^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا بشير بن سلمان، عن سيار أبي الحكم، عن طارق بن شهاب، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قَمِيناً^(٢)» أن لا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله تعالى أتاه الله برزق عاجل أو بموت آجل^(٣). ثم رواه عن عبد الرزاق، عن سفيان، عن بشير، عن سيار أبي حمزة ثم قال: وهو الصواب، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ أي: منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريد ويشاؤه ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ كقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

﴿وَالَّتِي يَلْسَنَ مِنَ الْمَجِيزِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿١﴾﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٢﴾﴾.

يقول تعالى مبيناً لعدة الآيسة وهي التي قد انقطع عنها المحيض لكبرها إنها ثلاثة أشهر عوضاً عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كما دلَّت على ذلك آية البقرة^(٤) كذا الصغار اللاتي لم يبلغن سن الحيض؛ أي: عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾. وقوله: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: وهو قول طائفة من السلف كمجاهد والزهري وابن زيد؛ أي: إن رأين دماً وشككتن في كونه حيضاً أو استحاضة وارتبتم فيه^(٥).

والقول الثاني: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر وهذا مروي عن سعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر في المعنى واحتج عليه بما رواه عن أبي كريب وابن السائب قالاً: حدثنا ابن إدريس، أخبرنا مُطَرِّف، عن عمرو بن سالم قال: قال أبي بن كعب: يا رسول الله إن عِدَّةً من عِدَّةِ النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار وأولات الأحمال قال فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالَّتِي يَلْسَنَ مِنَ الْمَجِيزِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الزمر آية ٣٨. (٢) أي: جديراً. (ينظر: النهاية ٤/١١١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٦/ ٢٢٤ ح ٣٦٩٦) قال محققوه: إسناده حسن على خطأ في اسم أحد رواة، سبار هذا هو أبو حمزة. ١٠هـ. وقد نبه الحافظ ابن كثير على ذلك بعد الحديث مباشرة.

(٤) آية رقم ٢٢٨.

(٥) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الزهري، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

وَأَلَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ»^(١) ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا السياق فقال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن المغيرة، أخبرنا جرير، عن مُطَرِّف، عن عمر بن سالم^(٢)، عن أبي ابن كعب قال: قلت لرسول الله ﷺ: إن ناساً من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية التي في البقرة في عدة النساء قالوا: لقد بقي من عدة النساء عدد لم يذكر في القرآن الصغار والكبار اللاتي قد انقطع منهن الحيض وذوات الحمل. قال: فأنزلت التي في النساء القصرى: «وَأَلَّتِي يَبْسَنَ مِنَ الْمَجِضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ»^(٣).

وقوله: «وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» يقول تعالى ومن كانت حاملاً فعدتها بوضعه، ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفراق [ناقة]^(٤) في قول جمهور العلماء من السلف والخلف: كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنة النبوية، وقد روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما ذهبا في المتوفى عنها زوجها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع أو الأشهر عملاً بهذه الآية والتي في سورة البقرة^(٥).

وقال البخاري: حدثنا [سعد]^(٦) بن حفص، حدثنا شيبان، عن يحيى، قال أخبرني أبو سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة. فقال ابن عباس: آخر الأجلين. قلت أنا: «وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي يعني أبا سلمة فأرسل ابن عباس غلامه كريماً إلى أم سلمة يسألها فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فولدت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت فأنكحها رسول الله ﷺ وكان أبو السنابل فيمن خطبها^(٧). هكذا أورد البخاري هذا الحديث ههنا مختصراً، وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولاً من وجوه آخر^(٨).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حماد بن أسامة، أخبرنا هشام، عن أبيه، عن المسور بن مخرمة أن سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها وهي حامل فلم يمكث إلا ليالي حتى وضعت، فلما تعلت من نفاسها خطبت، فاستأذنت رسول الله ﷺ في النكاح، فأذن لها أن تنكح فنكحت^(٩). ورواه البخاري في صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عنها، كما قال مسلم بن الحجاج: حدثني أبو الطاهر، أخبرنا ابن وهب، حدثني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية، فيسألها عن حديثها وعمّا قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته، فكتب عمر بن

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وفي سنده عمرو بن سالم وهو أبو عثمان الأنصاري: مقبول (التقريب ص ٦٥٧) ولم يتابع، وسنده ضعيف.

(٢) قيل عمر بن سالم وقيل عمرو بن سالم (التقريب ص ٦٥٧).

(٣) سنده ضعيف كسابقه. (٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) آية ٢٢٨.

(٦) كذا في صحيح البخاري، وفي الأصل و(ح) صحف بلفظ: «سعيد».

(٧) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب «وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» [الطلاق: ٤] ح ٤٩٠٩).

(٨) سيأتي أحد الوجوه بعد الرواية التالية.

(٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣١/٢٣٥ ح ١٨٩١٨) وصححه سندته محققوه.

عبد الله يخبره أن سُبَيْعَةَ أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة وكان ممن شهد بدرًا، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تелت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها: ما لي أراك متجملة لعلك ترجين النكاح! إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سُبَيْعَةُ: فلما قال لي ذلك جمعت عليّ ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي^(١). هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصرًا ثم قال البخاري بعد روايته الحديث الأول عند هذه الآية: وقال سليمان بن حرب وأبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد هو ابن سيرين قال: كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الأجلين فحدثت بحديث سُبَيْعَةَ بنت الحارث، عن عبد الله بن عتبة قال فضمر^(٢) لي بعض أصحابه، قال محمد: ففطنت له فقلت: إني لجريء أن أكذب على عبد الله وهو في ناحية الكوفة. قال: فاستحيا وقال: لكن عمه لم يقل ذلك، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته فذهب يحدثني بحديث سُبَيْعَةَ فقلت: هل سمعت عن عبد الله فيها شيئًا؟ فقال: كنا عند عبد الله فقال: أتجعلون عليها التعليل ولا تجعلون عليها الرخصة؟ فنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾^(٣) ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل ابن علية، عن أيوب به مختصرًا ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الأعلى، عن خالد بن الحارث، عن ابن عون، عن محمد بن سيرين... فذكره^(٤).

وقال ابن جرير: حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر، حدثني ابن شبرمة الكوفي، عن إبراهيم، عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود قال: من شاء لاعته ما نزلت ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها قال: وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلّت. يريد بآية المتوفى عنها زوجها ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مريم^(٥) به.

ثم قال ابن جرير: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا إسماعيل بن خالد، عن الشعبي قال: ذكر عند ابن مسعود آخر الأجلين، فقال: من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التي في النساء القصرى نزلت بعد الأربعة الأشهر والعشر، ثم قال: أجل الحامل أن تضع ما في بطنها^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن

(١) أخرجه مسلم بسنده ومثته (الصحيح، الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها ح ١٤٨٤).

(٢) أي: أشار إليه أن أسكت. (فتح الباري ٨/ ٦٥٥).

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] ح ٤٩١٠).

(٤) تفسير الطبري والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] ح ١١٠٤٣).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه النسائي من طريق سعيد بن أبي مريم به (السنن الكبرى ح ٥٧١٦) وسنده صحيح.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ويشهد له سابقه ولاحقه.

سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: بلغ ابن مسعود أن علياً عليه السلام يقول: آخر الأجلين. فقال: من شاء لاعتته فإن التي في النساء القصرى نزلت بعد البقرة ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي معاوية، عن الأعمش^(١).

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي، أخبرنا عبد الوهاب الثقفي، حدثني المثنى، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، عن أبي بن كعب قال: قلت للنبي ﷺ: ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ المطلقة ثلاثاً أو المتوفى عنها زوجها؟ فقال: «هي للمطلقة ثلاثاً وللمتوفى عنها»^(٢). هذا حديث غريب جداً بل منكر لأن في إسناده المثنى بن الصباح وهو متروك الحديث بمرّة ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر فقال حدثنا محمد بن داود السمانى، حدثنا عمرو بن خالد يعني: الحراني، حدثنا ابن لهيعة، عن عمرو بن شعيب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي بن كعب أنه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله ﷺ: لا أدري أمشركة أم مبهمّة؟ قال رسول الله ﷺ: «آية آية؟» قال: ﴿أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ المتوفى عنها والمطلقة؟ قال: «نعم»^(٣). وكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن موسى بن داود، عن ابن لهيعة به^(٤). ثم رواه عن أبي كريب أيضاً عن مالك بن إسماعيل، عن ابن عيينة، عن عبد الكريم بن أبي المخارق أنه حدث عن أبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال: أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها»^(٥). عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أياً.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ أي: يسهل له أمره ويسره عليه ويجعل له فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً. ثم قال: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾ أي: حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سَبِيلًا وَيُغْنِهِ رِزْقًا فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيَجْعَلِ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيصِهِمْ وَلَوْ كُنَّ أُولَئِ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَدِّرْهُنَّ لَهُنَّ أُخْرَى ۚ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيَجْعَلِ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

يقول تعالى أمراً عباده إذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها فقال:

(١) سنن أبي داود، الطلاق، باب في عدة الحامل (ح ٢٣٠٧)، وسنن ابن ماجه، الطلاق، باب الحامل إذا توفي عنها زوجها (ح ٢٠٣٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٢٠٢٢).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد بسنده ومثنه في زوائده. (المسند ٣٤/٣٥ ح ٢١١٠٨) وضعفه محققوه لضعف المثنى بن الصباح.

(٣) سنده ضعيف بسبب ما قيل في ابن لهيعة. (٤) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وسنده كسابقه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق عبد الكريم به (المصنف رقم ١١٧١٧) وسنده منقطع لعدم سماع عبد الكريم من أبي.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي: عندكم من وجدكم قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني: سعتكم^(١). حتى قال قتادة: إن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه^(٢).

وقوله: ﴿وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قال مقاتل بن حيان: يعني يضاجرها لتفتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه.

وقال الثوري، عن منصور، عن أبي الضحى ﴿وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قال: يطلقها فإذا بقي يومان راجعها^(٣).

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال كثير من العلماء منهم: ابن عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف هذه في البائن إن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع حملها^(٤)، قالوا: بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملاً أو حائلاً.

وقال آخرون: بل السياق كله في الرجعيات^(٥)، وإنما نصّ على الإنفاق على الحامل وإن كانت رجعية؛ لأن الحمل تطول مدته غالباً فاحتيج إلى النصّ على وجوب الإنفاق إلى الوضع لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة.

ثم اختلف العلماء هل النفقة لها بواسطة الحمل أم للحمل وحده؟ على قولين منصوصين عن الشافعي وغيره ويتفرع عليها مسائل كثيرة مذكورة في علم الفروع.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي: إذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد برّ بانقضاء عدتهن، ولها حينئذ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه، ولكن بعد أن تغذيه باللبأ، وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للمولود غالباً إلا به، فإن أرضعت استحققت أجر مثلها، ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجر، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾.

وقوله: ﴿وَأَتِمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير إضرار ولا مضارة كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿لَا تُضَاكِرْ وَلَدَةً وَلَا مَوْلُودًا﴾ [٢٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَسَرِّضْ لَهَا أُخْرَى﴾ أي: وإن اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في أجره الرضاع كثيراً ولم يجبهها الرجل إلى ذلك أو بذل الرجل قليلاً ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها، فلو رضيت الأم بما استؤجرت به الأجنبية فهي أحق بولدها.

وقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ﴾ أي: لينفق على المولود والده ووليه بحسب قدرته ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا ءَاتَاهَا﴾ كقوله: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

روى ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حكام، عن أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب،

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بخبر مجاهد الذي أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عنه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) سنده صحيح.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن إبراهيم النخعي بنحوه.

عن أبي عبيدة ف قيل إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أخشن الطعام فبعث إليه بألف دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها فما لبث أن لبس اللين من الثياب، وأكل أطيب الطعام فجاءه الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى تأول هذه الآية ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ﴾^(١).

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا هاشم بن مرثد الطبراني، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، أخبرني أبي، أخبرني ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد بن أبي مالك الأشعري واسمه: الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنانير، فتصدق منها بدينار، وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها بأوقية، وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشر أواق»، فقال رسول الله ﷺ: «هم في الأجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله»، قال الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾^(٢). هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وقوله: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، وعد منه تعالى ووعدته حق لا يخلفه وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح].

وقد روى الإمام أحمد حديثاً يحسن أن نذكره ههنا فقال: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عبد الحميد بن بهرام، حدثنا شهر بن حوشب قال: قال أبو هريرة: بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائعاً قد أصابته مسغبة شديدة، فقال لامرأته: عندك شيء؟ قالت: نعم أبشر أتاناً رزق الله، فاستحثها فقال: ويحك ابتغي إن كان عندك شيء، قالت: نعم هنيئة ترجو رحمة الله حتى إذا طال عليه الطوى قال: ويحك قومي فابتغي إن كان عندك شيء فائتيني به فإني قد بلغت وجهت فقالت: نعم الآن نفتح التنور فلا تعجل فلما أن سكت عنها ساعة وتحينت أن يقول لها قالت من عند نفسها: لو قمت فنظرت إلى تنوري فقامت فنظرت إلى تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحيها تطحنان فقامت إلى الرحي فنفضتها واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم. قال أبو هريرة: فوالذي نفس أبي القاسم بيده هو قول محمد ﷺ: لو أخذت ما في رحيها ولم تنفضها لطحنتها إلى يوم القيامة^(٣).

وقال في موضع آخر: حدثنا أبو عامر، حدثنا أبو بكر، عن هشام، عن محمد وهو: ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية، فلما رآته امرأته قامت إلى الرحي فوضعتها وإلى التنور فسجرتها، ثم قالت: اللهم ارزقنا، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت، قال: وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً، قال: فرجع الزوج فقال: أصبتم بعدي شيئاً قالت امرأته: نعم من ربنا فأم إلى الرحي فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: أما إنه

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لعدم سماع أبي سنان من عمر رضي الله عنه، وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ٣/٣٣١ ح ٣٤٣٩) وسنده ضعيف لضعف رواية محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه كما في التقريب (وينظر مجمع الزوائد ٣/١١٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٥/٢٧٦ ح ٩٤٦٤). وضعف سنده محققوه لضعف شهر بن حوشب.

لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة^(١).

﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْبَيْنِ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَمَاسَبَّتْهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبَتْهَا عَذَابًا تُكْرَأُ﴾ (٨) ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا خُسْرًا﴾ (٩) ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الْآلِئِبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ (١٠) ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ رِزْقًا﴾ (١١).

يقول تعالى متوعداً لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه ومخبراً عما حلّ بالأمم السالفة بسبب ذلك فقال: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْبَيْنِ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ أي: تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله ﴿فَمَاسَبَّتْهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبَتْهَا عَذَابًا تُكْرَأُ﴾ أي: منكرأً فظيعاً. ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم ﴿وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا خُسْرًا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: في الدار الآخرة مع ما عجل لهم من العذاب في الدنيا.

ثم قال بعد ما قصّ من خبر هؤلاء: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الْآلِئِبِ﴾ أي: الأفهام المستقيمة، لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: صدقوا بالله ورسوله ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ يعني: القرآن كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ حَافِظُونَ﴾ (٩٦) [الحجر].

وقوله: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ قال بعضهم رسولاً منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر.

وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر^(٢)؛ يعني: تفسيراً له ولهذا قال: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ أي: في حال كونها بينة واضحة جلية ﴿لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ كقوله: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] [أي: من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله نوراً لما يحصل به من الهدى كما سماه روحاً لما يحصل به من حياة القلوب، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٦) [الشورى] وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ رِزْقًا﴾ قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن إعادته.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢).

يقول تعالى مخبراً عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢/٤٢١). وفي سنده أبو بكر وهو ابن عياش فيه مقال: (ينظر ميزان الاعتدال ٤/٥٠٠).

(٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) ما بين معقوفين لا يوجد في النسخ الخطية لدي، وقد أضيفت من طبعة الحلبي التي اعتمدت مخطوطة دار الكتب التي لم أظفر بها.

الدين القويم ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ كقوله تعالى إخباراً عن نوح أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح] وقوله تعالى: ﴿سُبْحٌ لَّهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: سبعة أيضاً كما ثبت في الصحيحين: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين»^(١) وفي صحيح البخاري «خسف به إلى سبع أرضين»^(٢) وقد ذكرت طرقه وألفاظه وعزوه في أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الأرض والله الحمد والمنة.

ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزاع، وخالف القرآن والحديث بلا مستند، وقد تقدم في سورة الحديد عند قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [٣] ذكر الأرضين السبع وبُعد ما بينهما، وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام، وهكذا قال ابن مسعود وغيره، وكذا في الحديث الآخر: «ما السماوات السبع وما فيهن وما بينهما والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة»^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكفركم تكذيبكم بها^(٤).

وحدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي والأشعري، عن جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي، عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ الآية فقال ابن عباس: ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن المثنى قالوا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال عمرو: قال في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق.

وقال ابن المثنى في حديثه: في كل سماء إبراهيم^(٦).

وروى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أحمد بن يعقوب، حدثنا عبيد بن غنام النخعي، أخبرنا علي بن حكيم، حدثنا شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس أنه قال: ﴿اللَّهُ

(١) أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها. (صحيح البخاري، المظالم، باب إثم من ظلم شيئاً في الأرض ح ٢٤٥٣) وصحيح مسلم، البيوع، باب تحريم الظلم وغصب الأرض (ح ١٦١٢).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (الصحيح، الباب السابق ح ٢٤٥٤).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الرعد آية ٢.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وفي سننه إبراهيم بن مهاجر فيه مقال (التقريب ص ٩٤).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وفي سننه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وأخرجه الحاكم من طريق آدم بن أبي إياس عن شعبة به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٤٩٣). وصححه البيهقي كما سيأتي بعد الرواية الآتية.

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴿١﴾ قال: سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى^(١).

ثم رواه البيهقي من حديث شعبة، عن عمر بن مرة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام^(٢). ثم قال البيهقي: إسناد هذا عن ابن عباس صحيح. وهو شاذ بمرة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا، والله أعلم.

قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه «التفكير والاعتبار»: حدثني إسحاق بن حاتم المدائني، حدثنا يحيى بن سليمان، عن عثمان بن أبي دهرش قال: بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال: «ما لكم لا تتكلمون؟» فقالوا: نتفكر في خلق الله ﷻ قال: «فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا فيه، فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها - أو قال: بياضها نورها - مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط». قالوا: فأين الشيطان عنهم؟ قال: «ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق»، قالوا: أمن ولد آدم؟ قال: «لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق»^(٣). وهذا حديث مرسل وهو منكر جداً وعثمان بن أبي دهرش ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال: روي عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص، وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك^(٤).

آخر [تفسير سورة] ^(٥) الطلاق.

(١) أخرجه البيهقي بسنده ومثته. (الأسماء والصفات رقم ٨٣١) وسنده ضعيف فيه شريك وعطاء بن السائب وكلاهما فيهما مقال.

(٢) أخرجه البيهقي (المصدر السابق رقم ٨٥١) وتقدم تخريجه وتصحيح الحاكم والذهبي قبل الرواية السابقة.

(٣) ضعفه الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً، وقوله: «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا فيه» له شاهد صحيح تقدم.

(٤) الجرح والتعديل ١٤٩/٦.

(٥) زيادة من (ح).

سُورَةُ التَّحْوِيْمِ

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَّى مَرْصَاتَ زَوْجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَوَّضَ اللَّهُ لَكَ نَحْلَةَ أَتَمِنَ لَكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ زَوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُنَوِّبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ زَوْجًا خَيْرًا مِمَّنْكَ مُسَلِّمَتٍ مُؤْمِنَةٍ قَلْبَتْ تَبَيَّنَتْ عَيْدَاتٍ سَيَحْتِ تَبَيَّنَتْ وَأَنْكَارًا ﴿٥﴾﴾.

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة فقيل: نزلت في شأن مارية، وكان رسول الله ﷺ قد حرما فتزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَّى مَرْصَاتَ زَوْجِكَ﴾ الآية.

قال أبو عبد الرحمن النسائي: أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد، حدثنا أبي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرما، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ إلى آخر الآية^(١).

وقال ابن جرير: حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا أبو غسان، حدثني زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟ فجعلها عليه حراماً، قالت: أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ قال زيد بن أسلم: فقلوه: أنت علي حرام لغو^(٢)، وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه^(٣).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، عن مالك، عن زيد بن أسلم قال: قال لها: أنت علي حرام، والله لا أطوك^(٤).

(١) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (السنن الكبرى، التفسير باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١] ح ١١٦٠٧) وأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس. وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٩٣/٢).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإرسال زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإرسال زيد.

وقال سفيان والثوري وابن علية، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق قال: ألى رسول الله ﷺ وحرّم، فعوتب في التحريم، وأمر بالكفارة في اليمين^(١). رواه ابن جرير وكذا روي عن قتادة وغيره عن الشعبي نفسه^(٢) وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان، وروى العوفي عن ابن عباس القصة مطولة^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا سعيد بن يحيى، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: قلت لعمر بن الخطاب: من المراتان؟ قال: عائشة وحفصة، وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم مارية أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة، فقالت: يا نبي الله لقد جئت إلي شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي، قال: ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها؟ قالت: بلى فحرمها، وقال لها: لا تذكرى ذلك لأحد فذكرته لعائشة، فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله ﷺ كفر عن يمينه وأصاب جاريته^(٤).

وقال الهيثم بن كليب في مسنده: حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن الرقاشي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قال: قال النبي ﷺ لحفصة: «لا تخبري أحداً، وإن أم إبراهيم عليّ حرام». فقالت: أتحرّم ما أحلّ لك؟ قال: فوالله لا أقربها. قال: فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، قال: فأنزل الله: ﴿قَدْ فُضَّ اللَّهُ لَكُمْ نَحْلَةً أَيْمَنَكُمْ﴾^(٥). وهذا إسناد صحيح ولم يخرج من أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره الضياء المقدسي في كتابه المستخرج^(٦).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، حدثنا هشام الدستوائي، قال: كتب إليّ يحيى يحدث، عن يعلى بن حكيم، عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول: في الحرام يمين تكفرها. وقال ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]^(٧)، يعني: أن رسول الله ﷺ حرّم جاريته فقال الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ فُضَّ اللَّهُ لَكُمْ نَحْلَةً أَيْمَنَكُمْ﴾ فكفر يمينه فصير الحرام يميناً. ورواه البخاري عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائي عن يحيى هو ابن أبي كثير، عن ابن حكيم وهو: يعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: في الحرام يمين تكفر.

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لإرسال مسروق.

(٢) أخرجه الطبري وهو مرسل أيضاً.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لعنّة ابن إسحاق.

(٥) في سنده عبد الملك بن محمد الرقاشي صدوق يخطئ تغير حفظه لما سكن بغداد (التقريب ص ٣٦٥).

(٦) أخرجه الضياء المقدسي من طريق الهيثم بن كليب به. (المختارة ٦٩/٥، ٧٠ ح ١٦٩٤، ١٦٩٥).

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح، وأخرجه مسلم من طريق ابن علية به (الصحيح، الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرّم امرأته ولم ينو الطلاق ح ١٤٧٣).

وقال ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١) [الأحزاب: ٢١]. ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به^(٢).

وقال النسائي: أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي، حدثنا مخلد هو: ابن يزيد، حدثنا سفیان، عن سالم، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: أتاه رجل فقال: إني جعلت امرأتي عليّ حراماً. قال: كذبت ليست عليك بحرام ثم تلى هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ لِرَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة^(٣). تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن زكريا، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ لِرَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ قال: حرم رسول الله ﷺ سريره^(٤). ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال: بوجوب الكفارة على من حرّم جاريته أو زوجته أو طعاماً أو شرباً أو ملبساً أو شيئاً من المباحات، وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة.

وذهب الشافعي إلا أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم عنيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول، فأما إذا نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما.

وقال ابن أبي حاتم: حدثني أبو عبد الله الظهري، أخبرنا حفص بن عمر العدني، أخبرنا الحكم بن أبان، أخبرنا عكرمة، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ لِرَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ^(٥). وهذا قول غريب.

والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري عند هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغاير إني أجد منك ريح مغاير، قال: «لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً»^(٦) ﴿تَبْنِي مَرَضَاتُ أَزْوَاجِكُ﴾ هكذا أورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ.

وقال في كتاب الأيمان والنذور: حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا الحجاج، عن ابن جريج قال: زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول: سمعت عائشة تزعم أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ لِرَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾... [التحريم: ١] ح ٤٩١١).

(٢) تقدم عزوه قبل الرواية السابقة.

(٣) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن، الطلاق، باب تأويل قوله ﷺ ﴿لِرَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ ١٥١/٦) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ٨٦/١١ ح ١١٨٣٠) وسنده ضعيف لضعف مسلم وهو ابن كيسان الضبي روى عن مجاهد، وروى عنه إسرائيل. (تهذيب التهذيب ١٠/١٣٥).

(٥) سنده ضعيف لضعف حفص بن عمر العدني كما في التقريب.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثله. (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ لِرَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾... ح ٤٩١٢).

فلتقل: إني أجد منك ريح مغاير أكلت مغاير؟ فدخل على إحداهما النبي ﷺ فقالت ذلك، فقال: «لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له»، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى ﴿إِنْ نُبَوَّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ لعائشة وحفصة: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لقوله: بل شربت عسلاً.

وقال إبراهيم بن موسى، عن هشام: ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً^(١).

وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الإسناد ولفظه قريب منه^(٢). ثم قال: المغاير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة. أغفر الرمث إذا ظهر فيه، واحدها مغفور ويقال: مغاير^(٣)، وهكذا قال الجوهري قال: وقد يكون المغفور أيضاً للعشر والثمام والسلم والطلح قال: والرَّمْث بالكسر مرعى من مراعي الإبل، وهو من الحمض قال: العرافط: شجر من العضاء ينضج المغفور منه.

وقد روى مسلم هذا الحديث في كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم، عن حجاج، عن ابن جريج، أخبرني عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة به ولفظه كما أورده البخاري في الأيمان والنذور^(٤)، ثم قال البخاري في كتاب الطلاق: حدثنا فروة بن أبي المغراء، حدثنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فَعَرْتُ، فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّةً^(٥) عسل فسقت النبي ﷺ منه شربة فقلت: أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقولني: أكلت مغاير فإنه سيقول لك: لا. فقولني له ما هذه الريح التي أجده؟ فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولني: جَرَسَتْ نحله العُرْفُطُ، وسأقول ذلك، وقولي له أنت يا صفية ذلك. قالت: تقول سودة: فوالله ما هو إلا أن قام على الباب، فأردت أن أنادي به بما أمرتني فرقاً منك فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغاير؟ قال: «لا» قالت: فما هذه الريح التي أجده منك؟ قال: «سقتني حفصة شربة عسل». قالت: جَرَسَتْ نحله العُرْفُطُ، فلما دار إليّ قلت: نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجة لي فيه». قلت: تقول سودة والله لقد حرمناه. قلت لها: اسكتي^(٦). وهذا لفظ البخاري وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد، عن علي بن مسهر به، وعن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر ثلاثهم عن أبي أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة به. وعنده قالت: وكان رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، الأيمان والنذور، باب إذا حرم طعاماً ح ٦٦٩).

(٢) صحيح البخاري، الطلاق، باب ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]؟ (ح ٥٢٦٧).

(٣) هذا النص لم أجده في صحيح البخاري.

(٤) أخرجه مسلم بسنده ومثله. (الصحيح، الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرّم امرأته ولم ينو الطلاق ح ١٤٧٤).

(٥) أي: الإناء.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، الطلاق، باب ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾؟ ح ٥٢٦٨).

يشد عليه أن يوجد منه الريح يعني الريح الخبيثة، ولهذا قلن له: أكلت مغاير لأن ريحها فيه شيء، فلما قال: «بل شربت عسلاً» قلن: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العرْفَطُ^(١). أي: رعت نحلته شجر العرْفَط الذي صمغه المغاير، فلهذا ظهر ريحه في العسل الذي شربته.

قال الجوهري: جرس النحل العرْفَط تجرس إذا أكلته، ومنه قيل: للنحل جوارس.

قال الشاعر:

تَظَلُّ عَلَى الثَّمَرَاءِ مِنْهَا جَوَارِسُ

وقال: الْجَرَسُ وَالْجَرَسُ: الصوت الخفي، ويقال: سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله، وفي الحديث فيسمعون جرس طير الجنة. قال الأصمعي كنت في مجلس شعبة قال: فيسمعون جرس طير الجنة بالشين، فقلت: جرس. فنظر إليّ فقال: خذوها عنه فإنه أعلم بهذا منا^(٢).

والغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن خالته، عن عائشة وفي طريق ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة أن زينب بنت جحش هي التي سقته العسل، وأن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه فالله أعلم. وقد يقال: إنهما واقعتان ولا بُد في ذلك إلا أن كونها سبباً لنزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم.

ومما يدل على أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن ابن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِنْ نُوَبَّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتى حج عمر وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة فتبرَّز ثم أتاني فسكبت على يديه، فتوضاً فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إِنْ نُوَبَّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال عمر: وأعجباً لك يا ابن عباس. قال الزهري: كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال: هي عائشة وحفصة.

قال: ثم أخذ يسوق الحديث قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم ففطق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال: وكان منزلي في دار بني أمية بن زيد بالعوالي، قال: فغضبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. قال: فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم. قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكَن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله؟ فإذا هي قد هلكت، لا تراجعني رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً وسليني من مالي ما بدا لكي ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم؟ أي: أجمل

(١) صحيح مسلم، الباب السابق (ح/١٤٧٤). (٢) ينظر: الصحاح للجوهري ٩٠٨/٢.

وأحب إلى رسول الله ﷺ منك يريد عائشة. قال: وكان لي جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك قال: وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوماً ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت إليه فقال: حدث أمر عظيم فقلت: وما ذاك أجاءت غسان؟ قال: لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقلت: قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائناً حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت، فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة، فأتيته غلاماً له أسود فقلت: استأذن لعمر، فدخل الغلام ثم خرج إليّ فقال: ذكرت لك له فصمت، فانطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم، فجلست عنده قليلاً ثم غلبنني ما أجد، فأتيته الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم خرج إليّ فقال: قد ذكرت لك له فصمت فخرجت فجلست إلى المنبر ثم غلبنني ما أجد، فأتيته الغلام فقلت: استأذن لعمر فدخل ثم خرج إليّ فقال: قد ذكرت لك له فصمت، فوليت مدبراً فإذا الغلام يدعوني فقال: ادخل قد أذن لك، فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكئ على رمل حصير.

قال الإمام أحمد: وحدثناه يعقوب في حديث صالح قال: رمال حصير قد أثر في جنبه، فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك؟ فرفع إليّ رأسه فقال: «لا». فقلت: الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نساءهم، فغضبت على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فقلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت؟ فتبسم رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم أو أحب إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم أخرى فقلت: أستأنس يا رسول الله؟ قال: نعم. فجلست فرفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهبة ثلاثة فقلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله فاستوى جالساً وقال: أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا. فقلت: استغفر لي يا رسول الله، وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله ﷻ^(١).

وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به^(٢).

وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عبيد بن حنين، عن ابن عباس قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له قال:

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله وطوله (المسند ١/٣٤٦، ٣٥٠ ح ٢٢٢) وصححه سنداً محققوه.

(٢) صحيح البخاري، المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها (ح ٢٤٦٨) وصحيح مسلم، الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخيريهن (ح ١٤٧٩/٣٤).

فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ؟ هذا لفظ البخاري ولمسلم من المرأتان اللتان؟ قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ قال: عائشة وحفصة. ثم ساق الحديث^(١) بطوله ومنهم من اختصره.

وقال مسلم أيضاً: حدثني زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، عن سماك بن الوليد أبي زميل، حدثني عبد الله بن عباس، حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس يكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب، فقلت: لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال: فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ على أسكفة المشربة فنادت فقلت: يا رباح استأذن لي على رسول الله ﷺ فذكر نحو ما تقدم إلى أن قال: فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قلبي فنزلت هذه الآية آية التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾ ﴿وَأَن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِيحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ فقلت: أطلقتهن؟ قال: «لا». فقممت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي: لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ﴾ [النساء: ٨٣] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر^(٢).

وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك وغيرهم ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أبو بكر وعمر: زاد الحسن البصري: وعثمان.

وقال [ليث بن أبي] سليم^(٣)، عن مجاهد ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: علي بن أبي طالب^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن أبي عمر، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، قال: أخبرني رجل ثقة يرفعه إلى علي قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: هو علي بن أبي طالب^(٥). إسناده ضعيف وهو منكر جداً.

وقال البخاري: حدثنا عمرو بن عون، حدثنا هشيم، عن حميد، عن أنس قال: قال عمر اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾ فنزلت هذه الآية^(٦).

وقد تقدم أنه وافق القرآن في أماكن منها في نزول الحجاب، ومنها في أسارى بدر، ومنها

(١) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿تَبَتُّنِي مَرْصَاتَ أَزْوَاجٍ...﴾ [التحريم: ١] (ح ٤٩١٣) وصحيح مسلم، الباب السابق (ح ١٤٧٩/٣٣).

(٢) المصدر السابق ح ١٤٧٩/٣٠.

(٣) في سنده ليث فيه مقال.

(٤) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن علي عليه السلام، وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٥) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ...﴾ [التحريم: ١] ح ٤٩١٦).

قوله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الأنصاري، حدثنا حميد، عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي ﷺ، فاستقريتهن أقول: لتكفرن عن رسول الله ﷺ أو ليلدنه الله أزواجاً خيراً منك، حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت: يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن، فأمسكت، فأنزل الله ﷻ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يَبْدُلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَبَيَّنَ عِيْدَاتٍ سَيِّحَتِ تَبَيَّنَ وَأَبْكَارًا﴾ (١).

وهذه المرأة التي ردتها عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري.

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني، حدثنا إسماعيل البجلي، حدثنا أبو عوانة، عن أبي سنان، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ قال: دخلت حفصة على النبي ﷺ في بيتها وهو يطأ مارية فقال لها رسول الله ﷺ: «لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة إن أباك يلي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنا مت»، فذهبت حفصة فأخبرت عائشة، فقالت عائشة لرسول الله ﷺ: من أنباك هذا؟ قال: «نَبَأَنِي الْعَلِيْمُ الْخَيْرُ» فقالت عائشة: لا أنظر إليك حتى تحرم مارية فحرمها فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ (٢) إسناده فيه نظر، وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات ومعنى قوله: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَبَيَّنَ عِيْدَاتٍ﴾ ظاهر.

وقوله: ﴿سَيِّحَتِ﴾ أي: صائمت، قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب القرظي وأبو عبد الرحمن السلمي وأبي مالك وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وغيرهم (٣).

وتقدم في حديث مرفوع عند قوله: ﴿السَّيِّحُونَ﴾ في سورة براءة ولفظه سياحة هذه الأمة الصيام (٤).

وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن: ﴿سَيِّحَتِ﴾ أي: مهاجرات وتلا عبد الرحمن: ﴿السَّيِّحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] (٥). أي: المهاجرون. والقول الأول أولى، والله أعلم.

(١) هذا السند فيه اضطراب أرى فيه انقطاعاً بين الأنصاري وحميد، وابن أبي حاتم ليس كعادته أن يذكر الرجل بنسبة مبهمة كذكر الأنصاري دون ذكر اسم.

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١٧/١٢ ح ١٢٦٤٠) وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، وإسماعيل البجلي ضعيف (مجمع الزوائد ١٨١/٥).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظه. وتقدم تخريجه عن جمع من السلف المفسرين في تفسير سورة التوبة آية ١١٢.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ١١٢.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَتْ وَابْتَكَّرَا﴾ أي: منهن ثيبات ومنهن أبكاراً ليكون ذلك أشهى إلى النفس فإن التنوع يبسط النفس ولهذا قال: ﴿تَبَيَّنَتْ وَابْتَكَّرَا﴾.

وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا أبو بكر بن صدقة، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق، حدثنا عبد الله بن أبي أمية، حدثنا عبد القدوس، عن صالح بن حيّان، عن ابن بُريدة عن أبيه ﴿تَبَيَّنَتْ وَابْتَكَّرَا﴾ قال: وعد الله نبيه ﷺ في هذه الآية أن يزوجه بالثيب آسية امرأة فرعون، وبالبكر مريم بنت عمران^(١).

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة مريم ؑ من طريق سويد بن سعيد، حدثنا محمد بن صالح بن عمر، عن الضحاك ومجاهد، عن ابن عمر قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فمرت خديجة فقال: إن الله يقرئها السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد عن اللهب لا نصب فيه ولا صخب، من لؤلؤة [جوفاء بين]^(٢) بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم^(٣).

ومن حديث أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال: يا خديجة إذا لقيت ضرائك فأقرئيهن مني السلام. فقالت: يا رسول الله وهل تزوجت قبلي؟ قال: «لا»، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلثم أخت موسى^(٤). ضعيف أيضاً.

وقال أبو يعلى: حدثنا إبراهيم ابن عرعة، حدثنا عبد النور بن عبد الله، حدثنا يوسف بن شعيب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون»، فقلت: هنيئاً لك يا رسول الله. وهذا أيضاً ضعيف وروي مرسلًا عن ابن أبي داود^(٥).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤْبَوْنَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارَ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

قال سفيان الثوري، عن منصور، عن رجل، عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿فَوْاْ أَنفُسَكُمْ﴾

- (١) سنده ضعيف لضعف صالح بن حيّان وهو القرشي الكوفي روى عن ابن بريدة. (تهذيب التهذيب ٤/٣٨٦).
- (٢) زيادة من طبعة البابي الحلبي التي اعتمد فيها نسخة دار الكتب. وفي الأصل (حم) بياض.
- (٣) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق، تراجم النساء ص ٣٨٣) وسنده ضعيف لضعف سويد بن سعيد (تهذيب التهذيب ٤/٢٢٥ - ٢٧٢).
- (٤) أخرجه ابن عساكر (المصدر السابق ص ٣٨٤) وسنده ضعيف جداً لأن أبا بكر الهذلي متروك كما في التقريب. وضعفه الحافظ ابن كثير.
- (٥) سنده ضعيف جداً لأن عبد النور كذاب (الضعفاء الكبير للعقيلي ٤/٤٥٩).

وَأَهْلِكُمْ نَارًا ﴿١﴾ يقول: أدبواهم وعلموهم^(١).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾ يقول: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمروا أهلهم بالذكر ينجيكم الله من النار^(٢).

وقال مجاهد: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾ قال: اتقوا الله وأوصوا أهلكم بتقوى الله^(٣).

وقال قتادة: تأمرهم بطاعة الله، وتنههم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها وزجرتهم عنها. وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه^(٤).

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، فَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا» هذا لفظ أبي داود.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن^(٥).

وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله ﷺ مثل ذلك^(٦).

قال الفقهاء: وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعاصي وترك المنكر، والله الموفق.

وقوله: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ وقودها: أي حطبها الذي يلقي فيه جثث بني آدم ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ قيل: المراد بها: الأصنام التي كانت تعبد لقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء] وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقر والسدي: هي حجارة من كبريت^(٧)، زاد مجاهد: أنتن من الجيفة.

[وروى ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله قال: حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحمن بن سنان المنقري]^(٨)، حدثنا عبد العزيز يعني: ابن أبي رواد قال: بلغني أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ وعنده بعض أصحابه وفيهم شيخ فقال الشيخ: يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لصخرة من صخر

(١) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف لإيهام الراوي عن علي رضي الله عنه، وقد أخرجه الحاكم موصولاً من طريق ربعي عن علي وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٩٤).

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد عن زيد بن الحباب عن عبد الملك بن الربيع به وحسنه محققوه. (المسند ٢٤/٥٦ ح ١٥٣٣٩) وأخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ح ٤٩٤) والترمذي (السنن، الصلاة، باب متى يؤمر الصبي بالصلاة ح ٤٠٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٦٥).

(٦) المصدر السابق (ح ٤٩٥). (٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٤.

(٨) زيادة من (ح) و(حم).

جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها». قال: فوق الشيخ مغشياً عليه، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو حي فناداه قال: يا شيخ قل: لا إله إلا الله، فقالها فبشره بالجنة قال: فقال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟ قال: «نعم يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٍ﴾»^(١) [إبراهيم: ١٤] هذا حديث مرسل غريب. وقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتُ غِلَاطٍ شِدَادٍ﴾ أي: طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله، ﴿شِدَادٍ﴾ أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، حدثنا أبي، عن عكرمة أنه قال: إذا وصل أول أهل النار إلى النار وجدوا على الباب أربع مئة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم كالحة أنيابهم قد نزع الله من قلوبهم الرحمة، ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر، ثم يجدون على الباب التسعة عشر، عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً ثم يهونون من باب إلى باب خمس مئة سنة، ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الأول حتى ينتهوا إلى آخرها^(٢).

وقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي: مهما أمرهم به تعالى يبادرون إليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه، وهؤلاء هم الزبانية عياداً بالله منهم.

وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣) أي: يقال للكفرة يوم القيامة لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون وإنما تجزون اليوم بأعمالكم.

ثم قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي: توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات.

قال ابن جرير: حدثنا ابن مثنى، حدثنا محمد، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، سمعت النعمان بن بشير يخطب، سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال: يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه^(٤).

وقال الثوري: عن سماك، عن النعمان، عن عمر قال: التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه^(٥).

وقال أبو الأحوص وغيره، عن سماك، عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال: أن يتوب الرجل من العمل السيئ ثم لا يعود إليه أبداً^(٥).

(١) سنده ضعيف لأنه معضل.

(٢) سنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الحكم بن أبان. (التقريب ص ٨٩).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن ويشهد له ما ثبت عن ابن مسعود ﷺ.

(٤) أخرجه الطبري والحاكم من طريق الثوري به، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٤٩٥).

(٥) أخرجه الطبري من طريق أبي الأحوص به وسنده حسن.

وقال الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال: يتوب ثم لا يعود^(١).

وقد روي هذا مرفوعاً فقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «التوبة من الذنب يتوب منه ثم لا يعود فيه»^(٢). تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والموقوف أصح، والله أعلم.

ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بطريقه. قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن عبد الكريم أخبرني زياد بن أبي مريم عن [عبد الله بن معقل]^(٣) قال: دخلت مع أبي علي عبد الله بن مسعود فقال: أنت سمعت النبي ﷺ يقول: «الندم توبة؟» قال: نعم. وقال مرة: نعم سمعته يقول: «الندمة توبة»^(٤). ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار، عن سفيان بن عيينة، عن عبد الكريم وهو ابن مالك الجزري به^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثني الوليد بن بكير أبو خباب، عن عبد الله بن محمد العدوي، عن أبي سنان البصري، عن أبي قلابة، عن زر بن حبیش، عن أبي بن كعب قال: قيل: لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة منها: نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً. قال زر: فقلت: لأبي بن كعب: فما التوبة النصوح؟ فقال: سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «هو الندم على الذنب حين يفطر منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبداً»^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا عباد بن عمرو، حدثنا أبو عمرو بن العلاء، سمعت الحسن يقول: التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته^(٧)، فأما إذا حزم بالتوبة وصمم عليها فإنها تجب ما قبلها من الخطيئات كما ثبت في

(١) أخرجه الطبري من طريق الأعمش به، وسنده صحيح. وأخرجه الحاكم من طريق عباية الأسدي عن ابن مسعود وصححه، قال الذهبي: عباية لا ذكر له في الكتب الستة (المستدرک ٢/٤٩٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٧/٢٩٩ ح ٤٢٦٤) وقال محققوه: إسناده ضعيف وقد روي مرفوعاً وموقوفاً، والصحيح وقفه.

(٣) كذا في المسند و(ح)، وفي الأصل صحف إلى: «عبد الله بن مغفل».

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/٣٧ ح ٣٥٦٨) وحسن سنده محققوه.

(٥) سنن ابن ماجه (الزهد، باب ذكر التوبة ح ٤٢٥٢) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٤٢٩)، وصححه سنده البوصيري (مصباح الزجاجة ٣/٣٠٨).

(٦) ذكره الحافظ ابن حجر وقال: سنده ضعيف جداً.

(٧) يشهد له ما ثبت من الروايات الصحيحة قبل السابقة.

الصحيح: «الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها»^(١).

وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك إلى الممات كما تقدم في الحديث وفي الأثر: «ثم لا يعود فيه أبداً» أو يكفي العزم على أن لا يعود في تكفير الماضي بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضاراً في تكفير ما تقدم لعموم قوله ﷺ: «التوبة تجب ما قبلها؟» ولأول أن يحتج بما ثبت في الصحيح أيضاً: «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر»^(٢) فإذا كان هذا في الإسلام الذي هو أقوى من التوبة فالتوبة بطريق الأولى والله أعلم.

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وعسى من الله موجبة ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ أي: ولا يخزيهم معه يعني يوم القيامة ﴿تُورِثُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمِنُ بِهِمْ﴾ كما تقدم في سورة الحديد: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا تُورَةً وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم: [هذا يقوله]^(٣) المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفى^(٤).

وقال محمد بن نصر المروزي: حدثنا محمد بن مقاتل المروزي، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا ابن لهيعة، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أنه سمع أبا ذرّ وأبا الدرداء قالا: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم، وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الأمم، وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم. فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم؟ قال: «غرّ محجلون من آثار الطهور، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم»^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، حدثنا ابن المبارك، عن يحيى بن حسان، عن رجل من بني كنانة قال: صليت خلف رسول الله ﷺ عام الفتح فسمعتة يقول: «اللهم لا تخزني يوم القيامة»^(٦).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنفال آية ٣٨. (٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنفال آية ٣٨.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الحاكم والطبري من طريق مجاهد عن يزيد بن شجرة الرهاوي، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٣/ ٤٩٤).

(٥) أخرجه المروزي بسنده ومثته (تعظيم قدر الصلاة رقم ٢٦١) وسنده حسن لأن الراوي عن ابن لهيعة هو أحد العبادلة الذين رواوا عن ابن لهيعة قبل احتراق كتبه. وأخرجه الإمام أحمد من طريق ابن لهيعة به دون ذكر أبي ذر. (المسند ٣٦/ ٦٥ ح ٢١٧٣٧) قال محققوه: حسن لغيره دون قوله: «وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم...» اهـ.

وأخرجه الحاكم من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٤٧٨).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٩/ ٥٩٦ ح ١٨٠٥٦) وصححه سنده محققوه.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ۝٩﴾
 ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ۝١٠﴾

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم: ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ أي: في الآخرة. ثم قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدي عنهم شيئاً ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلاً في قلوبهم، ثم ذكر المثل فقال: ﴿امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ أي: نبين رسولين عندهما في صحبتها ليلاً ونهاراً يؤاكلانهما ويصاحبانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً، ولهذا قال: ﴿فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لكفرهما ﴿وَقِيلَ﴾ أي: للمرأتين: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾ وليس المراد بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة بل في الدين فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء كما قدمنا في سورة النور.

قال سفيان الثوري: عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن قتة سمعت ابن عباس يقول في هذه الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدلُّ قومها على أضيافه^(١).

وقال العوفي، عن ابن عباس قال: كانت خيانتها أنهما كانتا على عورتيهما فكانت امرأة نوح تطلع على سرِّ نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل سوء^(٢).

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط إنما كانت خيانتها في الدين^(٣)، وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك^(٤) وغيرهم.

وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذي يأثره كثير من الناس: «من أكل مع مغفور له غفر له» وهذا الحديث لا أصل له، وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله أنت قلت: «من أكل مع مغفور له غفر له؟» قال: لا ولكني الآن أقوله^(٥).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة هود آية ٤٦.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الضحاك به، والضحاك لم يلق ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسندين عن عكرمة يقوي أحدهما الآخر، وأخرجه أيضاً الطبري بسند جيد من طريق أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير.

(٥) ذكره ابن القيم وقال: موضوع (المنار المنيف ص ١٤٠) وأيده الألباني في السلسلة الضعيفة ٣٢٦/١ (ح ٣١٥).

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا فَتْحٌ ﴿١٢﴾﴾

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال قتادة: كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعده، فوالله ما ضرَّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه^(١).

وقال جرير: حدثنا إسماعيل بن حفص الأبلِّي، حدثنا محمد بن جعفر، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان قال: كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة^(٢). ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربي، عن أسباط بن محمد، عن سليمان التيمي به^(٣). ثم قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، عن هشام الدستوائي، حدثنا القاسم بن أبي بزة قال: كانت امرأة فرعون تسأل من غلب فيقال: غلب موسى وهارون فتقول: آمنت بربِّ موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فإنها امرأتي، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح^(٤) فقولها: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ قالت العلماء: اختارت الجار قبل الدار، وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع: «ونجني من فرعون وعمله» أي: خلصني منه، فإني أبرأ إليك من عمله ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها.

وقال أبو جعفر الرازي: عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوق المشط من يدها فقالت: تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون: ولك ربٌّ غير أبي؟ قالت: نعم ربي ورب أبيك ورب كل شيء الله. فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها، فأرسل إليها فرعون فقال: تعبدين رباً غيري؟ قالت: نعم ربي وربك ورب كل شيء الله وإياه أعبد، فعذَّبها فرعون وأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات، فكانت كذلك، فأتى عليها يوماً فقال: ما أنت منتهية؟ فقالت له: ربي وربك ورب كل شيء الله. فقال لها: إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلني. فقالت له: اقض ما أنت قاضٍ، فذبح ابنها في فيها وإن روح ابنها بشرها

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه الحاكم من طريق يزيد بن هارون عن سليمان التيمي به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٤٩٦).

(٣) أخرجه الطبري عن عبيد به.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإرساله.

فقال لها: أبشري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا، فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك، فقالت له مثل ذلك، فذبح ابنها الآخر في فيها فبشرها روحه أيضاً، وقال لها: اصبري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا، قال: وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فأمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون، وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيماناً و يقيناً وتصديقاً، فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال للملأ: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها. فقال لهم: إنها تعبد غيري! فقالوا له: اقتلها فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت: ﴿رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأيت بيتها في الجنة، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك، فقبض الله روحها في الجنة ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: حفظته وصانته والإحصان هو العفاف والحرية فنفخنا فيه من روحنا أي: بواسطة الملك وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسى ﷺ^(١). ولهذا قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾ أي: بقدره وشرعه ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْآفَتَيْنِ﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا داود بن أبي الفرات، عن علباء، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، وقال: «أتدرون ما هذا؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»^(٢).

وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة بن عمرو بن مرة، عن مرة الهمداني، عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «كُمُلُ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٣).

وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى ابن مريم ﷺ في كتابنا البداية والنهاية^(٤)، والله الحمد والمنة وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه ﷺ في الجنة عند قوله تعالى: ﴿ثِيَابُكَ وَآبَاكَ﴾^(٥).

آخر تفسير سورة التحريم، والله الحمد.

(١) سنده ضعيف لإرساله.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/٤٠٩ ح ٢٦٦٨) وصححه سنده محققوه، وأخرجه الحاكم من طريق داود بن أبي الفرات به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٩٧).

(٣) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١١] (ح ٣٤١١) وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﷺ (ح ٢٤٣١).

(٥) آية ٥ من هذه السورة الكريمة.

(٤) ٥٥/٢ - ٥٨.

سُورَةُ الْمُلْكِ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر؛ قالا: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن عياش الجشمي، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى غُفر له: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾»^(١). ورواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن^(٢).

وقد روى الطبراني والحافظ الضياء المقدسي من طريق سلام بن مسكين، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾»^(٣).

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكري، عن أبيه، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك ﴿تَبَارَكَ﴾ حتى ختمها، فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر»، ثم قال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي هريرة^(٤).

ثم روى الترمذي أيضاً من طريق ليث بن أبي سليم، عن أبي الزبير، عن جابر أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الْأَمَّ﴾ ﴿تَنْزِيلُ﴾ [السجدة: ١، ٢] و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾^(٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٨/١٤ ح ٨٢٧٦) وقال محققوه: حسن لغيره. اهـ. وصححه أحمد شاكر (المسند ح ٨٢٥٩).

(٢) سنن أبي داود، الصلاة، باب في عد الآي (ح ١٤٠٠)؛ وسنن الترمذي، ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك (ح ٢٨٩٣)؛ والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب سورة الملك (ح ١٦١١٢)؛ وسنن ابن ماجه، الأدب، باب ثواب القرآن (ح ٣٧٨٦)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٠٥٣)؛ وأخرجه الحاكم من طريق قتادة به؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٩٧/٢).

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الصغير ١/١٧٦)؛ والمقدسي من طريق سلام به (المختارة ٥/١١٤ ح ١٧٣٨) وحسنه محققه. وقال الهيثمي بعد عزوه للطبراني: رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٧/١٢٧).

(٤) أخرجه الترمذي بسنده ومثته وتعليقه (السنن، فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك ح ٢٨٩٠).

(٥) أخرجه الترمذي ثم ضعفه بقوله: وروى زهير قال: قلت لأبي الزبير: سمعت من جابر، فذكر هذا الحديث. فقال أبو الزبير: إنما أخبرني صفوان أو ابن صفوان، وكأن زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر. (المصدر السابق ح ٢٨٩٢).

وقال ليث: عن طاوس يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة^(١).

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن الحسين بن عجلان الأصبهاني، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي» يعني: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ﴾^(٢)، هذا حديث غريب وإبراهيم ضعيف، وقد تقدم مثله في سورة يس.

وقد روى هذا الحديث عَبْدُ بن حميد في مسنده بأبسط من هذا فقال: حدثنا إبراهيم ابن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال لرجل: ألا أتخفك بحديث تفرح به؟ قال: بلى. قال: اقرأ ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ﴾ وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك، فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له [أن تُنجيه]^(٣) من عذاب النار، وينجي بها صاحبها من عذاب القبر. قال رسول الله ﷺ: «لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي».

وقد روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد أبي عبد الله القرشي النيسابوري المقرئ الزاهد الفقيه أحد الثقات الذين روى عنهم البخاري ومسلم لكن في غير الصحيحين، وروى عنه الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وعليه تفقه في مذهب أبي عبيد بن حريبه وخلق سواهم، ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب، عن الزهري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله إلا «تبارك»، فلما وضع في حفرة أتاه الملك فثارت السورة في وجهه، فقال لها: إنك من كتاب الله، وأنا أكره مساءتك، وإني لا أملك لك ولا له ولا لنفسي ضرراً ولا نفعاً، فإن أردت هذا به فانطلقني إلى الرب تبارك وتعالى فاشفعني له، فتنطلق إلى الرب فتقول: يا رب إن فلاناً عمداً إلي ما بين كتابك، فتعلمني وتلاني أفتحرقة أنت بالنار وتعذبه وأنا في جوفه، فإن كنت فاعلاً ذاك به فامحني من كتابك، فيقول: ألا أراك غضبت فتقول: وحق لي أن أغضب. فيقول: اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه، قال: فتجيء الملك فيخرج خاسف البال لم يحلّ منه شيء قال: فتجيء فتضعها على فيه، فتقول مرحباً بهذا الفم فربما تلاني، ومرحباً بهذا الصدر فربما وعاني، ومرحباً بهاتين القدمين فربما قامتا بي وتؤنسني في قبره مخافة الوحشة عليه». قال: فلما حدث بهذا رسول الله ﷺ لم يبق صغير ولا كبير ولا حرّ ولا عبد إلا تعلمها وسماها رسول الله ﷺ: المنجية^(٤).

قلت: وهذا حديث منكر جداً وفرات بن السائب هذا ضعفه الإمام أحمد ويحيى بن معين والبخاري وأبو حاتم والدارقطني وغير واحد. وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري من

(١) أخرجه الترمذي، وسنده مرسل. (المصدر السابق بعد ح ٢٨٩٢).

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٢٤١/١١ ح ١١٦١٦) وسنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الحكم بن أبان كما في التقريب وانظر: (مجمع الزوائد ١٣٠/٧).

(٣) كذا في (ح)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٢/٢٥٦) وسنده ضعيف لضعف فرات بن السائب كما قرر ونقل الحافظ ابن كثير.

قوله مختصراً وروى البيهقي في كتاب «إثبات عذاب القبر»^(١) عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً ما يشهد لهذا، وقد كتبناه في كتاب الجنائز من الأحكام الكبرى والله الحمد والمنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَنجِصَ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ أُنْجِصَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝﴾

يمجد تعالى نفسه الكريمة، ويخبر أنه بيده الملك؛ أي: هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء؛ لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ واستدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي؛ لأنه مخلوق، ومعنى الآية أنه أوجد الخلاق من العدم ليبلوهم؛ أي: يختبرهم أيهم أحسن عملاً كما قال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فسمى الحال الأول وهو العدم موتاً، وسمى هذه النشأة حياة، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا خُليد، عن قتادة في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أذلَّ بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء»^(٢). ورواه معمر، عن قتادة^(٣).

وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خير عملاً؛ كما قال محمد بن عجلان: ولم يقل أكثر عملاً.

ثم قال: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ أي: هو العزيز العظيم المنيع الجنب، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأتاب، بعدما عصاه وخالف أمره وإن كان تعالى عزيزاً هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز.

ثم قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: طبقة بعد طبقة، وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض أو متفاصلات بينهما خلاء؟

فيه قولان: أحدهما الثاني كما دلَّ على ذلك حديث الإسراء وغيره.

وقوله: ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾ أي: بل هو مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا

(١) أخرجه الحاكم من طريق زر بن حبیش عن ابن مسعود موقوفاً مختصراً؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٩٨/٢)؛ وأخرجه البيهقي من طريق مسروق عن ابن مسعود مختصراً (إثبات عذاب القبر رقم ٩٩).

(٢) سنده ضعيف لإرساله.

(٣) أخرجه الطبري من طريق معمر به، وسنده كسابقه.

تتأخر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل؛ ولهذا قال: ﴿فَأَرْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً؟

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى: ﴿فَأَرْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾: أي شقوق^(١).

وعن السدي: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: من خروق.

وقال ابن عباس في رواية: ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: من وهاء^(٢).

وقال قتادة: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: هل ترى خللاً يا ابن آدم^(٣)؟

وقوله: ﴿ثُمَّ أَوَّجَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ قال قتادة: مرتين.

﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ قال ابن عباس: ذليلاً^(٤).

وقال مجاهد وقتادة: صاغراً^(٥).

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ قال ابن عباس يعني: وهو كليل.

وقال مجاهد وقتادة والسدي: الحسير: المنقطع من الإعياء^(٦).

ومعنى الآية: أنك لو كررت البصر مهما كررت لانقلب إليك؛ أي: لرجع إليك البصر خاسئاً عن أن يرى عيباً أو خللاً، وهو حسير أي: كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار، ولا يرى نقصاً.

ولما نفى عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثواب.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ على جنس المصابيح لا على عينها؛ لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أي: جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا وأعدنا لهم عذاب السعير في الآخرة كما قال تعالى في أول الصافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوكَبِ ۖ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَلْأَلَىٰ أَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ ۞ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۖ ۞ إِلَّا مَنْ خَلَّفَ الْخُفَّةَ ۖ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۖ ۞﴾ [الصافات] قال قتادة: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها الله زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها، فمن تأول

(١) عزاه السيوطي إلى الطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس، ولكن لم أجده في الطبري.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

بلفظ: الوهي. والوهي هو: الشق.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق سعيد بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «مُعْيِي».

فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به.
رواه ابن جرير^(١) وابن أبي حاتم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ①﴾ إِذَا أَلْقَا فِيهَا سَمْعُوا لَهَا شَيْقًا وَهِيَ تَفُورُ ②
تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ③ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا
مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ④ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑤
فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑥﴾.

يقول تعالى ﴿و﴾ اعتدنا للذين ﴿كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: بشس المال والمنقلب. ﴿إِذَا أَلْقَا فِيهَا سَمْعُوا لَهَا شَيْقًا﴾ قال ابن جرير: يعني الصياح.
﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ قال الثوري: تغلي بهم كما يغلي الحَبُّ القليل في الماء الكثير.

وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ③﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ④﴾ يذكر تعالى عدله في خلقه؛ وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: لو كانت لنا عقول نتفجع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما نحن عليه من الكفر بالله والاعتزاز به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم؛ قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑥﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري الطائي قال: أخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال: «لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم»^(٢).

وفي حديث آخر: «لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة»^(٣).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٢٢/٣٠ ح ١٨٢٨٩) وصححه سننه محققوه؛ وأخرجه أبو داود من طريق شعبة به (السنن، الملاحم، باب الأمر والنهي ح ٤٣٤٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٨٢٠/٣؛ وحسنه البغوي (مشكاة المصابيح ١٤٢٤/٣ ح ٥١٤٦)؛ وحسنه السيوطي (الجامع الصغير ٣٠٤/٥ ح ٧٣٩٧).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ؓ مرفوعاً بلفظ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء» (الصحيح، الرقاق، باب صفة الجنة والنار ح ٦٥٦٩).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢) ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥).

يقول تعالى مخبراً عمّن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأن له مغفرة وأجر كبير أن تكفّر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحين «سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فذكر منهم رجلاً دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»^(١).

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا طالوت بن عباد، حدثنا الحارث بن عبيد، عن ثابت، عن أنس قال: قالوا: يا رسول الله إنا نكون عندك على حال فإذا فارقتك كنا على غيره! قال: «كيف أنتم وربكم؟» قالوا: الله ربنا في السر والعلانية. قال: «ليس ذلكم النفاق». قال البزار: لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعلمه^(٢).

ثم قال تعالى منبهاً على أنه مطلع على الضمائر والسرائر: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) أي: بما يخطر في القلوب ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي: ألا يعلم الخالق وقيل: معناه ألا يعلم الله مخلوقه. والأول أولى لقوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك من السبل، وهياً فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار فقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أي: فاسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ فالسعي في السبب لا ينافي التوكل كما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيو، أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول أنه سمع أبا تميم الجشاني يقول أنه سمع عمر بن الخطاب يقول أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»^(٣). رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة. وقال الترمذي: حسن صحيح^(٤).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٧١.

(٢) أخرجه البزار بسنده ومثنته وتعليقه وقال الحافظ ابن حجر: والحارث له مناكير وإن أخرج له في الصحيح (مختصر زوائد مسند البزار ١/٦٦، ٦٧ ح ١٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنته (المسند ١/٣٣٢ ح ٢٠٥) قال محققوه: إسناده قوي.

(٤) سنن الترمذي، الزهد، باب في التوكل على الله (ح ٢٣٤٥)؛ وسنن ابن ماجه، الزهد، باب التوكل واليقين (ح ٤١٦٤)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٣٥٩).

فَأُثْبِتَ لَهَا رَوْحاً وَغَدَوْاً لَطْلَبَ الرِّزْقَ مَعَ تَوَكُّلِهَا عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَهُوَ الْمُسَخَّرُ الْمُسِيرُ الْمُسَبَّبُ ﴿وَالْيَوْمَ الشُّورُ﴾ أَي: الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة: ﴿مَنَّاكِهَا﴾: أَطْرَافُهَا وَفَجَاجِهَا وَنَوَاحِيهَا^(١).

وقال ابن عباس وقتادة أيضاً: ﴿مَنَّاكِهَا﴾: الْجِبَالُ^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَكَّامٍ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ جَبْرِ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَّاكِهَا﴾ فَقَالَ: لَأُمُّ وَلَدٍ لِي: إِنْ عَلِمْتَ مَا مَنَّاكِهَا؟ فَأَنْتَ عَتِيقَةٌ. فَقَالَتْ: هِيَ الْجِبَالُ، فَسَأَلَ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ: هِيَ الْجِبَالُ^(٣).

﴿أَمِنْتُمْ مَنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْفَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

وهذا أيضاً من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم، بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل كما قال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (٢٥) [فاطر].

وقال ههنا: ﴿أَمِنْتُمْ مَنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) أَي: تَذْهَبُ وَتَجِيءُ وَتَنْضَطِرِبُ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أَي: رِيحاً فِيهَا حَصَبَاءُ تَدْمِغُكُمْ كَمَا قَالَ: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ (١٨) [الإسراء] وهكذا توعدهم ههنا بقوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ أَي: كَيْفَ يَكُونُ إِنْذَارِي وَعَاقِبَةُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ وَكَذَّبَ بِهِ.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أَي: مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أَي: فَكَيْفَ كَانَ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ وَمَعَاقِبَتِي لَهُمْ؛ أَي: عَظِيماً شَدِيداً أَلِيماً. ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْفَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ أَي: تَارَةً يَصْفِقْنَ أَجْنَحَتَهُنَّ فِي الْهَوَاءِ وَتَارَةً تَجْمَعُ جَنَاحاً وَتَنْشُرُ جَنَاحاً ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ أَي: فِي الْجَوِّ ﴿إِلَّا الرِّحْمَنُ﴾ أَي: بِمَا سَخَّرَ لَهُنَّ مِنَ الْهَوَاءِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ أَي: بِمَا يَصْلُحُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩) [النحل].

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس؛ ويتقوى بما أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) سنده ضعيف لضعف عمرو بن حكام (لسان الميزان ٣٦٠/٤). والتفسير يتقوى بسابقه.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصُرُّكَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (٢٠) ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (٢١) ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢) ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣) ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥) ﴿قُلْ إِنَّمَا الْغَلْطُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢٦) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وَجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ (٢٧).

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصراً ورزقاً منكراً عليهم فيما اعتقدوه ومخبراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه فقال: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصُرُّكَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: ليس من دونه من ولي ولا وافي ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾.

ثم قال: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ أي: من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده؟ أي: لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله ﷻ وحده لا شريك له؛ أي: وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال: ﴿بَلْ لَجُوا﴾ أي: استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم ﴿فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ أي: في معاندة واستكبار ونفور على أدبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه.

ثم قال: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢) وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكباً على وجهه؛ أي: يمشي منحنيلاً لا مستوياً على وجهه؛ أي: لا يدري أين يسلك؟ ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضالّ أهذا أهدى ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ أي: منتصب القامة ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سويّاً على صراط مستقيم مفض به إلى الجنة الفياض، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٣) ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (٢٤) ﴿وَقَفُّوا لَهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٥) ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ﴾ (٢٦) ﴿بَلْ هُمْ آتِيَمٌ مُتَسَلِّمُونَ﴾ (٢٧) [الصفات].

قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا ابن نمير، حدثنا إسماعيل، عن نفيح قال: سمعت أنس ابن مالك يقول: قيل: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟ فقال: «أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»^(١)؟ وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق [يونس بن محمد، عن شيبان، عن قتادة، عن أنس به نحوه]^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٠/١٣١ ح ١٢٧٠٨) وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف جداً! ولو قالوا: مثله صحيح، أو له شواهد لكان أحسن.

(٢) في الأصول الخطية بياض واستدرك من الصحيحين فقد أخرجه الشيخان من طريق يونس بن محمد به. (صحيح البخاري، التفسير، سورة الفرقان باب ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ...﴾ [الفرقان: ٢٤ ح ٤٧٦٠])؛ وصحيح مسلم، صفات المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه ح ٢٨٠٦.

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ أي: ابتداء خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أي: العقول والإدراك ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتنال أوامره وترك زواجه.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بثكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم وحلاكم وأشكالكم وصوركم ﴿وَالْيَايُوهُ يُخْشَرُونَ﴾ أي: تجمعون بعد هذا التفرق والشتات، يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم.

ثم قال مخبراً عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٥) أي: متى يقع هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله ﷻ، لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه ﴿وَلِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أي: وإنما علي البلاغ وقد أدبته إليكم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا أن الأمر كان قريباً لأن كل ما هو آت آت وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك لما يعلمون ما لهم هناك من الشر أي: فأحاط بهم ذلك وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (١٦) وبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٧﴾ [الزمر] ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ أي: تستعجلون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي أَلَهُكُمْ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١٨) ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١٩) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوَا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَلَوٍ مَعِينٍ﴾ (٢٠).

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: خلصوا أنفسكم، فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، فسواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم.

ثم قال: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم، وعليه توكلتنا في جميع أمورنا كما قال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] ولهذا قال: ﴿فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: منا ومنكم ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة؟

ثم قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوَا﴾ أي: ذاهباً في الأرض إلى أسفل فلا يُنال بالفؤوس الجِداد ولا السواعد الشداد. والغائر: عكس النابع ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَلَوٍ مَعِينٍ﴾ أي: نابع سائح جار على وجه الأرض؛ أي: لا يقدر على ذلك إلا الله ﷻ، فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة. فله الحمد والمنة. آخر تفسير سورة الملك.

سُورَةُ الْقَلَمِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِغَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة وأن قوله تعالى: ﴿ت﴾ كقوله: ﴿ص﴾ ﴿ق﴾ ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور، وتحريير القول في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقيل: المراد بقوله: ﴿ت﴾ حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا يحيى، حدثنا سفيان هو: الثوري، حدثنا سليمان هو: الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم قال: اكتب. قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب القدر، فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة، ثم خلق النون ورفع بخار الماء، ففتقت منه السماء، وبسطت الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإنها لتفخر على الأرض^(١). وكذا رواه ابن أبي حاتم، عن أحمد بن سنان، عن أبي معاوية، عن الأعمش به^(٢). وهكذا رواه شعبة ومحمد بن فضيل ووکیع، عن الأعمش به. وزاد شعبة في روايته ثم قرأ: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٣) وقد رواه شريك، عن الأعمش، عن أبي ظبيان أو مجاهد، عن ابن عباس فذكر نحوه^(٤). ورواه معمر، عن الأعمش أن ابن عباس قال: فذكره ثم قرأ: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٥) ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن عطاء، عن أبي الضحى، عن ابن عباس قال: إن أول شيء خلق ربي ﷻ القلم، ثم قال له: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى أن

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثله؛ وأخرجه الحاكم من طريق جرير عن الأعمش به؛ وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٩٨/٢). وفيه غرائب وخصوصاً في آخره، ولعله من أخبار أهل الكتاب المسكوت عنها.

(٢) سنده ومثله كسابقه.

(٣) أخرجه الطبري من هذه الطرق وبهذه الزيادة عن شعبة.

(٤) أخرجه الطبري وسنده ومثله كسابقه.

(٥) أخرجه الطبري من طريق ابن ثور عن معمر به، وسنده ضعيف لأن الأعمش لم يسمع من ابن عباس.

تقوم الساعة، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الأرض عليه^(١).

وقد روى الطبراني ذلك مرفوعاً فقال: حدثنا أبو حبيب [زيد بن]^(٢) المهدي المروزي، حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى مسلم بن ضبيح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم والحوث. قال للقلم: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة ثم قرأ ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾» فالنون الحوث، والقلم القلم^(٣).

حديث آخر في ذلك رواه ابن عساكر، عن أبي عبد الله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون وهي: الدواة ثم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون أو ما هو كائن من عمل أو رزق أو أثر أو أجل، فكتب ذلك إلى يوم القيامة فذلك قوله: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾» ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل، وقال: وعزتي لأكملنك [فيمن أحبت، ولأنقصنك ممن أبغضت]^(٤).

وقال ابن أبي نجيج: إن إبراهيم بن أبي بكر أخبره عن مجاهد قال: كان يقال: النون الحوث العظيم الذي تحت الأرض السابعة^(٥).

وقد ذكر البغوي رحمه الله وجماعة من المفسرين أن على ظهر هذا الحوث صخرة سمكها كغلظ السماوات والأرض وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن، وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن^(٦). والله أعلم.

ومن العجيب أن بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا حميد، عن أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه فسأله عن أشياء قال: إني سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، قال: ما أول أسرار الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه؟ وما بال الولد ينزع إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفاً، قال ابن سلام: فذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: أما أول أسرار الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوث، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع^(٧).

(١) أخرجه الطبري بسند ومثته؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس من طريق ورقاء عن عطاء بن السائب به؛ وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد من طريق جرير به (السنة رقم ٨٧١). وسنده حسن، ويتقوى بسابقه.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٤٣٣/١١ ح ١٢٢٢٧) في سنده مؤمل وعطاء وكلاهما فيهما مقال. قال الهيثمي: ومؤمل كثير الخطأ. (مجمع الزوائد ١٣١/٧).

(٤) في الأصل بياض والزيادة من رواية ابن عساكر (تاريخ دمشق ١٧/٤٩٢) وهو حديث ضعيف قال ابن القيم: أحاديث العقل كلها كذب. (المنار المنيف ٩٦).

(٥) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجيج به، وسنده ضعيف لإرساله، وهو من الإسرائيلية.

(٦) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٣٧٤/٤) والخبر من الإسرائيلية الغريبة.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٨٩/٣) وسنده صحيح.

ورواه البخاري من طرق عن حميد^(١). ورواه مسلم أيضاً وله من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ نحو هذا، وفي صحيح مسلم من حديث أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان أن حبراً سأل رسول الله ﷺ عن مسائل، فكان منها أن قال: فما تحفتهم؟ - يعني أهل الجنة حين يدخلون الجنة - قال: زيادة كبد الحوت. قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها. قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها تسمى سلسيلاً^(٢). وقيل: المراد بقوله: ﴿ت﴾ لوح من نور.

قال ابن جرير: حدثنا الحسن بن شبيب المكتب، حدثنا محمد بن زياد الجزري، عن فرات بن أبي الفرات، عن معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ت﴾ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة^(٣). وهذا مرسل غريب. وقال ابن جريج: أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مئة عام^(٤).

وقيل: المراد بقوله: ﴿ت﴾ دواة ﴿وَالْقَلَمِ﴾ القلم.

قال ابن جرير: حدثنا عبد الأعلى، حدثنا أبو ثور، عن معمر، عن الحسن وقتادة في قوله: ﴿ت﴾ قالوا: هي الدواة^(٥).

وقد روي في هذا حديث مرفوع غريب جداً فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الحسن بن يحيى، حدثنا أبو عبد الله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله النون وهي: الدواة»^(٦).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب، حدثنا أخي عيسى بن عبد الله، حدثنا ثابت الثمالي، عن ابن عباس قال: إن الله خلق النون، وهي الدواة، وخلق القلم فقال: اكتب. قال: وما اكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول به بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام، ثم الزم كل شيء من ذلك من شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم؟ وخروجه منها كيف؟ ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزاناً، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل أتت الحفظة الخزانة يطلبون عمل ذلك اليوم، فتقول لهم الخزانة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيء. فترجع الحفظة فيجدونها قد ماتوا^(٧) قال: فقال ابن عباس أستم قوماً عرباً تسمعون الحفظة يقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]؟ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل؟

(١) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (ح ٣٣٢٩).

(٢) أخرجه مسلم من طريق أبي سلام عن أبي أسماء الرحبي به مطولاً. (الصحيح، الحيض، باب بيان صفة مني الرجل. ح ٣١٥).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وضعف الحافظ ابن كثير لإرساله.

(٤) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يصرح بسنده.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٦) استغربه الحافظ ابن كثير جداً، وذكره بصيغة التمريض لضعفه.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف ثابت الثمالي. (التقريب ص ١٣٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالْقَلَمِ﴾ الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (١) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) [العلق] فهو قسم منه تعالى، وتنبيهه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ولهذا قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني: وما يكتبون^(١).

وقال أبو الضحى، عن ابن عباس ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: وما يعملون.

وقال السدي: ﴿يَسْطُرُونَ﴾ يعني: الملائكة وما تكتب من أعمال العباد^(٢).

وقال آخرون: بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف عام.

وأوردوا في ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن يحيى بن سعيد القطان ويونس بن حبيب قالا: حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا عبد الواحد بن سليم السلمي، عن عطاء هو: ابن أبي رباح، حدثني الوليد بن عباد بن الصامت قال: دعاني أبي حين حضره الموت فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب القدر وما هو كائن إلى الأبد»^(٣). وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد من طرق عن الوليد بن عباد، عن أبيه به^(٤). وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به وقال: حسن صحيح غريب، ورواه أبو داود في كتاب السنة من سننه عن جعفر بن مسافر، عن يحيى بن حسان، عن أبي رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة واسمه حُنيش بن شريح الحبشي الشامي، عن عبادة فذكره^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي، حدثنا علي بن الحسين بن شقيق، أنبأنا عبد الله بن المبارك، حدثنا رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بزة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: إن أول شيء خلقه الله القلم، فأمره فكتب كل شيء^(٦). غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَالْقَلَمِ﴾ يعني: الذي كتب به الذكر^(٧).

(١) أخرجه الحاكم من طريق أبي ظبيان عن ابن عباس؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٩٩)؛ وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطيالسي عن عبد الواحد بن سليم به (المسند ص ٧٩ رقم ٥٧٧)؛ وأخرجه الإمام أحمد والترمذي من طرق أخرى ترقى إلى تحسين الإسناد كما سيأتي.

(٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق أيوب بن زياد عن عبادة بن الوليد بن عباد به (المسند ٣٧/٣٨٠، ٣٨١ ح ٢٢٧٠٦) وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٥) سنن الترمذي، القدر، باب رقم (١٧) (ح ١٥٥)؛ وسنن أبي داود، السنة، باب في القدر (ح ٤٧٠٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٩٣٣)؛ وصححه الحافظ ابن حجر (ينظر كشف الخفاء ١/٢٦٣).

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وشيخ الطبري لم أجد له ترجمة لكن يشهد له سابقه.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: يكتبون كما تقدم.

وقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: ولست والله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك المكذبون بما جنتهم به من الهدى والحق المبين فنسبك فيه إلى الجنون ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: بل إن لك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على أذاهم.

ومعنى ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع كقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾ [هود: ١٠٨] ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦] أي: غير مقطوع عنهم.

وقال مجاهد: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير محسوب^(١)، وهو يرجع إلى ما قلناه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال العوفي عن ابن عباس: «وإنك لعلی دين عظيم» وهو الإسلام وكذلك قال مجاهد وأبو مالك السدي والربيع بن أنس وكذا قال الضحاك وابن زيد^(٢).

وقال عطية: لعلی أدب عظيم^(٣).

وقال معمر، عن قتادة: سُئِلَتْ عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن، يقول سعيد: تقول كما هو: في القرآن^(٤).

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ذكر لنا أن سعد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قال: بلى. قالت: فَإِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ^(٥).

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فقالت: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فقالت: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ^(٦). هذا مختصر من حديث طويل وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتي في سورة المزمل^(٧) إن شاء الله تعالى، وبه الثقة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا يونس، عن الحسن قال: سُئِلَتْ عَائِشَةُ عَنْ خُلُقِ

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «دين عظيم»، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن ابن عباس بلفظ: «الدين».

(٣) أخرجه ابن المبارك (الزهد رقم ٦٧٨)؛ والطبري بسند حسن من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية.

(٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق معمر به، وسنده منقطع لأن قتادة لم يسمع من عائشة؛ وأخرجه الحاكم متصلاً من طريق قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام بن عامر عن عائشة؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٩٩/٢).

(٥) أخرجه الطبري من طريق سعيد به، وفيه انقطاع وقد تقدم موصولاً.

(٦) تقدم تخريجه في رواية الحاكم قبل الرواية السابقة.

(٧) سيأتي في تفسير سورة المزمل آية ١ - ٩.

رسول الله ﷺ. فقالت: كان خلقه القرآن^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود، حدثنا شريك، عن قيس بن وهب، عن رجل من بني سواد قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ. فقالت: أما تقرأ القرآن ﴿وَلَنْكَ لَعَلِّي خُلِّي عَظِيمٌ﴾؟ قال: قلت: حدثني عن ذلك. قالت: صنعت له طعاماً، وصنعت له حفصة طعاماً، فقلت لجاريتي: اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعتة قبل فاطمحي الطعام، قالت: فجاءت بالطعام قالت: فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت، وكان نطعُ قالت: فجمعه رسول الله ﷺ وقال: اقتصوا أو اقتصي - شك أسود - ظرفاً مكان ظرفك، قالت: فما قال شيئاً^(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا عبيد بن آدم بن أبي أياس، حدثنا أبي، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن سعد بن هشام قال: أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت لها: أخبريني بخلق النبي ﷺ. فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ ﴿وَلَنْكَ لَعَلِّي خُلِّي عَظِيمٌ﴾؟ وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه^(٣).

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، أخبرني معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفير قال: حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها، فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ. فقالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن^(٤). وهكذا رواه أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي، ورواه النسائي في التفسير عن إسحاق بن منصور، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح به^(٥).

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعّله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف. قط، ولا قال: لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته^(٦)؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شمتت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ.

وقال البخاري: حدثنا [أحمد بن سعيد أبو عبد الله]^(٧) حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٣/١٥ ح ٢٥٨١٣). وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد فيه انقطاع، الحسن وهو البصري إنما سمعه من سعد بن هشام عن عائشة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤١/٣٠٨ ح ٢٤٨٠٠) وضعف سنده محققوه لإبهام الراوي عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وتقدم تخريج الحاكم وتصحيحه قبل خمس روايات.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح.

(٥) (المسند ٤٢/٣٥٣ ح ٢٥٥٤٧) وصححه محققوه؛ وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، التفسير، (ح ١١١٣٨).

(٦) أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه بنحوه (الصحيح، الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ح ٢٣٠٩).

(٧) زيادة من صحيح البخاري.

إبراهيم بن يونس، عن أبيه، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خلقاً، ليس بالطويل ولا بالقصير^(١).

والأحاديث في هذا كثيرة ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب «الشماثل» وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط، ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا خَيْرَ بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا إذا انتهكت حرمت الله فيكون هو ينتقم لله ﷻ^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»^(٣). تفرد به.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْهُ وَبُحِّرْهُ وَيُبْرِئْهُ﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿١﴾ أي: فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم وهذه كقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْآيِثُرُ﴾ [القمر] وكقوله: ﴿وَلِئَا أَوْ لِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] قال ابن جريج: قال ابن عباس في هذه الآية: ستعلم ويعلمون يوم القيامة^(٤).

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ ﴿١﴾ أي: الجنون^(٥). وكذا قال مجاهد وغيره^(٦).

وقال قتادة وغيره: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ ﴿١﴾ أي: أولى بالشیطان^(٧).

ومعنى المفتون ظاهر؛ أي: الذين قد أفتتن عن الحق وضلّ عنه، وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿بِأَيِّكُمْ﴾ لتدل على تضمين الفعل في قوله: ﴿فَسَبِّحْهُ وَبُحِّرْهُ وَيُبْرِئْهُ﴾ ﴿٥﴾ وتقديره: فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٧﴾ أي: هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ويعلم الحزب الضال عن الحق.

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، المناقب، باب صفة النبي ﷺ ح ٣٥٤٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٣/ ١٠٩ ح ٢٥٩٥٦) وصححه سنده محققوه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٤/ ٥١٢ ح ٨٩٥٢) وصححه محققوه وقالوا: وهذا إسناد قوي.

(٤) سنده منقطع لأن ابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ليث عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند ضعيف من طريق خُصيف عن مجاهد، وفي السند ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٧) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «الشیطان».

﴿فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٨) وَدُّوْا لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ (٩) وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّسْلَمٍ يَنْبِئُ (١١) مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِفُهُ عَلَى غُرُطٍ (١٦) .

يقول تعالى: كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم ﴿فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٨) وَدُّوْا لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ (٩) قال ابن عباس: لو ترخص لهم فيرخصون^(١). وقال مجاهد: ﴿وَدُّوْا لَوْ تَذَهْنُ﴾ تركز إلى آلهتهم، وترك ما أنت عليه من الحق^(٢). ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ (١٠) وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجتريء بها على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت في غير محلها. قال ابن عباس: المهين: الكاذب^(٣). وقال مجاهد: هو الضعيف القلب^(٤). وقال الحسن: ﴿كُلَّ حَلَّافٍ﴾ مكابر مهين ضعيف^(٥). وقوله: ﴿هَمَّازٍ﴾ قال ابن عباس وقتادة: يعني: الاغتيال^(٦). ﴿مَّسْلَمٍ يَنْبِئُ﴾ يعني: الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي: الحالقة.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث مجاهد، عن طاوس، عن ابن عباس قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة». الحديث. وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم من طرق عن مجاهد به^(٧). وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن همام، أن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات»^(٨). رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن إبراهيم به^(٩).

وحدثنا عبد الرزاق، حدثنا الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام، عن حذيفة قال:

- (١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
- (٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «المهين»: الكذاب.
- (٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
- (٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن بلفظ: «كل مكثار في الحلف، مهين ضعيف».
- (٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بمعناه.
- (٧) صحيح البخاري، الوضوء، باب ما جاء في غسل البول (ح ٢١٨)؛ وصحيح مسلم، الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول (ح ٢٩٢).
- (٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٨٢/٥) وسنده صحيح.
- (٩) صحيح البخاري، الأدب، باب ما يكره من النميمة (ح ٦٠٦٥)؛ وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان غلط تحريم النميمة (ح ١٦٨).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات»؛ يعني: نَمَاماً^(١).

وحدثنا يحيى بن سعيد القطان - أبو سعيد الأحوال -، عن الأعمش، حدثني إبراهيم منذ نحو ستين سنة، عن همام بن الحارث قال: مرَّ رجل على حذيفة فقيل: إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول أو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات»^(٢).

وقال أحمد: حدثنا هشام، حدثنا مهدي، عن واصل الأحذب، عن أبي وائل قال: بلغ حذيفة رجل أنه ينم الحديث فقال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة نَمَامٌ»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن ابن خُثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد بن السكن، أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الذين إذا رؤوا ذُكر الله ﷻ، ثم قال: ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العنت»^(٤).

ورواه ابن ماجه، عن سويد بن سعيد، عن يحيى بن سليم، عن ابن خُثيم به^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي ﷺ: «خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذُكر الله، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العنت»^(٦).

وقوله: ﴿مَنْعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾^(٧) أي: يمنع ما عليه وما لديه من الخير، ﴿مُعْتَدٍ﴾ في تناول ما أحلَّ الله له؛ يتجاوز فيها الحد المشروع ﴿أَثِيمٍ﴾ أي: يتناول المحرمات.

وقوله: ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾^(٨) أما العتل فهو: اللفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمن، عن سفيان، عن معبد بن خالد، عن حارثة بن وهب قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره. ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل عتل جواز متكبر».

وقال وكيع: كل جواز جعظري مستكبر^(٩). أخرجاه في الصحيحين وبقيّة الجماعة إلا أبا داود من حديث سفيان الثوري وشعبة كلاهما عن معبد بن خالد به^(٨).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا موسى بن علي، قال: سمعت أبي

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٨٩/٥) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٨٩/٥) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٩١/٥) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٥٧٧/٤٥ ح ٢٧٦٠١) وقال محققوه: حسن بشواهد.

(٥) سنن ابن ماجه، الزهد، باب من لا يؤبه له (ح ٤١١٩)؛ وحسنه البوصيري (مصباح الزجاجة ٢٧٣/٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٥٢١/٢٩ ح ١٧٩٩٨) وقال محققوه: حسن بشواهد.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٠٦/٤) وسنده صحيح.

(٨) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾^(٩) [القلم] (ح ٤٩١٨)؛ وصحيح مسلم، الجنة، باب النار يدخلها الجبارون (ح ٢٨٥٣).

يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ قال: عند ذكر أهل النار: «كل جعظري جواظ مستكبر، جماع مناع»^(١). تفرد به أحمد. قال أهل اللغة: الجعظري: الفظ الغليظ، والجواظ: الجموع المتنوع.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا عبد الحميد، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم قال: سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم. فقال: «هو الشديد الخلق المصحح، الأكل الشروب، الواجد الطعام والشراب، الظلوم للناس، رحيب الجوف»^(٢).

وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري والعتل الزنيم»^(٣). وقد أرسله أيضاً غير واحد من التابعين.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «تبكي السماء على عبد أصبح الله جسمه، وأرحب جوفه، وأعطاه من الدنيا مقصماً، فكان للناس ظلوماً قال: فذلك العتل الزنيم»^(٤). وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين. ونصّ عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم أن العتل هو: المصحح الخلق، الشديد القوي في المأكل والمشرب، والمنكح وغير ذلك^(٥).

وأما الزنيم فقال البخاري: حدثنا محمود، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن أبي حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس: «عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴿١٢﴾» قال: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة^(٦) الشاة^(٧)؛ ومعنى هذا: أنه كان مشهوراً بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها، وإنما الزنيم في لغة العرب هو الدّعي في القوم قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة قال: ومنه قول حسان بن ثابت؛ يعني: يذم بعض كفار قريش:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القَدَح الفرد^(٨)

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١١/١٤٥ ح ٦٥٨٠)؛ وصححه سننه محققوه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٩/٥١٦ ح ١٧٩٩١)؛ وضعف سننه محققوه لضعف شهر بن حوشب.

(٣) المصدر السابق، وحكمه كسابقه. ويشهد له ما رواه أبو داود من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه (السنن، الأدب، باب في حسن الخلق، ح ٤٨٠١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠١٦).

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإرساله.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن بلفظ: «هو الفاحش اللئيم الضريبة»؛ أي: السجية. وهكذا أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق منصور عن أبي رزين بلفظ: «الشديد»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: شديد الأشر، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند جيد من طريق أبي الزبير عن عبيد بن عمير بلفظ: «الأكل الشروب القوي الشديد».

(٦) الزنمة: شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً. (لسان العرب ز ن م).

(٧) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب «عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴿١٢﴾» [القلم] ح ٤٩١٧).

(٨) استشهد به الطبري، وهو في ديوان حسان رضي الله عنه ص ١١٨.

وقال آخر:

زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَن أَبُوهُ بَغْيِي الْأُمُّ ذُو حَسْبٍ لِّئِيمٍ^(١)
 وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمار بن خالد الواسطي، حدثنا أسباط، عن هشام، عن عكرمة،
 عن ابن عباس في قوله: ﴿زَنِيمٌ﴾ قال: الدعي الفاحش اللئيم^(٢). ثم قال ابن عباس:
 زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كما زيد في عَرْضِ الْأَدِيمِ^(٣) الْأَكَارِعِ^(٤)^(٥)
 وقال العوفي، عن ابن عباس: الزنيم: الدعي ويقال: الزنيم: رجل كانت به زمة يعرف بها،
 ويقال هو: الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة، وزعم أناس من بني زهرة أن الزنيم:
 الأسود بن عبد يغوث الزهري وليس به^(٦).

وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه زعم أن الزنيم الملحق النسب^(٧).
 وقال ابن أبي حاتم: حدثني يونس، حدثنا ابن وهب، حدثني سليمان بن بلال، عن
 عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في هذه الآية ﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾
 قال سعيد: هو الملقق بالقوم ليس منهم^(٨).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عقبة بن خالد، عن عامر بن قدامة قال:
 سئل عكرمة، عن الزنيم قال: هو ولد الزنا^(٩).

وقال الحكم بن أبان، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ قال: يعرف
 المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء والزنماء من الشياه التي في عنقها هتان معلقتان في حلقها.

وقال الثوري، عن جابر، عن الحسن، عن سعيد بن جبير قال: الزنيم الذي يعرف بالشر كما
 تعرف الشاة بزمنتها^(١٠)، والزنيم الملقق. رواه ابن جرير^(١١).

وروي أيضاً من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال في الزنيم: نعت
 فلم يعرف حتى قيل: زنيم قال: وكانت له زمة في عنقه يعرف بها^(١٢).

(١) استشهد به الطبري دون أن ينسبه إلى أحد.

(٢) سنده حسن، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق هشام عن عكرمة بلفظ: «الدعي».

(٣) أي: الجلد.

(٤) الأكارع: جمع كراع وهو في الدواب ما دون الكعب (لسان العرب ك ر ع)، والبيت عزاه ابن منظور إلى
 الخطيم التميمي وهو شاعر جاهلي.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق أبي عبد الرحمن عن ابن عباس. (المصنف ٦/١٨٢)، وأبو عبد الرحمن لم
 أعرف من هو؛ وورد في المصنف عن شيخ يكنى أبا عبد الرحمن.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح به.

(٨) أخرجه الطبري عن يونس به، وسنده حسن. (٩) سنده حسن.

(١٠) أخرجه الحاكم من طريق أبي إسحاق، وهو السبيعي، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ وصححه ووافقه
 الذهبي (المستدرک ٢/٤٩٩).

(١١) تقدم عن سعيد بن المسيب.

(١٢) أخرجه الطبري من طريق داود بن أبي هند به، وسنده حسن.

وقال آخرون: كان دعياً^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن أصحاب التفسير قالوا: هو الذي تكون له زنة الشاة^(٢).

وقال الضحاك: كانت له زنة في أصل أذنه^(٣).

ويقال: هو اللثيم الملتصق في النسب^(٤).

وقال أبو إسحاق: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: هو المريب الذي يعرف بالشر^(٥).

وقال مجاهد: الزنيم يُعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة^(٦).

وقال أبو رزين: الزنيم علامة الكفر^(٧).

وقال عكرمة: الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزنتها^(٨). والأقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر الذي يعرف به من بين الناس، وغالباً ما يكون دعياً ولد زناً فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره كما جاء في الحديث: «لا يدخل الجنة ولد زناً»^(٩). وفي الحديث الآخر: «ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه»^(١٠).

وقوله: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ (٥) إِذَا تَوَلَّى عَلَيْهِ مَا بَيْنَنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله ﷻ وأعرض عنها، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين كقوله: ﴿ذَرَى وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِداً﴾ (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُوداً ﴿١٣﴾ وَمَهْدَتْ لَهُ تَهِيْدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَأَرَفْتُمُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ [المدثر] قال الله تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَرًّا﴾ (٢٦) [المدثر] وقال تعالى ههنا: ﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْقَرْطُومِ﴾ (٢٧).

قال ابن جرير: سنبيين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمة على الخراطيم^(١١)، وهكذا قال قتادة: ﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْقَرْطُومِ﴾ (٢٦) شين لا يفارقه

(١) تقدم تخريجه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي إسحاق به.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق منصور عن أبي رزين.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق خُصيف عن عكرمة.

(٧) أخرجه الإمام أحمد من طريق سالم بن أبي الجعد عن جابان عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً (المسند ٢/

٢٠٣)؛ وسنده ضعيف لجهالة جابان قال الذهبي: لا يُدرى من هو (ميزان الاعتدال ١/ ٣٧٧)؛ وذكره ابن

الجوزي في الموضوعات (١١١/٣).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة ؓ (المسند ٤١/ ٢٩٧ ح ٢٤٧٨٤) وقال محققوه: إسناده ضعيف جداً.

(١١) ذكره الطبري بنحوه.

آخر ما عليه^(١).

وفي رواية عنه: ﴿سَنَسِمُهُ﴾ سيما على أنفه^(٢)، وكذا قال السدي.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾^(٣) يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال.

وقال آخرون: سنسمه سمة أهل النار؛ يعني: نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم وحكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير^(٣)، ومال إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة^(٤)، وهو متجه.

وقد قال ابن أبي حاتم في سورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبا]: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثني الليث، حدثني خالد بن سعيد، عن عبد الملك بن عبد الله، عن عيسى بن هلال الصديقي، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن العبد يكتب مؤمناً أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عليه ساخط، وإن العبد يكتب كافراً أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عليه راضٍ، ومن مات همّازاً لمّازاً ملقباً للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين»^(٥).

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا لِيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿٩﴾ فَأَصْبَحَتِ كَالْعَصِيرِ ﴿١٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿١١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾ فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿١٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلْنَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مَّسْكِينٌ ﴿١٤﴾ وَعَدُوا عَلَى حَرِّ قَدِيرٍ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا يَبْرَأْنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٢١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَن يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٢٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو: بعثة محمد ﷺ إليهم، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ أي: اختبارناهم ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ وهي: البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ﴿إِذْ أَقْبَمُوا لِيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي: حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلاً لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾ أي: فيما حلفوا به، ولهذا حثهم الله في أيمانهم فقال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ﴾ أي: أصابتها آفة سماوية فأصبحت كالصريم قال ابن عباس أي: كالليل الأسود^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) هذا لفظ الطبري؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح بلفظ: «سنسم على أنفه».

(٣) ذكره الطبري بنحوه ونسبه بقوله: وقال بعضهم. (٤) لم أجد هذا عن الطبري.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط من طريق الليث به، ثم قال: لا يروى عن عبد الله بن عمرو إلا بهذا الإسناد، تفرد به الليث. (ينظر مجمع البحرين ج ٣٢٣٤).

(٦) أخرجه الطبري بسند فيه رجل مجهول.

وقال الثوري والسدي: مثل الزرع إذا حصد؛ أي: هشيماً ييساً.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن أحمد بن الصباح، أنبأنا بشر بن زاذان، عن عمر بن صبيح، عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والمعاصي إن العبد ليزنّب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هُيء له ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿٢٠﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢١﴾﴾ قد حُرِّمُوا خير جنتهم بذنوبهم»^(١).

﴿فَنَادَوْا مُصِيبِينَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجذاذ؛ أي: القطع ﴿أَنِ اعْبُدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: تريدون الصرام.

قال مجاهد: كان حرثهم^(٢) عنباً ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحداً كلامهم ثم فسر الله ﷻ عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى: ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٥﴾﴾ أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكينٌ ﴿٢٦﴾﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: لا تمكنا اليوم فقيراً يدخلها عليكم.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْثٍ﴾ أي: قوة وشدة.

وقال مجاهد: ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْثٍ﴾ أي: جد^(٣).

وقال عكرمة: على غيظ^(٤).

وقال الشعبي: ﴿عَلَىٰ حَرْثٍ﴾ على المساكين^(٥).

وقال السدي: ﴿عَلَىٰ حَرْثٍ﴾ أي: كان اسم قريتهم حرد، فأبعد السدي في قوله هذا. ﴿قَدِيرِينَ﴾ أي: عليها فيما يزعمون ويرومون فلما رأوها قالوا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ أي: فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهي على الحالة التي قال الله ﷻ قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مُدْلَهَمَةً لا ينتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ أي: قد سلكنا إليها غير الطريق فتحنا عنها. قاله ابن عباس وغيره^(٦)، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هي فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ خَرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: بل هي هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة: أي أعدلهم وخيرهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ﴾^(٧).

(١) سنده ضعيف جداً لأن ابن أبي حاتم لم يذكر اسم شيخه، وكذلك في سنده عمر بن صبيح متروك كذبه إسحاق بن راهويه. (التقريب ص ٤١٤).

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه جهالة الراوي عن مجاهد، ومعناه صحيح؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن البصري.

(٤) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر. (٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق سعيد بن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

قال مجاهد والسدي وابن جريج: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: لولا تستثنون^(١).

قال السدي: وكان استثناءهم في ذلك الزمان: تسبيحاً.

وقال ابن جرير: هو قول القائل: إن شاء الله^(٢)، وقيل: معناه ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: فهلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ أي: يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من نفع المساكين من حق الجذاذ، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب. ﴿قَالُوا يَوْرَثَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٤١﴾ أي: اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا ﴿عَسَى رَبِّنَا أَنْ يَمِيلَنَا خَيْرًا مِمَّا نَحْتَمِلُ إِنَّا إِلَيْكَ رَبَّنَا رَاغِبُونَ﴾ قيل: رغبوا في بذلها لهم في الدنيا وقيل: احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة، والله أعلم.

ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن؛ قال سعيد بن جبير: كانوا من قرية يقال لها: «ضروان» على ستة أميال من صنعاء، وقيل: كانوا من أهل الحبشة، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة، وكانوا من أهل الكتاب وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة، فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا: لقد كان أبونا أحق إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا، فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَلْقَيْنَا﴾ أي: هكذا عذاب من خالف أمر الله، وبخل بما أناءه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفراً ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا آخِرَهُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق.

وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل^(٣).

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٢٥﴾ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بَلِغَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٢٩﴾ سَلَّمْتُمْ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ رَعِيمٌ ﴿٣٠﴾ أَمْ لَمْ شُرَكَّاؤُا فَيَئْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣١﴾

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله ﷻ وخالفوا أمره بيّن أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها.

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو حميد الرازي وهو ضعيف.

(٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) أخرجه البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن محمد به (السنن الكبرى ١٣٣/٤)، وسنده ضعيف لإرساله.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَنَجْجِلُ الْمُتْلِينَ كُلَّيَمِينٍ﴾ (٣٥) أي: أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ورب الأرض والسماء ولهذا قال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٦) أي: كيف [تظنون] (١) ذلك؟ ثم قال: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) يقول: أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسون به وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكماً مؤكداً كما تدعونه ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْتَانِ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْآخِرَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) أي: أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ أي: أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ (٤٠) أي: قل لهم من هو المتضمن المتكفل بهذا؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ أي: من الأصنام والأنداد ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤١) خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ رَمَقَهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٢) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٣) وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٤) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَبٍ مُثْقَلُونَ (٤٥) أَمْ عَنْدهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٦) .

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم بين متى ذلك كائن وواقع فقال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤١) يعني: يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام.

وقد قال البخاري ههنا: حدثنا آدم، حدثنا الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً» (٢). وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق، وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور.

وقد قال عبد الله بن المبارك، عن أسامة بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة. رواه ابن جرير (٣).

ثم قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم، عن ابن مسعود أو ابن عباس - الشك من ابن جرير - ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: عن أمر عظيم كقول الشاعر:

وقامت الحرب عن ساق (٤)

وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: شدة الأمر (٥).

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] ح ٤٩١٩).

(٣) أخرجه عبد الله بن المبارك (الزهد رقم ٣٦١ من زوائد نعيم)؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٩٩/٢، ٥٠٠).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس من غير شك وبمته، وسنده ضعيف لضعف شيخ الطبري، وإبراهيم لم يسمع من ابن عباس. ويتقوى بساقه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح به.

وقوله: ﴿أَمْ تَسْتَأْذِنُ أَجْرًا فَمَنْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّقْتَلُونَ﴾ (٤٨) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾ تقدم تفسيرهما في سورة الطور^(١)، والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله ﷻ بلا أجر تأخذهم منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جئتهم به بمجرد الجهل والكفر والعناد.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُتُوِّ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٤٨) ﴿وَلَا أَن تَدْرِكُمُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَنُبْذِلَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (٤٩) ﴿فَاجْتَنِبْ رَبُّهُمُ فَجَعَلَهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٥٠) ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْذُومُونَ﴾ (٥١) ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٥٢).

يقول تعالى: فاصبر يا محمد على قومك وتكذيبهم لك، فإن الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُتُوِّ﴾ يعني: ذا النون وهو: يونس بن متى ﷺ حين ذهب مغاضباً على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشروء الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير، فحينئذ نادى في الظلمات ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُمُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (٤٢) ﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٤٣) [الصافات]. وقال ههنا: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والسدي: وهو مغموم^(٢).

وقال عطاء الخراساني وأبو مالك: مكروب.

وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال: ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ خرجت الكلمة تحفُّ حول العرش فقالت الملائكة: يا ربُّ هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة. فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا يونس. قالوا: يا ربُّ عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة. قال: نعم. قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمل في الرخاء، فتنجيه من البلاء؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء^(٣) ولهذا قال تعالى فاجتبه ربه فجعله من الصالحين.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»^(٤). ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري^(٥). وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة^(٦).

(١) الآية ٤٠ و ٤١.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنبياء آية ٨٧.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/ ٣٩٠) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري. أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يَدْرُسُ لَوْنُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات] (ح ٣٤١٢).

(٦) المصدر السابق (ح ٣٤١٦)؛ وصحيح مسلم، الفضائل، باب ذكر يونس ﷺ (ح ٢٣٧٦).

وقوله: ﴿وَأَنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزْلُقُونَكَ بِأَبْصَرِهِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: ﴿لَيَزْلُقُونَكَ﴾ لينفذونك بأبصارهم^(١)؛ أي: يعينونك بأبصارهم بمعنى: يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم.

وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة.

حديث أنس بن مالك ﷺ:

قال أبو داود: حدثنا سليمان بن داود العتكي، حدثنا شريح، ح وحدثنا العباس العنبري، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شريك، عن العباس بن ذريح، عن الشعبي قال العباس: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ» لم يذكر: العباس العين. وهذا لفظ سليمان^(٢).

حديث بُريدة بن الحصيب ﷺ:

قال أبو عبد الله ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي جعفر الرازي، عن حُصين، عن الشعبي، عن بُريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة»^(٣) هكذا رواه ابن ماجه.

وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد بن منصور، عن هشيم، عن حُصين بن عبد الرحمن، عن عامر الشعبي، عن بُريدة موقوفاً. وفيه قصة^(٤)، وقد رواه شعبة، عن حُصين، عن الشعبي، عن بُريدة قاله الترمذي^(٥).

وروى هذا الحديث الإمام البخاري من حديث محمد بن فضيل، وأبو داود من حديث مالك بن مغول، والترمذي من حديث سفيان بن عيينة، ثلاثتهم عن حُصين، عن عامر الشعبي، عن عمران بن حُصين موقوفاً^(٦).

حديث أبي ذر - جندب بن جنادة - ﷺ:

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة، عن ابن البرند السامي،

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق علي بن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، الطب، باب ما رخص في الرقي ح ٣٨٨٩)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٨٣٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه بسنده ومثله (السنن، الطب، باب ما رخص فيه من الرقي ح ٣٥١٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٣٢).

(٤) أخرجه مسلم عن سعيد بن منصور به مطولاً. (الصحيح، الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ح ٢٢٠).

(٥) سنن الترمذي، الطب، باب ما جاء في الرخصة في ذلك (ح ٢٠٥٧).

(٦) صحيح البخاري، الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره (ح ٥٧٠٥)؛ وسنن أبي داود، الطب، باب ما جاء في الرقي (ح ٣٨٨٤)؛ وسنن الترمذي، الباب والحديث السابق.

حدثنا ديلم بن غزوان، حدثنا وهب بن أبي دبي، عن أبي حرب، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العين لتولع الرجل بإذن الله، فيتصاعد حالقاً^(١)، ثم يتردى منه». إسناده غريب ولم يخرجوه.

حديث حابس التميمي:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حرب، حدثنا يحيى بن أبي كثير، حدثني حبة بن حابس التميمي، أن أباه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا شيء في الهام والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل»^(٢).

وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي، عن أبي غسان يحيى بن كثير، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير به ثم قال: غريب. قال وروى شيان، عن يحيى بن أبي كثير، عن حبة بن حابس، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ^(٣).

قلت: كذلك رواه الإمام أحمد، عن حسن بن موسى وحسين بن محمد، عن شيان، عن حبة حدثه، عن أبيه أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا بأس في الهام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل»^(٤).

حديث ابن عباس رضيه الله عنه:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن الوليد، عن سفيان، عن دويد، حدثني إسماعيل بن ثوبان، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق العين حق حتى تستنزل الحالق»^(٥) غريب.

طريق أخرى: قال مسلم في صحيحه: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، أخبرنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا وهيب، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبق العین، وإذا اغتسلتم فاغسلوا»^(٦) انفرد به دون البخاري.

وقال عبد الرزاق: عن سفيان الثوري، عن منصور، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»،

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله وزيادة: ثم يتردى منه، (المسند ٢٢٨/٣٥ ح ٢١٣٠٢) وضعف سنده محققوه؛ وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة بأن رجاله ثقات. (ح ٨٨٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٨٠/٣٤ ح ٢٠٦٨٠) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومثله وتعليقه (السنن، الطب، باب ما جاء أن العين حق والغسل لها ح ٢٠٦١ - ٢٠٦٢) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٣٥٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٨١/٣٤ ح ٢٠٦٨١) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤١٨/٤ ح ٢٦٨١) وقال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناده ضعيف.

(٦) صحيح مسلم، السلام، باب الطب والمرض والرقى (ح ٢١٨٨).

ويقول: «هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل ﷺ»^(١). أخرجه البخاري [وأهل السنن]^(٢) من حديث المنهال به^(٣).

حديث أبي أُمّامة أسعد بن سهل بن حنيف ؓ:

قال ابن ماجه: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن أبي أُمّامة أسعد بن سهل بن حنيف قال: مرّ عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال: لم أرَ كالיום ولا جلد مخبأة، فما لبث أن لُبَطَ^(٤) به، فأُتي به رسول الله ﷺ فقيل له: أدرك [سهلاً صريعاً]^(٥). قال: من تتهمون به؟ قالوا: عامر بن ربيعة. قال علام يقتل أحدكم أخاه إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه؟ فليدع له بالبركة ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخله إزاره، وأمره أن يصبّ عليه، قال سفيان: قال معمر عن الزهري: وأمر أن يكفأ الإناء من خلفه^(٦).

وقد رواه النسائي من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما عن الزهري به. ومن حديث سفيان بن عيينة به أيضاً عن معمر، عن الزهري، عن أبي أُمّامة: ويكفأ الإناء من خلفه. ومن حديث ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن أبي أُمّامة أسعد بن سهل بن حنيف، عن أبيه به، ومن حديث مالك أيضاً عن محمد بن أبي أُمّامة بن سهل، عن أبيه به^(٧).

حديث أبي سعيد الخدري:

قال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك»^(٨). ورواه الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن إياس أبي مسعود الجريري به. وقال الترمذي حسن^(٩).

حديث آخر عنه:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثني عبد العزيز بن صهيب، حدثني أبو نضرة، عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «اشتكت يا محمد». قال: «نعم». قال: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس وعين يشفيك،

(١) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثله (المصنف ٣٣٧/٤ رقم ٧٩٨٨) وسنده صحيح.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٣) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب رقم ١٠ (ح ٣٢٧١).

(٤) أي: ضُرع وسقط إلى الأرض. (النهاية ٢٢٦/٤).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٦) أخرجه ابن ماجه بسنده ومثله (السنن، الطب، باب العين ح ٣٥٠٩) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٢٨).

(٧) السنن الكبرى للنسائي، الطب، باب وضوء العائن (ح ٧٦١٧، ٧٦١٩).

(٨) أخرجه ابن ماجه بسنده ومثله (السنن، الطب، باب من استرقى من العين ح ٣٥١١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٣٠).

(٩) سنن الترمذي، الطب، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين (ح ٢٠٥٩) وسنن النسائي، الاستعاذة، باب الاستعاذة من عين الجان ٢٧١/٨.

بسم الله أرقبك^(١). ورواه عن عفان، عن عبد الوارث مثله^(٢). ورواه مسلم وأهل السنن إلا أبا داود من حديث عبد الوارث^(٣) به.

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ اشتكى، فأتاه جبريل فقال: «بسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك، من كل حاسد وعين الله يشفيك»^(٤) ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوي، عن داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد به^(٥).

قال أبو زرعة الرازي: روى عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه، عن عبد العزيز، عن أنس في معناه. وكلاهما صحيح.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن العين حق»^(٦) أخرجه من حديث عبد الرزاق^(٧). وقال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا إسماعيل بن عليه، عن الجريري، عن مضارب بن حزن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق»^(٨) تفرد به، ورواه أحمد، عن إسماعيل بن عليه، عن سعيد الجريري^(٩) به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا ثور يعني: ابن يزيد، عن مكحول، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم»^(١٠).

وقال أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: الطيرة في ثلاث في المسكن والفرس والمرأة؟ قال: قلت إذا أقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أصدق الطيرة الفأل، والعين حق»^(١١).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٨/٣) وسند صحيح.

(٢) المسند ٥٦/٣.

(٣) صحيح مسلم، السلاب، باب الطب والمرض والرقى (ح ٢١٨٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (٢٣٩/١٨ ح ١١٧١٠) وصححه سندته محققوه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (١٨/١١١ - ١١٢ ح ١١٥٥٧) وصححه سندته محققوه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣١٩/٢) وسنده صحيح.

(٧) صحيح البخاري، الطب، باب العين حق (ح ٥٧٤٠)؛ وصححه مسلم، السلام، باب الطب والمرض والرقى (ح ٢١٨٧).

(٨) أخرجه ابن ماجه بسنده ومثته، الطب، باب العين (ح ٣٥٠٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٢٦).

(٩) (المسند ٤٨٧/٢).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤١٧/١٥ ح ٩٦٦٨) وضعفه سندته محققوه للانقطاع بين مكحول وأبي هريرة، وأن قوله: «العين حق» فقط صحيح.

(١١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٦٥/١٣ ح ٧٨٨٣) وضعفه سندته محققوه لضعف أبي معشر وهو نجيب بن عبد الرحمن السندي.

حديث أسماء بنت عميس:

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عُبَيْد بن رفاعَةَ الزُرْقِي قال: قالت أسماء: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقى لهم؟ قال: «نعم». فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين^(١). وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به^(٢)، ورواه الترمذي أيضاً والنسائي من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن عروة بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عبيد بن رفاعَةَ، عن أسماء بنت عميس به. وقال الترمذي: حسن صحيح^(٣).

حديث عائشة ؓ:

قال ابن ماجه: حدثنا علي بن أبي الحبيب، حدثنا وكيع، عن سفيان ومسر، عن معبد بن خالد، عن عبد الله بن شداد، عن عائشة ؓ أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقى من العين^(٤). ورواه البخاري، عن محمد بن كثير، عن سفيان، عن معبد بن خالد به^(٥). وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسر كلاهما عن معبد به^(٦).

ثم قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو هشام المخزومي، حدثنا وهيب، عن أبي واقد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «استعينوا بالله، فإن العين حق»^(٧). تفرد به.

وقال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: «كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المعين»^(٨).

قلت: كذلك رواه أحمد، عن حسن بن موسى وحسين بن محمد، عن سنان، أن ابن حبة حدثه، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا [بأس في]»^(٩) الهام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٥/٤٦٢ ح ٢٧٤٧٠) وحسن سنده محققوه.

(٢) سنن الترمذي، الطب، باب ما جاء في الرقية من العين (ح ٢٠٥٩)؛ وسنن ابن ماجه، الطب، باب من استرقى من العين (ح ٣٥١٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٢٩).

(٣) المصدر السابق؛ والسنن الكبرى، الطب، باب رقية العين (ح ٧٥٣٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه بسنده ومثله (السنن، الباب السابق ح ٣٥١٢)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٣١).

(٥) صحيح البخاري، الطب، باب رقية العين (ح ٥٧٣٨).

(٦) صحيح البخاري، السلام، استحباب الرقية من العين (ح ٢١٩٥).

(٧) أخرجه ابن ماجه بسنده ومثله (السنن، الطب، باب العين ح ٣٥٠٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٢٧.

(٨) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، الطب، باب ما جاء في الطب ح ٣٨٨٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٢٨٦).

(٩) كذا في المسند كما تقدم بعد حديث حابس التميمي فقد جاء بالإسناد والمتن نفسه فحكمه وتخريجه سواء، وفي الأصل بياض.

حديث سهل بن حنيف:

قال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا أبو أويس، حدثنا الزهري، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف، وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال: ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأة فلبط سهل، فأتني رسول الله ﷺ فقبل له: يا رسول الله هل لك في سهل؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق. قال: هل تتهمون فيه من أحد؟ قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيظ عليه، وقال علام يقتل أحدكم أخاه هلاً إذا رأيت ما يعجبك بركت؟ ثم قال: اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجله وداخلته إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه، ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس^(١).

حديث عامر بن ربيعة:

قال الإمام أحمد في مسند عامر: حدثنا وكيع، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن عيسى، عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف، عن عبد الله بن عامر قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل قال: فانطلقا يلتزمان الخمر قال: فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرْتُ إليه فأصبته بعيني، فنزل الماء ليغتسل قال: فسمعت له في الماء فرقة فناديته ثلاثاً، فلم يجبني، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته قال: فجاء يمشي فخاض الماء، فكأنني أنظر إلى بياض ساقه قال: فضرب صدره بيده ثم قال: اللهم اصرف عنه حرّها وبردها ووصبها، قال: فقام فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليبرك، فإن العين حق»^(٢).

حديث جابر:

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا أبو داود، حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصاري - ويقال له: ابن الضجيع ضجيع حمزة رضي الله عنه -، حدثني عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس» قال البزار يعني: العين. قال: ولا نعلم يروي هذا الحديث عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد^(٣).

قلت: بل قد روي من وجه آخر عن جابر قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي المعروف «بشكر» في كتاب «العجائب» وهو مشتمل على فوائد جلييلة وغريبة: حدثنا الرهاوي، حدثنا يعقوب بن محمد، حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي، حدثنا محمد بن المنكدر،

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٥٦/٢٥ ح ١٥٩٨٠) وصححه محققوه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده بلفظ: «فليبركه، فإن العين حق» (المسند ٤٦٥/٢٤ ح ٤٦٦، ١٥٧٠٠)، وقال محققوه: العين حق صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

(٣) أخرجه البزار بسنده ومثله وتعليقه (مختصر زوائد مسند البزار ١/٦٤٣، ٦٤٤ ح ١١٦٤) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح خلا طالب بن حبيب بن عمرو، وهو: ثقة (مجمع الزوائد ١٠٦/٥).

عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «العين حق لتُورد الرجل القبر والجمل القدر، وإن أكثر هلاك أمتي في العين»^(١). ثم رواه عن شعيب بن أيوب، عن معاوية بن هشام، عن سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «قد تدخل الرجل العين في القبر، وتدخل الجمل القدر»^(٢) وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه.

حديث عبد الله بن عمرو:

قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا رشدين بن سعد، عن الحسن بن ثوبان، عن هشام بن أبي رقية، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد، والعين حق»^(٣). تفرد به أحمد.

حديث عن علي:

روى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ، حدثنا عبيد بن محمد الكشوري، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري، عن أبي رجاء، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن الحارث، [عن علي]^(٤) أن جبريل أتى النبي ﷺ فوافقه مغتماً فقال: يا محمد ما هذا الغم الذي أراه في وجهك؟ قال الحسن والحسين أصابتهما عين. قال: صدق بالعين، فإن العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات قال: وما هن يا جبريل؟ قال: قل اللهم ذا السلطان العظيم [والمن]^(٥) القديم ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من أنفس الجن وأعين الإنس، فقالها النبي ﷺ فقاما يلعبان بين يديه، فقال النبي ﷺ: «عوذوا أنفسكم ونسائكم وأولادكم بهذا التعويذ فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله»^(٦).

قال الخطيب البغدادي: تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبد الله الحيطي من أهل تُسْتَر، ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه.

وقوله: ﴿وَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ويقولون: ﴿إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: لمجنئي بالقرآن. قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٧).

آخر تفسير سورة نون، والله الحمد والمنة، وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه.

(١) أخرجه ابن عدي من طريق علي بن أبي علي به، وأعله بعلي لأنه يروي أحاديث مناكير عن جابر. (الكامل ١٨٥/٥).

(٢) أخرجه ابن عدي من طريق شعيب بن أيوب، وقال: غريب من حديث الثوري، تفرد به معاوية. (الكامل ٤٠٦/٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٦٤١/١١ ح ٧٠٧٠) قال محققوه: صحيح دون قوله: «ولا حسد» وهذا إسناد ضعيف لضعف رشدين بن سعد.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «بن علي».

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٦) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٥٠٣/٨) وسنده ضعيف لضعف الحارث وهو ابن عبد الله الأعور الكوفي الهمداني (التقريب ص ١٤٦).

سُورَةُ الْحَقِّ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ﴾ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَحَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَينَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَفَرَقَ الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَارٌ نَثَلٌ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤَيَّنَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُو فِي اللَّيْلِ (١١) لَنَجْعَلَنَّ لَكَ نَذِيرَةً وَنَعِيهَا أَذُنٌ وَعِيَةٌ (١٢).

﴿الْحَاقَّةُ﴾ من أسماء يوم القيامة^(١)؛ لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد، ولهذا عظم الله أمرها فقال: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٣) ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ (٥) وهي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة التي أسكنتهم، هكذا قال قتادة الطاغية: الصيحة^(٢)، وهو اختيار ابن جرير.

وقال مجاهد: الطاغية: الذنوب^(٣)، وكذا قال الربيع بن أنس وابن زيد إنها الطغيان، وقرأ ابن زيد ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ يَطْفُونَهَا﴾ (١١) ﴿[الشمس].﴾^(٤)

وقال السدي: ﴿فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ قال: يعني عاقر الناقة.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أي: باردة. قال قتادة والسدي والربيع بن أنس والثوري: ﴿عَاتِيَةٍ﴾ أي: شديدة الهبوب^(٥).

قال قتادة: عنت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم.

وقال الضحاك: ﴿صَرْصَرٍ﴾ باردة ﴿عَاتِيَةٍ﴾ عنت عليهم بغير رحمة ولا بركة^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه أيضاً الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

وقال علي وغيره: عتت على الخَزَنَةِ^(١) فخرجت بغير حساب^(٢).
 ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: سلطها عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي: كوامل متتابعات مشائيم.

قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم: ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات^(٣).
 وعن عكرمة والربيع بن خثيم: مشائيم عليهم كقوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦].
 قال الربيع: وكان أولها الجمعة^(٤). وقال غيره: الأربعاء، ويقال: إنها التي تسميها الناس الأعجاز، وكان الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَّحَلٍ خَاوِيَةً﴾ وقيل: لأنها تكون في عجز الشتاء، ويقال: أيام العجوز لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرباً فقتلها الريح في اليوم الثامن، حكاه البغوي^(٥)، والله أعلم.
 قال ابن عباس: ﴿خَاوِيَةً﴾ خربة^(٦)، وقال غيره: بالية؛ أي: جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتاً على أم رأسه، فيتشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان.

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»^(٧).
 وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس العبدى، حدثنا ابن فضيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا: هذا عارض ممطرنا، فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة»^(٨).
 وقال الثوري: عن ليث، عن مجاهد: الريح لها جناحان وذنب^(٩).

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ أي: هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفاً.
 ثم قال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ قُرًى﴾^(١٠) بكسر القاف؛ أي: ومن عنده ممن في زمانه من

(١) أي: من الملائكة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام الراوي عن علي عليه السلام.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق أبي معمر عن ابن مسعود؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/ ٥٠٠)؛ وأخرجه أبو الشيخ (العظمة رقم ٨١٣) والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك بن حرب عن عكرمة.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. (٥) ذكره البغوي بنحوه. (معالم التنزيل ٣٨٦/٤).

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر. (٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأحزاب آية ٩.

(٨) أخرجه الطبراني من طريق محمد بن فضيل به (المعجم الكبير ١٢/ ٤٢١) وسنده ضعيف لضعف مسلم الملائني. (ينظر: مجمع الزوائد ١١٣/٧).

(٩) سنده ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سليم، ومثته فيه غرابة.

(١٠) القراءتان متواترتان.

أتباعه من كفار القبط، وقرأ آخرون بفتحها^(١)؛ أي: ومن قبله من الأمم المشبهين له.
وقوله: ﴿وَالْمُتَفَكِّكُتْ﴾ وهم الأمم المكذبون بالرسول ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ بالفعل الخاطئة وهي التكذيب بما أنزل الله.

قال الربيع: ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالمعصية.

وقال مجاهد: بالخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ وهذا جنس؛ أي: كل كذب رسول الله إليهم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلِ هَوًى وَغِيْرٌ﴾ [ق: ١٤] ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء] ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء] وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد ولهذا قال ههنا: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ [١٥] أي: عظمة شديدة أليمة.
قال مجاهد: ﴿رَابِيَةً﴾: شديدة^(٢).

وقال السدي: مهلكة.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أي: زاد على الحد بإذن الله وارتفع على الوجود.
وقال ابن عباس وغيره: ﴿طَغَا الْمَاءُ﴾: كثر^(٣)، وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه، فعبدوا غير الله فاستجاب الله له، وعمَّ أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن أبي سنان سعيد بن سنان، عن غير واحد، عن علي بن أبي طالب قال: لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخُزَّان^(٤)، فطغى الماء على الخُزَّان، فخرج فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أي: زاد على الحد بإذن الله ﴿حَمَلْنَاكُمُ فِي الْبَارِيَةِ﴾ ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخُزَّان فخرجت، فذلك قوله تعالى: ﴿بَرِيحٌ صَرْصَرٌ عَلَيْهِ﴾ أي: عنت على الخُزَّان^(٥)، ولهذا قال تعالى ممتناً على الناس: ﴿إِنَّا لَنَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمُ فِي الْبَارِيَةِ﴾ [١٦] وهي السفينة الجارية على وجه الماء ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه؛ أي: وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار كما قال: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَفْئَالِكُمْ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [١٧] لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَالِكِ الْمَشْحُونِ﴾ [٤١] وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ [٤٢] [يس] وقال قتادة: أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة^(٦)، والأول أظهر ولهذا قال تعالى: ﴿وَنَبِّهَا أذنٌ وَرِيعَةٌ﴾ أي: وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن وراعية.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أي: الملائكة.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإبهام الراوي عن علي عليه السلام.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

قال ابن عباس: حافظة^(١)، سامعة^(٢).

وقال قتادة: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله^(٣).

وقال الضحاك: ﴿وَعَيْهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ سمعتها أذن ووعت^(٤)؛ أي: من له سمع صحيح وعقل رجيح، وهذا عام في كل من فهم ووعى^(٥).

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة الدمشقي، حدثنا العباس بن الوليد بن صبيح الدمشقي، حدثنا زيد بن يحيى، حدثنا علي بن حوشب: سمعت مكحولاً يقول: لما نزل على رسول الله ﷺ ﴿وَعَيْهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي أن يجعلها أذن علي»^(٦).

قال مكحول: فكان علي يقول: ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً قط فنسيته، وهكذا رواه ابن جرير، عن علي بن سهل، عن الوليد بن مسلم، عن علي بن حوشب، عن مكحول به، وهو حديث مرسل.

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا جعفر بن محمد بن عامر، حدثنا بشر بن آدم، حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد يعني: والد أبي أحمد الزبيري، حدثني صالح بن الهيثم: سمعت بريدة الأسلمي يقول: قال رسول الله ﷺ لعلي: «إني أمرت أن أدنك ولا أقصيك، وأن أعلمك، وأن تعي، وحُقَّ لك أن تعي» قال: فنزلت هذه الآية ﴿وَعَيْهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾^(٧). ورواه ابن جرير، عن محمد بن خلف، عن بشر بن آدم به. ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن أبي داود الأعمى، عن بريدة به، ولا يصح أيضاً.

﴿إِذَا تُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۚ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۚ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۚ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةٌ ۚ يَوْمَئِذٍ تُقَرَّبُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۚ﴾

يقول تعالى مخبراً عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة، وقد أكدها ههنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد^(٨).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٥) سنده ضعيف لإرساله، ومثته فيه نكارة.

(٦) أخرجه الطبري عن علي بن سهل به، وحكمه كسابقه.

(٧) سنده ضعيف لضعف أبي محمد عبد الله بن الزبير والد أبي أحمد الزبيري؛ (الجرح والتعديل ٥٦/٥؛

وميزان الاعتدال ٤٢٢/٢)، وأكد الحافظ ابن كثير على ذلك بقوله: لا يصح.

(٨) أخرجه الطبري عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به، وسنده كسابقه.

وقال الربيع: هي النفخة الأخيرة. والظاهر ما قلناه، ولهذا قال ههنا: ﴿وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكَّا ذَكَّةً وَجَدَةً﴾ (١٤) أي: فمدت مد الأديم العكاظي، وتبدلت الأرض غير الأرض ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١٥) أي: قامت القيامة ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (١٦) قال سماك: عن شيخ من بني أسد، عن علي قال: تنشق السماء من المجرة^(١)، رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جريج: هي كقوله: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (١٧) [النبا].

وقال ابن عباس: متخرقة والعرش بحذائها^(٢) ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ الملك اسم جنس؛ أي: الملائكة على أرجاء السماء.

قال ابن عباس: على ما لم يه منها؛ أي: حافاتهما^(٣)، وكذا قال سعيد بن جبيرة والأوزاعي^(٤).

وقال الضحاك: أطرافها.

وقال الحسن البصري: أبوابها.

وقال الربيع بن أنس في قوله: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾: يقول: على ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ أي: يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم بالصواب.

وفي حديث عبد الله بن [عميرة]^(٦)، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب في ذكر حملة العرش أنهم ثمانية أوعال^(٧).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني أبو السمح البصري، حدثنا أبو قبيل حيي بن هانئ أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: حملة العرش ثمانية ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام^(٨).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي قال: كتب إلي أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري، حدثني أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه بخفق الطير سبعمائة عام»^(٩) وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات، وقد رواه أبو داود في

(١) سنده ضعيف لإبهام الشيخ من بني أسد. (٢) وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

(٥) ينظر سابقه. (٦) نسبه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٧) كذا في ترجمته وسنن أبي داود، وفي الأصل: «عمرة»؛ وفي (ح) و(حم): «عمر» وكلاهما تصحيف.

(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة غافر آية ٧.

(٩) الخبر ظاهره من الإسرائيليات المسكوت عنها.

(١٠) صححه الألباني بدون قوله: «بخفق الطير» كما سيأتي في الحديث التالي.

كتاب السنة من سننه، حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله، حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» هذا لفظ أبي داود^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيى بن المغيرة، حدثنا جرير، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قال: ثمانية صفوف من الملائكة^(٢). قال: وروي عن الشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك، وكذا روى السدي، عن [أبي]^(٣) مالك، عن ابن عباس: ثمانية صفوف^(٤)، وكذا روى العوفي عنه^(٥).

وقال الضحاك، عن ابن عباس: الكروبيون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشیاطین والملائكة^(٦).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أي: تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ وقد قال ابن أبي الدنيا: أخبرنا إسحاق بن إسماعيل، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^(٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا علي بن رفاع، عن الحسن، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجداً ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله»^(٨). ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع به^(٩). وقد رواه الترمذي، عن أبي كريب، عن علي بن

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، السنة، باب في الجهمية ح ٤٧٢٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٩٥٣).

(٢) سنده ضعيف لإرساله، ويشهد له ما سيأتي من قول ابن عباس.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه الطبري من طريق السدي به، وأخرجه من طريق العوفي وعكرمة عن ابن عباس، وهذه الطرق يقوي بعضها بعضاً.

(٥) تقدم في سابقه.

(٦) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا (محاسبة النفس رقم ٢) وسنده ضعيف لأن ثابت بن الحجاج لم يسمع من عمر رضي الله عنه. وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى انقطاعه في مسند الفاروق ٦١٨/٢.

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٤٨٦/٣٢ ح ١٩٧١٥) وضعف سنده محققوه لأن الحسن لم يسمع من أبي موسى.

(٩) سنن ابن ماجه، الزهد، باب ذكر البعث (ح ٤٢٧٧)، وسنده كسابقه.

علي، عن الحسن، عن أبي هريرة به^(١).

وقد روى ابن جرير، عن مجاهد بن موسى، عن يزيد، عن سليمان بن حيّان، عن مروان الأصغر، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: عرضتان معاذير وخصومات، والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله^(٢)، ورواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلًا مثله.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَتَبَهُ بِيَمِينِهِ فَقَوْلُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَلَيْهِمْ قُطُوفٌهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٢﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِيَةِ ﴿٢٣﴾﴾.

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾ أي: خذوا اقرؤوا كتابه لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضه، لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات^(٣).

قال عبد الرحمن بن زيد: معنى ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾ أي: هاقرؤوا كتابه و«أم» زائدة كذا قال^(٤)، والظاهر أنها بمعنى: هاكم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا بشر بن مطر الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا عاصم الأحول، عن أبي عثمان قال: المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرأها فيرجع إليه لونه. ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، قال: فعند ذلك يقول: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾^(٥).

وحدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا موسى بن عبيدة، أخبرني عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال: إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبيدي؛ أي: يظهر سيئاته في ظهر صحيفته، فيقول له: أنت عملت هذا؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول له: إني لم أفضحك به، وإني قد غفرت لك. فيقول عند ذلك: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾^(٦) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٠﴾ حين نجا من فضيحه يوم القيامة^(٧).

وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى إذا رأى أنه قد هلك، قال الله تعالى أني

(١) سنن الترمذي، صفة القيامة، باب ما جاء في العرض (ح ٢٤٢٧)؛ وضعف سننه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله. وذكره الدارقطني من حديث أبي موسى مرفوعاً وموقوفاً ثم قال: الموقوف هو الصحيح. (العلل ٧/ ٢٥١) فيكون هذا الموقوف الصحيح شاهداً لرواية الطبري.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند رجاله ثقات عن معمر عن قتادة لكنه مرسل ويتقوى بساقه.

(٤) لم يقل به عبد الرحمن بن زيد، وقد أخرج الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بلفظ: «تعالوا».

(٥) سننه ضعيف لإرساله.

(٦) سننه ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الربذي، وإرساله.

سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»^(١).

وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ أي: قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة كما قال: ﴿الَّذِينَ يَطْلُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] قال الله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي: مرضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم [حبورها]^(٢).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكوني، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن سعيد بن يوسف، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة قال: سأل رجل رسول الله ﷺ: هل يتزاور أهل الجنة؟ قال: «نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلى تقصر بهم أعمالهم»^(٣).

وقد ثبت في الصحيح: «إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»^(٤). وقوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ قال البراء بن عازب: أي: قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره^(٥)، وكذا قال غير واحد.

قال الطبراني، عن عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن عطاء بن يسار، عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ»^(٦). وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، عن رسول الله ﷺ قال: «يعطى المؤمن جوازاً على الصراط: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ»^(٧).

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ اللَّائِيَةِ﴾ أي: يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً وإنعاماً وإحساناً، وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

(١) تقدم تخريجه في الصحيحين في تفسير سورة هود آية ١٨.

(٢) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل صحفت إلى: «حورها».

(٣) سنده ضعيف لضعف سعيد بن يوسف (التقريب ص ٢٤٣).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء آية ٩٦.

(٥) أخرجه عبد بن حميد بسند صحيح من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء؛ وأخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق الثوري عن أبي إسحاق به (ينظر فتح الباري ٦/٣٢١).

(٦) أخرجه الطبراني من طريق عبد الرزاق به. (المعجم الكبير ٦/٢٧٢ ح ٧٤٢٣) وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زياد بن أنعم.

(٧) أخرجه ابن الجوزي من طريق سعدان بن سعيد وأعله به لأن سعدان بن سعيد مجهول. (العلل المتناهية ٢/٤٤٦).

قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»^(١).

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كَيْدَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَرَأَوْتُ كَيْدِيَّةً ﴿٢٥﴾ وَلَرَأَوْتُ مَا حِسَابِي ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَنِي كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْفَى عَنِّي مَالِي ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعْلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ لَجَّيْمٌ سَلُوءٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سَلْسَلَةٍ دَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَخْشَى عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنًا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشَلٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله، فحينئذ يندم غاية الندم ﴿فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَرَأَوْتُ كَيْدِيَّةً وَلَرَأَوْتُ مَا حِسَابِي﴾ يَلَيْتَنِي كَانَتْ الْقَاضِيَةُ ﴿٢٧﴾ قال الضحاك: يعني موتة لا حياة بعدها^(٢)، وكذا قال محمد بن كعب والربيع والسدي.

وقال قتادة: تمنى الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه^(٣) ﴿مَا أَغْفَى عَنِّي مَالِي﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ أي: لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خلص الأمر إلي وحدي فلا معين لي ولا معجير، فعندها يقول الله ﷻ: ﴿خَذُوهُ فَعْلُوهُ﴾ ثُمَّ لَجَّيْمٌ سَلُوءٌ ﴿٣١﴾ أي: يأمر الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر فتغله؛ أي: تضع الأغلال في عنقه ثم تورده إلى جهنم فنصليه إياها؛ أي: تغمره فيها.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن عمرو بن قيس، عن المنهال بن عمرو قال: إذا قال الله تعالى خذوه ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك منهم ليقول هكذا فيلقي سبعين ألفاً في النار^(٤).

وروى ابن أبي الدنيا في الأحوال أنه يبتدره أربعمئة ألف ولا يبقى شيء إلا دقه، فيقول: ما لي ولك؟ فيقول: إن الربّ عليك غضبان، فكل شيء غضبان عليك.

وقال الفضيل بن عياض: إذا قال الربّ ﷻ: ﴿خَذُوهُ فَعْلُوهُ﴾ ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه ﴿ثُمَّ لَجَّيْمٌ سَلُوءٌ﴾ أي: اغمره فيها^(٥).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سَلْسَلَةٍ دَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا^(٦).

وقال العوفي، عن ابن عباس وابن جريج: بذراع الملك^(٧).

وقال ابن جريج: قال ابن عباس: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ تدخل في أسسته ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يُشوى^(٨).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الدخان آية ٥١ - ٥٦.

(٢) أخرجه هناد بسند ضعيف من طريق جوير عن الضحاك (الزهد رقم ٢٢٤).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) سنده ضعيف لإعضاله. (٥) سنده ضعيف كسابقه.

(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وغيرهما، والخبر من الإسرائيليات.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي به.

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يدرك ابن عباس ﷺ.

وقال العوفي، عن ابن عباس: يسلك في دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجله^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق، أخبرنا عبد الله، أخبرنا سعيد بن يزيد، عن أبي السمح، عن عيسى بن هلال الصديقي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رصاصة مثل هذه - وأشار إلى جمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها»^(٢). وأخرجه الترمذي، عن سويد بن نصر، عن عبد الله بن المبارك به، وقال: هذا حديث حسن^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَوْمَنُ بِاللَّهِ الْغَيْبِ﴾ (٣٣) وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿٣٤﴾ أي: لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم، فإن الله على العباد أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى، ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقبض النبي ﷺ وهو يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ (٢٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلَيْنِ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ أي: ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب، ولا شفيع يطاع، ولا طعام له ههنا إلا من غسلين.

قال قتادة: هو شر طعام أهل النار^(٥).

وقال الربيع والضحاك: هو شجرة في جهنم^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا أبو سعيد المؤدب، عن خُصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: ما أدري ما الغسلين؟ ولكني أظنه الزقوم^(٧).

وقال شبيب بن بشر: عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم^(٨).

وقال علي بن أبي طلحة عنه: الغسلين: صديد أهل النار.

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله مع تقديم: أصلها على قعرها. (المسند ١١/٤٤٣، ٤٤٤ ح ٦٨٥٦) وحسنه محققوه.

(٣) سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ذكر السلسلة بالنار (ح ٢٥٩١).

(٤) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك ﷺ (السنن، الوصايا، باب هل أوصى رسول الله ﷺ ح ٢٦٩٧)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٣/٥٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢١٨٣).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٦) قول غريب والصحيح أن الزقوم هي شجرة في جهنم.

(٧) سنده ضعيف لأن خُصيف سيء الحفظ، وهو يخالف الروايتين التاليتين الثابتين.

(٨) سنده حسن، ويتقوى بما يليه.

﴿فَلَا أُقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ .

يقول تعالى مقسماً لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم^(١): إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة فقال تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ يعني: محمداً ﷺ، أضافه إليه على معنى التبليغ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا أضافه في سورة التكويد إلى الرسول الملكي ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٤٠) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٤١﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٤٢﴾ وهذا جبريل عليه السلام، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (٤٣) يعني: محمداً ﷺ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (٤٤) يعني: أن محمداً رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٤٥) أي: بمتهم، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ﴾ (٤٦) [التكويد] وهكذا قال ههنا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ (٤١) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ فأضافه الله تارة إلى قول الرسول الملكي وتارة إلى الرسول البشري؛ لأن كلا منهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه، ولهذا قال تعالى: ﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٣) .

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثنا شريح بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقامت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال، فقرأ ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ قال: فقلت كاهن، قال: فقرأ ﴿وَمَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ (٤٢) نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ ﴿٤٧﴾ إلى آخر السورة قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع^(٢).

فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة، والله الحمد.

﴿لَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّمَا لِلذِّكْرِ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّمَا لِحَسْرَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّمَا لِحَقِّ الْبَقِيَّةِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ .

يقول تعالى: ﴿لَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا﴾ أي: محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلنا بالعقوبة، ولهذا قال تعالى:

(١) أخرجه الطبري بسنده ثابت من طريق علي به.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/ ٢٦٢، ٢٦٣ ح ١٠٧) وضعف سنده محققوه؛ لأن شريح بن عبيد لم يدرك عمر رضي الله عنه.

﴿لَا خِزْيًا مِنَّا لِلْيَمِينِ﴾ ٤٥ قيل: معناه: لا نتقننا منه باليمين لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا منه يمينه ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنَّا الْوَثِينَ﴾ ٤٦ قال ابن عباس: وهو نياط القلب^(١). وهو العرق الذي القلب معلق فيه، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحكم وقتادة والضحاك، ومسلم البطين وأبو صخر حميد بن زياد^(٢).

وقال محمد بن كعب: هو: القلب ومراقه وما يليه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ٤٧ أي: فما يقدر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك. والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لأن الله ﷻ مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٤٨ يعني: القرآن كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤] ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مَّكَذِبِينَ﴾ ٤٩ أي: مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ٥٠.

قال ابن جرير: وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة^(٣). وحكاه عن قتادة بمثله^(٤). وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي، عن أبي مالك ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ٥٠ يقول: لندامة^(٥)، ويحتمل عود الضمير على القرآن؛ أي: وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٥١ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ. [الشعراء] وقال تعالى: ﴿وَجِبِلٌ بَيْنَهُمْ وَيَمٌّ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] ولهذا قال ههنا: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْبَقِيَّةِ﴾ ٥٢ أي: الخبر الصادق الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب، ثم قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ٥٣ أي: الذي أنزل هذا القرآن العظيم. آخر تفسير سورة الحاقة، والله الحمد.

(١) أخرجه الطبري بأسانيد حسان وأسانيد يقوى بعضها بعضاً، وأخرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ: «حبل القلب»، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٥٠١/٢).

(٢) أخرجه الطبري بسندين عن سعيد بن جبير يقوى أحدهما الآخر؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد وقول عكرمة عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣) ذكره الطبري بلفظه.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «ذاكم يوم القيامة».

(٥) سنده حسن، ومعناه صحيح.

سُورَةُ سَأَلَ سَائِلٌ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَأَيْنَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ .

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ فيه تضمين دلّ عليه حرف الباء كأنه مقدر: استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى: ﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧] أي: وعذابه واقع لا محالة.

قال النسائي: حدثنا بشر بن خالد، حدثنا أبو أسامة، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ قال: النضر بن الحارث بن كلدة^(١). وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ قال: «ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله» وهو واقع بهم^(٢)، قال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة، قال: وهو قولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣﴾ [الأنفال: ٣٢] وقال ابن زيد وغيره: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ أي: واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب^(٤). وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد، والصحيح الأول لدلالة السياق عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: مرصد معد للكافرين.

وقال ابن عباس: ﴿وَاقِعٍ﴾: جاء. ﴿لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ﴾ أي: لا دافع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ﴿٣﴾ .

قال الثوري، عن الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى:

(١) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن الكبرى، التفسير، سورة المعارج ح ١١٦٢٠)؛ وأخرجه الحاكم من طريق سفيان الثوري به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٠٢/٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن وهب عن ابن زيد قال بعض أهل العلم: هو واد في جهنم يقال له: سائل.

﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ قال: ذو الدرجات^(١)، وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يعني: العلو والفواضل^(٢).

وقال مجاهد: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ معارج السماء^(٣).

وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم^(٤).

وقوله تعالى: ﴿تَنْجِي الْمَلَكُوتَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ﴾ قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة: ﴿تَنْجِي﴾ تصعد.

وأما الروح فقال أبو صالح: هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناساً.

قلت: ويحتمل أن يكون المراد به: جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم، فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء^(٥)، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال، عن زاذان، عن البراء مرفوعاً الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة قال فيه: «فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله»^(٦) والله أعلم بصحته، فقد تكلم في بعض رواته ولكنه مشهور، وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار عنه، وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ النَّبِيَّ ءَامِنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم].

وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، وهو قرار الأرض السابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الأرض السابعة، وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة، وإنه من ياقوته حمراء^(٧) كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب «صفة العرش».

وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية: حدثنا أحمد بن سلمة، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا حكام، عن عمر بن معروف، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسين ألف سنة.

(١) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف لجهالة شيخ الأعمش.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧. (٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ٣.

﴿وَلَيْكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] يعني: بذلك حين ينزل الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض مقدار مسيرة خمسمائة عام^(١).

وقد رواه ابن جرير، عن ابن حميد، عن حكام بن سالم، عن عمر بن معروف، عن ليث، عن مجاهد قوله، لم يذكر ابن عباس^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا نوح المؤدب، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس قال: غلظ كل أرض خمسمائة عام، وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام، فذلك سبعة آلاف عام، وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام، فذلك أربعة آلاف عام، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام، فذلك قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٣).

القول الثاني: أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، أخبرنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: الدنيا عمرها خمسون ألف سنة، وذلك عمرها يوم سماها الله ﷻ: يوماً ﴿تَرْجُ الْمَلَكُتُكُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ قال: اليوم الدنيا^(٤).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وعن الحكم بن أبان، عن عكرمة: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحد كم مضى؟ ولا كم بقي؟ إلا الله ﷻ^(٥).

القول الثالث: أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جداً. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا بهلول بن المورق، حدثنا موسى بن عبيدة، أخبرني محمد بن كعب: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة^(٦).

القول الرابع: أن المراد بذلك يوم القيامة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: يوم القيامة^(٧). وإسناده صحيح، ورواه الثوري عن

(١) في سننه ليث وهو ابن أبي سليم فيه مقال، وقد وصله هنا إلى ابن عباس، وفي رواية الطبري التالية بدون ذكر ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله. وسنده كسابقه.

(٣) سننه ضعيف لضعف عبد الوهاب بن مجاهد وهو ابن جبير.

(٤) سننه ضعيف لانقطاعه فإن ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبسند حسن من طريق معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة.

(٦) سننه ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الربذي. (٧) صحح سننه الحافظ ابن كثير.

سماك بن حرب، عن عكرمة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يوم القيامة^(١)، وكذا قال الضحاك وابن زيد^(٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: [هو]^(٣) يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة^(٤). وقد وردت أحاديث في معنى ذلك. قال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قيل لرسول الله ﷺ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ما أطول هذا اليوم! فقال رسول الله: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا»^(٥). ورواه ابن جرير، عن يونس، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج به^(٦)، إلا أن دراجاً وشيخه أبا الهيثم ضعيفان، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي عمر الغداني قال: كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له: هذا أكثر عامري مالاً، فقال أبو هريرة، ردوه إليّ فردوه فقال: نُبئت أنك ذو مال كثير. فقال العامري: إي والله إن لي لمائة حمراً، ومائة أدماً حتى عدّ من ألوان الإبل وأفنان الرقيق ورباط الخيل، فقال أبو هريرة: إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم، يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال: ما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدها»^(٧) ورسولها»^(٨) قلنا: يا رسول الله ما نجدها ورسولها؟ قال: «في عسرها ويسرها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذٍّ»^(٩) ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره، ثم يبطح لها بقاع قرقر^(١٠) فتطؤه بأخفافها، فإذا جاوزته أخرجها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله، وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدها ورسولها، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذٍّ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره، ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات بقرنها، ليس فيها عقصاء ولا عضباء، إذا جاوزته أخرجها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله، وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدها ورسولها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذٍّ ما كانت وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات بقرنها، ليس فيها عقصاء^(١١) ولا

(١) سنده صحيح لكنه مرسل ويتقوى بسابقه.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣/ ٧٥)؛ وسنده ضعيف كما قرر الحافظ ابن كثير وغيره.

(٦) أخرجه الطبري عن يونس به، وسنده كسابقه. (٧) أي: الشدة.

(٨) أي: الثاني. (٩) كأغذٍّ: من الأغذاذ: أي: أسرع وأنشط.

(١٠) أي: المكان المستوي. (١١) أي: الملتوية القرن.

عضباء^(١) إذا جاوزته أخرها أعيدت عليه أولها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله» فقال العامري: وما حق الإبل يا أبا هريرة؟ قال: أن تعطي الكريمة، وتمنح الغزيرة^(٢) وتفقر الظهر^(٣)، وتسقي الإبل وتطرق الفحل^(٤). وقد رواه أبو داود من حديث شعبة، والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به^(٥).

طريق أخرى لهذا الحديث: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار». وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم، وفيه: «الخیل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر» إلى آخره^(٦)، ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفرداً به دون البخاري من حديث سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة^(٧). وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الأحكام، والغرض من إيراده ههنا قوله: «حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة».

وقد روى ابن جرير، عن يعقوب، عن ابن عليّ وعبد الوهاب، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة قال: سأل رجل ابن عباس، عن قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: فاتهمه، فقال: إنما سألتك لتحدثني، قال: هما يومان ذكرهما الله، والله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم^(٨).

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا ۝٥﴾ أي: اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه كقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۝١٨﴾ [الشورى: ١٨] ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦﴾ أي: وقوع العذاب. وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى استحيل الوقوع ﴿وَرَنَّهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ أي: المؤمنون يعتقدون كونه قريباً، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله ﷻ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة.

(١) أي: المكسورة القرن.

(٢) أي: الكثيرة اللبن.

(٣) أي: تعيره للحمل والركوب.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٣٠/١٦، ٢٣١ ح ١٠٣٥)، وقال محققوه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي عمر الغداني. اهـ. ولو قالوا: حسن لغيره لكان أحسن.

(٥) سنن أبي داود، الزكاة، باب في حقوق المال (ح ١٤٦٢)؛ وسنن النسائي، الزكاة، باب التغليظ في حبس الزكاة ١٢/٥؛ وحسنه الألباني بما بعده. صحيح سنن أبي داود (ح ١٤٦٢).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته وأطول (المسند ٧/١٣ - ٩ ح ٧٥٦٣) وصححه سنداه محققوه.

(٧) صحيح مسلم، الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (ح ٩٨٧).

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ وَلَا يَنْتَلِ حِمِيٌّ حِمِيًّا ۖ يَصْرُوهَا ۖ يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيٍّ بَيْنِهِ ۖ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوِّبُ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حِمِيًّا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْفَىٰ ۖ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ ۖ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۖ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۖ﴾

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ۖ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وغير واحد: أي: كدردي الزيت^(١) ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ﴾ أي: كالصوف المنفوش، قاله مجاهد وقتادة والسدي^(٢)، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۖ﴾ [القارة].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْتَلِ حِمِيٌّ حِمِيًّا ۖ يَصْرُوهَا ۖ﴾ أي: لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره.

قال العوفي، عن ابن عباس: يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۖ﴾ [عبس].^(٣)

وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿يَكَايَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ﴾ [لقمان: ٣٣] وكقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَدْعُ مُمْثِلَةً إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ﴾ [فاطر: ١٨] وكقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۖ﴾ [المؤمنون] وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۖ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ۖ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۖ﴾ [عبس].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيٍّ بَيْنِهِ ۖ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوِّبُ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حِمِيًّا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ كَلَّا ۖ﴾ أي: لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو بملء الأرض ذهباً، أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه. قال مجاهد والسدي: ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قبيلته وعشيرته^(٤).

وقال عكرمة: فخذ الذي هو منهم.

وقال أشهب، عن مالك: فصيلته: أمه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَأُظْفَىٰ﴾ النار وشدة حرها ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ ۖ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: جلدة الرأس^(٥).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الكهف آية ٢٩، وسورة الدخان آية ٤٥؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: كعكر الزيت.

(٢) أخرجه الطبري بالسند المتقدم عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «قبيلته»؛ وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «عشيرته».

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: لجلود الرأس.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ ﴿١١﴾ الجلود والهَام^(١).

وقال مجاهد: ما دون العظم من اللحم^(٢).

وقال سعيد بن جبير: للعصب والعقب.

وقال أبو صالح: ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ ﴿١١﴾ يعني: أطراف اليدين والرجلين، وقال أيضاً ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾

﴿١١﴾ لحم الساقين^(٣).

وقال الحسن البصري وثابت البناني: ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ ﴿١١﴾ أي: مكارم وجهه.

وقال الحسن أيضاً: تحرق كل شيء فيه ويبقى فؤاده يصيح^(٤).

وقال قتادة ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ ﴿١١﴾ أي: نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه^(٥).

وقال الضحاك: تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً^(٦).

وقال ابن زيد: «الشوى»: الأراب العظام^(٧)، فقلوه: «نزاعة» قال: تقطع عظامهم ثم تبدل

جلودهم وخلقهم.

وقوله تعالى: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿٨﴾ أي: تدعو النار إليها أبناءها الذين

خلقهم الله لها، وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق

ذَلِكْ ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب، وذلك أنهم كما قال الله ﷻ:

كانوا ممن ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ أي: كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ ﴿٨﴾ أي: جمع المال

بعضه على بعض فأوعاه؛ أي: أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج

الزكاة، وقد ورد في الحديث: «لا توعي فيوعي الله عليك»^(٨).

وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيساً ويقول: سمعت الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ ﴿٨﴾.

وقال الحسن البصري: يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا^(٩).

وقال قتادة في قوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ ﴿٨﴾ قال: كان جموعاً [قموماً]^(١٠) [للخيث]^(١١).

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما يليه.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.

(٤) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق قرة عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٢٩.

(٩) أخرجه ابن سعد (الطبقات الكبرى ١١٤/٦)؛ والطبري كلاهما من طريق أبي قطن عن المسعودي عن

الحكم عن عبد الله بن عكيم.

(١٠) كذا في (ح) و(حم) وفي الأصل بياض.

(١١) كذا في تفسير الطبري فقد أخرجه بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. وفي الأصول

الخطية صُحِفَ إلى: «الحديث».

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُتَشَفِّقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنْ ابْتَغَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۝﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ثم فسره بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ أي: إذا مسه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ أي: إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا موسى بن علي بن رباح، سمعت أبي يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «شر ما في رجل: شح هالع وجبن خالع»^(١). ورواه أبو داود، عن عبد الله بن الجراح، عن أبي عبد الرحمن المقرئ به^(٢). وليس لعبد العزيز عنده [سواه]^(٣).

ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ أي: الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم، إلا من عصمه الله ووقفه وهده إلى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ قيل: معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها، قال ابن مسعود ومسروق وإبراهيم النخعي^(٤).

وقيل: المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ [المؤمنون] قاله عقبه بن عامر^(٥): ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته؛ لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته.

وقيل: المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»^(٦) وفي لفظ:

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٤/١٥ ح ٨٢٦٣) وصححه سننه محققوه.

(٢) سنن أبي داود، الجهاد باب في الجرأة والجبن (ح ٢٥١١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٢١٩٢).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن عن ابن مسعود (المصنف ١/٣٥٠)؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم النخعي.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي الخير، وهو مرثد، عن عقبه بن نافع الجهني.

(٦) صحيح البخاري، اللباس، باب الجلوس على الحصر ونحوه (ح ٥٨٦١).

«ما دام عليه صاحبه»^(١) قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً داوم عليه^(٢)، وفي لفظ أثبتته^(٣).

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^(٢٣): ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة، فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن^(٤).

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾^(٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَرْحُومِ^(٢٥) أي: في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الذاريات.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ﴾^(٢٦) أي: يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب. ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾^(٢٧) أي: خائفون وجلون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾^(٢٨) أي: لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾^(٢٩) أي: يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾^(٣٠) أي: من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾^(٣١) فَنِ ابْتِغَىٰ رِزْقَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفَادُونَ^(٣٢) وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣٣) [المؤمنون] بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾^(٣٤) أي: إذا أؤتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد في الحديث الصحيح: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(٥) وفي رواية: «إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾^(٣٥) أي: محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْنَهَا فَإِنَّهُ فِي سَمْعِ قَلْبِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾^(٣٦) أي: على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣٧) سواء ولهذا قال هناك: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^(٣٨) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٣٩) [المؤمنون] وقال ههنا: ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾^(٤٠) أي: مكرمون بأنواع الملاذ والمسار.

(١) صحيح البخاري، الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه (ح ٤٣).

(٢) صحيح البخاري، الصوم، باب صوم شعبان (ح ١٩٧٠).

(٣) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل (ح ١٤١/٧٤٦).

(٤) صحيح الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل. (٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الصف آية ٢.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة المؤمنون آية ٨.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَتَطَّعُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْتُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا كَانَتْهُمْ إِلَى نَصَبٍ يُفْضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلِكَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾.

يقول تعالى منكرًا على الكفار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيدته الله به من المعجزات الباهرات، ثم هم مع هذا كله فأروا منه متفرقون عنه، شاردون يمينًا وشمالًا فرقًا فرقًا، وشيعًا شيعًا، كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٨) كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَيَّنَتْ مِنْ قُورَقٍ ﴿٥١﴾ الآية [المدرثر] وهذه مثلها فإنه قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ (٣٦) أي: فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين؟ أي: مسرعين نافرين منك، كما قال الحسن البصري: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: منطلقين^(١).

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (٣٧) واحدها عزة؛ أي: متفرقين، وهو حال من مهطعين؛ أي: في حال تفرقهم واختلافهم كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء: فهم مخالفون للكتاب مختلفون في الكتاب متفقون على مخالفة الكتاب.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ (٣٦)، قال: قبلك ينظرون ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (٣٧) قال: العزير: العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به^(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا أبو عامر، حدثنا قُرَّة، عن الحسن في قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (٣٧) أي: متفرقين يأخذون يمينًا وشمالًا يقولون: ما قال هذا الرجل^(٣)؟

وقال قتادة: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ عامدين ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (٣٧) أي: فرقًا حول النبي ﷺ لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه ﷺ^(٤).

وقال الثوري وشعبة وعبر بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووکیع ويحيى القطان وأبو معاوية، كلهم عن الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن تميم بن طرفة، عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم جُلِقَ فقال: «ما لي أراكم عزين؟» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي، وابن جرير من حديث الأعمش به^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم جُلِقَ فقال: «ما لي أراكم عزين؟»^(٦). وهذا إسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه.

(١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي عامر عن قرة عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. (٣) أخرجه الطبري عن ابن بشار به، وسنده جيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) المسند ٩٣/٥؛ وصحيح مسلم، الصلاة.

(٦) في سنده مؤمل وفي روايته عن سفيان مقال ولكنه توبع في الرواية السابقة من طرق أخرى، فيتقوى ولهذا حكم عليه الحافظ ابن كثير بأن إسناده جيد.

وقوله تعالى: ﴿أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمٍ﴾ (٣٨) ﴿كَلَّا﴾ أي: أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن رسول الله ﷺ ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم؟ كلاً بل مأواهم جهنم.

ثم قال تعالى مقررًا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلًا عليهم بالبداة التي الإعادة أهون منها، وهم معترفون بها، فقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من المني الضعيف، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (٢٥) [المرسلات] وقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥) ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ (٦) ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٧) ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (٨) ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (٩) ﴿فَأَلَمْ يَنْفَعِهِمْ قَوْلُ وَلَا تَأْسِرُ﴾ (١٠) [الطارق].

ثم قال تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الشَّرِّ وَالْقَرِيبِ﴾ أي: الذي خلق السموات والأرض وجعل مشرقاً ومغرباً وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها. وتقدير الكلام: ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور، بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة، ولهذا أتى بلا في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي، وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة. وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة، وهو خلق السموات والأرض وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات، ولهذا قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) [غافر] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْنَمْ يَخْلُقْهُمْ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتُ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٣) [الأحقاف] وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨١) [يس] وقال ههنا: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الشَّرِّ وَالْقَرِيبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ (٤٠) ﴿عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فإن قدرته صالحة لذلك ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: بعاجزين كما قال تعالى: ﴿أَجَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (٢) ﴿بَلَى قَدِيرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بِآثَمِهِ﴾ (٣) [القيامة] وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَهُمُ الْوَتْنَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (١٥) ﴿عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦) [الواقعة] واختار ابن جرير ﴿عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخرى عليه، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿قَدَرَهُمْ﴾ أي: يا محمد ﴿يُحْضَوْنَ وَيَلْعَبُونَ﴾ أي: دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ﴾ أي: فسيعلمون غيب ذلك ويدوقون وباله ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا كَانَتْهُمْ إِلَى نَصَبٍ يَوْمَئِذٍ﴾ (١٢) أي: يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون.

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: إلى علم يسعون^(١).

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بالآثار التالية: فقد أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

وقال أبو العالية ويحيى بن أبي كثير: إلى غاية يسعون إليها^(١).

وقد قرأ الجمهور «إلى نُصْب» بفتح النون وإسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنسوب.

وقرأ الحسن البصري «نُصْب» بضم النون والصاد^(٢) وهو الصنم؛ أي: كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه، يوفضون يبتدرون أيهم يستلمه أول، وهذا مروي عن مجاهد ويحيى بن أبي كثير ومسلم البطين وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وأبي صالح وعاصم بن بهدلة وابن زيد وغيرهم^(٣).

وقوله تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَهْنُرُهُمْ﴾ أي: خاضعة ﴿زَهْفُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ أي: في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

آخر تفسير سورة سأل سائل [ولله الحمد والمنة]^(٤).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف، وهو الأعرابي، عن أبي العالية؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند حسن من طريق أبي عمرو عن يحيى بن أبي كثير.

(٢) القراءتان متواترتان.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب، وهو عبد الله، عن ابن زيد، وهو عبد الرحمن، وأخرجه أيضاً بسند جيد من طريق قرّة عن الحسن، وهو البصري.

(٤) زيادة من (ح).

سُورَةُ نُوحٍ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّضْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه آمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنبأوا رفع عنهم. ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ أي: بين النذارة ظاهر الأمر واضح، ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ﴾ أي: اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمهم ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به وأنهاكم عنه ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: إذا فعلتم ما أمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم، ومن - ههنا - قيل إنها زائدة، ولكن القول بزيادتها في الإثبات قليل، ومنه قول بعض العرب: قد كان من مطر، وقيل: إنها بمعنى عن تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم، واختاره ابن جرير.

وقيل: إنها للتبعض؛ أي: يغفر لكم الذنوب العظيمة التي وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام ﴿وَيُخَوِّضْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يمد في أعماركم ويدراً عنكم العذاب الذي إن لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم.

وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزداد بها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر»^(١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة فإنه إذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذي قد قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات.

(١) أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة وأطول (المعجم الكبير ٣١٢/٨ ح ٨٠١٤)؛ وحسنه المنذري (الترغيب والترهيب ٦٧٩/١)؛ وحسنه الهيثمي (مجمع الزوائد ١١٨/٣) وله شاهد في الصحيحين بلفظ: «من أحب أن يُيسر له في رزقه، ويُسأل في أجله فليصل رحمه» تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٢٦.

(٥) أخرجه عبد الرزاق من طريق عامر الشعبي عن عمر (المصنف ٨٧/٣ رقم ٤٩٠٢) وسنده منقطع؛ لأن الشعبي لم يسمع من عمر.

وقال ابن عباس وغيره: يتبع بعضه بعضاً^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَيُذَكِّرُ بِأَمْوَالِ وَيَنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا﴾^(١٧) أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم أسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع، وأدّر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين؛ أي: أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾^(١٨)؟ أي: عظمة، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك^(٢).

وقال ابن عباس: لا تعظمون الله حق عظمتة^(٣)؛ أي: لا تخافون من بأسه ونقمتة ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾^(١٩) قيل: معناه: من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدي وابن زيد^(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَنَوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(٢٠)؟ أي: واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط؟ أو هو من الأمور المدركة بالحوس مما علم من التسيير والكسوفات؟ فإن الكواكب السبعة السيارة يكشف بعضها بعضاً فأدناها القمر في السماء الدنيا، وهو يكشف ما فوقه، وعطارد في الثانية، والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة، والمريخ في الخامسة، والمشتري في السادسة، وزحل في السابعة، وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ففي فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت، والمتشرعون منهم يقولون هو: الكرسي، والفلك التاسع وهو الأطلس، والأثير عندهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك، وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهي من المغرب إلى المشرق، وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعاً، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فإنها تسير من المغرب إلى المشرق، وكل يقطع فلكه بحسبه، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة، والشمس في كل سنة مرة، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة، وذلك بحسب اتساع أفلاكها وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة.

هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لسننا بصدد بيانها وإنما المقصود أن الله ﷻ: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَنَوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(٢٠) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا^(٢١) أي: فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلا منهما أنموذجاً على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر للقمر منازل وبروجاً وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى، ثم يشرع في النقص حتى يستتر ليدل على مضي الشهور والأعوام، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢٢) [يونس].

(١) معناه صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه، ويتقوى بسابقه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ١٩٨/٨)؛ والطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝٧﴾ هذا اسم مصدر والإتيان به ههنا أحسن ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي: إذا متم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ أي: يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝٨﴾ أي: بسطها ومهدّها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشّم الشامخات ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٩﴾ أي: خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأراجائها وأقطارها، وكل هذا مما ينبههم به نوح ﷺ على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والأرض مهاداً وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يُعبد ويُوحّد ولا يُشرك به أحد؛ لأنه لا نظير له ولا عدیل ولا ندّ ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلي الكبير.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مِنْ لَدُنِّي زَيْدَهُ مَالَهُمْ وَلَوْلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝١٠﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبَارًا ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝١١﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝١٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن نوح ﷺ إنه أنهى إليه، وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء، أنه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى أنهم عصوه وخالفوه وكذبوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بمال وأولاد وهي نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام ولهذا قال: ﴿وَأَتَّبَعُوا مِنْ لَدُنِّي زَيْدَهُ مَالَهُمْ وَلَوْلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ قرئ ﴿وَلَوْلَدُهُ﴾ بالضم وبالفتح^(١) وكلاهما متقارب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبَارًا ۝١٠﴾ قال مجاهد: كباراً؛ أي: عظيماً^(٢).

وقال ابن زيد: ﴿كَبَارًا﴾؛ أي: كبيراً^(٣)، والعرب تقول: أمر عجيب وعُجَاب وعُجَاب، ورجل حسان وحسان، وجُمَال وجُمَال بالتخفيف والتشديد^(٤) بمعنى واحد، والمعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبَارًا ۝١٠﴾ أي: باتباعهم في تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة ﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ [سبأ: ٣٣] ولهذا قال ههنا: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبَارًا ۝١٠﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝١١﴾ وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله.

قال البخاري: حدثنا إبراهيم، حدثنا هشام، عن ابن جريج، وقال عطاء: عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل،

(١) أي: بضم وفتح الواو الثانية، والقراءتان متواترتان.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) ذكره الطبري بلفظه.

وأما سُواع فكانت لهذيل، وأما يَغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجُرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نَسْر فكانت لحمير لآل ذي كلاع، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عبادت^(١)، وكذا روي عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو هذا^(٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هذه أصنام كانت تعبد في زمن نوح^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس: ﴿وَيَعُوقُ وَنَسْرًا﴾ قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال: أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسقون المطر فعبدوهم^(٤).

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة شيث عليه السلام من طريق إسحاق بن بشر قال: أخبرني جوير ومقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: ولد لآدم عليه السلام أربعون ولداً، عشرون غلاماً وعشرون جارية، فكان ممن عاش منهم هابيل وقابيل وصالح وعبد الرحمن الذي سماه: عبد الحارث^(٥)، ووَدَّ، وكان وَدَّ يقال له: شيث ويقال له: هبة الله، وكان إخوته قد سوّدوه، وولد له سواع ويغوث ويعوق ونسر^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عمرو الدوري، حدثني أبو إسماعيل المؤدب، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز، عن أبي حنيفة، عن عروة بن الزبير قال: اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود ويغوث وسواع ونسر قال: وكان وَدَّ أكبرهم وأبرهم به^(٧).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا يعقوب، عن أبي المطهر قال: ذكروا عند أبي جعفر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب، قال: فلما انقضى من

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله ولفظ: ونسخ وهي رواية لجمهور رواة البخاري أما ما أثبته الحافظ ابن كثير فهو رواية أبي ذر الهروي والكشميهني (فتح الباري ٦٦٩/٨ مع صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَدَّ وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح: ٢٣] ح ٤٩٢٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد مختصراً؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه ويتقوى برواية البخاري السابقة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لإرساله ويتقوى برواية البخاري السابقة.

(٥) لم يسم آدم هذا الاسم، وهذه الروايات وغيرها كلها ضعيفة، وهي من الإسرائيليات المخالفة للقرآن والسنة؛ لأن هذه التسمية فيها شرك، وآدم عليه الصلاة والسلام موحد ونبي مكلم.

(٦) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع ابن عباس عليه السلام.

(٧) سنده ضعيف لإرساله.

صلاته قال: ذكرتم يزيد بن المهلب أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله، قال: ثم ذكروا رجلاً مسلماً وكان محبباً في قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه، فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان، ثم قال: إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكُم فتذكرونه؟ قالوا: نعم، فصوّر لهم مثله، قال: ووضعوه في ناديتهم وجعلوا يذكرونه، فلما رأى ما بهم من ذكره قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالاً مثله فيكون له في بيته فتذكرونه؟ قالوا: نعم، قال: فمثّل لكل أهل بيت تمثالاً مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به، قال: وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذها إلهاً يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد من دون الله: الصنم الذي سموه ودّاً^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ يعني: الأصنام التي اتخذوها أضلّوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم، وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه: ﴿وَأَجِثْنِي وَيَسِّرْ لِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٢٥) رَبِّ إِنِّي أَضَلُّوا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿إِبْرَاهِيمَ: ٣٥، ٣٦﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] وقد استجاب الله لكل من النيبين في قومه، وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به.



﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَفْضُلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ آغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾.

يقول تعالى: «مما خطاياهم» وقرئ ﴿خَطِيئَتُهُمْ﴾^(٢) ﴿أُغْرِقُوا﴾ أي: من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ أي: نُقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ أي: لم يكن لهم مُعين ولا مُغيث ولا مُجير ينقذهم من عذاب الله كقوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢٦) أي: لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً ولا دياراً وهذه من صيغ تأكيد النفي.

قال الضحاك: ﴿دَيَّارًا﴾ واحداً^(٣).

وقال السدي: الديار: الذي يسكن الدار، فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه، وقال: ﴿سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾

(١) سنده ضعيف لإعضاله، ويشهد لبعضه ما تقدم في رواية البخاري السابقة.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣) القراءتان متواترتان.

قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعٌ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ [هود: ٤٣].

وقال ابن أبي حاتم: قُرئ على يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني شبيب بن سعيد، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل، فلما بلغها الماء صعدت به منكبها، فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها، فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم هذه المرأة». هذا حديث غريب ورجاله ثقات^(١)، ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح ﷺ وهم الذين أمره الله بحملهم معه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ أي: إنك إن أبقيت منهم أحداً أضلوا عبادك؛ أي: الذين تخلقهم بعدهم ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ أي: فاجراً في الأعمال كافر القلب وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتُؤُنَا﴾ قال الضحاك: يعني مسجدي^(٢)، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن، وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، أنبأنا سالم بن غيلان، أن الوليد بن قيس التجيبي، أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(٣). ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك، عن حيوة بن شريح به، ثم قال الترمذي: إنما نعرفه من هذا الوجه^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات، ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح ﷺ وبما جاء في الآثار والأدعية المشهورة المشروعة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا بُارًا﴾ قال السدي: إلا هلاكاً.

وقال مجاهد: إلا خساراً^(٥)؛ أي: في الدنيا والآخرة.

آخر تفسير سورة نوح ﷺ، [ولله الحمد والمنة]^(٦).

(١) لكن رواية ابن وهب عن شبيب بن سعيد فيها مقال (التقريب ص ٢٦٣)؛ فقد حدث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير (تهذيب التهذيب ٣٠٧/٤)؛ وأخرجه الحاكم من طريق موسى بن يعقوب الزمعي عن فائد مولى عبيد الله بن علي بن أبي رافع أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة أخبره أن عائشة. فذكره وصححه، وتعبه الذهبي بأن إسناده مظلم وموسى ليس بذاك. (المستدرک ٣٤٢/٢).

(٢) أخرجه الطبري بسندين عن الضحاك، يقوي أحدهما الآخر.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (٤٣٧/١٧ ح ١١٣٣٧) وحسن سنده محققوه.

(٤) سنن أبي داود، الأدب، باب من يؤمر أن يجالس (ح ٤٨٣٢)؛ وسنن الترمذي، الزهد، ما جاء في صحبة المؤمن (ح ٢٣٩٧)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٤٥).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) زيادة من (حم).

سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَنِيعَهُ وَلَا لَدَا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يخبر قومه: أن الجن استمعوا القرآن، فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له، فقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أي: إلى السداد والنجاح ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: فعله وأمره وقدرته^(١).

وقال الضحاك، عن ابن عباس: جد الله: آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه^(٢). وروي عن مجاهد وعكرمة: جلال ربنا^(٣).

وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره^(٤).

وقال السدي: تعالى أمر ربنا. وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضاً وابن جريج: تعالى ذكره^(٥).

وقال سعيد بن جبیر: ﴿تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: تعالى ربنا، فأما ما رواه ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: الجد أب، ولو علمت الجن أن في الإنس جَدًّا ما قالوا: ﴿تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾. فهذا إسناد جيد، ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام، ولعله قد سقط^(٦) شيء، والله أعلم.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٢) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، ويتقوى بسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) أرى أنه لم يسقط شيء من التفسير، وأن هذا التفسير من ابن عباس رضي الله عنهما غني بذلك: الجد الذي هو =

وقوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ صَاحِبُهُ وَلَا وَلَدًا﴾ أي: تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد؛ أي: قالت الجن: تنزه الرب جلّ جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والولد ثم قالوا: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُمْ يَقُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾.

قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي: ﴿سَفِينًا﴾ يعنون: إبليس^(١).

﴿شَطَطًا﴾ قال السدي عن أبي مالك: ﴿شَطَطًا﴾ أي: جوراً.

وقال ابن زيد: أي ظلماً كبيراً^(٢).

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم سفينها اسم جنس لكل من زعم أن الله صاحبة أو ولداً، ولهذا قالوا: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُمْ يَقُولُ سَفِينًا﴾ أي: قبل إسلامه ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ أي: باطلاً وزوراً، ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: ما حسبنا أن الإنس والجنّ يتمالؤون على الكذب على الله تعالى في نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُمْ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُودُونَ رِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس؛ لأنهم كانوا يعودون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها، كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعودون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعودون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً؛ أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوداً بهم، كما قال قتادة: ﴿فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثماً وازدادت الجن عليهم جراءة^(٣).

وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزله فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضرب أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي، قال قتادة: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، حدثنا الزبير بن الخريت عن عكرمة قال: كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، فكان الإنس إذا نزلوا وادياً هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي، فقال الجن: نراهم يفرقون^(٤) منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُمْ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُودُونَ رِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

= أبو الأب وهو من جهلة الجن كما ذكر الطبري عن بعض المفسرين. ولكن هذا التفسير الوارد عن ابن عباس خلاف ما ثبت عنه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: فعله وأمره وقدرته، وهو المناسب للسياق، وبه قال بعض التابعين كما تقدم، وهو الذي رجحه الإمام الطبري.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري أيضاً بسند ضعيف فيه إيهام الراوي عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أي: يخافون.

أي: إثماً^(١). وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم: ﴿رَهَقًا﴾ أي: خوفاً^(٢).
وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثماً، وكذا قال قتادة^(٣).
وقال مجاهد: زاد الكفار طغياناً^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي، حدثنا القاسم بن مالك - يعني: المزني - عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن أبيه، عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فأوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي جارك، فنادى مناد لا نراه يقول: يا سرحان^(٥) أرسله. فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة. وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٦). ثم قال: وروي عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي نحوه^(٧). وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل، وهو ولد الشاة، كان جنياً حتى يهرب الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهيئه ويخرجه عن دينه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾^(٧) أي: لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولاً، قاله الكلبي وابن جرير^(٨).

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مُلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾^(٨) وَأَنَّا كَمَا نَقَعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِلْسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَمْ شَهَابًا رَّصَدًا^(٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَن فِي الْأَرْضِ أَمَرَأَادَ بِهِمْ رَهْمٌ رَّشَدًا^(١٠).

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً، وحُفَّت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئاً من القرآن، فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يُدرى من الصادق، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه

(١) سنده مرسل.

(٢) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) أي: الذئب.

(٦) أخرجه أبو الشيخ (العظمة ١٦٦٤/٥ رقم ١١٠٥) والطبراني (المعجم الكبير ١٩/١٩١ ح ٤٣٠)، والعقيلي (الضعفاء الكبير ١/١٠١) كلهم من طريق القاسم بن مالك المدني به، وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن إسحاق كما في التقريب، ولضعف أبيه (المجروحين لابن حبان ١/١٣٣ وميزان الاعتدال ١/١٨٩).

(٧) القائل هو ابن أبي حاتم فإن من منهجه أن يذكر الموافقين من التابعين بحذف السند.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن الكلبي.

العزیز، ولهذا قال الجنُّ: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ ثَرَابٍ شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾ (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا تَرْجُو لِمَنْ يَسْتَمِعُ فَمَنْ يَنْتَهِجْ أَلَّا يَجِدَ لَوْ شَهِابًا رَصَدًا﴾ (٩) أي: من يروم أن يسترق السمع يجد له شهاباً مرصداً له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يحقه اليوم ويهلكه. ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (١٠) أي: ما ندري هذا الأمر الذي قد حدث في السماء، لا ندري أَشَرُّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً؟ وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشرُّ إلى غير فاعل والخير أضافوه إلى الله ﷻ.

وقد ورد في الصحيح: «والشرُّ ليس إليك»^(١) وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك، ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان، كما في حديث [ابن عباس]^(٢): «بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رُمي بنجم فاستنار فقال: «ما كنتم تقولون في هذا؟» فقلنا: كنا نقول يولد عظيم، يموت عظيم فقال: «ليس كذلك، ولكن الله إذا قضى الأمر في السماء»^(٣) وذكر تمام الحديث وقد أوردناه في سورة سبأ بتمامه، وهذا هو السبب الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أن هذا هو الذي حُفِظَتْ من أجله السماء، فأمن من آمن منهم وتَمَرَّدَ في طغيانه من بقي كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الآية [٢٩].

ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر، وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك، وظنوا أن ذلك لخراب العالم، كما قال السدي: لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر، فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا، يستمعون ما يحدث في السماء من أمر، فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً رسولاً رجموا ليلة من الليالي ففرغ لذلك أهل الطائف فقالوا: هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسبيون مواشيهم، فقال لهم عبد ياليل بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني: محمداً ﷺ، وإن نظرتهم فلم تروها فقد هلك أهل السماء، فنظروا فأروها فكفوا عن أقوالهم وفزعت الشياطين في تلك الليلة، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها، فأتوه فشَمَّ فقال: صاحبكم بمكة، فبعث سبعة نفر من جن نصيبين^(٤) فقدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله تعالى أمرهم على رسوله ﷺ^(٥).

(١) أخرجه مسلم من حديث أمير المؤمنين علي عليه السلام مطولاً. (الصحيح، صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح ٧٧).

(٢) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «العباس».

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة سبأ آية ٢٣.

(٤) تقع جنوب تركيا وشمال مدينة الموصل في العراق. (٥) رواية السدي ضعيفه لأنها مرسلة.

وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من «كتاب السيرة» المطول، والله أعلم، والله الحمد والمنة.

﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ۖ﴾ (١١) ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نُّعْجِزُهُ هَرَبًا ۖ﴾ (١٢) ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَحْصًا وَلَا رَهَقًا ۖ﴾ (١٣) ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۖ﴾ (١٤) ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۖ﴾ (١٥) ﴿وَالْوَسْطَىٰ عَلَى الطَّرِيقَةِ ۖ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً عَذَقًا ۖ﴾ (١٦) ﴿لِنَقْنِئَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۖ﴾ (١٧).

يقول تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: غير ذلك ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ أي: طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ أي: منا المؤمن ومنا الكافر^(١).

وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه: حدثنا أسلم بن سهل بحشل، حدثنا علي بن الحسن بن سليمان وهو: أبو الشعثاء الحضرمي شيخ مسلم، حدثنا أبو معاوية قال: سمعت الأعمش يقول: تروّج إلينا جني فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟ فقال الأرز، قال: فأتيناهم به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً، فقلت فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم. فقلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرنا^(٢).

عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي فقال: هذا إسناد صحيح إلى الأعمش.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال: سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد:

قلوبٌ بَراها الحبُّ حتى تعلقت مذهبها في كل غرب وشارق
تهيم بحب الله والله ربها معلقة بالله دون الخلائق^(٣)

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نُّعْجِزُهُ هَرَبًا ۖ﴾ (١٢) أي: نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لا نعجزه في الأرض، ولو أمعنا في الهرب فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ ۖ﴾ (١٣) يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة.

وقولهم: ﴿فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَحْصًا وَلَا رَهَقًا ۖ﴾ (١٣) قال ابن عباس وقتادة وغيرهما: فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته^(٤) كما قال تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ومعناه صحيح وله شواهد تقويه كالأثار التالية: فقد أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) سنده صحيح كما قرر الإمام المزي. (٣) تاريخ دمشق (٨/ ٨٨٧).

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي: منا المسلم ومننا القاسط، وهو الجائر عن الحق الناكب عنه، بخلاف المقسط فإنه العادل ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي: طلبوا لأنفسهم النجاة ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (١٥) أي: وقوداً تسعر بهم. وقوله تعالى: ﴿وَالْوَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذَقًا﴾ (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴿اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين:

أحدهما: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذَقًا﴾ أي: كثيراً، والمراد بذلك سعة الرزق، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنختبرهم، كما قال مالك، عن زيد بن أسلم: لنفتنهم لنبليهم من يستمر على الهداية ممن يتردد إلى الغواية^(١).

ذكر من قال بهذا القول:

قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَالْوَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ يعني: بالاستقامة الطاعة^(٢). وقال مجاهد: ﴿وَالْوَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ قال: الإسلام^(٣). وكذا قال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وعطاء والسدي ومحمد بن كعب القرظي^(٤). وقال قتادة: ﴿وَالْوَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ يقول: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا^(٥). وقال مجاهد: ﴿وَالْوَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الحق^(٦)، وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما^(٧)، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنبليهم به^(٨).

وقال مقاتل: نزلت في كفار قريش حين مُنعوا المطر سبع سنين^(٩). والقول الثاني: ﴿وَالْوَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ الضلال ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذَقًا﴾ أي: لأوسعنا عليهم الرزق استدراجاً، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] وكقوله: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ

(١) سنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ومعناه صحيح، ويشهد له ما يليه.

(٣) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه رجل مبهم عن سعيد بن جبير.

(٥) أخرجه عبد الرزاق الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبيد الله بن أبي زياد عن مجاهد، وعبيد الله ليس بالقوي (التقريب ص ٣٧١) وفيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ومعناه صحيح.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه عن الضحاك بلفظ: «هذا مثل ضربه الله» كقوله: ثم ذكر الآيتين السابقتين اللتين استشهد بهما الحافظ ابن كثير.

(٨) هو تنمة للأثر السابق.

(٩) سنده ضعيف لأنه معضل.

وَبَيْنَ ﴿٥٥﴾ سُارِعُ لَمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون] وهذا قول أبي مجلز لاحق بن حميد، فإنه قال في قوله تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الضلالة^(١)، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وحكاه البغوي، عن الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان وله اتجاه^(٢)، ويتأيد بقوله: ﴿لَنُفْنِنَهُمْ فِيهِ﴾.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: عذاباً مشقاً شديداً موجعاً مؤلماً، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد. ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: مشقة لا راحة معها^(٣). وعن ابن عباس: جبل في جهنم^(٤)، وعن سعيد بن جبیر: [بئر]^(٥) فيها.

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٧﴾ وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٩﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١١﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿١٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْجَعُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿١٣﴾.

يقول تعالى أمراً بعباده أن يوحدوه في محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به، كما قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٧﴾ قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: ذكر علي بن الحسين، حدثنا إسماعيل بن بنت السدي، أخبرنا رجل سماه عن السدي، عن أبي مالك أو أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٧﴾ قال: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس^(٧).

وقال الأعمش: قالت الجن: يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٧﴾ يقول: صلوا لا تخالطوا الناس^(٨).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهرا، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن [محمود]^(٩)، عن سعيد بن جبیر ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٧﴾ قال: قالت الجن لنبي الله ﷺ كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون؟ أي: بعيدون عنك، وكيف نشهد

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عمران بن حدير عن أبي مجلز.

(٢) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٤/٤٠٤).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه هناد (الزهدي رقم ٢٨٠) والطبري والحاكم بسند حسن من طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٥٠٤).

(٥) زيادة من (ج) و(حم).

(٦) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل.

(٧) سنده ضعيف لإيهام شيخ إسماعيل.

(٨) سنده ضعيف لأنه معضل.

(٩) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «محمول».

الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١).

وقال سفيان: عن خُصيف، عن عكرمة: نزلت في المساجد كلها (٢).

وقال سعيد بن جبير: نزلت في أعضاء السجود (٣)؛ أي: هي لله فلا تسجدوا بها لغيره. وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد الله بن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة - أشار بيده إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين» (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (٥) قال العوفي عن ابن عباس يقول: لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه، فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ (٥) [الجن: ١] يستمعون القرآن. هذا قول، وهو مروي عن الزبير بن العوام ؓ.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن معمر، حدثنا أبو مسلم، عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال الجن لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قال: عجبوا من طواعية أصحابه له قال: فقالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (٦). وهذا قول ثانٍ، وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضاً (٧).

وقال الحسن: لما قام رسول الله ﷺ يقول: لا إله إلا الله، ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعاً (٨).

وقال قتادة في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (٩) قال: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه (٩). وهذا قول ثالث وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد (١٠)، وهو اختيار ابن

(١) أخرجه الطبري من طريق سفيان به، وسنده ضعيف لأنه مرسل.

(٢) أخرجه الطبري عن ابن حميد عن مهران عن سفيان به، وفي سنده خُصيف سيء الحفظ، وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ومعناه صحيح.

(٣) فيه غرابة، والاستشهاد بالحديث الذي يليه لا يتناسب معه.

(٤) أخرجه الشيخان من طريق عبد الله بن طاوس به (صحيح البخاري، الأذان، باب السجود على الأنف ح ٨١٢، وصحيح مسلم، الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب ح ٤٩٠).

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتمنه، وأخرجه الترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة الجن ح ٣٣٢٣) والضياء المقدسي (المختارة ٧٤/١٠) كلاهما من طريق أبي عوانة به. وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٤٧).

(٧) أخرجه الطبري من طريق زياد عن سعيد بن جبير وسنده مرسل ويتقوى بسابقه.

(٨) سنده مرسل ويشهد له ما سبق.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة لكنه مرسل ويتقوى بما سبق.

(١٠) تقدمت رواية ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

جرير، وهو الأظهر لقوله بعده: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٥﴾ أي: قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبتلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته.

﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ أي: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وعبد من عباد الله ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله ﷻ، ثم أخبر عن نفسه أيضاً أنه لا يجيره من الله أحد؛ أي: لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذه من عذابه ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ قال: مجاهد وقتادة والسدي: لا ملجأ^(١).

وقال قتادة أيضاً: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ﴿٢٧﴾ أي: لا نصير ولا ملجأ^(٢). وفي رواية: لا ولي ولا موئل.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ﴾ قال بعضهم: هو مستثنى من قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ إلا بَلَاغًا ويحتمل أن يكون استثناء من قوله: ﴿لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداؤها علي، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم، خالدين فيها أبداً؛ أي: لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ أضعف ناصرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ ﴿٢٤﴾ أي: حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة، فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرًا وأقل عدداً، هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى؟ أي: بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية وهم أقل عدداً من جنود الله ﷻ.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبَ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَكُمْ رَبِّي أَمَدًا﴾ ﴿٢٥﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ أَزْنَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّمَا يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾.

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس إنه لا علم له بوقت الساعة ولا يدري أقرب وقتها أم بعيد؟ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبَ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَكُمْ رَبِّي أَمَدًا﴾ ﴿٢٥﴾ أي: مدة طويلة، وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض^(٣)، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب، وقد كان ﷺ يسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها، ولما تبدى له جبريل في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: يا

(١) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) لا أصل له: انظر المقاصد الحسنة ص ٤٤٣ والأسرار المرفوعة ص ٣٥٣ وأجوبة الحافظ لتلاميذه ص ٧٣.

محمد فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»^(١)، ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد متى الساعة؟ قال: «ويحك إنها كائنة فما أعددت لها؟» قال: أما إنني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام ولكنني أحب الله ورسوله قال: «فأنت مع من أحببت» قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مضاء، حدثنا محمد بن حمير، حدثني أبو بكر بن أبي مريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت»^(٣).

وقد قال أبو داود في آخر كتاب الملاحم: حدثنا موسى بن سهل، حدثنا حجاج بن إبراهيم، حدثنا ابن وهب، حدثني معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يُعجز الله هذه الأمة من نصف يوم»^(٤). انفرد به أبو داود ثم قال أبو داود: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبو المغيرة، حدثني صفوان، عن شريح بن عبيد، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ أنه قال: «إنني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم» قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة عام^(٥). انفرد به أبو داود.

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ هذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة وأنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه، ولهذا قال: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ وهذا يعلم الرسول الملكي والبشري. ثم قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ أي: يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساقونهم على ما معه من وحي الله، ولهذا قال: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَتَ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٦).

وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله: ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾ إلى من يعود؟

ف قيل: إنه عائد على النبي ﷺ، وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ١٨٧.

(٢) أخرجه الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه (صحيح البخاري، الآداب، باب علامة الحب في الله ح ٦١٧١، وصحيح مسلم، البر والصلة، باب المرء مع من أحب ح ٢٦٣٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم من طريق أبي بكر بن أبي مريم به (حلية الأولياء ٩١/٦) وسنده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم. (التقريب ص ٦٢٣).

(٤) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، الملاحم، باب قيام الساعة ح ٤٣٤٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٦٥٥).

(٥) المصدر السابق (ح ٤٣٥٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٦٥٦).

﴿لِيَعْلَمَ﴾ محمد ﷺ ﴿أَن قَدْ أُنْزِلُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١) ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به. وهكذا رواه الضحاك والسدي ويزيد بن أبي حبيب.

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أُنْزِلُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ﴾ قال: ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها^(٢)، وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة^(٣) واختاره ابن جرير.

وقيل غير ذلك كما رواه العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا مَن أَرَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ قال: هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبين الذي أرسل به إليهم، وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم^(٤). وكذا قال ابن أبي نجيع عن مجاهد: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أُنْزِلُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ﴾ قال: ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم^(٥)، وفي هذا نظر.

وقال البغوي: قرأ يعقوب «ليعلم» بالضم؛ أي: ليعلم الناس أن الرسل قد أبلغوا^(٦).

ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله ﷻ، وهو قول حكاه ابن الجوزي في زاد المسير^(٧)، ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات بهم، ويكون ذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وكقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت] إلى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعاً لا محالة، ولهذا قال بعد هذا: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

آخر تفسير سورة الجن، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته وزيادة: وما نزل جبريل بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة حفظة من الملائكة. وسنده ضعيف لإرساله.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة به.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما يليه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع به.

(٦) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٤/٤٠٦).

(٧) ذكر ابن الجوزي (زاد المسير ٨/٣٨٦) وذكره أيضاً البغوي كما في المصدر السابق.

سُورَةُ الزَّمَلِ

وهي مكية

قال الحافظ أبو بكر بن عمرو بن عبد الخالق البزار: حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطي، حدثنا معلى بن عبد الرحمن، حدثنا شريك، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا: سموا هذا الرجل اسماً يصد الناس عنه، فقالوا: كاهن. قالوا: ليس بكاهن. قالوا: مجنون. قالوا: ليس بمجنون. قالوا: ساحر. قالوا: ليس بساحر، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه وتدثر فيها. فأتاه جبريل عليه السلام فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ ①﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَذْمُورُ ②﴾ [المذثر] ثم قال البزار: معلى بن عبد الرحمن قد حدّث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ ①﴾ قُرْ أَيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا ② نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ زَيْلًا ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⑦ وَاذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَنَبَّلْ إِلَيْهِ تَتَسِيلًا ⑧ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑨﴾.

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه ﷻ كما قال تعالى: ﴿تَنَجَّافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ⑩﴾ [السجدة] وكذلك كان ﷺ ممثلاً ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجباً عليه وحده كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ⑪﴾ [الإسراء] وههنا بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ ①﴾ قُرْ أَيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا ② قال ابن عباس والضحاك والسدي: ﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ ①﴾ يعني: يا أيها النائم.

وقال قتادة: المزمل في ثيابه^(٢).وقال إبراهيم النخعي: نزلت وهو متزمل بقטיפه^(٣).وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ ①﴾ قال: يا محمد زملت القرآن^(٤).

(١) أخرجه البزار بسنده ومثنه (مختصر زوائد مسند البزار ١١٣/٢ ح ١٥٢١) وسنده ضعيف جداً لأن معلى بن عبد الرحمن متهم بالوضع (التقريب ص ٥٤١) وينظر المصدر السابق فقد قال الحافظ ابن حجر: كذبوه. وينظر: (مجمع الزوائد ٧/١٣٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. (٤) سنده حسن.

وقوله تعالى: ﴿بَصِّفْهُ﴾ بدل من الليل ﴿أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أي: أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ أي: اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة رضي الله عنها: كان يقرأ السورة فيرتها حتى تكون أطول من أطول منها.

وفي صحيح البخاري، عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدّاً ثم قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمدُّ بسم الله، ويمدُّ الرحمن، ويمدُّ الرحيم^(١).

وقال ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كانت يقطع قراءته آية آية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ [الفاصلة]. رواه أحمد وأبو داود والترمذي^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»^(٣). ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سفيان الثوري به، وقال الترمذي: حسن صحيح^(٤).

وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء في الحديث: «زينوا القرآن بأصواتكم»^(٥) و«ليس منّا من لم يتغن بالقرآن»^(٦) و«لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود» يعني: أبا موسى، فقال أبو موسى: لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيراً^(٧).

وعن ابن مسعود أنه قال: لا تنثروه نثر الرمل، ولا تهذّوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة. رواه البغوي^(٨).

وقال البخاري: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا عمرو بن مرة: سمعت أبا وائل قال: جاء

(١) تقدم تخريجه في تفسير البسمة. (٢) تقدم تخريجه في تفسير البسمة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٠٤/١١ ح ٦٧٩٩) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٤) سنن أبي داود، الصلاة، باب استحباب الترتيل في الصلاة (ح ١٤٦٤)؛ وسنن الترمذي، ثواب القرآن، باب الذي ليس في بيته قرآن كالبيت الخرب (ح ٢٩١٥)؛ والسنن الكبرى، فضائل القرآن، باب الترتيل (ح ٨٠٥٦)؛ وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح ١٣٠٠).

(٥) أخرجه البخاري تعليقاً ووصله في كتاب «خلق أفعال العباد ص ٣٤» من حديث البزار رضي الله عنه؛ وكذا وصله أبو داود (السنن، الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ح ١٤٦٨)؛ وكذا وصله الحاكم من طرق كثيرة عن البراء؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٥٧٢/١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٣٠٣)؛ وأخرجه الدارقطني في الأفراد بسند حسن من حديث ابن عباس. (ينظر فتح الباري ٥١٩/١٣).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجر آية ٨٧. (٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة سبأ آية ١٠.

(٨) أخرجه البغوي من طريق إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود. (معالم التنزيل ٤٠٧/٤) ويشهد له حديث البخاري التالي.

رجل إلى ابن مسعود فقال: قرأت المفصل الليلة في ركعة. فقال هذا كهذا^(١) الشعر لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهما، فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في ركعة^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ قال الحسن وقتادة: أي العمل به^(٣).

وقيل: ثقیل وقت نزوله من عظمته^(٤)، كما قال زيد بن ثابت ؓ: أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فكادت ترض فخذي^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمرو بن الوليد، عن عبد الله بن عمرو قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تقبض»^(٦). تفرد به أحمد.

وفي أول صحيح البخاري، عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة ؓ: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول» قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً^(٧)، هذا لفظه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرحمن، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ؓ قالت: إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرائنها^{(٨)(٩)}.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرائنها، فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه^(١٠). وهذا مرسل، الجران هو باطن العنق، واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معاً، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين^(١١).

(١) الهذ: سرعة القراءة.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثنه وزيادة (الصحيح، الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ح ٧٧٥) ولقد ذكر الحافظ ابن حجر عدة روايات تفصح عن السور النظائر (فتح الباري ٢/٢٥٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٤) ورد بذلك عدة أحاديث ثابتة (ينظر: المسند ٤١/٣٦٢ ح ٢٤٨٦٨) مع الحاشية.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء آية ٩٥.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه، وضعف سنده محققوه. (المسند ١١/٦٤٢ ح ٧٠٧١).

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة الشورى آية (٥). (٨) بكسر الجيم أي: باطن العنق.

(٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه (المسند ٤١/٣٦٢ ح ٢٤٨٦٨) وحسن سنده محققوه؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٥٠٥).

(١٠) أخرجه الطبري بسنده ومثنه، وسنده مرسل ويشهد له سابقه.

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ ❶ قال أبو إسحاق: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: نشأ، قام بالحشية^(١).

وقال عمر وابن عباس وابن الزبير: الليل كله ناشئة^(٢)، وكذا قال مجاهد^(٣) وغير واحد، يقال نشأ إذا قام من الليل وفي رواية عن مجاهد: بعد العشاء، وكذا قال أبو مجلز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر^(٤).

والغرض أن ناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهي الآنات، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة، ولهذا قال تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس ولغظ الأصوات وأوقات المعاش.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش، أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ فقال له رجل: إنما نقرؤها ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾، فقال له: إن أصوب وأقوم وأهياً وأشباه هذا واحد^(٥).

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ ❷ قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي مسلم: الفراغ والنوم^(٦).

وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وسفيان الثوري: فراغاً طويلاً^(٧).

وقال قتادة: فراغاً وبغية ومتقلباً^(٨).

وقال السدي: ﴿سَبْعًا طَوِيلًا﴾ تطوعاً كثيراً.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ ❷ قال: لحوائجك فأفرغ لدينك الليل، قال: وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم إن الله تبارك وتعالى منّ على عباده فخففها ووضعها وقرأ: ﴿فَرِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ❷ إلى آخر الآية، ثم قرأ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ

(١) أخرجه الطبري بعدة أسانيد صحيحة من طريق أبي إسحاق به، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من عمرو بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود (المصنف ١٥٩/٧).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري والبيهقي (السنن الكبرى ٢٠/٣) بسند حسن من طريق سليمان التيمي عن أبي مجلز، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن الحسن البصري.

(٥) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ٨٨/٧ ح ٤٠٢٢)؛ وسنده ضعيف لأن الأعمش لم يسمع من أنس؛ (جامع التحصيل ص ٢٢٨) وضعفه محقق مسند أبي يعلى، والقراءة بلفظ «وأصوب» شاذة تفسيرية.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

أَنَّكَ تَقُومُ أَذَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنِصْفِهِمْ ﴿١﴾ حتى بلغ ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْشُرُ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ أَلَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٨٦] ^(١) وهذا الذي قاله كما قاله.

والدليل عليه ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال: حدثنا يحيى، حدثنا سعيد وهو: ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة لبيع عقاراً له بها، ويجعله في الكراع والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت، فلقي رهطاً من قومه فحدثوه أن رهطاً من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فقال: «أليس لكم في أسوة حسنة؟» فنهاهم عن ذلك فأشهدهم على رجعتها، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال: ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: أنت عائشة فسألها ثم ارجع إلي فأخبرني بردها عليك. قال: فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها فقال: ما أنا بقاربها إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً فأبت فيها إلا مضياً، فأقسمت عليه، فجاء معي فدخلنا عليها فقالت: حكيم؟ وعرفته. قال: نعم. قالت: من هذا الذي معك؟ قال: سعيد بن هشام. قالت: من هشام؟ قال: ابن عامر: قالت: فترحمت عليه وقالت: نعم المرء كان عامراً. قلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: أأستقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن، فهممت أن أقوم ثم بدا لي قيام رسول الله ﷺ، قلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ. قالت: أأستقرأ هذه السورة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة.

فهممت أن أقوم ثم بدا لي وتر رسول الله ﷺ فقلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ قالت: كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلي ثمان ركعات ولا يجلس فيهن إلا عند الثامنة، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم ينهض وما يسلم، ثم يقول ليصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ثم يدعوه ثم يسلم تسليماً يسمعنا، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم، فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني، فلما أسن رسول الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك تسع يا بني، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان. فأتيت ابن عباس فحدثته بحدِيثها، فقال: صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيها حتى تشافهني مشافهة ^(٢)، هكذا رواه الإمام أحمد بتمامه، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بنحوه ^(٣).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٠/٣١٤ - ٣١٦ ح ٢٤٢٦٩) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل (ح ٧٤٦).

طريق أخرى عن عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى:

قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا زيد بن الحباب، وحدثنا ابن حميد، حدثنا مهران قالاً جميعاً، واللفظ لابن وكيع، عن موسى بن عبيدة، حدثني محمد بن طحلاء، عن أبي سلمة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرج كالمغضب، وكان بهم رحيماً، فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل فقال: «أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملّ من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه» ونزل القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ ﴿١﴾ قُرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴿٤﴾﴾ حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردّهم إلى الفريضة وترك قيام الليل^(١).

ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف، والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة، وهذا السياق قد يوهم أن نزول هذا السورة بالمدينة وليس كذلك، وإنما هي مكية وقوله في هذا السياق إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر. غريب، فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن مسعر، عن سماك الحنفي، سمعت ابن عباس يقول: أول ما نزل أول المزمّل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة^(٢)، وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن أبي أسامة به^(٣).

وقال الثوري ومحمد بن بشر العبدي، كلاهما عن مسعر، عن سماك، عن ابن عباس: كان بينهما سنة^(٤)، وروى ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن قيس بن وهب، عن أبي عبد الرحمن قال: لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ ﴿١﴾﴾ قاموا حولاً حتى ورمّت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنْهُ﴾ [المزمّل: ٢٠] قال: فاستراح الناس^(٦). وكذا قال الحسن البصري والسدي.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن زرار بن أوفى، عن سعيد بن هشام قال: فقلت - يعني

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة، كما قرر الحافظ ابن كثير في رواية ابن أبي حاتم التالية، ويتقوى برواية الشيخين فقد أخرجاه مختصراً دون ذكر الآية. (صحيح البخاري، الأذان، باب صلاة الليل ح ٧٣٠)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم... ح ٧٨٢).

(٢) سنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وسنده صحيح. (٤) سنده صحيح.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده مرسل ويشهد له ما سبق.

لعائشة - أخبرينا عن قيام رسول الله ﷺ. قالت: أَلَسْتُ تَقْرَأُ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإنها كانت قيام رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهراً ثم نزل^(١).

وقال معمر، عن قتادة: ﴿فَرُّ أَيْلٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قاموا حولاً أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم، فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة^(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد - هو: ابن جبير - قال: لما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ قال: مكث النبي ﷺ على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي أَيْلٍ وَنُصْفَهُ وَلَكِنَّهُ طَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [المزمل: ٢٠] فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين^(٣)، ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن عمرو بن رافع، عن يعقوب القمي به^(٤).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَرُّ أَيْلٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ نُصْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي أَيْلٍ وَنُصْفَهُ وَلَكِنَّهُ طَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ رَضِئٌ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِسُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيق^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: أكثر من ذكره وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنيائك كما قال تعالى: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: أي: إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته وعبادته لتكون فارغ البال، قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه.

قال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: أخلص له العبادة^(٦).

وقال الحسن: اجتهد وأبتل إليه نفسك^(٧).

(١) أخرجه مسلم من طريق قتادة به بلفظ: «حولاً. بدلاً من ستة عشر شهراً» (الصحيح، صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ح ٧٤٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل ويشهد لقوله: حولاً رواية مسلم السابقة.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإرساله وضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي، وقد توبع كما سيأتي في رواية ابن أبي حاتم لكن تبقى علة الإرسال.

(٤) سنده ضعيف لإرساله.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٦) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر ويتقوى بما يليه، فقد أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه عبد بن حميد (كما في تعليق التعليق ٣٤٩/٤) وابن أبي شيبه (المصنف ١٣/٥٦٩) بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أشعث عن الحسن، وأشعث هو ابن سوار الكندي وهو ضعيف (التقريب ص ١١٣ وتهذيب التهذيب ٣٥٢/١، ٣٥٣).

وقال ابن جرير: يقال للعابد: متبتل، ومنه الحديث المروي: نهى عن التبتل^(١) يعني: الانقطاع إلى العبادة وترك الزوج.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي: هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة فأفردته بالتوكل فاتخذته وكيلاً كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وكقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة] وآيات كثيرة في هذا المعنى فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْرِجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا (١٦) فَكَيْفَ تَنْفِقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨).

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجراً جميلاً، وهو الذي لا عتاب معه، ثم قال له متهدداً لكفار قومه ومتوعداً، وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ﴾ أي: دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ أي: رويداً كما قال: ﴿تَمَتَّعْهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ١٤] ولهذا قال ههنا: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ وهي القيود. قاله ابن عباس وعكرمة وطاوس ومحمد بن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو عمران الجوني وأبو مجلز والضحاك وحمام بن أبي سليمان وقتادة والسدي وابن المبارك والثوري وغير واحد^(٢).

﴿وَجَحِيمًا﴾ وهي السعير المضطربة ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال ابن عباس: ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج^(٣).

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ أي: تزلزل ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ أي: تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ثم إنها تنسف نفساً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير

(١) ذكره الطبري بنحوه والحديث أخرجه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (الصحيح، النكاح، باب ما يكره من التبتل ح ٥٠٧٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢٨٨/٨)؛ والطبري بسند جيد من طريق أبي عمرو الملائي عن عكرمة؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند حسن من طريق مبارك، وهو ابن فضالة، عن الحسن البصري؛ وأخرجه أبو نعيم بسند حسن من طريق منصور عن مجاهد (حلية الأولياء ٢٩٨/٣)؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الثوري عن حماد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري والحاكم بسند حسن من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس؛ وصححه الحاكم وتعبه الذهبي بقوله: شبيب ضعفه. (المستدرک ٥٠٤/٢).

الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً؛ أي: وادياً ولا أمتاً، أي: رابية، ومعناه: لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع.

ثم قال تعالى مخاطباً لكفار قريش والمراد سائر الناس: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: بأعمالكم ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ ﴿فَصَيَّرَ فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَيْلًا﴾ ﴿١١﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والثوري: ﴿أَخْذًا وَيْلًا﴾ أي: شديداً^(١)؛ أي: فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ ﴿١٥﴾ [النازعات] وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتكم رسولكم؛ لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران، ويروى عن ابن عباس ومجاهد.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿٧﴾ يحتمل أن يكون يوماً معمولاً لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود «فكيف تخافون أيها الناس يوماً يجعل الولدان شيباً» إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به^(٢)؟ ويحتمل أن يكون معمولاً لكفرتم فعلى الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم؟ وعلى الثاني كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه؟ وكلاهما معنى حسن، ولكن الأول أولى، والله أعلم.

ومعنى قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ أي: من شدة أهواله وزلازله وبلابله، وذلك حين يقول الله تعالى لآدم: ابعث بعث النار. فيقول: من كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة.

قال الطبراني: حدثنا يحيى بن أيوب العلاف، حدثنا سعيد بن [أبي مريم]^(٣)، حدثنا نافع بن يزيد، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ قال: «ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم: قم فابعث من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: من كم يا رب؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد». فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال: حين أبصر ذلك في وجوههم «إن بني آدم كثير، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وإنه لا يموت منهم رجل [حتى يُرى]^(٤) لصلبه ألف رجل ففيهم وفي أشباههم جنة لكم»^(٥). هذا حديث غريب وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه [الأحاديث]^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) ذكره الطبري تعليقاً وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٣) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل ضحف إلى: «هزيم».

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١/٣٦٦ ح ١٢٠٣٤)، وسنده ضعيف لضعف عثمان بن عطاء الخراساني، (ينظر مجمع الزوائد ٧/١٣٠)، والتقريب ص ٣٨٥ وعطاء الخراساني اختلط.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

وقوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ قال الحسن وقتادة: أي بسببه من شدته وهوله^(١).
ومنه من يعيد الضمير على الله تعالى: [ويروى عن ابن عباس ومجاهد]^{(٢)(٣)} وليس بقوي؛
لأنه لم يجر له ذكر ههنا.
وقوله تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ أي: كان وعد هذا اليوم مفعولاً؛ أي: واقعاً لا محالة
وكائناً لا محيد عنه.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ
ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَتُلْئِي اللَّيْلَ وَنُصْفَهُ وَأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ الْآيَاتِ وَالنَّهَارَ عَلِيمٌ أَن لَّنْ نُّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ مَا
يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُؤٌ وَمَأْخُذٌ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ مِنْ خَلْقٍ
مُّبِينٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ مَا يَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا وَمَا تَقْلِبُوهَا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ
يُجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٠﴾.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: السورة ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾ أي: يتذكر بها أولو الألباب، ولهذا قال
تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي: ممن شاء الله تعالى هدايته كما قيده في السورة
الأخرى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿٢١﴾ [الإنسان].

ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَتُلْئِي اللَّيْلَ وَنُصْفَهُ وَأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ الْآيَاتِ وَالنَّهَارَ عَلِيمٌ أَن لَّنْ نُّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: تارة هكذا
وتارة هكذا، وذلك كله من غير قصد منكم ولكن لا تقدر على المواظبة على ما أمركم به من
قيام الليل؛ لأنه يشق عليكم؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُفْعَلُ الْآيَاتِ وَالنَّهَارَ﴾ أي: تارة يعتدلان وتارة يأخذ
هذا من هذا وهذا من هذا.

﴿عَلِمَ أَن لَّنْ نُّحْصُوهُ﴾ أي: الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿فَاقْرَأْ مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: من
غير تحديد بوقت؛ أي: ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما قال
في سورة سبحان ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: بقراءتك ﴿وَلَا تَخَافَتْ بِهَا﴾
[الإسراء: ١١٠].

وقد استدل أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمهم الله بهذه الآية وهي قوله: ﴿فَاقْرَأْ مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾
على أنه لا يجب تعين قراءة الفاتحة في الصلاة بل لو قرأ بها أو غيرها من القرآن ولو بأية،
أجزأه واعتضدوا بحديث المسيء صلاته الذي في الصحيحين: «ثم اقرأ ما تيسر معك من
القرآن»^(٤) وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو في الصحيحين أيضاً أن

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن بلفظ: «موقرة مثقلة»؛ وأخرجه الطبري بسند
صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «مثقلة يوم القيامة».

(٢) زيادة من (حم).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «تشقق السماء حين ينزل الرحم من جل
وعز»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «مثقلة به».

(٤) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (صحيح البخاري، باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه
بالإعادة ح ٧٩٣؛ وصحيح مسلم، الأذان، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح ٣٩٧).

رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(١)، وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج غير تمام»^(٢) وفي صحيح ابن خزيمة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأم القرآن»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْحُومٌ وَيَاخِرُونَ يَصْرِيحُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعداء في ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله، وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد، فهي من أكبر دلائل النبوة لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلية، ولهذا قال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنْهُ﴾ أي: قوموا بما تيسر عليكم منه.

قال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء محمد، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به إنما يصلي المكتوبة؟ قال: يتوسد القرآن لعن الله ذاك، قال الله تعالى للعبد الصالح: ﴿وَأَنَّهُ لَذُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨] ﴿وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] قلت: يا أبا سعيد، قال الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ قال: نعم ولو خمس آيات^(٤).

وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري أنه كان يرى حقاً واجباً على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل، ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح، فقال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنه»^(٥) فقليل معناه نام عن المكتوبة، وقيل: عن قيام الليل، وفي السنن «أوتروا يا أهل القرآن»^(٦)، وفي الحديث الآخر: «من لم يوتر فليس منا»^(٧) وأغرب من هذا ما حكى عن أبي بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من إيجابه قيام شهر رمضان، فالله أعلم.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن سعيد فرقد [الجدي]، حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدي، حدثنا عبد الرحمن، عن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس، عن أبيه، عن

(١) تقدم تخريجه في فضل سورة الفاتحة. (٢) تقدم تخريجه في فضل سورة الفاتحة.

(٣) تقدم تخريجه في فضل سورة الفاتحة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده بلفظ: «ولو خمسين آية». وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(صحيح البخاري، التهجد، باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه ح ١١٤٤)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ح ٧٧٤.

(٦) أخرجه أبو داود من حديث علي رضي الله عنه، السنن، الصلاة، باب استحباب الوتر (ح ١٤١٦)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٢٥٦).

(٧) أخرجه أبو داود من حديث بُريدة رضي الله عنه (السنن، الصلاة، باب فيمن لم يوتر ح ١٤١٩)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود؛ وأخرجه الحاكم وصححه وتعبه الذهبي بأن أبا المنيب العتكي عنده مناكير. (المستدرک ١/ ٣٠٥).

طاوس، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ﴾ قال: «مائة آية»^(١). وهذا حديث غريب جداً لم أره إلا في معجم الطبراني رحمه الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة، وهذا يدل لمن قال إن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم.

وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف: إن هذه الآية نُسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل^(٢)، واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدم، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل: «خمس صلوات في اليوم والليلة» قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني: من الصدقات، فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نُحْدِثْهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ أي: جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟» قالوا: يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال: «اعلموا ما تقولون» قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله؟ قال: «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر»^(٤). ورواه البخاري من حديث حفص بن غياث والنسائي من طريق أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به^(٥).

ثم قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها فإنه غفور رحيم لمن استغفره.

آخر تفسير سورة المزل، والله الحمد والمنة، وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه.

(١) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٢٩/١١ ح ١٠٩٤٠) وقال الهيثمي فيه عبد الرحمن بن طاوس، ولم أعرفه (مجمع الزوائد ١٣٣/٧).

(٢) أخرجه ابن الجوزي بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً بسند حسن من طريق مبارك، وهو ابن فضالة، عن الحسن، وهو مرسل ويتقوى بسابقه (نواسخ القرآن ص ٤٩٦ - ٤٩٨).

(٣) صحيح البخاري، الإيمان، باب الزكاة من الإسلام (ح ٤٦)؛ وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام (ح ١١).

(٤) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٩٧/٩ ح ٥١٦٣) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له (ح ٦٤٤٢)؛ وسنن النسائي، الوصايا، باب الكراهية في تأخير الوصية ٢٣٧/٦.

سُورَةُ الْمَدَّثَرِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّثَرُ﴾ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ③ وَتَبَّكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ⑧ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ⑩ .

ثبت في صحيح البخاري من حديث يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن جابر أنه كان يقول: أول شيء نزل من القرآن ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّثَرُ﴾ ① . وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ⑧ [العلق] كما سيأتي ذلك هنالك إن شاء الله تعالى.

قال البخاري: حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّثَرُ﴾ ① قلت: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ⑧ ؟ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لي فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاوزت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا عليّ ماء بارداً، قال: فدثروني وصبوا عليّ ماء بارداً، قال: فنزلت: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّثَرُ﴾ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ③» ① . هكذا ساقه من هذا الوجه. وقد رواه مسلم ② من طريق عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلي فقلت: زملوني زملوني فزملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّثَرُ﴾ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② إلى ﴿فَاهْجُرْ﴾ ⑤ قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان. ثم حمي الوحي وتتابع هذا لفظ البخاري ③ ، وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، سورة المدثر، باب رقم ١ (ح ٤٩٢٢).

(٢) صحيح مسلم، الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (ح ٢٥٦).

(٣) أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن الليث عن عقيل به. (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾

⑤ [المدثر] ح ٤٩٢٦).

لقوله: «فإذا الملك الذي جاءني بحراء» وهو جبريل حين أتاه بقوله: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَفْرَأَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ [العلق]، ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا.

ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة، كما قال الإمام أحمد^(١): حدثنا حجاج، حدثنا ليث، حدثنا عقيل، عن ابن شهاب قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثم فتر الوحي عني فترة فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجثيت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض، فجثت أهلي فقلت لهم زملوني زملوني فزملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِّثَرُ﴾ (١) ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢) وَرَبِّكَ فَكَذِّرْ ﴿٣﴾ وَتِلْكَ فَطَهَّرَ ﴿٤﴾ وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ ﴿٥﴾ ثم حمي الوحي وتتابع» أخرجاه من حديث الزهري به^(٢).

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار، حدثنا الحسن بن بشر البجلي، حدثنا المعافى بن عمران، عن إبراهيم بن يزيد: سمعت ابن أبي مليكة يقول: سمعت ابن عباس يقول: إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً، فلما أكلوا منه قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: بل سحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثر، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِّثَرُ﴾ (١) ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢) وَرَبِّكَ فَكَذِّرْ ﴿٣﴾ وَتِلْكَ فَطَهَّرَ ﴿٤﴾ وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ تَشْتَكِرْ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢) أي: شمر عن ساق العزم وأنذر الناس، وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة.

﴿وَرَبِّكَ فَكَذِّرْ﴾ (٣) أي: عظم.

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ فَطَهَّرَ﴾ (٤) قال الأجلح الكندي، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية ﴿وَتِلْكَ فَطَهَّرَ﴾ (٤) قال: لا تلبسها على معصية ولا على غدره. ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

فإنني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره أتقنع^(٤)

وقال [ابن جريج]^(٥): عن عطاء، عن ابن عباس في الآية ﴿وَتِلْكَ فَطَهَّرَ﴾ (٤) قال: في كلام العرب نقي الثياب وفي رواية بهذا الإسناد فطهر من الذنوب^(٦)، وكذا قال إبراهيم

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣/٣٢٥)، وسنده صحيح.

(٢) انظر المصدرين السابقين من الصحيحين.

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١/١٢٥ ح ١١٢٥٠)، وسنده ضعيف جداً لأن إبراهيم بن يزيد الخوزي متروك. (مجمع الزوائد ٧/١٣٤).

(٤) أخرجه الطبري بعدة أسانيد من طريق الأجلح به، وسنده حسن، وله شواهد تقويه كما يلي.

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: ابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري من طريق عن ابن جريج به، وسنده حسن.

والشعبي وعطاء^(١).

وقال الثوري، عن رجل، عن عطاء، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: من الإثم^(٢)، وكذا قال إبراهيم النخعي. وقال مجاهد: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: نفسك ليس ثيابك، وفي رواية عنه ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: عملك فأصلح^(٣)، وكذا قال أبو رزين^(٤)، وقال في رواية أخرى: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا^(٥).

وقال قتادة: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهرها من المعاصي، وكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث ولم يف بعهد الله: إنه لدنس الثياب، وإذا وقى وأصلح إنه لمطهّر الثياب^(٦). وقال عكرمة والضحاك: لا تلبسها على معصية^(٧). وقال الشاعر^(٨):

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ يعني: لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب، ويقال: لا تلبس ثيابك على معصية^(٩).

وقال محمد بن سيرين: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: اغسلها بالماء^(١٠). وقال ابن زيد: وكان المشركون لا يتطهرون فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه^(١١)، وهذا القول اختاره ابن جرير، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت هجري فأجملي
إن تك قد ساءت منك خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل^(١٢)
وقال سعيد بن جبير: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ وقلبك ونيتك فطهره^(١٣).

(١) أخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً من طريق مغيرة عن إبراهيم.
(٢) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن عطاء، ويتقوى بما سبق وأخرجه الحاكم من طريق سفيان عن ابن جريج عن عطاء به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٥٠٦/٢).
(٣) أخرجه الطبري بسند فيه شيخ الطبري وهو: يحيى بن طلحة اليربوعي: لين الحديث. (التقريب ص ٥٩٢) ولكنه قد توبع بواسطة سعيد بن منصور وعبد بن حميد إذا عزاه السيوطي إليهما، وهما من طبقة شيوخ الطبري.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق منصور عن أبي رزين. (المصنف ٢١٧/٨).
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
(٧) أخرجه الطبري وابن عبد البر. (التمهيد ٢٣٦/٢٢) بسند حسن من طريق الأجلح الكندي عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.
(٨) هو: دكين بن رجاء، واستشهد به ابن قتيبة. (الشعر والشعراء ٦١٢/٢).
(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. ويشهد له ما سبق.
(١٠) أخرجه الطبري من طريق ابن عون عن محمد بن سيرين، وبعض رجاله لم أقف على ترجمة لهم.
(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(١٢) ديوان امرئ القيس ص ٣٧.
(١٣) ذكره البغوي تعليقا. (معالم التنزيل ٤١٣/٤).

وقال محمد بن كعب القرظي والحسن البصري: وخلقك فحسن^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ ۝﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: والرجز وهو الأصنام فاهجر^(٢)، وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد: إنها الأوثان^(٣).

وقال إبراهيم والضحاك: ﴿وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ ۝﴾ أي: اترك المعصية^(٤)، وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ شَتَاكُ ۝﴾ قال ابن عباس: لا تعط العطية تلتبس أكثر منها^(٥)، وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الأحوص وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم^(٦).

وروي عن ابن مسعود أنه قرأ: «ولا تمن أن تستكثر»^(٧).

وقال الحسن البصري: لا تمن بعملك على ربك تستكثره^(٨)، وكذا قال الربيع بن أنس^(٩)، واختاره ابن جرير.

وقال خصيف، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّ شَتَاكُ ۝﴾ قال: لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمن في كلام العرب: تضعف^(١٠).

وقال ابن زيد: لا تمن بالنبوة على الناس تستكثروهم بها تأخذ عليه عوضاً من الدنيا^(١١). فهذه أربعة أقوال، والأظهر القول الأول، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ قَاصِرٌ ۝﴾ أي: اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك وَكَلِّ. قاله مجاهد^(١٢).

(١) ذكره البغوي تعليقا. (معالم التنزيل ٤/٤١٣).

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري عن إبراهيم بسند فيه ابن حميد شيخ الطبري، وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف وقد تابعه عبد بن حميد وسعيد بن منصور كما عزاه السيوطي إليهما، وهما من طبقة شيوخ الطبري، وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما يليه.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم. (المصنف ٥/٣١٩). وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سلمة - وهو ابن نبيط - عن الضحاك، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) ذكره الطبري تعليقا، وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق سفيان بن حسين عن الحسن البصري. (المصنف ٥/٣١٩).

(٩) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق خصيف عن مجاهد، وخصيف: سيئ الحفظ.

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

وقال إبراهيم النخعي: اصبر عطيتك لله ﷺ^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (٨) ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (٩) ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ يُسِيرٌ﴾ (١٠) قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وابن زيد: ﴿النَّاقُورُ﴾ الصور^(٢).

قال مجاهد: وهو كهية القرن^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أسباط بن محمد، عن مطرف، عن عطية العوفي، عن ابن عباس ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (٨) فقال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟» فقال: قال أصحاب رسول الله ﷺ: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا». وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط به، ورواه ابن جرير عن أبي كريب، عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به، ورواه من طريق أخرى عن العوفي عن ابن عباس به^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (٩) أي: شديد ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ يُسِيرٌ﴾ (١٠) أي: غير سهل عليهم كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [القمر: ٨]، وقد روينا عن زُرارة بن أوفى قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح، فقرأ هذه السورة فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (٨) ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (٩) ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ يُسِيرٌ﴾ (١٠) شهِقَ شَهْقَةً ثُمَّ خَرَّ مِتًّا ﷺ^(٥).

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (١١) ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ (١٢) ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ (١٣) ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَہْجَةً﴾ (١٤) ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ (١٥) ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينًا﴾ (١٦) ﴿سَاءَ لِقَاءُ صَعُدُوا﴾ (١٧) ﴿إِنَّهُمْ فَكَّرُوا وَقَدَّرُوا﴾ (١٨) ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرُوا﴾ (١٩) ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرُوا﴾ (٢٠) ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ (٢١) ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ (٢٢) ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (٢٣) ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سَحَرٌ يُؤْتَرُ﴾ (٢٤) ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (٢٥) ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ (٢٦) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ (٢٧) ﴿لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ﴾ (٢٨) ﴿لَوْلَا تِلْكَ آيَاتُ الْبَشَرِ﴾ (٢٩) ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠).

يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرًا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر، وقد عدَّد الله عليه نعمه حيث قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (١١) أي: خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى: ﴿مَالًا مَمْدُودًا﴾ (١٢) أي: واسعاً كثيراً قيل: ألف دينار^(٦)، وقيل: مائة ألف دينار،

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مغيرة عن إبراهيم.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(٣) أخرجه الطبري بالسند الصحيح المتقدم عن مجاهد.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران آية ١٧٣.

(٥) أخرجه أبو نعيم (الحلية ٢/٢٥٨) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٥٠٦).

(٦) أخرجه الطبري بسندين مرسلين عن مجاهد وسعيد بن جبیر، وهذان المرسلان يقوي أحدهما الآخر.

وقيل: أرضاً يستغلها^(١)، وقيل غير ذلك وجعل له ﴿وَيَنْبَغُ شُهُودًا﴾.

قال مجاهد: لا يغيبون؛ أي: حضوراً عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليتهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم، وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم، وكانوا فيما ذكره السدي وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة: ثلاثة عشر.

وقال ابن عباس ومجاهد: كانوا عشرة^(٢). وهذا أبلغ في النعمة وهو إقامتهم عنده ﴿وَمَهَّدَتْ لَهُمْ مَهْيَدًا﴾ أي: مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ كَانُوا لِآيَاتِنَا عِندًا ﴿١١﴾ أي: معاندأ وهو الكفر على نعمه بعد العلم قال الله تعالى: ﴿سَأَرْهَقُهُمْ ضَعُودًا﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، عن درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «ويل: وإد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً، قبل أن يبلغ قعره، والصعود: جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً، ثم يهوي به كذلك فيه أبداً»^(٣). وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن الحسن بن موسى الأشيب به، ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن درّاج، كذا قال، وقد رواه ابن جرير عن يونس، عن عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن درّاج^(٤). وفيه غرابة ونكارة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن المعروف بعلّان المقرئ قال: حدثنا منجاب، أخبرنا شريك، عن عمار الدهني، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ﴿سَأَرْهَقُهُمْ ضَعُودًا﴾ قال: «هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت»^(٥). ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به^(٦).

وقال قتادة، عن ابن عباس: ﴿ضَعُودًا﴾ صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه^(٧).

وقال السدي: صعوداً صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها.

وقال مجاهد: ﴿سَأَرْهَقُهُمْ ضَعُودًا﴾ أي: مشقة من العذاب^(٨).

وقال قتادة: عذاباً لا راحة فيه^(٩)، واختاره ابن جرير.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق شعبة عن النعمان بن سالم بلفظ: «الأرض».

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق إسماعيل بن إبراهيم عن أبيه عن مجاهد، وإسماعيل بن إبراهيم هو ابن مهاجر وهو ضعيف. (التقريب ص ١٠٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٧٥/٣)، وسنده ضعيف لضعف رواية درّاج عن أبي الهيثم.

(٤) سنن الترمذي، صفة جهنم، باب ما جاء في صفة قعر جهنم (ج ٢٥٧٩) وتفسير الطبري، وسنده ضعيف كسابقه.

(٥) سنده ضعيف لاختلاط شريك وضعف عطية العوفي.

(٦) أخرجه الطبري، وأعله الهيثمي بعطية. (مجمع الزوائد ١٣٤/٧).

(٧) سنده ضعيف لأن قتادة لم يسمع من ابن عباس، وعزاه البغوي إلى الكلبي بنحوه. (معالم التنزيل ٤١٥/٤).

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ﴾ أي: إنما أرهقناه صعوداً؛ أي: قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر؛ أي: تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يخلق من المقال ﴿وَقَدَّرَ﴾ أي: تروى ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿۝١٥﴾ دعاء عليه ﴿ثُمَّ نَظَرَ ۖ﴾ أي: أعاد النظرة والتروي ﴿ثُمَّ عَسَّ﴾ أي: قبض بين عينيه وقطب ﴿وَبَسَّرَ﴾ أي: كلح وكره، ومنه قول توبة بن الحُمَيْر:

وقد رابني منها صدود رأيتَه وإعراضها عن حاجتي ويُسُوْرُها^(١)

وقوله: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ﴾ أي: صرف عن الحق ورجع القهقهري مستكبراً عن الانقياد للقرآن ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ﴾ أي: هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم، ولهذا قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ﴾ أي: ليس بكلام الله، وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله، وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي عن ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبا^(٢) الوليد لتصبو قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم ترَ إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألسنت أكثرهم مالاً وولداً؟ فقال أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، فقال الوليد: أقد تحدث به عشيرتي؟ فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾ إلى قوله: ﴿لَا بَقِيَّ وَلَا نَذَرٌ ۖ﴾^(٣).

وقال قتادة: زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر وإن له لحلاوة، وإنه عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وما أشك أنه سحر فأنزل الله: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ﴾ الآية^(٤).

﴿ثُمَّ عَسَّ وَبَسَّرَ ۖ﴾ قبض ما بين عينيه وكلح.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عباد بن منصور، عن عكرمة، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكانه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام فأتاه فقال: أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال:

(١) استشهد به معمر بن المثنى. (مجاز القرآن ٢/ ٢٧٥) والطبري.

(٢) أي: خرج من الملة، وكانوا على الشرك.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وله شواهد ومتابعات تقويه كما يليه، فقد أخرجه الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/ ٥٠٦ - ٥٠٧)، وأخرج الطبري بسند رجاله ثقات عن مجاهد أنه الوليد بن المغيرة يوم دار الندوة وهو مرسل ويتقوى بالمراسيل التالية.

(٤) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة ولكنه مرسل ويتقوى بالمراسيل الأخرى ويقويه.

لَمْ؟ قال: يعطونكه فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أنني أكثرهم مالاً، قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال: وأنت كاره له، قال: فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلو. قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أتفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾ حتى بلغ ﴿تَسْعَةَ عَشَرَ﴾^(١).

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوه من هذا، وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه، فقال قائلون: شاعر وقال آخرون: ساحر، وقال آخرون: كاهن، وقال آخرون: مجنون كما قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٥٨﴾ [الإسراء] كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه، ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر، فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر^(٢)، قال الله تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَفَرًا ۝٥٩﴾ أي: سأغمره فيها من جميع جهاته.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا أَزِدْكَ مَا سَفَرًا ۝٦٠﴾ وهذا تهويل لأمرها وتفخيم، ثم فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا بُقَىٰ وَلَا نَذْرٌ ۝٦١﴾ أي: تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك، وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون، قاله [مزيدة]^(٣) وأبو سنان وغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿لَوَأْمَةٌ لِلْبَشَرِ ۝٦٢﴾ قال مجاهد: أي للجلد^(٤).

وقال أبو رزين: تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل^(٥).

وقال زيد بن أسلم: تلوح أجسادهم عليها^(٦).

وقال قتادة: ﴿لَوَأْمَةٌ لِلْبَشَرِ ۝٦٢﴾ أي: حرقاة للجلد^(٧).

وقال ابن عباس: تحرق بشرة الإنسان^(٨).

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٦٣﴾ أي: من مقدمي الزبانية عظيم خلقهم، غليظ خلقهم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا ابن أبي زائدة، أخبرني حارث، عن عامر، عن البراء في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٦٣﴾ قال: إن رهطاً من

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده مرسل يتقوى بما سبق.

(٢) سنده ضعيف ويتقوى بما سبق.

(٣) كذا في تفسير الطبري، وفي الأصل صحف إلى ابن بريدة، فقد أخرجه الطبري من طريق ابن أبي ليلى عن مزينة بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل عن أبي رزين.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بن أسلم بنحوه.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ويتقوى بما سبق.

اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم فقال: الله ورسوله أعلم، فجاء الرجل فأخبر النبي ﷺ فأنزل الله تعالى عليه ساعته: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝﴾ فأخبر أصحابه وقال: «ادعهم أما إني سائلهم عن تربة الجنة إن أتوني، أما إنها درمكة بيضاء» فجأؤوه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية ثم قال: «أخبروني عن تربة الجنة» فقالوا: أخبرهم يا ابن سلام، فقال: كأنها خبزة بيضاء: فقال رسول الله ﷺ: «أما إن الخبز إنما يكون من الدرمل»^(١)»^(٢).

هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء والمشهور، عن جابر بن عبد الله كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا أحمد بن عبدة، أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد غلب أصحابك اليوم. فقال: «بأي شيء؟» قال: سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ قال رسول الله ﷺ: «أفغلب قوم يسألون عما لا يعلمون فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ؟ عليّ بأعداء الله لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة» فأرسل إليهم فدعاهم قالوا: يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار؟ قال: «هكذا» وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة، وقال لأصحابه: «إن سئلتهم عن تربة الجنة فهي الدرمل» فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله ﷺ: «ما تربة الجنة؟» فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: خبزة يا أبا القاسم. فقال: «الخبز من الدرمل»^(٣). وهكذا رواه الترمذي عند هذه الآية عن ابن أبي عمر، عن سفيان به^(٤)، وقال هو والبزار: لا يعرف إلا من حديث مجالد، وقد رواه الإمام أحمد عن علي بن المديني عن سفيان بنقصه: الدرمل فقط^(٥).

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَيْكَةً ۖ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِينَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ۝﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٢﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَفْرَ ﴿٣٣﴾ إِنَّهَا لَآخِذَةٌ بِالْأَنفُسِ ﴿٣٤﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٥﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٦﴾ ۚ

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ﴾ أي: خزانها ﴿إِلَّا مَلَيْكَةً﴾ زبانية غلاظاً شداداً، وذلك ردُّ

- (١) أي: الطحين الأبيض.
- (٢) سنده ضعيف لضعف حريث وهو ابن أبي مطر الفزازي كما في تهذيب الكمال (٥/٥٦٢). وأخرجه البيهقي من طريق حريث به وقال البيهقي: حريث بن أبي مطر ليس بالقوي، (البعث والنشور، باب ما جاء في خزنة جهنم رقم ٥٠٩).
- (٣) سنده ضعيف لضعف مجالد.
- (٤) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة المدثر (ح/٣٣٢٤)، وسنده كسابقه؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.
- (٥) المسند (٣/٣٦١) وسنده ضعيف كسابقه.

على مشركي قريش حين ذكروا عدد الخزنة فقال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي: شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغالبون، وقد قيل: إن أبا الأشدين واسمه: كلدة بن أسيد^(١) بن خلف قال: يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه.

قال السهيلي: وهو الذي دعا رسول الله ﷺ إلى مصارعته، وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه النبي ﷺ مراراً فلم يؤمن، قال: وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب^(٢).

(قلت): ولا منافاة بين ما ذكره والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتِهِمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختباراً منا للناس ﴿لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: يعلمون أن هذا الرسول حق فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله ﴿وَيُزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ أي: إلى إيمانهم؛ أي: بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد ﷺ ﴿وَلَا يَرَابُطُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَلَقَوْلُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمٌ﴾ أي: من المنافقين ﴿وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي: يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا؟ قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبْذِلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

وقوله: ﴿وَمَا يَقْلُ جُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى؛ لثلاث يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط، كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة ومن الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها، فأفهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها وهو قوله: ﴿وَمَا يَقْلُ جُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «إِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود، حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورك، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتْ^(٤) السماء، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَ مَا فِيهَا مَوْضِعَ أَصْبَعٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ

(١) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن مجاهد بنحوه ولكنه مرسل.

(٢) الروض الأنف ٢٠٠/١.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء.

(٤) أي: إن كثرة ما فيها من الملائكة أثقلتها حتى أطت.

لضحكتكم قليلاً ولبيكتكم كثيراً ولا تلذذتم بالنساء على الفُرُشَات ولخرجتم إلى الصُّعُدَات تجأرون إلى الله تعالى» فقال أبو ذرٍّ: والله لوددت أني شجرة تعضد^(١). ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث إسرائيل، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ويروى عن أبي ذرٍّ موقوفاً^(٢).

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا حسين بن عرفة المصري، حدثنا عروة بن مروان الرقي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم بن مالك، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راکع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئاً»^(٣).

وقال محمد بن نصر المروزي في «كتاب الصلاة»: حدثنا عمرو بن زرارة، أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، عن سعيد، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم: «هل تسمعون ما أسمع؟» قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله ﷺ: «أسمع أطيط السماء ولا تلام أن تئط. وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راکع أو ساجد»^(٤).

وقال أيضاً: حدثنا محمد بن عبد الله بن [قهزاذ]^(٥)، حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي، حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي، سمعت الضحاک بن مزاحم يحدث، عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا وعليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧﴾». وهذا مرفوع غريب جداً، ثم رواه عن محمود بن آدم، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود أنه قال: إن من السموات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماء قائم ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الصافات]^(٧).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٤٠٦/٣٥ ح ٢١٥١٦) قال المحققون: حسن لغيره، وهذا إسناد منقطع، مروق - وهو العجلي - لم يسمع من أبي ذرٍّ، وأخرجه الحاكم من طريق إسرائيل به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١٠/٢).

(٢) سنن الترمذي، الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً...» (ح ٢٣١٢)؛ وسنن ابن ماجه، الزهد، باب الحزن والبكاء (ح ٤١٩٠) وحسنه الألباني دون قوله: والله لوددت... فإنه مدرج؛ (صحيح سنن ابن ماجه ح ٣٣٧٨).

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٨٤/٢ ح ١٧٥١)، وسنده ضعيف لأن عروة بن مروان ليس بالقوي في الحديث. (لسان الميزان ١٦٤/٤).

(٤) أخرجه المروزي بسنده ومثله. (تعظيم قدر الصلاة ٢٥٨/١ ح ٢٥٠) وصححه سننه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ١٠٦٠).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضحف إلى: مهرا.

(٦) أخرجه المروزي بسنده ومثله. (المصدر السابق ح ٢٥٣). وحسنه الألباني بشواهده. (السلسلة الصحيحة ح ١٠٥٩).

(٧) أخرجه المروزي بسنده ومثله (المصدر السابق ح ٢٥٤) وصححه سننه الألباني كما في المصدر السابق.

ثم قال: حدثنا أحمد بن سيار، حدثنا أبو جعفر بن محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه، حدثنا المغيرة بن عمر بن عطية من بني عمرو بن عوف، حدثني سليمان بن أيوب، عن سالم بن عوف، حدثني عطاء بن زيد بن مسعود من بني الحبلى، حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع من بني سالم، حدثني عبد الرحمن بن العلاء من بني ساعدة، عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده، أن النبي ﷺ قال: يوماً لجلسائه: «هل تسمعون ما أسمع؟» قالوا: وما تسمع يا رسول الله؟ قال: «أظلت السماء وحُقَّ لها أن تتط، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راکع أو ساجد وقالت الملائكة: ﴿وَلَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٥) ﴿وَلَا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (١٦)» [الصفات] (١). وهذا إسناد غريب جداً.

ثم قال: حدثنا إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفروي، حدثنا عبد الملك بن قدامة، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم: أبو جحش الليثي، فقال: قوموا فصلوا مع رسول الله ﷺ، فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقوم وقال: لا أقوم حتى يأتي رجل أقوى مني ذراعين وأشد مني بطشاً، فيصرعني ثم يدس وجهي في التراب، قال عمر: فصرعته ودست وجهه في التراب، فأتى عثمان بن عفان فحجزني عنه، فخرج عمر مغضباً حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما رأيك يا أبا حفص؟» فذكر له ما كان منه، فقال رسول الله ﷺ: «إن [رضي عمر رحمة، والله على ذلك] (٢) لوددت أنك جئتني برأس الخبيث» فقام عمر فوجه نحوه، فلما أبعد ناداه فقال: «اجلس حتى أخبرك بغناء الربِّ تبارك وتعالى عن صلاة أبي جحش وإن الله تعالى في السماء الدنيا ملائكة خشوعاً لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت رفعوا رؤوسهم ثم قالوا: ربنا ما عبدناك حق عبادتك وإن الله في السماء الثانية ملائكة سجوداً لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة رفعوا رؤوسهم وقالوا: سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك».

فقال له عمر: وما يقولون يا رسول الله؟ فقال: «أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأما أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون: سبحان الحي الذي لا يموت، فقلها يا عمر في صلاتك»، فقال عمر: يا رسول الله فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي؟ فقال: «قل هذا مرة وهذا مرة» وكان الذي أمره به أن يقوله: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك جلَّ وجهك» (٣). هذا حديث غريب جداً بل منكر نكارة شديدة، وإسحاق الفروي روى عنه البخاري، وذكره ابن حبان في الثقات وضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي والدارقطني، وقال أبو

(١) أخرجه المروزي بسنده ومثته. (المصدر السابق ح ٢٥٥)، ويشهد له ما سبق.

(٢) زيادة من (ح) و(حم) وكتاب تعظيم قدر الصلاة.

(٣) أخرجه المروزي عن محمد بن يحيى عن إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفروي به. (تعظيم قدر الصلاة ١/ ٢٦٣ ح ٢٥٦) وسنده ضعيف جداً، وقد أشار محققه أن عبد الله بن قدامة روى عن عبد الله بن دينار موضوعات. (ميزان الاعتدال ٤٧٢/٢). وضعفه أيضاً الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً.

حاتم الرازي: كان صدوقاً إلا أنه ذهب بصره فربما [لقن]^(١) وكتبه صحيحة، وقال - مرة -: هو مضطرب وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحي تكلم فيه أيضاً، والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه، ولا عرف بحاله، ولا تعرض لضعف بعض رجاله، غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلًا بنحوه، ومن طريق أخرى عن الحسن البصري مرسلًا قريباً منه^(٢).

ثم قال محمد بن نصر: حدثنا محمد بن عبد الله بن [قهاز]^(٣)، أخبرنا النضر، أخبرنا عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطاة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال: سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله ﷻ قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك^(٤). وهذا إسناد لا بأس به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ﴾ قال مجاهد وغير واحد: «وما هي» أي: النار^(٥) التي وصفت ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ﴾ ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ ^(٦) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ ^(٧) ﴿أَي: وَلِي﴾ ^(٨) ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْرَقَ﴾ ^(٩) أي: أشرق ﴿إِنَّمَا لَأَخَذَى الْكَافِرِ﴾ ^(١٠) أي: العظائم يعني: النار، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف^(٦) ﴿نَذِيرًا لِلْبَشْرِ﴾ ^(١١) لِمَنْ شَاءَ يَنْكَرُ أَنْ يَفْعَدَ أَوْ يَنْتَحِرَ ^(١٢) أي: لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي للحق أو يتأخر عنها ويولّي ويردّها.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ ^(١٣) ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ ^(١٤) فِي جَنَّتِ يَسَاءَلُونَ ^(١٥) عَنِ الْمُجْرِمِينَ ^(١٦) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ^(١٧) قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمَصْلِينَ ^(١٨) وَلَوْ نَكُنَّ نَظْمُ السَّكِينِ ^(١٩) وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَاطِئِينَ ^(٢٠) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الْإِذِينَ ^(٢١) حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ ^(٢٢) فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ^(٢٣) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ^(٢٤) كَانَهُمْ حُرٌّ مَسْتَنْفِرَةٌ ^(٢٥) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ^(٢٦) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوفَّى صُحُفًا مُنْشَرَةً ^(٢٧) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ^(٢٨) كَلَّا إِنَّهُمْ تَذْكِرَةٌ ^(٢٩) فَمَنْ شَاءَ ذَكُرْ ^(٣٠) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقَوْلَى وَاهْلُ الْغَفَرَةِ ^(٣١).

يقول تعالى مخبراً أن ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ ^(٣٨) أي: معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٦٤ - ٢٦٦، رقم ٢٥٧ - ٢٥٨) وفي كليهما ضعف.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: مهران.

(٤) أخرجه المروزي بسنده ومثله. (المصدر السابق رقم ٢٦٠) وحكم الحافظ ابن كثير أن سنده لا بأس به.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: «جهنم». ويتقوى بالآثار التالية، فقد أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظ: «النار»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح بلفظ: «جهنم»؛ وأخرجه الطبري وابن أبي شيبة بسند حسن من طريق إسماعيل بن شُميع عن أبي رزين. (المصنف ٨/ ٢١٨)؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري.

عباس وغيره ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (٣٩) فإنهم ﴿فِي جَنَّتٍ يَسْأَلُونَ﴾ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿أَي: يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤١) قَالُوا لَرَّكَ مِنْ الْمُصَلِّينَ﴾ (٤٢) وَلَرَّكَ تَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ (٤٣) أَي: ما عبدنا الله ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاحِشِينَ﴾ (٤٤) أَي: نتكلم فيما لا نعلم.

وقال قتادة: كلما غوى غاي غوينا معه^(١). ﴿وَكَا تَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ (٤٥) حَتَّى أَتَنَّا الْيَقِينَ﴾ (٤٦) يعني: الموت كقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) [الحجر] وقال رسول الله ﷺ: «أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه»^(٢).

قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) أَي: ما كان متصفاً بمثل هذه الصفات فإنه لا ينفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه؛ لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلاً، فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإنه له النار لا محالة خالداً فيها، ثم قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) أَي: فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك مما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (٥١) أَي: كأنهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرّت ممن يريد صيدها من أسد، قاله أبو هريرة وابن عباس في رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن^(٣): أو رام، وهو رواية عن ابن عباس^(٤)، وهو قول الجمهور.

وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس: الأسد بالعربية، ويقال له بالحشية: قسورة، وبالفارسية: شير، وبالنبطية: أوبا^(٥).

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ (٥٢) أَي: بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي ﷺ، قاله مجاهد وغيره^(٦)، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وفي رواية عن قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل^(٧).

(١) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجر آية ٩٩.

(٣) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق ابن سيلان - وهو جابر - عن أبي هريرة؛ وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٤) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن عروة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الحاكم عن أبي موسى وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٠٨/٢).

(٥) أخرجه الطبري من طريق سلم بن قتيبة عن حماد بن سلمة به، وسنده ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروة عن قتادة.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ ﴿٥٦﴾ أَي: إِنَّمَا أَفْسَدَهُمْ عَدَمُ إِيمَانِهِمْ بِهَا وَتَكْذِيبُهُمْ بِوُقُوعِهَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ ﴿٥٧﴾ أَي: حَقًّا إِنَّ الْقُرْآنَ تَذَكُّرَةٌ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ ﴿٥٨﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الْإِنْسَان: ٣٠]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ أَي: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يَخَافَ مِنْهُ وَهُوَ أَهْلٌ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ. قَالَه قَتَادَةُ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَبَابِ، أَخْبَرَنِي سَهِيلُ أَخُو حَزْمٍ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبَنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ وَقَالَ: «قَالَ رَبِّكُمْ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أَتَقَى فَلَا يَجْعَلُ مَعِيَ إِلَهَ، فَمَنْ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِيَ إِلَهًا كَانَ أَهْلًا أَنْ أَغْفِرَ لَهُ»^(٢). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ الْحَبَابِ، وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْمَعَاذِيِّ بْنِ عِمْرَانَ، كِلَاهُمَا عَنْ سَهِيلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُطَيْعِيِّ بِهِ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ وَسَهِيلٌ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ^(٣)، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هُدْبَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ سَهِيلِ بِهِ، وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ سَهِيلِ الْقُطَيْعِيِّ بِهِ^(٤).

[آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَدَّثَرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ]^(٥).

(١) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ.
(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدِهِ وَمُتَنَّهُ. (الْمُسْنَدُ ٤٣٠/١٩ ح ١٢٤٤٤٢) وَضَعَفَ سَنَدَهُ مُحَقِّقُوهُ لضعف سَهِيلِ أَخِي حَزْمٍ.
(٣) سَنَّ التِّرْمِذِيُّ، التَّفْسِيرَ، بَابَ وَمِنْ سُورَةِ الْمَدَّثَرِ (ح ٣٣٢٥)؛ وَسَنَّ ابْنُ مَاجَةَ الزَّهْدَ، بَابَ مَا يَرْجَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ح ٤٢٩٩)؛ وَالسَّنَنُ الْكُبْرَى لِلنَّسَائِيِّ، التَّفْسِيرَ (ح ١١٦٣٠). وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ كَسَابِقِهِ.
(٤) مُسْنَدُ أَبِي يَعْلَى ٦٦/٦ (ح ٣٢١٧)؛ وَمَعَالِمُ التَّنْزِيلِ لِلْبَغَوِيِّ ٤/٤٢٠) وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ كَسَابِقِهِ.
(٥) زِيَادَةٌ مِنْ (ح)، وَفِي (حَم): آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَدَّثَرِ.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلْ قَدِرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ ۝٥ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝٦ فَإِنَّا بِرِقِّ الْبَصَرِ ۝٧ وَخَسَفِ الْقَمَرِ ۝٨ وَجَمْعِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ۝٩ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَيْنَا رَيْكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ ۝١٥﴾ .

قد تقدم غير مرة أن المُقَسَّم عليه إذا كان منتفياً جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي. والمُقَسَّم عليه ههنا هو إثبات المعاد والردُّ على ما يزعمه الجهلة من العباد ومن عدم بعث الأجساد، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ قال الحسن: أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة^(١).

وقال قتادة: بل أقسم بهما جميعاً، هكذا حكاه ابن أبي حاتم^(٢).

وقد حكى ابن جرير، عن الحسن والأعرج أنهما قرءا: «لأُقسم بيوم القيامة»^(٣) وهذا يوجِّه قول الحسن؛ لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة، والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً كما قاله قتادة رحمهما الله، وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبیر^(٤)، واختاره ابن جرير.

فأما يوم القيامة فمعروف وأما النفس اللوامة فقال قره بن خالد، عن الحسن البصري في هذه الآية: إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه. ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، وإن الفاجر يمضي قُدماً ما يعاتب نفسه^(٥)، وقال جويبر: بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ قال: ليس أحد من أهل السموات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم، عن إسرائيل، عن سماك

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري تعليقاً، والقراءة متواترة.

(٤) أخرجه الحاكم من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عباس، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٠٨/٢).

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس.

(٦) سنده ضعيف لضعف جويبر وروايته بلاغاً.

أنه سأل عكرمة عن قوله: ﴿وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ ❶ قال: يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا^(١)، ورواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن إسرائيل به^(٢)، وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ ❷ قال: تلوم على الخير والشر^(٣)، ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك فقال: هي النفس اللوامة^(٤).

وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد: تندم على ما فات وتلوم عليه^(٥).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿اللَّوَامَةُ﴾: المذمومة^(٦).

وقال قتادة: ﴿اللَّوَامَةُ﴾ الفاجرة^(٧).

وقال ابن جرير: وكل هذه الأقوال متقاربة بالمعنى والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات^(٨).

وقوله تعالى: ﴿يَتَحَسَّبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ❸ أي: يوم القيامة أليظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة؟ ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيْنَا أَنُصَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ ❹ وقال سعيد بن جبير والعوفي، عن ابن عباس: أن نجعله خفأً أو حافراً^(٩)، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقاتة والضحاك وابن جرير^(١٠)، ووجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا، والظاهر من الآية أن قوله تعالى: ﴿قَدِيرِينَ﴾ حال من قوله تعالى: ﴿نَجْمَعَ﴾ أي: أليظن الإنسان أنا لا نجتمع عظامه؟ بل سنجمعها قادرين على أن نسوي بنانه؟ أي: قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا بعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية، وهذا معنى قول ابن قتبية والزجاج^(١١).

وقوله: ﴿بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ﴾ ❺ قال سعيد عن ابن عباس: يعني يمضي قدماً^(١٢).

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ﴾ يعني: الأمل، يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب

(١) سنده حسن. (٢) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وسنده حسن.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري والحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٠٩/٢).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح به.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) ذكره الطبري بلفظه.

(٩) أخرجه الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو تنمة لرواية الحاكم السابقة.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق النضر، وهو ابن عربي، عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(١١) نسبه البغوي إلى ابن قتبية والزجاج. (معالم التنزيل ٤٢١/٤).

(١٢) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن جبير به؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق أبي إسحاق الهمداني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: يقول: سوف أتوب، سوف أعمل.

قبل يوم القيامة، ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة^(١).

وقال مجاهد: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ ليمضي أمامه راكباً رأسه^(٢).

وقال الحسن: لا يُلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدماً قدماً إلا من عصمه الله تعالى^(٣)، وروي عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف: هو الذي يعجل الذنوب ويسوف التوبة.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو الكافر يكذب بيوم الحساب^(٤)، وكذا قال ابن زيد^(٥) وهذا هو الأظهر من المراد، ولهذا قال بعده ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؟ أي: يقول متى يكون يوم القيامة وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٦﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَفْهِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ﴾ ﴿٧﴾ [سبأ].

وقال تعالى ههنا: ﴿إِذَا رَفَءَ الْبَصَرُ﴾ ﴿٧﴾ قرأ أبو عمرو بن العلاء «برق» بكسر الراء؛ أي: حار، وهذا الذي قاله شبيهه بقوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أي: بل ينظرون من الفرع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب.

وقرأ آخرون «برق» بالفتح^(٦) وهو قريب في المعنى من الأول، والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخضع وتحار وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور. وقوله تعالى: ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ﴿٨﴾ أي: ذهب ضوؤه ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ ﴿٩﴾ قال مجاهد: كُوراً^(٧).

وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ﴿٨﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ﴿٩﴾ [التكوير].

وروي عن ابن مسعود أنه قرأ «وجمع بين الشمس والقمر»^(٨).

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَتَى الْقَمَرُ﴾ ﴿١٠﴾ أي: إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر، ويقول أين المفر؟ أي: هل من ملجأ أو موئل؟ قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّكَ رِجْءٌ يَوْمَئِذٍ مُنْفَرِّقٌ﴾ ﴿١٢﴾ قال ابن مسعود، وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف: أي: لا نجاة^(٩)، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بسابقه إذ فيه متابعات.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٦) وهي قراءة متواترة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٨) ذكره الطبري تعليقا، وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٩) أخرجه البخاري تعليقا عن ابن عباس بلفظ: «لا حصن». وقد ذكر الحافظ ابن حجر ما أخرجه الطبري

بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «لا حرز»، وذكر أيضاً ما أخرجه الطبري

بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: «لا حصن ولا ملجأ». (تغليق التعليق ٤/٣٥٤، =

تَكْبِيرٍ [الشورى: ٤٧] أي: ليس لكم مكان تتكبرون فيه، وكذا قال ههنا: ﴿لَا وَزَرَ﴾ أي: ليس لكم مكان تعتصمون فيه، ولهذا قال: ﴿إِلَّا رَّبُّكَ يُؤْمِزُ الْمُتَشَكِّرِ﴾ (١٧) أي: المرجع والمصير.

ثم قال تعالى: ﴿يَبْقَا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (١٣) أي: يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها، كما قال تعالى: ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَّبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وهكذا قال ههنا: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ (١٥) أي: هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر، وكما قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (١٤) يقول: سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه (١).

وقال قتادة: شاهد على نفسه (٢). وفي رواية قال: إذا شئت والله رأيته بصيراً بعيوب الناس وذنوبهم غافلاً عن ذنوبه. وكان يقال: إن في الإنجيل مكتوباً: يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك وتترك الجذل في عينك لا تبصره! (٣).

وقال مجاهد: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ (١٥) ولو جادل عنها فهو بصير عليها (٤).

وقال قتادة: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ (١٥) ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه (٥).

وقال السدي: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ (١٥) حجته (٦). وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير (٧).

وقال قتادة، عن زرارة، عن ابن عباس: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ (١٥) يقول: لو ألقى ثيابه (٨).

وقال الضحاك: ولو ألقى ستوره وأهل اليمن (٩)، يسمون الستر: العذار. والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله: ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام] وكقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١٧) [المجادلة].

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ (١٥) هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال: ﴿لَا يَنْفَعُ

= (٣٥٥). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في كتاب الأحوال عن ابن مسعود بلفظ: «لا حصن»، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد عن سعيد بن جبير وعطية وأبي قلابة.

- (١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
- (٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
- (٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
- (٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن الضحاك. (٧) الذي اختاره الطبري هو قول قتادة: «لو اعتذر».
- (٨) أخرجه الطبري من طريق خالد بن قيس عن قتادة به بلفظ: «لو تجرد». وفي سنده خالد بن قيس: صدوق يغرب (التقريب ص ١٩٠).
- (٩) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن الضحاك.

الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ ﴿٥٢﴾ [غافر: ٥٢] وقال: ﴿وَأَلْفَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ [النحل: ٨٧] ﴿فَأَلْفَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨] وقولهم: ﴿وَاللَّهُ رِثَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ^(١) [الأنعام: ٢٣].



﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١٦ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ١٧ ﴿إِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ قُرْآنَهُ﴾ ١٨ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٩ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ٢٠ ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ ٢١ ﴿وَجُودُ يَوْمِئِذٍ نَاضِرٌ﴾ ٢٢ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ ٢٣ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ ٢٤ ﴿تُظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ٢٥ ﴿.

هذا تعليم من الله ﷻ لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله ﷻ إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه عليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه. فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه. ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١٦ ﴿أَي: بالقرآن كما قال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ أي: في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي: أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾ أي: إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى: ﴿فَانصِتْ لَهُ قُرْآنَهُ﴾ أي: فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٩ أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن أبي عوانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفثيه قال: فقال لي ابن عباس: أنا أحرك شفثي كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفثيه، وقال لي سعيد: وأنا أحرك شفثي كما رأيت ابن عباس يحرك شفثيه، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١٦ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ١٧ قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَانصِتْ لَهُ قُرْآنَهُ﴾ ١٨ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٩ فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه ^(٢). وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن أبي عائشة به. ولفظ البخاري: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله ﷻ ^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحيى التيمي، حدثنا موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يلقي منه شدة، وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفثيه يتلقى أوله ويحرك به شفثيه، خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١٦ ﴿. وهكذا قال

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما تقدم عن قتادة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣/٤٣٣) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَانصِتْ لَهُ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة] (ح ٤٩٢٩)؛ وصحيح مسلم، الصلاة، باب الاستماع للقراءة (ح ٤٤٨).

(٤) أصله في الصحيحين كما في سابقه.

الشعبي والحسن البصري وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد: إن هذه الآية نزلت في ذلك^(١). وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٢) قال: كان لا يفتر من القراءة مخافة أن ينساه فقال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٣) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ أَنْ نجعله لك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ نقرئك فلا تنسى^(٤)، [وقال ابن عباس وعطية العوفي: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٥) تبين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة^(٦)] وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾^(٧) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ^(٨) أي: إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم، أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة وهم لا هون متشاغلون عن الآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٩) من النصارة؛ أي: حسنة بهية مشرقة مسرورة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(١٠) أي: تراه عياناً كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: «إنكم سترون ربكم عياناً»^(١١). وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترون ربكم كذلك»^(١٢).

وفي الصحيحين عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر! فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا»^(١٣).

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله ﷻ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»^(١٤).

وفي أفراد مسلم، عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة». ثم تلا

- (١) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن الشعبي لكنه مرسل؛ وأخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن مجاهد لكنه مرسل؛ وأخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن الحسن لكنه مرسل؛ وأخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة لكنه مرسل؛ وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً، وتتقوى برواية الصحيحين السابقة.
- (٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، وتتقوى بما سبق.
- (٣) زيادة من (ح) و(حم).
- (٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ومعناه صحيح ويتقوى برواية الطبري التي أخرجه بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
- (٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ١٣٠.
- (٦) أخرجه البخاري (الصحيح، التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٧) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ^(٨) [القيامة (ح) ٧٤٣٧]؛ وصحيح مسلم، الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ح) ١٨٢.
- (٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ١٣٠.
- (٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٧٢.

هذا الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] (١).

وفي أفراد مسلم، عن جابر في حديثه: «إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك» يعني: في عرصات القيامة ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم ﷺ في العرصات وفي روضات الجنات (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا [عبد الملك بن أبجر] (٣)، حدثنا [ثوير] (٤) بن أبي فاخته، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين» (٥) ورواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن شعبة، عن إسرائيل، عن ثوير قال: سمعت ابن عمر فذكره، قال: ورواه عبد الملك بن أبجر، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر، وكذلك رواه الثوري، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر ولم يرفعه (٦)، ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقاً في مواضع من هذا التفسير، وبالله التوفيق.

وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهذه الأنام، ومن تأول ذلك بأن المراد بإلى مفرد الآلاء وهي: النعم كما قال الثوري، عن منصور، عن مجاهد ﴿إِلَّا رَيْهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٧) قال: تنتظر الثواب من ربها (٧)، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد، وكذا قال أبو صالح أيضاً فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب إليه (٨)، وأين هو من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (٩) [المطففين]؟.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: ما حجب الكفار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه ﷺ ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دلّ عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا رَيْهَا نَاطِرَةٌ﴾ (١٠).

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا آدم، حدثنا المبارك، عن الحسن ﴿وَيَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (١١) قال: حسنة ﴿إِلَّا رَيْهَا نَاطِرَةٌ﴾ (١٢) قال: تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى الخالق (٩).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ١٣٠.

(٢) أخرجه مسلم (الصحيح، الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ١٩١).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «عبد الملك بن الحر».

(٤) كذا في مسند أحمد وترجمته ثوير، وفي الأصل صحف إلى: «يزيد».

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: إسناده ضعيف. ثوير بن أبي فاخته ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي وابن عدي وغيرهم (المسند ٨/ ٢٤٠ ح ٤٦٢٣).

(٦) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة القيامة (ح ٣٣٣٠).

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد، وقد جانب مجاهد الصواب في هذه المسألة وخالف جمهور المفسرين.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح، (المصنف ٨/ ٢٧٥)، وهذا القول كسابقه.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن، وأخرجه آدم بن أبي إياس عن المبارك بن فضالة به.

وقوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ بِأَسْرَةٍ﴾ (٢٦) تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَافْرَةً (٢٥) هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة بأسرة، قال قتادة: كالحمة (١).

وقال السدي: تغير ألوانها.

وقال ابن زيد: ﴿بِأَسْرَةٍ﴾ أي: عابسة (٢).

﴿تَنْظُرُ﴾ أي: تستيقظ ﴿أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَافْرَةً﴾ قال مجاهد: داهية (٣).

وقال قتادة: شر (٤).

وقال السدي: تستيقظ أنها هالكة.

وقال ابن زيد: تظن أن ستدخل النار. وهذا المقام (٥)، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] وكقوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ مُسْفِرَةً﴾ (٢٨) ضَاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً (٢٦) وَجُودٌ يُؤْمِدُ عَلَيْهَا غَبْرَةً (٤٠) تَرْفَعُهَا فَتَرَةً (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجْرَةُ (٤٢) [عبس] وكقوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ خَشِيعَةً﴾ (٢) عَامِلَةً نَاصِبَةً (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) إلى قوله: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ نَاعِمَةً﴾ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةً (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) [الغاشية] في أشباه ذلك من الآيات والسياقات.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (٦١) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٦٧) وَلَنْ أَنَّهُ الْفَرَاقُ (٦٨) وَاللَّفَتِ الْسَّاقُ بِالْسَّاقِ (٦٩) إِلَى رَبِّكَ يُؤْمِدُ السَّاقُ (٦٠) فَلَا صَلَفَ وَلَا صَلَ (٦٢) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى (٦٣) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٦٤) أُولَئِكَ لَكَ فَالَوُكُ (٦٥) ثُمَّ أُولَئِكَ لَكَ فَالَوُكُ (٦٥) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٦٦) أَلَمْ يَكُنْ نَفْثَةً مِنْ مَنِيٍّ يُخْرَجُ (٦٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٦٨) فَعَمَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٦٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ الْكُلُوكَ (٧٠).

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (٦١) إن جعلنا «كلا» رادعة فمعناها: لست يا ابن آدم هناك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عياناً، وإن جعلناها بمعنى حقاً فظاهر؛ أي: حقاً إذا بلغت التراقي؛ أي: انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك، والتراقي جمع ترقوة وهي: العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ (٨٧) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) [الواقعة] وهكذا قال ههنا: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (٦١) ويذكر ههنا حديث بشر بن حجاج الذي تقدم في سورة يس [٧٧]. والتراقي جمع ترقوة وهي قريبة من الحلقوم ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (٦٧)؟.

قال عكرمة، عن ابن عباس: أي من راقٍ يرقى (٦)، وكذا قال أبو قلابة: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (٦٧).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة، وليس فيه ذكر ابن عباس.

أي: من طيب شاف^(١)، وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي، حدثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾^(٣) قيل: من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة^(٤).

وبهذا الإسناد عن ابن عباس في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاقُ بِالسَّاقِ﴾^(٥) قال: التفت عليه الدنيا والآخرة^(٦)، وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاقُ بِالسَّاقِ﴾^(٧) يقول آخر يوم من أيام الدنيا أول يوم من أيام الآخرة فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رَحِمَ الله^(٨).

وقال عكرمة: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاقُ بِالسَّاقِ﴾^(٩) الأمر العظيم بالأمر العظيم^(١٠).

وقال مجاهد: بلاء بلاء^(١١).

وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاقُ بِالسَّاقِ﴾^(١٢): هما ساقاك إذا التفتا^(١٣)، وفي رواية عنه ماتت رجلاه فلم تحمله وقد كان عليهما جوالاً، وكذا قال السدي، عن أبي مالك، وفي رواية عن الحسن: هو لفهما في الكفن^(١٤).

وقال الضحاك: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاقُ بِالسَّاقِ﴾^(١٥) اجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه^(١٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ أَلْسَاقُ﴾^(١٧) أي: المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع إلى السموات، فيقول الله ﷻ: رُدُّوا عِبْدِي إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مَخْلَقْتُهُمْ فِيهَا أَعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، كما ورد في حديث البراء الطويل. وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾^(١٨) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾^(١٩) [الأنعام].

وقوله: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا سَلَٰى﴾^(٢٠) وَلَكِنَّ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾^(٢١) هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه متولياً عن العمل بقلبه، فلا خير فيه باطناً ولا ظاهراً، ولهذا قال تعالى:

(١) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق شبيب عن أبي قلابة. (المصنف ٤٢٢/٥)؛ وأخرجه الطبري من طريق شبيب به.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي بسطام عن الضحاك؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن عمرو بن مالك به، وسنده حسن.

(٤) الأثر تمة لسابقه كما في تفسير الطبري.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي عيسى بلفظ: «الأمر بالأمر».

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيى، وهو القتات وهو ضعيف عن مجاهد. وقد أخرجه الطبري بسند صحيح عن مجاهد بلفظ ابن عباس المتقدم.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق بشير بن المهاجر عن الحسن.

(٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق بشير بن المهاجر عن الحسن.

(١٠) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن الضحاك.

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (٢٦) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَوْلَ ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِعُ﴾ (٢٧) أي: جذلاً أشرأ بطراً كسلان لا همّة له ولا عمل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (٢٨) [المطففين] وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٢٩) إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ لَنْ يَحُورَ ﴿٣٠﴾ أي: يرجع ﴿يَلْحَ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ (٣١) [الانشقاق].

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِعُ﴾ (٣٢) أي: يختال^(١).
وقال قتادة وزيد بن أسلم: يتبختر^(٢).

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَاوِكٌ﴾ (٣٣) ثُمَّ أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَاوِكٌ ﴿٣٤﴾ وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيه؛ أي: يحق لك أن تمشي هكذا، وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٣٥) [الدخان] وكقوله: ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا فَيَلًا إِنَّكُمْ كُفْرًا مَجْرُمُونَ﴾ (٣٦) [المرسلات] وكقوله: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي﴾ [الزمر: ١٥] وكقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] إلى غير ذلك.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا عبد الرحمن؛ يعني: ابن مهدي، عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة قال: سألت سعيد بن جبيرة قلت: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَاوِكٌ﴾ (٣٧) ثُمَّ أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَاوِكٌ ﴿٣٨﴾ قال: قاله النبي ﷺ لأبي جهل، ثم نزل به القرآن^(٣).

وقال أبو عبد الرحمن النسائي: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبو النعمان، حدثنا أبو عوانة (ح) وحدثنا أبو داود، حدثنا محمد بن سليمان، حدثنا أبو عوانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبيرة قال: قلت لابن عباس: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَاوِكٌ﴾ (٣٩) ثُمَّ أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَاوِكٌ ﴿٤٠﴾ قال: قاله رسول الله ﷺ لأبي جهل ثم أنزله الله ﷻ^(٤).

قال ابن أبي حاتم: وحدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا شعيب، عن إسحاق، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَاوِكٌ﴾ (٤١) ثُمَّ أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَاوِكٌ ﴿٤٢﴾ وعيد على أثر وعيد كما تسمعون، وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله ﷺ بمجامع ثيابه ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَاوِكٌ﴾ (٤٣) ثُمَّ أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَاوِكٌ ﴿٤٤﴾ فقال عدو الله أبو جهل: أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئاً وإني لأعز من مشى بين جبليها^(٥).

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٤٥) قال السدي: يعني: لا يبعث^(٦).

(١) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس ويتقوى بالآثار التالية.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) سنده ضعيف لأنه مرسل لكنه يتقوى بالموصول عن ابن عباس كما يلي.

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن الكبرى، التفسير، ح ١١٦٣٨) وأخرجه الحاكم من طريق أبي عوانة به. وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١٠/٢).

(٥) سنده ضعيف لإرسال قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن السدي بلفظ: «الذي لا يفترض عليه عمل، ولا يعمل». وعبد الرحمن ضعيف.

وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني: لا يؤمر ولا ينهى^(١).

والظاهر أن الآية تعم الحالين؛ أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهماً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منه في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد، ولهذا قال تعالى مستندلاً على الإعادة بالبداة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَقِنُ﴾ (٢٧) أي: أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين. يمني: يراق من الأصلاب في الأرحام ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً مُتَلَقِّ فَسْوَى﴾ (٢٨) أي: فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقاً سوياً سليم الأعضاء ذكراً أو أنثى بإذن الله وتقديره. ولهذا قال تعالى: ﴿جَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٢٩).

ثم قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْلَوْثَ﴾ (٣٠) أي: أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه وتناول القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداوة وإما مساوية على القولين في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] والأول أشهر كما تقدم في سورة الروم^(٢) بيانه وتقديره، والله أعلم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد [بن] (٣) الصباح، حدثنا شعبة، عن شعبة، عن موسى بن أبي عائشة، عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن، فإذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْلَوْثَ﴾ (٣٠) قال: سبحانك اللهم فبلى، فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك^(٤).

وقال أبو داود رحمه الله: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْلَوْثَ﴾ (٣٠) قال: سبحانك فبلى، فسأله عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ. تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك.

وقال أبو داود أيضاً: حدثنا عبد الله بن محمد الزهري، حدثنا سفيان، حدثني إسماعيل بن أمية، سمعت أعرابياً يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتبهى إلى آخرها» ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨) [التين] فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ (١) فانتبهى إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْلَوْثَ﴾ (٣٠) فليقل بلى، ومن قرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ [المرسلات: ١] فبلغ ﴿فَيَأْتِي حَدِيثُ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فليقل: آمنا بالله^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) آية ٢٧.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض. (٤) سنده حسن، ويتقوى بما يليه.

(٥) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، الصلاة، باب الدعاء في الصلاة ح ٨٨٤)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٧٨٦).

(٦) المصدر السابق، باب مقدار الركوع والسجود (ح ٨٨٧)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ١٨٨).

ورواه أحمد، عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي، عن ابن أبي عمر، عن سفيان بن عيينة به، وقد رواه شعبة، عن إسماعيل بن أمية قال: قلت له من حدثك؟ قال: رجل صدق عن أبي هريرة^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُمْحِيَ الْكُوفَ﴾ (٤٠) ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك وبلى»^(٢).

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه مرَّ بهذه الآية: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُمْحِيَ الْكُوفَ﴾ (٤٠)؟ قال: سبحانك فبلى^(٣).
آخر تفسير سورة القيامة، والله الحمد والمنة.

(١) المسند (٣٥٢/١٢ ح ٧٣٩٠) وضعفه محققوه لجهالة الراوي عن أبي هريرة؛ وأخرجه الترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة والتين ح ٣٣٤٧)؛ وأخرجه الحاكم من طريق يزيد بن عياض عن إسماعيل بن أمية عن أبي اليسع عن أبي هريرة وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٥١٠/٢)، ولكن يزيد بن عياض كذبه مالك وغيره. (التقريب ص ٦٠٤).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده رجاله ثقات لكنه مرسل ويتقوى بسابقه ولاحقه.

(٣) رجاله ثقات وسنده صحيح.

سُورَةُ الْإِنشَاءِ

وهي مكية

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى الْإِنسَانِ﴾ السجدة و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ﴾^(١).

وقال عبد الله بن وهب: أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما، بلغ صفة الجنان زفر فخرجت نفسه فقال رسول الله ﷺ: «أخرج نفس صاحبكم أو قال: أخيكم الشوق إلى الجنة»^(٢). مرسل غريب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٣).

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(١) ثم بين ذلك فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي: أخلاط. والمشج والمشيح: الشيء المختلط ببعضه في بعض.

قال ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ يعني: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون^(٣)، وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس الأمشاج هو: اختلاط ماء الرجل بماء المرأة^(٤).

وقوله: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبره كقوله: ﴿لِيَبْلُوكُمُ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ أي: جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية.

(١) تقدم في تفسير سورة السجدة.

(٢) سنده ضعيف لأنه مرسل، وسيأتي وصله والمزيد من التخريج في تفسير آية ٢٠ من هذه السورة الكريمة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «مختلفة الألوان».

(٤) وأخرجه آدم بن أبي إياس بسند حسن من طريق سعيد بن مسروق عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري وآدم بسند حسن من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ السَّبِيلَ﴾ أي: بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] وكقوله: ﴿وَهَدَيْنَهُ النُّجْدَيْنِ﴾ [البلاء: ١٠] أي: بينا له طريق الخير وطريق الشر، وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور^(١).

وروي عن مجاهد وأبي صالح والضحاك والسدي أنهم قالوا في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ السَّبِيلَ﴾ يعني: خروجه من الرحم. وهذا قول غريب والصحيح المشهور الأول.

وقوله: ﴿إِنَّمَا شَاكَرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ منصوب على الحال من الهاء في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ السَّبِيلَ﴾ تقديره فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها»^(٢).

وقد تقدم في سورة الروم عند قوله: ﴿فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [٣٠] من رواية جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا عبد الله بن جعفر، عن عثمان بن محمد، عن المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال «ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان راية بيد ملك وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته»^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن خثيم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله من إمارة السفهاء. قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون علي حوضي ومن لم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم وسيردون علي حوضي، يا كعب بن عجرة الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان، أو قال: برهان، يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به، يا كعب الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها»^(٥). ورواه عن عفان، عن وهيب، عن عبد الله بن خثيم به^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «الشقاوة والسعادة». ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر عن عطية العوفي.

(٢) أخرجه مسلم بلفظه وأطول (الصحيح، الطهارة، باب فضل الوضوء ح ٢٢٣).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الروم آية ٣٠.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وحسن سنده محققوه (المسند ٤٢/١٤ ح ٨٢٨٦).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وقال محققوه: إسناده قوي. (المسند ٣٣٢/٢٢ ح ١٤٤٤١).

(٦) (المسند ح ١٥٢٨٤) وحكمه كسابقه.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حَيْثُ مَشِيتُمْ وَبَيْنَمَا وَايَسِرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوبًا قَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَهُ وَشُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ .

يخبر تعالى عما أُرصده للكافرين من خلقه من السلاسل والأغلال والسعير؛ وهو: اللهب والحريق في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (١١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿١٢﴾ [غافر]. ولما ذكر ما أعدّه لهؤلاء الأَشقياء من السعير قال بعده: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (٥) وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذابة في الجنة .

قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل . ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٦) أي: هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفاً بلا مزج ويروون بها، ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عدّه بالباء ونصب عيناً على التمييز . قال بعضهم: هذا الشراب في طيبه كالكافور .

وقال بعضهم: هو من عين كافور . وقال بعضهم: يجوز أن يكون منصوباً بـ (يشرب) حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير^(١) . وقوله تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم والتفجير هو الإنباع كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠) [الإسراء] وقال: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ [الكهف: ٣٣] قال مجاهد: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يقودونها حيث شاءوا^(٢)، وكذا قال عكرمة وقتادة^(٣) .

وقال الثوري: يصرفونها حيث شاءوا^(٤) . وقوله: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧) أي: يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر .

قال الإمام مالك: عن طلحة بن عبد الملك الأيلي، عن القاسم بن مالك، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»^(٥) . رواه البخاري من حديث مالك^(٦) . ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير؛ أي: منتشر عام على الناس إلا من رحم الله .

(١) ذكره الطبري بنحوه .

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد .

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة .

(٤) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان .

(٥) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثته (الموطأ، النذر والأيمان، باب ما لا يجوز من النذور في معصية الله ح ٨) .

(٦) صحيح البخاري، الأيمان والنذر، باب النذر في الطاعة (ح ٦٦٩٦) .

قال ابن عباس: فاشياً.

وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض^(١).

قال ابن جرير: ومنه قولهم: استطار الصدع في الزجاجة واستطال، ومنه قول الأعشى:

فبانَتْ وقد أسارت في الفؤاد صدعاً على نأيها مستطيراً^(٢)
يعني: ممتداً فاشياً.

وقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ﴾ قيل: على حب الله تعالى وجعلوا الضمير عائداً إلى الله ﷻ لدلالة السياق عليه، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام؛ أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له. قاله مجاهد ومقاتل^(٣) واختاره ابن جرير، كقوله تعالى ﴿وَعَائِيَ أَلْمَالُ عَلَى حَيْثُ﴾ [البقرة: ١٧٧] وكقوله تعالى: ﴿كُنْ تَنَالُوا الْيَزْجَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وروى البيهقي من طريق الأعمش، عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتبهى عبداً أول ما جاء العنب، فأرسلت صفية؛ يعني: امرأته فاشتريت عنقوداً بدرهم فاتبع الرسول سائل، فلما دخل به قال: السائل السائل فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه إياه، فأرسلت بدرهم آخر فاشتريت عنقوداً، فاتبع الرسول السائل فلما دخل قال: السائل السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه إياه، فأرسلت صفية إلى السائل فقالت: والله إن عدت لا تصيب منه خيراً أبداً، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت به^(٤).

وفي الصحيح: أفضل الصدقة أن تصدَّق وأنت صحيح صحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر^(٥)؛ أي: في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَشِيئَةً وَبِئْسَ الْأَسِيرُ﴾.

أما المسكين واليتيم، فقد تقدم بيانهما وصفتهما وأما الأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك: الأسير من أهل القبلة^(٦).

وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذٍ مشركين^(٧)، ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء.

وقال عكرمة: هم العبيد^(٨). واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقاتدة.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) ذكره الطبري بلفظه وأطول.

(٣) أخرجه هناد وبسند صحيح من طريق ليث عن مجاهد (الزهد رقم ٦٣٣) وليث هو ابن أبي سليم فيه مقال ولكنه توبع فقد أخرجه الطبري من طريق منصور عن مجاهد، فيكون سنده حسناً لغيره.

(٤) أخرجه البيهقي من طريق الأعمش به (السنن الكبرى ١٨٥/٤) وسنده صحيح.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٧٧.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبه بسند حسن من طريق عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير. (المصنف ٦٨/٣) ولكن ما ورد عن الحسن أنه من أهل الشرك فقد أخرجه ابن أبي شيبه بسند حسن من طريق عثمان البتي عن الحسن. (المصنف ٦٨/٣) ونحوه في تفسير الطبري.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند ضعيف جداً من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث حتى أنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم^(١).

قال مجاهد: هو المحبوس^(٢)؛ أي: يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكَ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: رجاء ثواب الله ورضاه ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس.

قال مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب^(٣).

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا﴾^(٤) أي: إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطير.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿عَبُوسًا﴾ ضيقاً ﴿قَطَطِيرًا﴾ طويلاً^(٥).

وقال عكرمة وغيره عنه في قوله: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا﴾ قال: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران^(٥).

وقال مجاهد: ﴿عَبُوسًا﴾ العابس الشفتين ﴿قَطَطِيرًا﴾ قال: يقبض الوجه بالبسور^(٦).

وقال سعيد بن جبير وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿قَطَطِيرًا﴾ تقليص الجبين وما بين العينين من الهول^(٧).

وقال ابن زيد العبوس: الشر، والقمطير: الشديد^(٨)، وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها وأعلاها وأولاها قول ابن عباس ﷺ.

قال ابن جرير: والقمطير هو: الشديد يقال: هو يوم قمطير، ويوم قماطر، ويوم عصيب وعصيب وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطاراً، وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم:

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قماطر^(٩)

قال الله تعالى: ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَفْرَةً وَسُرُورًا﴾^(١٠) وهذا من باب التجانس البليغ

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث علي رضي الله عنه، وحسن سنده محققوه. (المسند ٢٤/٢ ح ٥٨٥).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سالم، وهو الأفتس، عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سالم، وهو الأفتس، عن سعيد بن جبير.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه الطبري من طريق مصعب بن سلام التميمي عن سعد عن عكرمة عن ابن عباس، ومصعب له أوهام وهو يروي أبي سعد البقال وكان كثير الغلط (تهذيب التهذيب ١٠/١٦١) واخشى أنه وهم باسم شيخه فإن كان أبا سعد البقال فالسند ضعيف.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٩) ذكره الطبري بلفظه.

﴿وَلَهُمْ اَللّٰهُ سَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ﴾ أي: آمنهم مما خافوا منه ﴿وَلَقَنَّهُمْ نَصْرَهُ﴾ أي: في وجوههم ﴿وَسُرُّرَا﴾ أي: في قلوبهم. قاله الحسن البصري وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس^(١). وهذه كقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٢٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٢٩﴾ [عبس]، وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه قال كعب بن مالك في حديثه الطويل: وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر^(٢).

وقالت عائشة: «دخل عليّ رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه» الحديث^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمَا صَبْرًا﴾ أي: بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: منزلاً رحباً وعيشاً رغداً ولباساً حسناً. وروى الحافظ بن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال: قرئ علي أبي سليمان الداراني سورة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ فلما بلغ القارئ إلى قوله تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمَا صَبْرًا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ﴿٧٧﴾ قال: بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا، ثم أنشد يقول: كم قتيل لشهوة وأسير أف من مشتهي خلاف الجميل شهوات الإنسان تورثه الذل وتلقيه في البلاء الطويل^(٤)

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّلُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَنَاتٍ مِّنْ فَضْوٍ وَكُؤُوبٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضَرٌ وَاسْتَبْرَقٌ وَحُلُوفٌ أَسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُرْجَاءَ وَكَانَ سَعْيُكَ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾.

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العميم فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات، وذكر الخلاف في الاتكاء هل هو الاضطجاع أو التمرق أو التربع أو التمكن في الجلوس؟ وأن الأرائك هي السرر تحت الحبال.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هي مزاج واحد دائم سرمدي ﴿لَا يَبْغُوْنَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّلُهَا﴾ أي: قريبة إليهم أغصانها ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾ أي: متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وقال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ﴿٢٣﴾ [الحاقة].

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس بسند حسن من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ١١٨.

(٣) أخرجه الشيخان (صحيح البخاري، المناقب، باب صفة النبي ﷺ ح ٣٥٥٦)؛ وصحيح مسلم، الرضاع، باب العمل بالاحاف القائف الولد (ح ١٤٥٩).

(٤) ينظر: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٨٦/٢٧.

قال مجاهد: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ إن قام ارتفعت معه بقدر، وإن قعد تذللت له حتى ينالها، وإن اضطجع تذللت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى: ﴿تَذْلِيلًا﴾^(١).
وقال قتادة: لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد^(٢).

وقال مجاهد: أرض الجنة من ورق وترابها المسك وأصول شجرها من ذهب وفضة وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والورق والشر بين ذلك، فمن أكل منها قائماً لم تؤذه، ومن أكل منها قاعداً لم تؤذه، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه^(٣).

وقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِتَائِيَةٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي: يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب، وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم.

وقوله: ﴿قَوَارِيرًا ۖ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾ فالأول: منصوب بخبر «كان» أي: كانت قوارير.

والثاني: منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه بيّنه بقوله: ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغير واحد: يياض الفضة في صفاء الزجاج^(٤). والقوارير لا تكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا.

قال ابن المبارك: عن إسماعيل، عن رجل، عن ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيت في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة^(٥). رواه ابن أبي حاتم.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: على قدر ربه لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي مُعَدَّة لذلك، مقدرة بحسب ربي صاحبها هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح وقاتدة وابن أبزى وعبد الله بن عمير والشعبي وابن زيد^(٦)، وقاله ابن جرير وغير واحد، وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿فَذَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قدرت للكف^(٧)، وهكذا قال الربيع بن أنس.

وقال الضحاك: على قدر كف الخادم. وهذا لا ينافي القول الأول فإنها مقدرة في القدر والري.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ أي: ويسقون يعني الأبرار أيضاً في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي: خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو: بارد، وتارة

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد. (المصنف ٦٧/٨) وله شواهد في الصحيح وغيره.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٥) سنده ضعيف لأبهم الراوي عن ابن عباس.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد. (المصنف ٢٨٧/٨)، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

بالزنجبيل وهو: حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد^(١)، وقد تقدم قوله جلّ وعلا: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ وقال ههنا ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلاً﴾^(٢) أي: الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسيلاً. قال عكرمة: اسم عين في الجنة^(٣).

وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها^(٤).

وقال قتادة: عيناً فيها تسمى سلسيلاً عين سلسلة مستقيد ماؤها^(٥).

وحكى ابن جرير، عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلق^(٦)، واختار هو أنها تعم ذلك كله، وهو كما قال.

وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾^(٧) أي: يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ أي: على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، ومن فسرهم بأنهم مخرصون في آذانهم الأقربة فإنما عبر عن المعنى بذلك لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير. وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن.

قال قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه^(٨).

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ أي: وإذا رأيت يا محمد ﴿نَمًّا﴾ أي: هناك يعني في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور ﴿رَأَيْتَ نَعِيماً وَمَلَكًا كَبِيراً﴾ أي: مملكة الله هناك عظيمة وسلطاناً باهراً، وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً إليها: إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها^(٩)، وقد قدمنا في الحديث المروي من طريق ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه»^(١٠) فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى.

وقد روى الطبراني ههنا حديثاً غريباً جداً فقال: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عمار

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظ: «تمزج بالزنجبيل». وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة».

(٢) معناه صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) ذكره الطبري ونسبه إلى بعض نحوي الكوفة، ومنهم الفراء فقد ذكره في معاني القرآن ٣/٢١٧.

(٦) أخرجه هناد من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به. (الزهد رقم ١٧٤) وسنده صحيح.

(٧) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه (الصحيح، الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً ح ١٨٦).

(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة القيامة آية ٢٣.

الموصللي، حدثنا عقبه بن سالم، عن أيوب بن عتبة، عن عطاء، عن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «سل واستفهم» فقال: يا رسول الله فضلتكم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنتُ بما آمنتَ به وعملتُ بما عملتَ به إني لكائن معك في الجنة؟ قال: نعم والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله، ومن قال: سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة، فقال رجل: كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟» فقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة أو نعم الله، فتكاد تستنفد ذلك كله إلا أن يتغمده الله برحمته، ونزلت هذه السورة ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ فقال الحبشي: وإن عيني لترى ما ترى عينك في الجنة؟ قال: نعم فاستبكي حتى فاضت نفسه». قال ابن عمر: ولقد رأيت رسول الله ﷺ يدلّيه في حفرة بيده^(١).

وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ أي: لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو: رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس.

﴿وَحُلُواْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وهذه صفة الأبرار وأما المقربون فكما قال تعالى: ﴿يُكَلِّفُونَ فِيهَا مِّنْ أَسَاوِرَ مِّنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغلّ والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هناك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من إحداهما فأذهب الله ما في بطونهم من أذى، ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم، فأخبر ﷺ بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي: يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم كما قال تعالى: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الدَّالِيَةِ﴾ [الحاقة] وكقوله تعالى: ﴿وَتُودُّوْنَ أَن تَلَکُمُ الْجَنَّةُ أُرْسِلْتُمْوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي: جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ ٢٣ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ٢٤ ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ٢٥ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ٢٦ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَّيْلًا﴾ ٢٧ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ ٢٨ ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ٢٩ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ٣٠ ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ٣١.

يقول تعالى ممتناً على رسوله ﷺ بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلاً: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

(١) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٢/٤٣٦ ح ١٣٥٩٥) وسنده ضعيف لضعف أيوب بن عتبة. (مجمع الزوائد

أي: كما أكرمك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره ﴿وَلَا تُطْعَمُنَّ مِنْهُمْ إِيَّائًا أَوْ كُفُورًا﴾ أي: لا تطعم الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله، فإن الله يعصمك من الناس، فالآثم هو الفاجر في أفعاله، والكفور هو الكافر قلبه ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٢٥) ﴿أَي: أول النهار وآخره﴾ ﴿وَمَنْ أَلَّيْلَ فَاسْتَجِدْ لَهُمْ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (٢٦) كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّيْلَ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٢٧) [الإسراء] وكقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الزَّيْلُ﴾ (٢٨) ﴿قُرْ أَلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢٩) ﴿نُصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ (٣٠) ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (٣١) [المزمل].

ثم قال تعالى منكرًا على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَالَمَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَفِيلًا﴾ (٣٧) يعني: يوم القيامة ثم قال تعالى: ﴿تَخَنُّ خَلْقَتَهُمْ وَشَدَّدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني: خلقهم^(١). ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقًا جديدًا، وهذا استدلال بالبداة على الرجعة.

وقال ابن زيد وابن جرير: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم^(٢). كقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ (٣٣) [النساء] وكقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٣٤) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٣٥﴾ [إبراهيم]. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ يعني هذه السورة تذكرة ﴿فَمَنْ شَاءَ اخْتِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي: طريقًا ومسلكًا؛ أي: من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية [النساء: ٣٩].

ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعًا ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية فيسيرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ثم قال تعالى: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣٦) أي: يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن يهده فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له.

آخر تفسير سورة الإنسان، [والله أعلم]^(٣).

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ويتقوى بما يليه: فقد أخرجه الطبري

بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) ذكره الطبري بنحوه، وأخرجه بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٣) زيادة من (حم).

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

وهي مكية

قال البخاري: حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثني إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزل عليه ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ فإنه ليتولها وإنني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبي ﷺ: «اقتلوها» فابتدرناها فذهبت فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيت شرها»^(١). وأخرجه مسلم أيضاً من طريق الأعمش^(٢).

وقال الإمام أحمد: ثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس، عن أمه أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً^(٣). وفي رواية مالك، عن الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فقالت: يا بني أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب^(٤). أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك به^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ١ ﴿فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا﴾ ٢ ﴿وَالنَّشِيرَاتِ شَرْيًا﴾ ٣ ﴿فَالْفَرْقَاتِ فَرَفًا﴾ ٤ ﴿فَالْمَلْفَيْتِ ذِكْرًا﴾ ٥ ﴿عُدْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ ٦ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ﴾ ٧ ﴿فَإِذَا الْتَجُّمُ طُمِسَتْ﴾ ٨ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ ٩ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ﴾ ١٠ ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُنْفِثَتْ﴾ ١١ ﴿لَا إِلَهَ يَوْمَ يُحْلَتُ﴾ ١٢ ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ ١٣ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ ١٤ ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ١٥ ﴿

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا زكريا بن سهل المروزي، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، أنا الحسين بن واقد، ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الملائكة^(٦). وروي عن مسروق وأبي الضحى ومجاهد في إحدى الروايات والسدي والربيع بن

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب ح ١٨٣٠).

(٢) صحيح مسلم، السلام، باب قتل الحيات (ح ٢٢٣٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٦/٣٣٨) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثته (الموطأ، الصلاة، باب القراءة في المغرب والعشاء ح ٢٤). وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، الأذان، باب القراءة في المغرب (ح ٧٦٣)؛ وصحيح مسلم، الصلاة، باب القراءة في الصبح (ح ٤٦٢).

(٦) أخرجه الحاكم من طريق علي بن الحسن بن شقيق به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٥١١).

أنس مثل ذلك^(١)، وروي عن أبي صالح أنه قال: هي الرسل^(٢)، وفي رواية عنه: إنها الملائكة، وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات: إنها الملائكة.

وقال الثوري: عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين قال: سألت ابن مسعود عن ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الريح^(٣)، وكذا قال في ﴿فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا﴾ ﴿وَالنَّشِيرَتِ نَشْرًا﴾ ﴿إِنهَا الرِّيحُ﴾، وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح في رواية عنه^(٤).

وتوقف ابن جرير في ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضاً أو هي الرياح إذا هبت شيئاً فشيئاً؟ وقطع بأن العاصفات عصفاً: الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه، ومن قال ذلك في ﴿فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا﴾ أيضاً علي بن أبي طالب والسدي^(٥)، وتوقف في ﴿وَالنَّشِيرَتِ نَشْرًا﴾ هل هي الملائكة أو الريح كما تقدم.

وعن أبي صالح أن ﴿وَالنَّشِيرَتِ نَشْرًا﴾ هي: المطر^(٦)، والأظهر أن ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ هي الرياح كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيِّنَ يَدَي رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧] وهكذا العاصفات هي الرياح يقال: عصفت الرياح إذا هبت بتصويت، وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا﴾ ﴿فَالْمُلْقَتِ ذِكْرًا﴾ ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ يعني: الملائكة. قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والسدي والثوري^(٧)، ولا خلاف ههنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل، والهدي والغبي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إعدار إلى الخلق وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره.

وقوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعَ﴾ هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام؛ أي: ما وعدتم به من قيام الساعة، والنفخ في الصور، وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر إن هذا كله لواقع؛ أي: لكائن لا محالة.

ثم قال: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: ذهب ضوؤها كقوله: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير] وكقوله: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ [الانفطار].

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّتَتْ﴾ أي: انفطرت وانشقت وتدلَّت أرجاؤها ووهت أطرافها ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مسلم، وهو ابن ضبيح، عن مسروق.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل، وهو السدي الكبير، عن أبي صالح.

(٣) سنده صحيح وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري من طريق المسعودي عن سلمة بن كهيل به.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ويتقوى بما يليه: فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل، وهو السدي الكبير، عن أبي صالح.

(٥) أخرجه الطبري والحاكم من طريق خالد بن عرعة عن علي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١١/٢)، وقول السدي تقدم ضمن الرواية السابقة.

(٦) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر من طريق إسماعيل عن أبي صالح.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل، وهو السدي الكبير، عن أبي صالح.

نُسِفَتْ ﴿١٦﴾ أَي: ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله: ﴿وَسَتُّونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ﴿١٧﴾ الآية [طه] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَسِيزُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٤٧﴾ [الكهف].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ﴾ ﴿١١﴾ قال العوفي عن ابن عباس: جمعت^(١).
وقال ابن زيد: وهذه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩]^(٢).
وقال مجاهد: ﴿أَقْنَتْ﴾ أجلت^(٣).

وقال الثوري: عن منصور، عن إبراهيم: ﴿أَقْنَتْ﴾ أوعدت^(٤)، وكأنه يجعلها كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ [الزمر].

ثم قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمَ أُخِّلَتْ﴾ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجى أمرها؟ حتى تقوم الساعة. كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدَهُ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَرْضَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ [إبراهيم] وهو يوم الفصل كما قال تعالى: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ ﴿١٣﴾.

ثم قال تعالى معظماً لشأنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أي: ويل لهم من عذاب الله غداً، وقد قدمنا في الحديث أن ويل وادٍ في جهنم، ولا يصح.

﴿أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِنَّ قَدْرَ مَقْلُوبٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسِيَّ شَلِجًا وَاسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٦﴾؟ يعني: من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءهم به ﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٧﴾ أي: ممن أشبههم ولهذا قال: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ قاله ابن جرير^(٥).

ثم قال تعالى ممتناً على خلقه ومحتجاً على الإعادة بالبداة: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾ أي: ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة الباري ﷻ كما تقدم في سورة يس في حديث بشر بن جحاش بن آدم: أني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه^(٦)؟ ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ ﴿٢١﴾ يعني:

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) سنده صحيح، وأخرجه الطبري من طريق سفيان به.

(٥) ذكره الطبري بنحوه.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة يس آية ٧٧.

جمعناه في الرحم، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم مُعدّ لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء.

وقوله: ﴿إِن كَذَّبَ مَعْلُومٌ﴾ (٢٢) يعني: إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (٢٣) وَبَلَّ يَوْمِيزٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٤).

ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ (٢٥) أَخْيَاءَ وَأُمَوَاتًا﴾ (٢٦) قال ابن عباس: ﴿كِفَاتًا﴾ كَنَّا^(١). وقال مجاهد: يكفت الميت فلا يرى منه شيء^(٢).

وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم^(٣)، وكذا قال مجاهد وقتادة^(٤).

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسَىٰ شَاحِنَ﴾ يعني: الجبال أرسى بها الأرض لثلاث تميد وتضطرب ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ أي: عذباً زلالاً من السحاب أو مما أنبعه من عيون الأرض.

﴿وَبَلَّ يَوْمِيزٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٨) أي: ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها. ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره.

﴿أُطْلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ (٢٩) أُطْلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ﴾ (٣١) إِنَّمَا تَرَىٰ بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ﴾ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾ (٣٣) وَبَلَّ يَوْمِيزٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٤) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤَدُّ لَّهُمْ قِيعَادُونَ﴾ (٣٦) وَبَلَّ يَوْمِيزٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٧) هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِذِبُوا﴾ (٣٩) وَبَلَّ يَوْمِيزٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٠).

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار، أنهم يقال لهم يوم القيامة: ﴿أُطْلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ (٢٩) أُطْلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (٣٠) يعني: لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب ﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ﴾ (٣١) أي: ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه ولا يغني من اللهب، يعني: ولا يقيهم حر اللهب.

وقوله: ﴿إِنَّمَا تَرَىٰ بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ﴾ (٣٢) أي: يتطاير الشرر من لهبها كالقصر، قال ابن مسعود: كالحصون^(٥).

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك، عن زيد بن أسلم وغيرهم يعني: أصول الشجر^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق بيان عن الشعبي.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبراني بسند ضعيف عن ابن مسعود في سننه خديج بن معاوية وهو ضعيف (ينظر: مجمع الزوائد ١٣٢/٧).

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الرحمن بن عباس عن ابن عباس بنحوه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

﴿كَأَنَّهُمْ جُمِلَتِ صُفَرٌ﴾ (٣٣) أي: كالإبل السود. قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير^(١).

وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ﴿جُمِلَتِ صُفَرٌ﴾ يعني: حبال السفن^(٢)، وعنه أعني ابن عباس ﴿جُمِلَتِ صُفَرٌ﴾ قطع نحاس^(٣).

وقال البخاري: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى، أخبرنا سفيان، عن عبد الرحمن بن عابس، قال سمعت ابن عباس: ﴿إِنَّمَا تَرَى بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ﴾ (٣٣) قال: كنا نعمل إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك، فنرفعه للبناء فنسميه القصر ﴿كَأَنَّهُمْ جُمِلَتِ صُفَرٌ﴾ (٣٣) حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال^(٤). ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٤).

ثم قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) أي: لا يتكلمون ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (٣٦) أي: لا يقدرُونَ على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا، فهم لا ينطقون وعرصات القيامة حالات، والربُّ تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذٍ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٧).

وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكَ وَالْأَوَّلِينَ﴾ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكَ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكَ وَالْأَوَّلِينَ﴾ (٣٨) يعني: أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر.

وقوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكَ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ (٣٩) تهديد شديد ووعيد أكيد؛ أي: إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا فإنكم لا تقدرُونَ على ذلك كما قال تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْيَمِينَ وَالْإِشْقَ أَنْ تَفْعُلُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْقُدُوا لَا تَفْعُلُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٣٣) [الرحمن] وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَصْرُوهُمْ شَيْئاً﴾ [هود: ٥٧].

وفي الحديث: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا نقعي فتفنعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني»^(٥).

وقد قال ابن أبي حاتم: ثنا علي بن المنذر الطريقي الأودي، ثنا محمد بن فضيل، ثنا حصين بن عبد الرحمن، عن حسان بن أبي المخارق، عن أبي عبد الله الجدلي قال: أتيت بيت المقدس فإذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس، فقال عبادة: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعي ويقول الله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكَ وَالْأَوَّلِينَ﴾ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكَ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) اليوم لا

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق داود بن أبي هند عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري من طريق خفيف عن مجاهد، وخفيف سيء الحفظ.

(٢) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر، وهو جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب «كأنه جمالات صفر» ح ٤٩٣٣).

(٥) أخرجه مسلم من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه مطولاً (الصحيح، البر والصلة، باب تحريم الظلم ح ٢٥٧٧).

ينجو مني جبار عنيد ولا شيطان مريد. فقال عبد الله بن عمرو: فإننا نحدث يومئذ أنها تخرج عنق من النار فتنتطلق حتى إذا كانت بين ظهراي الناس نادى: أيها الناس إني بعثت إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده، ومن الأخ بأخيه، لا يغيهم عني وزر، ولا تخفيهم عني خافية الذي جعل مع الله إلهاً آخر، وكل جبار عنيد، وكل شيطان مريد، فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة^(١).

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَقَوَّكَةً مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَسَبْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوا وَتَمَنَعُوا فَلَيلاً ﴿٤٦﴾ إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٩﴾ فَآيَ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات وترك المحرمات: إنهم يوم القيامة يكونون في جنان وعيون؛ أي: بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليعحوم، وهو الدخان الأسود المتن.

وقوله تعالى: ﴿وَقَوَّكَةً مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا ﴿كُلُوا﴾ و﴿اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَسَبْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا فَلَيلاً ﴿٤٦﴾﴾ خطاب للمكذبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا فَلَيلاً﴾ أي: مدة قليلة قريبة قصيرة ﴿إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ﴾ أي: ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿نُتِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٤٨﴾﴾ [لقمان] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٤٩﴾﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يونس].

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَآيَ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي: إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به كقوله تعالى: ﴿فَآيَ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيُنِيهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجن: ٦].

قال ابن أبي حاتم: ثنا ابن أبي عمر، ثنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية سمعت رجلاً أعرابياً بدوياً يقول سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ والمرسلات عرفاً فقراً: ﴿فَآيَ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فليقل آمنت بالله وبما أنزل. وقد تقدم هذا الحديث في سورة القيامة^(٢).

آخر سورة المرسلات، [ولله الحمد والمِنَّة]^(٣).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة عن محمد بن فضيل به. (المصنف ٨/ ١٠٠) وفي سننه حسان بن أبي المخارق سكت عنه البخاري (التاريخ الكبير ٣/ ٣٣) وابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٣/ ٢٣٥) وذكره ابن حبان في الثقات (٢٢٣/ ٦). ويتقوى بالشواهد فقد وردت له شواهد في الصحاح والسنن.

(٢) تقدم تخريجه في سورة القيامة آية ٤٠. (٣) زيادة من (ح).

سُورَةُ النَّبَا

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْتَلَفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ تُوًى كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقَنَّا أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِّبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ .

يقول تعالى منكرًا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكاراً لوقوعها: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ أي: عن أي شيء يتساءلون؟ عن أمر القيامة وهو: النبأ العظيم، يعني: الخبر الهائل المفظع الباهر. قال قتادة وابن زيد: ﴿النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ البعث بعد الموت ^(١). وقال مجاهد: هو القرآن ^(٢). والأظهر الأول لقوله: ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْتَلَفُونَ ﴿٣﴾﴾ يعني: الناس فيه على قولين: مؤمن به وكافر.

ثم قال تعالى متوعداً لمنكري القيامة: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ تُوًى كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكد، ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾﴾ أي: ممهدة للخلائق ذلولاً لهم قارة ساكنة ثابتة ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ أي: جعلها لها أوتاداً أرساها بها، وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها.

ثم قال: ﴿وَخَلَقَنَّا أَزْوَاجًا ﴿٨﴾﴾ يعني: ذكراً وأنثى يستمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِنَا أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ أي: قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في عرض النهار، وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة الفرقان ^(٣). ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِّبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ أي: يغشي الناس ظلامه وسواده كما قال: ﴿وَالْأَيْلُ إِذَا يَفْسُنَهَا ﴿١١﴾﴾ [الشمس]

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) آية ٤٧.

وقال الشاعر^(١):

فلما لَبِسَ اللَّيْلُ أَوْ حِينَ نَضَّيْتُ لَهُ مِنْ خِذَا^(٢) أَذَانَهَا وَهُوَ جَانِحُ^(٣)
 وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِإِيَّاسَ﴾: أي سكناً.
 وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾: أي: جعلناه مشرقاً نيراً مضيئاً ليتمكن الناس من
 التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك.
 وقوله تعالى: ﴿وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمُ سَبْعًا شِدَادًا﴾: يعني: السماوات السبع في اتساعها. وارتفاعها
 وإحكامها وإتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾
 يعني: الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم.
 وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾: قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾
 الريح^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: ثنا أبو سعيد، ثنا أبو داود الحفري، عن سفيان، عن الأعمش، عن
 المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال: الرياح^(٥). وكذا قال
 عكرمة ومجاهد وقاتدة ومقاتل والكلبي وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن أنها الرياح^(٦). ومعنى
 هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ أي: من السحاب^(٧). وكذا قال
 عكرمة أيضاً وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري واختاره ابن جرير^(٨).
 وقال الفراء: هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد كما يقال: امرأة معصر إذا دنا
 حيضها ولم تحض^(٩).

وعن الحسن وقاتدة: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ يعني: السماوات^(١٠).
 وهذا قول غريب والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ

(١) هو ذو الرمة صرح به الطبري في تفسير سورة البقرة آية ١٧.

(٢) خذيت الأذن: استرخت من أصلها وانكسرت مقبلة على الوجه. (لسان العرب: خ ذ ي).

(٣) استشهد به الطبري.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، وله متابعات كما يليه في رواية ابن أبي حاتم، ويتقوى
 أيضاً بالشواهد فقد أخرجه آدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه
 الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب
 عن ابن زيد.

(٥) سنده حسن.

(٦) تقدم تخريجه عن بعضهم كما في الحاشية قبل السابقة.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٨) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(٩) لم أجده في كتابه «معاني القرآن».

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن؛ وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق ابن أبي
 عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

الرِّيحَ فَنُفِثَ سَحَابًا فَيَسْطُرُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُمْ كِسْفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴿٤٨﴾ [الروم: ٤٨] أي: من بينه.

وقوله: ﴿مَاءٌ مُجَابًا﴾ قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس: ﴿مُجَابًا﴾ منصَّبًا^(١).

وقال الثوري: متتابعاً^(٢).

وقال ابن زيد: كثيراً^(٣).

قال ابن جرير: ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثَّجُّ، وإنما الثَّجُّ الصَّبُّ المتتابع ومنه قول النبي ﷺ: «أفضل الحج العَجَّ والثَّجَّ»^(٤) يعني: صَبَّ دماء البدن^(٥)، هكذا قال.

قلت: وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ: «أنعت لك الكرسف» يعني: أن تحتشي بالقطن فقالت: يا رسول الله هو أكثر من ذلك، إنما أُنِج ثَجًّا^(٦). وهذا فيه دلالة على استعمال الثَّجِّ في الصَّبِّ المتتابع الكثير والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿٦﴾﴾ أي: لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك ﴿حَبًّا﴾ يدخر للأناسي والأنعام ﴿وَنَبَاتًا﴾ أي: خضراً يؤكل رطباً ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ أي: بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعاً ولهذا قال: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿٦﴾﴾.

قال ابن عباس وغيره: ﴿أَلْفَافًا﴾ مجتمعة^(٧). وهذه كقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَحِيلٌ صِنَوَاتٌ وَعَيْرٌ صِنَوَاتٌ يَسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ الآية [الرعد: ٤].

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر عن الربيع.

(٢) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الترمذي من حديث أبي بكر ﷺ. (السنن، الحج، باب فضل التلبية والنحر ح ٨٢٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٦٦١)؛ وأخرجه ابن خزيمة. (الصحيح ١٧٥/٤ ح ٢٦٣١)؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٥٠/١).

(٥) ذكره الطبري بنحوه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد من حديث حمنة بنت جحش وضعف سنده محققوه. المسند ٤٥/٤٦٨ ح ٢٧٤٧٤؛ وأخرجه أبو داود. السنن، الطهارة، باب من قال: إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة (ح ٢٨٧) والترمذي (السنن، الطهارة، باب ما جاء في المستحاضة ح ١٢٨)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ١١٠)؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/١٧٢). وقد ذكر له الحاكم له شواهد، ولهذا حسنه الشيخ الألباني وهو كما قال. ولهذا استشهد به الحافظ ابن كثير واستدل به.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا ﴿٧﴾ يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿١٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿١٢﴾ لَيْتِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿١٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿١٤﴾ إِلَّا حِيمًا وَغَسَاقًا ﴿١٥﴾ جَزَاءً وَفَاءً ﴿١٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿١٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿١٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿١٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزداد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١١٤].

﴿يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ قال مجاهد: زمراً زمراً^(١).

قال ابن جرير: يعني تأتي كل أمة مع رسولها^(٢). كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْعَانِهِمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

وقال البخاري: ﴿يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ حدثنا محمد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: أربعون يوماً؟ قال: «أبيت»^(٣). قالوا: أربعون شهراً؟ قال: «أبيت». قالوا: أربعون سنة؟ قال: «أبيت»، قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة^(٤).

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي: طرقاتاً ومسالك لنزول الملائكة ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارة: ٥] وقال ههنا: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال: ﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أي: مرصدة معدة ﴿لِلطَّغْيِينِ﴾ وهم: المردة العصاة المخالفون للرسول ﴿مَتَابًا﴾ أي: مرجعاً ومقلباً ومصيراً ونزلاً.

وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: يعني: أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس^(٥).

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) ذكره الطبري بلفظ: «فتجيئون زمراً زمراً، وجماعة جماعة».

(٣) أي: أن أقول ما لم أسمع. (فتح الباري ٨/ ٦٩٠).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبا: ح ٤٩٣٥]).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن مقتصرًا على الشطر الأول؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني عن الحسن بنحوه بشرطه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحو الشطر الأول.

وقال سفيان الثوري: عليها ثلاث قناطر^(١).

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أي: ماكثين فيها أحقاباً، وهي جمع حقب، وهو: المدة من الزمان، وقد اختلفوا في مقداره.

فقال ابن جرير، عن ابن حميد، عن مهران، عن سفيان الثوري، عن عمار الدهني، عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري: ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة^(٢). وهكذا روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبيرة وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك^(٣). وعن الحسن والسدي أيضاً: سبعون سنة كذلك^(٤).

وعن عبد الله بن عمرو: الحقب أربعون سنة، كل يوم منها كالف سنة مما تعدون. رواهما ابن أبي حاتم.

وقال بشير بن كعب: ذكر لي أن الحقب الواحد ثلاثمائة سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم منها كالف سنة^(٥). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. ثم قال ابن أبي حاتم: ذكر عن عمرو بن علي بن أبي بكر [الأسفيدي]^(٦)، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال: فالحقب شهر، الشهر ثلاثون يوماً، والسنة اثنا عشر شهراً، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم منها ألف سنة مما تعدون، فالحقب ثلاثون ألف سنة^(٧). وهذا حديث منكر جداً والقاسم هو الراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك.

وقال البزار: حدثنا محمد بن مرداس، حدثنا سليمان بن مسلم أبو العلاء قال: سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد؟ فقال: حدثني نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً»، قال: والحقب بضع وثمانون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً مما تعدون^(٨) ثم قال: سليمان بن مسلم بصري مشهور.

(١) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه عبد الرزاق وهناد. (الزهد رقم ٢٢٠) كلاهما من طريق عمار الدهني به، وفي سنده سالم بن أبي الجعد لم يسمع من علي عليه السلام. (جامع التحصيل ص ٢١٧).

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس بسند حسن من طريق عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة عليه السلام؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس؛ وأخرجه أيضاً بسند ضعيف عن سعيد بن جبيرة، في سنده جابر بن نوح وهو ضعيف كما في التقريب.

(٤) أخرجه الطبري عن الحسن بلاغاً بلفظ: «سبعون ألف سنة».

(٥) أخرجه الطبري من طريق إسحاق بن سويد عن بشير به، وسنده ضعيف لضعف إسحاق بن سويد. (ينظر: التقريب ص ٩٩ - ١٠١).

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: الأسدي.

(٧) سنده ضعيف لم يذكر فيه اسم شيخه، وجعفر بن الزبير ضعيف.

(٨) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح ٢٢٤٩) وسنده ضعيف جداً لأن سليمان بن مسلم ضعيف جداً. (مجمع الزوائد ٣٩٥/١٠).

وقال السدي: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣) سبعمائة حقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم كآلف سنة مما تعدون.

وقد قال مقاتل بن حيان: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (٣٠) ^(١). وقال خالد بن معدان: هذه الآية وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] في أهل التوحيد ^(٢). رواهما ابن جرير ثم قال: ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣) متعلقاً بقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٢) ^(٣) ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذاباً من شكل آخر ونوع آخر، ثم قال: والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس.

وقد قال قبل ذلك: حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن زهير، عن سالم، سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣) قال: أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار، ولكن ذكروا أن الحقب: سبعون سنة، كل يوم منها كآلف سنة مما تعدون ^(٤).

وقال سعيد، عن قتادة قال الله تعالى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣) وهو ما لا انقطاع له، وكلما مضى حقب جاء حقب بعده، وذكر لنا أن الحقب: ثمانون سنة ^(٥).

وقال الربيع بن أنس: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣) لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله ﷻ، وذكر لنا أن الحقب الواحد: ثمانون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم كآلف سنة مما تعدون ^(٦). رواهما أيضاً ابن جرير.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٢) أي: لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم ولا شراباً طيباً يتغذون به ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ (٢٥).

قال أبو العالية: استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق ^(٧)، وكذا قال الربيع بن أنس، فأما الحميم: فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه، والغساق: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطيع من برده، ولا يواجهه من نتنه.

وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة ص ^(٨) بما أغنى عن إعادته أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه.

(١) أخرجه الطبري من طريق أبي معاذ الخراساني به، وسنده ضعيف لأنه معضل.

(٢) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق عامر بن جشيب عن خالد.

(٣) ذكره الطبري بنحوه ولم يذكر ما بعد الآية مما نسبته الحافظ ابن كثير إليه ولعله لديه نسخة غير التي بين أيدينا.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ولم يصرح الحسن البصري باسم شيخه.

(٥) أخرجه الطبري من طريق سعيد به، ولم يصرح قتادة باسم شيخه.

(٦) أخرجه الطبري من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع، ولم يصرح الربيع باسم شيخه.

(٧) أخرجه هناد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية. (الزهد رقم ٢٩٢) وسنده جيد.

(٨) في الآية رقم ٥٧.

قال ابن جرير: وقيل: المراد بقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ يعني: النوم كما قال الكندي:

بردت مراشفها عليّ فصَدَّني عنها وعن قُبُلَاتِهَا البرد يعني بالبرد: النعاس^(١) والنوم، هكذا ذكره ولم يعزه إلى أحد، وقد رواه ابن أبي حاتم من طريق السدي، عن مُرة الطيب^(٢)، ونقله عن مجاهد أيضاً، وحكاه البغوي عن أبي عبيدة والكسائي أيضاً^(٣).

وقوله تعالى: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ أي: هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا قاله مجاهد وقتادة وغير واحد^(٤).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي: لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابًا﴾ أي: وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله ﷺ، فيقبلونها بالكذب والمعاندة.

وقوله: ﴿كَذَّابًا﴾ أي: تكذيباً، وهو مصدر من غير الفعل قالوا: وقد سمع أعرابي يستفتي الفراء على المروءة: الحلق أحب إليك أو القصار؟ وأنشد بعضهم:

لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي وعن حوج [قضاؤها]^(٥) من شفائيا^(٦)
وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَخَصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ أي: وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم، وسنجزئهم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي: يقال لأهل النار: ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ [ص].

قال قتادة، عن أبي أيوب الأزدي، عن عبد الله بن عمرو قال: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبداً^(٧).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري، حدثنا خالد بن عبد الرحمن، حدثنا جسر بن فرقد، عن الحسن قال: سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار. قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: هلك القوم بمعاصيهم الله ﷻ^(٨). جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية.

(١) ذكر الطبري بنحوه، والكندي هو امرؤ القيس وقد ورد هذا البيت في ديوانه ص ٢١٣١.

(٢) طريق السدي عن مُرة الطيب حسن. (٣) ذكره البغوي عنهما. (معالم التنزيل ٤/٤٣٨).

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) كذا في تفسير الطبري ومعاني القرآن للفراء ولسان العرب (ق ض ي)، وفي الأصول الخطية بلفظ: «قصارها».

(٦) ذكره الفراء (معاني القرآن ٣/٢٢٩) والطبري بنحوه.

(٧) أخرجه الطبري من طريق قتادة به، ولم أقف على ترجمة لأبي أيوب الأزدي، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) سنده ضعيف لضعف جسر بن فرقد. (لسان الميزان ٢/١٠٤).

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن السعداء، وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ قال ابن عباس والضحاك: مترهاً^(١). وقال مجاهد وقتادة: فازوا فنجوا من النار^(٢).

والأظهر ههنا قول ابن عباس؛ لأنه قال بعده: ﴿حَدَائِقَ﴾ والحدائق البساتين من النخيل وغيرها ﴿وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾﴾ و﴿كَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ أي: وحوراً كواعب.

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: ﴿وَكُوعِبَ﴾ أي: نواهد^(٣). يعنون: أن ثديهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار عرب أتراب أي: في سن واحد كما تقدم بيانه في سورة الواقعة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدشقي، حدثني أبي، عن أبي سفيان عبد الرحمن بن [عبد الله]^(٤) بن تيم، حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث، عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي، عن أبي أمامة أنه سمعه يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن قمص أهل الجنة لتبدوا من رضوان الله، وإن السحابة لتمر بهم فتناديهم: يا أهل الجنة ماذا تريدون أن أمطرهم؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب»^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ قال ابن عباس: مملوءة متتابعة^(٦). وقال عكرمة: صافية^(٧).

وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد: ﴿دِهَاقًا﴾ الملقى المترعة^(٨). وقال مجاهد وسعيد بن جبیر: هي المتتابعة^(٩).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾﴾ كقوله: ﴿لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْيِيْدٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي: ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة، ولا إثم كذب بل هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص وقوله: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ أي: هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به

- (١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
- (٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (٤) كذا في نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي، وكذا في النسخة الأزهرية حسب طبعة الشعب، وفي الأصل و(ح) و(حم) بياض. وورد في تاريخ أصبهان ١٩٥/١ لأبي نعيم باسم: عبد رب.
- (٥) سنده ضعيف لجهالة عطية بن سليمان أبي الغيث. (التقريب ص ٣٩٣).
- (٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (٧) أخرجه الطبري من طريق عمر بن عطاء عن عكرمة، وعمر: ضعيف. (التقريب ص ٤١٦).
- (٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٩) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن سعيد بن جبیر.

وأعطاهموه بفضلله ومنه وإحسانه ورحمته عطاء حساباً أي: كافياً وافياً سالماً كثيراً. تقول العرب: أعطاني فأحسبني أي: كفاني، ومنه: حسبي الله، أي: الله كافي.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قَدْ بَلَغَ أَهْلَهُ بِالنِّبَاتِ ﴿٤٠﴾﴾

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله، وأنه ربُّ السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي: لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾.

اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا ما هو؟ على أقوال:

أحدها: ما رواه العوفي عن ابن عباس: أنهم أرواح بني آدم.

الثاني: هم: بنو آدم^(١). قاله الحسن وقتادة^(٢).

وقال قتادة: هذا مما كان ابن عباس يكتمه^(٣).

الثالث: أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا بشر، وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش^(٤).

الرابع: هو: جبريل، قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك^(٥). ويستشهد لهذا القول بقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٢﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء].

وقال مقاتل بن حيان: الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إلى الرب ﷻ وصاحب الوحي^(٦).

الخامس: أنه القرآن قاله ابن زيد^(٧).

كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الآية [الشورى: ٥٢].

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما يليه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، ولكن قتادة لم يسمع من ابن عباس.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل عن أبي صالح.

(٥) عزاه البغوي إلى الشعبي والضحاك.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وإلى أبي الشيخ، وقد أخرجه أبو الشيخ في (العظمة رقم ٤١٨)، وسنده معضل.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

والسادس: أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقاً^(١).

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا رواد بن الجراح، عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن علقمة، عن ابن مسعود قال: الروح في السماء الرابعة، هو أعظم من السماوات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسيحة، يخلق الله تعالى من كل تسيحة ملكاً من الملائكة يجيء يوم القيامة صفاً وحده^(٢). وهذا قول غريب جداً.

وقد قال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري، حدثنا وهب [الله بن روق بن هبيرة، حدثنا بشر بن بكر]^(٣)، حدثنا الأوزاعي، حدثني عطاء، عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ملكاً لو قيل له: التقم السماوات السبع والأرضين بلقمة واحدة، لفعل، تسيحه: سبحانك حيث كنت»^(٤). وهذا حديث غريب جداً وفي رفعه نظر، وقد يكون موقوفاً على ابن عباس، ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات، والله أعلم.

وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها. والأشبه عندي والله أعلم: أنهم بنو آدم. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ كقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ النَّفْسَ إِلَّا بِذِيئَةٍ﴾ [هود: ١٠٥]، وكما ثبت في الصحيح: «لا يتكلم يومئذ إلا الرسل»^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: حقاً، ومن الحق «لا إله إلا الله» كما قاله أبو صالح وعكرمة^(٦).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾ أي: الكائن لا محالة ﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَتَابًا﴾ أي: مرجعاً وطريقاً يهتدي إليه ومنهجاً يمر به عليه.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني: يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريباً لأن كل ما هو قريب آت.

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: يعرض عليه جميع أعماله خيراً وشرها قديمها وحديثها كقوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] وكقوله: ﴿يَبْيُخُّ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [٣٣] [القيامة].

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده رواد بن الجراح: صدوق اختلط بآخره فترك. (التقريب ص ٢١١).

(٣) كذا في نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي، وفي الأصل بياض. وفي المعجم الكبير للطبراني بلفظ: «وهب الله بن رزق أبو هريرة» (١١/١٩٥ ح ١١٤٧٦).

(٤) أخرجه الطبراني بسنده مع الاختلاف المتقدم وبمثته. (المصدر السابق) قال الهيثمي: وتفرده به وهب بن رزق. (مجمع الزوائد ٨٠/١) وقد استغربه الحافظ ابن كثير.

(٥) تقدم تخريجه في سورة هود آية ١٠٥.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل - وهو السدي الكبير - عن أبي صالح؛ وأخرجه الطبري والبيهقي (الأسماء والصفات ٢٠٥) كلاهما بسند ضعيف من طريق حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة؛ ويتقوى بسابقه وبما أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظه.

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبِغُنِي كُتُّ رَبِّبَا﴾ أي: يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا تراباً، ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود، وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة.

وقيل: إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور حتى إنه ليقْتَصَّ للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها: كوني تراباً فتصير تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلْبِغُنِي كُتُّ رَبِّبَا﴾ أي: كنت حيواناً فأرجع إلى التراب، وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور^(١)، وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما.

آخر تفسير سورة عمّ، والله الحمد والمنة.

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنعام آية ٧٣.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢) وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا﴾ (٣) فَالسَّيِّغَاتِ سَبْعًا﴾ (٤) فَالْمُدْرِكَاتِ﴾ (٥) أَمْرًا﴾ (٦) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٧) تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (٨) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (٩) أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ (١٠) يَقُولُونَ﴾ (١١) أَوَّاهًا لَمَرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ (١٢) أَوَّاهًا كُنَّا عِظْمًا جِغَرَةً﴾ (١٣) قَالُوا يَا نَارُ كَرِهِي خَاسِرَةً﴾ (١٤) فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٥) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٦).

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدي: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) الملائكة^(١). يعنون: حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط، وهو قوله: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢) قاله ابن عباس^(٢).

وعن ابن عباس ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ هي: أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار. رواه ابن أبي حاتم.

وقال مجاهد: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) الموت^(٣).

وقال الحسن وقتادة: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢) هي النجوم^(٤).

وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾، ﴿وَالنَّشِيطَاتِ﴾: هي: القسي في القتال^(٥). والصحيح الأول وعليه الأكثرون.

وأما قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا﴾ (٣) فقال ابن مسعود: هي الملائكة^(٦)، وروي عن علي

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مسروق عن ابن مسعود؛ وأخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير؛ وأما قول مسروق وأبي صالح وأبي الضحى والسدي فهم ضمن أسانيد ابن مسعود وابن عباس المتقدمة.

(٢) أخرجه الحاكم من طريق مجاهد عن ابن عباس بلفظ: «الموت»، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٥١٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) عزاه البغوي إلى عطاء. (معالم التنزيل ٤/ ٤٤١).

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح مثل ذلك^(١).
وعن مجاهد: ﴿وَالسَّيِّئَاتِ سَبْعًا﴾^(٢) الموت^(٣).
وقال قتادة: هي النجوم^(٣).
وقال عطاء بن أبي رباح: هي السفن^(٤).
وقوله تعالى: ﴿فَالسَّيِّئَاتِ سَبْعًا﴾^(٤) روي عن علي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصري يعني: الملائكة^(٥).
قال الحسن: سبقت إلى الإيمان والتصديق به.
وعن مجاهد: الموت^(٦).
وقال قتادة: هي النجوم.
وقال عطاء: هي الخيل في سبيل الله^(٧).
وقوله تعالى: ﴿فَالْمَذِيَّاتِ أَمْرًا﴾^(٥) قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وفتادة والربيع بن أنس والسدي: هي الملائكة^(٨)، زاد الحسن: تدبر الأمر من السماء إلى الأرض؛ يعني: بأمر ربها ﷻ، ولم يختلفوا في هذا.
ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك إلا أنه حكى في ﴿فَالْمَذِيَّاتِ أَمْرًا﴾^(٥) أنها الملائكة، ولا أثبت ولا نفى^(٩). وقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾^(٦) تَبَعُهَا الرَّادِفَةُ^(٧) قال ابن عباس: هما النفختان الأولى والثانية^(١٠)، وهكذا قال مجاهد والحسن وفتادة والضحاك وغير واحد^(١١).
وعن مجاهد: أما الأولى وهي قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾^(٦) فكقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤] والثانية وهي الرادفة فهي كقوله: ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾^(٧) [الحاقة]^(١٢).

- (١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وهو يخالف ما صح عن مجاهد كما يلي.
- (٢) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات وسنده صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
- (٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
- (٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق واصل بن السائب عن عطاء. وواصل ضعيف. (التقريب ص ٥٧٩).
- (٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد.. عن مجاهد. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن أبي صالح.
- (٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
- (٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف تقدم قبل روايتين عن عطاء.
- (٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن علي.
- (٩) قد استدلل الطبري بقول قتادة المتقدم، قائلاً وكذلك قال أهل التأويل. وكأنه أثبت ذلك ولم ينفعه.
- (١٠) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ أخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري.
- (١٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد وفيه زيادة إذ استشهد بقوله تعالى: ﴿إِذَا أَسْمَاءُ انْشَقَّتْ﴾^(١) [الانشقاق].

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن أبي الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه» فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: إذا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك^(١). وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري بإسناده مثله، ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قال ابن عباس: يعني: خائفة^(٣)، وكذا قال مجاهد وقتادة^(٤).

﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ أي: أبصار أصحابها وإنما أضيف إليها للملابسة أي ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَوْنَا لَنَرُدُّوْنَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ يعني: مشركي قريش.

ومن قال بقولهم في إنكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الحافرة وهي القبور، قاله مجاهد^(٥)، وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا: ﴿أَوْدَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾ وقرئ «ناخرة»^(٦).

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: أي بالية^(٧). قال ابن عباس: وهو العظم إذا بلي ودخلت الريح فيه.

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ وعن ابن عباس ومحمد بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك والسدي وقتادة: ﴿الْخَافِرَةُ﴾ الحياة بعد الموت^(٨).

وقال ابن زيد: ﴿الْخَافِرَةُ﴾ النار^(٩). وما أكثر أسماءها هي النار والجحيم وسقر وجهنم والهواية والحافرة ولظى والحطمة.

وأما قولهم: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ فقال محمد بن كعب: قالت قريش: لئن أحيانا الله بعد أن

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٣٦/٥) وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق سفيان به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٥١٣/٢)؛ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٨/٢ ح ٩٥٤).

(٢) سنن الترمذي، صفة القيامة، باب رقم ٢٣ (ح ٢٤٥٧) وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «انبعث خلقاً جديداً؟!».

(٦) وهي قراءة متواترة.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ويتقوى بما أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بإسنادين ضعيفين عن السدي ومحمد القرظي ويتقويان بما سبق.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

نموت لنخسر^(١). قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ أي: فإنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الربّ ﷻ ينظرون كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ لِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِن لَّبِثْنَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

قال مجاهد: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ صيحة واحدة^(٢).

وقال إبراهيم التيمي: أشد ما يكون الربّ غضباً على خلقه يوم يبعثهم.

وقال الحسن البصري: زجرة من الغضب.

وقال أبو مالك والربيع بن أنس: زجرة واحدة هي: النفخة الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ قال ابن عباس: الساهرة: الأرض كلها^(٣)، وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبو صالح.

وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد: الساهرة وجه الأرض^(٤).

وقال مجاهد: كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها.

قال: والساهرة: المكان المستوي^(٥).

وقال الثوري: الساهرة أرض الشام^(٦).

وقال عثمان بن أبي العاتكة: الساهرة: أرض بيت المقدس^(٧).

وقال وهب بن منبه: الساهرة: جبل إلى جانب بيت المقدس^(٨).

وقال قتادة أيضاً: الساهرة: جهنم^(٩).

وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا خزر بن المبارك الشيخ الصالح، حدثنا بشر بن [السري]^(١٠)، حدثنا مصعب بن ثابت، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي ﴿فَإِذَا

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.

(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي سنان عن وهب بن منبه.

(٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(١٠) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: «السدي».

هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ قال: أرض بيضاء عفاء خالية كالخبزة النقي^(١).

وقال الربيع بن أنس: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ ﴿١٤﴾ يقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٤٨﴾ [إبراهيم] ويقول: ﴿وَسَتَلَوْنَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾ طه. وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] وبرزت الأرض التي عليها الجبال، وهي لا تعد من هذه الأرض، وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة، ولم يهرق عليها دم.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾﴾.

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ عن عبده ورسوله موسى ﷺ أنه ابتعثه إلى فرعون، وأيده الله بالمعجزات، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به، ولهذا قال في آخر القصة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ ﴿٢٦﴾ فقله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ﴿١٥﴾ أي: هل سمعت بخبره؟ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾ ﴿١٦﴾ أي: كلمه نداء ﴿بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى﴾ ﴿١٦﴾ هو: اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له: ﴿أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿١٧﴾ أي: تجبر وتمرد وعتا ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّ﴾ ﴿١٨﴾ أي: قل له: هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به وتسلم وتطيع؟ ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ ﴿١٩﴾ أي: أدلك إلى عبادة ربك ﴿فَتَخْشَى﴾ ﴿٢٠﴾ أي: فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً خاشعاً بعد ما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ ﴿٢٠﴾ يعني: فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلاً واضحاً على صدق ما جاءه به من عند الله.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ ﴿٢١﴾ أي: فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة، وحاصله أنه كفر قلبه فلم يفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره، وعلمه بأن ما جاء به حق لا يلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ ﴿٢٢﴾ أي: في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى ﷺ من المعجزات الباهرات ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ ﴿٢٣﴾ أي: في قومه ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ ﴿٢٤﴾.

قال ابن عباس ومجاهد: وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] بأربعين سنة^(٢).

(١) سنده ضعيف لضعف مصعب بن ثابت (التقريب ص ٥٣٣) وله شواهد صحيحة يتقوى بها.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، بدون ذكر بأربعين سنة ويتقوى بما أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبد الكريم الجزري عن مجاهد.

قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ (٢٥) أي: انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُنْسِ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩] كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْذِبُونَ إِلَى الْكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُصْرُونَ﴾ (٨١) [القصص] وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: الدنيا والآخرة.

وقيل: المراد بذلك: كلمته: الأولى والثانية. وقيل: كفره وعصيانه.

والصحيح الذي لا شك فيه: الأول.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ (٣٣) أي: لمن يتعظ وينزجر.

﴿إِنَّمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءِ بَنَاهَا ۖ رَفَعَ سَتَكَهَا فَسَوَّاهَا ۖ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۖ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۖ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۖ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۖ مَتَاعًا لَّكُمُ وَلِأَنفُسِكُمْ﴾ (٣٣).

يقول تعالى محتجاً على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه: ﴿إِنَّمْ﴾ أيها الناس ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءِ﴾؟ يعني: بل السماء أشد خلقاً منكم كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) [يس].

وقوله: ﴿بَنَاهَا﴾ فسر به بقوله: ﴿رَفَعَ سَتَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ (٣٨) أي: جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (٣٨) أي: جعل ليلها مظلماً أسود حالكاً، ونهارها مضيئاً مشرقاً نيراً واضحاً.

وقال ابن عباس: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه^(١)، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وجماعة كثيرون^(٢).

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي: أثار نهارها.

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٣٩) فسر به بقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (٣٩) وقد تقدم في سورة حم السجدة^(٣) أن الأرض خلقت قبل خلق السماء، ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء بمعنى: أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل، وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي، حدثنا عبيد الله يعني: ابن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس: ﴿دَحَاهَا﴾ ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى، وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسندين ضعيفين عن الضحاك وعن عكرمة، ويتقويان بما سبق.

(٣) عند تفسير الآية ٤.

والسبل والآكام^(١)، فذلك قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٣٠) وقد تقدم تقرير ذلك هنالك^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا﴾ (٣١) أي: قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها، وهو الحكيم العليم الرؤوف بخلقه الرحيم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال» فقالت: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم: الحديد. قالت: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم النار. قالت: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم الماء. قالت: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح. قالت: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله^(٣).

وقال أبو جعفر ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي قال: لما خلق الله الأرض [قمصت]^(٤) وقالت: تخلق عليّ آدم وذريته، يلقون عليّ نتنهم ويعملون عليّ بالخطايا، فأرساها الله بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لا ترون، وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا نحر يختلج لحمه^(٥). غريب.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا لَكُمْ وَلَاتَمْلِكُوهُ﴾ (٣٢) أي: دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها، كل ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذا الدار إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى﴾ (٣٣) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٤) وَيُزَيَّرُ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٥) قَامًا مِّنْ طَعْنٍ (٣٦) وَآثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٣٧) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٨) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٣٩) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤٠) يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤١) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرهَا (٤٢) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَرًا (٤٣) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا (٤٤) كَانَتْ يَوْمَ يَرْوُهَا رَبُّ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٥).

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى﴾ (٣٣) وهو: يوم القيامة، قاله ابن عباس^(٦). سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفضع كما قال تعالى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٦].

(١) سنده حسن.

(٢) تقدم في تفسير سورة السجدة آية ٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وضعف سنده محققوه. (المسند ٢٧٦/١٩ ح ١٢٢٥٢).

(٤) كذا في (حم) وتفسير الطبري، وفي (ح): نقصت، وفي الأصل بياض.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي. وقد استغربه الحافظ ابن كثير.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «من أسماء يوم القيامة».

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ (٣٥) أي: حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣].

﴿وَوُزِّرَتْ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ (٣٦) أي: أظهرت للناظرين فرآها الناس عياناً ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (٣٧) أي: تمرد وعتا ﴿وَوَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٣٨) أي: قدمها على أمر دينه وأخراه ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٣٩) أي: فإن مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ (٤٠) أي: خاف القيام بين يدي الله ﷻ، وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها وردّها إلى طاعة مولاهَا ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٤١) أي: منقلبه ومصيره ورجعه إلى الجنة الفيحاء.

ثم قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَا ﴿٤٤﴾ أي: ليس علمها إليك ولا إلى أحد من الخلق بل مردّها ومرجعها إلى الله ﷻ، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيفٌ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال هاهنا: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَا﴾ (٤٤) ولهذا لما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾ (٤٥) أي: إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذّره من بأس الله وعذابه، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده أتبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار على من كذّبك وخالفك.

وقوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّنَا لَوْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ (٤٦) أي: إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم. قال جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّنَا لَوْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ (٤٦) أما عشية فما بين الظهر إلى غروب الشمس ﴿أَوْ ضُحًى﴾ ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار^(٢). وقال قتادة: وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة^(٣). آخر تفسير سورة النازعات، [ولله الحمد والمنة]^(٤).

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمر ﷺ، مطولاً. (الصحيح، الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ح ٨).

(٢) سنده ضعيف لضعف جويبر، وكذلك الضحاك لم يلق ابن عباس ﷺ.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) زيادة من (ح).

سُورَةُ عَبَسَ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَرْكُبُ (٣) الْبَرْقِ ۚ (٤) أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الْذِكْرَى ۚ (٥) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۚ (٦) فَأَن تَلَمْ تَصَدَّى ۚ (٧) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكُبُ (٨) الْبَرْقِ ۚ (٩) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ (١٠) وَهُوَ يَخْشَى ۚ (١١) فَأَن تَعَنَّى ۚ (١٢) إِنَّمَا نَذِيرُ ۚ (١٣) مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ (١٤) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۚ (١٥) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۚ (١٦) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ (١٧) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۚ (١٨)

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديماً، فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلج عليه، وودّ النبي ﷺ أن لو كفّ ساعته تلك ليمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعاً ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۚ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَرْكُبُ (٣) الْبَرْقِ ۚ (٤) أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الْذِكْرَى ۚ (٥)﴾ أي: يحصل له زكاة وطهارة في نفسه ﴿أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الْذِكْرَى ۚ (٥)﴾ أي: يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى ۚ (٦) فَأَن تَلَمْ تَصَدَّى ۚ (٧)﴾ أي: أما الغني فأنّ تعرض له لعله يهتدي ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكُبُ (٨) الْبَرْقِ ۚ (٩)﴾ أي: ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ (١٠) وَهُوَ يَخْشَى ۚ (١١)﴾ أي: يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له: ﴿فَأَن تَعَنَّى ۚ (١٢)﴾ أي: تتشاغل، ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن لا يخص بالإنذار أحداً بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

قال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا محمد بن مهدي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۚ (١)﴾ جاء ابن أم مكتوم إلى النبي ﷺ وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه، فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۚ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢)﴾ فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه.

قال قتادة: وأخبرني أنس بن مالك قال: رأيته يوم القادسية وعليه درع، ومعه راية سوداء يعني: ابن أم مكتوم^(١).

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٥/ ٤٣١ ح ٣١٢٣)، وسنده صحيح؛ وأخرجه عبد الرزاق عن معمر به.

وقال أبو يعلى وابن جرير: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، حدثني أبي، عن هشام بن عروة [مما عرضه عليه عن عروة]^(١) عن عائشة قالت: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى أتى إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول: أرشدني قالت: وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين. قالت: فجعل النبي ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾.

وقد روى الترمذي هذا الحديث عن سعيد بن يحيى الأموي بإسناده مثله، ثم قال: وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم، ولم يذكر فيه عن عائشة^(٢). قلت: كذلك هو في الموطأ^(٣).

ثم روى ابن جرير وابن أبي حاتم أيضاً من طريق العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ قال: بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيراً ويحرص عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى يقال: له عبد الله بن أم مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقريء النبي ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه، وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه، ثم أنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَرَى﴾ ﴿أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾ فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه، وقال له رسول الله ﷺ: «ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟» وإذا ذهب من عنده قال: هل لك حاجة في شيء؟ وذلك لما أنزل الله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ ﴿فَأَن تَلَمْ تَصَدَّى﴾ ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْى﴾^(٤). فيه غرابة ونكارة، وقد تكلم في إسناده.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، حدثني يونس، عن ابن شهاب قال: قال سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم» وهو: الأعمى الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ وكان يؤذن مع بلال قال سالم: وكان رجلاً ضرير البصر، فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون إلى بزوغ الفجر: أذن^(٥). وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن

(١) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل سقط وورد بلفظ: «عليه».

(٢) أخرجه الطبري والترمذي بالإسناد نفسه ومثته. (السنن، التفسير، باب ومن سورة عبس ح ٣٣٢٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي؛ وأخرجه ابن حبان. (الإحسان ٢/ ٢٩٣ ح ٥٣٥)، والحاكم كلاهما من طريق سعيد بن يحيى وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٥١٤)؛ وصححه الأرنؤوط محقق الإحسان.

(٣) الموطأ، القرآن، باب ما جاء في القرآن ٢٠٣/ ١ رقم ٨، لكن سنده إلى عروة وهو مرسل ويتقوى بسابقه.

(٤) أخرجه الطبري من طريق العوفي به، وسنده ضعيف.

(٥) أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها ولكن دون ذكر أنه هو الذي أنزل الله تعالى فيه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ... =

زيد وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت في ابن أم مكتوم^(١) والمشهور أن اسمه: عبد الله ويقال: عمرو، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١٦﴾ أي: هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم.

وقال قتادة والسدي: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١٦﴾ يعني: القرآن ﴿فَن شَاءَ ذَكْرُهُ ۝١٧﴾ أي: فمن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره، ويحتمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه.

وقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٧ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٨﴾ أي: هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة؛ أي: معظمة موقرة ﴿مَرْفُوعَةٍ ۝١٨﴾ أي: عالية القدر ﴿مُطَهَّرَةٍ ۝١٩﴾ أي: من الدنس والزيادة والنقص.

وقوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرٍ ۝٢٠﴾.

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد: هي الملائكة^(٢).

وقال وهب بن منبه: هم أصحاب محمد ﷺ^(٣).

وقال قتادة: هم القراء^(٤).

وقال ابن جريج، عن ابن عباس: السفرة بالنبطية: القراء^(٥).

وقال ابن جرير: والصحيح أن السفرة الملائكة، والسفرة يعني: بين الله تعالى وبين خلقه، ومنه يقال: السفير الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير كما قال الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي وما أمشي بغش إن مشيت^(٦)

وقال البخاري: سفرة الملائكة سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم^(٧).

وقوله تعالى: ﴿كَرَامَ بَرَزُوا ۝٢١﴾ أي: خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، ومن ها هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد.

[عبس] وهذه الزيادة يشهد لها ما تقدم. (صحيح البخاري، الأذان، باب أذان الأعمى إذا كان له من يخبره ح ٦١٧؛ وصحيح مسلم، الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ح ١٠٩٢).

(١) قول عروة تقدم قبل الرواية السابقة، وقول مجاهد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وقول الضحاك، أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه عنه، وقول ابن زيد، أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وكل هذه الأقوال مراسيل يقوي بعضها بعضاً وتتقوى جميعها بما سبق.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ومعناه صحيح، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد. وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر، وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

(٦) ذكره الطبري بنحوه واستشهد بالشعر.

(٧) ذكره البخاري (الصحيح، التفسير، سورة عبس قبل ح ٤٩٣٧).

قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا هشام، عن قتادة، عن زُرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران»^(١). أخرجه الجماعة من طريق قتادة به^(٢).

﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ (٧) ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ﴾ (٨) ﴿مِنْ تُطَعَفُ خَلَقْتُمْ فَقَدَرُ﴾ (٩) ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُرُ﴾ (١٥) ﴿ثُمَّ أَمَّا نُمُ فَاقْرَأُ﴾ (١٦) ﴿ثُمَّ إِنَّا سَأَلْنَا أَنْشُرْ﴾ (٢٢) ﴿كَلَّا لَنَا بَقِيضٌ مَّا أَمَرُ﴾ (٢٣) ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) ﴿أَنَا صَبِيَّةٌ أَلْمَءٌ صَبَا﴾ (٢٥) ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَا﴾ (٢٦) ﴿فَأَلْبَنَّا فِيهَا حَبًّا﴾ (٢٧) ﴿وَعَبْنَا وَقَضَا﴾ (٢٨) ﴿وَزَيَّنَّا وَخَلَا﴾ (٢٩) ﴿وَحَدَّائِقَ غُلَا﴾ (٣٠) ﴿وَفِيكُمُ وَالْبَاءُ﴾ (٣١) ﴿مَتَّعْنَا لَكُمْ وَلِأَنْعَمَكُمُ﴾ (٣٢).

يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ (٧) قال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ﴾ لعن الإنسان^(٣)، وكذا قال أبو مالك، وهذا لجنس الإنسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم.

قال [ابن جريج]^(٤): ﴿مَا أَكْفَرُ﴾ أي: ما أشد كفره^(٥).

وقال ابن جرير: ويحتمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافراً؛ أي: ما حمّله على التكذيب بالمعاد^(٦)، وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي^(٧). وقال قتادة ﴿مَا أَكْفَرُ﴾ ما ألعنه^(٨).

ثم بيّن تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير؟ وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى: ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ﴾ (٨) ﴿مِنْ تُطَعَفُ خَلَقْتُمْ فَقَدَرُ﴾ (٩) أي: قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُرُ﴾ (١٥) قال العوفي، عن ابن عباس: ثم يسّر عليه خروجه من بطن أمه^(٩)، وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقاتادة والسدي^(١٠)، واختاره ابن جرير^(١١).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٨/٦)، وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، سورة عبس (ح ٤٩٣٧)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتعتع فيه (ح ٧٩٨).

(٣) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: ابن جريج.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن ابن جريج.

(٦) لم أجده في تفسير الطبري ولعله في النسخة التي اعتمدها الحافظ ابن كثير.

(٧) نسبه البغوي إليهما. (معالم التنزيل ٤٤٨/٤).

(٨) لم أجد من أخرجه.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. ويتقوى بما يليه.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسندين ضعيفين عن أبي صالح والسدي، ويتقويان بما سبق.

(١١) رجحه الطبري حسب ظاهر الآية.

وقال مجاهد: هذه كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: (١)] أي: يبينه له وأوضحناه وسهلنا عليه عمله، وكذا قال الحسن وابن زيد^(٢)، وهذا هو الأرجح، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْبَرُ﴾ [٣١] أي: أنه بعد خلقه له أماته فأقبره؛ أي: جعله ذا قبر والعرب تقول: قبرت الرجل إذا ولى ذلك منه، وأقبره الله، وعضبت قرن الثور، وأعضبه الله، وبترت ذنب البعير، وأبتره الله، وطردت عني فلاناً، وأطرده الله؛ أي: جعله طريداً قال الأعشى: لو أسندت ميتاً إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر^(٣)

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرُهُ﴾ [٣٢] أي: بعثه بعد موته؛ ومنه يقال: البعث والنشور ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يَخْلُقُكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: (١٩)] ﴿وَأَنْظُرَ إِلَى الْإِطْلَاقِ كَيْفَ تُنْشَرُهَا ثُمَّ نَكْسُوْهَا لَحْماً﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أصبغ بن الفرّج، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن دراجاً أبا السّمح أخبره، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه» قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «مثل حبة خردل منه ينشأون»^(٤). وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة بدون هذه الزيادة، ولفظه: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب»^(٥).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُوْهُ﴾ [٣٣] قال ابن جرير: يقول: كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدّى حق الله عليه في نفسه وماله ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُوْهُ﴾ يقول: لم يؤد ما فرض عليه ﷻ من الفرائض لربه ﷻ^(٦).

ثم روى هو وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيع، عن مجاهد قوله: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُوْهُ﴾ [٣٣] قال: لا يقضي أحداً أبداً كل ما افترض عليه^(٧)، وحكاه البغوي عن الحسن البصري بنحو من هذا^(٨)، ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا، والذي يقع لي في معنى ذلك، والله أعلم أن المعنى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرُهُ﴾ [٣٢] أي: بعثه ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُوْهُ﴾ [٣٣] أي: لا يفعل الآن حتى تنقضي المدة ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب الله أن يسجد منهم ويخرج إلى الدنيا، وقد أمر به تعالى كوناً وقدرًا، فإذا تنهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم.

وقد روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال: قال عزيز ﷺ: قال الملك الذي جائني: فإن

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٣) ديوان الأعشى ص ١٣٩ واستشهد به الطبري، وذكر ما قيل عن العرب.

(٤) سنده ضعيف لضعف روايه دراج عن أبي الهيثم ويتقوى بالشواهد الصحيحة التالية دون آخره.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة النبأ آية ١٨. (٦) ذكره الطبري بلفظه.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع به.

(٨) ذكره البغوي بنحوه عن الحسن. (معالم التنزيل ٤/٤٤٨).

القبور هي بطن الأرض وإن الأرض هي أم الخلق، فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق، وتمت هذه القبور التي مدَّ الله لها انقطعت الدنيا، ومات من عليها ولفظت الأرض ما في جوفها وأخرجت القبور ما فيها. وهذا شبيه بما قلناه من معنى الآية، والله سبحانه أعلم بالصواب.

وقوله تعالى: ﴿لَيَنْظُرَ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٧٦) فيه امتنان، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاماً بالية وتراباً متمزقاً ﴿أَنَا صَبَّأُ الْمَاءَ صَبًّا﴾ (٧٥) أي: أنزلناه من السماء على الأرض ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَا﴾ (٧٣) أي: أسكنناه فيها فیدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض ﴿فَأَبْنَأْنَا فِيهَا جَنًّا﴾ (٧١) وَعَبًّا وَفَقْبًا ﴿٧٨﴾ فالحب كل ما يذكر من الحبوب، والعنب معروف، والقضب هو: الفصصة التي تأكلها الدواب رطبة، ويقال لها: القتب أيضاً، قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي^(١)، وقال الحسن البصري: القضب: العلف^(٢).

﴿وَزَيْتُونًا﴾ وهو معروف وهو آدم، وعصيره آدم ويستصبح به ويدهن به ﴿وَنَخْلًا﴾ يؤكل بلحاً بساً ورطباً وتمرّاً ونيثاً ومطبوخاً ويعتصر منه رُب وخل ﴿وَحَدَائِقَ غُلَبًا﴾ (٢٠) أي: بساتين، قال الحسن وقتادة: ﴿غُلَبًا﴾ نخل غلاظ كرام^(٣).

وقال ابن عباس ومجاهد: الحدائق: كل ما التف واجتمع.

وقال ابن عباس أيضاً: ﴿غُلَبًا﴾^(٤) الشجر الذي يستظل^(٥) به.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَحَدَائِقَ غُلَبًا﴾ (٢٠) أي: طوال^(٦).

وقال عكرمة: ﴿غُلَبًا﴾ أي: غلاظ الأوساط^(٧)، وفي رواية: غلاظ الرقاب، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل: والله إنه لأغلب؟ رواه ابن أبي حاتم^(٨).

وأنشد ابن جرير للفرزدق:

عوى فائأر أغلب [ضيغمياً]^(٩) فويل ابن المراغة ما استشار^(١٠)

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «الغصصة»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة مثله.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق يونس - وهو ابن عبيد البصري - عن الحسن البصري.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة بلفظ: «النخل الكرام». وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة.

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة.

(٩) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل ضحف إلى: ضيغما.

(١٠) استشهد به الطبري، والبيت في ديوان الفرزدق ص ٤٤٣.

وقوله تعالى: ﴿وَفِكَهَةٌ وَأَبًا﴾ (٣١) أما الفاكهة: فكل ما يتفكه به من الثمار، قال ابن عباس: الفاكهة: كل ما أكل رطباً، والأب: ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس^(١)، وفي رواية عنه: هو الحشيش للبهائم^(٢).

وقال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك: الأب: الكلاء^(٣).

وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد: الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم.

وعن عطاء: كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب.

وقال الضحاك: كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب.

وقال ابن إدريس: عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن ابن عباس: الأب نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس^(٤).

ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن إدريس، ثم قال: حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالوا: حدثنا ابن إدريس، حدثنا عبد الملك، عن سعيد بن جبير قال: عد^(٥) ابن عباس وقال: الأب: ما أنبت الأرض للأنعام. وهذا لفظ حديث أبي كريب وقال أبو السائب في حديثه: ما أنبت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام.

وقال العوفي، عن ابن عباس: الأب: الكلاء والمرعى^(٦)، وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد^(٧).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا العوام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي قال: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَفِكَهَةٌ وَأَبًا﴾ (٣١) فقال: أي سماء تظلني؟ وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟^(٨) وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه.

فأما ما رواه ابن جرير حيث قال: حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، حدثنا حميد، عن

(١) تفسير الأب أخرجه ابن خزيمة والطبري بسند حسن من طريق عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس (الصحيح ٣/ ٣٣٢ ح ٢١٧٢) وصححه محققه، وأخرجه الحاكم من طريق عاصم به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/ ٤٣٧) وصححه سنده الحافظ ابن حجر، (فتح الباري ١٣/ ٢٧١).

(٢) عزاه الحافظ ابن حجر إلى ابن أبي حاتم. (تغليق التعليق ٣/ ٤٩٠) وكذا السيوطي.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.

(٤) تقدم تخريجه قبل ثلاث روايات.

(٥) أي: عدّ سبعا جعل رزقه في سبعة.. ثم ذكر الأب هكذا ورد في رواية الطبري بسند حسن من الطرق الثلاثة التي أوردها الطبري.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوى بسابقه ولاحقه.

(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مبارك عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) تقدم تخريجه في مقدمة التفسير.

أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١﴾ فلما أتى على هذه الآية ﴿وَفَكَهَأَ وَأَبَّا﴾ ﴿٢﴾ قال: قد عرفنا الفاكهة فما الأب؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف^(١). فهو إسناد صحيح وقد رواه غير واحد عن أنس به، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله: ﴿فَأَلْبَنَّا فِيهَا حَبًّا﴾ ﴿٧﴾ وَغَبًّا وَفَضًّا ﴿٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٩﴾ وَمَدَائِقَ غَلًّا ﴿١٠﴾ وَفَكَهَأَ وَأَبَّا ﴿١١﴾ وقوله تعالى: ﴿مَتَمًّا لَكُمْ وَلَا تَعْمِلْكُمْ﴾ ﴿١٢﴾ أي: عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ﴾ ﴿١٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْكَافِرُ مِنْ أَخِيهِ ﴿١٤﴾ وَأُخُوهُ وَأُخُوهُ وَأُخُوهُ ﴿١٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَيْنَهُ ﴿١٦﴾ لِكُلِّ أُمَرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿١٧﴾ وَخُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿١٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿١٩﴾ وَخُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٢٠﴾ زَهَقَهَا قَرَّةٌ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ ﴿٢٢﴾.

قال ابن عباس: ﴿الصَّلَاةُ﴾ اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذر عبادته^(٢).
قال ابن جرير: لعله اسم للنفخة في الصور^(٣).

وقال البغوي: ﴿الصَّلَاةُ﴾ يعني: صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخُّ الأسماع؛ أي: تبلغ في إسماعها حتى تكاد تصمها ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْكَافِرُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ﴿١٤﴾ وَأُخُوهُ وَأُخُوهُ وَأُخُوهُ ﴿١٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَيْنَهُ ﴿١٦﴾ أي: يراهم ويفر منهم ويتعد منهم؛ لأن الهول عظيم والخطب جليل^(٤).

قال عكرمة: يلقي الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه أي بعل كنت لك؟ فتقول: نعم البعل كنت، وتثني بخير ما استطاعت فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهيبها لي لعلني أنجو مما ترين، فتقول له: ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً أخوف مثل الذي تخاف قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول: يا بني أي والد كنت لك، فيثني بخير فيقول له: يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلني أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكنني أخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْكَافِرُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ﴿١٤﴾ وَأُخُوهُ وَأُخُوهُ وَأُخُوهُ ﴿١٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَيْنَهُ ﴿١٦﴾ وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدني^(٥). ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْكَافِرُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ﴿١٤﴾ وَأُخُوهُ وَأُخُوهُ وَأُخُوهُ ﴿١٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَيْنَهُ ﴿١٦﴾.

قال قتادة: الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم.
وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ﴿١٧﴾ أي: هو في شغل شاغل عن غيره.
قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار بن الحارث، حدثنا الوليد بن صالح، حدثنا ثابت

(١) تقدم تخريجه في مقدمة التفسير، وهو صحيح بطرقه. (ينظر: مرويات ابن أبي شيبة في التفسير ص ٥٩١).
(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٣) ذكره الطبري بنحوه وأوضح.
(٤) معالم التنزيل (٤/٤٤٩).
(٥) سنده ضعيف لأنه مرسل.
(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء: آية ٧٩.

أبو زيد العباداني، عن هلال بن خباب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم: «تحشرون حفاة عراة مشاة غرلاً» قال: فقالت زوجته: يا رسول الله ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»، أو قال: «ما أشغله عن النظر»^(١).

وقد رواه النسائي منفرداً به عن أبي داود، عن عارم، عن ثابت بن يزيد وهو: أبو زيد الأحول البصري أحد الثقات، عن هلال بن خباب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس^(٢) به، وقد رواه الترمذي، عن عبد بن حميد، عن محمد بن الفضل، عن ثابت بن يزيد، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «تحشرون حفاة عراة غرلاً» فقالت امرأة: أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: «يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه». ثم قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن ابن عباس^(٣).

وقال النسائي: أخبرني عمرو بن عثمان، حدثنا بَقِيَّةُ، حدثنا الزبيدي، أخبرني الزهري، عن عروة، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً»^(٤) فقالت عائشة: يا رسول الله فكيف بالعورات؟ فقال: «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»^(٥). انفرد به النسائي من هذا الوجه.

ثم قال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا أبي، حدثنا أزهر بن حاتم، حدثنا الفضل بن موسى، عن عائذ بن شريح، عن أنس بن مالك قال: سألت عائشة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني سائلتك عن حديث فتخبرني أنت به، قال: «إن كان عندي منه علم». قالت: يا نبي الله كيف يحشر الرجال؟ قال: «حفاة عراة». ثم انتظرت ساعة فقالت: يا رسول الله كيف يحشر النساء؟ قال: «كذلك حفاة عراة». قالت: واسوأته من يوم القيامة. قال: «وعن أي ذلك تسألين؟ إنه قد نزل علي آية لا يضررك كان عليك ثياب أو لا يكون». قالت: آية آية هي يا نبي الله؟ قال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(٦).

وقال البغوي في تفسيره: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا ابن أبي أويس، حدثنا أبي، عن محمد بن أبي عياش، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً، قد ألجمهم

(١) حديث صحيح كما يلي.

(٢) السنن الكبرى، التفسير، سورة عبس (ح ١١٥٨٣).

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة عبس (ح ٣٣٣٢)؛ وقال الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن الترمذي ح ٢٦٥٢).

(٤) أي: غير مختومين.

(٥) السنن الكبرى، التفسير، سورة عبس (ح ١١٥٨٤). ويشهد له سابقه، وأخرجه الحاكم من طريق بَقِيَّةِ به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ٥٦٤).

(٦) سنده ضعيف لضعف عائذ بن شريح. (الجرح والتعديل ١٦/٧) ويشهد له ما سبق.

العرق وبلغ شحوم الآذان» فقلت: يا رسول الله واسوأاته ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»^(١). هذا حديث غريب من هذا الوجه جداً، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي، عن الفضل بن موسى به^(٢).

[ولكن]^(٣) قال أبو حاتم الرازي: عائذ بن شريح ضعيف، وفي حديثه ضعف^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَآئِكَةٌ مُّنتَبِرَةٌ﴾^(٥) أي: يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة؛ أي: مستنيرة ﴿ضَآئِكَةٌ مُّنتَبِرَةٌ﴾^(٦) أي: مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم، وهؤلاء هم أهل الجنة.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَآئِرَةٌ ۖ زَهَقَهَا فَتْرَةٌ﴾^(٧) أي: يعلوها وتغشاها قتر؛ أي: سواد.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا أبو علي محمد مولى جعفر بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم»، قال: فهو قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَآئِرَةٌ﴾^(٨).

وقال ابن عباس: ﴿زَهَقَهَا فَتْرَةٌ﴾^(٩) أي: يغشاها سواد الوجوه^(١٠).

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾^(١١) أي: الكفرة قلوبهم الفجرة في أعمالهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]. آخر تفسير سورة عبس، والله والحمد والمنة.

(١) أخرجه البغوي بسنده ومثته. (معالم التنزيل ٤/٤٤٩ - ٤٥٠) وحكم عليه الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه الطبري عن أبي عمار الحسين المروزي به، وحكمه كسابقه.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: ومكر.

(٤) الجرح والتعديل ١٦/٧.

(٥) في سنده سهل بن عثمان العسكري له غرائب كثيرة. (تهذيب التهذيب ٤/٢٥٥ - ٢٥٦).

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «تغشاها ذلة».

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا عبد الله بن بحير القاص، أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾» و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق]»^(١). وهكذا رواه الترمذي عن العباس بن عبد العظيم العنبري، عن عبد الرزاق به^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْبِلَآءُ سِيرَتْ ٣ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ٨ أَيَّ دَنْبٍ قُنِلَتْ ٩ وَإِذَا الْكُتُوبُ أُنْفِثَتْ ١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا الْجَبَابِغُ سُفِرَتْ ١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيََتْ ١٤

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يعني: أظلمت^(٣). وقال العوفي، عنه: ذهب^(٤). وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت^(٥)، وكذا قال الضحاك^(٦). قال قتادة: ذهب ضوءها^(٧). وقال سعيد بن جبیر: ﴿كُوِّرَتْ﴾: غورت^(٨). وقال الربيع بن خثيم: ﴿كُوِّرَتْ﴾ يعني: رمي بها^(٩).

- (١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه، وحسن سنده محققوه. (المسند ٨/٤٢٤ ح ٤٨٠٦). وأخرجه الحاكم من طريق عبد الرزاق به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤/٥٧٦).
- (٢) أخرجه الترمذي عن العباس بن عبد العظيم به. (السنن، التفسير، باب ومن سورة عبس ح ٣٣٣٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٥٣).
- (٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
- (٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بسابقه ولاحقه.
- (٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيى - وهو القتات - عن مجاهد.
- (٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف لإيهام شيخه.
- (٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
- (٨) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبیر.
- (٩) أخرجه عبد الرزاق وهناد. (الزهد رقم ٣٦٦) بسند صحيح من طريق أبي يعلى عن الربيع بن خثيم.

وقال أبو صالح: ﴿كُوِّرَتْ﴾: أُلْقِيَتْ^(١)، وعنه أيضاً: نُكِسَتْ^(٢).

وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض.

قال ابن جرير: والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ﴾ جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا أبو أسامة، عن مجالد، عن شيخ من بجيلة، عن ابن عباس: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: يُكْوِرُ الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر، ويبعث الله ريحاً دبوراً فتضرمها ناراً^(٤). وكذا قال عامر الشعبي.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن ابن يزيد بن أبي مريم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: في قول الله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: «كُورَتْ في جهنم»^(٥).

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا موسى بن محمد بن حبان، حدثنا درست بن زياد، حدثنا يزيد الرقاشي، حدثنا أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الشمس والقمر نوران عقيران في النار»^(٦). هذا حديث ضعيف؛ لأن يزيد الرقاشي ضعيف، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة.

ثم قال البخاري: حدثنا مسدد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، حدثنا عبد الله الدانا، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «الشمس والقمر يكوران يوم القيامة»^(٧) انفرد به البخاري، وهذا لفظه وإنما أخرجه في كتاب بدء الخلق وكان جديراً أن يذكره ههنا أو يكرره كما هي عادته في أمثاله، وقد رواه البزار فجوّد إirاده فقال: حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن عبد الله الدانا قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة، وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال: حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشمس والقمر نوران في النار عقيران يوم القيامة»، فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: - أحسبه قال - وما ذنبهما^(٨). ثم قال: لا يروى عن أبي هريرة إلا من

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه بدل بن المحبر. (٢) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر.

(٣) أخرجه الطبري بنحوه. (٤) سنده ضعيف لمجالد وإبهام شيخه.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم والديلمي عن أبي مريم، وأظنه مراسلاً، وكتاب الديلمي وهو الفردوس مشحون بالأحاديث الضعيفة.

(٦) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته، وضعفه محققه لضعف الرقاشي وضعف درست بن زياد. (المسند ١٤٨/٧ ح ٤١١٦).

(٧) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر ح ٣٢٠٠).

(٨) سنده ضعيف لانقطاعه فإن الحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة. (جامع التحصيل ص ١٩٦ - ١٩٧).

هذا الوجه، ولم يرو عبد الله الداناج، عن أبي سلمة سوى هذا الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (١) أي: انتشرت كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ (٢) [الانفطار] وأصل الانكدار الانصباب.

قال الربيع بن أنس: عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: ست آيات قبل يوم القيامة، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت، ففرغت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطيور والوحوش فماجوا بعضهم في بعض.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (٣) قال: اختلطت ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٤) قال: أهملها أهلها ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (٥) قال: قالت الجن نحن نأتيكم بالخبر، قال: فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تتأجج، قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فأماتتهم^(١). رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم ببعضه، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم والحسن البصري وأبو صالح وحماد بن أبي سليمان والضحاك في قوله جلا وعلا: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (١) أي: تناثرت^(٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (١) أي: تغيرت^(٣).

وقال يزيد بن أبي مريم، عن النبي ﷺ: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (١) قال: «انكدرت في جهنم وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه، ولو رضيا أن يعبدوا لدخلاها»^(٤). رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المتقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (٢) أي: زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعاً صاففاً.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٤) قال عكرمة ومجاهد: عشار الإبل^(٥).

قال مجاهد: ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُرِكَت وسُيِّت^(٦). وقال أبي بن كعب والضحاك: أهملها أهلها^(٧).

(١) أخرجه الطبري وابن أبي الدنيا (الأهوال ص ٨٥) كلاهما بسند جيد من طريق الحسين بن واقد عن الربيع بن أنس به.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي يعلى - وهو منذر بن يعلى - عن الربيع بن خثيم؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيى - وهو القتات - عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) تقدم الكلام عن سنده قبل ست روايات.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيى - وهو القتات - عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري وابن أبي الدنيا (الأهوال ص ٨٥) بسند جيد من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب.

وقال الربيع بن خثيم: لم تحلب ولم تصر تخلي منها أربابها^(١).
وقال الضحاك: تركت لا راعي لها^(٢). والمعنى في هذا كله متقارب، والمقصود أن العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر - وأحدثها عشاء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع - قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعدما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المفزع الهائل، وهو أمر يوم القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها، وقيل: بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لا سبيل لهم إليها، وقد قيل في العشار: إنها السحاب تعطل عن المسير بين السماء والأرض لخراب الدنيا وقيل: إنها الأرض التي تعشر، وقيل: إنها الديار التي كانت تسكن تعطلت لذهاب أهلها. حكى هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبي في كتابه التذكرة، ورجح أنها الإبل، وعزاه إلى أكثر الناس^(٣).

(قلت): لا يعرف عن السلف والأئمة سواه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ﴿٥﴾ أي: جمعت كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ [الأنعام] قال ابن عباس: يحشر كل شيء حتى الذباب^(٤). رواه ابن أبي حاتم، وكذا قال الربيع بن خثيم والسدي وغير واحد^(٥)، وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية: إن هذه الخلائق موافية فيقضي الله فيها ما يشاء^(٦).

وقال عكرمة: حشرها: موتها.

وقال ابن جرير: حدثني علي بن مسلم الطوسي، حدثنا عباد بن العوام، حدثنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ﴿٥﴾ قال: حشر البهائم موتها، وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة^(٧).

حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خثيم: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ﴿٥﴾ قال: أتى عليها أمر الله، قال سفيان: قال أبي: فذكرته لعكرمة فقال: قال ابن عباس: حشرها: موتها^(٨).

وقد تقدم عن أبي بن كعب أنه قال: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ﴿٥﴾ اختلطت.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق منذر الثوري عن الربيع بن خثيم. (المصنف ٨/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣١٢.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي يعلى عن الربيع بن خثيم. بلفظ: «أتى عليها أمر الله».

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق عباد بن العوام به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٥١٥).

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

قال ابن جرير: والأولى قول من قال: ﴿حُشِرَتْ﴾ جمعت. قال الله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: ١٩] أي: مجموعة^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، عن داود، عن سعيد بن المسيب قال: قال علي عليه السلام لرجل من اليهود أين جهنم؟ قال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقاً والبحر المسجور ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾^(٢).

وقال ابن عباس وغير واحد: يرسل الله عليها الرياح الدبور، فتسعرها وتصير ناراً تأجج^(٣)، وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ [الطور].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أبو طاهر، حدثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخ صالح يشبه مالك بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال: إن هذا البحر بركة؛ يعني: بحر الروم، وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس، فإذا كان يوم القيامة أسجر^(٤). وهذا أثر غريب عجيب.

وفي سنن أبي داود: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غازٍ فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً» الحديث^(٥). وقد تقدم الكلام عليه في سورة فاطر.

وقال مجاهد والحسن بن مسلم: ﴿سُجِّرَتْ﴾ أوقدت^(٦).

وقال الحسن: ييس^(٧).

وقال الضحاك وقتادة: غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة^(٨).

وقال الضحاك أيضاً: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فجرت^(٩).

وقال السدي: فتحت وصيرت.

وقال الربيع بن خثيم: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فاضت^(١٠).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْفُتُوسُ زُوِّجَتْ﴾^(٧) أي: جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى: ﴿أَخْشَرُوا﴾ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ [الصافات: ٢٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الصباح البزار، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَإِذَا الْفُتُوسُ زُوِّجَتْ﴾^(٧)»

(١) ذكره الطبري بنحوه. (٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه مجالد ضعيف وشيخه مبهم.

(٤) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن معاوية بن سعيد.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٤٨ في آخرها.

(٦) معناه صحيح.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٨) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بنحوه، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظه.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي يعلى - وهو منذر الثوري - عن الربيع بن خثيم.

- قال: - الضرباء؛ كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله؛ وذلك بأن الله ﷻ يقول: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) فَأَصْحَبُ الِّمِئَمَةِ مَّا أَصْحَبُ الِّمِئَمَةِ (٨) وَأَصْحَبُ الِّمِئَمَةِ مَّا أَصْحَبُ الِّمِئَمَةِ (٩) وَالسَّيِّفُونَ (١٠) [الواقعة] قال: هم الضرباء^(١). ثم رواه ابن أبي حاتم من طرق أخر عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧) فقال: تزوجها: أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم^(٢)، وفي رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار^(٣)، وفي رواية عن النعمان قال: سئل عمر عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧) قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار^(٤)، فذلك تزويج الأنفس. وفي رواية عن النعمان أن عمر قال للناس: ما تقولون في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧)؟ فسكتوا. قال: ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ (٥) [الصافات: ٢٢].

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧) قال: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة^(٦).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧) قال: والأمثال من الناس جمع بينهم^(٧)، وكذا قال الربيع بن خثيم والحسن وقتادة^(٨) واختاره ابن جرير، وهو الصحيح.

قول آخر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧):

قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثني أبي، عن أبيه، عن أشعث بن سوار، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: يسيل وادٍ من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين، ومقدار ما بينهما أربعون عاماً، فینبت منه كل خلق بلي من الإنسان أو طير أو دابة، ولو مرَّ عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الأرض قد نبتوا، ثم ترسل الأرواح فتزوج الأجساد فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧)^(٩)، وكذا قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري أيضاً في قوله

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الواقعة: آية ٧ - ١٠.

(٢) أخرجه الطبري من طريق سماك بن حرب عن النعمان به، وسنده حسن.

(٣) أخرجه الطبري من طريق سماك بن حرب عن النعمان به، وسنده حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق سماك بن حرب به. (المصنف ٨/ ١٥٤) وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق سماك به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٥١٦).

(٥) يشهد له ما سبق.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له قول عمر قبل ثلاث روايات.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي يعلى - وهو منذر الثوري - عن الربيع، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف - وهو الأعرابي - عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٩) سنده ضعيف لضعف أشعث بن سوار كما في التقريب.

تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ أي: زوجت بالأبدان^(١).

وقيل: زوج المؤمنون بالحدود العيون وزوج الكافرون بالشیاطين. حكاه القرطبي في التذكرة^(٢).
وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ هكذا قراءة الجمهور ﴿سُئِلَتْ﴾. والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا؟. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ أي: سألت. وكذا قال أبو الضحى: سألت؛ أي: طالبت بدمها^(٣). وعن السدي وقادة مثله.

وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة:

فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني أبو الأسود وهو: محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة، عن عائشة، عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله ﷺ في ناس وهو يقول: «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم ولا يضر أولادهم ذلك شيئاً» ثم سأله عن العزل فقال رسول الله ﷺ: «ذلك الواد الخفي وهو الموءودة سئلت»^(٤). ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ وهو: عبد الله بن يزيد، عن سعيد بن أبي أيوب^(٥).

ورواه أيضاً ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن إسحاق السيلحيني، عن يحيى بن أيوب، ورواه مسلم أيضاً وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك بن أنس ثلاثهم عن أبي الأسود به^(٦).

وقال الإمام أحمد^(٧): حدثنا ابن أبي عدي، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن علقمة، عن سلمة بن يزيد الجعفي قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل، هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: «لا» قلنا: فإنها كانت وأدت أختاً لنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: «الوائدة والموءودة في النار، إلا أن يدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها»^(٨). ورواه النسائي من حديث

(١) أخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق داود عن عامر الشعبي.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٢١٣.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الأعمش عن مسلم، وهو أبو الضحى.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٤٣٤/٦)، وسنده صحيح.

(٥) صحيح مسلم، النكاح، باب جواز الغيلة (ح ١٤٤٢).

(٦) سنن ابن ماجه، النكاح، باب الغيل (ح ٢٠١١).

(٧) المصدر قبل السابق وسنن أبي داود، الطب، باب في الغيل (ح ٣٨٨٢)؛ وسنن الترمذي، الطب، باب ما جاء في الغيلة (ح ٢٠٧٨)؛ والسنن الكبرى، النكاح، باب الغيلة (ح ٥٤٨٥).

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٢٦٨/٢٥ ح ١٥٩٢٣) وقال محققوه: رجاله ثقات.. لكن في مثته نكارة.

داود بن أبي هند به^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن علقمة وأبي الأحوص، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «الواحدة والموءودة في النار»^(٢).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا إسحاق الأزرق، أخبرنا عوف، حدثني حسناء ابنة معاوية الصريمية، عن عمها قال: قلت يا رسول الله من في الجنة؟ قال: «النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والموءودة في الجنة»^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا قرة قال: سمعت الحسن يقول: قيل: يا رسول الله من في الجنة؟ قال: «الموءودة في الجنة»^(٤). هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن، ومنهم من قبله. وقال ابن أبي حاتم: حدثني أبو عبد الله الظهراني، حدثنا حفص بن عمر العدني، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال: قال ابن عباس: أطفال المشركين في الجنة فمن زعم أنهم في النار فقد كذب يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٥) قال ابن عباس: هي المدفونة.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾^(٦) قال: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وأدت بنات لي في الجاهلية قال: «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال: يا رسول الله إني صاحب إبل، قال: «فانحر عن كل واحدة منهن بدنة». قال الحافظ أبو بكر البزار: خولف فيه عبد الرزاق^(٦)، ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي عنه.

وقد رواه ابن أبي حاتم فقال: أخبرنا أبو عبد الله الظهراني - فيما كتب إلي - قال: حدثنا عبد الرزاق فذكره بإسناده مثله، إلا أنه قال: وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية، وقال في آخره: «فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة»^(٧).

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين قال: قدم قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وأدت

(١) أخرجه النسائي من طريق معتمر بن سليمان عن داود به. السنن الكبرى، التفسير، باب سورة التكوين (ح ١١٥٨٥).

(٢) سنده حسن ولكن متنه كمتن رواية المسند السابقة. (٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء: آية ١٥.

(٤) سنده ضعيف لأنه مرسل ويشهد له ما تقدم في قصة الإسراء والمعراج وما رآه في السماء السابعة من الأطفال المسلمين وأطفال غير المسلمين وأن مصيرهم في الجنة.

(٥) سنده ضعيف لضعف حفص بن عمر العدني، ويشهد له الحديث المشار إليه في قصة الإسراء والمعراج.

(٦) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثله، وأخرجه البزار عن الحسين بن مهدي عن عبد الرزاق به. (مختصر زوائد مسند البزار ١١٥/٢ ح ١٥٢٥) قال الهيثمي: ورجال البزار رجال الصحيح غير حسين بن مهدي الأيلي وهو ثقة. (مجمع الزوائد ١٣٤/٧) ولكن سماك بن حرب لم يسمع من النعمان.

(٧) سنده منقطع كسابقه.

اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية أو ثلاث عشرة قال: «أعتق عددهن نسماً» قال: فأعتق عددهن نسماً، فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال: يا رسول الله هذه صدقة قومي على أثر ما صنعت بالمسلمين. قال علي بن أبي طالب: فكنا نريحها ونسميها القيسية^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۖ﴾ قال الضحاك: أعطي كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله.

وقال قتادة: صحيفتك يا ابن آدم تملي فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة، فلينظر الرجل ماذا يملي في صحيفته^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ﴾ قال مجاهد: اجتذبت^(٣). وقال السدي: كشفت.

وقال الضحاك: تنكشط فتذهب. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ۖ﴾ قال السدي: أحميت.

وقال قتادة: أوقدت قال: وإنما يسعها غضب الله وخطايا بني آدم^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْزِلَتْ ۖ﴾ قال الضحاك وأبو مالك وقاتادة والربيع بن خثيم: أي قربت إلى أهلها^(٥).

وقوله تعالى: ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۖ﴾ هذا هو الجواب؛ أي: إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۖ﴾ [آل عمران: ٣٠] وقال تعالى: ﴿يَبْنُوا لِلْإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۖ﴾ [القيامة].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة، حدثنا ابن المبارك، حدثنا محمد بن مطرف، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ﴾ قال عمر: لما بلغ ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۖ﴾ قال: لهذا أجرى الحديث^(٦).

﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْحَنَسِ ۖ﴾ الْجَوَارِ الْكُنَسِ ۖ ﴿١١﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَسَ ۖ ﴿١٢﴾ وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ ۖ ﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٤﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٥﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿١٦﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْيَمِينِ ﴿١٨﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿١٩﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ ﴿٢٠﴾ فَأَنَّى تَذَهَبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيزَ ﴿٢٣﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾.

روى مسلم في صحيحه والنسائي في تفسيره عند هذه الآية من حديث مسعر بن كدام، عن

(١) في سنده قيس بن الربيع وهو صدوق تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به. (التقريب ص ٤٥٧). وفيه مقال غير هذا. (ينظر: تهذيب التهذيب ٨/ ٣٩٣ - ٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) لم أجد من أخرجه ومعناه صحيح.

(٦) سنده مرسل لأن أسلم العدو لم يدرك نزول الآية، ولكن إذا سمع خبر النزول من عمر يكون السند صحيحاً.

الوليد بن سريع، عن عمرو بن حريث قال: صليت خلف النبي ﷺ الصبح فسمعتة يقرأ: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ۖ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۖ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ (١). ورواه النسائي، عن بNDAR، عن غندر، عن شعبة، عن الحجاج بن عاصم، عن أبي الأسود، عن عمرو بن حريث به نحوه (٢).

قال ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق الثوري، عن أبي إسحاق، عن رجل من مراد، عن علي ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ (٣) قال: هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل (٣).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، سمعت خالد بن عرعة، سمعت علياً وسئل عن: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ (٤) فقال: هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل (٤).

وحدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن خالد، عن علي قال: هي النجوم (٥). وهذا إسناد جيد صحيح إلى خالد بن عرعة وهو: السهمي الكوفي. قال أبو حاتم الرازي: روى عن علي وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً فالله أعلم، وروى يونس، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي: أنها النجوم (٦)، رواه ابن أبي حاتم. وكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي وغيرهم أنها النجوم (٧).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا هوزة بن خليفة، حدثنا عوف، عن بكر بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ (٨) قال: هي النجوم الدراري التي تجري تستقبل المشرق (٨). وقال بعض الأئمة، إنما قيل للنجوم: الخنس؛ أي: في حال طلوعها، ثم هي جوار في فلکها وفي حال غيوبتها يقال لها: كنس، من قول العرب: أوى الظبي إلى كناسه، إذا تغيب فيه.

وقال الأعمش، عن إبراهيم قال: قال عبد الله: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ (٩) قال: بقر الوحش (٩).

(١) أخرجه مسلم من طريق خلف بن خليفة الأشجعي عن الوليد بن سريع به. (الصحيح، الصلاة، باب متابعة الإمام والعمل بعده (ح ٤٧٥)).

(٢) السنن الكبرى، التفسير، سورة التکویر (ح ١١٥٨٧).

(٣) أخرجه الطبري من طريق الثوري به. وسنده ضعيف لإبهام الراوي عن علي ويتقوى بما يليه إذا صُرَّح باسمه.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن، وقد أخرجه سعيد بن منصور، وحسن سنده الحافظ ابن حجر. (فتح الباري ٦٩٤/٨) وانظر ما يليه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه الحاكم من طريق سماك به. وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٥١٦) وكذا صححه الحافظ ابن كثير.

(٦) في سنده الحارث وهو الأعور الهمداني وهو ضعيف وقد تابعه خالد بن عرعة في الرواية السابقة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الأعمش عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن البصري، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٩) أخرجه الطبري من طريق الأعمش به، بدون ذكر عبد الله وهو ابن مسعود، وسنده صحيح، وسيأتي موصولاً إلى ابن مسعود.

وكذا قال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، عن عبد الله ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْحَنَسِ﴾ (١٥) الْجَوَارِ الْكَنَسِ ﴿١٦﴾ ما هي يا عمرو؟ قلت: البقر. قال: وأنا أرى ذلك^(١)، وكذا روى يونس، عن أبي إسحاق، عن أبيه.

وقال أبو داود الطيالسي، عن عمرو، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿الْجَوَارِ الْكَنَسِ﴾ (١٦) قال: البقر تكنس إلى الظل^(٢)، وكذا قال سعيد بن جبير. وقال العوفي، عن ابن عباس هي الظباء^(٣)، وكذا قال سعيد أيضاً ومجاهد والضحاك^(٤). وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد: هي الظباء والبقر^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا هشيم، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْحَنَسِ﴾ (١٥) الْجَوَارِ الْكَنَسِ ﴿١٦﴾ فقال إبراهيم لمجاهد: قل فيها بما سمعت، قال: فقال مجاهد كنا نسمع فيها شيئاً وناس يقولون إنها النجوم، قال: فقال إبراهيم: قل فيها بما سمعت، قال: فقال مجاهد كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس في حجرتها، فقال إبراهيم إنهم يكذبون على علي^(٦)، هذا كما رووا عن علي أنه ضمن الأسفل الأعلى والأعلى الأسفل، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله: ﴿الْجَوَارِ الْكَنَسِ﴾ (١٦) هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش؟ قال: ويحتمل أن يكون الجميع مراداً^(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَأَلَيْلٍ إِذَا عَسَّسَ﴾ (٧) فيه قولان:

أحدهما: إقباله بظلامه، وقال: مجاهد أظلم^(٨).

وقال سعيد بن جبير: إذا نشأ^(٩).

وقال الحسن البصري: إذا غشي الناس^(١٠)، وكذا قال عطية العوفي^(١١).

وقال علي بن أبي طلحة والعوفي، عن ابن عباس: ﴿إِذَا عَسَّسَ﴾ إذا أدبر^(١٢)، وكذا قال

(١) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق أبي إسحاق عن أبي ميسرة به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١٦/٢).

(٢) يشهد لقوله: البقر، الخبر السابق.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه.

(٥) أخرجه الطبري من طريق حجاج بن المنذر عن جابر بن زيد مقتصراً على ذكر البقر دون الظباء.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٧) ذكره الطبري بنحوه مطولاً.

(٨) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر ابن أبي المغيرة عن سعيد.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.

(١١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق الفضيل عن عطية.

(١٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن عطية به ويتقوى بسابقه.

مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ﴿إِذَا عَسَسَ﴾ أي: إذا ذهب فتولى^(١). وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البحتري سمع أبا عبد الرحمن السلمي قال: خرج علينا علي عليه السلام حين ثوب المَثُوبُ بصلاة الصبح فقال: أين السائلون عن الوتر؟ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ (٧) وَالضُّحَى إِذَا نَفَسَ (٨) هذا حين أدبر^(٢). حسن.

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾ إذا أدبر، قال: لقوله: ﴿وَالضُّحَى إِذَا نَفَسَ﴾ (٨) أي: أضاء، واستشهد بقول الشاعر أيضاً^(٣):

حتى إذا الصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسسا

أي: أدبر، وعندي أن المراد بقوله: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾ إذا أقبل وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضاً لكن الإقبال ههنا أنسب، كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل وبالفجر وضياؤه إذا أشرق كما قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١٠) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (١١) [الليل] وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١٢) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (١٣) [الضحى] وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦] وغير ذلك من الآيات.

وقال كثير من علماء الأصول: إن لفظة ﴿عَسَسَ﴾ تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما، والله أعلم.

وقال ابن جرير: وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسس دنا من أوله وأظلم، وقال الفراء: كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتاً.

عسس حتى لو يشأ أدنا كان له من ضوئه مقبس

يريد لو يشاء إذ دنا أدغم الدال في الدال، قال الفراء: وكانوا يزعمون أن هذا البيت مصنوع^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى إِذَا نَفَسَ﴾ (٨) قال الضحاك: إذا طلع.

وقال قتادة: إذ أضاء وأقبل.

وقال سعيد بن جبیر: إذا نشأ، وهو المروي عن علي عليه السلام^(٥).

وقال ابن جرير: يعني ضوء النهار إذا أقبل وتبين^(٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٩) يعني: إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم؛ أي: ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر وهو: جبريل عليه الصلاة والسلام، قاله ابن عباس والشعبي وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم^(٧). ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كقوله

(١) أخرجه الطبري بالأسانيد الصحيحة المتقدمة عن مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بلفظ: «أدبر».

(٢) أخرجه الطبري والحاكم من طريق أبي حصين عن أبي عبد الرحمن به، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١٦/٢).

(٣) هو علقمة بن قُرط كما صرح معمر بن المثنى. (مجاز القرآن ٢/٢٨٨) والطبري.

(٤) ذكره الفراء واستشهد به. (معاني القرآن ٣/٢٤٢) والطبري.

(٥) تقدم تخريجه عنهم وبيان ألفاظهم. (٦) ذكره الطبري بلفظه.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن ابن عباس، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم] أي: شديد الخلق شديد البطش والفعل ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي: له مكانة عند الله ﷻ ومنزلة رفيعة.

قال أبو صالح في قوله تعالى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ قال: جبريل يدخل في سبعين حجاباً من نور بغير إذن^(١) ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ﴾ أي: له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى.

قال قتادة: ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ﴾ أي: في السموات^(٢)؛ يعني: ليس هو من أفناد الملائكة بل هو من السادة والأشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة.

وقوله تعالى: ﴿أَمِينٌ﴾ صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً أن الرب ﷻ يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل، كما زكى عبده ورسوله البشري محمداً ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝﴾ قال الشعبي وميمون بن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم: المراد بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝﴾ يعني: محمداً ﷺ^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَيْمَنِ ۝﴾ يعني: ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله ﷻ على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ﴿بِالْأَفْقِ الْأَيْمَنِ﴾ أي: البين، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ۝﴾ ثَمَّ دَنَا فَذَلَكُ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۝﴾ [النجم] كما تقدم تفسير ذلك وتقديره، والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل ﷺ، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤيا وهي الأولى، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۝ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۝ إِذْ يَقْنُتُ السِّدْرَةَ مَا يَقْنُتُ ۝﴾ [النجم] فتلك إنما ذكرت في سورة النجم، وقد نزلت بعد سورة الإسراء.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝﴾ أي: وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين؛ أي: بمتهم ومنهم من قرأ ذلك بالضاد؛ أي: ببخيل بل يبذله لكل أحد^(٤).

قال سفيان بن عيينة: ظنين وضنين سواء؛ أي: ما هو بكاذب وما هو بفاجر، والظنين المتهم، والضمنين البخيل^(٥).

وقال قتادة: كان القرآن غيباً فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه^(٦) وبذله لكل من أَرَادَهُ، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد^(٧) واختار ابن جرير قراءة الضاد.

(١) أخرجه الطبري بسند فيه عمر بن شبيب المسلي وهو ضعيف. (التقريب ص ٤١٤).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: مطاع عند الله ﴿ثَمَّ أَمِينٌ﴾ [التكوير: ٢١].

(٣) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق معقل بن عبيد الله الجزري عن ميمون بن مهران.

(٤) القراءتان متواترتان.

(٥) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(قلت): وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (١٥) أي: وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم؛ أي: لا يقدر على حمله ولا ينبغي له كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (١٦) ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (١٧) إِنْهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ [الشعراء]، وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (١٨)؟ أي: فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقاً من عند الله ﷻ؟ كما قال الصديق ﷺ لو فد بني حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمة الكذاب الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال: ويحكم أين تذهب عقولكم؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل؛ أي: من إله^(١).

وقال قتادة: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (١٨) أي: عن كتاب الله وعن طاعته^(٢).

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٧) أي: هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (١٨) أي: من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه منجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩) أي: ليست المشيئة موكولة إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضلَّ، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين.

قال سفيان الثوري، عن سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى: لما نزلت هذه الآية ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (١٨) قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩)^(٣).

آخر تفسير سورة التكويد، والله الحمد والمنة.

(١) تقدم عزوه في تفسير سورة يونس آية ١٧.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف؛ لأنه مرسل.

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

وهي مكية

قال النسائي: أخبرنا محمد بن قدامة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن محارب بن دثار، عن جابر قال: قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ؟ أين كنت عن ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿وَالضُّحَى﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾»^(١) وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ في إفراد النسائي^(٢).

وقد تقدم من رواية عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة رأي عين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ ١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ٤ عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ٥ بَيَّأَتْهَا الْإِنْسَانُ مَا عَمِلَ رَبُّكَ الْكَبِيرُ ٦ أَلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ١٠ كِرَامًا كَنِينِينَ ١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ١٢

يقول تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ أي: انشقت كما قال تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ أي: تساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: فجر الله بعضها في بعض^(٤).

وقال الحسن: فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها^(٥).

وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها^(٦). وقال الكلبي: ملئت.

(١) أخرجه النسائي بسنده ومثته (السنن الكبرى، التفسير، سورة الانفطار ح ١١٥٨٨) وهو في الصحيحين كما يلي.

(٢) أخرجه الشيخان من حديث جابر رضي الله عنه بلفظ: اقرأ ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ و﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ونحوهما، (صحيح البخاري، الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً ح ٦١٠٦؛ وصحيح مسلم، الصلاة، باب القراءة في العشاء ح ٤٦٥) وقول الحافظ ابن كثير: ولكن ذكر ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ في أفراد النسائي، يشهد له قوله: ونحوهما.

(٣) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة التكويد. (٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ قال ابن عباس: بحث^(١).

وقال السدي: تبعث تحرك فيخرج من فيها^(٢) ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدِمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ أي: إذا كان هذا حصل هذا.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟ هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب؛ حيث قال: «الكريم» حتى يقول قائلهم: غرّه كرمه، بل المعنى في هذه الآية: ما غرّك يا ابن آدم بربك الكريم؛ أي: العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق. كما جاء في الحديث: «يقول الله تعالى يوم القيامة: يا ابن آدم ما غرّك بي؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟».

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، أن عمر سمع رجلاً يقرأ: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟ فقال عمر: الجهل^(٣).

وقال أيضاً: حدثنا عمر بن شيبة، حدثنا أبو خلف، حدثنا يحيى البكاء، سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ قال ابن عمر: غرّه - والله - جهله^(٤)، قال: وروي عن ابن عباس والربيع بن خثيم والحسن مثل ذلك^(٥).

وقال قتادة: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ شيء ما غرّ ابن آدم غير هذا العدو الشيطان^(٦).

وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي: ما غرّك بي؟ لقلت: ستورك المرخاة^(٧).

وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غرّك بربك الكريم؟ لقلت: غرني كرم الكريم^(٨).

قال البغوي: وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال: ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقته الإجابة^(٩)، وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل؛ لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور، وقد حكى البغوي عن الكلبي ومقاتل أنهما قالوا: نزلت هذه الآية في الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يعاقب في الحالة [الراهنة]^(١٠) فأنزل الله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(١١)؟

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ﴾ أي: ما غرّك بالرب الكريم ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ﴾ أي: جعلك سوياً مستقيماً معتدلاً القائمة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن السدي بلفظ: «انشت».

(٣) سنده ضعيف للانقطاع بين سفيان وعمر رضي الله عنه.

(٤) سنده ضعيف لضعف يحيى البكاء (التقريب ص ٥٩٧).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبه بسند ضعيف من طريق رجل مبهم عن الربيع بن خثيم. (المصنف ٨/ ٢١٠).

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) ذكره البغوي عن الفضيل بن عياض بدون سند. (معالم التنزيل ٤/ ٤٥٥).

(٨) ذكره البغوي عن أبي بكر الوراق بدون سند (معالم التنزيل ٤/ ٤٥٦).

(٩) المصدر السابق. (١٠) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(١١) ذكره البغوي (المصدر السابق) وسنده ضعيف لأنه معضل.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا جرير، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة، عن جبير بن نفير، عن بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال: «قال الله ﷻ: يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق وأنى أوأن الصدقة؟» وكذا رواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون، عن جرير بن عثمان به^(١). قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: وتابعه يحيى بن حمزة، عن ثور بن يزيد، عن عبد الرحمن بن ميسرة^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قال مجاهد: في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم^(٣).

وقال ابن جرير: [حدثني محمد بن سنان القزاز، حدثنا مطهر بن الهيثم، حدثنا موسى بن علي بن رباح]^(٤)، حدثني أبي، عن جدي، أن النبي ﷺ قال له: «ما ولد لك؟» قال: يا رسول الله ما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية. قال: «فمن يشبه؟» قال: يا رسول الله من عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه. فقال النبي ﷺ عندها: «مه لا تقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم؟ أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾» قال: شكلك^(٥).

وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث مطهر بن الهيثم به^(٦)، وهذا الحديث لو صح لكان فيصلاً في هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت؛ لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن موسى بن علي وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات.

ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، قال: «هل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «فما ألوانها؟» قال: حُمُر، قال: «فهل فيها من أورك؟» قال: نعم، قال: «فأنى أتاها ذلك؟» قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: «وهذا عسى أن يكون نزعه عرق»^(٧).

وقد قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾: إن شاء في صورة قرد وإن شاء في صورة خنزير^(٨)، وكذا قال أبو صالح: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ إن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة خنزير^(٩).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النحل آية ٤. (٢) تحفة الأشراف ٩٧/٢.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) زيادة من (ح) و(حم) وتفسير الطبري.

(٥) وسنده ضعيف جداً لأن مطهر بن الهيثم: متروك كما قرر الحافظ ابن كثير.

(٦) (المعجم الكبير ٧٤/٥ ح ٤٦٢٤) وسنده كسابقه.

(٧) صحيح البخاري، الطلاق، باب إذا عَرَضَ بنفي الولد (ح ٥٣٠٥)؛ وصحيح مسلم، اللعان (ح ١٥٠٠).

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة.

(٩) أخرجه الرامهرمزي بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح. (الأمثال ص ٩٤).

وقال قتادة: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قال: قادر والله ربنا على ذلك، ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله ﷻ قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّابُونَ بِالَّذِينَ﴾ أي: إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كَرَامًا كَنِينٌ ۖ﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٧﴾ يعني: وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان ومسعر، عن علقمة بن مرثد، عن مجاهد، عن ابن عباس: قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه»^(١).

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال: حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن حفص بن سليمان، عن علقمة بن مرثد، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند ثلاث حالات: الغائط والجنابة والغسل، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببعيره» ثم قال حفص بن سليمان: لين الحديث وقد روي عنه واحتمل حديثه^(٢).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا ميثر بن إسماعيل الحلبي، حدثنا تمام بن نجيع، عن الحسن يعني: البصري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من حافظين يرفعان إلى الله ﷻ ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله تعالى: قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة» ثم قال: تفرد به تمام بن نجيع وهو صالح الحديث^(٣).

(قلت): وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبو زرعة وابن أبي حاتم والنسائي وابن عدي ورماه ابن حبان بالوضع وقال الإمام أحمد: لا أعرف حقيقة أمره.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقلوسي، حدثنا بيان بن حمران، حدثنا سلام، عن منصور بن زاذان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يعرفون بني آدم - وأحسبه قال: ويعرفون أعمالهم - فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا: أفلح الليلة فلان، نجا الليلة فلان، وإذا

(١) رجاله ثقات وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البزار بسنده ومثله وتعليقه (مختصر زوائد مسند البزار ١/ ١٨١ ح ٢٠٥).

(٣) أخرجه البزار بسنده ومثله وتعليقه (المصدر السابق ٢/ ٤٦٢ ح ٢٢١٧).

نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا: هلك الليلة فلان»، ثم قال البزار: سلام هذا أحسبه سلام المدائني، وهو: لين الحديث^(١).

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم، وهم الذين أطاعوا الله ﷻ ولم يقابلوه بالمعاصي، وقد روى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد، عن هشام بن عمار، عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق، عن عبيد الله، عن محارب، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إنما سمّاهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء»^(٢).

ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝﴾ أي: يوم الحساب والجزاء والقيامة ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝﴾ أي: لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝﴾ ثم فسره بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۝﴾ أي: لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، ونذكر ههنا حديث: «يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئاً» وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء^(٣). ولهذا قال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝﴾ كقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝﴾ [غافر: ١٦] وكقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ۝﴾ [الفرقان: ٢٦] وكقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝﴾ [الفتاحه].

[قال]^(٤) قتادة: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝﴾ والأمر والله اليوم لله، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد^(٥).

آخر تفسير سورة الانفطار، والله الحمد.

(١) أخرجه البزار بسنده ومثته وتعليقه، وأضاف الحافظ ابن حجر قوله في سلام: بل متروك. فالسند ضعيف جداً. (المصدر السابق ٢/ ٤٥١ ح ٢١٩٥).

(٢) تاريخ دمشق ١٧/ ٤٠٠ وسنده فيه موسى بن محمد وهو مقبول. (التقريب ص ٥٥٣) وهشام بن عمار: صدوق كبير فصار يتلقن. (التقريب ص ٥٧٣).

(٣) تقدم تخريجه في الآية ٢١٤.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾.

قال النسائي وابن ماجه: أخبرنا محمد بن عجيل، زاد ابن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قالوا: حدثنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي، عن يزيد وهو: ابن أبي سعيد النحوي مولى قريش، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ ﴿١﴾ فحسّنوا الكيل بعد ذلك^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا جعفر بن النضر بن حماد، حدثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن هلال بن طلق قال: بينما أنا أسير مع ابن عمر فقلت: من أحسن الناس هيئة وأوفاهم كيلاً أهل مكة أو أهل المدينة قال: حقّ لهم، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ ﴿١﴾^(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو السائب، حدثنا ابن فضيل، عن ضرار، عن عبد الله المكتب، عن رجل، عن عبد الله قال: قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل، قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ ﴿١﴾ حتى بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦﴾^(٣).

والمراد بالتطفيف ههنا: البخس في المكيال والميزان إما بالزيادة إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم، ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله

(١) السنن الكبرى للنسائي، التفسير، سورة المطففين (ح ١١٥٩٠)؛ وسنن ابن ماجه، التجارات، باب التوقي في الكيل والوزن (ح ٢٢٢٣)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٨٠٨)؛ وأخرجه ابن حبان (الإحسان ٢٠٨/٧ ح ٤٨٩٨)؛ والحاكم كلاهما من طريق علي بن الحسين بن واقد به؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرک ٣٣/٢) وصححه سننه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٦٩٥/٨) والسيوطي (لباب النقول ص ٢٢٨).

(٢) في سننه عبد الله بن الحارث وهو الكندي مقبول (التقريب ص ٢٩٩)، ومحمد بن عبيد وهو الكندي الكوفي مقبول أيضاً (التقريب ص ٤٩٥).

(٣) أخرجه الطبري من طريق عبيد المكتب عن عبد الله، وسنده منقطع لأن عبيد المكتب لم يسمع من عبد الله وهو ابن مسعود.

تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي: من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: يأخذون حقهم بالوافي والزائد ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أي: ينقصون، والأحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعدياً ويكون هم في محل نصب، ومنهم من يجعلها ضميراً مؤكداً للمستتر في قوله: كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه، وكلاهما متقارب.

وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ السِّتَمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥] وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الزَّكَاةَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩] وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال.

ثم قال تعالى متوعداً لهم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [٤] ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٥]؟ أي: ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب، من خسر فيه أدخل ناراً حامية؟

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١] أي: يقومون حفاة عراة غرلاً في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه.

قال الإمام مالك، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»^(١). رواه البخاري من حديث مالك وعبد الله بن عون كلاهما عن نافع به، ورواه مسلم من الطريقتين أيضاً، وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبيد الله ابنا عمر ومحمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر به^(٢).

ولفظ الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا ابن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن ﷻ يوم القيامة، حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف أذانهم»^(٣).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا ابن المبارك، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني سليم بن عامر، حدثني المقداد؛ يعني: ابن الأسود الكندي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين - قال: - فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عقبه ومنهم من يأخذه إلى ركبته، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يُلجمه إلجاماً»^(٤). رواه مسلم عن الحكم بن موسى، عن يحيى بن حمزة والترمذي عن سويد، عن ابن

(١) سنده صحيح من أعلى الأسانيد العالية لأنه ثنائي.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين] (ح ٤٩٣٨)؛ وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة يوم القيامة (ح ٢٨٦٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣١/٢) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وصححه سنده محققوه. (المسند ٣٩/٢٣٥ ح ٢٣٨١٣).

المبارك، كلاهما عن ابن جابر به^(١).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، أن أبا عبد الرحمن حدثه، عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا كذا، تغلي منها الهوام كما تغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق»^(٢). انفرد به أحمد.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو عشانة حيي بن يؤمن أنه سمع عقبه بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقيقه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ العجز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه، رأيت رسول الله ﷺ يشير بيده هكذا - ومنهم من يغطيه عرقه» وضرب بيده إشارة^(٣)، انفرد به أحمد، وفي حديث: «أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون»، وقيل: يقومون ثلاثمائة سنة، وقيل: يقومون أربعين ألف سنة، ويقضي بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»^(٤).

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عون الزياتي، أخبرنا عبد السلام بن عجلان، سمعت أبا يزيد المدني، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري: «كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر؟» قال بشير: المستعان الله، قال: «فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب» ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به^(٥).

وفي سنن أبي داود: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة^(٦).

وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعي رؤوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وفاجرهم^(٧).

(١) صحيح مسلم، صفة الجنة ونعيمها، باب صفة يوم القيامة (ح ٢٨٦٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وحسن سنده محققوه (المسند ٥٢٣/٣٦ ح ٢٢١٨٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، (المسند ١٥٧/٤) وفي سنده ابن لهيعة فيه مقال ويتقوى بالشواهد السابقة فيكون سنده حسناً لغيره.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة المعارج: آية ٤.

(٥) أخرجه الطبري من طريق عبد السلام بن عجلان به، وسنده ضعيف لضعف عبد السلام. (لسان الميزان ١٦/٤).

(٦) أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها. (السنن، الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ح ٧٦٦)؛ وقال الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن أبي داود ح ٦٩٣).

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه شريك.

وعن ابن عمر: يقومون مائة سنة رواهما ابن جرير^(١).

وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب، عن معاوية بن صالح، عن أزهر بن سعيد الحواري، عن عاصم بن حميد، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل: يكبر عشراً ويحمد عشراً، ويسبح عشراً ويستغفر عشراً ويقول: «اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني» ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة^(٢).

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيِّمَ الْيَوْمِ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى: حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ أي: أن مصيرهم ومأواهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق، كما يقال: فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك، ولهذا عظم أمره فقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾؟ أي: هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم، ثم قد قال قائلون: هي تحت الأرض السابعة، وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه الطويل: يقول الله ﷻ في روح الكافر: اكتبوا كتابه في سجين. وسجين هي تحت الأرض السابعة^(٣)، وقيل: صخرة تحت الأرض السابعة خضراء، وقيل: بئر في جهنم.

وقد روى ابن جرير في ذلك حديثاً غريباً منكراً لا يصح فقال: حدثنا إسحاق بن وهب الواسطي، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي، حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي، عن شعيب بن صفوان، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «الفلق جبٌّ في جهنم مغطى، وأما سجين فمفتوح»^(٤). والصحيح أن سجيناً مأخوذ من السجن وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيّق إلى المركز في وسط الأرض السابعة، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَشْفَلِ سَفَلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين] وقال ههنا: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان].

وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾﴾ ليس تفسيراً لقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ وإنما هو تفسير

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه أبو بكر وهو ابن عياش.

(٢) سنن أبي داود، الحديث السابق نفسه، وسنن النسائي، قيام الليل، باب ذكر ما يستفتح به القيام ٢٠٨/٣؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل (ح ١٣٥٦)؛ وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ح ١١١٥).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وضعفه الحافظ ابن كثير.

لما كتب لهم من المصير إلى سجين؛ أي: مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزداد فيه أحد ولا ينقص منه أحد. قاله محمد بن كعب القرظي.

ثم قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٦) أي: إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السجن والعذاب المهين، وقد تقدم الكلام على قوله: ﴿وَيْلٌ﴾ بما أغنى عن إعادته، وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال: ويل لفلان، وكما جاء في المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس، ويل له، ويل له»^(١).

ثم قال تعالى مفسراً للمكذبين الفجار الكفرة: ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ (١٦) أي: لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (١٧) أي: معتد في أفعاله؛ من تعاطي الحرام والمجازاة في تناول المباح والأثيم في أقواله إن حدث كذب، وإن وعد أخلف، وإن خاصم فجر.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا ثُلُثَ عَلَيْهِ مَائِنًا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣) أي: إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَادَا أَنْزَلْ رِيكُمُ قَالَوْا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٤) [النحل] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُنْتَبَهَا فِيهِ ثَمَلٌ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٥) [الفرقان].

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا أن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤).

والرين يعتري قلوب الكافرين، والغيم للأبرار، والغين للمقربين.

وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان، عن الققعاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤)». وقال الترمذي: حسن صحيح، ولفظ النسائي «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤)»^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٥/٥)؛ وأبو داود، السنن، الأدب، باب التشديد في الكذب (ح ٤٩٩٠)؛ والترمذي (السنن، الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس ح ٢٣١٦)؛ والنسائي (السنن الكبرى التفسير ح ١١١٢٦)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤١٧٥).

(٢) أخرجه الطبري والترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة المطففين ح ٣٣٣٤)، والنسائي (السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ح ١١٦٥٨)؛ وابن ماجه (السنن، الزهد، باب ذكر الذنوب ح ٤٢٤٤)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٤١٧/٢؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥/١).

وقال أحمد: حدثنا صفوان بن عيسى، أخبرنا ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، وذاك الران الذي ذكر الله في القرآن ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(١).

وقال الحسن البصري: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت^(٢)، وكذا قال مجاهد بن جبير وقتادة وابن زيد وغيرهم^(٣).

وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾^(٤) أي: لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم.

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه ﷻ يومئذ^(٥)، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٧﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٨﴾﴾ [القيامة]، وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم ﷻ في الدار الآخرة رؤية بالآبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنات الفاخرة.

وقد قال ابن جرير: [حدثني محمد بن عمار الرازي]^(٦)، حدثنا أبو معمر المقري، حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾^(٧) قال: يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية. أو كلاماً هذا معناه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾^(٨) أي: ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران ﴿ثُمَّ هَآؤَ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْدِبُونَ﴾^(٩) أي: يقال لهم ذلك على وجه التقرير والتوبيخ والتصغير والتحقير^(١٠).

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِرَاجُهُمْ مِنْ تَتْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى: حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ وهم بخلاف الفجار ﴿لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ أي: مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: إسناده قوي. (المسند ٣٣٤/١٣ ح ٧٩٥٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٣) أخرجه آدم والطبري بعدة أسانيد صحيحة عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه البيهقي عن الشافعي. (مناقب الشافعي ٤١٩/١).

(٥) زيادة من تفسير الطبري.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه آدم بن أبي إياس عن أبي معمر المقري به. وسنده مرسل، وفي عمرو بن عبيد مقال. (التقريب ص ٤٢٤).

قال الأعمش: عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر عن ﴿سَيِّئِينَ﴾ [المطففين: ٧] قال: هي الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار، وسأله عن ﴿عَلِيِّينَ﴾ فقال: هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين^(١). وهكذا قال غير واحد: إنها السماء السابعة^(٢). وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (١٨) يعني: الجنة^(٣).

وفي رواية العوفي عنه: أعمالهم في السماء عند الله^(٤). وكذا قال الضحاك: وقال قتادة: عليون: ساق العرش اليمنى^(٥).

وقال غيره: عليون: عند سدرة المنتهى^(٦)، والظاهر: أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، ولهذا قال تعالى معظماً أمره ومفخماً شأنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ (١٨) ثم قال تعالى مؤكداً لما كتب لهم: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ (٢٠) يَشْهَدُ الْمَقْرُونُ (٢١) وهم الملائكة. قاله قتادة^(٧).

وقال العوفي، عن ابن عباس: يشهده من كل سماء مقربوها^(٨).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢٢) أي: يوم القيامة هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عظيم ﴿عَلَى الْأَرَارِكِ﴾ وهي السرر تحت الحجال ينظرون قيل: معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبداً.

وقيل: معناه ﴿عَلَى الْأَرَارِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٢٣) إلى الله ﷻ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (٢٥) فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله ﷻ وهم على سررهم وفرشهم، كما تقدم في حديث ابن عمر: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أعلاه لمن ينظر إلى الله في اليوم مرتين»^(٩).

وقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٢٤) أي: تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم؛ أي: صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم.

وقوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ (٢٥) أي: يسقون من خمر من الجنة، والرحيق من أسماء الخمر، قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقاتدة وابن زيد^(١٠).

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بسابقه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الأجلح عن الضحاك، وسبب ضعفه أنه معضل. ومثل هذا لا يؤخذ إلا عن الوحي.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به بلفظ: «كل أهل سماء».

(٩) تقدم تخريجه في تفسير سورة القيامة: آية ٢٢.

(١٠) أخرجه ابن أبي شيبة والطبري بسند صحيح من طريق مسروق عن ابن مسعود (المصنف ٨/ ٨٧)؛ وأخرجه =

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا زهير، عن سعد أبي المجاهد الطائي، عن عطية بن سعد العوفي، عن أبي سعيد الخدري - أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ - قال: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا شُرْبَةَ مَاءٍ عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا ثَوْبًا عَلَى عَرِي كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ»^(١).

وقال ابن مسعود في قوله: ﴿خَتَمْتُ مِسْكَ﴾: أي خلطه مسك^(٢).

وقال العوفي، عن ابن عباس: طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك^(٣)، وكذا قال قتادة والضحاك.

وقال إبراهيم والحسن: ﴿خَتَمْتُ مِسْكَ﴾ أي: عاقبته مسك^(٤).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن وضاح، حدثنا أبو حمزة، عن جابر، عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي الدرداء ﴿خَتَمْتُ مِسْكَ﴾ قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها^(٥).

وقال ابن أبي نجيع، عن مجاهد: ﴿خَتَمْتُ مِسْكَ﴾ قال: [طينه]^(٦) مسك^(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أي: وفي مثل هذا الحال فليتنافس المتنافسون وليتباها ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون، كقوله تعالى: ﴿لِيُنْزِلَ هَذَا فَلَيعْمَلَ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات].

وقوله تعالى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ أي: ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم؛ أي: من شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه. قاله أبو صالح والضحاك، ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يشربها المقربون صرفاً وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً.

= الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد. وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٣/٣) وسنده ضعيف لضعف عطية العوفي.

(٢) أخرجه الطبري والحاكم من طريق علقمة بن قيس عن ابن مسعود وصححه الحاكم؛ ووافقه الذهبي (المستدرک ٥١٧/٢).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بسابقه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي حمزة عن إبراهيم والحسن.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وأخرجه آدم بن أبي إياس من طريق شيبان بن عبد الرحمن عن جابر به، وجابر هو الجعفي من تلاميذ شيبان بن عبد الرحمن (ينظر: تهذيب الكمال ٥٩٣/١٢) وسنده ضعيف لضعف جابر الجعفي (التقريب ص ١٣٧).

(٦) كذا في (ح) وتفسير الطبري وفي الأصل صحف إلى: «طيه».

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

[قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم] (٢) (١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين؛ أي: يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم؛ أي: محتقرين لهم ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (٣١) أي: وإذا انقلب؛ أي: رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبون إليها فاكهين؛ أي: مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ (٣٢) أي: لكونهم على غير دينهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ (٣٣) أي: وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كلفوا بهم؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم، كما قال تعالى: ﴿قَالَ أَخَسُّوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوْا﴾ (١٧٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٧٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءً حَتَّىٰ أَفْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٨٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِرُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [المؤمنون] ولهذا قال ههنا: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ أي: في مقابلة ما ضحك بهم أولئك ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٣٥) أي: إلى الله ﷻ في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)؟ أي: هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا؟ يعني: قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله. آخر تفسير سورة المطففين، والله الحمد والمنة.

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل وردت قبل ذكر قوله: «ولهذا قال».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة والطبري بسند صحيح من طريق مسروق عن ابن مسعود (المصنف ٨/٨٧). وأخرجه عبد الرزاق بسند حسن من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عباس، وقول مسروق تقدم ضمن رواية ابن مسعود كما في سابقه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه.

سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ

قال مالك، عن عبد الله بن يزيد، عن أبي سلمة، أن أبا هريرة قرأ بهم: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها^(١)، رواه مسلم والنسائي من طريق مالك به^(٢).

وقال البخاري: حدثنا أبو النعمان، حدثنا معتمر، عن أبيه، عن بكر، عن أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد، فقلت له. فقال: سجدت خلف أبي القاسم ﷺ، فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه^(٣)، ورواه أيضاً عن مسدد، عن معتمر به. ثم رواه عن مسدد، عن يزيد بن زريع، عن التيمي، عن بكر، عن أبي رافع فذكره^(٤). وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن سليمان بن طرخان التيمي به، وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة، زاد النسائي وسفيان الثوري كلاهما عن أيوب بن موسى، عن عطاء بن ميناء، عن أبي هريرة، قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ﴿وَأَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٥) [العلق].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ⑤ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧ وَنَقِيبٌ إِلَيْهِمْ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ⑫ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مَسْرُورًا ⑬ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن لَّنْ يَحْجُورَ ⑭ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِم بَصِيرًا ⑮ ﴿٥﴾

يقول تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ① وذلك يوم القيامة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: استمعت لربها

(١) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثنه بلفظ قرأ لهم (الموطأ، القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن ح ٢٥٥/١) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم من طريق مالك به. (الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة ح ٥٧٨) وكذا النسائي. (السنن الكبرى، التفسير، سورة الانشقاق ح ١١٥٩٦).

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثنه. (الصحيح، الأذان، باب الجهر في العشاء ح ٧٦٦).

(٤) أخرجه البخاري عن مسدد به (الصحيح، الأذان، باب القراءة في العشاء بالسجدة ح ٧٦٨).

(٥) صحيح مسلم، المساجد، باب سجود التلاوة (ح ٥٧٧/١١٠ و ٥٧٧/١٠٨)؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب السجود في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق] (ح ١٤٠٧)؛ والسنن الكبرى للنسائي، الافتتاح، باب السجود في ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ (ح ١٠٣٩).

وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق، وذلك يوم القيامة ﴿وَحُفَّتْ﴾ أي: وُحِقَ لها أن تطيع أمره؛ لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء وذلَّ له كل شيء، ثم قال: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي: بسطت وفرشت ووسعت.

قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين، أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة مدَّ الله الأرض مدَّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه، فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها، فأقول: يا ربِّ إن هذا أخبرني، أنك أرسلته إليَّ. فيقول الله ﷻ: صدق ثم أشفع، فأقول: يا ربِّ عبادك عبدوك في أطراف الأرض، قال: وهو المقام المحمود»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَالْقَتَّ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ﴾ أي: ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلَّت منهم. قاله مجاهد وسعيد و قتادة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾^(٢) كما تقدم.

وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أي: إنك ساع إلى ربك سعيًا وعامل عملًا ﴿فَلْيَقْبِهِ﴾ ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر. ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسي عن الحسن بن أبي جعفر، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»^(٣).

ومن الناس من يعيد الضمير على قوله: ﴿رَبِّكَ﴾؛ أي: فملاق ربك، ومعناه: فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك، وعلى هذا فكلما القولين متلازم.

قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ يقول: تعمل عملًا تلقى الله به خيراً كان أو شراً^(٤).

وقال قتادة: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ إن كدحك يا ابن آدم لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله^(٥).

ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَ كَتَبُو بِمِيزَانٍ﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً بلا تعسير؛ أي: لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله، فإن من حوسب كذلك هلك لا محالة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، أخبرنا أيوب، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب عذب» قالت: فقلت: أفليس قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: «ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثنه، وسنده ضعيف لأنه مرسل، ويشهد لقوله: وهو المقام المحمود ما ورد في تفسير سورة الإسراء: آية ٧٩ في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطيالسي بسنده ومثنه (المسند ص ٢٤٢ ح ١٧٥٥) وسنده ضعيف لضعف الحسن بن أبي جعفر وهو الجفري (التقريب ص ١٥٩).

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

الحساب يوم القيامة عُذْبٌ^(١). وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب السخيتاني به^(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا أبو عامر الخزاز، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذباً» فقلت: أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾^(٣)؟ قال: «ذاك العرض إنه من نوقش الحساب عُذْبٌ» وقال بيده على إصبعه [كأنه]^(٤)، ينكت^(٥)، وقد رواه أيضاً عن عمرو بن علي، عن ابن أبي عدي، عن أبي يونس القشيري، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة فذكر الحديث^(٥)، أخرجاه من طريق أبي يونس القشيري واسمه: حاتم بن أبي صغيرة^(٦) به.

قال ابن جرير: حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا مسلم، عن الحريش بن الخريت أخي الزبير، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: من نوقش الحساب - أو من حوسب - عُذْبٌ. قال: ثم قالت: إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم^(٧).

وقال أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلواته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً» فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه؛ إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك»^(٨). صحيح على شرط مسلم.

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾^(٩) أي: ويرجع إلى أهله في الجنة. قاله قتادة والضحاك^(٩)، ﴿مَسْرُورًا﴾ أي: فرحاً مغتبطاً بما أعطاه الله ﷻ.

وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال: «إنكم تعملون أعمالاً لا تعرف، ويوشك الغائب أن يثوب إلى أهله فمسرور أو مكظوم»^(١٠).

- (١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٧/٦) وسنده صحيح.
- (٢) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق] (ح ٤٩٣٩)؛ وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب (ح ٢٤٢٨)؛ والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، سورة الانشقاق (ح ١١٥٩٥).
- (٣) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل صفت إلى: «فإنه».
- (٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته بلفظ: «ينكته» وفي سنده ابن وكيع وهو سفيان بن وكيع فيه مقال ولكنه توبع فيتقوى بسابقه.
- (٥) أخرجه الطبري عن عمرو بن علي به، وسنده صحيح.
- (٦) صحيح البخاري، التفسير، (ح ٤٩٣٩)؛ وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب (ح ٢٨٧٦/٨٠).
- (٧) أخرجه الطبري بسنده ومثته؛ أخرجه الحاكم من طريق الحريش بن الخريت وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: «الحريش»؛ قال البخاري: في حديثه نظر (المستدرک ٥٨٠/٤) ويتقوى بما سبق.
- (٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٨/٦) وسنده حسن.
- (٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «إلى أهل أعداء الله لهم الجنة».
- (١٠) أخرجه الطبراني بسند ضعيف (المعجم الكبير ٩٤/٢ ح ١٤١٦) وفي سنده يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف (معجم الزوائد ٢٣٤/١٠).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كَيْلَهُمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٥) أي: بشماله من وراء ظهره تشنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ (١٦) أي: خساراً وهلاكاً ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ (١٧) إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مَسْرُورًا (١٨) أي: فرحاً لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل.

﴿إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ لَنْ يَحْجُوزَ﴾ (١٩) أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته. قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما^(١)، والحدود هو: الرجوع. قال الله: ﴿يَلْحَظُ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ (٢٥) يعني: بلى سعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها، فإنه كان به بصيراً؛ أي: عليمًا خبيراً.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (٢١) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (٢٢) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (٢٣) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (٢٤) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٥) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢٦) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ (٢٧) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٨) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٩) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٣٥).

روي عن علي وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وشداد بن أوس وابن عمر ومحمد بن علي بن الحسين ومكحول ويكر بن عبد الله المزني وبكير بن الأشج ومالك وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون أنهم قالوا: الشفق: الحمرة^(٢).

وقال عبد الرزاق: عن معمر، عن ابن خثيم، عن ابن لبيبة، عن أبي هريرة قال: الشفق: البياض^(٣)، فالشفق: هو حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس؛ كما قاله مجاهد، وإما بعد غروبها؛ كما هو معروف عند أهل اللغة.

قال الخليل بن أحمد: الشفق: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفق.

وقال الجوهري: الشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة، وكذا قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء.

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وقت المغرب ما لم يغب الشفق»^(٤)، ففي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٣٣٣/١)؛ والطبري بسند صحيح من طريق العوام بن حوشب عن مجاهد؛ وعزاه السيوطي إلى سمويه في «فوائده» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ وأخرجه عبد الرزاق عن عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر (المصنف ٥٥٩/١ رقم ٢١٢٢)؛ وفي سنده عبد الله بن نافع وهو ضعيف. (التقريب ص ٣٢٦)؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند حسن عن محمد بن راشد عن مكحول عن ثور بن يزيد. (المصنف ٥٥٩/١ رقم ٢١٢١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثله. وسنده ضعيف لضعف ابن لبيبة (التقريب ص ٤٩٣) وأيضاً فهو لم يسمع من أبي هريرة.

(٤) صحيح مسلم، المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس (ح ٦١٢).

ولكن صحَّ عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (١٦) هو النهار كله^(١)، وفي رواية عنه أيضاً أنه قال: الشفق الشمس^(٢). رواهما ابن أبي حاتم، وإنما حمّله على هذا قرنه بقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾ (١٧) أي: جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام.

وقال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مدبراً وبالليل مقبلاً^(٣).

وقال ابن جرير: وقال آخرون: الشفق اسم للحمرة والبياض. وقالوا: هو من الأضداد^(٤).

قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ وما جمع^(٥).

قال قتادة: وما جمع من نجم ودابة^(٦)، واستشهد ابن عباس بقول الشاعر:

مستوسقات لو يجدن سائقاً^(٧)

وقال عكرمة: ﴿وَاللَّيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾ (١٧) يقول ما ساق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه^(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا آسَقَ﴾ (١٨) قال ابن عباس: إذا اجتمع واستوى^(٩)، وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد^(١٠).

﴿وَالْقَمَرَ إِذَا آسَقَ﴾ (١٨) إذا استوى. وقال الحسن: إذا اجتمع إذا امتلاً^(١١)، وقال قتادة: إذا استدار^(١٢). ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلاً لليل وما وسق.

وقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩) قال البخاري: أخبرنا سعيد بن النضر، أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد قال: قال ابن عباس: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩) حالاً بعد حال، قال: هذا نبيكم ﷺ^(١٣)، هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ. وهو محتمل أن يكون ابن

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ١/٣٣٣)؛ والطبري بسند حسن من طريق العوام بن حوشب عن مجاهد بلفظ: «إن الشفق من الشمس».

(٣) ذكره الطبري بلفظه. (٤) ذكره الطبري بلفظه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) هذا الشطر تمة لرواية ابن عباس السابقة وقد استشهد به أبو عبيدة معمر بن المثنى (مجاز القرآن ٢/٢٩٢).

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق علي بن الحسن، وهو ابن شقيق المروزي، عن حسين، وهو ابن واقد المروزي، عن عكرمة.

(٩) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(١٠) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة؛ وأخرجه أيضاً آدم والطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد، وأخرجه أيضاً الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(١٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(١٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق] ح ٤٩٤٠).

عباس أسند هذا التفسير عن النبي ﷺ كأنه قال: سمعت هذا من نبيكم ﷺ، فيكون قوله نبيكم مرفوعاً على الفاعلية من قال، وهو الأظهر، والله أعلم كما قال أنس: لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم ﷺ^(١).

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد، أن ابن عباس كان يقول: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قال يعني: نبيكم ﷺ يقول: «حالا بعد حال»^(٢)، وهذا لفظه.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حالا بعد حال^(٣). وكذا قال عكرمة ومرة الطيب ومجاهد والحسن والضحاك ومسروق وأبو صالح^(٤).

ويحتمل أن يكون المراد ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حالا بعد حال، قال هذا. يعني المراد بهذا نبيكم ﷺ فيكون مرفوعاً على أن هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبراً والله أعلم، ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة كما قال أبو داود الطيالسي وغندر: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قال: محمد ﷺ^(٥). ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لَتَرْكَبَنَّ بفتح التاء والباء^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن إسماعيل، عن الشعبي: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قال: لتركبن يا محمد سماء بعد سماء^(٧). وهكذا روي عن ابن مسعود ومسروق وأبي العالية ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ سماء بعد سماء^(٨). (قلت: يعنون ليلة الإسراء).

وقال أبو إسحاق والسدي، عن رجل، عن ابن عباس: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ منزلاً على منزل^(٩)، وكذا رواه العوفي، عن ابن عباس مثله وزاد: ويقال: أمراً بعد أمر وحالاً بعد حال^(١٠).

(١) صحيح البخاري، الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه (ح٧٠٦٨).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح؛ وأخرجه الحاكم من طريق هشيم به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١٩/٢).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة، وأخرجه عبد الرزاق بسند حسن من طريق موسى بن أبي عائشة عن مرة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٥) سنده صحيح. (٦) وهي قراءة متواترة.

(٧) أخرجه الطبري من طريق وكيع عن إسماعيل به، وسنده صحيح.

(٨) أخرجه الطبري والحاكم من طريقين يقوي أحدهما الآخر (المستدرک ٥١٨/٢)؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن وأبي العالية.

(٩) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري عن أبي إسحاق عن رجل حدثه عن ابن عباس.

(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

وقال السدي نفسه: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١) أعمال مَنْ قبلكم منزلاً بعد منزل. (قلت): كأنه أراد معنى الحديث الصحيح: «لتركبن سنن مَنْ كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى قال: «فمن؟» (٢). وهذا محتمل.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة، حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولاً يقول في قول الله: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (٣) قال: في كل عشرين سنة تحدثون أمراً لم تكونوا عليه (٤).

وقال الأعمش: حدثنا إبراهيم قال: قال عبد الله: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (٥)، قال: السماء تشقق ثم تحمر ثم تكون لوناً بعد لون (٦).

وقال الثوري، عن [قيس] (٧) بن وهب، عن مرة، عن ابن مسعود: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (٨) قال: السماء مرة كالدهان ومرة تنشق (٩).

وروى البزار من طريق جابر الجعفي، عن الشعبي، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٠) يا محمد يعني حالاً بعد حال، ثم قال: ورواه جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس (١١).

وقال سعيد بن جبیر ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٢) قال: قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة، وآخرون كانوا أشرافاً في الدنيا فاتضعوا في الآخرة (١٣).

وقال عكرمة: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٤) حالاً بعد حال فطيماً بعد ما كان رضيعاً، وشيخاً بعد ما كان شاباً.

وقال الحسن البصري: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٥) يقول: حالاً بعد حال، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقراً بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقماً بعد صحة (١٦).

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن عبد الله بن زاهر، حدثني أبي، عن عمرو بن شمر، عن جابر هو: الجعفي، عن محمد بن علي، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن ابن آدم لفي غفلة مما خلق له إن الله تعالى إذا أراد خلقه قال للملك: اكتب رزقه، اكتب أجله،

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة (ح ٣٤).

(٢) سنده مرسل ضعيف ومثل هذا المتن لا يؤخذ إلا من الوحي لأنه غيب.

(٣) سنده منقطع لأن إبراهيم لم يسمع من ابن مسعود ويتقوى بما يليه.

(٤) كذا في (ح) و(حم) وترجمته، وفي الأصل صحف إلى: «قوس».

(٥) أخرجه الطبري عن ابن حميد عن مهران عن سفيان به، وفي سنده ابن حميد وهو حميد الرازي وهو ضعيف لكنه توبع؛ فقد أخرجه آدم بن أبي إياس من طريق السدي عن مرة عن ابن مسعود، وسنده حسن.

(٦) أخرجه البزار من طريق شريك عن جابر به. قال ابن حجر: وجابر ضعيف (مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ١١٦ ح ١٥٢٧).

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد عن قتادة بنحوه.

اكتب أثره، اكتب شقياً أو سعيداً. ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه ملكاً آخر فيحفظه حتى يدرك، ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته، فإذا حضره الموت ارتفع ذاك الملكان وجاء ملك الموت فقبض روحه، فإذا دخل قبره ردّ الروح في جسده. ثم ارتفع ملك الموت وجاء ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعة انحطّ عليه ملك الحسنات وملك السيئات، فانتشطا كتاباً معقوداً في عنقه، ثم حضرا معه واحداً سائقاً وآخر شهيداً^(١).

ثم قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ [ق: ٢٢] قال رسول الله ﷺ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قال: «حالاً بعد حال» ثم قال النبي ﷺ: «إن قدامكم لأمرأ عظيمأ لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم»^(٢) هذا حديث منكر، وإسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين: والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال وأمرأ بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك وإن كان الخطاب موجهاً إلى رسول الله ﷺ جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالاً^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢٦﴾ أي: فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟ وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون إعظاماً وإكراماً واحتراماً؟

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ أي: من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ قال مجاهد وقتادة: يكتمون في صدورهم^(٤). ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٩﴾ أي: فأخبرهم يا محمد بأن الله ﷻ قد أعدّ لهم عذاباً أليماً.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذا استثناء منقطع يعني: لكن الذين آمنوا؛ أي: بقلوبهم وعملوا الصالحات؛ أي: بجوارحهم ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ أي: في الدار الآخرة ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال ابن عباس: غير منقوص^(٥).

وقال مجاهد والضحاك: غير محسوب^(٦)، وحاصل قولهما أنه غير مقطوع كما قال تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُورٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وقال السدي: قال بعضهم: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير منقوص.

(١) سنده ضعيف لضعف جابر الجعفي كما تقدم في الرواية السابق عن الحافظ ابن حجر.

(٢) أخرجه أبو نعيم بسند فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف كما تقدم. (حلية الأولياء ٣/١٩٠).

(٣) ذكره الطبري بنحوه.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن جريج عن مجاهد، وهو لم يسمع من مجاهد.

وقال بعضهم: غير ممنون عليهم، وهذا القول الأخير عن بعضهم قد أنكره غير واحد، فإن الله ﷻ له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضلها ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائماً سرمداً والحمد لله وحده أبداً، ولهذا يلهمون تسييحه وتحميده كما يلهمون النفس، ﴿وَأَخِرُّ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

آخر تفسير سورة الانشقاق، والله الحمد.

سُورَةُ الْبُرُوجِ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا زريق بن أبي سلمى، حدثنا أبو المهزم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ ﴿١﴾. وقال أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا حماد بن عباد السدوسي، سمعت أبا المهزم يحدث، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسّموات في العشاء^(٢)، تفرد به أحمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَضْحَبُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ﴿١١﴾ [الفرقان] قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدي: البروج: النجوم^(٣).

وعن مجاهد أيضاً: البروج التي فيها الحرس.

وقال يحيى بن رافع: البروج قصور في السماء.

وقال المنهال بن عمرو: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ﴿١١﴾ الخلق الحسن، واختار [ابن جرير]^(٤) أنها منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر برجاً، تسير الشمس في كل واحد منها شهراً، ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلاثاً، فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستمر ليلتين^(٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده، وضعف سنده محققوه لضعف أبي المهزم. (المسند ٧٧/١٤ - ٧٨ ح ٨٣٣٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وضعف سنده محققوه كسابقه. (المسند ٧٨/١٤ ح ٨٣٣٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «قصور في السماء»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «ابن خيشمة».

(٥) ذكره الطبري بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۖ وَشَهِدٍ مِّمَّنْهُوَ﴾ (٢) اختلف المفسرون في ذلك وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي، حدثنا عبيد الله يعني - ابن موسى - حدثنا موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۖ﴾ يوم القيامة، ﴿وَشَهِدٍ﴾ يوم الجمعة؛ وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، ولا يستعيز فيها من شر إلا أعاده، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عرفة»^(١) وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف الحديث، وقد روي موقوفاً على أبي هريرة، وهو أشبه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد، حدثنا شعبة، سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار - مولى بني هاشم -، عن أبي هريرة، أما علي فرفعه إلى النبي ﷺ، وأما يونس فلم يعد أبا هريرة أنه قال في هذه الآية ﴿وَشَهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (٣) قال: يعني الشاهد يوم الجمعة، ويوم مشهود يوم القيامة^(٢).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن يونس، سمعت عماراً مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية ﴿وَشَهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (٣) قال: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، والموعود، يوم القيامة^(٣).

وقد روي عن أبي هريرة أنه قال: اليوم الموعود: يوم القيامة، وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد^(٤). ولم أرهم يختلفون في ذلك، والله الحمد.

ثم قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثنا ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، وإن الشاهد يوم الجمعة، وإن المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا»^(٥).

ثم قال ابن جرير: حدثنا سهل بن موسى الرازي، حدثنا ابن أبي فديك، عن ابن حرملة، عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سيد الأيام يوم الجمعة، وهو الشاهد،

(١) سنده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الربذي كما قرر الحافظ ابن كثير، ولكنه توبع كما سيأتي في رواية الإمام أحمد، فيكون سنده حسناً لغيره.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وقال محققوه: المرفوع منه ضعيف لضعف علي بن زيد، وهو ابن جدعان، والموقوف لا بأس به. رجاله رجال الصحيح. (المسند ٣٥١/١٣ ح ٧٩٧٢)؛ وأخرجه الحاكم بالسند نفسه وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١٩/٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وصححه سنده محققوه. (المسند ٣٥٢/١٣ ح ٧٩٧٣).

(٤) قول أبي هريرة تقدم صحيحاً في الرواية السابقة، وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر، وقول ابن زيد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لضعف رواية محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه. (التقريب ص ٤٦٨).

والمشهدود يوم عرفة^(١). وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب.

ثم قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن شعبة، عن علي بن زيد، عن يوسف المكي، عن ابن عباس قال: الشاهد: هو محمد ﷺ، والمشهدود: يوم القيامة، ثم قرأ ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٢) [هود: ١٠٣].

وحدثنا ابن حميد: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن شباك قال: سأل رجل الحسن بن علي، عن ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾^(٣) قال: سألت أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا: يوم الذبح ويوم الجمعة، فقال: لا، ولكن الشاهد: محمد ﷺ، ثم قرأ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٤) [النساء] والمشهدود: يوم القيامة ثم قرأ: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٥) [هود: ١٠٣]. وهكذا قال الحسن البصري.

وقال سفيان الثوري، عن ابن حرملة، عن سعيد بن المسيب: ومشهدود يوم القيامة^(٦).

وقال مجاهد وعكرمة والضحاك: الشاهد: ابن آدم، والمشهدود: يوم القيامة^(٧).

وعن عكرمة أيضاً: الشاهد: محمد ﷺ، والمشهدود: يوم الجمعة^(٨).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الشاهد الله والمشهدود يوم القيامة^(٩).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا سفيان، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾^(١٠) قال الشاهد الإنسان، والمشهدود يوم الجمعة^(١١)، هكذا رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾^(١٢) الشاهد: يوم عرفة، والمشهدود: يوم القيامة^(١٣)، وبه عن سفيان الثوري، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: يوم الذبح ويوم عرفة يعني: الشاهد والمشهدود^(١٤).

قال ابن جرير: وقال آخرون: المشهدود: يوم الجمعة، ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن: حدثني عمي عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده مرسل.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس عن ورقاء عن المغيرة به، وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري من طريق سفيان به؛ وأخرجه عبد الرزاق من طريق عبد الرحمن بن حرملة به، وسنده جيد.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق خالد الحذاء عن عكرمة.

(٦) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد وهو ضعيف.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٨) سنده ضعيف لضعف أبي يحيى القتات.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد وهو ضعيف.

(١٠) سنده كسابقه في ابن حميد وهو محمد بن حميد وهو ضعيف.

هلال، عن زيد بن أيمن، عن عبادة بن نسي، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة»^(١). وعن سعيد بن جبير الشاهد الله، وتلا: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩] والمشهود: نحن، حكاية البغوي، وقال الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة.

وقوله تعالى: ﴿قِيلَ أَخَذُوا الْأَخْدُودَ﴾^(٢) أي: لُعِنَ أصحاب الأخدود، وجمعه أخايد وهي: الحفر في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله ﷻ، فقهرهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً، وأججوا فيه ناراً وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقفزوهم فيها ولهذا قال تعالى: ﴿قِيلَ أَخَذُوا الْأَخْدُودَ﴾^(٣) أَلْتَارِ ذَاتِ الْوُقُودِ^(٤) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ^(٥) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ^(٦) أي: مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٧) أي: وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لا ذنبنا به المنيع؛ الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد، وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس^(٨).

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض ولا تخفى عليه خافية.

وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم؟ فعن علي أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم، فامتنع عليهم علماؤهم فعمد إلى حفر أخدود، فقفذ فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم. وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم، فغلب مؤمنوهم على كفارهم، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخذوا لهم الأخايد وأحرقوهم فيها، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشي.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿قِيلَ أَخَذُوا الْأَخْدُودَ﴾^(٩) أَلْتَارِ ذَاتِ الْوُقُودِ^(١٠) قال: ناس من بني إسرائيل خدوا أخدوداً في الأرض ثم أوقدوا فيه ناراً ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء فعرضوا عليها، وزعموا أنه: دانيال وأصحابه^(١١). وهكذا قال الضحاك بن مزاحم^(١٢)، وقيل غير ذلك.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته؛ وأخرجه ابن ماجه من طريق عبد الله بن وهب به (السنن، الجناز، باب ذكر وفاته ﷺ ح ١٦٣٧) وسنده ضعيف لأن عبادة لم يسمع من أبي الدرداء، وزيد بن أيمن مقبول. (التقريب ص ٢٢٢)؛ وذكره الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد وهو الرازي: ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه.

أبي ليلي، عن صهيب، أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبر سني وحضر أجلي، فادفع إلي غلاماً لأعلمه السحر فدفع إليه غلاماً فكان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر. قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة عظيمة فطبعة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا. فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر؟ قال: فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، وربما هافتها ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك فقال: أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبتلي، فإن ابتليت فلا تدل علي، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس فعمي فسمع به فأثاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما ههنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله ﷻ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن، فدعا الله فشفاه.

ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك: يا فلان من ردّ عليك بصرك؟ فقال ربي: فقال: أنا. قال: لا، ربي وربك الله، قال: ولك رب غيري؟ قال: نعم ربي وربك الله، فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام، فبعث إليه فقال: أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء! قال: ما أشفي أحداً إنما يشفي الله ﷻ، قال أنا؟ قال: لا. قال: أولك ربّ غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب فلم يزل به حتى دلّ على الراهب، فأتى بالراهب فقال: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدوه^(١) من فوقه، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فدهدوهوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال كفانيهم الله تعالى، فبعث به مع نفر في قرقور^(٢) فقال: إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون.

وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلتي وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كناني، ثم قل: باسم الله ربّ الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي. ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال: باسم الله ربّ الغلام، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام

يده على موضع السهم ومات، فقال الناس: آمنا بربّ الغلام. فقليل للملك: رأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك؛ قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك، فخذت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها، قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابتن لها ترضعه، فكانها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي: اصبري يا أمه فإنك على الحق^(١).

وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هذبة بن خالد، عن حماد بن سلمة به نحوه^(٢)، ورواه النسائي، عن أحمد بن سلمان، عن عفان، عن حماد بن سلمة. ومن طريق حماد بن زيد كلاهما، عن ثابت به واختصروا أوله^(٣)، وقد جوده الإمام أبو عيسى الترمذي فرواه في تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد - المعنى واحد - قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن ضبيب قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر همس. والهمس في بعض قولهم: تحريك شفثيه كأنه يتكلم فقليل له: إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست، قال: «إن نبياً من الأنبياء كان أعجب بأمرته فقال: من يقوم لهؤلاء؟ فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم، وبين أن أسلط عليهم عدوهم، فاختاروا النعمة، فسلط الله عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون ألفاً» قال: وكان إذا حدث بهذا الحديث، حدث بهذا الحديث الآخر قال: كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له، فقال الكاهن: انظروا لي غلاماً فهماً أو قال: فطناً لقناً فأعلمه علمي هذا، فذكر القصة بتمامها، وقال في آخره: يقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَصْحَبُ الْأُخْدُوْدَ ﴿١٦﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُؤُودِ ﴿١٧﴾﴾ حتى بلغ ﴿الْفَرْزِيزِ الْحَمِيْدِ﴾.

قال: فأما الغلام فإنه دفن، فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل، ثم قال الترمذي: حسن غريب^(٤)، وهذا السياق ليس فيه صراحة، أن سياق هذه القصة من كلام النبي ﷺ.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى؛ والله أعلم.

وقد أورد محمد بن إسحاق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال: حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران - ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فيموت ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه، قالوا: نزلها رجل فابتنى

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٦/٦) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، الزهد والرفاق، باب قصة أصحاب الأخدود (ح ٣٠٠٥).

(٣) السنن الكبرى، التفسير، باب قتل أصحاب الأخدود (ح ١١٦٦١).

(٤) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة البروج (ح ٣٣٤٠).

خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر.

فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبدته، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه فكنمه إياه وقال له: يا ابن أخي إنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه، والتامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضنَّ به عنه، وتخوف ضعفه فيه عمد إلى أقذاح فجمعها ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح، حتى إذا حصاها أوقد ناراً ثم جعل يقذفها فيها قدحاً، حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء، فأخذه، ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتبه، فقال: وما هو؟ قال: هو كذا وكذا، قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع، فقال: أي ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل.

فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال له: يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني، وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحد الله ويسلم، فيدعو الله له، فيشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه، فاتبعه على أمره ودعا له، فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له: أفسدت عليَّ أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي، لأمثلن بك، قال: لا تقدر على ذلك، قال: فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ما به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه نجران؛ بحور لا يلقي فيها شيء إلا هلك فيلقى به فيها، فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر: إنك والله لا تقدر على قتلي حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله، فإنك إن فعلت سلطت علي فقتلتني، قال: فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر، ثم ضربه بعضاً في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله، وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم ﷺ من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر قاله أعلم أي ذلك كان، قال: فسار إليهم ذو نواس بجنده فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل، فخذَّ الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف، ومثل بهم حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نواس وجنده أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ۚ﴾ ١ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُوقُودِ ۚ﴾ ٢ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۖ﴾ ٣ ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۖ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۚ﴾ ٤ ﴿الَّذِي لَمْ يُلْكَ الْأَسْمَانُ وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ﴾ ٥ (١).

هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو: ذو نواس واسمه زرعة، ويسمى في زمان مملكته بيوسف، وهو: ابن بيان أسعد أبي كريب، وهو تبع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة، فكان تهوّد من تهوّد من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن إسحاق مبسوطاً، فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفاً ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له: دوس ذو ثعلبان، ذهب فارساً وطرّدوا وراءه فلم يقدروا عليه فذهب إلى قيصر ملك الشام فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة، فأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهود، وذهب ذو نواس هارباً فلجج في البحر فغرق، واستمر ملك الحبشة في أيدي النصارى سبعين سنة، ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحميري من أيدي النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس، فأرسل معه من في السجون فكانوا قريباً من سبعمائة، ففتح بهم اليمن ورجع الملك إلى حمير، وسنذكر طرفاً من ذلك إن شاء الله في تفسير سورة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل].

وقال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلاً من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته، فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن فيها قاعداً واضعاً يده على ضربة في رأسه ممسكاً عليها بيده، فإذا أخذت يده عنها تفجرت دماً، وإذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دمها، وفي يده خاتم مكتوب فيه ربي الله، فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره، فكتب عمر إليهم أن أقروه على حاله، وردّوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعلوا^(١).

وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حدثنا أبو بلال الأشعري، حدثنا إبراهيم بن محمد، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، حدثني بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطاً من حيطان المدينة قد سقط، فبناه فسقط ثم بناه فسقط، فقبل له: إن تحته رجلاً صالحاً، فحفر الأساس فوجد فيه رجلاً قائماً معه سيف فيه مكتوب: أنا الحارث بن مضاض نقت على أصحاب الأخدود، فاستخرجه أبو موسى وبنى الحائط فثبت.

(قلت): هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مضاض بن عمرو الجرهمي، أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم، وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن، وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام^(٢) إنه أول شعر قالته العرب:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوائر
وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديماً بعد زمان إسماعيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها، وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمن الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه، والله أعلم.

وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا صفوان، عن عبد الرحمن بن جبير قال: كانت الأخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا أتوناً وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد، وفي العراق في أرض بابل بختنصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وصاحبه عزريا وميشائيل، فأوقد لهم أتوناً وألقى فيه الحطب والنار ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله تعالى عليهما برداً وسلاماً وأنقذهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه، وهم تسعة رهط فأكلتهم النار^(١).

وقال أسباط، عن السدي في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ قال: كانت الأخدود ثلاثة: خدٌّ بالعراق، وخذٌّ بالشام، وخذٌّ باليمن^(٢). رواه ابن أبي حاتم.

وعن مقاتل قال: كانت الأخدود ثلاثة: واحد بنجران باليمن، والأخرى بالشام، والأخرى بفارس حرقوا بالنار، أما التي بالشام فهو: انطنانوس الرومي، وأما التي بفارس فهو: بختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو: يوسف ذو نواس، فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآناً وأنزل في التي كانت بنجران^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع - هو ابن أنس - في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ قال: سمعنا أنهم كانوا قوماً في زمان الفترة، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، اعتزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء، وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا، وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا: لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، فقال لهم: إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فإني قاتلكم، فأبوا عليه فخذَّ أخدوداً من نار، وقال لهم الجبار ووقفهم عليها: اختاروا هذه أو الذي نحن فيه، فقالوا: هذه أحب إلينا، وفيهم نساء وذرية ففرغت الذرية، فقالوا لهم - أي آباؤهم -: لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها، فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسمهم حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففي ذلك أنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُوهِ ۖ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۖ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ ٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ ٩﴾. ورواه ابن جرير: حدثت عن عمار، عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه^(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَكُفِّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ﴾ أي: حرقوا. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبيزى^(٦). ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي: لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٢) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٣) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٤) أخرجه الطبري بسند بنحوه، وسنده ضعيف لأنه مرسل وكذلك لإيهام شيخ الطبري.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بالأثرين التاليين: فقد أخرجه آدم بن =

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْخَرِيقِ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل.
قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُمْ هُوَ يُبَدِّلُ وَيُبَدِّلُ ١٣ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ١٤ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ١٦ هَلْ أُنْكِرُ حَدِيثَ الْجَنُودِ ١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ١٩ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ٢٠ بَلْ هُوَ قَوَّانٌ مَجِيدٌ ٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ٢٢﴾.

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم، ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ أي: إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوي؛ فإنه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ هُوَ يُبَدِّلُ وَيُبَدِّلُ ١٣﴾ أي: من قوته وقدرته التامة يبدىء الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ١٤﴾ أي: يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان، و﴿الْوَدُودُ﴾ قال ابن عباس وغيره: هو الحبيب^(١).

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي: صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق، و﴿الْمَجِيدُ﴾ فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للربِّ ﷻ، والجر على أنه صفة للعرش^(٢). وكلاهما معنى صحيح.

﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ١٦﴾ أي: مهما أراد فعله؛ لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله؛ كما روي عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت: هل نظر إليك الطبيب؟ قال: نعم. قالوا: فما قال لك؟ قال: قال لي: إني فعال لما أريد.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنْكِرُ حَدِيثَ الْجَنُودِ ١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨﴾ أي: هل بلغك ما أحلَّ الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النعمة التي لم يردّها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ أي: إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديداً أخذ عزيز مقتدر.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال: مرَّ النبي ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿هَلْ أُنْكِرُ حَدِيثَ الْجَنُودِ ١٧﴾ فقام يستمع فقال: «نعم قد جاءني»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ١٩﴾ أي: هم في شك وريب وكفر وعناد ﴿وَاللَّهُ مِنْ

= أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

وأما قول الضحاك وابن أبزى فقد أخرجهما الطبري بسندين ضعيفين الأول فيه إبهام شيخ الطبري، والثاني فيه ضعف شيخ الطبري.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) القراءتان متواترتان.

(٣) سنده ضعيف لأنه مرسل.

وَرَأَيْهِمْ تُحِيطُ ﴿٢٠﴾ أي: هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾
أي: عظيم كريم ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي: هو في الملاء الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص
والتحريف والتبديل.

قال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا قرّة بن سليمان، حدثنا حرب بن سريج، حدثنا
عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ في لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ
﴿٢٢﴾﴾ قال: إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ في لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ في جبهة
إسرافيل^(١). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، حدثنا معاوية بن صالح أن أبا
الأعبس - هو عبد الرحمن بن سلمان - قال: ما من شيء قضى الله القرآن فما قبله وما بعده: إلا
وهو في اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه^(٢).
وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على
من يشاء من خلقه^(٣).

وقد روى البغوي من طريق إسحاق بن بشر: أخبرني مقاتل وابن جريج، عن مجاهد، عن ابن
عباس قال: إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله، فمن
آمن بالله وصدق بوعدته واتبع رسله أدخله الجنة، قال: واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين
السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافته من الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة
حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك^(٤).
وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا منجاب بن الحارث^(٥)، حدثنا
إبراهيم بن يوسف، حدثنا زياد بن عبد الله، عن ليث، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير، عن
أبيه، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من دُرّة بيضاء
صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلّمه نور وكتابه نور، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة،
يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويعزّ ويذلّ، ويفعل ما يشاء»^(٦).

آخر تفسير سورة البروج، والله الحمد والمثنة.

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف قرّة بن سليمان (لسان الميزان ٤/٤٧٢) وحرب بن
سريج صدوق يخطيء. (التقريب ص ١٥٥).

(٢) سنده ضعيف لأنه معضل.

(٣) معناه صحيح.

(٤) أخرجه البغوي من طريق إسماعيل بن عيسى عن إسحاق بن بشر به (معالم التنزيل ٤/٤٧٢).

وسنده ضعيف جداً لأن إسحاق بن بشر متروك. (ينظر: لسان الميزان ١/٣٥٤، ٣٥٥).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٦) أخرجه الطبراني بسنده ومثته (المعجم الكبير ١٢/٧٢ ح ١٢٥١١) وسنده ضعيف جداً فيه محمد بن عثمان بن
أبي شيبة متهم بالوضع. (لسان الميزان ٥/٢٨٠، ٢٨١).

سُورَةُ الطَّارِقِ

وهي مكية

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله: وسمعتُه أنا منه، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني، عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصى حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعتُه يقول: ﴿وَالسَّمَاءُ وَالطَّارِقُ﴾ حتى ختمها قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام قال: فدعنتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه^(١).

وقال النسائي: حدثنا عمرو بن منصور، حدثنا أبو نعيم، عن مسعر، عن محارب بن دثار، عن جابر قال: صلى معاذ المغرب فقراً: البقرة والنساء فقال النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق، والشمس وضحاها، ونحو هذا؟»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءُ وَالطَّارِقُ﴾ (١) وَمَا أَذْرَكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَتْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ بُدِيَ السَّارِقُ (٩) قَالُوا لَمْ يَنْفَعُوا وَلَا نَاصِرٌ (١٠).

يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءُ وَالطَّارِقُ﴾ (١) ثم قال: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الطَّارِقُ﴾ (٢) ثم فسره بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (٣). قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً؛ لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار^(٣)، ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً؛ أي: يأتيهم فجأة بالليل^(٤)، وفي

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد بسنده ومثله في زوائده. (المسند ٣١/ ٢٨٨ - ٢٨٩ ح ١٨٩٥٨) وضعف سنده محققوه لجهالة عبد الرحمن بن خالد العدواني.

(٢) تقدم نحوه في بداية تفسير سورة الانفطار لكن بدون ذكر سورة الطارق، ويشهد له ما تقدم في تفسير سورة الانفطار من رواية الصحيحين بلفظ: «اقرأ ﴿وَالسَّمِينَ وَضَحْهَا﴾ (١) و﴿سَجِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (٢) ونحوهما. فقوله: ونحوهما يدخل فيه سورة الطارق.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الشيخان من حديث جابر رضي الله عنه. (صحيح البخاري، النكاح، باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة ح ٥٢٤٣؛ وصحيح مسلم، الإمارة، باب كراهية الطروق ح ٧١٥).

الحديث الآخر المشتمل على الدعاء: «إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن»^(١).

وقوله تعالى: ﴿التَّاقِبُ﴾ قال ابن عباس: المضيء^(٢).

وقال السدي: يثقب الشياطين إذا أرسل عليها.

وقال عكرمة: هو مضيء ومُحَرِّق للشيطان.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ أي: كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى: ﴿لَمْ نُعَمِّقَنَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾^(٣)؟ تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد؛ لأن من قدر على البداء فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾^(٤) يعني المني يخرج دفقاً من الرجل والمرأة، فيتولد منهما الولد، بإذن الله ﷻ، ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾^(٥) يعني: صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها.

وقال شبيب بن بشر: عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾^(٦) صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما^(٧)، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن مسعر، سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾^(٨) قال: هذه الترائب، ووضع يده على صدره^(٩).

وقال الضحاك وعطية، عن ابن عباس: تريبة المرأة: موضع القلادة^(١٠)، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير^(١١).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الترائب بين ثدييها^(١٢).

وعن مجاهد: الترائب: ما بين المنكبين إلى الصدر^(١٣)، وعنه أيضاً: الترائب: أسفل من التراقي^(١٤).

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الرحمن بن خنبل رضي الله عنه مطولاً. (المسند ٢٤/٢٠٢ ح ١٥٤٦١) وضعف سنده محققوه.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) سنده حسن.

(٤) سنده ضعيف لأن الحكم هو ابن أبان لم يسمع من ابن عباس، ويتقوى بما يليه.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما يليه.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي طلحة عن ابن عباس.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ثوير عن مجاهد، وثوير ضعيف كما في التقريب ص ١٣٥.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

وقال سفيان الثوري: فوق الثدين^(١).

وعن سعيد بن جبير: الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل^(٢).

وعن الضحاك: الترائب بين الثدين والرجلين والعينين.

وقال الليث بن سعد: عن معمر بن أبي حبيبة المدني أنه بلغه في قول الله ﷻ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قال: هو عصارة القلب من هناك يكون الولد^(٣).

وعن قتادة: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ من بين صلبه ونحره^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَلَى رَجَمِهِ لَقَائِرٌ﴾^(٥) فيه قولان:

(أحدهما): على رجع هذا الماء الدافق، إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك. قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما^(٥).

(والقول الثاني): إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق؛ أي: إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر؛ لأن من قدر على البداءة قدر على الإعادة، وقد ذكر الله ﷻ هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع، وهذا القول قال به الضحاك^(٦) واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ أَشْرَافُهُ﴾^(٧) أي: يوم القيامة تبلى فيه السرائر؛ أي: تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والممكنون مشهوراً، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يرفع لكل غادر لواء عند استه»، يقال: هذه غدره فلان بن فلان^(٧).

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْزَمَ﴾ أي: الإنسان يوم القيامة ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾: أي في نفسه ﴿وَلَا نَاصِرَ﴾ أي: من خارج منه؛ أي: لا يقدر على أن يتخذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك.

﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾^(١١) وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّنِيعِ^(١٢) إِنَّكُمْ لَقَوْلٌ فَصْلٌ^(١٣) وَمَا هُوَ إِلَّا نَزْلٌ^(١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا^(١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا^(١٦) فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤُودًا^(١٧).

قال ابن عباس: الرجع المطر، وعنه: هو السحاب فيه المطر^(٨)، وعنه ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾^(١١) تمطر ثم تمطر^(٩).

وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا، وهلك مواشيهم^(١٠).

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن الثوري.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

(٣) أخرجه الطبري من طريق الليث به، وسنده ضعيف؛ لأن روايته بلاغ لم يصرح باسم المفسر.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة، وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف لإيهام شيخه.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة الكهف آية ٤٩.

(٨) أخرجه الطبري بسند جيد - بشواهد - من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «رجع القطر، والرزق كل عام».

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

وقال ابن زيد: ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا^(١).

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات^(٢)، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغير واحد^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ قال ابن عباس: حق^(٤)، وكذا قال قتادة^(٥).

وقال آخر: حكم عدل ﴿وَمَا هُوَ بِالْمَرَّةِ﴾ أي: بل هو جدّ حق، ثم أخبر الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن.

ثم قال تعالى: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾ أي: انظرهم ولا تستعجل لهم ﴿أَتَهْلِكُمْ وُيْدًا﴾ أي: قليلاً؛ أي: وسترى ماذا أحلّ بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك كما قال تعالى: ﴿تُنْعِمُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان].

آخر تفسير سورة الطارق، والله الحمد.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما يليه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن وعكرمة؛ وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

سُورَةُ الْأَعْلَى

وهي مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخاري: حدثنا عبدان، أخبرني أبي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئانا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله قد جاء، فما جاء حتى قرأت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ في سُورِ مثلها^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن ثوير بن أبي فاختة، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿٢﴾. تفرد به أحمد. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هَلَّا صَلَّيْتَ بِـ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿٣﴾»، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ﴿٤﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ﴿٥﴾»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن أبيه، عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين بـ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿٦﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ ﴿٧﴾ [الغاشية]، وإن وافق يوم الجمعة قرأها جميعاً^(٤).

هكذا وقع في مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث، وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي عوانة وجريز وشعبة، ثلاثتهم عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن النعمان بن بشير به، قال الترمذي: وكذا رواه الثوري ومسعر عن إبراهيم، قال: ورواه سفيان بن عيينة، عن إبراهيم، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن أبيه، عن النعمان، ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه، وقد رواه ابن ماجه، عن محمد بن الصباح، عن سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن النعمان به، كما رواه الجماعة فالله أعلم، ولفظ مسلم وأهل السنن: كان يقرأ في العيدين

(١) أخرجه بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، باب سورة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ ح ٤٩٤١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٩٦/١)، وسنده ضعيف لضعف ثوير. (التقريب ص ١٣٥).

(٣) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة الانفطار.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٣٠/٣ - ٣٣٣ ح ١٨٣٨٣) قال محققوه: حديث صحيح على خطأ في إسناده كما ذكر عبد الله بن أحمد عقب الحديث.. ونقل ابن أبي حاتم في «العلل» عن أبيه قوله: وهم في هذا الحديث ابن عيينة. اهـ. وسيأتي تخريجه برواية حبيب عن النعمان مباشرة دون: عن أبيه عن النعمان.

ويوم الجمعة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما^(١).

وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، زادت عائشة والمعوذتين^(٢). وهكذا روي الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صدي بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومثونه، ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سُبُّرْتُكَ فَلَا تَسْأَلُ ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ⑦ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑧ وَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ⑨ فَذَكَرْ إِن نَّفَعْتَ الذِّكْرَى ⑩ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ⑪ وَيَنْجِنِهَا أَلْأَشْفَى ⑫ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ⑬ ثُمَّ لَا يَبُوءُ فِيهَا وَلَا يَتَّخِذُ ⑭

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا موسى - يعني: ابن أيوب الغافقي -، حدثنا عمي إياس بن عامر، سمعت عقبه بن عامر الجهني: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ⑦ [الواقعة: ٧٤ و ٩٦] قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ① قال: «اجعلوها في سجودكم». ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين، عن

(١) صحيح مسلم، الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة (ح ٨٧٨)؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقرأ في الجمعة (ح ١١٢٢)؛ وسنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في القراءة في العيدين (ح ٥٣٣)؛ وسنن النسائي، الجمعة، باب ذكر الاختلاف على النعمان بن بشير في القراءة في صلاة الجمعة ١١٢/٣؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء في القراءة في صلاة العيدين (ح ١٢٨١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وصححه محققوه. (المسند ٧٨/٣٥ ح ٢١١٤١)؛ وأخرجه أيضاً من حديث عبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة رضي الله عنهم. (المسند ٢٩٩/١ ح ٣/٣٠٦ و ٢٢٧/٦).

(٣) المسند ١٥٥/٤؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (ح ٨٦٩)؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب التسييح في الركوع والسجود (ح ٨٨٧)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، لكن أخرجه ابن خزيمة، (الصحيح ٣٠٣/١ رقم ٦٠٠)؛ وابن حبان في صحيحه (الإحسان ١٨٥/٣ رقم ١٨٩٥)؛ والحاكم (المستدرک ٢٢٥/١) كلهم من طريق موسى بن أيوب به. وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال: إياس ليس بالمعروف. وأخرجه الحاكم أيضاً وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٧٧/٢). وأما إياس بن عامر فقال العجلي لا بأس به (تاريخ الثقات ص ٧٥) وذكره ابن حبان في الثقات (٤٤١/١) وقال الحافظ ابن حجر: صدوق. كما في التقريب، وعليه فسنده حسن.

سعيد بن جبیر، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «سبحان ربي الأعلى»^(١). وهكذا رواه أبو داود عن زهير بن حرب، عن وكيع به. قال وخولف فيه وكيع، رواه أبو وكيع وشعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد، عن ابن عباس موقوفاً^(٢).

وقال الثوري: عن السدي، عن عبد خير قال: سمعت علياً قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فقال: سبحان ربي الأعلى^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن أبي إسحاق الهمداني، أن ابن عباس كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ يقول: سبحان ربي الأعلى، وإذا قرأ: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة] فأتى على آخرها: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة] يقول: سبحانك وبلى^(٤).

وقال قتادة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحان ربي الأعلى^(٥).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ أي: خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة وهدى الأنعام لمراتها^(٦)، وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠] أي: قدّر قدراً، وهدى الخلائق إليه، كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»^(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أي: من جميع صنوف النباتات والزروع ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ قال ابن عباس: هشيماً متغيراً^(٨)، وعن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه^(٩).

قال ابن جرير: وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنته، وقال محققوه: صحيح موقوفاً. (المسند ٣/ ٤٩٥ ح ٢٠٦٦)؛ وأخرجه الحاكم من طريق وكيع به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/ ٢٦٣).

(٢) سنن أبي داود، الصلاة، باب الدعاء في الصلاة (ح ٨٨٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٧٨٥).

(٣) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف وله شواهد تقوي وهي ما سبق في هذه السورة وما ورد في آخر تفسير سورة القيامة.

(٥) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة لكنه مرسل، ويتقوى بما سبق.

(٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ١٧٩.

(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٩) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بنحوه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة بنحوه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

التقديم، وأن معنى الكلام والذي أخرج المرعى، أحوى: أخضر إلى السواد فجعله غشاء بعد ذلك^(١)، ثم قال ابن جرير: وهذا وإن كان محتملاً إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل^(٢).

وقوله تعالى: ﴿سُقْرُوكُ﴾ أي: يا محمد ﴿فَلَا تَنْسَ﴾ وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له. بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ وهذا اختيار ابن جرير. وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله^(٣).

وقيل: المراد بقوله: ﴿فَلَا تَنْسَ﴾ طلب، وجعل معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ؛ أي: لا تنسى ما نقرئك إلا ما شاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ يَعْلَمُ السِّرَّ وَمَا يَخْفَى﴾ أي: يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَى﴾ أي: نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشر لك شرعاً سهلاً سمحاً مستقيماً عدلاً لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ أي: ذكّر حيث تنفع التذكرة، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كانت فتنة لبعضهم^(٤)، وقال: حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله^(٥).

وقوله تعالى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ أي: سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه ﴿وَيَنْجَنِيهَا أَلسْفَى﴾ الذي يصل النار الكبرى ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أي: لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه؛ لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال.

قال الإمام أحمد: حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان - يعني: التيمي -، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء فيأخذ الرجل أنصاره فينبتهم - أو قال -: ينبتون - في نهر الحيا - أو قال: الحياة - أو قال: الحيوان - أو قال: نهر الجنة - فينبتون نبات الحبة في حميل السيل» قال: وقال النبي ﷺ: «أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء؟» قال: فقال بعضهم: كأن النبي ﷺ كان بالبادية^(٦).

(١) ذكره الطبري بلفظه. (٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة بنحوه.

(٤) أخرجه مسلم من قول ابن مسعود. (الصحيح، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، الحديث الثامن ١١/١).

(٥) أخرجه البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه. (الصحيح، العلم، باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم.. ح ١٢٧).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ٧٤.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا إسماعيل، حدثنا [سعيد بن يزيد]^(١)، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس - أو كما قال -: تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال: بخطاياهم - فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر فنبتوا على أنهار الجنة فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل» قال: فقال رجل من القوم حينئذ: كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية، ورواه مسلم من حديث بشر بن المفضل وشعبة كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به مثله^(٢)، ورواه أحمد أيضاً عن يزيد، عن سعيد بن إياس الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون، وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة حتى يصيروا فحمًا، ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة فيرش عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل»^(٣).

وقد قال الله تعالى إخباراً عن أهل النار: ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾ [الزخرف] وقال تعالى: ﴿لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰ﴾ ٤ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ ٥ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ٦ ﴿وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ﴾ ٧ ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ ٨ ﴿صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ ٩.

يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰ﴾ ٤ أي: طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ ٥ أي: أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامثالاً لشرع الله.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عباد بن أحمد العرزمي، حدثنا عمي محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰ﴾ ٤ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أنني رسول الله ﷺ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ ٥ قال: «هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها» ثم قال: لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه^(٤)، وكذا قال ابن عباس: إن المراد بذلك الصلوات الخمس^(٥)، واختاره ابن جرير.

(١) كذا في المسند، وفي الأصل صحف إلى: سعيد ثنا يزيد، وفي (ح): باسم سعيد بن أبي يزيد.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ٧٤. بعد الحديث السابق.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ١١/٣)، وسنده صحيح؛ وأخرجه مسلم من طريق بشر بن المفضل عن أبي نضرة به. (الصحيح، الإيمان، باب إثبات الشفاعة ح ١٨٥).

(٤) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح ٢٢٨٤) وسنده ضعيف جداً لأن عباد بن أحمد العرزمي متروك. (مجمع الزوائد ١٤٠/٧).

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ؓ.

وقال ابن جرير: حدثني عمرو بن عبد الحميد [الأملي]^(١)، حدثنا مروان بن معاوية، عن أبي خلدة قال: دخلت على أبي العالية فقال لي: إذا غدوت غداً إلى العيد فمر بي، قال: فمررت به فقال: هل طعمت شيئاً؟ قلت: نعم. قال: أفضت على نفسك من الماء؟ قلت: نعم. قال: فأخبرني ما فعلت زكاتك! قلت: قد وجهتها قال: إنما أردت لك لهذا ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٥﴾ وقال: إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء^(٢).

(قلت): وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٥﴾.

وقال أبو الأحوص: إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يدي صلاته زكاته؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٥﴾^(٣).

وقال قتادة في هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٥﴾ زكى ماله وأرضى خالقه^(٤).

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١١) أي: تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٧) أي: ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنية فانية والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟

قال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا ذويد، عن أبي إسحاق، عن عروة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا أبو حمزة، عن عطاء، عن عرفجة الثقفي قال: استقرأت ابن مسعود: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) فلما بلغ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١١) ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم فقال: آثرنا الدنيا؛ لأننا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل^(٦). وهذا منه على وجه التواضع والهضم أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو، والله أعلم.

(١) كذا في تفسير الطبري، وفي النسخ الخطية بلفظ: «الأيلي».

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وعمرو بن عبد الحميد الأملي لم أجد له ترجمة.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق أبي إسحاق - وهو السبيعي - عن أبي الأحوص. (المصنف ٧/٣).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ١٨.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سننه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وعطاء بن السائب اختلط. (مجمع الزوائد ٢٣٦/١٠) وعرفجة الثقفي مقبول. (التقريب ص ٣٨٩) وقد توبع ابن حميد في رواية الطبراني. (المعجم الكبير ح ٩١٤٧) وفي رواية البيهقي (شعب الإيمان ح ١٠٦٤٥) إلا أن روايتهما من طريق عطاء بن السائب به.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي، حدثنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب بن عبد الله، عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب دنياه أضرّ بآخرته، ومن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه فأثروا ما يبقى على ما يفنى»^(١). تفرد به أحمد، وقد رواه أيضاً عن أبي سلمة الخزازي، عن الدراوردي، عن عمرو بن أبي عمرو به مثله سواء^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿٩﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا نصر بن علي، حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿٩﴾ قال النبي ﷺ: «كان كل هذا - أو كان هذا - في صحف إبراهيم وموسى» ثم قال: لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس غير هذا، وحديثاً آخر أورده قبل هذا^(٣).

وقال النسائي: أخبرنا زكريا بن يحيى، أخبرنا نصر بن علي، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ [الأعلى] قال: كلها في صحف إبراهيم وموسى، ولما نزلت: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ﴿٧﴾ [النجم] قال: وفى ﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَةً أُخْرَى﴾ ﴿٣٨﴾ [النجم]^(٤).

يعني: أن هذه الآية كقوله تعالى في سورة النجم: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَةً أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيَهُمْ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلُ ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾ [النجم] الآيات إلى آخرهن، وهكذا قال عكرمة فيما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران، عن سفيان الثوري، عن أبيه، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿٩﴾ يقول: الآيات التي في سبج اسم ربك الأعلى^(٥).

وقال أبو العالية: قصة هذه السورة في الصحف الأولى^(٦)، واختار ابن جرير أن المراد بقوله:

(١) أخرجه الإمام بسنده ومثته (المسند ٣٢/ ٤٧٠ ح ١٩٦٩٧) قال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. المطلب بن عبد الله - وهو ابن حنطب - لا يعرف له سماع من الصحابة.

(٢) وسنده ضعيف أيضاً للعللة السابقة.

(٣) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح ٢٢٨٥) وفي سنده عطاء بن السائب وقد اختلط، وسماع سليمان والد معتمر يتوقف فيه كما قرر الحافظ ابن حجر إذ صرح بأسماء الذين سمعوا من عطاء قبل الاختلاط ثم قال: ومن عداهم يتوقف فيه. (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٠٧).

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (السنن الكبرى، التفسير، باب سورة الأعلى ح ١١٦٦٨) وسنده كسابقه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وقد تابعه عبد بن حميد حيث عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد وهو من طبقة شيوخ الطبري، فيكون الإسناد حسناً لغيره.

(٦) أخرجه الطبري بسند فيه أيضاً ابن حميد كما تقدم، وقد تويع أيضاً فقد عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور وابن أبي حاتم لم يرو عن ابن حميد بل يروي نسخة أبي العالية من طريق أبيه عن =

﴿إِنَّ هَذَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: مضمون هذا الكلام ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٨) صُفِّ إِبراهيمَ وَمُوسَى (١٩) وهذا الذي اختاره حسن قوي، وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه^(١)، والله أعلم.

آخر تفسير سورة «سبح»، والله الحمد والمنة، وصلواته وسلامه على خير خلقه: محمد وآله.

= آدم بن أبي إياس العسقلاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كما صرح في مقدمة تفسيره.

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

وهي مكية

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) و(الغاشية) في صلاة العيد ويوم الجمعة^(١).

وقال الإمام مالك، عن ضمرة بن سعيد، عن عبيد الله بن عبد الله أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير: بِمَ كان رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة؟ قال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (٢). ورواه أبو داود عن القعنبى والنسائي عن قتيبة كلاهما عن مالك به، ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة، عن ضمرة بن سعيد به^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ مَائِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ (٦) لَا يُسْنَنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧).

﴿الْغَاشِيَةِ﴾: من أسماء يوم القيامة. قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد^(٤)؛ لأنها تغشى الناس وتعمهم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال: مرَّ النبي ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) فقام يستمع ويقول: «نعم قد جاءني»^(٥). وقوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ (٢) أي: ذليلة. قاله قتادة^(٦).

(١) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة الأعلى.

(٢) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثله. (الموطأ، الجمعة، باب القراءة في صلاة الجمعة ١١١/١ ح ١٩)، وسنده صحيح.

(٣) سنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقرأ به في الجمعة (ح ١١٢٣)؛ وسنن النسائي، صلاة الجمعة، باب ذكر الاختلاف على النعمان بن بشير في القراءة ١١٢/٣؛ وصحيح مسلم، الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة (٨٧٨).

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

وقال ابن عباس: تخشع ولا ينفعها عملها^(١).

وقوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ أي: قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه وصليت يوم القيامة ناراً حامية.

قال الحافظ أبو بكر البرقاني: حدثنا إبراهيم بن محمد المزكي، حدثنا محمد بن إسحاق السراج، حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بدير راهب، قال: فناداه يا راهب، فأشرف قال: فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، فقليل له: يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله ﷻ في كتابه: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ فذاك الذي أبكاني^(٢).

وقال البخاري: قال ابن عباس: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ النصارى^(٣).

وعن عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، وناصبة في النار بالعذاب والإهلاك^(٤).

قال ابن عباس والحسن وقتادة: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ أي: حارة شديدة الحر ﴿تَشَقَّى مِنْ عَيْنِ عَائِشَةَ﴾ أي: قد انتهى حرها وغليانها. قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي^(٥).

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: شجر من النار^(٦)، وقال سعيد بن جبير: هو الزقوم^(٧)، وعنه أنها الحجارة^(٨).

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو الجوزاء وقتادة: هو الشبرق^(٩).

قال قتادة: قريش تسميه في الربيع الشبرق وفي الصيف الضريع.

قال عكرمة: وهو شجرة ذات شوك لا طئة بالأرض^(١٠).

(١) لم أجد من أخرجه.

(٢) أخرجه الحاكم من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: الجوني لم يدرك عمر، لكنها حكاية في موضعها. (المستدرک ٥٢١/٢ - ٥٢٢).

(٣) أخرجه البخاري معلقاً، وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة، ومن طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس، وزاد: اليهود. (فتح الباري ٧٠٠/٨) ولعله يريد اليهود والنصارى الذين أشركوا بالله تعالى.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٧) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ويتقوى بالآثار التالية: فقد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه ابن أبي شيبه بسند حسن من طريق عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء، وسيأتي قول قتادة.

(١٠) أخرجه الطبري من طريق نجلة رجل من بني عبد القيس عن عكرمة.

وقال البخاري: قال مجاهد: الضريع: نبت يقال له: الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا ييس وهو سُمُّ^(١).

وقال معمر، عن قتادة: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾^(٢) هو الشبرق إذا ييس سمي الضريع^(٣).

وقال سعيد، عن قتادة: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾^(٤) من شر الطعام وأبشعه وأخبثه^(٥).

وقوله تعالى: ﴿لَا يُسْنِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾^(٦) يعني: لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾^(٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ^(٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ^(١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً^(١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ^(١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ^(١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ^(١٤) وَمَنَازِقُ مَصْفُوفَةٌ^(١٥) وَزَوَاجٌ مَبْنُوثَةٌ^(١٦).

لما ذكر حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ أي: يعرف النعيم فيها وإنما حصل لها ذلك بسعيها.

وقال سفيان: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾^(٩) قد رضيت عملها^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾^(١٠) أي: رفيعة بهية في الغرفات آمنون ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾^(١١)

أي: لا تسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾^(١٢) [مريم: ٦٢] وقال تعالى: ﴿لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾^(١٣) [الطور: ٢٣] وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيمًا﴾^(١٤) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا^(١٥) [الواقعة: ٢٦].

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾^(١٦) أي: سارحة. وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عيناً

واحدة وإنما هذا جنس يعني: فيها عيون جاريات. وقال ابن أبي حاتم^(٥): قُريء على الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال - أو من تحت جبال - المسك».

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾^(١٣) أي: عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين، قالوا:

فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾^(١٤) يعني: أواني الشرب معدة مرصدة لمن أَرادها من أربابها.

﴿وَمَنَازِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾^(١٥) قال ابن عباس: النمازق الوسائد^(٦)، وكذا قال عكرمة وقاتدة والضحاك

والسدي والثوري وغيرهم^(٧).

(١) أخرجه البخاري تعليقاً عن مجاهد. (الصحيح، التفسير، سورة الغاشية).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد به.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومثله في تفسير سورة آل عمران آية ١٥، وسنده حسن.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «المرافق».

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿وَزَكَرَيْتُ مَبْثُوثَةً﴾ قال ابن عباس الزرابي البسط^(١)، وكذا قال الضحاك وغير واحد، ومعنى مَبْثُوثَةٌ ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها، ونذكر ههنا هذا الحديث الذي رواه أبو بكر بن أبي داود، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبي، عن محمد بن مهاجر، عن الضحاك المعافري، عن سليمان بن موسى، حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل من مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها - وهي ورب الكعبة - نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمره نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبيرة ونعمة، في محلة عالية بهية؟» قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها، قال: «قولوا إن شاء الله» قال القوم: إن شاء الله^(٢)، ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقي، عن الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر به^(٣).

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (٧) ﴿وَلِلَّاسْمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (٨) ﴿وَلِلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (٩) ﴿وَلِلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (١٠) ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (١١) ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (١٢) ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (١٣) ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ (١٤) ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (١٥) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (١٦).

يقول تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (٧) فإنها خلق عجيب وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتوكل ويتنفع بوبرها ويشرب لبنها، ونهبوا بذلك؛ لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل.

وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت؟^(٤) ﴿وَلِلَّاسْمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (٨) أي: كيف رفعها الله ﷻ عن الأرض هذا الرفع العظيم! كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (١٦) [ق].

﴿وَلِلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (٩) أي: جعلت منصوبة فإنها ثابتة راسية؛ لئلا تميد الأرض بأهلها، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن ﴿وَلِلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (١٠) أي: كيف بسطت ومدت ومهدت! فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه والأرض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه، وهكذا أقسم ضمام في سؤاله على رسول الله ﷺ كما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة، عن قتادة بلفظ: «المبسوطة».

(٢) أخرجه ابن أبي داود بسنده ومثله. (البعث ح ٧١) وفي سننه الضحاك المعافري وهو مقبول. (التقريب ص ٢٨٠)؛ وأخرجه ابن ماجه من طريق الضحاك المعافري به. (السنن، الزهد، باب صفة الجنة ح ٤٣٣٢)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق رجل مبهم عن شريح.

عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد إنه أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق» قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله». قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله». قال: فمن نصب هذا الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله». قال: فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة أموالنا؟ قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال: «صدق» قال: ثم ولي فقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئاً ولا أنقص منهن شيئاً؟ فقال النبي ﷺ: «إن صدق ليدخلن الجنة»^(١).

وقد رواه مسلم عن عمرو النقاد، عن أبي النضر هاشم بن القاسم به^(٢)، وعلقه البخاري^(٣)، ورواه الترمذي والنسائي من حديث أسليمان بن المغيرة به^(٤)، ورواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث^(٥) الليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن أنس به بطوله وقال في آخره: وأنبأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر^(٦).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إسحاق، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثني عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها ترعى غنماً، فقال لها ابنها: يا أمه من خلقك؟ قالت: الله. قال: فمن خلق أبي؟ قالت: الله. قال: فمن خلقتني؟ قالت: الله، قال: فمن خلق الأرض؟ قالت: الله. قال: فمن خلق الجبل؟ قالت: الله. قال: فمن خلق هذه الغنم؟ قالت: الله، قال: فإني لأسمع الله شأننا وألقى نفسه من الجبل فتقطع. قال ابن عمر: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يحدثنا هذا. قال ابن دينار: كان ابن عمر كثيراً ما يحدثنا بهذا^(٧). في إسناده ضعف، وعبد الله بن جعفر هذا هو المدني ضعفه ولده الإمام علي ابن المدني وغيره.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ١٧ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١٨﴾ أي: فذكر يا محمد

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٣/١٤٣) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام (ح ١٢).

(٣) صحيح البخاري، العلم، باب ما جاء في العلم. قبل حديث رقم ٦٣.

(٤) سنن الترمذي، الزكاة، باب ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك (ح ٦١٩)؛ والسنن الكبرى للنسائي، العلم، باب العرض على العالم (ح ٥٨٦٣).

(٥) زيادة من (ح) و(حم).

(٦) المسند ٣/١٦٨؛ وصحيح البخاري، العلم، باب ما جاء في العلم (ح ٦٣)؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب ما جاء في المشرك يدخل المسجد (ح ٤٨٦)؛ وسنن النسائي، الصيام، باب وجوب الصيام ١٢٢/٤؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس (ح ١٤٠٢).

(٧) أخرجه ابن عدي عن أبي يعلى به. (الكامل في الضعفاء ٤/١٧٨). وسنده ضعيف لضعف عبد الله بن جعفر كما قرر الحافظ ابن كثير.

الناس بما أرسلت به إليهم ﴿فَاتِمَّا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] ولهذا قال: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّطٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: «لست عليهم بجبار» أي: لست تخلق الإيمان في قلوبهم^(١).

وقال ابن زيد: لست بالذي تكرههم على الإيمان^(٢).

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها: عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ﷻ» ثم قرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّطٍ ﴿٢٢﴾^(٣). وهكذا رواه مسلم في كتاب الإيمان والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما من حديث سفيان بن سعيد الثوري به بهذه الزيادة^(٤)، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة بدون ذكر هذه الآية^(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾^(٦) أي: تولى عن العمل بأركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه، وهذه كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾^(٧) ولكن كَذَبَ وَقَوْلُ ﴿الْقِيَامَةُ﴾ ولهذا قال: ﴿يَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ليث، عن سعيد بن أبي هلال، عن علي بن خالد، أن أبا أمانة الباهلي مرَّ على خالد بن يزيد بن معاوية، فسأله عن أئين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله»^(٨)، تفرد بإخراجه الإمام أحمد، وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يزد على ما ههنا: روى عن أبي أمانة وعنه سعيد بن أبي هلال. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾^(٩) أي: مرجعهم ومنقلبهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^(١٠) أي: نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيراً فخير وإن شراً فشر. [آخر تفسير سورة الغاشية، والله الحمد والمنة]^(١١).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع، عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٣/ ٣٠٠)، وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ (ح ٢١)؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الغاشية (ح ٣٣٤١)؛ والسنن الكبرى، التفسير، باب سورة الغاشية (ح ١١٦٧٠).

(٥) صحيح البخاري، الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام (ح ٢٩٤٦)؛ وصحيح مسلم، الحديث السابق.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وحسن سنده محققوه. (المسند ٣٦/ ٥٦٠ ح ٢٢٢٢٦)؛ وعزاه الحافظ ابن حجر إلى الطبراني وقال: سنده جيد. (فتح الباري ١٣/ ٢٥٤)؛ وصححه الألباني بشواهد. (السلسلة الصحيحة ح ٢٠٤٣).

(٧) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بلفظ: «آخرها».

سُورَةُ الْفَجْرِ

[وهي مكية]

قال النسائي: أنبأنا عبد الوهاب بن الحكم، أخبرني يحيى بن سعيد، عن سليمان، عن محارب بن دثار وأبي صالح، عن جابر قال: صلى معاذ صلاة، فجاء رجل فصلى معه، فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذاً فقال: منافق، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى فقال: يا رسول الله: جئت أصلي معه فطول عليّ، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد، فعلفت ناقتي، فقال رسول الله ﷺ: «أفتان يا معاذ؟ أين أنت من ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، «وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾، «وَالْفَجْرِ﴾، «وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾»^(١)؟.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ﴾ ١ وَلَيْلٍ عَشْرِ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِمْرَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨ وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ١٠ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ ١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِرْصَادِ ١٤

أما الفجر فمعروف وهو الصبح، قاله علي وابن عباس^(٢) وعكرمة ومجاهد والسدي^(٣). وعن مسروق ومحمد بن كعب: المراد به فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر. وقيل: المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده كما قاله عكرمة. وقيل: المراد به جميع النهار، وهو رواية عن ابن عباس^(٤). والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف^(٥).

(١) تقدم نحوه في مطلع تفسير سورة الانفطار، ولكن بدون قول معاذ: منافق، وكذلك بدون ذكر: والفجر، وأما ذكره لسورة الفجر فيشهد له ما تقدم في تفسير سورة الانفطار من رواية الصحيحين بلفظ: اقرأ ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ و﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ونحوهما. فقوله: ونحوهما يدخل فيه سورة. والفجر.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عاصم الأحول، عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي، عن ابن عباس، ويتقوى بسابقه.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري والحاكم من طريق أبي نصر، وهو الأسود بن هلال، عن ابن عباس؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٢٢/٢).

(٥) أخرجه آدم والطبري والحاكم من الطريق السابق، وهو تنمة للرواية السابقة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح =

وقد ثبت في صحيح البخاري، عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام»؛ يعني: عشر ذي الحجة قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء»^(١).

وقيل: المراد بذلك العشر الأول من المحرم، حكاه أبو جعفر بن جرير ولم يعزه إلى أحد^(٢).

وقد روى أبو كدينة، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَلَيْكَ عَشْرٌ﴾^(٣) قال: هو العشر الأول من رمضان^(٣)، والصحيح القول الأول.

قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عياش بن عقبة، حدثني خير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر»^(٤). ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله، وكل منهما عن زيد بن الحباب به^(٥). ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به، وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَالْشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾^(٦) قد تقدم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة لكونه التاسع، وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر، وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضاً^(٦).

(قول ثان) وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثني عقبة بن خالد، عن واصل بن السائب، قال: سألت عطاء عن قوله تعالى: ﴿وَالْشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾^(٦) قلت: صلاتنا وترنا هذا؟ قال: لا، ولكن الشفع يوم عرفة، والوتر ليلة الأضحى^(٧).

(قول ثالث) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم الأصبهاني، حدثني أبي، عن النعمان؛ يعني: ابن عبد السلام، عن أبي سعيد بن عوف، حدثني بمكة قال: سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر، فقال: الشفع قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] والوتر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(٨) [البقرة: ٢٠٣].

= من طريق أبي إسحاق السبيعي عن مسروق؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عاصم الأحول عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(١) صحيح البخاري، العيدن، باب فضل العمل في أيام التشريق (ح ٩٦٩).

(٢) كذا ذكره الطبري، وعزاه البغوي إلى اليمن بن رباب (معالم التنزيل ٤/ ٤٨١).

(٣) سنده ضعيف لأن قابوس بن أبي ظبيان لين الحديث. (التقريب ص ٤٤٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، قال محققوه: هذا إسناد لا بأس برجاله، وأبو الزبير لم يصرح بسماعه من جابر. (المسند ٢٢/ ٣٨٩ ح ١٤٥١١)؛ وأخرجه الحاكم من طريق زيد بن الحباب به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤/ ٢٢٠)؛ وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة (مجمع الزوائد ٧/ ١٣٧).

(٥) السنن الكبرى، التفسير، سورة الفجر ح ١١٦٧١.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق زرارة بن أوفى، عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عاصم الأحول، عن عكرمة.

(٧) سنده ضعيف لضعف واصل بن السائب. (التقريب ص ٥٧٩).

(٨) أبو سعيد بن عوف لم أعثر على ترجمته.

وقال ابن جريج: أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول: الشفع أو وسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق^(١).

وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»^(٢).

(قول رابع) قال الحسن البصري وزيد بن أسلم: الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه، وهو رواية عن مجاهد^(٣)، والمشهور عنه الأول.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ قال: الله وتر واحد، وأنتم شفع، ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب^(٤).

(قول خامس) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ قال: الشفع الزوج، والوتر: الله ﷻ^(٥).

وقال أبو عبد الله، عن مجاهد: الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والأنثى.

وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد قوله: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ كل شيء خلقه الله شفع. السماء والأرض والبر والبحر والجن والإنس والشمس والقمر^(٦). ونحو هذا، ونحا مجاهد في هذا ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات] أي: لتعلموا أن خالق الأزواج واحد.

(قول سادس) قال قتادة، عن الحسن: والشفع والوتر: هو العدد منه شفع ومنه وتر^(٧).

(قول سابع في الآية الكريمة) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج ثم قال ابن جرير: وروي عن النبي ﷺ خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن أبي الزبير؛ حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني، حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني عياش بن عقبة، حدثني خير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر أن رسول الله قال: «الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث»^(٨). هكذا ورد هذا

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن وهب عن عمر بن قيس عن محمد بن المرتفع به وسنده ضعيف لضعف عمر بن قيس وهو المكي المعروف بسندل يروي عنه ابن وهب. (تهذيب التهذيب ٤٩٠/٧، ٤٩١). وقد تابعه ابن جريج.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ١٨٠.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٥) في سنده أبو يحيى وهو القتات وهو ضعيف وقد تابعه ابن أبي نجیح في الرواية التالية.

(٦) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح به، وزيادة قوله: «والله الوتر وحده».

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومنه، وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى مخالفة المتن لما سبق، وفي سنده أبو الزبير لم يصرح بالسماع من جابر.

الخبر بهذا اللفظ، وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم وما رواه هو أيضاً، والله أعلم. قال أبو العالية والربيع بن أنس وغيرهما: هي الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية، ومنها وتر كالمغرب فإنها ثلاث وهي وتر النهار، وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل^(١).

وقد قال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن عمران بن حصين «وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ» قال: هي الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر^(٢). وهذا منقطع وموقوف ولفظه خاص بالمكتوبة وقد روي متصلاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ ولفظه عام.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو داود هو الطيالسي، حدثنا همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام أن شيخاً حدثه من أهل البصرة، عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال: «هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر»^(٣). هكذا وقع في المسند، وكذا رواه ابن جرير، عن بNDAR، عن عفان، وعن أبي كريب، عن عبيد الله بن موسى وكلاهما عن همام، وهو ابن يحيى، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن شيخ، عن عمران بن حصين، وكذا رواه أبو عيسى الترمذي، عن عمرو بن علي، عن ابن مهدي وأبي داود، كلاهما عن همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن رجل من أهل البصرة، عن عمران بن حصين به، ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وقد رواه خالد بن قيس أيضاً عن قتادة، وقد روي عن عمران بن عصام، عن عمران نفسه^(٤). والله أعلم.

قلت: ورواه ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام الضبعي شيخ من أهل البصرة، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ، فذكره، هكذا رأيت في تفسيره فجعل الشيخ البصري هو: عمران بن عصام. وهكذا رواه ابن جرير: أخبرنا نصر بن علي، حدثني أبي، حدثني خالد بن قيس، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ في الشفع والوتر قال: «هي الصلاة منها شفع ومنها وتر»^(٥). فأسقط ذكر الشيخ المبهم، وتفرد به عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري إمام مسجد بني ضبيعة. وهو والد أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي، روى عنه قتادة وابنه أبو جمرة والمثنى بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة، وكان شريفاً نبيلاً حظياً عند الحجاج بن

(١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور، بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(٢) سنده ضعيف لأن قتادة لم يسمع من عمران بن الحصين ﷺ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/٤٣٧) وسنده ضعيف لإبهام الراوي البصري عن عمران بن الحصين.

(٤) أخرجه الطبري والترمذي بالسند المذكور. (السنن، التفسير، باب ومن سورة الفجر ح ٣٣٤٢)، وسنده ضعيف كسابقه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى تفرد عمران بن عصام الضبعي به.

يوسف، ثم قتله يوم الزاوية سنة ثلاث وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث، وليس له عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد، وعندني أن وقفه على عمران بن حصين أشبه والله أعلم، ولم يعجز ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والوتر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ ۝١٤﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: أي إذا ذهب^(١).

وقال عبد الله بن الزبير: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ ۝١٤﴾ حتى يذهب بعضه بعضاً^(٢).

وقال مجاهد وأبو العالية وقتادة ومالك، عن زيد بن أسلم، وابن زيد: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ ۝١٤﴾ إذا سار^(٣)، وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس؛ أي: ذهب، ويحتمل أن يكون المراد إذا سار؛ أي: أقبل، وقد يقال إن هذا أنسب لأنه في مقابلة قوله: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١٥﴾ فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل، فإذا حمل قوله: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ ۝١٤﴾ على إقباله كان قسماً بإقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس كقوله: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا عَسَسَ ۝١٧﴾ وَالضُّبْحُ إِذَا نَفَسَ ۝١٨﴾ [التكوير] وكذا قال الضحاك: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ ۝١٤﴾ أي: يجري.

وقال عكرمة: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ ۝١٤﴾ يعني: ليلة جمع؛ ليلة المزدلفة^(٤). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو عامر، عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في قوله: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ ۝١٤﴾ قال: اسر يا سار ولا تبتئ إلا بجمع^(٥).

وقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝١٦﴾ أي: لذي عقل ولب ودين وحجاء، وإنما سمي العقل حجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، ومنه حجر البيت؛ لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي، ومنه حجر اليمامة، وحجر الحاكم على فلان إذا منعه التصرف ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢] كل هذا من قبيل واحد، ومعنى متقارب، وهذا القسم هو بأوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له، الخائفون منه المتواضعون لديه الخاضعون لوجهه الكريم، ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝١٧﴾؟ وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذابين لرسله جاحدين لكتبه، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبراً فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝١٨﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝١٩﴾؟ وهؤلاء عاد الأولى وهم

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عمر بن قيس عن محمد بن المرتفع عن عبد الله بن الزبير، وسنده ضعيف لضعف عمر بن قيس المعروف بسندل. (تهذيب التهذيب ٧/ ٤٩٠، ٤٩١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه جابر وهو: الجعفي، وهو ضعيف، وفيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف.

(٥) سنده ضعيف لضعف كثير بن عبد الله بن عمرو. (التقريب ص ٤٦٠).

ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح. قاله ابن إسحاق^(١)، وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هوداً عليه السلام فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم ﴿يَرْجِعْ صَرَصِرَ عَلَيْهِمْ سَخِرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَابُ زَخِلٍ خَاوِيَةٌ﴾ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ [الحاقة] وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقوله تعالى: ﴿إِرمَ ذَاتَ الْعِمَادِ﴾ (٧) عطف بيان، زيادة تعريف بهم.

وقوله تعالى: ﴿ذَاتَ الْعِمَادِ﴾ لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقه وأقواهم بطشاً، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ [لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ]﴾ (٢) [الأعراف: ٦٩] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وقال ههنا: ﴿أَلَيْسَ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلْدِ﴾ (٨) أي: القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبتهم.

قال مجاهد: إرم، أمة قديمة؛ يعني: عاداً الأولى.

قال قتادة بن دعامة والسدي: إن إرم بيت مملكة عاد^(٣)، وهذا قول حسن جيد وقوي.

وقال مجاهد وقاتدة والكلبي في قوله: ﴿ذَاتَ الْعِمَادِ﴾ كانوا أهل عُمْد لا يقيمون^(٤).

وقال العوفي، عن ابن عباس: إنما قيل لهم ذات العماد لطولهم^(٥)، واختار الأول ابن جرير، وردّ الثاني، فأصاب.

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلْدِ﴾ (٨) أعاد ابن زيد الضمير على العماد لارتفاعها وقال: بنوا عمداً بالأحقاب لم يخلق مثلها في البلاد^(٦)، وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة؛ أي: لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد؛ يعني: في زمانهم، وهذا القول هو الصواب، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف، لأنه لو كان المراد ذلك لقال التي لم يعمل مثلها في البلاد وإنما قال: ﴿لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلْدِ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثني معاوية بن صالح، عمن حدثه، عن المقدام، عن النبي ﷺ أنه ذكر ﴿إِرمَ ذَاتَ الْعِمَادِ﴾ (٧) فقال: «كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم»^(٧).

(١) ينظر سيرة ابن هشام ٧/١؛ وأخرجه الطبري عن ابن إسحاق.

(٢) كذا في سورة الأعراف آية ٦٩، وفي الأصول: «ولا تعثوا في الأرض مفسدين».

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «أهل عمود»؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٧) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن المقدام.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو الطاهر، حدثنا أنس بن عياض، عن ثور بن زيد الديلي قال: قرأت كتاباً وقد سمى حيث قرأه: أنا شداد بن عاد، وأنا الذي رفعت العماد، وأنا الذي شددت بذراعي نظر واحد، وأنا الذي كنزت كنزاً على سبعة أذرع لا يخرجها إلا أمة محمد ﷺ^(١).

(قلت): فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها أو أعمدة بيوتهم للبدو أو سلاحاً يقاتلون به أو طول واحد منهم، فهم قبيلة وأمة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع المقرونون بشمود كما ههنا، والله أعلم.

ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾^(٢) مدينة إما دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة^(٣)، أو إسكندرية كما روي عن القرظي^(٤) أو غيرهما ففيه نظر، فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادِ إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾^(٥) إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذٍ، ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد وما أحلَّ الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم.

وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها، وأن حصباءها لآلئ وجواهر، وترابها بنادق المسك، وأنهارها سارحة وثمارها ساقطة، ودورها لا أنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب، وأنها تتنقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد، فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

وذكر الثعلبي وغيره أن رجلاً من الأعراب وهو عبد الله بن قلابة في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت، فبينما هو يتيه في ابتغائها إذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب، فدخلها فوجد فيها قريباً مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها، وأنه رجع فأخبر الناس فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئاً.

وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة إرم ذات العماد ههنا مطولة جداً فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صحَّ إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك أو أنه أصابه نوع من الهوس والخيال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمُتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض، فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر واليواقيت والآلئ والإكسير الكبير، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل

(١) هذا الكتاب لا يعتمد لأنه ينص على أمر غيبي لا يؤخذ إلا من الوحي، وعليه فالسند معضل.

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة؛ وأخرجه ابن عساكر عن سعيد المسيب (تاريخ دمشق ٢١٧/١)؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن أبي ذئب عن المقبري، وهو سعيد المقبري.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي صخر عن محمد بن كعب القرظي.

في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانا ويطنزون بهم، والذي يجزم به أن في الأرض دفاثن جاهلية وإسلامية وكنوزاً كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله، فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله ﷻ الهادي للصواب.

وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ (٧) قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف، فيه نظر لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة، ولهذا قال بعده: ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (٩) يعني: يقطعون الصخر بالوادي.

قال ابن عباس: ينحتونها ويخرقونها^(١)، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد^(٢)، ومنه يقال مجتأبي النمار إذا خرقوها، واجتأب الثوب إذا فتحه، ومنه الجيب أيضاً وقال الله تعالى: ﴿وَتَنحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ (٤٩) [الشعراء]، وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا قول الشاعر:

ألا كل شيء ما خلا الله بائد كما باد حي من شنيف ومارد
هم ضربوا في كل صماء صعدة بأيدي شداد أيدات السواعد^(٣)
وقال ابن إسحاق: كانوا عرباً وكان منزلهم بوادي القرى.

وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَفَرَعُونَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ (١١) قال العوفي، عن ابن عباس: الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره، ويقال: كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها^(٥)، وكذا قال مجاهد: كان يوتد الناس بالأوتاد^(٦)، وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدي. قال السدي: كان يربط الرجل في كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه^(٧).

وقال قتادة: بلغنا أنه كان له مظل وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال^(٨).

وقال ثابت البناني، عن أبي رافع: قيل لفرعون ذي الأوتاد لأنه ضرب لامراته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحي^(٩) عظيمة حتى ماتت^(١٠).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «فخرقوها».

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيى، وهو القتات، عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) استشهد به الطبري. (٤) في الآيات رقم ٦٥ - ٧٢.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما يليه.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن السدي.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٩) أي: صخرة ضخمة.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن ثابت به.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾﴾ أي: تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ أي: أنزل عليهم رجلاً من السماء وأحلّ بهم عقوبة، لا يردّها عن القوم المجرمين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَأَلْمِزَادٌ ﴿١٤﴾﴾ قال ابن عباس: يسمع ويرى^(١)؛ يعني: يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلّاً بسعيه في الدنيا والأخرى، وسيعرض الخلائق كلّهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلّاً بما يستحقّه، وهو المنزه عن الظلم والجور.

وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثاً غريباً جداً وفي إسناده نظر وفي صحته، فقال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا يونس الحذاء، عن أبي حمزة البيسانى، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ إن المؤمن لدى الحق أسير، يا معاذ إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره، يا معاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو - بإذن الله ﷻ -، فالقرآن دليله، والخوف محجته، والشوق مطيته، والصلاة كهفه، والصوم جنته، والصدقة فكاكه، والصدق أميره، والحياء وزيره، وربّه ﷻ من وراء ذلك كله بالمرصاد»^(٢).

قال ابن أبي حاتم: يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة، عن معاذ مرسل. ولو كان عن أبي حمزة لكان حسناً؛ أي: لو كان من كلامه لكان حسناً.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم، عن صفوان بن عمرو، عن أيفع، عن ابن عبد الكلاعي أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول: إن لجهنم سبع قناطر قال: والصراط عليهنّ، قال: فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى فيقول: ﴿وَقِفُّهُمْ أَيْتَمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الصفات] قال: فيحاسبون على الصلاة ويسألون عنها، قال: فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الأمانة كيف أدوها وكيف خانوها؟ قال: فيهلك من هلك وينجو من نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها؟ قال: فيهلك من هلك وينجو من نجا، قال: والرحم يومئذ متدلّية إلى الهوى في جهنم تقول: اللهم من وصلني فصله، ومن قطعني فاقطعه، قال: وهي التي يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَأَلْمِزَادٌ ﴿٢٥﴾﴾. هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ﴿٢٦﴾ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿٢٧﴾﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿٢٨﴾﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْبَتَّةَ ﴿٢٩﴾ وَلَا تَحْتَضِنُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿٣٠﴾﴾ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثُ أَكْثَلًا ﴿٣١﴾﴾ وَتَحْبُوتُ أَلْمَالُ حُبًّا جَمًّا ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى منكرّاً على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) سنده ضعيف لجهالة أبي حمزة وجهالة يونس الحذاء.

(٣) سنده ضعيف لضعف أيفع. (التقريب ص ١١٧).

ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى: ﴿يُحَسِّبُونَ أَنَّمَا يُنِذِرُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۖ سُلَّاحٌ لَهُمْ فِي الْفِتْرِتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥١﴾ [المؤمنون] وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ أَي: ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين: إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيراً بأن يصبر.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ فيه أمر بالإكرام له؛ كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن أبي سليمان، عن يزيد بن أبي عتاب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»، ثم قال بأصبعه: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»^(١).

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان، أخبرنا عبد العزيز؛ يعني: ابن أبي [حازم]^(٢)، حدثني أبي، عن سهل؛ يعني: ابن سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام^(٣)، ﴿وَلَا تَحْضُوتُمْ عَلَىٰ طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ يعني: لا يأمرن بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ﴾ يعني: الميراث ﴿أَكْثَلًا لِّمَّا﴾ أي: من أي جهة حصل لهم ذلك من حلال أو حرام ﴿وَتَحْضُوتُ الْمَالَ جُبًا جَمًّا﴾ أي: كثيراً، زاد بعضهم: فاحشاً.

﴿كَلَّا ۚ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۖ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ بِنَذْرٍ لِّدَٰكِرِ ۚ وَأَنَّ لَهُ الدَّكْرُ ۖ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۖ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۖ وَلَا يُؤْنِقُ رِقَابَهُ أَحَدًا ۖ يَتَذَكَّرُ الْنَفْسُ الْمُظْمِئَةُ ۖ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً ۖ فَأَدْخِلْ فِي عِبَادِي ۖ وَأَدْخِلْ جَنَّتِي ۖ﴾.

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة، فقال تعالى: ﴿كَلَّا ۚ أَي: حقاً﴾ إذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا أَي: وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال، وقام الخلائق من قبورهم لربهم ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ يعني: لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد صلوات الله عليه وسلامه عليه، بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحداً بعد واحد، فكلهم يقول: لست بصاحب ذاكم حتى تنتهي النبوة إلى محمد ﷺ فيقول: «أنا لها أنا

(١) أخرجه ابن المبارك بسنده ومثله (الزهد رقم ٦٥٤)؛ وأخرجه ابن ماجه من طريق ابن المبارك به (السنن، الأدب، باب حق اليتيم ح ٣٦٧٩)؛ وضعفه البوصيري لضعف يحيى بن سليمان (مصباح الزجاجة ٣/ ١٦٥).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضحف إلى: «حاتم».

(٣) أخرجه أبو داود بسنده ومثله. (السنن، الأدب، باب من ضم اليتيم ح ٥١٥٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٢٨٩).

لها» فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء، فيشفعه الله تعالى في ذلك. وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود كما تقدم بيانه في سورة سبحان^(١)، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، عن العلاء بن خالد الكاهلي، عن شقيق، عن عبد الله هو: ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»^(٢). وهكذا رواه الترمذي، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، عن عمر بن حفص به. ورواه أيضاً عن عبد بن حميد، عن أبي عامر، عن سفيان الثوري، عن العلاء بن خالد، عن شقيق بن سلمة - وهو أبو وائل - عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعه، وكذا رواه ابن جرير، عن الحسن بن عرفة، عن مروان بن معاوية الفزاري، عن العلاء بن خالد، عن شقيق، عن عبد الله قوله^(٣).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ أي: عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه ﴿وَأَنَّ لَهُ الذِّكْرَ﴾ أي: وكيف تنفعه الذكرى ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يعني: يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصياً ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعاً؛ كما قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا عبد الله - يعني: ابن المبارك -، حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفيير، عن محمد بن أبي عميرة، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: لو أن عبداً خرّ على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هرمًا في طاعة الله لحقره يوم القيامة، ولو أنه ردّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب^(٤). وقد رواه أيضاً عن خالد بن معدان، عن عتبة بن عبيد، عن رسول الله ﷺ^(٥).

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ أي: ليس أحد أشدّ عذاباً من تعذيب الله من عصاه ﴿وَلَا يُؤْتِي وَكَافَهُ أَحَدًا﴾ أي: وليس أحد أشدّ قبضاً وثقلاً من الزبانية لمن كفر بربهم ﷻ، وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين، فأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ^(٦) **أَرْجِي إِلَى رَبِّكَ** أي: إلى جواره وثوابه وما أعدّ لعباده في جنته **رَاضِيَةً** أي: في نفسها **مَرْضِيَةً** أي: قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** ^(٧) أي: في جملتهم **وَادْخُلِي جَنَّتِي** ^(٨) وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يشيرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكَذَلِكَ هُنَا.

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٧٩. (٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الكهف آية ١٠٠. (٣) أخرجه الطبري والترمذي بالأسانيد المذكورة. (سنن الترمذي، صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار ح ٢٥٧٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: إسناده صحيح. (المسند ١٩٧/٢٩ ح ١٧٦٥٠). (٥) أخرجه الإمام أحمد من طريق بقية قال: حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان به، وضعف سنده محققوه لأن بقية خالف الرواية الموقوفة السابقة. (المسند ١٩٦/٢٩ ح ١٧٦٤٩).

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية، فروى الضحاك، عن ابن عباس: نزلت في عثمان بن عفان^(١).

وعن بُريدة بن الحصيبي: نزلت في حمزة بن عبد المطلب ﷺ^(٢).

وقال العوفي، عن ابن عباس: يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ۖ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾ وروي عنه أنه كان يقرأها ﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي ۖ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾^(٤) وكذا قال عكرمة^(٥) والكليبي، واختاره ابن جرير وهو غريب، والظاهر الأول لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ﴿وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٣] أي: إلى حكمه والوقوف بين يديه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي، حدثني أبي، عن أبيه، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾ قال: نزلت وأبو بكر جالس فقال: يا رسول الله ما أحسن هذا، فقال: «أما إنه يقال لك هذا»^(٦).

ثم قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن يمان، عن أشعث، عن سعيد بن جبیر قال: قرئت عند النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾ فقال أبو بكر ﷺ: «إن هذا لحسن، فقال له النبي ﷺ: «أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت». وكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن ابن يمان به^(٧)، وهذا مرسل حسن.

ثم قال ابن أبي حاتم: وحدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا مروان بن شجاع الجزري، عن سالم الأفتس، عن سعيد بن جبیر قال: مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقته، فدخل نعشه ثم لم ير خارجاً منه، فلما دفن ثلثت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾ فادخلي في عَبْدِي ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^(٨).

ورواه الطبراني عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عن مروان بن شجاع، عن سالم بن عجلان الأفتس به فذكره^(٩).

(١) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس ﷺ، ونسبه السيوطي إلى ابن مردويه.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن بُريدة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف جداً فيه أبان بن أبي عياش وهو متروك. (التقريب ص ٨٧) وقراءة: «فادخلي عبدي» شاذة تفسيرية.

(٥) أي: كتفسير العوفي عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عكرمة.

(٦) سنده حسن.

(٧) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وهو مرسل ويتقوى بسابقه.

(٨) في سنده مروان بن شجاع الجزري: صدوق له أوهام. (التقريب ص ٥٢٦).

(٩) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن أحمد به (المعجم الكبير ١٠/٢٩٠ ح ١٠٥٨١) وفي سنده أيضاً مروان بن شجاع.

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي - المعروف بشكر - في كتاب «العجائب» بسنده عن ثبات بن رزين أبي هاشم قال: أُسرت في بلاد الروم، فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضُربت عنقه، فارتدّ ثلاثة، وجاء الرابع فامتنع فضُربت عنقه وألقي رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال: يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم بأسمائهم قال الله تعالى في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ ثم غاص في الماء، قال: فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام، قال وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا.

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي، عن أبيها، حدثني سليمان بن حبيب المحاربي، حدثني أبو أمامة، أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «قل اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة تؤمن بلبقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك»^(١). ثم روى عن أبي سليمان بن زبر أنه قال: حديث رواحة هذا واحد أمه^(٢). آخر تفسير سورة الفجر، والله الحمد [والمنة]^(٣).

(١) أخرجه ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن عبد الغفار البيروتي عن رواحة به (تاريخ دمشق، قسم تراجم النساء ص ١٠٠) وعبد الرحمن ورواحة لم أجد لهم ترجمة وبقية رجاله ثقات؛ وأخرجه الطبراني من طريق عبد الرحمن بن عبد الغفار عن رواحة به (المعجم الكبير ١١٨/٨ ح ٧٤٩٠)؛ قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه. (مجمع الزوائد ١٠/١٨٠).

(٢) أخرجه ابن عساكر من طريق آخر عن عبد الرحمن بن عبد الغفار به ثم أتبعه بتعليق من طريق موسى السمسار قال: قال أبو سليمان بن زبر: حديث رواحة هذا واحد أمه. (تاريخ دمشق، قسم تراجم النساء ص ١٠١).

(٣) زيادة من (ح).

سُورَةُ الْبَلَدِ

مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَلَدًا ۝ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝ أَلَمْ نَجْعَلْ لَمْ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝﴾

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالاً لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها.

قال خُصيف، عن مجاهد: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝﴾ ﴿لَا﴾ ردّ عليهم، ﴿أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(١). وقال شبيب بن بشر: عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝﴾ يعني: مكة ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝﴾ قال: أنت يا محمد يحل لك أن تُقاتل به^(٢)، وكذا روي عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد^(٣). وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلال لك^(٤).

وقال قتادة: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝﴾ قال: أنت به من غير حرج ولا إثم^(٥). وقال الحسن البصري: أحلّها الله له ساعة من نهار، وهذا المعنى الذي قالوه ورد به الحديث المتفق على صحته: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه، وإنما أُحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب»^(٦). وفي لفظ آخر: «فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا: إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم»^(٧).

(١) عزاه السيوطي إلى الفريابي وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) سنده حسن، ويشهد له ما يليه من آثار.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٢٦.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٢٦.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَمَا وَلَدَ﴾ (٣) قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عطية، عن شريك، عن خُصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَمَا وَلَدَ﴾ (٣) الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له^(١). ورواه ابن أبي حاتم من حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به^(٢).

وقال عكرمة: الوالد العاقر، وما ولد الذي يلد^(٣). رواه ابن أبي حاتم.

وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثوري وسعيد بن جبير والسدي والحسن البصري وخُصيف وشرحيل بن سعد وغيرهم: يعني بالوالد: آدم، وما ولد: ولده^(٤).

وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي؛ لأنه تعالى لما أقسم بأُم القرى وهي: أُم المساكن أقسم بعده بالسكن وهو آدم أبو البشر وولده.

وقال أبو عمران الجوني: هو إبراهيم وذريته، رواه ابن جرير^(٥) وابن أبي حاتم، واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده وهو محتمل أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (٦) روي عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي وخيثمة والضحاك وغيرهم يعني: منتصباً، زاد ابن عباس في رواية عنه: منتصباً في بطن أمه^(٦)، والكبد الاستواء والاستقامة، ومعنى هذا القول لقد خلقناه سوياً مستقيماً كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (١) أَلْزَى خَلْقَكَ فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) [الانفطار] وكقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٩) [التين].

وقال ابن جريج، [عن]^(٧) عطاء، عن ابن عباس: ﴿في كَبَدٍ﴾ قال: في شدة خلق ألم تر إليه؟ وذكر مولده ونبات أسنانه^(٨).

وقال مجاهد: ﴿في كَبَدٍ﴾ نطفة ثم علقه ثم مضغة يتكبد في الخلق، قال مجاهد: وهو كقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ وأرضعته كرهاً ومعيشته كره فهو يكابد ذلك.

وقال سعيد بن جبير: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (٩) في شدة وطلب معيشة.

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس عن شريك به، وفي سنده شريك وخصيف وكلاهما سيء الحفظ.

(٢) سنده كسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق النضر بن عربي عن عكرمة.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي بلفظ: «في انتصاب، ويقال: في شدة»؛ وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة بلفظ: في نصب، واللفظ الذي ذكره الحافظ ابن كثير عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم.

(٧) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: (و) والتصويب كما في التخريج.

(٨) أخرجه الطبري والحاكم من طريق ابن جريج به؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٢٣/٢).

وقال عكرمة: في شدة وطول^(١).

وقال قتادة: في مشقة^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو عاصم، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر، سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلاً من الأنصار عن قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: في قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر^(٣). وروي من طريق أبي مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: يكابد أمراً من أمر الدنيا وأمراً من أمر الآخرة، وفي رواية: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة^(٤).

وقال ابن زيد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: آدم خلق في السماء فسمي ذلك الكبد^(٥)، واختار ابن جرير أن المراد بذلك: مكابدة الأمور ومشاقها.

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [قال الحسن البصري: يعني: ﴿يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾] يأخذ ماله^(٦). وقال قتادة: ﴿يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ قال: ابن آدم يظن أن لن يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه، وأين أنفقه.

وقال السدي: ﴿يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ قال الله ﷻ^(٧).

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ﴾ أي: يقول ابن آدم: أنفقت ما لا لبداً؛ أي: كثيراً. قاله مجاهد والحسن وقاتدة والسدي وغيرهم^(٨).

﴿يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ قال مجاهد: أي: أحسب أن لم يره الله ﷻ؟ وكذا قال غيره من السلف^(٩).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ﴾ أي: يبصر بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ أي: ينطق به فيعبر عما في ضميره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمالاً لوجهه وفمه.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي عن مكحول قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعماً عظاماً لا تحصي عددها ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء، فانظر

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق النضر بن عري عن عكرمة بلفظ: «في شدة».

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بمعناه.

(٣) سنده ضعيف لضعف أحمد بن عصام. (لسان الميزان ١/٢٢٠).

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق علي بن علي بن رفاعة عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٦) زيادة من نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي.

(٧) كذا في الأصول، وفيما عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن السدي أوضح إذ هو بلفظ: «الكافر: يحسب أن لن يقدر الله عليه ولم يره».

(٨) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٩) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بنحوه.

بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لساناً وجعلت له غلافاً فانطق بما أمرك وأحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك. وجعلت لك فرجاً وجعلت لك سترأ، فأصّب بفرجك ما أحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، ابن آدم إنك لا تحمل سخطي، ولا تطيق انتقامي^(١).

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٠) الطريقين. قال سفيان الثوري: عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله هو: ابن مسعود ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٠) قال: الخير والشر^(٢)، وكذا روي عن علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي وائل وأبي صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراساني في آخرين^(٣).

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «هما نجدان فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»^(٤). تفرد به سنان بن سعد، ويقال: سعد بن سنان، وقد وثقه ابن معين، وقال الإمام أحمد والنسائي والجوزجاني: منكر الحديث، وقال أحمد: تركت حديثه لاضطرابه، وروى خمسة عشر حديثاً منكراً كلها ما أعرف منها حديثاً واحداً يشبه حديثه حديث الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديث أنس.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء قال: سمعت الحسن يقول: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٠) قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يا أيها الناس إنهما النجدان نجد الخير ونجد الشر، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير» وكذا رواه حبيب بن الشهيد ومعمّر ويونس بن عبيد وأبو وهب، عن الحسن مرسلأ، وهكذا أرسله قتادة^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا عيسى بن عقّال، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٠) قال: الثديين^(٦) وروي عن الربيع بن خثيم وقاتدة وأبي حازم مثل ذلك^(٧)، ورواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن عيسى بن عقّال به ثم قال: والصواب القول الأول، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّا

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٢) أخرجه الطبري والحاكم من طريق سفيان الثوري به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٢٣/٢).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه ابن عدي من طريق عبد الله بن وهب به (الكامل في الضعفاء ٣٥٦/٣) وسنده ضعيف لتفرد سنان بن سعد به، وفيه مقال أيضاً كما نقل الحافظ ابن كثير عن كبار النقاد.

(٥) أخرجه الطبري بالأسانيد الثلاثة، وهي كلها مرسلة.

(٦) سنده ضعيف لضعف أحمد بن عصام كما في التقريب، وعيسى بن عقّال سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم، وقد خالف ما ثبت عن ابن عباس أنه الهدى والضلالة؛ كما أخرجه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منذر الثوري عن الربيع بن خثيم بلفظ: «ليسا بالثديين».

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان].

﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةُ﴾ ﴿وَمَا أَذْرَبَكَ مَا أَلْعَقَبَةُ﴾ ﴿فَكُ رَقَبَةٍ﴾ ﴿أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ ﴿يَلْبَسًا ذَا مَقَرَبَةٍ﴾ ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتَرَبَةٍ﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ﴾ ﴿

قال ابن جرير: حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن عطية^(٢)، عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ﴾ أي: دخل ﴿الْعَقَبَةُ﴾ قال: جبل في جهنم^(٣).

وقال كعب الأحبار: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةُ﴾ هو سبعون درجة في جهنم^(٤).

وقال الحسن البصري: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةُ﴾ قال: عقبة في جهنم^(٥).

وقال قتادة: إنها عقبة قحمة شديدة فافتحموها بطاعة الله تعالى^(٦).

وقال قتادة: ﴿وَمَا أَذْرَبَكَ مَا أَلْعَقَبَةُ﴾ ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال: ﴿فَكُ رَقَبَةٍ﴾ أو إِطْعَمْتُ.

وقال ابن زيد: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةُ﴾ أي: أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بينها فقال تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَبَكَ مَا أَلْعَقَبَةُ﴾ ﴿فَكُ رَقَبَةٍ﴾ أو إِطْعَمْتُ^(٧). قرئ ﴿فَكُ رَقَبَةٍ﴾ بالإضافة، وقرئ على أنه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله، وكلتا القراءتين معناهما متقاربتان^(٨).

قال الإمام أحمد: حدثنا [مكي]^(٩) بن إبراهيم، حدثنا عبد الله - يعني: ابن سعيد بن أبي هند - عن إسماعيل بن أبي حكيم، مولى آل الزبير، عن سعيد بن مرجانة أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب؛ أي: عضو - منها إرباً منه من النار حتى إنه ليعتق باليد باليد وبالرجل بالرجل وبالفرج بالفرج».

فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ فقال سعيد: نعم. فقال علي بن الحسين لغلام له أفره غلمانته: ادع مطرفاً، فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله^(١٠).

(١) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وفي سنده عيسى بن عقاب مسكوت عنه، وهو مخالف ما ثبت عن ابن عباس.

(٢) كذا في (حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل (ح): أبي عطية والتصويب من ترجمة عطية وهو العوفي، ومن التخريج.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثله؛ وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن إدريس به (المصنف ١١/٣٠٧). وسنده ضعيف لضعف عطية العوفي.

(٤) أخرجه الطبري من طريق حنش عن كعب، وسنده ضعيف لأنه مثل المرسل.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) القراءتان متواترتان.

(٩) كذا في المسند، وفي الأصل صحف إلى: «علي».

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وصححه سنده محققوه. (المسند ١٥/٢٦٠، ٢٦١ ح ٩٤٤١).

وقد رواه البخاري، ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانة به، وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطي فيه عشرة آلاف درهم^(١). وقال قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن أبي نجيع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عَظَامِهِ مُحَرَّرًا مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عَظَامِهَا مِنَ النَّارِ» رواه ابن جرير^(٢) هكذا، وأبو نجيع هذا هو عمر بن عبسة السلمي رحمه الله.

قال الإمام أحمد: حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا بقية، حدثني بجير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن عمرو بن عبسة أنه حدثهم أن النبي ﷺ قال: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِيَذْكُرَ اللَّهَ فِيهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ. وَمَنْ أَعْتَقَ نَفْسًا مُسْلِمَةً كَانَتْ فَدَيْتُهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمِنْ شَابٍ شَبِيهٍ فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا جرير، عن سليم بن عامر، أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عبسة: حدثنا حديثاً ليس فيه تزويد ولا نسيان. قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فَكَاكِهِ مِنَ النَّارِ عَضْوًا بَعْضُو، وَمِنْ شَابٍ شَبِيهٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فَبَلَغَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ كَانَ كَمَعْتَقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ»^(٤). وروى أبو داود والنسائي بعضه^(٥).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الفرج، حدثنا لقمان، عن أبي أمية، عن عمرو بن عبسة، قال السلمي: قلت له: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم، قال: سمعته يقول: «مَنْ وَلَدَ لَهُ ثَلَاثَةَ أَوْلَادٍ فِي الْإِسْلَامِ فَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْحَنْثَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَمِنْ شَابٍ شَبِيهٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَلَغَ بِهِ الْعُدُوَّ أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ كَانَ لَهُ عَتَقُ رَقَبَةٍ، وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ يَدْخُلُهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ مِنْهَا»^(٦). وهذه أسانيد جيدة قوية، والله الحمد.

(١) صحيح البخاري، العتق، باب العتق وفضله (ح ٢٥١٧)؛ وصحيح مسلم، العتق، باب فضل العتق (ح ١٥٠٩).
(٢) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به، وسنده صحيح، ويشهد له سابقه.
(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله قال محققوه: حديث صحيح دون قوله: «مَنْ بَنَى اللَّهُ مَسْجِدًا...» فصحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف فيه بقية، وهو ابن الوليد، يدلّس تدليس التسوية وقد عنعن، وباقي رجال الإسناد ثقات. (المسند ١٨٧/٣٢ ح ١٩٤٤٠) لكن بقية صرح بالسماع، فالإسناد حسن، ويكون بالشواهد صحيحاً لغيره.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١١٣/٤) وسنده صحيح، ويشهد له سابقه ولا حقه.
(٥) أخرجه أبو داود من طريق سليم بن عامر به مختصراً. السنن، العتق، باب أي الرقاب أفضل (ح ٣٩٦٦)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٣٥٦)؛ وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، العتق، باب فضل العتق (ح ٤٨٧٤).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، قال محققوه: حديث صحيح دون قوله: «مَنْ وَلَدَ لَهُ...» و«مَنْ أَنْفَقَ =

حديث آخر: قال أبو داود: حدثنا عيسى بن محمد الرملي، حدثنا ضمرة، عن ابن أبي عبله، عن العريف بن عياش الديلمي، قال: أتينا وائلة بن الأسقع فقلنا له: حدثنا حديثاً ليس فيه زيادة ولا نقصان، فغضب وقال: إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص، قلنا: إنما أردنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، قال: أتينا رسول الله ﷺ في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال: «أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار»^(١)، وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عبله، عن العريف بن عياش الديلمي، عن وائلة به^(٢).

حديث آخر: قال أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا هشام، عن قتادة، عن قيس الجذامي، عن عقبة بن عامر الجهني، أن رسول الله ﷺ قال: «من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار»^(٣)، وحدثنا عبد الوهاب الخفاف، عن سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن قيساً الجذامي حدث عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار»^(٤). تفرد به أحمد من هذا الوجه.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالا: حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بني بجيلة من بني سليم، عن طلحة بن مصرف، عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة، فقال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة، أعتق النسمة وفك الرقبة» فقال: يا رسول الله أو ليستا بواحدة، قال: «لا إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها، والمنحة الكوف»^(٥)، والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير»^(٦).

وقوله: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾ قال ابن عباس: ذي مجاعة^(٧)، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد^(٨)، والسغب هو الجوع.

= زوجين» فصحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف الفرج وهو ابن فضالة. (المسند ٣٢/١٨٢ ح ١٩٤٣٧). والأحسن أن نقول: أن الإسناد يكون حسناً لغيره بالشواهد. ولهذا جوده الحافظ ابن كثير.

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله. (السنن، العتق، باب في ثواب العتق ح ٣٩٦٤) في سننه العريف بن عياش وهو مقبول (التقريب ص ٤٤٢).

(٢) السنن الكبرى، العتق، باب ذكر اسم هذا الولي (ح ٤٨٩١) وسنده كسابقه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/١٥٠) وسنده ضعيف لأن قتادة لم يسمع من قيس، ويشهد له ما سبق فيكون حسناً لغيره.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/١٤٧) وسنده ضعيف لإبهام شيخ قتادة، ويتقوى بالشواهد السابقة، ولهذا جود الحافظ ابن كثير هذه الأسانيد بمجموعها.

(٥) أي: الغزيرة اللبن.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وصححه سندته محققوه. (المسند ٣٠/٦٠٠ ح ١٨٦٤٧).

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن برقان عن عكرمة؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح =

وقال إبراهيم النخعي: في يوم الطعام فيه عزيز.

وقال قتادة: في يوم [يُشْتَهَى] ^(١) فيه الطعام.

وقوله تعالى: ﴿يَتِيمًا﴾ أي: أطعم في مثل هذا اليوم يتيمًا ﴿ذَا مَقَرَّبَةٍ﴾ أي: ذا قرابة منه. قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي ^(٢)، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا هشام، عن حفصة بنت سيرين، عن سلمان بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة» ^(٣) وقد رواه الترمذي والنسائي ^(٤). وهذا إسناد صحيح.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ﴾ ^(٥) أي: فقيراً مدقاً لاصقاً بالتراب، وهو الدقعاء أيضاً. قال ابن عباس: ﴿ذَا مَتْرَبٍ﴾ هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب ^(٥). وفي رواية: هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء. وفي رواية عنه: هو البعيد التربة ^(٦).

قال ابن أبي حاتم: يعني: الغريب عن وطنه.

وقال عكرمة: هو الفقير المديون المحتاج.

وقال سعيد بن جبير: هو الذي لا أحد له ^(٧).

وقال ابن عباس وسعيد وقاتلة ومقاتل بن حيان: هو ذو العيال ^(٨). وكل هذه قرية المعنى.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]. وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الآية [النحل: ٩٧] وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ أي: كان من

= من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه عن الضحاك، ويتقوى بما سبق.

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، حفصة لم تسمع من سلمان، (المسند ٤١٦/٢٩ ح ١٧٨٨٤) وصححه الحافظ ابن كثير.

(٤) سنن الترمذي، الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة (ح ٦٥٨)؛ وسنن النسائي، الزكاة، باب الصدقة على الأقارب ٩٢/٥؛ وصححه الألباني من حديث الرباب عن عمها سلمان بن عامر (صحيح سنن الترمذي ما بعد حديث ٥٣١).

(٥) أخرجه الطبري من طرق صحيحة عن مجاهد عن ابن عباس؛ وأخرجه الحاكم من طريق مجاهد عن ابن عباس بنحوه وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٢٤/٢).

(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وهو تمة لسابقه.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

المؤمنين العاملين صالحاً، المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث الشريف: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(١). وفي الحديث الآخر: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»^(٢).

وقال أبو داود: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن ابن عامر، عن عبد الله بن عمرو يرويه [عن النبي ﷺ]^(٣) قال: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَةِ﴾ أي: المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أي: أصحاب الشمال ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾^(٥) أي: مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها!

قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي وعطية العوفي والحسن وقتادة والسدي: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ أي: مطبقة^(٥).

قال ابن عباس: مغلقة الأبواب، وقال مجاهد: أصد الباب بلغة [قريش]^(٦) أي: أغلقه^(٧). وسيأتي في ذلك حديث في سورة ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّزْمَةً﴾ [الهمزة]. وقال الضحاك: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ حِيطٌ لا باب له.

وقال قتادة: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرَجٌ ولا خروج منها آخر الأبد^(٨).

وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره، فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أوصدوها عليهم؛ أي: أطبقوها، قال: فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبداً، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً^(٩)، رواه ابن أبي حاتم.

آخر تفسير سورة البلد، والله الحمد والمئة.

(١) تقدم في تفسير سورة محمد آية ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري من حديث جرير بن عبد الله (الصحيح، التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ...﴾ [الإسراء: ١١٠] ح ٧٣٧٦).

(٣) زيادة من سنن أبي داود.

(٤) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه وزيادة من طريق شيخه ابن السرح. (السنن، الأدب، باب في الرحمة ح ٤٩٤٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤١٣٤)؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ١٧٨/٤).

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٨) تقدم تخريجه قبل الرواية السابقة.

(٩) سنده ضعيف حكمه كالمرسل.

سُورَةُ الشَّمْسِ

وهي مكية

تقدم حديث جابر الذي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هَلَّا صَلَّيْتُ بِسُورَةِ الشَّمْسِ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿٢﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿٣﴾﴾؟»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَلَّهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾.

قال مجاهد: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾﴾ أي: وضوئها^(٢).
وقال قتادة: ﴿وَضُحَاهَا﴾ النهار كله^(٣).

قال ابن جرير: والصواب أن يقال: أقسم الله بالشمس ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار^(٤). ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾﴾ قال مجاهد: تبعها^(٥).
وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾﴾ قال: يتلو النهار^(٦).
وقال قتادة: إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس روي الهلال^(٧).
وقال ابن زيد: هو يتلوها في النصف الأول من الشهر ثم هي تتلوه وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر^(٨).

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: إذا تلاها ليلة القدر^(٩).
وقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾﴾ قال مجاهد: أضواء^(١٠).

- (١) ينظر مطلع سورة الانفطار، ومطلع سورة الفجر.
- (٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
- (٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
- (٤) ذكره الطبري بلفظه.
- (٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
- (٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.
- (٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
- (٩) سنده صحيح.
- (١٠) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق أبي نجيع عن مجاهد.

وقال قتادة: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا﴾ (٣) إذا غشيها النهار^(١).

وقال ابن جرير: وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: والنهار إذا جلا الظلمة، لدلالة الكلام عليها^(٢).

(قلت): ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا﴾ (٣) أي: البسيطة لكان أولى ولصح تأويله في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّيْ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ (٤) فكان أجود وأقوى، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا﴾ (٣) إنه كقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل] وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها، وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّيْ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ (٤) يعني: إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق.

وقال بقية بن الوليد، عن صفوان: حدثني يزيد بن ذي حمادة قال: إذا جاء الليل قال الرب جلّ جلاله غشي عبادي خلقي العظيم فالليل يهابه، والذي خلقه أحق أن يهاب. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَلَّهَا﴾ (٥) يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها، وهو قول قتادة^(٣)، ويحتمل أن تكون بمعنى (مَنْ) يعني والسماء وبانيها، وهو قول مجاهد^(٤)، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أي: بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُنْهَدُونَ (٤٨) [الذاريات] وهكذا قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾ (٦) قال مجاهد: طحاها: دحاها^(٥).

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَمَا طَحَّهَا﴾ أي: خلق فيها^(٦).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: طحاها قسمها^(٧).

وقال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والثوري وأبو صالح وابن زيد: ﴿طَحَّهَا﴾ بسطها^(٨)، وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة.

قال الجوهري: طحوته مثل دحوته؛ أي: بسطته.

وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) أي: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمية كما قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ﴾ [الروم: ٣٠]

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة، عن قتادة.

(٢) ذكره الطبري بنحوه، ويقصد ببعض أهل العربية: الفراء فقد ذكره في معاني القرآن (٢٦٦/٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «وبناؤها خلقها».

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد. بلفظ: «الله بنى السماء».

(٥) أخرجه آدم والطبري بالسند المتقدم عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وأما قول مجاهد فقد تقدم قبل روايتين بلفظ: «دحاها».

وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟» أخرجاه من رواية أبي هريرة^(١)، وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حمار المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَالْتَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ﴾^(٨) أي: فأرشدنا إلى فجورها؛ أي: بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها.

قال ابن عباس: ﴿فَالْتَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ﴾^(٨) بين لها: الخير والشر^(٣)، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري^(٤).

وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر^(٥).

وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقواها^(٦).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا: حدثنا عذرة بن ثابت، حدثني يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن أبي الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قضى عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلماً؟ قال: ففزعت منه فزعاً شديداً قال: قلت له: ليس شيء إلا وهو خلقه وملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، قال: سددك الله إنما سألتك لأخبر عقلك، إن رجلاً من مزينة أو جهينة أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون، شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت به عليهم الحجة؟ قال: «بل شيء قد قضى عليهم» قال: [ففيهم نعمل]؟^(٧) قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهينه لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَنَقِصَ وَمَا سَوَّاهَا ۖ﴾^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ^(٩٥٦) ^(٩٥٧) ^(٩٥٨) ^(٩٥٩) ^(٩٦٠) ^(٩٦١) ^(٩٦٢) ^(٩٦٣) ^(٩٦٤) ^(٩٦٥) ^(٩٦٦) ^(٩٦٧) ^(٩٦٨) ^(٩٦٩) ^(٩٧٠) ^(٩٧١) ^(٩٧٢) ^(٩٧٣) ^(٩٧٤) ^(٩٧٥) ^(٩٧٦) ^(٩٧٧) ^(٩٧٨)

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠) يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه؛ أي: بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الأخلاق الدنيئة والردائل^(١)، ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير^(٢). وكقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٤) وذكر أسد ربه فصل^(٣) [الأعلى].

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١١) أي: دسها؛ أي: أحملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله ﷻ، وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دسى الله نفسه؛ كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي وأبو زرعة قالا: حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا أبو مالك يعني: عمرو بن هشام، عن جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (١٠) قال النبي ﷺ: «أفلحت نفس زكاها الله ﷻ» ورواه ابن أبي حاتم من حديث مالك به^(٤)، وجوير هذا هو ابن سعيد: متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس.

وقال الطبراني: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، حدثنا أبي، حدثنا ابن لهيعة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ بهذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) وقف ثم قال: «اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وخير من زكاها»^(٥).

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يعقوب بن حميد المدني، حدثنا عبد الله بن الأموي، حدثنا معن بن محمد الغفاري، عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨) قال: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»^(٦). لم يخرجوه من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن نافع، عن ابن عمر، عن صالح بن سعيد، عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول: «رب أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»^(٧). تفرد به.

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري من طريق خُصيف عن مجاهد وسعيد بن جبير عن عكرمة، وخُصيف سبى الحفظ.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظه؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «تكذيبها».

(٤) كلا الطريقين ضعيف كما فصل الحافظ ابن كثير.

(٥) أخرجه الطبراني بسنده ومثنه. (المعجم الكبير ١١/ ١٠٦ ح ١١٩١) وحسن سنده الهيثمي (مجمع الزوائد ٧/ ١٤١) وهذا الحكم يستقيم بالشواهد التالية، فإن فيه ابن لهيعة ولكن روي من طرق أخرى كما سيأتي.

(٦) أخرجه ابن أبي عاصم من طريق يعقوب بن حميد المزني به. (السنن ح ٣١٨) وفي سننه عبد الله بن عبد الله الأموي: لين الحديث. (التقريب ص ٣١٠)، ويتقوى بالرواية السابقة.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه، وقال محققوه: رجاله ثقات. (المسند ٤٢/ ٤٩٢ ح ٢٥٧٥٧). ويشهد له رواية الإمام أحمد ومسلم التالية.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عاصم الأحول، عن عبد الله بن الحارث، عن زيد بن أرقم، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والهزم والجبن والبخل وعذاب القبر. اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع. وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها» قال زيد: كان رسول الله ﷺ يعلمناهن ونحن نُعلمكموهن^(١)، رواه مسلم من حديث أبي معاوية، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن الحارث وأبي عثمان النهدي، عن زيد بن أرقم به^(٢).

﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَنِهَا﴾ (١١) إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَّوْهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ﴿١٦﴾

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي. وقال محمد بن كعب: ﴿يَطْغَوْنَهَا﴾ أي: بأجمعها^(٣)، والأول أولى. قاله مجاهد وقتادة وغيرهما^(٤)، فأعقبهم ذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا﴾ (١٢) أي: أشقى القبيلة هو قدار بن سالف عاقر الناقة، وهو أحيمر ثمود، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿فَادَا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ (١٤) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ [القمر].

وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم شريفاً في قومه نسبياً رئيساً مطاعاً، كما قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زمعة قال: خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال: «إذا أنبئت أشقاها أنبئت لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة»^(٥). ورواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما، وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن هشام بن عروة به^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني يزيد بن محمد بن خثيم، عن محمد بن كعب القرظي، عن محمد بن خثيم [أبي يزيد]^(٧)، عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «ألا أحدثك

- (١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سننه محققوه. (المسند ٣٢/٦١ ح ١٩٣٠٨).
- (٢) صحيح مسلم، الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (ح ٢٧٢٢).
- (٣) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق محمد بن رفاعة القرظي عن محمد بن كعب.
- (٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «بالطغيان»؛ وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «معصيتها».
- (٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ١٧/٤) وسنده صحيح.
- (٦) صحيح البخاري، التفسير، سورة ﴿وَالْفَتَنِ وَحُحَّهَا﴾ (ح ٢٩٤٢)، وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون.. (ح ٢٨٥٥)؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿وَالْفَتَنِ وَحُحَّهَا﴾ (ح ٣٣٤٠)؛ والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، سورة الشمس (ح ١١٦٧٥).
- (٧) كذا في (ح) و(حم) وترجمته، وفي الأصل صحف إلى: بن يزيد.

بأشقى الناس؟» قال: بلى. قال: «رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا - يعني: قرنه - حتى تبطل منه هذه» يعني: لحيته^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني: صالحاً عليه السلام ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أي: احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ﴿وَسُقْيَهَا﴾ أي: لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ أي: كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ﴾ أي: غضب عليهم فدمر عليهم ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ أي: فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء.

قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ وقرئ: «فلا يخاف»^(٣) ﴿عُقْبَهَا﴾ قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعه^(٤)، وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم^(٥).

وقال الضحاك والسدي: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا﴾^(٦) أي: لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع^(٦)، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه، والله أعلم. آخر تفسير سورة ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس].

(١) في سنده محمد بن خثيم أبو يزيد وهو مقبول. (التقريب ص ٤٧٦).

(٢) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة مقطوعاً لكن روايته بلاغاً.

(٣) القراءتان متواترتان.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء، عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق رزين بن سليمان عن بكر بن عبد الله المزني، ويشهد له ما سبق.

(٦) أخرجه الطبري من طريق جابر بن نوح عن أبي روق عن الضحاك، وجابر بن نوح ضعيف. (التقريب ص ١٣٦) ومعناه صحيح؛ وأخرجه الطبري وابن أبي حاتم - كما في الدر المنثور - بسند حسن من طريق سفيان عن السدي.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ: «فهلّا صليت بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾»، ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ (١) وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ كَبَلَ وَالْحُسْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١).

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شعبة، عن المغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة أنه قدم الشام، فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال: اللهم ارزقني جليساً صالحاً قال: فجلس له أبو الدرداء فقال له أبو الدرداء: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ (١) وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى (٢)؟ قال علقمة: (والذكر والأنثى) (٣) فقال أبو الدرداء: لقد سمعتها من رسول الله ﷺ فما زال هؤلاء حتى شككوني ثم قال: ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره، والذي أجير من الشيطان على لسان محمد ﷺ؟ (٣).

وقد رواه البخاري ههنا ومسلم من طريق الأعمش عن إبراهيم قال: قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال: أيكم يقرأ عليّ قراءة عبد الله؟ قالوا: كلنا، قال: أيكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة فقال: كيف سمعته يقرأ: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ (١)؟ قال: (والذكر والأنثى) قال: أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدون أن أقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٣) والله لا أتابعهم (٤). هذا لفظ البخاري. وهكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفع أبو الدرداء، وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو المثبت في المصحف الإمام العثماني في سائر الآفاق ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٣) فأقسم تعالى بـ ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا

(١) ينظر مطلع سورة الانشقاق ومطلع سورة الأعلى.

(٢) هذه القراءة شاذة قال الحافظ ابن حجر: ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ومن ذكر معه. (فتح الباري ٧٠٧/٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٤٤٩/٦) وسنده صحيح.

(٤) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٣) [الليل] (ح ٤٩٤٤)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب ما يتعلق بالقرآن (ح ٨٢٤).

يَقْنَى ﴿١﴾ أي: إذا غشى الخليفة بظلامه ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ ﴿٢﴾ أي: بضياؤه وإشراقه.
﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ﴿٣﴾ كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ﴿٨﴾ [النبا] وكقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضاً متضاداً، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ ﴿٤﴾ أي: أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضاً ومتخالفة فمن فاعل خيراً ومن فاعل شراً.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَالْفَقَى﴾ ﴿٥﴾ أي: أعطى ما أمر بإخراجه، واتقى الله في أموره ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٦﴾ أي: بالمجازاة على ذلك قاله قتادة^(١).

وقال خُصِيف: بالثواب.

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٦﴾ أي: بالخلف^(٢).

وقال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٦﴾ أي: بلا إله إلا الله^(٣).

وفي رواية عن عكرمة: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٦﴾ أي: بما أنعم الله عليه.

وفي رواية عن زيد بن أسلم: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٦﴾ قال: الصلاة والزكاة والصوم، وقال مرة: وصدقة الفطر.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا زهير بن محمد، حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال: «الحسنى: الجنة»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَسَتِيرُهُ لِّلشَّرِّ﴾ ﴿٧﴾ قال ابن عباس: يعني للخير.

وقال زيد بن أسلم: يعني للجنة، وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخِلْ﴾ أي: بما عنده ﴿وَأَسْتَفِنْ﴾.

قال عكرمة، عن ابن عباس: أي بخل بماله واستغنى عن ربه ﷻ^(٥). رواه ابن أبي حاتم ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ أي: بالجزاء في الدار الآخرة ﴿فَسَتِيرُهُ لِّلشَّرِّ﴾ ﴿١١﴾ أي: لطريق الشر كما قال تعالى: ﴿وَنَقْلِبُ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١٢﴾ [الأنعام] والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله ﷻ يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عكرمة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن مجاهد فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف؛ وأخرجه الطبري بسند حسن صحيح من طريق نصر بن عربي عن عكرمة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي حصين عن أبي عبد الرحمن؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ٢٦.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عكرمة به.

رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن [عياش]^(١)، حدثني العطف بن خالد، حدثني رجل من أهل البصرة، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن أبيه قال: سمعت أبي يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول: قلت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتلف؟ قال: «بل على أمر قد فرغ منه» قال: ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: «كل ميسر لما خلق له»^(٢).

رواية علي رضي الله عنه: قال البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار» فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۝﴾ إلى قوله: ﴿لِلْيُسْرَى ۝﴾^(٣). وكذا رواه من طريق شعبة^(٤)، ووكيع^(٥) عن الأعمش بنحوه. ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة، عن جرير، عن منصور، عن سعيد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى رسول الله ﷺ، ففقد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس، فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: «ما منكم من أحد - أو ما من نفس منقوسة - إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة» فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء؟ فقال: «أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فيسرون إلى عمل أهل الشقاء»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝﴾^(٦) وكذب بالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۝^(٧). وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعيد بن عبيدة به.

رواية عبد الله بن عمر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا شعبة، عن عاصم بن عبيد الله، قال: سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر قال: قال عمر: يا رسول الله أرايت ما نعمل فيه أفي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع؟ قال: «فيما قد فرغ منه، فاعمل يا ابن الخطاب، فإن كلاً ميسر، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء»^(٨). ورواه الترمذي في القدر عن بُندار، عن ابن مهدي به، وقال: حسن صحيح^(٩).

(١) كذا في (ح)؛ ومسند الإمام أحمد، وفي الأصل صُحِفَ إلى: «عباس».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ١/ ٢٠٠ ح ١٩) وقال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة الراوي عن طلحة بن عبد الله. اهـ. ويشهد له الحديث التالي.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله. (الصحيح، التفسير، باب ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝﴾ [الليل] (ح ٤٩٤٥).

(٤) المصدر السابق (ح ٤٩٤٦).

(٥) المصدر السابق (ح ٤٩٤٧).

(٦) المصدر السابق (ح ٤٩٤٨).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٨/ ١٤٠ ح ٥١٤٠). قال محققوه: حسن لغيره، وهو إسناد ضعيف لضعف عاصم بن عبيد الله.

(٨) سنن الترمذي، القدر، باب ما جاء في الشقاء والسعادة (ح ٢١٣٦).

حديث آخر من رواية جابر: قال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: يا رسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه؟ فقال: «لأمر قد فرغ منه» فقال سراقه: ففيم العمل إذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «كل عامل ميسر لعمله»^(١). ورواه مسلم عن أبي الطاهر، عن ابن وهب به^(٢).

حديث آخر: قال ابن جرير: حدثني يونس، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن طلق بن حبيب، عن بشير بن كعب العدوي قال: سألت غلامان شابان النبي ﷺ فقالا: يا رسول الله أنعمل فيما جفت الأقلام وجرت به المقادير أو في شيء يستأنف؟ فقال: «بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير» قالوا: ففيم العمل إذا؟ قال: «اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له» قالوا: نجد ونعمل^(٣).

رواية أبي الدرداء: قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم بن خارجة، حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمي، عن يونس بن ميسرة بن حلبس، عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء قال: قالوا يا رسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه؟ قال: «بل أمر قد فرغ منه» فقالوا: فكيف بالعمل يا رسول الله؟ قال: «كل امرء مهياً لما خلق له»^(٤). تفرد به أحمد من هذا الوجه.

حديث آخر: قال ابن جرير: حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة، حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا عباد بن راشد، عن قتادة، حدثني خُليد العصري، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم غربت فيه شمسهُ إلا وبجنتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين: اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً» وأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ ۝٦ فَسَيَّرَهُ لِلْيُسْرَى ۖ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۖ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ ۝٩ فَسَيَّرَهُ لِلْعُسْرَى ۖ ۝١٠﴾ ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن ابن أبي كبشة بإسناده مثله.

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الطهراني، حدثنا حفص بن عمر العدني، حدثني الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رجلاً كان له نخيل، ومنها نخلة فرعها في دار رجل صالح فقير ذي عيال، فإذا جاء الرجل فدخل داره ف يأخذ التمرة من نخلته فتسقط التمرة، ف يأخذها صبيان الرجل الفقير، فينزل من نخلته فينزع التمرة من أيديهم، وإن أدخل أحدهم التمرة في فمه أدخل أصبعه في حلق الغلام ونزع التمرة من حلقه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي ﷺ: «أذهب» ولقي النبي ﷺ صاحب النخلة فقال له: «أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة» فقال

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه.. (ح ٢٦٤٨).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن ويشهد له ما سبق.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: صحيح لغيره. (المسند ٤٥/٤٨٠ ح ٢٧٤٨٧).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده عباد بن راشد صدوق له أو هام. (التقريب ص ٢٩٠) وأظنه هو الذي زاد ذكر نزول الآية؛ لأن الحديث بدون ذكر نزول الآية صحيح قد تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٢٩.

له: لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها وإن لي لنخلاً كثيراً ما فيها نخلة أعجب إلي ثمرة من ثمرها، فذهب النبي ﷺ فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة فقال الرجل: يا رسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتك إياها، أتعطيني ما أعطيت بها نخلة في الجنة؟ قال: «نعم».

ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ولكلاهما نخل، فقال له: أخبرك أن محمداً أعطاني بنخلي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة، فقلت له: قد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها، فسكت عنه الرجل فقال له: أراك إذا بعتها، قال: لا إلا أن أعطى بها شيئاً ولا أظنني أعطاه، قال: وما مُنَّا؟ قال: أربعون نخلة، فقال الرجل: لقد جئت بأمر عظيم، نخلتك تطلب بها أربعين نخلة؟ ثم سكتا وأنشأ في كلام آخر، ثم قال: أنا أعطيتك أربعين نخلة، فقال: أشهد لي إن كنت صادقاً، فأمر بأناس فدعاهم فقال: اشهدوا إنني قد أعطيت من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان، ثم قال: ما تقول؟ فقال صاحب النخلة: قد رضيت، ثم قال بعد: ليس بيني وبينك بيع لم نفتق، فقال له: قد أقالك الله ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة، فقال صاحب النخلة: قد رضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد، قال: تعطينيها على ساق، ثم مكث ساعة ثم قال: هي لك على ساق، وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق، ففترقا، فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب الدار فقال له: «النخلة لك ولعيالك» قال عكرمة: قال ابن عباس فأنزل الله ﷻ: ﴿وَأَيُّهَا إِذَا يَتَنَبَّأُ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَتَىٰ وَأَنفَىٰ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ إلى آخر السورة^(١). هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جداً.

قال ابن جرير: وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه: حدثنا هارون بن إدريس الأصم، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني أراك تعتق أناساً ضعفاء فلو أنك تعتق رجالاً جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك، فقال: أي أبت إنما أريد - أظنه قال - ما عند الله، قال: فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَتَىٰ وَأَنفَىٰ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ قال مجاهد: أي إذا مات^(٣).

(١) سنده ضعيف لضعف حفص بن عمر العدني كما في التقريب.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وهو مقبول. (التقريب ص ٤٩٠) ومحمد بن إسحاق لم يصرح بالسماع ولكن الحاكم أخرجه من طريق محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٢٥/٢)؛ وأخرجه ابن عساكر من طريق ابن إسحاق به. (تاريخ دمشق ٦٩/٣٠).

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن أسلم: ﴿إِذَا زُرْتُمُوهَا﴾ في النار^(١).

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۚ فَأَنْذَرْتُمُوهَا تِلْكَ نَارًا تَلْقَوْنَ ۖ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۚ (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۖ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۚ وَلَسَوْفَ يَرَىٰ ۖ (٢١)﴾.

قال قتادة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ﴾ أي: نبين الحلال والحرام^(٢)، وقال غيره: من سلك طريق الهدى وصل إلى الله^(٣)، وجعله كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] حكاه ابن جرير.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۚ﴾ أي: الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُمُوهَا تِلْكَ نَارًا تَلْقَوْنَ ۖ﴾ قال مجاهد: أي توهج^(٤).

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: «أنذرتكم النار [أنذرتكم النار]^(٥)» حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا، قال: حتى وقعت خميسة كانت على عاتقه عند رجله^(٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثني شعبة، حدثني أبو إسحاق، سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه»^(٧). رواه البخاري^(٨).

وقال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً»^(٩). وقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۚ﴾ أي: لا يدخلها دخولاً يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى ثم فسره فقال: ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ أي: بقلبه ﴿وَتَوَلَّى﴾ أي: عن العمل بجوارحه وأركانه.

(١) أخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) ذكره الفراء (معاني القرآن ٢٧١/٣) والطبري.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) زيادة من المسند.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٣٠/٣٤٨ ح ١٨٣٩٨) وحسن سنده محققوه.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٣٠/٣٦٢ ح ١٨٤١٣) وصح سنده محققوه.

(٨) صحيح البخاري، الرقاق، باب صفة الجنة والنار (ح ٦٥٦١).

(٩) أخرجه مسلم بسنده ومثله. (الصحيح، الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً ح ٢١٣/٣٦٤).

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا عبد ربه بن سعيد، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلا شقي» قيل: ومن الشقي؟ قال: «الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس وسريج قالا: حدثنا فليح، عن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى» قالوا: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»^(٢). رواه البخاري، عن محمد بن سنان، عن فليح به^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (٧) أي: وسيزحزح عن النار التقي النقي ثم فسر به بقوله: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (٨) أي: يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ تَجَزَّى﴾ (٩) أي: ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفًا، فهو يعطي في مقابلة ذلك وإنما دفعه ذلك ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (١٠) أي: طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (١١) أي: ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فإن لفظها العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (٧) ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (٨) ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ تَجَزَّى﴾ (٩) ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: وأما والله لولا يد لك عندي لم أجرك بها لأجبتك، وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإن كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ تَجَزَّى﴾ (٩) ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (١٠) ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (١١).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعت خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير» فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»^(٤).
آخر تفسير سورة الليل، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٢٥٢/١٤ ح ٨٥٩٤) وضعف سنده محققوه، وأعلوه بابن لهيعة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وحسن سنده محققوه. (المسند ٣٤٢/١٤ ح ٨٧٢٨).

(٣) صحيح البخاري، الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (ح ٧٢٨٠).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الزمر آية ٧٣.

سُورَةُ الضُّحَى

وهي مكية

رَوَيْنَا مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَزَةَ الْمُقْرِيِّ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى عَكْرَمَةَ بْنِ سَلِيمَانَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ قُسْطَنْطِينَ وَشَبْلَ بْنِ عَبَادٍ، فَلَمَّا بَلَغْتَ ﴿وَالضُّحَى﴾ ① قَالَا لِي: كَبُرَ حَتَّى تَخْتَمَ مَعَ خَاتَمَةِ كُلِّ سُورَةٍ، فَإِنَا قَرَأْنَا عَلَى ابْنِ كَثِيرٍ، فَأَمَرْنَا بِذَلِكَ، وَأَخْبَرْنَا أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى مُجَاهِدٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ. وَأَخْبَرَهُ مُجَاهِدٌ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُ أَبِي أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ②.

فَهَذِهِ سَنَةٌ تَفْرُدُ بِهَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَزِيُّ مِنْ وَلَدِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَةَ، وَكَانَ إِمَامًا فِي الْقِرَاءَاتِ، فَأَمَّا فِي الْحَدِيثِ فَقَدْ ضَعَفَهُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ وَقَالَ: لَا أَحَدٌ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ أَبُو جَعْفَرٍ الْعَقِيلِيُّ قَالَ: هُوَ مِنْكَرُ الْحَدِيثِ، لَكِنْ حَكَى الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فِي «شرح الشاطبية» عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَكْبِرُ هَذَا التَّكْبِيرَ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ السَّنَةَ، وَهَذَا يَقْتَضِي صِحَّةَ هَذَا الْحَدِيثِ.

ثُمَّ اخْتَلَفَ الْقُرَاءُ فِي مَوْضِعِ هَذَا التَّكْبِيرِ وَكَيْفِيَّتِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَكْبِرُ مِنْ آخِرِ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ③ وَقَالَ آخَرُونَ: مِنْ آخِرِ ﴿وَالضُّحَى﴾ ④ وَكَيْفِيَّةُ التَّكْبِيرِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ أَكْبَرُ. وَيَقْتَصِرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. وَذَكَرَ الْقُرَاءُ فِي مَنَاسِبَةِ التَّكْبِيرِ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الضُّحَى أَنَّهُ لَمَّا تَأَخَّرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفُتِرَ تِلْكَ الْمُدَّةُ ثُمَّ جَاءَ الْمَلِكُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ: ﴿وَالضُّحَى﴾ ⑤ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ⑥ السُّورَةَ بِتَمَامِهَا كَبِيرَ فَرَحًا وَسُرُورًا، وَلَمْ يَرَوْا ذَلِكَ بِإِسْنَادٍ يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِصِحَّةٍ وَلَا ضَعْفٍ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ ⑦.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

① وَالضُّحَى ② وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ③ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ④ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ⑤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ⑥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ⑦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ⑧ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغَى ⑨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑪ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑫.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندباً

(١) أخرجه البغوي من طريق المفسر أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي المعروف بالنقاش، عن أبي ربيعة محمد بن إسحاق الريعي، عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ به. (معالم التنزيل ٥٠٠/٤، ٥٠١).

(٢) هذا الحديث ضعيف عند النقاد المحدثين، ومعتبر عند كثير من القراء، ويعملون به.

يقول: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتت امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾^(١). رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن الأسود بن قيس، عن جندب، هو ابن عبد الله البجلي، ثم العلقي به^(٢)، وفي رواية سفيان بن عيينة، عن الأسود بن قيس سمع جندباً قال: أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون: ودَّعَ محمداً ربه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي، قالوا: حدثنا أبو أسامة، حدثني سفيان، حدثني الأسود بن قيس أنه سمع جندباً يقول: رُمي رسول الله ﷺ بحجر في أصبعه فقال:

«هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت؟»

قال: فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم، فقالت له امرأة ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾ والسياق لأبي سعيد^(٣).

قيل: إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب، وذكر أن أصبعه ﷺ دُميت، وقوله هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ولكن الغريب ههنا جعله سبباً لتركه القيام ونزول هذه السورة.

فأما ما رواه ابن جرير: حدثنا ابن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سليمان الشيباني، عن عبد الله بن شداد، أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قد قلاك، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾^(٤).

وقال أيضاً: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعاً شديداً فقالت خديجة: إني أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك، قال: فنزلت ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾... إلى آخرها^(٥). فإنه حديث مرسل من [هذين الوجهين]^(٦) ولعل ذكر خديجة ليس محفوظاً أو قالته على وجه التأسف والحزن، والله أعلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣١٢/٤) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التهجد، باب ترك القيام للمريض (ح ١١٢٤)، وصحيح مسلم، الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين (ح ١٧٩٧)؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الضحى (ح ٣٣٤٢)؛ والسنن الكبرى، التفسير، سورة الضحى (ح ١١٦٨١).

(٣) سنده صحيح ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وما أظن عبد الله بن شداد سمع من خديجة رضي الله عنها، وما أظن خديجة رضي الله عنها تقول ذلك بل كانت تشجعه وتوازره.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لأنه مرسل؛ وأخرجه الحاكم من طريق هشام بن عروة به؛ وصححه الحاكم وقال الذهبي: صحيح مرسل (المستدرک ٦١٠/٢)؛ وأخرجه البيهقي من الطريق نفسه وقال: في هذا الإسناد انقطاع (دلائل النبوة ٦٠/٧).

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

وقد ذكر بعض السلف منهم ابن إسحاق أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله ﷺ حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها، ودنا إليه وتدلّى منهبطاً عليه وهو بالأبطح ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ عَبْدِي مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم] قال: قال له هذه السورة ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ① ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ﴾ ② .

قال العوفي، عن ابن عباس: لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً فتغير بذلك، فقال المشركون: ودعه ربه وقلاه فأنزل الله ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ③ .^(١)

وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ﴾ ④ أي: سكن فأظلم وادلهم. قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم^(٢)، وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ⑤ ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ ⑥ [الليل] وقال تعالى: ﴿فَالْقُلُوبُ أَلْسِنَاتٌ لِّئَلَّا يُكَلِّمَ الْفُصَّلَ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ⑦ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أي: ما تركك ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: وما أبغضك. ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ ⑧ أي: وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهّد الناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحاً كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، ولما خيّر ﷺ في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله ﷻ، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن عبد الله هو: ابن مسعود قال: اضطلع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أوسع جنبه وقلت: يا رسول الله ألا أذننتا حتى نسط لك على الحصير شيئاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها»^(٣). ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المسعودي به وقال الترمذي: حسن صحيح^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ⑨ أي: في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته، وفيما أعده له من الكرامة، ومن جملة نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه مسك أذفر كما سيأتي^(٥).

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه قال: عُرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما سبق.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «إذا استوى»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٦/ ٢٤٢ ح ٣٧٠٩) وصححه سننه محققوه.

(٤) سنن الترمذي، الزهد، باب ما أنا في الدنيا إلا راكب (ح ٢٣٧٧)؛ وسنن ابن ماجه، الزهد، باب مثل الدنيا (ح ٤١٠٩)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٣١٧).

(٥) سيأتي في تفسير سورة الكوثر.

بعده كنزاً كنزاً فسر بذلك، فأنزل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ⑤ فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم^(١)، رواه ابن جرير من طريقه، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف.

وقال السدي، عن ابن عباس من رضاء محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم^(٢).

وقال الحسن: يعني بذلك الشفاعة^(٣)، وهكذا قال أبو جعفر الباقر.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا معاوية بن هشام، عن علي بن صالح، عن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾» ⑥^(٤).

ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَكَأَنَّكَ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ⑦ وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد ﷺ ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره، ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختر الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين، وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ⑦ كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عَبْدَانَا﴾ الآية [الشورى: ٥٢].

ومنهم من قال: إن المراد بهذا أن النبي ﷺ ضلَّ في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع.

وقيل: إنه ضلَّ وهو مع عمه في طريق الشام، وكان راكباً ناقة في الليل، فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاها البغوي^(٥).

(١) أخرجه الطبري من طريق عمرو بن هاشم عن الأوزاعي به؛ وصححه سننه الحافظ ابن كثير؛ وأخرجه الطبراني من طريق الأوزاعي به، (المعجم الكبير ٣٣٧/١٠ ح ١٠٦٥٠)؛ وحسن سننه الهيثمي (مجمع الزوائد ١٣٨/٧).

(٢) أخرجه الطبري من طريق الحكم بن ظهير به، وسنده ضعيف جداً لأن السدي لم يسمع من ابن عباس، والحكم بن ظهير متروك ورمي بالرفض (التقريب ص ١٧٥) وكذلك السدي فيه تشيع.

(٣) عزاه البغوي إلى الحسن (معالم التنزيل ٤/٤٩٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة مطولاً دون ذكر الآية. (المصنف ٢٣٦/١٥) وسنده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد وتشيعه (التقريب ص ٦٠١).

(٥) معالم التنزيل ٤/٤٩٩.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨) أي: كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عن سواه فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات الله وسلامه عليه.

وقال قتادة في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَأْوَى﴾ (٩) ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (١٠) ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨) قال: كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله ﷻ. رواه ابن جرير^(١) وابن أبي حاتم.

وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»^(٢).

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «[٣]» «قد أفلح من أسلم ورزق كافاً» وقنعه الله بما آناه»^(٤).

ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩) أي: كما كنت يتيماً فأواك الله فلا تقهر اليتيم؛ أي: لا تذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به.

قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم^(٥).

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (١٠) أي: وكما كنت ضالاً فهداك الله، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد.

قال ابن إسحاق: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (١٠) أي: فلا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فحاشاً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله.

وقال قتادة: يعني: رد المسكين برحمة ولين ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١١) أي: وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي: «واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا».

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، حدثنا سعيد بن [إياس الجريري]^(٦)، عن أبي نضرة قال: كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها^(٧).

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا الجراح بن مليح، عن أبي عبد الرحمن، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ على المنبر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الشيخان من طريق أبي صالح عن أبي هريرة ؓ. (صحيح البخاري، الرقاق، باب غنى النفس ح ٦٤٤٦)؛ وصحيح مسلم، الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض (ح ١٠٥١).

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

(٤) صحيح مسلم، الزكاة، باب في الكفاف والقناعة (ح ١٠٥٤).

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «لا تظلم».

(٦) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل صحف إلى: «المبرري». ولم يذكر: إياس.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»^(١). وإسناده ضعيف.

وفي الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله، قال: «لا ما دعوتكم الله لهم وأثنيتم عليهم»^(٢).

وقال أبو داود: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الربيع بن مسلم، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(٣). ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد، عن ابن المبارك، عن الربيع بن مسلم. وقال: صحيح^(٤).

وقال أبو داود: حدثنا عبد الله بن الجراح، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «من أبلى بلاء فذكره فقد شكره، ومن كتبه فقد كفره»^(٥). تفرد به أبو داود. وقال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا بشر، حدثنا عمارة بن غزية، حدثني رجل من قومي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعطي عطاء فوجد فليجز به، فإن لم يجد فليثن به، فمن أثنى به فقد شكره، ومن كتبه فقد كفره» قال أبو داود: ورواه يحيى بن أيوب، عن عمارة بن غزية، عن شرحبيل، عن جابر، كرهوه فلم يسموه^(٦)، تفرد به أبو داود.

وقال مجاهد: يعني: النبوة^(٧) التي أعطاك ربك، وفي رواية عنه: القرآن.

وقال ليث، عن رجل، عن الحسن بن علي «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١﴾» قال: ما عملت من خير فحدث إخوانك^(٨).

وقال محمد بن إسحاق، ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع إليها، قال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم به عليه من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله، وافترض عليه الصلاة فصلى.

آخر تفسير سورة الضحى.

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند بسنده ومثته. (المسند ٢٨٤/٤) وضعف سنده الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٣٦٠/٢٠، ٣٦١ ح ١٣٠٧٥) وصححه سنده محققوه؛ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد؛ وصححه سنده الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح ١٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود بسنده ومثته. (السنن، الأدب، باب في شكر المعروف ح ٤٨١١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٢٦).

(٤) سنن الترمذي، البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (ح ١٩٥٤).

(٥) أخرجه أبو داود بسنده ومثته. (السنن، الأدب، باب في شكر المعروف ح ٤٨١٤)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٢٩).

(٦) المصدر السابق (ح ٤٨١٣) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٢٨).

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر عن مجاهد.

(٨) سنده ضعيف لإبهام شيخ ليث.

سُورَةُ الشَّرْحِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾ .

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ يعني: أما شرحنا لك صدرك؛ أي: نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً كقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

وقيل: المراد بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ شرح صدره ليلة الإسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة^(١)، وقد أورده الترمذي ههنا، وهذا وإن كان واقعاً ليلة الإسراء كما رواه مالك بن صعصعة^(٢)، ولكن لا منافاة فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدرة ليلة الإسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضاً، فالله أعلم.

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزاز، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن محمد بن أبي بن كعب، حدثني أبو محمد بن معاذ، عن معاذ، عن محمد، عن أبي بن كعب، أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال: يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالساً وقال: «لقد سألت يا أبا هريرة، إني لفي الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو؟ قال: نعم فاستقبلاني بوجه لم أرها قط وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إليّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مساً، فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغلّ والحسد، فأخرج شيئاً كهية العلقة ثم نبذها فطرحتها، فقال له: أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هزّ إبهام رجلي اليمنى فقال: أغد واسلم، فرجعت بها أعدو رقة على الصغير ورحمة للكبير»^(٣).

(١) تقدم في مطلع تفسير سورة الإسراء.

(٢) أي: أورده في سننه، التفسير، باب ومن سورة ألم نشرح (ح٣٣٤٦).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائده على المسند بسنده ومثته (المسند ٣٥/ ١٨٠ - ١٨٢ ح ٢١٢٦١) وضعف سنده محققوه.

[وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾^(١) بمعنى: ﴿لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(٢) [الفتح: ٢] ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾^(٣) الإنقاض الصوت، وقال غير واحد من السلف في قوله: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾^(٤): أي أثقلت حمله^(٥).

وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(٦) قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله^(٧).

وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله^(٨).

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك يقول: كيف رفعت ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذكرت ذكرت معي^(٩)». وكذا رواه ابن أبي حاتم، عن يونس، عن عبد الأعلى به. ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة، عن دراج^(١٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو عمر الحوضي، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي مسألة وددت أني لم أسأله، قلت: قد كان قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من يحيي الموتى، قال: يا محمد ألم أجذك يتيماً فأوتيتك؟ قلت: بلى يا رب، قال: ألم أجذك ضالاً فهديتك؟ قلت: بلى يا رب، قال: ألم أجذك عائلاً فأغنيتك؟ قلت: بلى يا رب، قال ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أرفع لك ذكرك؟ قلت: بلى يا رب^(١١)».

وقال أبو نعيم في دلائل النبوة: حدثنا أبو أحمد الغطريفي، حدثنا موسى بن سهل الجويني، حدثنا أحمد بن القاسم بن بهزان الهيتي: حدثنا نصر بن حماد، عن عثمان بن عطاء، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السموات والأرض قلت: يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته جعلت إبراهيم خليلاً وموسى كليماً، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي؟ قال: أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله؟ أني لا أذكر إلا ذكرت معي وجعلت صدور أمتك [أناجيل]^(١٢) يقرؤون القرآن ظاهراً ولم أعطاها أمة، وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١٣)».

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٢) أخرجه الإمام الشافعي عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (الرسالة ص ١٦)، وأخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق ابن عيينة به، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٥) سنده كسابقه.

(٦) أخرجه الحاكم من طريق حماد بن زيد به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٢٦/٢) وفي سنده عطاء بن السائب وقد اختلط وقد أشار الهيثمي إلى ذلك. (مجمع الزوائد ٢٥٧/٨).

(٧) في الأصل بياض، واستدرک من نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي.

(٨) سنده ضعيف لضعف عثمان بن عطاء وهو الخراساني.

وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان يعني ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت:

أغرُّ عليه للنبوة خاتم من الله نور يلوح ويشهد
وضمَّ الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشقَّ له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد^(١)
وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمرُوا أممهم بالإيمان به، ثم شهد ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه، وما أحسن ما قال الصرصري رحمته الله:

لا يصح الأذان في الفرض إلا باسمه العذب في الفم المرضي
وقال أيضاً:

[ألم تر أننا لا يصح أذاننا ولا فرضنا إن لم نكرره فيهما]^(٢)
وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا حميد بن حماد بن أبي خوار أبو الجهم، حدثنا عائذ بن شريح قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كان النبي ﷺ جالساً وحياله حجر، فقال: «لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه» فأنزل الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾^(٣). ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر، عن حميد بن حماد ولفظه: «لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرجه» ثم قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ ثم قال البزار: لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح^(٤).

قلت: وقد قال فيه أبو حاتم الرازي: في حديثه ضعف، ولكن رواه شعبة، عن معاوية بن قرة، عن رجل، عن عبد الله بن مسعود موقوفاً^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا أبو قطن، حدثنا المبارك بن

(١) ذكر البغوي هذه الآيات الشعرية، وذكر القول الذي قبله عن مجاهد دون ذكر ابن عباس. (معالم التنزيل ٥٠٢/٤) وهذه الآيات في ديوان حسان رحمته الله ص ٤٧.

(٢) زيادة من (ح) و(حم).

(٣) سنده ضعيف لضعف عائذ بن شريح. (لسان الميزان ٢٢٦/٣)؛ وأخرجه الحاكم من طريق حميد بن حماد به؛ وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: تفرد به حميد بن حماد عن عائذ، وحميد منكر الحديث كعائذ. (المستدرک ٢٥٥/٢).

(٤) أخرجه البزار بسنده ومثته، وضعفه الحافظ ابن حجر. (مختصر زوائد مسند البزار ١١٩/٢ ح ١٥٣٤).

(٥) أخرجه الطبري من طريق شعبة به، وسنده ضعيف لإيهام الراوي عن ابن مسعود؛ وأخرجه عبد الرزاق من طريق إبراهيم النخعي عن ابن مسعود، وإبراهيم لم يسمع من ابن مسعود. ومعناه صحيح، ويشهد له ما يليه.

فضالة، عن الحسن قال: كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، قال: خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك وهو يقول: «لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾»^(٢). وكذا رواه من حديث عوف الأعرابي ويونس بن عبيد، عن الحسن مرسلًا.

وقال سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال: «لن يغلب عسر يسرين»^(٣). ومعنى هذا أن العسر معرّف في الحالتين فهو مفرد واليسر منكر، فتعدد ولهذا قال: «لن يغلب عسر يسرين» يعني قوله: «﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾»^(٤) فالعسر الأول عین الثاني واليسر تعدد.

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا يزيد بن صالح، حدثنا خارجة، عن عباد بن كثير، عن أبي الزناد، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نزلت المعونة من السماء على قدر المؤونة، ونزل الصبر على قدر المصيبة»^(٥).

ومما يروى عن الشافعي أنه قال:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا من راقب الله في الأمور نجاً
من صدق الله لم ينله أذى ومن رجاه يكون حيث رجا^(٥)
وقال ابن دُرَيْد: أنشدني أبو حاتم السجستاني:

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفرج القريب
وقال آخر:

ولربّ نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فُرجت وكان يظنها لا تفرج
وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ﴿٧﴾ وَلِإِنَّ رَبَّكَ فَارَغَبٌ ﴿٨﴾ أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطاً فارغ البال وأخلص لربك النية

(١) سنده حسن.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٤) أخرجه ابن عدي من طريق عباد بن كثير به (الكامل ٤/ ١١٥) وسنده ضعيف لضعف عباد بن كثير قال ابن أبي حاتم عن أبي زرعة ليس بالقوي. (العلل ٢/ ١٣٣)؛ وضعفه الحافظ ابن حجر. (التقريب ص ٢٩٠).

(٥) ذكر البيهقي هذين البيتين. (مناقب الشافعي ٢/ ٣٦٢).

والرغبة، ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته: «لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان»^(١)، وقوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدأوا بالعشاء»^(٢).

قال مجاهد في هذه الآية: إذا فرغت من أمر الدنيا فقمتم إلى الصلاة فانصب لربك^(٣)، وفي رواية عنه: إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك، وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل^(٤)، وعن ابن عباس نحوه، وفي رواية عن ابن مسعود: ﴿فَانْصَبْ وَلِلَّكَ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: فإذا فرغت فانصب، يعني: في الدعاء^(٥). وقال زيد بن أسلم والضحاك: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ أي: من الجهاد ﴿فَانْصَبْ﴾ أي: في العبادة^(٦). ﴿وَلِلَّكَ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

وقال الثوري: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله ﷻ^(٧). آخر تفسير سورة ﴿الَّذِي نَشْرَحُ﴾، والله الحمد والمنة.

-
- (١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها. (الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال ح ٥٦٠).
- (٢) أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها. (صحيح البخاري، الأطعمة، باب إذا حضر العشاء فلا يعجل عن عشاءه ح ٥٤٦٥) والمصدر السابق (ح ٥٥٧).
- (٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
- (٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود.
- (٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
- (٦) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
- (٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق وكيع عن سفيان، ويرويه سفيان عن منصور عن مجاهد. وسنده صحيح.

سُورَةُ الزَّيْتُونِ وَاللَّيْنِ

وهي مكية

قال مالك وشعبة: عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب: كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين باليتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه^(١)، أخرجه الجماعة في كتبهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِاللَّيْنِ ⑦ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ⑧ ﴿

اختلف المفسرون ههنا على أقوال كثيرة:

ف قيل: المراد باليتين مسجد دمشق^(٢)، وقيل: هي نفسها، وقيل: الجبل الذي عندها^(٣).

وقال القرظي: هو مسجد أصحاب الكهف^(٤).

وروى العوفي، عن ابن عباس: أنه مسجد نوح الذي على الجودي^(٥).

وقال مجاهد: هو تينكم هذا^(٦).

﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ قال كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم: هو مسجد بيت المقدس^(٧).

وقال مجاهد وعكرمة: هو هذا الزيتون الذي تعصرون^(٨).

(١) أخرجه مالك من طريق عدي به بلفظه: «صليت مع رسول الله ﷺ العشاء فقرأ فيها باليتين والزيتون». (الموطأ، الصلاة، باب القراءة في المغرب والعشاء ح ٢٧)؛ وأخرجه الشيخان من طريق شعبة به. (صحيح البخاري، الأذان، باب الجهر في العشاء ح ٧٦٧)؛ وصحيح مسلم، الصلاة، باب القراءة في العشاء (ح ٤٦٤).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد، وهذا قول غريب.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وهو غريب أيضاً.

(٤) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب وهو غريب أيضاً.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، وهو غريب أيضاً.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق خُصيف عن مجاهد، ويتقوى بما أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع أنه التين الذي يؤكل.

(٧) أخرجه الطبري بأسانيد صحيحة عن قتادة وابن زيد كما تقدم، وهو غريب.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي رجاء عن عكرمة.

﴿وَأُورِ سَيْنِينَ﴾ قال كعب الأحبار وغير واحد: هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﷺ^(١).
 ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يعني: مكة. قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم
 النخعي وابن زيد وكعب الأحبار^(٢). ولا خلاف في ذلك، وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة
 بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلأً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار:
 فالأول: محلة التين والزيتون وهي: بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم ﷺ.

والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران.

والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ،
 قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه
 موسى بن عمران - وأشرق من ساعير - يعني: جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن
 من جبال فاران يعني: جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب
 الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم بالأشرف منهما.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خلق
 الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القائمة سوي الأعضاء حسنها ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ﴾
 ﴿٥﴾ أي: إلى النار. قاله مجاهد وأبو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم^(٣)، ثم بعد هذا الحسن
 والنضارة مصيرهم إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل لهذا قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
 وقال بعضهم: ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ﴾ أي: إلى أرذل العمر، وروي هذا عن ابن عباس
 وعكرمة^(٤)، حتى قال عكرمة: من جمع القرآن لم يُرد إلى أرذل العمر، واختار ذلك ابن جرير،
 ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما
 المراد ما ذكرناه كقوله: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾ [العصر].

(١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق يزيد أبي عبد الله عن كعب: بلفظ: «جبل موسى لله. ويزيد هو الفارسي
 البصري». (ينظر: تهذيب التهذيب ١٦٦/٨).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ومعناه صحيح ويشهد له ما يليه من الآثار،
 فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من
 طريق ابن أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف - وهو الأعرابي - عن
 الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق حماد عن إبراهيم النخعي؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح
 من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛
 وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق يزيد أبي عبد الله - وهو الفارسي - عن كعب الأحبار.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق
 الربيع بن أنس عن أبي العالية؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن؛ وأخرجه
 الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عكرمة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي
 رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق حماد عن إبراهيم النخعي؛ وأخرجه عبد الرزاق
 بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

وقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع كما تقدم^(١).

ثم قال: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ أي: يا ابن آدم ﴿بَعْدَ الْإِلَهِينَ﴾ أي: بالجزاء في المعاد، ولقد علمت البداءة وعرفت أن من قدر على البداءة فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأى شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن منصور قال: قلت لمجاهد: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْإِلَهِينَ﴾ (٧) عنى به النبي ﷺ قال: معاذ الله، عنى به الإنسان^(٢). وهكذا قال عكرمة وغيره.

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لَلْحَكِيمِينَ﴾ (٨) أي: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً؟ ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه. وقد قدمنا في حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إذا قرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى على آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لَلْحَكِيمِينَ﴾ (٨) فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»^(٣)..

آخر تفسير سورة التين والزيتون، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «غير منقوص».

(٢) أخرجه الطبري من طريق عبد الرحمن بن مهدي به، وسنده صحيح.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير آخر سورة القيامة.

سُورَةُ الْاِنشَاءِ (أَقْرَأْ)

- وهي أول شيء نزل من القرآن -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فاجأه الوحي وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال اقرأ: قال رسول الله ﷺ: «فقلت: ما أنا بقارئ»، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: «يا خديجة ما لي؟» وأخبرها الخبر وقال: «قد خشيت على نفسي».

فقلت له: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث وتحمل الكلّ وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي - وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها -، وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت خديجة: أي ابن عمّ أسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟» فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا، حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدي له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن بذلك جأشه وتقرّ نفسه فيرجع، فإذا طالت

عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك^(١). وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري^(٢)، وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتمنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى، فمن أرادته فهو هناك محرر والله الحمد والمنة. فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهنَّ أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقه، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البشرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٢) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٣) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٤). وفي الأثر: قيدوا العلم بالكتابة^(٣). وفيه أيضاً: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم^(٤).

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٌ﴾ (١) أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى (٢) إِنَّ إِلَهَ لِرَبِّكَ الرَّحْمَنُ (٣) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٤) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (٥) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (٦) أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى (٧) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٨) أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ (٩) كُلَّ شَيْءٍ (١٠) كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ (١١) نَاصِيحَتُهُ بِالْإِنصَادِ (١٢) فَلْيَنْصَحْ خَاطِبُهُ (١٣) سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ (١٤) كَلَّا لَا نُطِيعُكَ وَأَسْجُدُ وَاقْتَرِبُ (١٥).

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله، ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال: ﴿إِنَّ إِلَهَ لِرَبِّكَ الرَّحْمَنُ﴾ (٨) أي: إلى الله المصير والمرجع وسيحاسبك على مالك من أين جمعته؟ وفيه صرفته؟.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو عُميس، عن عون قال: قال عبد الله: منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان. قال: ثم قرأ عبد الله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٌ﴾ (١) وقال للآخر: ﴿إِنَّمَا يَخْتَشَى اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]^(٥). وقد روي هذا مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا»^(٦).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتمنه. (المسند ٦/٢٣٢)، وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، بدء الوحي، باب ٣ (ح ٣)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (ح ١٦٠).

(٣) أخرجه الحاكم من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصححه ووافقه الذهبي وزاد: وصحَّ مثله عن أنس. (المستدرک ١/١٠٦) وقول أنس أخرجه الخطيب البغدادي (تقييد العلم ص ٧٠)؛ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ٢٠٢٦).

(٤) أخرجه أبو نعيم (حلية الأولياء ١٥/١٠) وقال الألباني: موضوع. (السلسلة الضعيفة ح ٤٢٢).

(٥) سنده ضعيف لأن عوناً لم يسمع من ابن مسعود. (جامع التحصيل ص ٣٠٥).

(٦) أخرجه الحاكم من حديث أنس رضي الله عنه وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/٩٢).

ثم قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ١٠﴾ نزلت في أبي جهل لعنه الله، توعده النبي ﷺ على الصلاة عند البيت فوعظه تعالى بالنبي هي أحسن أولاً فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَذْكَاءِ ١١﴾ (١) أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله ﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى ١٢﴾ وأنت تزجره وتتوعده على صلاته، ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ١٣﴾؟ أي: أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجزيه على فعله أتم الجزاء؟

ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ ١٤﴾ أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿لَسَنَفَعًا ١٥﴾ أي: لنسمنها (٢) سواداً يوم القيامة ثم قال: ﴿نَاصِيَةٌ ١٦﴾ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٧﴾ يعني: ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٨﴾ أي: قومه وعشيرته؛ أي: ليدعهم يستنصر بهم ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ١٩﴾ وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه؟

قال البخاري: حدثنا يحيى، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ فقال: «لئن فعل لأخذته الملائكة» ثم قال: تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله يعني: ابن عمرو عن عبد الكريم (٣). وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به (٤). وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب، عن زكريا بن عدي، عن عبيد الله بن عمرو به. وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا؟ وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٨﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ١٩﴾ وقال ابن عباس: لو دعا نادية لأخذته ملائكة العذاب من ساعته. وقال الترمذي: حسن صحيح (٥).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو يزيد، حدثنا فرات عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل لئن رأيت رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال: فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مალأ ولا أهلاً» (٦).

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٢) أي: لنختمن على نواصي رؤوسهم سواداً.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتمنه وتعليقه. (الصحيح، التفسير، باب ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ ١٤﴾ [العلق] (ح ٤٩٥٨).

(٤) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] (ح ٣٣٤٥)؛ والسنن الكبرى، التفسير، سورة العلق (ح ١١٦٨٥)، وسنده صحيح.

(٥) المسند ٣٢٩/١؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَقْرَأْ...﴾ (ح ٣٣٤٦)؛ والسنن الكبرى، التفسير، سورة العلق (ح ١١٦٨٤)؛ وتفسير الطبري، وسنده حسن؛ وصححه أحمد شاكر. (المسند ح ٣٠٤٥)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٦٨).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتمنه، وصححه محققوه. (المسند ٩٨/٤، ٩٩ ح ٢٢٢٥).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، أخبرنا يونس بن أبي إسحاق، عن الوليد بن العيزار، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝﴾ حتى بلغ هذه الآية ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِفَةٍ ۝﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٧﴾ سَدَّعُ الزَّيَّاتِ ﴿٨﴾ فجاء النبي ﷺ فصلى، فقيل: ما يمنعك؟ قال: قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب، قال ابن عباس: والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر عن أبيه، حدثنا نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال: فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليظاً على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة قال: فقال رسول الله: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» قال: وأنزل الله لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۝﴾ إلى آخر السورة^(٢). وقد رواه أحمد بن حنبل ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم من حديث معتمر بن سليمان به^(٣).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ﴾ يعني: يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصل حيث شئت، ولا تباله فإن الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ كما ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن عمارة بن غزية، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»^(٤) وتقدم أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يسجد في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق] و﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٥).

[آخر تفسيرها]^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف. وقول ابن عباس الأخير يشهد له سابقه ولا حقه.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٣) المسند ٣٧٠/٢؛ وصحيح مسلم، صفات المنافقين، باب قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۝﴾ أن رَأَاهُ اسْتَفْقَى ﴿٧﴾ [العلق] (ح ٢٧٩٧)؛ والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، سورة العلق (ح ١١٦٨٣).

(٤) أخرجه مسلم بسنده ومثته (الصحيح، الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ح ٤٨٢).

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الانشقاق.

(٦) زياد من (ح) و(حم).

سُورَةُ الْقَدْرِ

[وهي^(١) مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ۚ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝ ﴾

يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكََةٍ ﴾ [الدخان: ٣] وهي ليلة القدر، وهي من شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ^(٢).

ثم قال تعالى مُعْظَمًا لِّشَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها، فقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ ﴾.

قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا القاسم بن الفضل الحُدَّاني، عن يوسف بن سعد قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال: سَوَّدَتْ وَجوهَ الْمُؤْمِنِينَ - أو: يا مسود وجوه المؤمنين - فقال: لا تؤنِّبني، رحمك الله؛ فإن النبي ﷺ أُرِيَ بني أمية على منبره، فسأه ذلك، فنزلت: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ ﴾ [الكوثر] يا محمد؛ يعني: نهراً في الجنة، ونزلت: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ ﴾ يملكها بعدك بنو أمية يا محمد. قال القاسم: فعددتنا فإذا هي ألف شهر، لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً.

ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدي. قال: وشيخه يوسف بن سعد - ويقال: يوسف بن مازن - رجل مجهول، ولا نعرف هذا الحديث، على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه^(٣).

وقد روى هذا الحديث الحاكم في مستدركه من طريق القاسم بن الفضل، عن يوسف بن

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء ١٠٦.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومنتنه وتعليقه (السنن، التفسير، باب ومن سورة القدر ح ٣٣٥٠)؛ وضعفه الترمذي والمزي والحافظ كما سيأتي؛ وضعفه الألباني سنداً ومتناً وقال: ضعيف الإسناد مضطرب ومنتنه منكر (ضعيف سنن الترمذي ح ٣٦٣).

مازن، به^(١). وقول الترمذي: إن يوسف هذا مجهول - فيه نظر؛ فإنه قد روى عنه جماعة، منهم: حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد. وقال فيه يحيى بن معين: هو مشهور، وفي رواية عن ابن معين قال: هو ثقة. ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل، عن عيسى بن مازن، كذا قال، وهذا يقتضي اضطراباً في هذا الحديث، والله أعلم. ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر.

قلت: وقول القاسم بن الفضل الحُدّاني: إنه حسب مُدّة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص، ليس بصحيح؛ فإنّ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، استقلّ بالملك حين سلّم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين، واجتمعت البيعة لمعاوية، وسُمي ذلك عام الجماعة، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريباً من تسع سنين، لكن لم تُزل يدهم عن الإمرة بالكلية، بل عن بعض البلاد، إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة، وذلك أزيد من ألف شهر، فإنّ الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكأنّ القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير، وعلى هذا فتقارب ما قاله للصحة في الحساب، والله أعلم.

ومما يدلّ على ضعف هذا الحديث أنّه سيقّ لدم دولة بني أمية، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق؛ فإنّ تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدلّ على دَم أيامهم، فإنّ ليلة القدر شريفة جداً، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر، فكيف تُمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة، بمقتضى هذا الحديث، وهل هذا إلا كما قال القائل:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرَهُ إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا؟
وقال آخر:

إِذَا أَنْتَ فَضَّلْتَ امراً ذَا بَرَاةٍ عَلَى نَاقِصٍ كَانَ الْمَدِيحُ مِنَ النَّقْصِ

ثم من الذي يفهم من الآية أن الألف الشهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية، والسورة مكية، فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية، ولا يدلّ عليها لفظ الآية ولا معناها؟! والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة، فهذا كله مما يدلّ على ضعف هذا الحديث ونكارتة، والله أعلم^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا مسلم؛ يعني: ابن خالد، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، قال: فَعَجِبَ المسلمون من ذلك، قال: فأنزل الله ﻋَلَيْهِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ

(١) أخرجه الحاكم من طريق القاسم بن الفضل به وصححه ووافقه الذهبي ثم قال: وما أدري آفته من أين؟ (المستدرک ٣/ ١٧٠، ١٧١).

(٢) وقد أكد الحافظ ابن كثير على تضعيف الحديث بتفصيل أيضاً في البداية والنهاية (٦/ ٣٤٣، ٣٤٤).

الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حَكَّام بن سَلَم، عن المثنى بن الصباح، عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ﴿٤﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا يونس، أخبرنا ابن وهب، حدثني مسلمة بن عُليّ، عن علي بن عروة قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً أربعة من بني إسرائيل، عبدوا الله ثمانين عاماً، لم يَعْصُوهُ طرفه عين: فذكر أيوب، وزكريا، وحزقيل بن العجوز، ويوشع بن نون - قال: فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك، فأتاه جبريل فقال: يا محمد، عَجِبْتُ أَمَتَكَ من عبادة هؤلاء نفر ثمانين سنة، لم يَعْصُوهُ طرفه عين؛ فقد أنزل الله خيراً من ذلك. فقرأ عليه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك. قال: فَسَّرَ بِذَلِكَ رسول الله ﷺ والناس معه^(٣).

وقال سفيان الثوري: بَلَّغْنِي عن مجاهد: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خير من ألف شهر. قال: عَمَلُهَا، صِيَامُهَا وقيامها خير من ألف شهر. رواه ابن جرير^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَةَ، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر - ليس في تلك الشهور ليلة القدر -^(٥). وهكذا قال قتادة بن دعامة، والشافعي، وغير واحد.

وقال عمرو بن قيس الملائي: عمل فيها خير من عمل ألف شهر^(٦).

وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر - وليس فيها ليلة القدر - هو اختيار ابن جرير. وهو الصواب لا ما عده، وهو كقوله ﷺ: «رِبَاطُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ فِي مَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ». رواه أحمد^(٧). وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة، ونية صالحة: «أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقيامها»^(٨) إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك.

(١) أخرجه الواحدي مرسلأً أيضاً (أسباب النزول ص ٤٩٥) وسنده ضعيف بسبب إرساله.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتمه، وسنده ضعيف لأنه مرسل.

(٣) سنده ضعيف جداً وهو معضل لأن علي بن عروة متروك من (التقريب ص ٤٠٣).

(٤) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف لإبهام شيخ الثوري، ومعناه صحيح.

(٥) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ومعناه صحيح.

(٧) أخرجه الإمام أحمد من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحسن سنده محققه بالمتابعات (المسند ١/ ٤٩٥ ح ٤٤٢).

(٨) أخرجه أبو داود من حديث أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه. (السنن، الطهارة، باب الغسل يوم الجمعة ح ٣٤٥)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٣٣)؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ١/ ٢٨١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي هريرة قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهر رمضان، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِمَ خَيْرَهَا فقد حُرِمَ»^(١).
ورواه النسائي، من حديث أيوب، به^(٢).

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر، ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذنبه»^(٣).
وقوله: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: يكثر نَزْلُ الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له.
وأما الروح فقليل: المراد به ههنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام.
وقيل: هم ضرب من الملائكة. كما تقدم في سورة «النبأ». والله أعلم.
وقوله: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال مجاهد: سلام هي من كل أمر^(٤).

وقال سعيد بن منصور: حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا الأعمش، عن مجاهد في قوله: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ قال: هي سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى^(٥).
وقال قتادة وغيره: تقضى فيها الأمور، وتقدر الآجال والأرزاق، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٦) [الدخان].

وقوله: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قال سعيد بن منصور: حدثنا هُشَيْمٌ، عن أبي إسحاق، عن الشعبي في قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ^(٧) قال: تسليم والملائكة ليلة القدر على أهل المساجد، حتى يطلع الفجر^(٨).
وروى ابن جرير، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «من كل امرئ. سلام هي حتى مطلع الفجر»^(٩).

وروى البيهقي في كتابه «فضائل الأوقات» عن عليٍّ أثراً غريباً في نزول الملائكة، ومرورهم على المصلين ليلة القدر، وحصول البركة للمصلين^(٩).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سننه محققوه. (المسند ٥٩/١٢ ح ٧١٤٨).

(٢) سنن النسائي، الصيام، باب ذكر الاختلاف على معمر فيه ١٢٩/٤.

(٣) صحيح البخاري، الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً (ح ١٩٠١)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، الترغيب في قيام رمضان (ح ٧٦٠).

(٤) أخرجه الطبري من طريق جابر عن مجاهد، وسنده ضعيف لضعف جابر وهو الجعفي.

(٥) سننه صحيح.

(٦) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٧) سننه صحيح.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ضعيف جداً من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والقراءة شاذة تفسيرية.

(٩) أخرجه البيهقي بسند ضعيف جداً فيه سيف بن عمر. (فضائل الأوقات ص ٢٥٣ رقم ١١٠).

وروى ابن أبي حاتم، عن كعب الأحبار أثراً غريباً عجيباً مطولاً جداً، في تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل ﷺ، إلى الأرض، ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات^(١).

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عمران - يعني: القطان - عن قتادة، عن أبي ميمونة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «إنها ليلة سابعة - أو: تاسعة - وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى»^(٢).

وقال الأعمش، عن المنهال، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله: «مِن كُلِّ أَمْرِ سَلَامٌ» قال: لا يحدث فيها أمر^(٣).

وقال قتادة وابن زيد في قوله: «سَلَامٌ هِيَ» يعني: هي خير كلها، ليس فيها شر إلى مطلع الفجر^(٤). ويؤيد هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد: حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا بَقِيَّةٌ، حدثني بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر في العشر البواقي، من قامهن ابتغاء حِسْبَتِهِنَّ، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهي ليلة وتر: تسع أو سبع، أو خامسة، أو ثالثة، أو آخر ليلة». وقال رسول الله ﷺ: «إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بَلُجَّةٍ، كأن فيها قمراً ساطعاً، ساكنة سجيّة، لا برد فيها ولا حر، ولا يحل لكوكب يُرْمَى به فيها حتى تصبح. وأن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية، ليس فيها شعاع مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذٍ»^(٥).

وهذا إسناد حسن، وفي المتن غرابة، وفي بعض ألفاظه نكارة.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا زَمْعَةُ، عن سلمة بن وهرام، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «ليلة سمحة طلقة، لا حارة ولا باردة، وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء»^(٦).

وروى ابن أبي عاصم النبيل بإسناده عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «إني رأيت ليلة القدر فأنسيتها، وهي في العشر الأواخر من لياليها؛ ليلة طلقة بلجة، لا حارة ولا باردة،

(١) ساقه الحافظ ابن كثير في ختام السورة نفسها.

(٢) أخرجه الطيالسي بسنده ومثله (المسند ص ٢٣٢ رقم ٢٥٤٥) وفي سنده عمران وهو ابن داود صدوق يهم (التقريب ص ٤٢٩).

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبد الحميد الحمانى عن الأعمش به.

(٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وقال محققوه: الشطر الأول من الحديث حسن وأما الشطر الثاني فمحتمل للتحسين لشواهد. (المسند ٣٧/٤٢٥ ح ٢٢٧٦٥). لكن في بعض ألفاظه نكارة كما قرر الحافظ ابن كثير.

(٦) أخرجه الطيالسي بسنده ومثله (المسند ص ٣٤٩ ح ٢٦٨٠)، وسنده ضعيف لضعف زمعة وهو ابن صالح الجندي. (التقريب ص ٢١٧). وأخرجه ابن خزيمة من طريق زمعة به؛ وصححه الألباني لشواهد (الصحيح ح ٢١٩٢).

كأن فيها قمراً، لا يخرج شيطانها حتى [يضيء فجرها] ^(١) ^(٢).

[فصل]

اختلف العلماء: هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة، أو هي من خصائص هذه الأمة؟ على قولين:

قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري: حدثنا مالك؛ أنه بلغه: أن رسول الله ﷺ أرى أعمار الناس قبله - أو: ما شاء الله من ذلك - فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر ^(٣). وقد أسند من وجه آخر. وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر، وقد نقله صاحب «العدة» أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء، فالله أعلم.

وحكى الخطابي عليه الإجماع [ونقله الرافعي جازماً به عن المذهب] ^(٤)، والذي دلّ عليه الحديث أنها كانت في الأمم الماضية كما هي في أمتنا.

قال أحمد بن حنبل: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عكرمة بن عمار: حدثني أبو زُمَيْل سِمَاك الْحَنْفِيُّ: حدثني مالك بن مَرْثَد بن عبد الله، حدثني [مَرْثَد] ^(٥) قال: سألت أبا ذرٍّ قلت: كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر؟ قال: أنا كنت أسأل الناس عنها، قلت: يا رسول الله، أخبرني عن ليلة القدر، أفي رمضان هي أو في غيره؟ قال: «بل هي في رمضان». قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبضوا رفعت؟ أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: «بل هي إلى يوم القيامة». قلت: في أي رمضان هي؟ قال: «التمسوها في العشر الأول، والعشر الأوسط». ثم حَدَّث رسول الله ﷺ وَحَدَّث، ثم اهتبلت غفلته قلت: في أي العشرين هي؟ قال: «ابتغوها في العشر الأوسط»، لا تسألني عن شيء بعدها». ثم حَدَّث رسول الله ﷺ، ثم اهتبلت غفلته فقلت: يا رسول الله، أقسمت عليك بحقي عليك لَمَّا أخبرتني في أي العشر هي؟ فغضب عليّ غضباً لم يغضب مثله منذ صحبتته، وقال: «التمسوها في السبع الأوسط، لا تسألني عن شيء بعدها» ^(٦).

ورواه النسائي عن الفلاس، عن يحيى بن سعيد القطان، به ^(٧).

ففيه دلالة على ما ذكرناه، وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة [بعد النبي ﷺ] ^(٨)، لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية، على ما فهموه من الحديث الذي سنورده

(١) هكذا في (ح)، وفي الأصل صحت إلى: «قضى بحرهما».

(٢) أخرجه ابن خزيمة من طريق أبي الزبير عن جابر؛ وصححه الألباني بشواهد (الصحيح ح ٢١٩٠).

(٣) أخرجه الإمام مالك بلاغاً (الموطأ، الاعتكاف، باب ما جاء في ليلة القدر ح ١٥) وسنده ضعيف.

(٤) زيادة من (ح).

(٥) كذا في المسند، وفي الأصل صحف إلى: «يزيد».

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وضعف سنده محققوه. (المسند ٣٦/٣٩٣، ٣٩٤ ح ٢١٤٩٩).

(٧) السنن الكبرى، الاعتكاف، باب ليلة القدر (ح ٣٤٢٧) وسنده كسابقه.

(٨) زيادة من (ح) و(حم).

بعدُ من قوله ﷺ: «فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم»؛ لأن المراد رفعُ عِلْمٍ وقتها عيناً. وفيه دلالة على أنها ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور، لا كما رُوي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة، من أنها توجد في جميع السنة، وترجى في جميع الشهور على السواء.

وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال: «باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان»: حدثنا حُمَيْد بن زَنْجُوِيه النسائي، أخبرنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، حدثني موسى بن عقبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبيرة، عن عبد الله بن عمر قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر، فقال: «هي في كل رمضان»^(١).

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال: رواه شعبة وسفيان، عن أبي إسحاق فأوقفاه. وقد حكى عن أبي حنيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواية أنها ترجى في جميع شهر رمضان. وهو وجه حكاه الغزالي، واستغربه الرافعي جداً.

[فصل]

ثم قد قيل: إنها في أول ليلة من شهر رمضان، يحكى هذا عن أبي رَزِين. وقيل: إنها تقع ليلة سبع عشرة. وروى فيه أبو داود حديثاً مرفوعاً عن ابن مسعود. وروي موقوفاً عليه^(٢)، وعلى زيد بن أرقم^(٣)، وعثمان بن أبي العاص، وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعي، ويحكى عن الحسن البصري. ووجهه بأنها ليلة بدر، وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر، وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَوْمَ أَلْفُرْقَانٍ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقيل: ليلة تسع عشرة، يُحكى عن علي وابن مسعود أيضاً ﷺ.

وقيل: ليلة إحدى وعشرين؛ لحديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك. فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: [إن]^(٤) الذي تطلب أمامك. ثم قام النبي ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان، فقال: «من كان اعتكف معي فليرجع، فإني رأيت ليلة القدر، وإني أنسيتها، وإنها في العشر الأواخر في وِثْر، وإني رأيت كأنني أسجد في طين وماء». وكان سقف المسجد جريداً من النخل، وما نرى في السماء شيئاً، فجاءت قَرَعَةٌ فَمُطَرْنَا، فصلى بنا النبي ﷺ

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله ونحو تعليقه (السنن، الصلاة، باب من قال هي في كل رمضان ح ١٣٨٧) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٢٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، باب من روى أنها ليلة سبع عشرة ح ١٣٨٤)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٢٩٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٧٦/٣)؛ والطبراني (المعجم الكبير ١٩٨/٥ ح ٥٠٧٩) من طريق حوط عن زيد بن أرقم، وحوط: قال البخاري حديثه منكر. (ينظر مجمع الزوائد ١٨١/٣).

(٤) زيادة من (ح) و(حم).

حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه^(١). وفي لفظ: «في صبح إحدى وعشرين» أخرجاه في الصحيحين.

قال الشافعي: وهذا الحديث أصح الروايات.

وقيل: ليلة ثلاث وعشرين؛ لحديث عبد الله بن أنيس في «صحيح مسلم»^(٢) وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد، فالله أعلم.

وقيل: ليلة أربع وعشرين، قال أبو داود الطيالسي: حدثنا حماد بن سلمة، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين»^(٣). إسناده رجاله ثقات.

وقال أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن الصنابحي، عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين»^(٤).

ابن لهيعة ضعيف. وقد خالفه ما رواه البخاري عن أصبغ، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن أبي عبد الله الصنابحي قال: قال أخبرني بلال - مؤذن رسول الله ﷺ - أنها أول السبع من العشر الأواخر^(٥)، فهذا الموقوف أصح، والله أعلم. وهكذا روي عن ابن مسعود، وابن عباس، وجابر، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن وهب: أنها ليلة أربع وعشرين. وقد تقدم في سورة «البقرة» حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً: «إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين»^(٦).

وقيل: تكون ليلة خمس وعشرين: لما رواه البخاري، عن عبد الله بن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى»^(٧). فسره كثيرون بليالي الأوتار، وهو أظهر وأشهر. وحمله آخرون على الإشفاع كما رواه مسلم، عن أبي سعيد^(٨)، أنه حملة على ذلك. والله أعلم.

وقيل: إنها تكون ليلة سبع وعشرين؛ لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب، عن

(١) صحيح البخاري، الأذان، باب السجود على الأنف والسجود على الطين (ح ٨١٣)؛ وصحيح مسلم، الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح ١١٦٧).

(٢) المصدر السابق (ح ١١٦٨).

(٣) أخرجه الطيالسي بسنده ومثته (المسند ص ٢٨٨ ح ٢١٦٧) وكما قال الحافظ ابن كثير: رجاله ثقات، ولكن حماد بن سلمة تردد فيه فقد أخرج الطيالسي عن حماد بن سلمة عن حميد عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً بلفظ: «التمسوها لسبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث بقين». (المسند ص ٢٨٨ ح ٢١٦٦). ومن الجدير بالذكر أن حماد بن سلمة ساء حفظه لما كبر. (ينظر تهذيب التهذيب ٦/٤، ٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وضعف سنده محققوه. (المسند ٣٩/٣٢٣ ح ٢٣٨٩٠).

(٥) أخرجه البخاري بسنده ومثته وأطول (الصحيح، المغازي، باب ٨٨ ح ٤٤٧٠).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٨٥.

(٧) صحيح البخاري، فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر. (ح ٢٠٢١).

(٨) صحيح مسلم، الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح ١١٦٧).

رسول الله ﷺ: «إنها ليلة سبع وعشرين»^(١).

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان: سمعت عبدة وعاصماً، عن زُرٍّ: سألت أبي بن كعب قلت: أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول: من يُقِمَّ الحَوْلَ يُصَبِّ ليلة القدر. قال: يرحمه الله، لقد علم أنها في شهر رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين. ثم حلف. قلت: وكيف تعلمون ذلك؟ قال: بالعلامة - أو: بالآية - التي أخبرنا بها، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها، أعني الشمس^(٢).

وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعي، عن عبدة، عن زُرٍّ، عن أبي، فذكره، وفيه: فقال: والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي رمضان - يحلف بما يستثني - والله إني لأعلم؛ أي: ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها^(٣).

وفي الباب عن معاوية، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم، عن رسول الله ﷺ: أنها ليلة سبع وعشرين. وهو قول طائفة من السلف، وهو الجادة من مذهب أحمد بن حنبل رَحِمَهُمُ اللهُ، وهو رواية عن أبي حنيفة أيضاً. وقد حُكِيَ عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن، من قوله: ﴿هِيَ﴾ لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة^(٤)، والله أعلم.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَرٌ، عن قتادة وعاصم: أنهما سمعا عكرمة يقول: قال ابن عباس: دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ: فسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر. قال ابن عباس: فقلت لعمر: إني لأعلم - أو: إني لأظن - أي ليلة القدر هي؟ فقال عمر: أي ليلة هي؟ فقلت: سابعة تمضي - أو: سابعة تبقى - من العشر الأواخر. فقال عمر: ومن أين علمت ذلك؟ قال ابن عباس: فقلت: خلق الله سبع سموات، وسبع أرضين، وسبعة أيام، وإن الشهر يدور على سبع، وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع... لأشياء ذكرها. فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنا له. وكان قتادة يزيد، عن ابن عباس في قوله: ويأكل من سبع، قال: هو قول الله تعالى: ﴿فَأَبْتَلْنَا فِيهَا جَبًا ۖ وَغَبًا ۖ وَقَضَبًا﴾^(٥) [عبس].

وهذا إسناده جيد قوي، ومتن غريب جداً، والله أعلم.

وقيل: إنها تكون في ليلة تسع وعشرين. قال أحمد بن حنبل: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل، عن عُمَرَ بن عبد الرحمن، عن عبادة بن الصامت: أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، فقال رسول الله ﷺ: «في رمضان،

(١) المصدر السابق (ح ١١٦٩/٢٢٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وصححه سننه محققوه (المسند ١٢١/٣٥، ١٢٢ ح ٢١١٩٣).

(٣) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان (ح ٧٦٢).

(٤) ذكره ابن جزي في التسهيل في تفسير سورة القدر.

(٥) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ١٠/٣٢٢ ح ١٠٦١٨) وسنده ضعيف لأن رواية إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق فيها مناكير وتصحيفات. (ينظر لسان الميزان ١/٣٤٩، ٣٥٠).

فالتمسوها في العشر الأواخر، فإنها في وثر إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو في آخر ليلة^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود - وهو: أبو داود الطيالسي - حدثنا عمران القطان، عن قتادة، عن أبي ميمونة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى»^(٢).
تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به.

وقيل: إنها تكون في آخر ليلة، لما تقدم من هذا الحديث آفأ، ولما رواه الترمذي والنسائي، من حديث عُيَيْنَةَ بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة، أن رسول الله ﷺ قال: «في تسع ييقين، أو سبع ييقين، أو خمس ييقين، أو ثلاث، أو آخر ليلة»^(٣)؛ يعني: التمسوا ليلة القدر.
وقال الترمذي: حسن صحيح. وفي المسند من طريق أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في ليلة القدر: «إنها آخر ليلة».

[فصل]

قال [الإمام]^(٤) الشافعي في هذه الروايات: صدرت من النبي ﷺ جواباً للسائل إذا قيل له: أتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية؟ يقول: «نعم». وإنما ليلة القدر ليلة مُعَيَّنَةٌ: لا تنتقل. نقله الترمذي عنه بمعناه. وروي عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر.
وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نصّ عليه مالك، والثوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، والمزني، وأبو بكر بن خزيمة، وغيرهم. وهو محكي عن الشافعي - نقله القاضي عنه، وهو الأشبه - والله أعلم.

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين، عن عبد الله بن عمر: أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فَلْيَتَحَرَّها في السبع الأواخر»^(٥).
وفيها أيضاً عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «تَحَرَّوْا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»^(٦). ولفظه للبخاري.

ويحتج للشافعي أنها لا تنتقل، وأنها معينة من الشهر، بما رواه البخاري في صحيحه، عن

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٣٧/٣٨٦، ٣٨٧ ح ٢٢٧١٣) وقال محققوه: حديث حسن دون قوله: «أو في آخر ليلة» ودون قوله: «وما تأخر».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٦/٤٢٨ ح ١٠٧٣٤) قال محققوه: إسناده محتمل للتحسين.

(٣) سنن الترمذي، الصوم، باب ما جاء في ليلة القدر (ح ٧٩٤). وقال الترمذي: حسن صحيح؛ وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٦٣٦)؛ وانظر: السنن الكبرى للنسائي، الاعتكاف، باب التماس ليلة القدر ثلاث ييقين من الشهر (ح ٣٤٠٣).

(٤) زياد من (حم).

(٥) صحيح البخاري، التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصل (ح ١١٥٨)؛ صحيح مسلم، الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح ١١٦٥).

(٦) صحيح البخاري، فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر.. (ح ٢٠١٧).

عبادة بن الصامت قال: خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»^(١).

وجه الدلالة منه: أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين، لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة، إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعيينها إلا ذلك العام فقط، اللهم إلا أن يقال: إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط.

وقوله: «فتلاحى فلان وفلان فرفعت»: فيه استئناس لما يقال: إن الممارسة تقطع الفائدة والعلم النافع، وكما جاء في الحديث: «إن العبد ليُحَرَمَ الرزقَ بالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»^(٢).

وقوله: «رفعت» أي: رفع علم تعيينها لكم، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود، كما يقوله جهلة الشيعة؛ لأنه قد قال بعد هذا: «فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

وقوله: «وعسى أن يكون خيراً لكم» يعني: عدم تعيينها لكم، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها، فكان أكثر للعبادة، بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط. وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها، ويكون الاجتهاد في العشر الأواخر أكثر. ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله ﷻ. ثم اعتكف أزواجه من بعده. أخرجاه من حديث عائشة^(٣).

ولهما عن ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان^(٤).

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر، أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر. أخرجاه^(٥).

ولمسلم عنها: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره^(٦).

وهذا معنى قولها: «شد المئزر». وقيل: المراد بذلك: اعتزال النساء. ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين، لما رواه الإمام أحمد:

حدثنا [سريج]^(٧)، حدثنا أبو مَعَشَر، عن هشام بن عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان

(١) صحيح البخاري، فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحى الناس (ح ٢٠٢٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث ثوبان رضي الله عنه، قال محققوه: حسن لغيره دون قوله: «أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب»، وهذا إسناد ضعيف.

(٣) صحيح البخاري، الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر (ح ٢٠٢٦)؛ وصحيح مسلم، الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر (ح ١١٧٢).

(٤) صحيح البخاري، الباب السابق (ح ٢٠٢٥) والمصدر السابق (ح ١١٧١).

(٥) صحيح البخاري، فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان (ح ٢٠٢٤)؛ وصحيح مسلم، الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر (ح ١١٧٤).

(٦) المصدر السابق (ح ١١٧٥).

(٧) كذا في المسند (وحم)، وفي الأصل (وح) صحف إلى: «سريج».

رسول الله ﷺ إذا بقي عشر من رمضان شدَّ مئزره، واعتزل نساءه. انفرد به أحمد^(١).

وقد حكى عن مالك رحمه الله، أن جميع ليالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء، لا يرجح منها ليلة على أخرى: رأيته في شرح الرافعي رحمه الله.

والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات، وفي شهر رمضان أكثر، وفي العشر الأخير منه، ثم في أوتاره أكثر. والمستحب أن يكثّر من هذا الدعاء: «اللهم، إنك عفوٌ تحب العفو، فاعف عني»؛ لما رواه الإمام أحمد: حدثنا يزيد - هو ابن هارون - حدثنا الجريري - وهو سعيد بن إياس - عن عبد الله بن بُريدة، أن عائشة قالت: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني»^(٢).

وقد رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من طريق كَهَمَس بن الحسن، عن عبد الله بن بريدة، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمتُ أي ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم، إنك عفو تحب العفو، فاعف عني»^(٣).

وهذا لفظ الترمذي، ثم قال: «هذا حديث حسن صحيح». وأخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين^(٤). ورواه النسائي أيضاً من طريق سفيان الثوري، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بُريدة، عن عائشة قالت: يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم، إنك عفو تحب العفو، فاعف عني»^(٥).

ذكر أثر غريب ونبأ عجيب، يتعلق بليلة القدر، رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال:

حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي زياد القَطَوَانِي، حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا موسى بن سعيد - يعني: الراسبي - عن هلال أبي جبلة، عن أبي عبد السلام، عن أبيه، عن كعب أنه قال: إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة، مما يلي الجنة، فهي على حدّ هواء الدنيا وهواء الآخرة، [عُلُوها]^(٦) في الجنة، وعروقها وأغصانها من تحت الكرسي، فيها ملائكة لا يعلم عدّتهم إلا الله ﷻ، يعبدون الله ﷻ، على أغصانها في كل موضع شعرة منها ملك. ومقام جبريل عليه السلام، في وسطها، فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة قَدْر مع الملائكة الذين يسكنون

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: حديث صحيح دون قوله: «واعتزل أهله» فحسن لغيره. (المسند ٤٣٩/٤٠ ح ٢٤٣٧٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سندوه محققوه. (المسند ٣١٦/٤٢ ح ٢٥٤٩٥).

(٣) سنن الترمذي، الدعوات، باب أي الدعاء أفضل (ح ٢٥٠٨)؛ والسنن الكبرى للنسائي، النعوت، باب العفو (ح ٧٧١٢)؛ وسنن ابن ماجه، الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية (ح ٣٨٥٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣١٠٥).

(٤) ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/ ٥٣٠).

(٥) السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة (ح ١٠٧١٣) وسنده كسابقه.

(٦) زيادة من (حم).

سدرۃ المنتهى، وليس فيهم ملك إلا قد أعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين، [فينزلون]^(١) على جبريل في ليلة القدر، حين تغرب الشمس، فلا تبقى بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك، إما ساجد وإما قائم، يدعو للمؤمنين والمؤمنات، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة، أو بيت نار أو وثن، أو بعض أماكنكم التي تطرحون فيها الحَبْث، أو بيت فيه سكران، أو بيت فيه مُسكر، أو بيت فيه وثن منصوب، أو بيت فيه جرس مُعَلَّق، أو مبولة، أو مكان فيه كساحة البيت، فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات، وجبريل لا يدع أحداً من المؤمنين إلا صافحه، وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه، فإن ذلك من مصافحة جبريل.

وذكر كعب أنه من قال في ليلة القدر: «لا إله إلا الله»، ثلاث مرات، غفر الله له بواحدة، ونجا من النار بواحدة، وأدخله الجنة بواحدة. فقلنا لكعب الأحبار: يا أبا إسحاق، صادقاً؟ فقال كعب: وهل يقول: «لا إله إلا الله» في ليلة القدر إلا كل صادق؟ والذي نفسي بيده، إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق، حتى كأنها على ظهره جبل، فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر. فأول من يصعد جبريل حتى يكون في وجه الأفق الأعلى من الشمس، فيبسط جناحيه - وله جناحان أخضران، لا ينشرهما إلا في تلك الساعة - فتصير الشمس لا شعاع لها، ثم يدعو ملكاً فيصعد، فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل، فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة، فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك، في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات، ولمن صام رمضان احتساباً، ودعا لمن حدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله. فإذا أمسوا دخلوا السماء الدنيا، فيجلسون حلقة حلقة، فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا، فيسألونهم عن رجل رجل، وعن امرأة امرأة، فيحدثونهم حتى يقولوا: ماذا فعل فلان؟ وكيف وجدتموه العام؟ فيقولون: وجدنا فلاناً عام أول في هذه الليلة متعبداً ووجدناه العام مبتدعاً، ووجدنا فلاناً مبتدعاً ووجدناه العام عابداً قال: فيكفون عن الاستغفار لذلك، ويقبلون على الاستغفار لهذا، ويقولون: وجدنا فلاناً وفلاناً يذكران الله، ووجدنا فلاناً راکعاً، وفلاناً ساجداً، ووجدناه تالياً لكتاب الله. قال: فهم كذلك يومهم وليلتهم، حتى يصعدون إلى السماء الثانية، ففي كل سماء يوم وليلة، حتى ينتهوا مكانهم من سدرۃ المنتهى، فتقول لهم سدرۃ المنتهى: يا سكانى، حدثوني عن الناس وسموهم لي. فإن لي عليكم حقاً، وإنى أحب من أحب الله.

فذكر كعب أنهم يعدُّون لها، ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم. ثم تقبل الجنة على السدرۃ فتقول: أخبريني بما أخبرك سكانك من الملائكة. فتخبرها، قال: فتقول الجنة: رحمة الله على فلان، ورحمة الله على فلانة، اللهم عجلهم إليّ، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم، فيلهمه الله فيقول: وجدت فلاناً ساجداً فاغفر له. فيغفر له، فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون: رحمة الله على فلان، ورحمة الله على فلانة، ومغفرته لفلان، ويقول: يا رب، وجدت عبدك فلاناً الذي وجدته عام أول على السنة والعبادة، ووجدته العام قد أحدث حدثاً

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «فيقولون».

وتولى عما أمر به. فيقول الله: يا جبريل، إن تاب فأعتبني قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له. فيقول جبريل: لك الحمد إلهي، أنت أرحم من جميع خلقك، وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم، قال: فيرتجّ العرش وما حوله، والحُجُبُ والسُّمُواتُ ومن فيهنَّ، تقول: الحمد لله الرحيم، الحمد لله الرحيم.

قال: وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان ألا يعصي الله، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب^(١).

آخر تفسير سورة «ليلة القدر»، [ولله الحمد والمِنَّة]^(٢).

(١) سنده ضعيف لإرساله ومثته غريب لما فيه من الإسرائيليات التي اشتهر بها كعب الأحبار.

(٢) زيادة من (ح).

سُورَةُ التَّيْنَةِ ﴿لَمْ يَكُنْ﴾

وهي مدنية

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد - وهو ابن سلمة - أخبرنا علي - هو ابن زيد - عن عمار بن أبي عمار قال: سمعت أبا حبة البدرى - وهو: مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري - قال: لما نزلت: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلى آخرها، قال جبريل: يا رسول الله، إن ربك يأمرك أن تقرئها ألبياً. فقال النبي ﷺ لأبي: «إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة» قال أبي: وقد ذكرت ثم يا رسول الله؟ قال: «نعم». قال: فبكى أبي^(١).

حديث آخر: وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾» قال: وسماني لك؟ قال: «نعم». فبكى^(٢).

ورواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، من حديث شعبة، به^(٣).

حديث آخر: قال الإمام أحمد حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، حدثنا أسلم المنقري، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا». قلت: يا رسول الله، وقد ذكرتُ هناك؟ قال: «نعم». فقلت له: يا أبا المنذر، ففرحت بذلك. قال: وما يمنعني والله يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. قال مؤمل: قلت لسفيان: القراءة في الحديث: قال: نعم^(٤). تفرد به من هذا الوجه.

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا: حدثنا شعبة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبیش، عن أبي بن كعب قال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن». قال: فقرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، قال: فقرأ فيها: ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال، فأعطيه، لسأل ثانياً، ولو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب. وإن ذلك الدين عند الله الحنيفية، غير

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده بنحوه، وقال محققوه: صحيح لغيره. (المسند ٣٨١/٢٥ ح ١٦٠٠٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ١٣٠/٣)، وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب (ح ٣٨٠٩)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل (ح ٧٩٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، قال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد. (المسند ٧١/٣٥ ح ٢١١٣٦).

المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل خيراً فلن يكفره^(١).

ورواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي، عن شعبة، به. وقال: حسن صحيح^(٢).

طريق أخرى: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن خليفه الحلبي، حدثنا محمد بن عيسى الطباع، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب، عن أبيه، عن جده، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، إني أمرت أن أعرض عليك القرآن». قال: بالله آمنت، وعلى يدك أسلمت، ومنك تعلمت. قال: فردّ النبي ﷺ القول: فقال: يا رسول الله، أذكرت هناك؟ قال: «نعم، باسمك ونسبك في الملاء الأعلى». قال: فاقراً إذاً يا رسول الله^(٣).

هذا غريب من هذا الوجه، والثابت ما تقدم. وإنما قرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة تثبيتاً له، وزيادة لإيمانه، فإنه - كما رواه أحمد والنسائي، من طريق أنس، عنه^(٤)، ورواه أحمد وأبو داود، من حديث سليمان بن صُرد عنه^(٥)، ورواه أحمد عن عفان، عن حماد، عن حميد، عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عنه^(٦)، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عنه^(٧)، كان قد أنكر على إنسان، وهو: عبد الله بن مسعود، قراءة شيء من القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله ﷺ فرفعه إلى النبي ﷺ فاستقرأهما، وقال، لكل منهما: «أصبت». قال أبي: فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية. فضرب رسول الله ﷺ في صدره، قال أبي: ففُضْتُ عَرَقاً، وكأنما أنظر إلى الله فرحاً. وأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف. فقلت: «أسأل الله معافاته ومغفرته». فقال: على حرفين. فلم يزل حتى قال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف. كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه وألفاظه في أول التفسير. فلما نزلت هذه السورة الكريمة وفيها: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾^(٨)، قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار، لا قراءة تعلم واستذكار، والله أعلم.

وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله ﷺ يوم الحديبية عن تلك الأسئلة، وكان فيما قال: أو لم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ [قال: «بلى، أفأخبرت أنك تأتيه

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٥/١٣١)، وسنده حسن.

(٢) سنن الترمذي، المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي. (ح ٣٧٩٣)، وسنده كسابقه.

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومثته. (المعجم الكبير ١/٢٠٠ ح ٥٣٩)، وسنده ضعيف لجهالة محمد بن معاذ بن أبي. (التقريب ص ٥٠٧).

(٤) المسند ٥/١١٤؛ وسنن النسائي، الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٤.

(٥) المسند ٥/١٢٤؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (ح ١٤٧٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٣١٠).

(٦) المسند ٥/١١٤.

(٧) المسند ٥/١٢٧؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (ح ٨٢٠)، وسنن أبي داود، الباب السابق (ح ١٤٧٨)؛ وسنن النسائي، الافتتاح باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٣.

عامك هذا؟». قال: لا، قال: «فإنك آتية، ومُطَوَّف به»^(١). فلما رجعوا من الحديدية، وأنزل الله على النبي ﷺ سورة «الفتح»، دعا عمر بن الخطاب وقرأها عليه، وفيها قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ﴾ الآية [الفتح: ٢٧]، كما تقدم^(٢).

وروى الحافظ أبو نعيم في كتابه «أسماء الصحابة» من طريق محمد بن إسماعيل الجعفري المدني: حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم، عن ابن شهاب، عن إسماعيل بن أبي حكيم المدني، حدثني فضيل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ليسمع قراءة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فيقول: أبشر عبي، فوعزتي لأمكنن لك في الجنة حتى ترضى»^(٣).

حديث غريب جداً. وقد رواه الحافظ أبو موسى المدني وابن الأثير، من طريق الزهري، عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن نظير المزني - أو: المدني - عن النبي ﷺ: «إن الله ليسمع قراءة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾» ويقول: أبشر عبي، فوعزتي لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة، ولأمكنن لك في الجنة حتى ترضى»^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۚ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۖ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۚ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۖ﴾

أما أهل الكتاب فهم: اليهود والنصارى، والمشركون: عبدة الأوثان والنيران، من العرب ومن العجم.

وقال مجاهد: لم يكونوا «مُنْفَكِينَ» يعني: متتهين حتى يتبين لهم الحق^(٥). وكذا قال قتادة^(٦).
﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي: هذا القرآن؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾. ثم فسر البيضة بقوله: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾^(٧). يعني: محمداً ﷺ، وما يتلوه من القرآن العظيم، الذي هو مكتتب في الملاء الأعلى، في صحف مطهرة كقوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۖ تَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۖ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۖ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس].
وقوله: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ قال ابن جرير: أي في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة: عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ؛ لأنها من عند الله ﷻ^(٨).

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٢) سند ضعيف لأن إسماعيل بن أبي حكيم لم يسمع أحداً من الصحابة فهو من الطبقة السادسة. (التقريب ص ١٠٧)، وقال الحافظ ابن حجر: عبد الله بن سلمة واهي الحديث. (الإصابة ٥٢٨/٣).

(٣) أسد الغابة ٣٢٥/٥، وسنده كسابقه.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) ذكره الطبري بلفظه وأطول.

قال قتادة: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ (٢) يذكر القرآن بأحسن الذكر، ويشني عليه بأحسن الشئ (١).

وقال ابن زيد: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (٣) مستقيمة معتدلة (٢).

وقوله: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ (٤) كقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَرَقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) [آل عمران] يعني بذلك: أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعدما أقام الله عليهم الحجج والبيانات تفرقوا واختلَفوا في الذي أَرَادَهُ اللهُ مِنْ كِتَابِهِمْ، واختلَفوا اختلافاً كثيراً، كما جاء في الحديث المروي من طرق: «إن اليهود اختلَفوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى اختلَفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» (٣).

وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء]؛ ولهذا قال: حنفاء؛ أي: مُتَحَنِّفِينَ عَنِ الشَّرِكِ إِلَى التَّوْحِيدِ. كقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة «الأنعام» (٤) بما أغنى عن إعادته ههنا.

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وهي أشرف عبادات البدن، ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ وهي الإحسان إلى الفقراء والمحاويج. ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي: الملة القائمة العادلة، أو الأمة المستقيمة المعتدلة.

وقد استدل كثير من الأئمة، كالزهري والشافعي، بهذه الآية الكريمة على الأعمال داخلة في الإيمان؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (٥).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٧) ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٨).

يخبر تعالى عن مآل الفجار، من كفر أهل الكتاب، والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسله: أنهم يوم القيامة ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين، لا يحولون عنها ولا يزولون ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أي: شر الخليقة التي برأها الله وذراها.

ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار - الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بأبدانهم - بأنهم خير البرية.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ٩٣. (٤) في الآية ١٦١.

وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء، على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة؛ لقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

ثم قال: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿جَنَّتْ عَدْنِي يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي: هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبداه كأنه يراه، قد علم أنه إن لم يره فإنه يراه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا أبو معشر، عن أبي وهب - مولى أبي هريرة - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير البرية؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، كلما كانت هَيْعَةً^(١) استوى عليه. ألا أخبركم بخير البرية؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «رجل في ثُلَّةٍ من غنمه، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة. ألا أخبركم بشر البرية؟» قالوا: بلى. قال: «الذي يسأل بالله، ولا يُعطي به»^(٢).
آخر تفسير سورة ﴿لَمْ يَكُنْ﴾.

(١) الهَيْعَةُ: الصوت الذي تفرع منه وتخافه من عدو.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه محققوه بالشواهد. (المسند ٧٢/١٥ ح ٩١٤٢).

سُورَةُ إِذَا زُلْزِلَتْ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا سعيد، حدثنا عياش بن عباس، عن عيسى بن هلال الصّدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرني يا رسول الله. قال له: «اقرأ ثلاثاً من ذات آكر». فقال له الرجل: كبر سني واشتد قلبي، وغلظ لساني. قال: «فاقرأ من ذات حم»، فقال مثل مقالته الأولى. فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته. فقال الرجل: ولكن أقرني - يا رسول الله - سورة جامعة. فأقرأه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حتى إذا فرغ منها قال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً. ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح الرويجل! أفلح الرويجل!» ثم قال: «عَلَيَّ بِهِ». فجاءه فقال له: «أمرت بيوم الأضحى جعله الله عيداً لهذه الأمة». فقال له الرجل: رأيت إن لم أجد إلا مَنِيحَةً أنشئ فأضحى بها؟ قال: «لا، ولكنك تأخذ من شعرك، وتقلّم أظفارك، وتقص شاربك، وتحلق عانتك، فذاك تمام أضحيتك عند الله ﷻ»^(١).

وأخرجه أبو داود والنسائي، من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ، به^(٢).

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن موسى [الحَرشي]^(٣) البصري: حدثنا الحسن بن سلم بن صالح العجلي، حدثنا ثابت البناني، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾، عدلت له بنصف القرآن». ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن سلم^(٤).

وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الحرشي، عن الحسن بن سلم، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» [الإخلاص] تعدل ثلث القرآن، و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ تعدل ربع القرآن. هذا لفظه^(٥).

وقال الترمذي أيضاً: حدثنا علي بن حُجر، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا يمان بن المغيرة

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنته تقريباً. (المسند ١١/١٣٩ ح ٦٥٧٥) وحسن سنده محققوه؛ وأخرجه الحاكم بسنده ومثنته وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٥٣٢).

(٢) سنن أبي داود، الصلاة، باب تحزيب القرآن (ح ١٣٩٩)؛ والسنن الكبرى للنسائي، عمل اليوم والليلة، باب الفضل في قراءة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدْرِؤُ الْمُلُوكَ﴾ [الملک: ١] (ح ١٠٥٥٣)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٣٠٠).

(٣) كذا في (حم)؛ وسنن الترمذي، وفي الأصل صحف إلى: الجويني.

(٤) أخرجه الترمذي بسنده ومثنته. (السنن، فضائل القرآن، باب ما جاء في ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ [الزلزلة: ١] ح ٢٨٩٣)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٥٤٨).

(٥) سنده ضعيف كسابقه.

العنزي، حدثنا عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا زُلْزِلَتْ» تَعْدُلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ، وَ«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» [الإخلاص] تعدل ثلث القرآن، وَ«قُلْ يَتَّيْبُهُ الْكَافِرُونَ» [الكافرون] تعدل ربع القرآن». ثم قال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة^(١).

وقال أيضاً: حدثنا عقبة بن مكرم العمي البصري، حدثني ابن أبي فديك، أخبرني سلمة بن وردان، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: «هل تزوجت يا فلان؟» قال: لا، والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج. قال: «أليس معك» «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»؟ قال: بلى. قال: «ثلث القرآن». قال: «أليس معك» «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ»؟ قال: بلى. قال: «ربع القرآن». قال: «أليس معك» «قُلْ يَتَّيْبُهُ الْكَافِرُونَ»؟ قال: بلى. قال: «ربع القرآن». قال: «أليس معك» «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ»؟ قال: بلى. قال: «ربع القرآن تزوج». ثم قال: هذا حديث حسن^(٢) تفرد بهن ثلاثهين الترمذي، لم يروه غيره من أصحاب الكتب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۚ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۚ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُخْبِثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۚ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۚ﴾

قال ابن عباس: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا» أي: تحركت من أسفلها^(٣). «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» يعني: ألفت ما فيها من الموتى. قاله غير واحد من السلف. وهذه كقوله تعالى: «يَتَّيْبُهُ النَّاسُ أَثْقَالًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ» [الحج]، وكقوله: «وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۚ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۚ» [الانشقاق].

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاحَ كَبِدِهَا أَمْثَالُ الْأَسْطُوانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحْمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»^(٤).

وقوله: «وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا» أي: استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها؛ أي: تقلبت الحال، فصارت متحركة مضطربة، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها

(١) أخرجه الترمذي بسنده ومثته. (السنن، الباب السابق ح ٢٨٩٤)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٥٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي بسنده ومثته. (المصدر السابق ح ٢٨٩٥)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٥٥١).

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه مسلم بسنده ومثته. (الصحيح، الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ح ١٠١٣).

من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألفت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين،
وحيثئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهار.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (١) أي: تحدث بما عمل العاملون على ظهرها.

قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن المبارك، وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي، واللفظ له: حدثنا سويد بن نصر، أخبرنا عبد الله - هو ابن المبارك - عن سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (١) قال: «أتدرون ما أخبارها؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها» (١).

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة: حدثني الحارث بن يزيد - سمع ربيعة الجُرشي -: أن رسول الله ﷺ قال: «تحفظوا من الأرض، فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً، إلا وهي مُخبرة» (٢).

وقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ (٣) قال البخاري: أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها: واحد (٣). وكذا قال ابن عباس: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أوحى إليها (٤).

والظاهر أن هذا مُضْمَنٌ [بمعنى] (٥) أذن لها.

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (١) قال: قال لها ربها: قولي، فقالت (٦).

وقال مجاهد: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمرها (٧).

وقال القرطبي: أمرها أن تنشق عنهم.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: يرجعون عن موقف الحساب، ﴿أَشْتَاتًا﴾ أي: أنواعاً وأصنافاً، ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده بنحوه، وضعف سنده محققوه. (المسند ١٤/٤٥٥ ح ٨٨٦٧)؛ وأخرجه الترمذي، (السنن، التفسير، باب ومن سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا﴾ [الزلزلة] ح ٣٣٥٢)؛ والنسائي (السنن الكبرى، التفسير، سورة الزلزلة ح ١١٦٩٣)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٦٦٤)؛ وأخرجه الحاكم وصححه وتعبه الذهبي بقوله: يحى هذا منكر الحديث. قاله البخاري. (المستدرک ٢/٥٣٢).

(٢) أخرجه الطبراني من طريق ابن لهيعة به. (المعجم الكبير ٥/٦٥ ح ٤٥٩٦)؛ وأعله الهيثمي بابن لهيعة. (مجمع الزوائد ١/٢٤١).

(٣) ذكره البخاري (الصحيح، التفسير، باب سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا﴾ (١) قبل حديث رقم ٤٩٦٢.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٥) زيادة من (ح) و(حم).

(٦) أخرجه الطبري من طريق شبيب به بلفظ: «أوحى إليها». وسنده حسن.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

قال ابن جريج: يتصدعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما عليهم.
وقال السُّدي: ﴿أَشْنَانًا﴾ فرقاً.

وقوله تعالى: ﴿لِيُرَوَّا أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: ليعملوا ويجازوا بما عملوه في الدنيا، من خير وشر.
ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾.

قال البخاري: حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني مالك، عن يزيد بن أسلم، عن أبي صالح السَّمان، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «الخیل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر؛ فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستتت شرفاً أو شرفين، كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي به كان ذلك حسنات له، وهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنياً وتعففاً، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له ستر. ورجل ربطها فخراً ورثاء ونواء، فهي على ذلك وزر». فسئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر، فقال: «ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفائزة الجامعة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ﴾»^(١).

ورواه مسلم، من حديث زيد بن أسلم، به^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا جرير بن حازم، حدثنا الحسن، عن صعصعة بن معاوية - عم الفرزدق - : أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾، قال: حسبي! لا أبالي ألا أسمع غيرها^(٣).

وهكذا رواه النسائي في التفسير، عن إبراهيم بن يونس بن محمد المؤدب، عن أبيه، عن جرير بن حازم، عن الحسن البصري قال: حدثنا صعصعة عم الفرزدق، فذكره^(٤).

وفي صحيح البخاري، عن عدي مرفوعاً: «اتقوا النار ولو بشقِّ تمر، [ولو بكلمة طيبة]»^{(٥)(٦)}. وفي الصحيح: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط»^(٧).

وفي الصحيح أيضاً: «يا نساء المؤمنات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»^(٨) يعني: ظلفها.

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، سورة الزلزلة ح ٤٩٦٢).

(٢) صحيح مسلم، الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (ح ٩٨٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٢٠٠/٣٤ ح ٢٠٥٩٣)، وصححه سنداه محققوه.

(٤) السنن الكبرى، التفسير، باب سورة الزلزلة (ح ١١٦٩٤).

(٥) كذا في (ح) و(حم) وصحيح البخاري، وفي الأصل بياض.

(٦) صحيح البخاري، الرقاب، باب من نوقش الحساب عذب (ح ٦٥٤٠).

(٧) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي جري الهجيمي، وصححه سنداه محققوه. (المسند ٣٣٦/٣٤ ح ٢٠٦٣٣).

(٨) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة. (صحيح البخاري، الهبة، ح ٢٥٦٦)؛ وصحيح مسلم، الزكاة، باب الحث على الصدقة (ح ١٠٣٠).

وفي الحديث الآخر: «ردوا السائل ولو بظلفٍ مُحَرَّقٍ»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة، استتري من النار ولو بشق تمر، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان». تفرد به أحمد^(٢).

وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة، وقالت: كم فيها من مثقال ذرة^(٣).

وقال أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن مسلم، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير: حدثني عوف بن الحارث بن الطفيل: أن عائشة أخبرته: أن النبي ﷺ كان يقول: «يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً».

ورواه النسائي وابن ماجه، من حديث سعيد بن مسلم بن بآنك، به^(٤).

وقال ابن جرير: حدثني أبو الخطاب الحساني، حدثنا الهيثم بن الربيع، حدثنا سماك بن عطية، عن أيوب، عن أبي قلابه، عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴿^(٥)، فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله، إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال: «يا أبا بكر، ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى تُوفاه يوم القيامة»^(٦).

ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه عن أبي الخطاب، به^(٧).

ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا أيوب قال: في كتاب أبي قلابه، عن أبي إدريس: أن أبا بكر كان يأكل مع النبي ﷺ، فذكره^(٨).

ورواه أيضاً عن يعقوب، عن ابن عُليّة، عن أيوب، عن أبي قلابه: أن أبا بكر، وذكره^(٩).

طريق أخرى: قال ابن جرير: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني حُبي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: لما نزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (١) وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟». قال: يبكي هذه السورة. فقال له رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث حواء، وحسن سنده محققوه. (المسند ٤٥/٤٤٠ ح ٢٧٤٥٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وضعف سنده محققوه. (المسند ٤١/٤٩ ح ٢٤٥٠١).

(٣) أخرجه الإمام مالك بسند ضعيف بلاغاً. (الموطأ، الصدقة، باب الترغيب ص ٩٩٧ ح ٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وحسن سنده محققوه. (المسند ٤٢/٩٦ ح ٢٥١٧٧).

(٥) سنن ابن ماجه، الزهد، باب ذكر الذنوب (ح ٤٢٤٣)؛ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (ح ٣٤٢١). وقال البوصيري: إسناده صحيح.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف الهيثم بن الربيع. (التقريب ص ٥٧٧)، وقد توبع كما في رواية الطبري التالية.

(٧) سنده كسابقه.

(٨) أخرجه الطبري عن ابن بشار به، ويتقوى بما يليه. (٩) أخرجه الطبري عن يعقوب به، وسنده صحيح.

«لولا أنكم تخطئون وتذنبون، فيغفر الله لكم، لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»^(١).

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن بن المغيرة - المعروف بعَلَّان المصري - قالا: حدثنا عمرو بن خالد الحرَّاني، حدثنا ابن لهيعة، أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢) قلْتُ: يا رسول الله، إني لراء عملي؟ قال: «نعم». قلْتُ: تلك الكبار الكبار؟ قال: «نعم». قلْتُ: الصغار الصغار؟ قال: «نعم». قلْتُ: واثكل أُمِّي. قال: «أبشر يا أبا سعيد؛ فإنَّ الحسنة بعشر أمثالها - يعني إلى سبعمائة ضعف - ويضاعف الله لمن يشاء، والسيئة بمثلها أو يغفر الله، ولن ينجو أحد منكم بعمله». قلْتُ: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة». قال أبو زُرَّعة: لم يرو هذا غير ابن لهيعة^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر، حدثني ابن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٤)، وذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حَبِّهِمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٥)، وكان المسلمون يرون أنهم لا يُؤَجَّرُونَ على الشيء القليل الذي أعطوه، فيجيئ المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك، فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء. إنما تُؤَجَّر على ما نعطي ونحن نحبه. وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر. فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه، فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٦) يعني: وزن أصغر النمل ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٧) يعني: في كتابه، ويسرُّه ذلك. قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة. وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً، بكل واحدة عشر، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة، دخل الجنة^(٨).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عمران، عن قتادة، عن عبد ربه، عن أبي عياض، عن عبد الله بن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه». وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً، كمثّل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأجَّجوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها^(٩).

[آخر تفسير سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾^(١٠)، [ولله الحمد والمنة]^(١١)].

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ورجاله ثقات إلا حيي بن عبد الله فصدوق بهم. (التقريب ص ١٨٥).

(٢) سنده ضعيف لئفرد ابن لهيعة به. (٣) سنده ضعيف لأنه مرسل..

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٦/٣٦٨ ح ٣٨١٨) قال المحققون: حديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة حال عبد ربه - وهو ابن أبي يزيد - ويقال: ابن زيد.

(٥) زيادة من (ح) و(حم). (٦) زيادة من (حم).

سُورَةُ الْعَادَاتِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَّتِ صَبَحًا ① فَالْمُورِيَّتِ قَدَحًا ② فَالْمُغِيرَتِ صَبَحًا ③ فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطَنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪﴾

يقسم تعالى بالخيول إذا أجريت في سبيله فَعَدَتْ وَضَبَحَتْ، وهو: الصوت الذي يُسمع من الفرس حين تَعْدُو. ﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدَحًا ②﴾ يعني: اصطكاك نعالها للصخر فتقذح منه النار.

﴿فَالْمُغِيرَتِ صَبَحًا ③﴾ يعني: الإغارة وقت الصباح، كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحاً ويتسمع أذاناً، فإن سمع وإلا أغار.

[وقوله] ①: ﴿فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا ④﴾ يعني: غباراً في [مكان] ② معترك الخيول.

﴿فَوَسَطَنَ بِهِ جَمْعًا ⑤﴾ أي: توسطن ذلك المكان كُلُّهُنَّ جُمِعَ.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبدة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله: ﴿وَالْعَادِيَّتِ صَبَحًا ①﴾ قال: الإبل ③.

وقال علي: هي الإبل. وقال ابن عباس: هي الخيل. فبلغ علياً قول ابن عباس، فقال: ما كانت لنا خيل يوم بدر. قال ابن عباس: إنما كان ذلك في سرية بعثت ④.

قال ابن أبي حاتم وابن جرير: حدثنا يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس حدثه، قال: بينا أنا في الحَجَرِ جالساً، جاءني رجل فسألني عن: ﴿وَالْعَادِيَّتِ صَبَحًا ①﴾ فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني فذهب إلى علي رضي الله عنه، وهو عند سقاية زمزم فسأله عن ﴿وَالْعَادِيَّتِ صَبَحًا ①﴾ فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت ابن عباس فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله. قال: اذهب فادعه لي. فلما وقف على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك، والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر، وما كان معنا إلا

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٢) زيادة من (ح) و(حم).

(٣) أخرجه الطبري من طريق الأعمش به، وسنده منقطع لأن إبراهيم وهو النخعي لم يسمع من ابن مسعود.

(٤) سيأتي مسنداً بنحو الرواية التالية.

فَرَسَان: فرس للزبير وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحاً؟ إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى مِنَى، قال ابن عباس: فنزعت عن قلبي ورجعت إلى الذي قال علي عليه السلام ^(١).

وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال: قال علي: إنما ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أروا إلى المزدلفة أروا النيران. وقال العوفي، عن ابن عباس: هي الخيل ^(٢).

وقد قال بقول علي: إنها الإبل جماعة. منهم: إبراهيم، وعبيد بن عمير ^(٣) ويقول ابن عباس آخرون، منهم: مجاهد وعكرمة، وعطاء وقتادة، والضحاك ^(٤). واختاره ابن جرير. قال ابن عباس، وعطاء: ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب ^(٥).

وقال ابن جُرَيْج، عن عطاء: سمعت ابن عباس يصف الضبح: أح أح ^(٦). وقال أكثر هؤلاء في قوله: ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدَمًا﴾ يعني: بحوافرها. وقيل: أسعرن الحرب بين رُكبانهن. قاله قتادة ^(٧).

وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدَمًا﴾ يعني: مكر الرجال ^(٨).

وقيل: هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل.

وقيل: المراد بذلك: نيران القبائل.

وقال من فسرها بالخيول: هو إيقاد النار بالمزدلفة.

وقال ابن جرير: والصواب الأول؛ أنها الخيل حين تقدح بحوافرها.

وقوله: ﴿فَالْمُورِبَتِ ضَبْحًا﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: يعني إغارة الخيل صبحاً في سبيل الله ^(٩).

(١) أخرجه الطبري عن يونس به، وسنده ضعيف لأن أبا معاوية البجلي وهو عمار بن معاوية صدوق يتشيع. (التقريب ص ٤٠٨) وهذه الرواية تؤيد بدعته؛ وأخرجه الحاكم من طريق ابن وهب به؛ وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله، ولا ذكر لأبي معاوية في الكتب الستة ولا احتج البخاري بأبي صخر، والخبر منكر. (المستدرک ١٠٥/٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن إبراهيم فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف؛ وأخرجه الطبري عن عبيد بن عمير بسند ضعيف منقطع.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عطاء عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سفيان عن ابن جريج به.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من =

وقال من فسرهما بالإبل: هو الدفع صباحاً من المزدلفة إلى مِنَى.

وقالوا كلهم في قوله: ﴿فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا﴾ ❶ هو: المكان الذي إذا حُلَّت فيه أثارت به الغبار، إما في حج أو غزو.

وقوله: ﴿فَوْسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ❷ قال العوفي، عن ابن عباس، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، والضحاك: يعني جمع الكفار من العدو^(١).

ويحتمل أن يكون: فوسطن بذلك المكان جميعهن، ويكون ﴿جَمْعًا﴾ منصوباً على الحال المؤكدة.

وقد روى أبو بكر البزار ههنا حديثاً غريباً جداً فقال: حدثنا أحمد بن عبدة، حدثنا حفص بن جُمَيْع، حدثنا سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً فأشهرت شهراً لا يأتيه منها خبر، فنزلت ﴿وَالْعَدِيدِ صُبْحًا﴾ ❶ صُبِحَتْ بأرجلها، ﴿وَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾ ❷ قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارا ﴿وَالْمُعِيرِ صُبْحًا﴾ ❸ صُبِحَتْ القوم بغارة، ﴿فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا﴾ ❹ أثارت بحوافرها التراب، ﴿فَوْسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ❺ قال: صبحت القوم جميعاً^(٢).

وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ❶ هذا هو المقسم عليه، بمعنى: أنه لنعم ربه ليجحود كفور.

قال ابن عباس، ومجاهد وإبراهيم النخعي، وأبو الجوزاء، وأبو العالية، وأبو الضحى، وسعيد بن جبیر، ومحمد بن قيس، والضحاك، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وابن زيد: الكنود: الكفور^(٣).

قال الحسن: هو الذي يعد المصائب، وينسى نعم ربه^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ❶ قال: «الكفور الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفته»^(٥).

= طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بالآثار التالية، فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه البزار بسنده ومثته. وأعله الحافظ ابن حجر بحفص بن جميع. (مختصر زوائد مسند البزار ١٢٠/٢ ح ١٥٣٦)، وكذا أعله الهيثمي. (مجمع الزوائد ١٤٢/٧).

(٣) أخرجه الطبري بسندين عن ابن عباس يقوي أحدهما الآخر؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق شعيب بن الجحباب عن الحسن.

(٥) سنده ضعيف جداً لأن جعفر بن الزبير متروك كما قرر الحافظ ابن كثير.

ورواه ابن أبي حاتم، من طريق جعفر بن الزبير - وهو متروك - فهذا إسناد ضعيف. وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث حريز بن عثمان، عن حمزة بن هانئ، عن أبي أمامة موقوفاً. وقوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (٧) قال قتادة وسفيان الثوري: وإن الله على ذلك لشهيد^(١). ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان. قاله محمد بن كعب القرظي، فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد؛ أي: بلسان حاله؛ أي: ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]. وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٨) أي: وإنه لحب الخير - وهو: المال - لشديد. وفيه مذهبان:

أحدهما: أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال.

والثاني: وإنه لحريص بخيل؛ من محبة المال. وكلاهما صحيح.

ثم قال تعالى مُزْهِدًا فِي الدُّنْيَا، وَمُرْغَبًا فِي الْآخِرَةِ، وَمِنْهَا عَلَىٰ مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَ هَذِهِ الْحَالِ، وَمَا يَسْتَقْبِلُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَهْوَالِ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ (٩) أي: أخرج ما فيها من الأموات ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١٠) قال ابن عباس وغيره؛ يعني: أبرز^(٢) وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (١١) أي: لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون، مجازيهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة. آخر [تفسير]^(٣) سورة ﴿وَالْعَادِيَّتِ﴾، والله الحمد والمئة، [وحسبنا الله]^(٤).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) زيادة من (ح).

(٤) زيادة من (ح).

سُورَةُ الْقَلْعَةِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ﴾ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١ ﴿﴾

﴿الْقَارِعَةُ﴾ ١ من أسماء يوم القيامة، كالحاقة، والطامة، والصاخة، والغاشية، وغير ذلك. ثم قال معظماً أمرها ومهولاً لشأنها: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ ٢ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ٣ أي: في انتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، من حيرتهم مما هم فيه، كأنهم فراش مبثوث، كما قال في الآية الأخرى: ﴿كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ ٤ يعني: قد صارت كأنها الصوف المنفوش، الذي قد شرع في الذهاب والتمزق.

قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والضحاك، والسدي: «الْعِهْنُ»: الصوف^(١).

ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة، بحسب أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ٦ أي: رجحت حسناته على سيئاته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ٧ يعني: في الجنة. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ٨ أي: رجحت سيئاته على حسناته. وقوله: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ ٩ قيل معناه: فهو ساقط هاوٍ بأم رأسه في نار جهنم. وَعَبَّرَ عَنْهُ بِأُمِّهِ - يعني: دماغه - رُوي نحو هذا عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي صالح، وقتادة. قال قتادة: يهوي في النار على رأسه^(٢). وكذا قال أبو صالح: يهوي في النار على رؤوسهم^(٣).

وقيل: معناه: ﴿فَأُمُّهُ﴾ التي يرجع إليها، ويصير في المعاد إليها ﴿هَاوِيَةٌ﴾ وهي اسم من أسماء النار.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق إسماعيل، وهو ابن أبي خالد، عن أبي صالح.

قال ابن جرير: وإنما قيل: الهاوية: أمه؛ لأنه لا مأوى له غيرها^(١).

وقال ابن زيد: الهاوية: النار، هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: ﴿وَمَا أَوْنَهُمْ
النَّارُ﴾^(٢) [آل عمران: ١٥١].

قال ابن أبي حاتم: ورُوي عن قتادة أنه قال: هي النار، وهي مأواهم^(٣). ولهذا قال تعالى
مفسراً للهاوية: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هَيْةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى: حدثنا ابن ثور، عن مَعْمَرٍ، عن الأشعث بن عبد الله
الأعمى قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: رَوْحُوا أَخَاكُمْ، فإنه
كان في غَمِّ الدنيا. قال: ويسألونه: ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهب
به إلى أمه الهاوية^(٤).

وقد رواه ابن مَرْدَوِيَّةٍ من طريق أنس بن مالك مرفوعاً، بأبسط من هذا. وقد أوردناه في كتاب
«صفة النار»، أجازنا الله منها بمنه وكرمه^(٥).

وقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ أي: حارة شديدة الحر، قوية اللهب والسعير.

قال أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال:
«نار بني آدم التي تُوقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم». قالوا: يا رسول الله، إن كانت
لكافية. فقال: «إنها فَضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً»^(٦).

ورواه البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن مالك. ورواه مسلم عن قُتَيْبَةَ، عن
المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد، به. وفي بعض ألفاظه: «إنها فَضِّلَتْ عليها بتسعة وستين
جزءاً، كلهنَّ مثل حرّها»^(٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا حماد - وهو ابن سلمة - عن محمد بن زياد
سمع أبا هريرة يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «نار بني آدم التي توقدون، جزء من سبعين
جزءاً من نار جهنم». فقال رجل: إن كانت لكافية. فقال: «لقد فَضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً
حَرّاً فحراً»^(٨).

تفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط مسلم.

(١) ذكره الطبري بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ورجاله ثقات لكنه كالمرسل.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

(٦) أخرجه مالك بسنده ومثته. (الموطأ، كتاب جهنم، باب ما جاء في صفة جهنم ص ٩٩٤ ح ١) وسنده
صحيح.

(٧) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب صفة النار (ح ٣٢٦٥)؛ وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في
شده حر نار جهنم (ح ٢٨٤٣).

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سندَه محققوه. (المسند ٧٨/١٦ ح ١٠٠٣٢).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ - وعمره، عن يحيى بن جعدة -: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد»^(١).

وهذا على شرط الصحيحين، ولم يخرجوه من هذا الوجه، وقد رواه مسلم في صحيحه من طريق [أبي الزناد]^(٢)^(٣).

ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً»^(٤).

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا عبد العزيز - هو ابن محمد الدراوردي - عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم»^(٥).

تفرد به أيضاً من هذا الوجه، وهو على شرط مسلم أيضاً.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو الخلال، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا معن بن عيسى القزاز، عن مالك، عن عمه أبي سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم؟ لهي أشد سواداً من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً»^(٦).

وقد رواه أبو مصعب، عن مالك، ولم يرفعه. وروى الترمذي وابن ماجه، عن عباس الدوري، عن يحيى بن أبي بكير: حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة»^(٧).

وقد روي هذا من حديث أنس^(٨) وعمر بن الخطاب.

وجاء في الحديث - عند الإمام أحمد - من طريق أبي عثمان النهدي، عن أنس - وأبي نضرة العبدي، عن أبي سعيد وعجلان مولى [المشمعل]^(٩)، عن أبي هريرة - عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان يغلي منهما دماغه»^(١٠).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢/٢٤٤) وسنده صحيح.

(٢) كذا في (ح)، وفي الأصل بياض.

(٣) صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في شدة حر نار جهنم (ح ٢٨٤٣).

(٤) يشهد لهما ما تقدم.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وقال محققوه: إسناده قوي. (المسند ١٤/٤٩٢ ح ٨٩٢١).

(٦) أخرجه الطبراني (المعجم الأوسط ١/١٥٥ ح ٤٨٥) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ١٠/٣٨٧).

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٨١. (٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٨١.

(٩) كذا في (ح) و(حم) ومسند أحمد، وفي الأصل صحف إلى: «المعل».

(١٠) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٨١.

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف. فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف من حرّها»^(١).

وفي الصحيحين: «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»^(٢).
آخر تفسير سورة ﴿الْقَارِعَةُ﴾.

(١) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (ح ٣٢٦٠)؛ وصحيح مسلم، المساجد، باب استحباب الإبراد بالظهر (ح ٦١٧).

(٢) صحيح البخاري، مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر (ح ٥٣٣)؛ وصحيح مسلم، الباب السابق (ح ٦١٥).

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ①﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦﴾ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧﴾.

يقول تعالى: شغلكم حبُّ الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا زكريا بن يحيى الوقار المصري، حدثني خالد بن عبد الدايم، عن ابن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ①﴾ عن الطاعة ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②﴾ حتى يأتاكم الموت»^(١).

وقال الحسن البصري: «﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ①﴾ في الأموال والأولاد»^(٢).

وفي صحيح البخاري، في «الرقاق» منه: وقال لنا أبو الوليد: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، عن أبي بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: «﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ①﴾»^(٣) يعني: «لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب»^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة: سمعت قتادة يحدث عن مُطَرِّف - يعني ابن عبد الله بن الشَّخِير - عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ①﴾»، يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»^(٥).

ورواه مسلم والترمذي والنسائي، من طريق شعبة، به^(٦).

(١) سنده ضعيف لضعف ابن زيد بن أسلم، وهو عبد الرحمن.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق إسماعيل، وهو ابن مسلم المكي، عن الحسن، وسنده ضعيف لضعف إسماعيل (التقريب ص ١١٠)، ومعناه صحيح.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، الرقاق، باب ما يُتَقَى من فتنه المال ح ٦٤٤٠).

(٤) المصدر السابق (ح ٦٤٣٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٤/٤) وسنده صحيح.

(٦) صحيح مسلم، الزهد (ح ٢٩٥٨)؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ①﴾ [التكاثر] (ح ٣٣٥٤)؛ والسنن الكبرى، التفسير، باب سورة التكاثر (ح ١١٦٩٦).

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا سُويد بن سعيد، حدثنا حفص بن ميسرة، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: مالي مالي؟ وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فاقتنى، وما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس». تفرد به مسلم^(١).

وقال البخاري: حدثنا الحُمَيْدِي، حدثنا سفيان، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»^(٢).

وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي، من حديث سفيان بن عيينة، به^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثنا قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ قال: «يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنان: الحرص والأمل»^(٤). أخرجاه في الصحيحين^(٥).

وذكر الحافظ ابن عساكر، في ترجمة الأحنف بن قيس - واسمه الضحاك - أنه رأى في يد رجل درهما فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي. فقال: إنما هو لك إذا أنفقت في أجر أو ابتغاء شكر. ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر:

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ^(٦)

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة قال: صالح بن حيان، حدثني عن ابن بُريدة في قوله: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾^(٧) قال: نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار، في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان بن فلان، وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور. فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبر - ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾^(٨) حَقَّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ^(٩) لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل^(١٠).

وقال قتادة: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾^(١١) حَقَّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ^(١٢) كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدُّ من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم^(١٣).

(١) أخرجه مسلم بسنده ومثته. (الصحيح، الزهد ح ٢٩٥٩).

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، الرقاق، باب سكرات الموت ح ٦٥١٤).

(٣) صحيح مسلم، الزهد (ح ٢٩٦٠)؛ وسنن الترمذي، الزهد، باب ما جاء مثل ابن آدم وعمله (ح ٢٣٧٩)؛ والسنن الكبرى للنسائي، الجنائز، باب النهي عن سب الأموات (ح ٢٠٦٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٣/ ١١٥) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر (ح ٦٤٢١)؛ وصحيح مسلم، الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا (ح ١٠٤٧).

(٦) تاريخ دمشق ٨/ ٤٤٣.

(٧) سنده ضعيف لأنه مرسل، ويتقوى بالمرسل التالي.

(٨) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل.

والصحيح أن المراد بقوله: ﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح: أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعوده، فقال: «لا بأس، طهور إن شاء الله». فقال: قلت: طهور؟! بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تُزيّر القبور! قال: «فَنَعَمْ إِذَا»^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَةَ، حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني، أخبرنا حكام بن سلم الرازي، عن عمرو بن أبي قيس، عن الحجاج، عن المنهال، عن زر بن حبيش، عن علي قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿أَلْهَنَكُمْ أَتْكَأْتُ﴾ ^(٢) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ^(٣). ورواه الترمذي عن أبي كُرَيْب، عن حَكَّام بن سلم به، وقال: غريب^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سلمة بن داود الغرضي، حدثنا أبو المليح الرقي، عن ميمون بن مهران قال: كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز، فقرأ: ﴿أَلْهَنَكُمْ أَتْكَأْتُ﴾ ^(٤) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ^(٥) فلبث هُنيهة فقال: يا ميمون، ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله^(٤).

قال أبو محمد^(٥): يعني أن يرجع إلى منزله، إلى جنة أو نار. وهكذا ذُكر أن بعض الأعراب سمع رجلاً يتلو هذه الآية: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ^(٦) فقال: بُعث اليوم وربّ الكعبة؛ أي: إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره. وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٧) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ^(٨) قال الحسن البصري: هذا وعيد بعد وعيد.

وقال الضحاك: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٩) يعني: الكفار، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ^(١٠) يعني: أيها المؤمنون^(٦).

وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْبَاقِينَ﴾ ^(١١) أي: لو علمتم حق العلم، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة، حتى صرتم إلى المقابر.

ثم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ^(١٢) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْبَاقِينَ ^(١٣) هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ^(١٤) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ^(١٥) تَوَعَّدَهُم بهذا الحال، وهي رؤية النار، التي إذا زفرت زفرة خَرَّ كل ملك مقرب، ونبي مرسل على ركبتيه، من المهابة والعظمة ومعاناة الأهوال، على ما جاء به الأثر المروي في ذلك.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ^(١٦) أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس ^(١). (الصحيح، المناقب، باب علامات النبوة ح ٣٦١٦).

(٢) أخرجه الترمذي من طريق حكام بن سلم به. (السنن، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَلْهَنَكُمْ أَتْكَأْتُ﴾ ^(٢) [التكاثر] ح ٣٣٥٥؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٦٦٥)؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند ضعيف.

(٣) تقدم تخريجه في الرواية السابقة.

(٤) رجاله ثقات إلا سلمة بن داود الغرضي لم أجد له ترجمة.

(٥) هو ابن أبي حاتم الرازي صاحب التفسير.

(٦) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو حميد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك. ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَةَ، حدثنا زكريا بن يحيى الخزاز المقرئ، حدثنا عبد الله بن عيسى أبو خالد الخزاز، حدثنا يونس بن عبيد، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة، فوجد أبا بكر في المسجد فقال: «ما أخرجك هذه الساعة؟» قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله. قال: وجاء عمر بن الخطاب فقال: «ما أخرجك يا ابن الخطاب؟» قال: أخرجني الذي أخرجكما. قال: فقعد عمر، وأقبل رسول الله ﷺ يحدثهما، ثم قال: «هل. بكما من قوة، تنطلقان إلى هذا النخل فتصيان طعاماً وشراباً وظلاً؟» قلنا: نعم. قال: «مروا بنا إلى منزل ابن التَّيْهَانِ أَبِي الْهَيْثَمِ الْأَنْصَارِيِّ». قال: فتقدم رسول الله ﷺ بين أيدينا، فسلم واستأذن - ثلاث مرات - وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام، تريد أن يزيدها رسول الله ﷺ من السلام، فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم، فقالت: يا رسول الله، قد - والله - سمعت تسليمك، ولكن أردت أن تزيدنا من سلامك. فقال لها رسول الله ﷺ: «خيراً». ثم قال: «أين أبو الهيثم؟ لا أراه». قالت: يا رسول الله، هو قريب ذهب يَسْتَعِذُّ بِالماء، ادخلوا فإنه يأتي الساعة إن شاء الله، فبسطت - بساطاً تحت شجرة، فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم، فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقاً، فقال له رسول الله ﷺ: «حَسْبُكَ يَا أبا الْهَيْثَمِ». قال: يا رسول الله، تأكلون من بُسرِهِ، ومن رطبِهِ، ومن تَدْنُوْبِهِ، ثم أتاهم بماء فشرَبوا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه»^(١). هذا غريب من هذا الوجه.

وقال ابن جرير: حدثني الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّدَائِقِيُّ، حدثنا الْوَلِيدُ بْنُ الْقَاسِمِ، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: بينما أبو بكر وعمر جالسان، إذ جاءهما النبي ﷺ فقال: «ما أجلسكما ههنا؟» قالا: والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع. قال: «والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره». فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار، فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النبي ﷺ: «أين فلان؟» فقالت: ذهب يستعذب لنا ماء. فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال: مرحباً، ما زار العباد شيء أفضل من شيء زارني اليوم. فعلق قُرْبَتَهُ بِكرب نخلة، وانطلق فجاءهم بعذوق، فقال النبي ﷺ: «ألا كنت اجتنتيت؟» فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم. ثم أخذ الشفرة، فقال النبي ﷺ: «إياك والحلوب؟» فذبح لهم يومئذ، فأكلوا. فقال النبي ﷺ: «لتسئلن عن هذا يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع، فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا، فهذا من النعيم»^(٢).

ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان، به^(٣). ورواه أبو يعلى وابن ماجه، من حديث

(١) في سنده يونس بن عبيد وهو مقبول. (التقريب ص ٦١٣) وعبد الله بن عيسى بن خالد الخزاز وهو ضعيف. (التقريب ص ٣١٧). فسنده ضعيف، ولبعضه شواهد كما يليه.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٣) صحيح مسلم، الأشربة، باب جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك (ح ٢٠٣٨).

[المحاريبي]^(١)، عن يحيى بن عُبيد الله، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بكر الصديق، به^(٢). وقد رواه أهل السنن الأربعة، من حديث عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، بنحو من هذا السياق وهذه القصة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سُريج، حدثنا حُشْرَج، عن أبي نُصرة، عن أبي عسيب - يعني مولى رسول الله - قال: خرج رسول الله ﷺ ليلاً فمرَّ بي، فدعاني فخرجت إليه، ثم مرَّ بأبي بكرٍ فدعاه فخرج إليه، ثم مرَّ بعمرٍ فدعاه فخرج إليه، فانطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: «أطعمنا». فجاء بعذق فوضعه، فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم دعا بماء بارد فشرب، وقال: «لتسئلن عن هذا يوم القيامة». قال: فأخذ عُمرُ العذق فضرب به الأرض، حتى تناثر البُسْرُ قبل رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله، إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: «نعم، إلا من ثلاثة: خرقة لفَّ بها الرجل عورته، أو كسرة سدَّ بها جوعته، أو جحر تدخَّل فيه من الحرِّ والقرِّ»^(٣). تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، حدثنا عمار، سمعت جابر بن عبد الله يقول: أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطباً، وشربوا ماء، فقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه»^(٤).

ورواه النسائي، من حديث حماد بن سلمة [عن عمار بن أبي عمار، عن جابر]^(٥)، به^(٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا محمد بن عمرو، عن صفوان بن سليم، عن محمود بن الربيع قال: لما نزلت ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ﴿١﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿لَتَسْتَئِنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نُسأل؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا، والعدو حاضر، فعن أي نعيم نُسأل؟ قال: «أما إن ذلك سيكون»^(٧).

وقال أحمد: حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، حدثنا عبد الله بن سليمان، حدثنا معاذ بن عبد الله بن حبيب، عن أبيه، عن عمه قال: كنا في مجلس فطلع علينا النبي ﷺ وعلى رأسه أثر

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «المكاري».

(٢) (مسند أبي يعلى ١/٧٩ ح ٧٨)؛ وسنن ابن ماجه، الذبائح، باب النهي عن ذبح ذوات الدر (ح ٣١٨١)؛ وضعفه البوصيري والألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، ويشهد له سابقه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٣٤/٣٦٧ ح ٢٠٧٦٨) وقال محققوه: حُشْرَج، وهو ابن نباتة الأشجعي، مختلف فيه. اهـ. وحسنه الحافظ ابن حجر حيث قال في ترجمة أبي عسيب: أخرج له ابن منده حديثاً من رواية حُشْرَج بن نباتة عن أبي نضرة، وإسناده حسن (الإصابة ١٠/٢٥٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وصححه سننه محققوه. (المسند ٢٣/٩٨ ح ١٤٧٨٦).

(٥) زياد من (حم).

(٦) سنن النسائي، الوصايا، باب قضاء الدين قبل الميراث ٦/٢٤٦؛ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٣٤٠٠).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وقال محققوه: حديث حسن على اختلاف في إسناده على محمد بن عمرو. (المسند ٣٩/٤٧ ح ٢٣٦٤٠)؛ وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق محمد بن عمرو به (المصنف ٨/١٣١) وسنده حسن.

ماء، فقلنا: يا رسول الله، نراك طيب النفس. قال: «أجل». قال: ثم خاض الناس في ذكر الغنى، فقال رسول الله ﷺ: «لا بأس بالغنى لمن اتقى الله، والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى، وطيب النفس من النعيم»^(١).

ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن خالد بن مخلد، عن عبد الله بن سليمان، به^(٢).

وقال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا شبابة، عن عبد الله بن العلاء، عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عزم الأشعري قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال النبي ﷺ: «إن أول ما يسأل عنه - يعني: يوم القيامة - العبد من النعيم أن يقال له: ألم نصِّحْ لك جسمك، ونزوك من الماء البارد؟ تفرد به الترمذي»^(٣). ورواه ابن حبان في صحيحه، من طريق الوليد بن مسلم، عن عبد الله بن العلاء بن زبر، به^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا مُسَدَّد، حدثنا سفيان، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن حاطب، عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير: لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، قالوا: يا رسول الله، لأي نعيم نسأل عنه، وإنما هما الأسودان التمر والماء؟ قال: «إن ذلك سيكون»^(٥). وكذا رواه الترمذي وابن ماجه، من حديث سفيان - هو ابن عيينة - به. ورواه أحمد عنه^(٦)، وقال الترمذي: حسن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الطُّهْرَانِي، حدثنا حفص بن عمر العدني، عن الحكم ابن أبان، عن عكرمة قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٧)، قالت الصحابة: يا رسول الله، وأي نعيم نحن فيه، وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: قل لهم: أليس تحتذون النعال، وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم^(٨).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا محمد بن [سليمان]^(٩) بن الأصبهاني، عن ابن أبي ليلى - أظنه عن عامر - عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(١٠) قال: «الأمن والصحة»^(١١).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وحسن سنده محققوه (المسند ٢٢٩/٣٨ ح ٢٣٦٥٨).

(٢) سنن ابن ماجه، التجارات، باب الحث على المكاسب (ح ٢١٤١) وصحح البوصيري سنده. (مصباح الزجاجة ١٥٨/٢)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٧٤١).

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومثته. (السنن، التفسير، باب ومن سورة ﴿الْهَنُكُمُ التَّكْوِيْنُ﴾ [التكاثر] ح ٣٣٥٨؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٧٤).

(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٣٦٤/١٦ ح ٧٣٢٠.

(٥) سنده حسن.

(٦) (المسند ١٧٤/١)؛ وسنن الترمذي، الباب السابق ٣٣٥٦؛ وسنن ابن ماجه الزهد، باب معيشة أصحاب النبي ﷺ (ح ٤١٥٨)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٧٢).

(٧) سنده ضعيف لضعف حفص بن عمر العدني، وإرسال عكرمة.

(٨) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «السلطان».

(٩) في سنده محمد بن سليمان الأصبهاني: صدوق يخطئ (التقريب ص ٤٨١)، وفيه تردد في قول الراوي: أظنه =

وقال زيد بن أسلم، عن رسول الله ﷺ: «ثُمَّ لَتُسْتَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾» يعني: شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الحلق، ولذة النوم. رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم عنه في أول السورة^(١).

وقال سعيد بن جبير: حتى عن شربة عسل^(٢).

وقال مجاهد، عن كل لذة من لذات الدنيا^(٣).

وقال الحسن البصري: نعيم الغداء والعشاء.

وقال أبو قلابة: من النعيم أكل العسل والسمن بالخبز النقي. وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «ثُمَّ لَتُسْتَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾» قال: النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: «إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا»^(٤) [الإسراء: ٣٦].

وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٥).

ومعنى هذا: أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا أبو حمزة، عن ليث، عن أبي فزارة، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فوق الإزار، وظل الحائط، وخُبْز، يحاسب به العبد يوم القيامة، أو يسأل عنه»^(٦)، ثم قال: لا نعرفه إلا بهذا الإسناد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا بَهْزُ وعفان قالا: حدثنا حماد - قال عفان في حديثه: قال إسحاق بن عبد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: - قال عفان: يوم

= عن عامر، ويشهد له ما أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل، والراوي عنه ابنه عبد الرحمن وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق بكير بن عتيق عن سعيد بن جبير.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وكذا أبو نعيم (حلية الأولياء ٢٨١/٣).

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) صحيح البخاري، الرقاق، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة (ح ٦٤١٢)؛ وسنن الترمذي، الزهد، باب الصحة والفراغ (ح ٢٣٠٤)؛ وسنن ابن ماجه، الزهد، باب الحكمة (ح ٤١٧٠).

(٦) أخرجه البزار بسنده ومثنه (مختصر زوائد مسند البزار ٥٠٥/٢ ح ٢٣٠١) قال الهيثمي: فيه ليث بن أبي سليم، وقد وثق على ضعف فيه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح غير القاسم بن محمد بن يحيى المروزي وهو ثقة. (مجمع الزوائد ٢٦٧/١٠).

القيامة -: يابن آدم، حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء، وجعلتك تَرْبَعٌ^(١) وترأس^(٢)، فأين شكر ذلك؟^(٣). تفرد به من هذا الوجه.
آخر تفسير سورة «التكاثر»، والله الحمد [والمِنَّة]^(٤).

(١) أي: تركتك مستريحاً لا تحتاج إلى مشقة وتعب (شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/١٠٣).
(٢) أي: جعلتك رئيس القوم وكبيرهم (المصدر السابق).
(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه، وصححه سننه محققوه. (المسند ١٦/٢٤٥ ح ١٠٣٧٩).
(٤) زيادة من (حم).

سُورَةُ الْعَصْرِ

[وهي^(١) مكية

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب [لعنه الله]^(٢)، [وذلك بعدما بعث رسول الله ﷺ]^(٣) وقبل أن يسلم عمرو، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة؟ قال: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾. ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال: وقد أنزل علي مثلها. فقال له عمرو: وما هو؟ فقال: يا وُبر يا وُبر، إنما أنت أذنان وصدر، وسائرک حفز نَفَز. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أنني أعلم أنك تكذب^(٤).

وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف بـ«مساوي الأخلاق»، في الجزء الثاني منه، شيئاً من هذا أو قريباً منه^(٥).

والوُبر: دويبة تشبه الهرّ، أعظم شيء فيه أذناه، وصدره وباقيه دميم. فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن، فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان. وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الله بن حصن أبي مدينة، قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا، لم يتفرقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر «سورة العصر» إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر^(٦). وقال الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة، لوسعتهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.

العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هو العشي^(٧)، والمشهور الأول.

- (١) زيادة من (حم).
 (٢) زيادة من (حم).
 (٣) زيادة من (ح) و(حم).
 (٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ١٧.
 (٥) مساوي الأخلاق رقم ١٧٥، وذكر ابن شاهين قصة مسيلمة. (ينظر: الإصابة ٢٢٥/٣).
 (٦) المعجم الأوسط ٢١٥/٥ (ح ٥١٢٤)، وسنده مرسل.
 (٧) سنده صحيح.

فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر؛ أي: في خسارة وهلاك، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على المصائب والأقذار، وأذى مَنْ يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر. آخر تفسير سورة «العصر»، والله الحمد والمنة.

سُورَةُ ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُحْمَةٌ﴾

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُحْمَةٌ﴾ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩).

الهماز: بالقول، واللاماز: بالفعل. يعني: يزدرى بالناس ويستقص بهم. وقد تقدم بيان ذلك في قوله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَلَمٍ بِنَمِيمٍ﴾ (١١) [القلم].

قال ابن عباس: ﴿هُمَزَةٍ لُحْمَةٌ﴾ طعان معياب (١).

وقال الربيع بن أنس: الهمزة، يهمزه في وجه، واللمزة من خلفه (٢).

وقال قتادة: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعن عليهم (٣).

وقال مجاهد: الهمزة: باليد والعين، واللمزة: باللسان (٤). وهكذا قال ابن زيد (٥).

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هُمَزَةٌ لَحُومُ النَّاسِ (٦).

ثم قال بعضهم: المراد بذلك الأخنس بن شريق (٧). وقيل غيره (٨). وقال مجاهد: هي عامة (٩).

وقوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ (١) أي: جمعه بعضه على بعض، وأحصى عدده كقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (٨) [المعارج]. قاله السدي، وابن جرير (١٠).

(١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «طعان مغتاب».

(٢) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «الهمزة باليد واللمزة باللسان».

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٦) سنده صحيح.

(٧) ذكره الطبري من غير سند، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن السدي.

(٨) أخرجه الطبري بسند مرسل من طريق ابن أبي نجيح عن رجل نزلت في جميل بن عامر الجُمحي.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(١٠) ذكره الطبري بنحوه، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن السدي.

وقال محمد بن كعب في قوله: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾: ألهاه ماله بالنهار، هذا إلى هذا، فإذا كان الليل، نام كأنه جيفة.

وقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ﴾ (٢) أي: يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار؟ ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب. ثم قال تعالى: ﴿لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْحُمَةِ﴾ أي: ليلقين هذا الذي جمع مالا فعدده (١) في الحطمة وهي اسم من أسماء النار صفة؛ لأنها تحطم من فيها. ولهذا قال: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحُمَةُ﴾ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُؤَقَّدَةُ (٦) الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَقْدَمِ (٧).

قال ثابت البناني: تحرقهم إلى الأبدية وهم أحياء، ثم يقول: لقد بلغ منهم العذاب، ثم يبكي. وقال محمد بن كعب: تأكل كل شيء من جسده، حتى إذا بلغت فؤاده حَذْوَ حلقة ترجع على جسده.

وقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّصَدَّةٌ﴾ (٨) أي: مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد (٢).

وقال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا علي بن سراج، حدثنا عثمان بن [خَرَزَاد] (٣)، حدثنا شجاع بن أشرس، حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّصَدَّةٌ﴾ (٨) قال: «مطبقة» (٤).

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن عبد الله بن أسيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح قوله ولم يرفعه (٥).

﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ (٩) قال عطية العوفي (٦): عمد من حديد.

وقال السُّدِّي (٧): من نار.

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ (٩) يعني: الأبواب هي الممدودة (٨).

وقال قتادة: في قراءة عبد الله بن مسعود: «إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة» (٩).

وقال العوفي، عن ابن عباس: أدخلهم في عَمَدٍ فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب (١٠).

وقال قتادة: كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار (١١). واختاره ابن جرير.

وقال أبو صالح: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ (٩) يعني: القيود الطوال (١٢).

آخر تفسير سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) آية ٢٠.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: جردار.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة البلد آية ٢٠. (٥) سنده جيد.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن عطية. (٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن السدي.

(٨) سنده حسن، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٩) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وسنده منقطع لأن قتادة لم يسمع من ابن مسعود، والقراءة شاذة تفسيرية.

(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. (١١) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل.

(١٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

سُورَةُ الْفِيلِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِي تَرَىٰ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ۚ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ أَمَاكُولٍ (٥)﴾.

هذه من النعم التي امتنَّ الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم أنافهم، وخيب سعيهم، وأضلَّ عملهم، ورَدَّهم بشر خيبة. وكانوا قومًا نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان. ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم - يا معشر قريش - على الحبشة لخيرينكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد، صلوات الله وسلامه عليه، خاتم الأنبياء.

وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار والتقريب، قد تقدم^(١) في قصة أصحاب الأخدود: أن ذا نُوَّاس - وكان آخر ملوك حمير، وكان مشركاً - هو الذي قتل أصحاب الأخدود، وكانوا نصارى، وكانوا قريباً من عشرين ألفاً، فلم يفلت منهم إلا دُوس ذو ثعلبان، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام - وكان نصرانياً - فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة؛ لكونه أقرب إليهم، فبعث معه أميرين: أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم، في جيش كثيف، فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار، واستلبوا الملك من حمير، وهلك ذو نواس غريقاً في البحر. واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران: أرياط وأبرهة، فاختلفا في أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا، فقال أحدهما للآخر: إنه لا حاجة بنا إلى اصطدام الجيشين بيننا، ولكن أبرز إلي وأبرز إليك، فأينا قتل الآخر، استقل بعده بالملك. فأجابته إلى ذلك فتبارزا، وخَلَفَ كل واحد منهما قناة، فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف، فشرم أنفه وفمه وشق وجهه، وحمل عَتَوْدَة مولى أبرهة على أرياط فقتله، ورجع أبرهة جريحاً، فداوى جرحه فَبَرَأَ، واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن. فكتب إليه النجاشي يلومه على ما كان منه، ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده

(١) تقدم ذكر القصة مختصراً في تفسير سورة البروج ١ - ١٠. وقصة أصحاب الفيل سردها ابن هشام. (السيره

ويجزن ناصيته. فأرسل إليه أبرهة يترقق له ويصانعه، وبعث مع رسوله بهدايا وتحف، وبجواب فيها من تراب اليمن، وجزء ناصيته فأرسلها معه، ويقول في كتابه: ليطأ الملك على هذا الجراب، فيبرّ قسمه، وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك. فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه، ورضي عنه، وأقره على عمله. وأرسل أبرهة يقول للنجاشي: إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يُبْنَ قبلها مثلاً. فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء، ربيعة البناء، عالية الفناء، مزخرفة الأرجاء؛ سمتها العرب: القُلَيْس؛ لارتفاعها؛ لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها. وعزم أبرهة الأشرم على أن يصرف حجّ العرب إليها كما يُحَجّ إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك، وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً، حتى قصدوا بعضهم، وتوصل إلى أن دخلها ليلاً. فأحدث فيها وكرّاً راجعاً. فلما رأى السدنة ذلك الحدث، رفعوا أمرهم إلى ملكهم أبرهة، وقالوا له: إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذي ضاهيت هذا به، فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة، وليخربنه حجراً حجراً.

وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها ناراً، وكان يوماً فيه هواء شديد فأحرقت، وسقطت إلى الأرض.

فتأهب أبرهة لذلك، وصار في جيش كثيف عزمهم؛ لئلا يصدّه أحد عنه، واستصحب معه فيلاً عظيماً كبير الجثة لم ير مثله، يقال له: محمود، وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحبشة لذلك. ويقال: كان معه أيضاً ثمانية أفيال. وقيل: اثنا عشر فيلاً. وقيل غيره، والله أعلم. يعني ليهدم به الكعبة، بأن يجعل السلاسل في الأركان، وتوضع في عُتْق الفيل، ثم يزرع ليلقي الحائط جملة واحدة. فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً، ورأوا أن حقاً عليهم المحاجة دون البيت، ورَد من أراحه بكيد. فخرج إليه رجل من أشرف أهل اليمن وملوكهم، يقال له: «ذو نَفَر» فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وخرابه. فأجابوه وقاتلوا أبرهة، فهزمهم لما يريد الله ﷻ، من كرامة البيت وتعظيمه، وأسر «ذو نَفَر» فاستصحبه معه. ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم، فعرض له نُفَيْل بن حَبِيب الخثعمي في قومه: شهران وناهس، فقاتلوه، فهزمهم أبرهة، وأسر نُفَيْل بن حبيب، فأراد قتله ثم عفا عنه، واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز. فلما اقترب من أرض الطائف، خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم، الذي عندهم، الذي يسمونه اللات.

فأكرمهم وبعثوا معه «أبا رغال» دليلاً. فلما انتهى أبرهة إلى المُعَمَّس - وهو قريب من مكة - نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها، فأخذوه. وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب. وكان الذي أغار على السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة، وكان يقال له: «الأسود بن مَفْصُود» فهجاه بعض العرب - فيما ذكره ابن إسحاق^(١) - وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش، وأن يخبره أن الملك لم يجيء لقتالكم إلا أن تصدّوه عن البيت. فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب:

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٥١/١ - ٥٢.

والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة، وإن يخلي بينه وبينه، فوالله ما عندنا دَفْعُ عنه. فقال له حنطة: فاذهب معي إليه. فذهب معه، فلما رآه أبرهة أجله، وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سريره، وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال للترجمان: إن حاجتي أن يردَّ عليَّ الملك مائتي بعير أصابها لي. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه، لا تكلمني فيه؟! فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه. قال: ما كان ليمنع مني! قال: أنت وذاك.

ويقال: إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت، فأبى عليهم، وردَّ أبرهة على عبد المطلب إبله، ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة، والتحصن في رؤوس الجبال، تخوفاً عليهم من مَعرة الجيش. ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، وقال عبد المطلب وهو أخذ بحلقة باب الكعبة:

لَا هُمْ إِنْ الْمَرءِ يَمْ — نَعُ رَحْلَهُ فَاْمْنَعُ جَلَالِكَ
لَا يَغْلِبَنَّ صَالِبُهُمْ — وَمَحَالُّهُمْ غَدَوْاً مَحَالِكَ^(١)

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب، ثم خرجوا إلى رؤوس الجبال^(٢). وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلَّدة، لعلَّ بعض الجيش ينال منها شيئاً بغير حق، فينتقم الله منه.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهياً فيله - وكان اسمه محموداً - وعبأ جيشه، فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال: «أبرك محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام». ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل. وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى. فضربوا في رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم في مَراقه فبزغوه بها ليقوم، فأبى: فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبكسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق، ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق هذا. ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز، ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النعمة، وجعل نفيل يقول:

(١) أخرجه الحاكم من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس بنحوه؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٣٥/٢).

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٥٢/١، وذكره الطبري أيضاً.

أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَالْإِلَهُ الطَّالِب
قال ابن إسحاق: وقال نُفَيْل في ذلك أيضاً:
أَلَا حُيَيْتَ عَنَا يَا رُدَيْنَا
رُدَيْنَةُ، لَوْ رَأَيْتَ - وَلَا تَرِيهِ
إِذَا لَعَذَرْتَنِي وَحَمَدْتَ أُمْرِي
حَمَدْتُ اللَّهَ إِذَا أَبْصَرْتُ طَيْراً
فَكُلَّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْل
وَالْأَشْرُمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِب^(١)
نَعْمَنَا كُمْ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
لَدَى جَنْبِ الْمَحْضَبِ - مَا رَأَيْنَا
وَلَمْ تَأْسَى عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَنَا
وَخَفْتُ حَجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا!

وذكر الواقدي بأسانيده أنهم لما تعبوا لدخول الحرم وهيئوا الفيل، جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب [فيها]^(٢)، فإذا وجهوه إلى الحرم رُبِضَ وصاح. وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه، ليقهر الفيل على دخول الحرم. وطال الفصل في ذلك. هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة، منهم المطعم بن عدي، وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، ومسعود [بن عمرو]^(٣) الثقفي، على حراء ينظرون إلى ما الحبشة يصنعون، وماذا يلقون من أمر الفيل، وهو العجب العجائب. فبينما هم كذلك، إذ بعث الله عليهم طيراً أبابيل؛ أي: قطعاً قطعاً صفراً دون الحمام، وأرجلها حمر، ومع كل طائر ثلاث أحجار، وجاءت فحلقت عليهم، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا.

وقال محمد بن كعب: جاؤوا بفيلين فأما محمود فَرَبِضَ، وأما الآخر فَشَجَعَ فُحْصِبَ.
وقال وهب بن منبه: كان معهم فيلة، فأما محمود - وهو فيل الملك - فربض، ليقتردي به بقية الفيلة، وكان فيها فيل تَشَجَعَ فُحْصِبَ، فهربت بقية الفيلة.

وقال عطاء بن يسار، وغيره: ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة، بل منهم من هلك سريعاً، ومنهم من جعل يتساقط عضواً عضواً وهم هاربون، وكان أبرهة ممن يتساقط عضواً عضواً، حتى مات ببلاد خثعم.

قال ابن إسحاق: فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

وذكر مقاتل بن سليمان: أن قريشاً أصابوا ملاً جزيلاً من أسلابهم، وما كان معهم، وإن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة.

وقال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة: أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رُوي به مرائر الشجر الحرمل، والحنظل والعُشر، ذلك العام.

وهكذا روي عن عكرمة، من طريق جيد.

(٢) زيادة من (ح) و(حم).

(١) المصدر السابق ٥٣/١ وتفسير الطبري.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله محمداً ﷺ كان فيما يُعَدُّ به على قريش من نعمه عليهم وفضله، ما رَدَّ عنهم من أمر الحبشة، لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْأَيْلِ ۖ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۖ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِيلٍ ۚ فَعَلَّهُمْ كَعْصِفٌ مَّاكُولٍ ۝﴾. ﴿لَا يَلْفُ قَرْنٍ ۖ لِّإِلْفِهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ۖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۖ﴾ [قريش] أي: لئلا يغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه.

قال ابن هشام: الأبايل: الجماعات، ولم تتكلم العرب بواحدة. قال: وأما السجيل، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب. قال: وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سَنَجٌ وجل يعني بالسنج: الحجر، والجَل: الطين. يقول: الحجارة من هذين الجنسين: الحجر والطين. قال: والعصف: ورق الزرع الذي لم يُقَصَّب، واحدته عصفه. انتهى ما ذكره^(١).

وقد قال حماد بن سلمة: عن عاصم، عن زرٍّ، عن عبد الله - وأبو سلمة بن عبد الرحمن -: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: الفرق^(٢).

وقال ابن عباس، والضحاك: أبابيل يتبع بعضها بعضاً^(٣).

وقال الحسن البصري، وقتادة: الأبايل: الكثيرة^(٤).

وقال مجاهد: ﴿أَبَابِيلَ﴾: شتى متتابعة مجتمعة^(٥).

وقال ابن زيد: الأبايل: المختلفة، تأتي من ههنا، ومن ههنا، أتتهم من كل مكان^(٦).

وقال الكسائي: سمعت بعض النحويين يقول: واحد الأبايل: إيل^(٧).

وقال ابن جرير: [حدثنا ابن المثنى]^(٨)، حدثني عبد الأعلى، حدثني داود، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل؛ أنه قال في قوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾^(٩) هي: الأفاطيع، كالإيل المؤبلة^(٩).

(١) السيرة النبوية ٥٤/١ - ٥٥.

(٢) أخرجه الطبري من طريق يحيى بن سعيد عن حماد بن سلمة به، وسنده حسن؛ وأخرجه البيهقي من طريق حماد بن سلمة به. (دلائل النبوة ١/١٢٣).

(٣) أخرجه الطبري والبيهقي من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وسنده ثابت؛ وأخرجه الطبري من طريق عن الضحاك بسند فيه إبهام شيخ الطبري، ويتقوى بسابقه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الفضل عن الحسن، ومعناه صحيح ويتقوى بسابقه ولاحقه. والفضل هو ابن دلهم البصري يروي عن الحسن ويروي عنه وكيع وهو لين. (التقريب ص ٤٤٦، والتهذيب ٨/٢٧٦ - ٢٧٧)؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٧) ذكره الطبري عن الكسائي بنحوه وأطول. (٨) زيادة من تفسير الطبري.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن.

وحدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا وَكِيع، عن ابن عون، عن ابن سيرين، عن ابن عباس: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأف الكلاب^(١).

وحدثنا يعقوب، حدثنا هُشَيْم، أخبرنا حصين، عن عكرمة في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: كانت طيراً خضراً خرجت من البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع^(٢).

وحدثنا ابن بشار، حدثنا ابن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عبيد بن عمير: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: هي طير سود بحرية، في مناقيرها وأظافيرها الحجارة^(٣). وهذه أسانيد صحيحة.

وقال سعيد بن جبیر: كانت طيراً خضراً لها مناقير صفر، تختلف عليهم^(٤).

وعن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء: كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها: عَنَقَاء مُغْرَب. رواه عنهم ابن أبي حاتم^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عبيد بن عمير، قال: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل، بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر، أمثال الخطاطيف، كل طير منها تحمل ثلاثة أحجار مُجَزَّعة: حجرين في رجله وحجراً في منقاره. قال: فجاءت حتى صفت على رؤوسهم، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره، ولا يقع على شيء من جسده إلا وخرج من الجانب الآخر. وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً^(٦).

وقال السُّدِّي، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَجْجَأَوْنَ مِنَ سِجِّيلٍ﴾ قال: طين في حجارة: «سَنَكٌ ووَكَلٌ»^(٧) وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ قال سعيد بن جبیر: يعني التبن الذي تسميه العامة: هبور^(٨). وفي رواية عن سعيد: ورق الحنطة^(٩). وعنه أيضاً: العصف: التبن. والمأكول: القصيل يجز للدواب. وكذلك قال الحسن البصري.

وعن ابن عباس: العصف: القشرة التي على الحبة^(١٠)، كالغلاف على الحنطة.

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لأن ابن سيرين لم يسمع من ابن عباس عليه السلام.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وهو شبيه بالمرسل.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وهو شبيه بالمرسل.

(٤) أخرجه الطبري من طريق عطاء بن السائب، وهو شبيه بالمرسل.

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٦) سنده شبيه بالمرسل.

(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق السدي به.

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم في دلائل النبوة عن ابن عباس بلفظ: «الهبور، عصافة الزرع».

(٩) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد والفرابي وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر.

(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «الذي يكون فوق البر، هو لحاء البر».

وقال ابن زيد: العصف: ورق الزرع، وورق البقل، إذا أكلته البهائم فرائثه، فصار دَرِيناً^(١). والمعنى: أن الله ﷻ، أهلكهم ودمرهم، وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً، وأهلك عامتهم، ولم يرجع منهم بخبر إلا وهو جريح، كما جرى لملكهم أبرهة، فإنه انصدع صَدْرُهُ عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء، وأخبرهم بما جرى لهم، ثم مات. فملك بعده ابنه يكسوم، ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة^(٢). ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى فاستعانه على الحبشة، فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه، فردَّ الله إليهم ملكهم، وما كان في آبائهم من الملك، وجاءته وفود العرب للتهنئة.

وقد قال محمد بن إسحاق: حدثنا عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن عائشة قالت: لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مُقْعَدَيْن، يستطعمان^(٣). ورواه الواقدي، عن عائشة مثله. ورواه أيضاً عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: كانا مقعدين يستطعمان الناس، عند إساف ونائلة، حيث يذبح المشركون ذبائحهم. قلت: كان اسم قائد الفيل: أنيساً.

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب «دلائل النبوة» من طريق ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد، عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل، ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن، وإنما بعث على الجيش رجلاً يقال له: شمر بن مفصود، وكان الجيش عشرين ألفاً، وذكر أن الطير طرقتهم ليلاً، فأصبحوا صرعى^(٤).

وهذا السياق غريب جداً، وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره. والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشي قدم مكة كما دلَّ على ذلك السياقات والأشعار. وهكذا روى ابن لهيعة، عن الأسود، عن عُرْوَةَ: أن أبرهة بعث الأسود بن مفصود على كتية معهم الفيل، ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه، والصحيح قدومه، ولعل ابن مفصود كان على مقدمة الجيش، والله أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق شيئاً من أشعار العرب، فيما كان من قصة أصحاب الفيل، فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبيري:

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا	كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا
لَمْ تُخْلَقِ الشَّعْرَى لِيَالِي حُرْمَتِ	إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا
سَائِلَ أَمِيرِ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى؟	فَلَسَوْفَ يُنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلِيمُهَا
سَتُونَ أَلْفًا لَمْ يَوْوَبُوا أَرْضَهُمْ	بَلْ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٦١/١.

(٣) أخرجه ابن إسحاق بسنده ومتنه وفي آخره: يستطعمان الناس. (المصدر السابق ٥٧/١) وسنده صحيح، وعبد الله بن أبي بكر هو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري يروي عن عمرة ويروي عن ابن إسحاق. (تهذيب التهذيب ١٦٤/٥، ١٦٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم (دلائل النبوة ص ١٠١) وعقيل بن خالد لم أقف على ترجمة له، واستغرب متنه الحافظ ابن كثير.

كانت بها عادٌ وجُرهم قبلهم
وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري المدني:
ومن صنعه يوم فيل الحبو
محاجنهم تحت أقرانه
وقد جعلوا سوطه مغولاً
فولّى وأدبر أدرأجه
فأرسل من فوقهم حاصباً
تحت على الصّبر أحبارهم
وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، ويروى
لأمية بن الصلت بن أبي ربيعة:

إِن آيَاتِ رَبِّنَا بَاقِيَاتٌ
خُلِقَ اللَّيْلُ النَّهَارُ فَكُلٌّ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارُ رَبُّ رَحِيمٌ
حُبِسَ الْفِيلُ بِالْمُغَمَّسِ حَتَّى
لَازِمًا خَلَقَهُ الْجِرَانُ كَمَا قُطِرَ
حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكٍ كِنْدَةَ أَبْطَالٍ
خَلَفُوهُ ثُمَّ ابْدَعُوا جَمِيعاً،
كُلَّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ الْـ

ش، إِذْ كُلُّ مَا بَعَثُوهُ رَزَمٌ
وَقَدْ شَرَمُوا أَنْفَهُ فَاَنْخَرَمَ
إِذَا يَمَّمُّوهُ قَفَّاهُ كُلِّيمٌ
وَقَدْ بَاءَ بِالظَّلَمِ مَنْ كَانَ ثَمَّ
يَلْفُهُمْ مِثْلُ لَفِّ الْقَزَمِ
وَقَدْ تَأْجُوا كَثَوَاجَ الْعَنَمِ^(١)

مَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
مُسْتَبِينَ حَسَابُهُ مَقْدُورُ
بِمَهَاةٍ شُعَاعَهَا مَنْشُورُ
صَارَ يَحْبُو، كَأَنَّهُ مَعْقُورُ
مَنْ ظَهَرَ كَبُكْبُ مَحْدُورُ
مَلَاوِيثُ فِي الْخُرُوبِ صُقُورُ
كُلَّهُمْ عَظُمَ سَاقُهُ مَكْسُورُ
لَهُ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفَةِ بَوْرُ^(٢)

وقد قدمنا في تفسير «سورة الفتح» أن رسول الله ﷺ لما أطلَّ يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش، بركت ناقته، فزجروها فألحَّت، فقالوا: خلأت القصواء؛ أي: حرنت. فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرُمات الله، إلا أجبتهم إليها». ثم زجرها فقامت. والحديث من أفراد البخاري^(٤).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حرُمُها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب»^(٥).

آخر تفسير سورة «الفيل»، والله الحمد والمنة.

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٥٧/١.

(٢) المصدر السابق ٥٨/١.

(٣) المصدر السابق ٦٠/١.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفتح آية ٢٦.

(٥) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (صحيح البخاري، العلم، باب كتابة العلم ح ١١٢؛ وصحيح مسلم، الحج، باب تحريم مكة ح ١٣٥٥).

سُورَةُ ۞ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۞

وهي مكية

ذُكِرَ حديث غريب في فضلها: قال البيهقي في كتاب «الخلافات»: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو، حدثنا أحمد بن عُبيد الله [النرسي]^(١)، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل، حدثني عثمان بن عبد الله بن أبي [عتيق]^(٢)، عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة، عن أبيه، عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «فضل الله قريشاً بسبع خلال: أني منهم، وأن النبوة فيهم، والحجابة، والسقاية فيهم، وأن الله نصرهم على الفيل، وأنهم عبدوا الله ﷻ، عشر سنين لا يعبدونه غيرهم، وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن» ثم تلاها رسول الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ۞ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۞ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۞^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ۞ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۞.

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ۞ وإن كانت متعلقة بما قبلها. كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ۞ أي: لا تتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمين^(٤).

وقيل: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمين في أسفارهم؛ لعظمتهم عند الناس، لكونهم سكان حرم الله، فمن عَرَفَهُمَ احترمهم، بل من صوفي إليهم وسار معهم آمن بهم. هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم. وأما في حال إقامتهم في البلد، فكما قال الله: ﴿أَوَلَمْ

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: المدني.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: عبيد.

(٣) أخرجه الحاكم عن بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي به؛ وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: يعقوب ضعيف، وإبراهيم صاحب مناكير. (المستدرک ٥٣٦/٢).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بمعناه.

يُرَوُّ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُحَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴿١﴾ [العنكبوت: ٦٧]. ولهذا قال: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ إِلَّا فِيهِمْ﴾ ﴿٢﴾ بدل من الأول ومفسر له. ولهذا قال: ﴿إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الْيَسَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ﴿٣﴾.

وقال ابن جرير: الصواب أن «اللام» لام التعجب، كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش [ونعمتي عليهم] ^(١) في ذلك. قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان ^(٢).

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ﴿٤﴾ أي: فليوحده بالعبادة، كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٥﴾ [النمل].

وقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ﴾ أي: هو رب البيت، وهو الذي أطعمهم من جوع، ﴿وَأَمَّنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليفرده بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا ندأ ولا وثناً. ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٧﴾ [النمل].

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن عمرو العَدَنِي، حدثنا قَبِيصَةُ، حدثنا سفيان، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويل أمكم، قريش، لإيلاف قريش» ^(٣).

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني، حدثنا عيسى - يعني ابن يونس - عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةُ الْيَسَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ﴿٨﴾ ويحكم يا معشر قريش، اعبدوا ربَّ هذا البيت «الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف».

هكذا رأيته عن أسامة بن زيد، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن، أم سلمة الأنصارية ^(٤). فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية، والله أعلم.

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) ذكره الطبري بنحوه مطولاً.

(٣) سنده ضعيف لما قيل في شهر بن حوشب وليث، وهو ابن أبي سليم.

(٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق عيسى بن يونس به عن أسماء بنت يزيد بن السكن، وضعفه محققوه لضعف شهر بن حوشب. (المسند ٥٨١/٤٥ ح ٢٧٦٠٧) وهذا يؤكد ما ذهب إليه الحافظ ابن كثير أن الصواب عن أسماء بنت يزيد بن السكن.

تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون^(١)

[وهي]^(٢) مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاكِبُونَ ﴿٦﴾ وَيَتَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾ وَالْمَاعُونَ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا محمد ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾؟ وهو: المعاد والجزاء والشواب، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه، ولا يطعمه ولا يحسن إليه، ﴿وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٧﴾ وَلَا تَخْضُوتُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر] يعني: الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته.

ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ قال ابن عباس، وغيره: يعني المنافقين، الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر^(٣).

ولهذا قال: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ أي: الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية، كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً، فيخرجها عن وقتها بالكلية، كما قاله مسروق، وأبو الضحى^(٤).

وقال عطاء بن دينار: والحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: في صلاتهم ساهون^(٥).

وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً. وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به. وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هذا كله، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية. ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل

(١) هكذا جاء عنوان السورة وهي طريقة ابن أبي حاتم في تفسيره.

(٢) زيادة من (حم).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي الضحى عن مسروق.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عمر بن سليمان عن عطاء بن دينار بدون قوله: ولم يقل في صلاتهم ساهون. ولعله سقط هذا النص.

له النفاق العملي. كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقُب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»^(١). فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى - كما ثبت به النص - إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضاً؛ ولهذا قال: «لا يذكر الله فيها إلا قليلاً». ولعله إنما حملة [على]^(٢) القيام إليها مراعاة الناس لا ابتغاء وجه الله، فهو إذا لم يصل بالكلية. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء]. وقال ههنا: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾^(٣).

وقال الطبراني: حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد ربه البغدادي، حدثني أبي، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن يونس، عن الحسن، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «إن في جهنم لوادياً، تستعبد جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمئة مرة، أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد: لحامل كتاب الله، وللمصدق في غير ذات الله، وللحاج إلى بيت الله، وللخارج في سبيل الله»^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة قال: كنا جلوساً عند أبي عبيدة فذكروا الرياء، فقال رجل يكنى بأبي يزيد: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سمع الناس بعمله، سمع الله به سامع خلقه، وحقَّره وصغَّره»^(٥). ورواه أيضاً عن عُندَر ويحيى القطان، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن رجل، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، فذكره^(٥).

ومما يتعلق بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾^(٦) أن من عمل عملاً لله فاطَّلَع عليه الناس، فأعجبه ذلك، أن هذا لا يعد رياء، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا مخلد بن يزيد، حدثنا سعيد بن بشير، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: كنت أصلي، فدخل عليَّ رجل، فأعجبني ذلك، فذكرته لرسول الله ﷺ، فقال: «كُتِبَ لَكَ أَجْرَانِ: أَجْر السِّرِّ، وَأَجْر العلانية»^(٦).

قال أبو علي هارون بن معروف: بلغني أن ابن المبارك قال: نعم الحديث للمرائين.

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه. (الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التكبير بالعصر ح ٦٦٢).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «إلى».

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٢/١٧٥ ح ١٢٨٠٣) وفي سنده عبد الوهاب بن عطاء وهو الخفاف: صدوق ربما أخطأ. (التقريب ص ٣٦٨) وذكر الهيثمي أنه لم يعرف شيخ الطبراني وأباه. (مجمع الزوائد ١٠/٢٢٥) وقال المنذري: رفع حديث ابن عباس غريب ولعله موقوف. (الترغيب والترهيب ١/٦٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه المحققون سنده. (المسند ١١/٥٦٦ ح ٦٩٨٦).

(٥) المسند ١١/٤٣٠ ح ٦٨٣٩ وصححه المحققون سنده.

(٦) سنده ضعيف لضعف سعيد بن بشير كما في التقريب وقد روي من طرق أخرى كما سيأتي.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، [وسعيد بن بشير]^(١) متوسط، وروايته عن الأعمش عزيزة. وقد رواه غيره عنه.

قال أبو يعلى أيضاً: حدثنا محمد بن المثنى بن موسى، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو سنان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل يسره، فإذا اطلع عليه أعجبه. قال: قال رسول الله ﷺ: «له أجران: أجر السر وأجر العلانية»^(٢).

وقد رواه الترمذي عن محمد بن المثنى، وابن ماجه عن بُنْدَار، كلاهما عن أبي داود الطيالسي، عن أبي سنان الشيباني - واسمه: ضرار بن مرة^(٣) - ثم قال الترمذي: غريب، وقد رواه الأعمش وغيره. عن حبيب، عن أبي صالح مرسلًا^(٤).

وقد قال أبو جعفر بن جرير: حدثني أبو كُرَيْب، حدثنا معاوية بن هشام، عن شيبان النحوي، عن جابر الجعفي، حدثني رجل، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾» قال: «الله أكبر، هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا، هو الذي إن صلى لم يَرْجُ خير صلاته، وإن تركها لم يخف ربه»^(٥).

فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف، وشيخه مُبْهَم لم يُسَمَّ، والله أعلم.

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني زكريا بن أبان المصري، حدثنا عمرو بن طارق، حدثنا عِكْرِمَةُ بن إبراهيم، حدثني عبد الملك بن عمير، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»^(٦).

وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية، أو صلاتها بعد وقتها شرعاً، أو تأخيرها عن أول الوقت [سهواً عنها حتى ضاع]^(٧) الوقت.

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «سعيد بن جبير».

(٢) أخرجه الطيالسي عن أبي سنان سعيد بن سنان به. (المسند ص ٣١٨ ح ٢٤٣٠) وفي سننه سعيد بن سنان صدوق له أوهام. (التقريب ص ٢٣٧) وحبيب بن أبي ثابت كثير التدليس والإرسال. (التقريب ص ١٥٠) وقد روي مرفوعاً ومرسلًا عن أبي صالح كما يلي، وهذا من صنيع حبيب أو أبي سنان.

(٣) بل اسمه سعيد بن سنان كما صرح الطيالسي في الرواية السابقة.

(٤) سنن الترمذي، الزهد، باب عمل السر (ح ٢٣٨٤) وتتمة كلام الترمذي: وأصحاب الأعمش لم يذكروا فيه عن أبي هريرة؛ وسنن ابن ماجه الزهد، باب الثناء الحسن (ح ٤٢٢٦)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتمه، وسنده ضعيف للعتين اللتين ذكرهما الحافظ ابن كثير.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتمه، وسنده ضعيف قال أبو زرعة: هذا خطأ والصحيح موقوف. (ينظر: العلل لابن أبي حاتم ١/ ١٨٧ - ١٨٨). وفي سننه عكرمة بن إبراهيم وهو ضعيف. (ينظر: لسان الميزان ٤/ ١٨١).

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

وكذا رواه الحافظ أبو يعلى بن شيبان بن فروخ، عن عكرمة بن إبراهيم، به. ثم رواه عن أبي الربيع، [عن جابر]^(١)، عن عاصم، عن مصعب، عن أبيه موقوفاً. وهذا أصح إسناداً، وقد ضعف البيهقي رفعه، وصحح وقفه، وكذلك الحاكم^(٢).

وقوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (٧) أي: لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم. فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القُرْبَات أولى وأولى. وقد قال ابن أبي نجیح، عن مجاهد: قال علي: الماعون: الزكاة^(٣). وكذا رواه السدي، عن أبي صالح، عن علي^(٤). وكذا روي من غير وجه عن ابن عمر. وبه يقول محمد ابن الحنفية، وسعيد بن جبیر، وعكرمة، ومجاهد، وعطاء، وعطية العوفي، والزهري، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن زيد^(٥).

وقال الحسن البصري: إن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله^(٦). وفي لفظ: «صدقة ماله».

وقال زيد بن أسلم: هم المنافقون، ظهرت الصلاة فصلوها، وضمنت الزكاة فمنعوها^(٧). وقال الأعمش وشعبة، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار: أن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون، فقال: هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس، والقدر، والدلو^(٨). [وقال المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العبيدين: أنه سأل ابن مسعود عن الماعون، فقال: هو ما يتعاطاه الناس بينهم، من الفأس والقدر^(٩)، والدلو، وأشباه ذلك^(١٠). وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي العبيدين وسعد بن عياض، عن عبد الله قال: كنا أصحاب رسول الله ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو، والفأس، والقدر، لا يستغنى عنهن^(١١). وحدثنا خلاد بن أسلم، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي ﷺ مثله^(١٢).

(١) زيادة من (ح)، وفي مسند أبي يعلى باسم: حماد.

(٢) مسند أبي يعلى ٦٣/٢ ح ٧٠٤؛ والسنن الكبرى للبيهقي ٢/٢١٤.

(٣) أخرجه الطبري والحاكم من طريق ابن أبي نجیح به، وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: منقطع. (المستدرک ٥٣٦/٢) وهو كما قال لأن مجاهداً لم يسمع من علي ويتقوى بالآثار التي تليه.

(٤) أخرجه الطبري من طريق السدي به، وسنده ضعيف كسابقه.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق معمر عن الزهري. (المصنف ٩٤/٣). وأخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن ابن عمر وسعيد بن جبیر وقتادة والحسن وابن الحنفية وابن زيد والضحاك.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مبارك - وهو ابن فضالة - عن الحسن.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم.

(٨) أخرجه الطبري عن الأعمش وشعبة به، وسنده حسن.

(٩) زيادة من (ح).

(١٠) أخرجه الطبري من طريق المسعودي به، وسنده حسن.

(١١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح. (١٢) يشهد له سابقه ولاحقه.

وقال الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سُوَيْد، عن عبد الله: أنه سئل عن الماعون، فقال: ما يتعاوره الناس بينهم: الفأس والدلو، وشبهه^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي الفلاس، حدثنا أبو داود - هو الطيالسي - حدثنا أبو عَوَانَةَ، عن عاصم بن بَهْدَلَةَ، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول: الماعون: منع الدلو وأشباه ذلك^(٢).

وقد رواه أبو داود والنسائي، عن قتيبة، عن أبي عوانة بإسناده، نحوه^(٣). ولفظ النسائي عن عبد الله قال: كل معروف صدقة، كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عاريةً الدلو والقدر. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله قال: الماعون: العوّاري: القدر، والميزان، والدلو^(٤).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٥) يعني: متاع البيت^(٥). وكذا قال مجاهد وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، وأبو مالك، وغير واحد: إنها العارية للأمتعة.

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس: [﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٦)] قال: لم يجيء أهلها بعد^(٦).

وقال العوفي، عن ابن عباس^(٧): ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٧) قال: اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال: يمنعون الزكاة. ومنهم من قال: يمنعون الطاعة. ومنهم من قال: يمنعون العارية. رواه ابن جرير^(٨). ثم روي عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عُليّة، عن ليث بن أبي سليم، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي: الماعون: منع الناس الفأس، والقدر، والدلو^(٩).

وقال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال، وأدناه المنخل، والدلو، والإبرة. رواه ابن أبي حاتم^(١٠).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأعمش عن إبراهيم التيمي به. (المصنف ٩٢/٣) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن.

(٣) سنن أبي داود، الزكاة، باب في حقوق المال (ح ١٦٥٧)؛ والسنن الكبرى للنسائي، الماعون (ح ١١٧٠١)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٤٥٩).

(٤) سنده حسن.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن عليّ عن ابن أبي نجيح به.

(٦) أخرجه الطبري وابن أبي شيبة من طريق ابن عليّ عن ليث به. (المصنف ٢٠٣/٣). وليث هو ابن أبي سليم فيه مقال وسنده ضعيف وخصوصاً أنه خالف الطريق الصحيح الذي قبله.

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح كما تقدم.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق ابن عليّ به. (المصنف ٢٠٣/٣)، وسنده ضعيف لضعف الحارث وهو الأعور الهمداني وكذلك فيه ليث بن أبي سليم.

(١٠) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن عكرمة.

وهذا الذي قاله عكرمة حسن؛ فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد. وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة. ولهذا قال محمد بن كعب: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: المعروف^(١). ولهذا جاء في الحديث: «كل معروف صدقة»^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: بلسان قريش: المال^(٣).

وَرَوَى هُنَا حَدِيثاً غَرِيباً عَجِيباً فِي إِسْنَادِهِ وَمَتْنِهِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، وَأَبُو زُرْعَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا دَلْهَمُ بْنُ دَهْثَمٍ الْعَجَلِيُّ، حَدَّثَنَا عَائِذُ بْنُ رَبِيعَةَ النَّمِيرِيُّ، حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ دُعْمُوصٍ النَّمِيرِيُّ: أَنَّهُمْ وَفَدُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «لَا تَمْنَعُوا الْمَاعُونَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمَاعُونَ؟ قَالَ: «فِي الْحَجَرِ، وَفِي الْحَدِيدَةِ، وَفِي الْمَاءِ». قَالُوا: فَأَيُّ حَدِيدَةٍ؟ قَالَ: «قُدُورُكُمْ النُّحَاسُ، وَحَدِيدُ الْفَأْسِ الَّذِي تَمْتَهِنُونَ بِهِ». قَالُوا: وَمَا الْحَجَرُ؟ قَالَ: «قُدُورُكُمْ الْحِجَارَةُ»^(٤).

غريب جداً، ورفع منكر، وفي إسناده من لا يعرف، والله أعلم.

وقد ذكر ابن الأثير في الصحابة ترجمة «علي النميري»، فقال: روى ابن قانع بسنده إلى عائذ بن ربيعة بن قيس النميري، عن علي بن فلان النميري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم. إذا لقيه حيّاه بالسلام، ويرد عليه ما هو خير منه، لا يمنع الماعون». قلت: يا رسول الله، ما الماعون؟ قال: «الحجر، والحديد، وأشباه ذلك»^(٥).

آخر تفسير سورة «الماعون»، والله الحمد.

(١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق محمد بن رفاعة عن محمد بن كعب.

(٢) أخرجه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه. (الصحيح، الأدب، باب كل معروف صدقة ح ٦٠٢١).

(٣) سنده صحيح.

(٤) ضعفه الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً.

(٥) ذكره ابن الأثير (أسد الغابة ٤/١٢٧)، والحافظ ابن حجر (الإصابة ٥١١/٢)، والحافظ ابن كثير (جامع المسانيد ٦/٢٩٢ رقم ٧٧٤٧)، وعائذ بن ربيعة بن قيس النميري لم أجد له ترجمة.

سُورَةُ الْكَوثر

مدنية، وقيل: مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوثرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه مبتسماً، إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه أنزلت عليّ أنفاً سورة». فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوثرَ﴾ حتى ختمها، قال: «هل تدرون ما الكوثر؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هو نهر أعطانيه ربي ﷻ، في الجنة، عليه خير كثير، تردّ عليه أمتي يوم القيامة، آتيته عدد الكواكب، يُختلج العبد منهم فأقول: يا ربّ، إنه من أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(١).
هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثي، وهذا السياق.

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يشحّب فيه ميزابان من السماء عن نهر الكوثر، وأن عليه آنية عدد نجوم السماء. وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي، من طريق محمد بن فضيل، وعلي بن مسهر، كلاهما عن المختار بن فلفل، عن أنس. ولفظ مسلم قال: «بيننا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ أنفاً سورة»، فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوثرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ ﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نهر وعنديه ربي ﷻ، عليه خير كثير، هو حوض تردّ عليه أمتي يوم القيامة، آتيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: ربّ إنه من أمتي. فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك»^(٢).

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية، وكثير من الفقهاء على أن البسمة من السورة، وأنها منزلة معها.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٣/١٠٢)، وسنده صحيح، وقد أخرجه مسلم من طريق المختار بن فلفل به. (الصحيح، الصلاة، باب حجة من قال: إن البسمة آية من كل سورة سوى براءة ح ٤٠٠).

(٢) المصدر السابق وسنن أبي داود، الصلاة، باب من لم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم (ح ٧٨٤)؛ وسنن النسائي، الافتتاح، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ٢/١٣٣؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٧٠٦).

فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ فقد تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة. وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى، عن أنس فقال: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أخبرنا ثابت، عن أنس أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ، فإذا هو نهر يجري، ولم يُشَقَّ شَقًّا، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي في تربته، فإذا مسكه ذَفْرَةٌ، وإذا حصاه اللؤلؤ»^(١).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن حميد، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بنهر، حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذفر. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله ﷻ»^(٢).

ورواه البخاري في صحيحه، ومسلم، من حديث شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: لما عُرِجَ بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أُتِيتُ على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر» وهذا لفظ البخاري ﷻ^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا الربيع، أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن هلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال: لما أسري برسول الله ﷺ، مضى به جبريل في السماء الدنيا، فإذا هو بنهر عليه [قصر]^(٤) من لؤلؤ وزبرجد، فذهب يَشْمُ ثَرَابَهُ، فإذا هو مسك. قال: «يا جبريل، ما هذا النهر؟ قال: هو الكوثر الذي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ»^(٥).

وقد تقدم [في]^(٦) حديث الإسراء في سورة «سبحان»، من طريق شريك عن أنس [عن النبي ﷺ]^(٧). وهو مخرج في الصحيحين^(٨).

وقال سعيد، عن قتادة، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذ عَرَضَ لي نهر، حافتاه قباب اللؤلؤ مُجَوَّفٌ، فقال الملك الذي معه: أتدري ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاك الله. وضرب بيده إلى أرضه، فأخرج من طينه المسك»^(٩). وكذا رواه سليمان بن طرخان، ومعمّر وهَمَامٌ وغيرهم، عن قتادة، به.

وقال ابن جرير: حدثنا أحمد بن أبي سُرَيْج، حدثنا أبو أيوب العباسي، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثني محمد بن عبد الله، ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الكوثر، فقال: «هو نهر أعطانيه الله في الجنة، ترابه مسك أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجُرُز»^(١٠). فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنها

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٢٤٧/٣)، وسند صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ١٠٣/٣)، وسند صحيح.

(٣) صحيح البخاري، التفسير، باب سورة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ [الكوثر] (ح ٤٩٦٤).

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: قبة.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وفي سنده شريك سبى الحفظ ولكنه توبع في الروايات السابقة واللاحقة.

(٦) كذا في (ح) و(حم).

(٧) كذا في (ح) و(حم).

(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء.

(٩) أخرجه الطبري عن بشر عن سعيد به، وسنده صحيح.

(١٠) أي: الإبل.

لناعمه؟ قال: «أكلها أنعم منها»^(١).

وقال أحمد: حدثنا أبو سلمة الخزاعي، حدثنا الليث، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الوهاب، عن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أنس، أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما الكوثر؟ قال: «نهر في الجنة أعطانيه ربي، لهو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر». قال عمر: يا رسول الله، إنها لناعمه؟ قال: «أكلها أنعم منها يا عمر»^(٢).

رواه ابن جرير، من حديث الزهري، عن أخيه عبد الله، عن أنس: أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فذكر مثله سواء^(٣).

وقال البخاري: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ قالت: نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه دُرّ مجوف، أنيته كعدد النجوم.

ثم قال البخاري: رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف، عن أبي إسحاق^(٤).
ورواه أحمد والنسائي، من طريق مُطَرِّف، به^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا وَكِيع، عن سفيان، وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة قالت: الكوثر نهر في الجنة، شاطئاه در مُجَوَّف، وقال إسرائيل: نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء^(٦).

وحدثنا ابن حُمَيْد، حدثنا يعقوب القُمِّي، عن حفص بن حميد، عن شَمِر بن عطية، عن شقيق أو مسروق قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين، حدثيني عن الكوثر. قالت: نهر في بطنان الجنة. قلت: وما بطنان الجنة؟ قالت: وسطها، حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت، ترابه المسك، وحصاؤه اللؤلؤ والياقوت^(٧).

وحدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن أبي جعفر الرازي، عن ابن أبي نجيح، عن عائشة قالت: من أحب أن يسمع خرير الكوثر، فَلْيَجْعَلْ أَصْبَعِيهِ فِي أُذُنِهِ^(٨).

وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة، وفي بعض الروايات: «عن رجل، عنها». ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك، لا أنه يسمعه نفسه، والله أعلم.

قال السهيلي: ورواه الدارقطني مرفوعاً، من طريق مالك بن مَعُول، عن الشعبي، عن

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه الإمام أحمد من طريق إبراهيم بن سعد به، وحسنه محققوه وصححوه بالشواهد. (المسند ١٣٢/٢١ ح ١٣٤٧٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصحح سنده محققوه. (المسند ٣٠/٢١ ح ١٣٣٠٦).

(٣) أخرجه الطبري من طريق الزهري به، وسنده صحيح كسابقه.

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، باب سورة الكوثر ح ٤٩٦٥).

(٥) المسند ٣٨١/٦؛ والسنن الكبرى، التفسير، باب سورة الكوثر (ح ١١٧٠٥).

(٦) يشهد له ما سبق.

(٧) في سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ويعقوب القمي فيه مقال ويتقوى بما سبق.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لأن ابن أبي نجيح لم يسمع من عائشة رضي الله عنها.

مسروق، عن عائشة، عن النبي ﷺ^(١).

ثم قال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هُشَيْم، أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبیر: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه^(٢).

ورواه أيضاً من حديث هُشَيْم، عن أبي بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: الكوثر: الخير الكثير^(٣).

[وقال الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير]^{(٤)(٥)}.

وهذا التفسير يعمُّ النهر وغيره؛ لأن الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبیر، ومجاهد، ومحارب بن دُثَار، والحسن بن أبي الحسن البصري^(٦). حتى قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة^(٧).

وقال عكرمة: هو النبوة والقرآن، ثواب الآخرة^(٨).

وقد صحَّ عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضاً، فقال ابن جرير:

حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا عمر بن عبيد، عن عطاء، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: الكوثر: نهر في الجنة، حافته ذهب وفضة، يجري على الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل^(٩).

وروى العوفي، عن ابن عباس، نحو ذلك^(١٠).

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا هُشَيْم، أخبرنا عطاء بن السائب، عن محارب بن

(١) ذكره السهيلي. (الروض الأنف ١/٢٤١) والحديث فيه غرابة.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (صحيح البخاري، التفسير، باب سورة الكوثر ٤٩٦٦).

(٣) أخرجه البخاري عن عمرو بن محمد عن هشيم به. (الصحيح، الرقاق، باب في الحوض ٦٥٧٨).

(٤) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده حسن ويرتقي بسابقه إلى صحيح لغيره.

(٥) زيادة من (حم).

(٦) قول ابن عباس تقدم وقول عكرمة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عمارة بن أبي حفصة عنه، وأما قول سعيد بن جبیر فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر عنه، وأما قول مجاهد فقد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عنه.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف وهذه الرواية تخالف الرواية الصحيحة السابقة عن مجاهد.

(٨) أخرجه هناد (الزهدي رقم ١٤٢)، وابن أبي شيبه. (المصنف ١١/٥٠٨)، والطبري كلهم بسند صحيح من طريق بدر بن عثمان عن عكرمة.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وصححه الحافظ ابن كثير.

(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ولكنه يتقوى بالمتابعات في الرواية السابقة التي صححها الحافظ ابن كثير.

دثار، عن ابن عمر أنه قال: الكوثر نهر في الجنة، حافته ذهب وفضة، يجري على الدر والياقوت، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل^(١).

وكذا رواه الترمذي عن ابن حميد، عن جرير، عن عطاء بن السائب، به مثله^(٢)، موقوفاً. وقد روي مرفوعاً فقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن حفص، حدثنا ورقاء قال: وقال عطاء [بن السائب]^(٣) عن محارب بن دثار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب، والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»^(٤).

وهكذا رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من طريق محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، به مرفوعاً. وقال الترمذي: حسن صحيح^(٥).

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُليّة، أخبرنا عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلت: حدثنا عن ابن عباس أنه قال: هو الخير الكثير. فقال: صدق، والله إنه للخير الكثير. ولكن حدثنا ابن عمر قال: لما نزلت: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافته من ذهب، يجري على الدر والياقوت»^(٦).

وقال ابن جرير: حدثني ابن [البرقي]^(٧)، حدثنا [ابن أبي مريم]^(٨)، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، أخبرني حرام بن عثمان، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب يوماً فلم يجده، فسأل امرأته عنه - وكانت من بني النجار - فقالت: خرج يا نبي الله آنفاً عامداً نحوك، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار، ألا تدخل يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه خيساً، فأكل منه، فقالت: يا رسول الله، هنيئاً لك ومريئاً، لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك؛ أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهراً في الجنة يدعى الكوثر. فقال: «أجل، وعرضه - يعني أرضه - ياقوت ومرجان، وزبرجد ولؤلؤ»^(٩).

حرام بن عثمان ضعيف. ولكن هذا سياق حسن، وقد صحَّ أصل هذا، بل قد تواتر من طريق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث، وكذلك أحاديث الحوض.

- (١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن، ويشهد له ما سبق.
- (٢) أخرجه الترمذي من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به. وقال: حسن صحيح. (السنن، التفسير، باب ومن سورة الكوثر ح ٣٣٦١؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح ٢٦٧٧).
- (٣) زياد من (ح).
- (٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقواه محققوه بالمتابعات. (المسند ٩/ ٢٥٧ ح ٥٣٥٥).
- (٥) ينظر المصدر قبل السابق وسنن ابن ماجه، الزهد، صفة الجنة (٤٣٣٤) وتفسير الطبري.
- (٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن ويشهد له ما قبله من الروايات المرفوعة والموقوفة.
- (٧) كذا (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل بياض.
- (٨) كذا (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل صحف إلى: ابن إبراهيم.
- (٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف حرام بن عثمان ولمعظمه شواهد تقدمت.

وهكذا رُوي عن أنس، وأبي العالية، ومجاهد^(١)، وغير واحدٍ من السلف: أن الكوثر: نهر في الجنة. وقال عطاء: هو حوض في الجنة^(٢).

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة وَنَحَرَكَ، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣١﴾ [الأنعام]، قال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن: يعني بذلك نحر البُذُن ونحوها. وكذا قال قتادة، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، والربيع، وعطاء الخراساني، والحكم، وإسماعيل بن أبي خالد، وغير واحد من السلف^(٣). وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله، والذبح على غير اسمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّكُمْ لَفِسْقٌ﴾ الآية [الأنعام: ١٢١].

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر. يُروى هذا عن علي، ولا يصح. وعن الشعبي مثله^(٤).

وعن أبي جعفر الباقر: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ يعني: ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة^(٥).

وقيل: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ أي: استقبل بنحرك القبلة. ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير.

وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً منكراً جداً فقال: حدثنا وهب بن إبراهيم [الفامي]^(٦) - سنة خمس وخمسين ومائتين - حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزي، حدثنا مقاتل بن حيان، عن الأصبغ بن نباتة، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ قال رسول الله: «يا جبريل، ما هذه النَحِيرَةُ التي أمرني بها ربي؟» فقال: ليست بنحيرة، ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة، ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع، وإذا سجدت، فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين

(١) قول أنس تقدم، وقول أبي العالية أخرجه الطبري بسند جيد من طريق الربيع بن أنس. وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الوهاب عن مجاهد، وعبد الوهاب هو ابن مجاهد وهو ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق فطر - وهو ابن خليفة - عن عطاء. (المصنف ٤٤٣/٧).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق فطر عن عطاء؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عوف، وهو الأعرابي، عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بأسانيد من طريق عقبة بن ظبيان عن علي، ومن طريق عقبة بن ظهير، وهما واحد وقد سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف عن أبي القموص.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جابر عن أبي جعفر الباقر، وجعفر هو الجعفي وهو ضعيف.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: العاصي.

في السموات السبع، وإن لكل شيء زينة، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة. وهكذا رواه الحاكم في المستدرک، من حديث إسرائيل بن حاتم، به^(١).

وعن عطاء الخراساني: ﴿وَأَنحَرْ﴾ أي: ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل، وأبرز نحرك، يعني به: الاعتدال. رواه ابن أبي حاتم^(٢).

[كل هذه الأقوال غريبة جداً]^(٣). والصحيح القول الأول، أن المراد بالنحر ذبح المناسك؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد، ثم ينحر نسكه ويقول: «من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك. ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له». فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، إني نسكتُ شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم. قال: «شاة لحم». قال: فإن عندي عناقاً هي أحب إليّ من شاتين، أفترجزي عني؟ قال: «تجزئك، ولا تجزئ أحداً بعدك»^(٤).

قال أبو جعفر بن جرير: والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نُحْرُك اجعله له دون الأوثان؛ شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير، الذي لا كُفءَ له، وخصّك به^(٥).

وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى: محمد بن كعب القرظي، وعطاء.

وقوله: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي: إن مبغضك - يا محمد - ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره.

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبیر، وقتادة: نزلت في العاص بن وائل^(٦).

وقال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول: دعوه فإنه رجل أبتّر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره. فأنزل الله هذه السورة^(٧).

وقال شمر بن عطية: نزلت في عقبه بن أبي معيط^(٨).

(١) أخرجه الحاكم من طريق إسرائيل بن حاتم به وتعقبه الذهبي بقوله: إسرائيل صاحب عجائب لا يعتمد عليه، وأصبغ شيعي متروك عند النسائي. (المستدرک ٥٣٧/٢، ٥٣٨).

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن عطاء بنحوه.

(٣) زيادة من (حم).

(٤) أخرجه الشيخان من حديث البراء رضي الله عنه. (صحيح البخاري، العيدين، باب الأكل يوم النحر ح ٩٥٥؛ وصحيح مسلم، الأضاحي، باب وقتها ح ١٩٦١).

(٥) ذكره الطبري بلفظه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بالمراسيل التالية؛ فقد أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق هلال بن خباب عن سعيد بن جبیر.

(٧) سنده ضعيف لعنينة ابن إسحاق ولأنه مرسل ويتقوى بالمراسيل السابقة.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

وقال ابن عباس - أيضاً -، وعكرمة: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش^(١).
وقال البزار: حدثنا زياد بن يحيى الحَسَّاني، حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الْمُصْنَبِرِ المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه. قال: فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٢).

هكذا رواه [البزار]^(٣)، وهو إسناد صحيح.

وقال عطاء: نزلت في أبي لهب^(٤)، وذلك حين مات ابن رسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال: بُتِرَ محمد الليلة. فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٥).
وعن ابن عباس: نزلت في أبي جهل وعنه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ يعني: عدوك^(٥). وهذا يَعُمُّ جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم.

وقال عكرمة: ﴿الْأَبْتَرُ﴾: الفرد. وقال السُّدِّي: كانوا إذا مات ذكورُ الرجل قالوا: بُتِرَ. فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بُتِرَ محمد. فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٦).
وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتَر الذي مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا [وكلا]^(٦)، بل قد أبقي الله ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد.

آخر تفسير سورة ﴿الْكَوْثَرِ﴾، والله الحمد والمنة.

-
- (١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق داود عن عكرمة عن ابن عباس.
(٢) أخرجه البزار بسنده ومثله. (مختصر زوائد مسند البزار ١٢١/٢ ح ١٥٣٨)، وصححه سننه الحافظ ابن كثير وضعفه الحافظ ابن حجر.
(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: الترمذي.
(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن عطاء.
(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.
(٦) كذا في (حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: ولما.

سُورَةُ الْقُلُوبِ

وهي مكية

ثبت في صحيح مسلم، عن جابر: أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] في ركعتي الطواف^(١).

وفي صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر^(٢). وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة - أو: بضع عشرة مرة - ﴿قُلْ يَتَأْتِيَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣).

وقال أحمد - أيضاً - : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: رمقتُ النبي ﷺ أربعاً وعشرين - أو خمساً وعشرين - مرة، يقرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب بـ﴿قُلْ يَتَأْتِيَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٤).

وقال أحمد: حدثنا أبو أحمد - هو محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري -، حدثنا سفيان - هو الثوري - عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: رَمَقْتُ النبي ﷺ شهراً، وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بـ﴿قُلْ يَتَأْتِيَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٥). وكذا رواه الترمذي وابن ماجه، من حديث أبي أحمد الزبيري. أخرجه النسائي من وجه آخر، عن أبي إسحاق، به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن^(٦).

وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ [الزلزلة: ١] تعدل ربع القرآن^(٧). وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق، عن فروة بن

(١) صحيح مسلم، الحج، باب حجة النبي ﷺ (ح ١٢١٨).

(٢) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر (ح ٧٢٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سننه محققوه. (المسند ٨/ ٣٨١ ح ٤٧٦٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سننه محققوه. (المسند ١٠/ ٣٢ ح ٥٧٤٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢/ ٩٤) وسنده صحيح.

(٦) سنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر (ح ٤١٧)؛ وسنن النسائي، الافتتاح، باب القراءة في الركعتين بعد المغرب ٢/ ١٧٠؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء فيما يُقرأ في الركعتين قبل الفجر (ح ١١٤٩)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٩٤٣).

(٧) تقدم في بداية تفسير سورة الزلزلة.

نوفل - هو ابن معاوية - عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال له: «هل لك في ربيبة لنا تكفلها؟» قال: أراها زينب. قال: ثم جاء فسأله النبي ﷺ عنها، قال: «ما فعلت الجارية؟» قال: تركتها عند أمها. قال: فمجيء ما جاءك بك؟ قال: جئت لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي. قال: «اقرأ: ﴿قُلْ يَتَّيْبُ الْكَافِرُونَ﴾» ثم نُم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك». تفرد به أحمد^(١).

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو القطراني، حدثنا محمد بن الطفيل، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن جبلة بن حارثة - وهو أخو زيد بن حارثة - أن النبي ﷺ قال: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ: ﴿قُلْ يَتَّيْبُ الْكَافِرُونَ﴾» حتى تمر بآخرها، فإنها براءة من الشرك^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن فروة بن نوفل، عن الحارث بن جبلة قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئاً أقوله عند منامي. قال: «إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقرأ: ﴿قُلْ يَتَّيْبُ الْكَافِرُونَ﴾» فإنها براءة من الشرك^(٣).

وروى الطبراني من طريق شريك، عن جابر، عن معقل الزبيدي، عن [عباد أبي الأخضر عن خباب]^(٤)، أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ: ﴿قُلْ يَتَّيْبُ الْكَافِرُونَ﴾ حتى يختمها^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّيْبُ الْكَافِرُونَ﴾ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي أمرة بالإخلاص فيه، فقله: ﴿قُلْ يَتَّيْبُ الْكَافِرُونَ﴾ ١ شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش.

وقيل: إنهم من جهلهم دَعَوَا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ٢ يعني: من الأصنام والأنداد ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ٣ وهو الله وحده لا شريك له. ف«ما» ههنا بمعنى: «من».

ثم قال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ أي: ولا أعبد عبادتكم؛ أي: لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه؛ ولهذا قال:

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به، وقال محققوه: حديث حسن على اضطراب في إسناده. (المسند ٢٢٤/٣٩ ح ٢٣٨٠٧).

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٣٧٠٨١/٤) ويشهد له سابقه.

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في أطراف المسند (٢٢٠/٢) ويشهد له قبل سابقه.

(٤) كذا في المعجم الكبير للطبراني، وفي الأصل: «عبد البر أخضر أو أحمر».

(٥) أخرجه الطبراني من طريق جابر الجعفي به (المعجم الكبير ٩٣/٤ ح ٣٧٠٨). وسنده ضعيف لضعف جابر الجعفي (مجمع الزوائد ١٠/١٢١).

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، كما قال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣] فترأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بد له من معبود يعبد، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه؛ ولهذا كان كلمة الإسلام «لا إله إلا الله محمد رسول الله»؛ أي: لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله؛ ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (١) كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢) [يونس]، وقال: ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال البخاري: يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الكفر ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام. ولم يقل: «ديني» لأن الآيات بالنون، فحذف الياء، كما قال: ﴿نَهَوَ يَهْدِينَ﴾ [الشعراء: ٧٨] و﴿يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] وقال غيره^(١): لا أعبد ما تعبدون الآن، ولا أجيئكم فيما بقي من عمري، ولا أنتم عابدون ما أعبد، وهم الذين قال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ هُمْ أَتَوَلَّوْا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤]. انتهى ما ذكره^(٢).

ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد، كقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٣) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿[الشرح] وكقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (٤) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ آلِ قَيْنِ ﴿(٥) [التكاثر] وحكاها بعضهم - كابن الجوزي، وغيره - عن ابن قتيبة، فالله أعلم. فهذه ثلاثة أقوال: أولها: ما ذكرناه أولاً. الثاني: ما حكاها البخاري وغيره من المفسرين أن المراد: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٦) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿(٧) في الماضي ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ (٨) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿(٩) في المستقبل. الثالث: أن ذلك تأكيد محض.

وثم قول رابع، نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٠) نفي الفعل لأنها جملة فعلية ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ (١١) نفي قبوله لذلك بالكلية؛ لأن النفي بالجملة الإسمية أكد فكأنه نفي الفعل، وكونه قابلاً لذلك ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً. وهو قول حسن أيضاً، والله أعلم.

وقد استدلل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (١٢) على أن الكفر كله ملة واحدة تورثه اليهود من النصارى، وبالعكس؛ إذا كان بينهم نسب أو سبب يتوارث به؛ لأن الأديان - ما عدا الإسلام - كلها كالشيء الواحد في البطلان. وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم تورث النصارى من اليهود وبالعكس؛ لحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين شتى»^(٣). آخر تفسير سورة ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (١٣)، والله الحمد والمنة.

(١) السابق ذكره البخاري من كلام الفراء واللاحق من كلام أبي عبيدة (ينظر فتح الباري ٨/٧٣٣).

(٢) ذكره البخاري. (الصحيح، التفسير، باب ١٠٩ سورة الكافرون).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنفال آية ٧٣.

سُورَةُ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ

وهي مدنية

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن، و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ [الزلزلة] تعدل ربع القرآن^(١).
وقال النسائي: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا جعفر، عن أبي العُميس (ح) وأخبرنا أحمد بن سليمان، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العُميس، عن عبد المجيد بن سهل، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عتبة قال: قال لي ابن عباس: يا ابن عتبة، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت؟ قلت: نعم ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال: صدقت^(٢).

وروى الحافظ أبو بكر البزار والبيهقي، من حديث موسى بن عبيدة الرّبذي، عن صدقة بن يَسَار، عن ابن عمر قال: أنزلت هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع، فأمر بإحلاته القصواء فرحلت، ثم قام فخطب الناس، فذكر خطبته المشهورة^(٣).

وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا الأسفاطي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا [عباد بن] ^(٤) العوام، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال: «إنه قد نُعيت إلي نفسي»، فبكت ثم ضحكت، وقالت: أخبرني أنه نُعيت إليه نفسه فبكيت، ثم قال: «اصبري فإنك أول أهلي لحاقاً بي» فضحكت^(٥).

وقد رواه النسائي - كما سيأتي - بدون ذكر فاطمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ كَانَتْ تَوَّابًا ﴿٢﴾

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن

- (١) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة الزلزلة.
- (٢) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن الكبرى، التفسير، باب سورة النصر ح ١١٧١٣) وسنده صحيح وأخرجه مسلم من طريق جعفر بن عون به (الصحيح، التفسير ح ٣٠٢٤).
- (٣) أخرجه البيهقي (السنن الكبرى ١٥٢/٥) وعزاه الهيثمي إلى البزار وأعله بموسى بن عبيدة لأنه ضعيف. (مجمع الزوائد ٢٦٩/٣).
- (٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل حُرِفَ إلى: «عساكر».
- (٥) أخرجه البيهقي بسنده ومثله. (دلائل النبوة ١٦٧/٧) وفي سنده هلال بن خباب صدوق تغير بأخرة. (التقريب ص ٥٧٥) تارة يذكر فاطمة رضي الله عنها وتارة لم يذكرها كما سيأتي في رواية الطبراني.

جُبَيْر، عن ابن عباس قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، وكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن علمتم. فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رثيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم فقال: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفُتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أأذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول. تفرد به البخاري^(١).

وروى ابن جرير، عن محمد بن حُميد، عن مِهْران، عن الثوري، عن عاصم، عن أبي رَزِين، عن ابن عباس، فذكر مثل هذه القصة، أو نحوها^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عطاء، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: لما نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «نُعِيَتْ إِلَيَّ نفسي»... بأنه مقبوض في تلك السنة. تفرد به أحمد^(٣).

وروى العوفي، عن ابن عباس، مثله. وهكذا قال مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وغير واحد: إنها أجل رسول الله ﷺ نُعِيَتْ إِلَيْهِ^(٤).

وقال ابن جرير: حدثني إسماعيل بن موسى، حدثنا الحسين بن عيسى الحنفي، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن أبي حازم، عن ابن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال: «الله أكبر، الله أكبر! جاء نصر الله والفتح، جاء أهل اليمن». قيل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية»^(٥).

ثم رواه عن ابن عبد الأعلى، عن ابن ثور، عن معمر، عن عكرمة، مرسلًا^(٦).

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر] ح ٤٩٧٠).

(٢) أخرجه الطبري عن محمد بن حميد به، وفي سنده محمد بن حميد وهو ضعيف، وقد توبع في رواية البخاري السابقة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢١٧/١) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما سبق؛ وأخرجه الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن أبي العالية فيه محمد بن حميد، ويتقوى بما سبق؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إيهام شيخ الطبري، ويتقوى بما سبق.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، قال ابن أبي حاتم: قال أبي: هذا حديث باطل ليس له أصل، الزهري عن أبي حازم لا يجيء (العلل ١٥٨/٢).

(٦) سنده ضعيف لأنه مرسل.

وقال الطبراني: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا أبو كامل الجَحْدَرِيُّ، حدثنا أبو عَوَّانة، عن هلال بن خَبَّاب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ حتى ختمت السورة، قال: نُعِيتَ لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت، قال: فأخذ بأشد ما كان قط اجتهداً في أمر الآخرة. وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك: «جاء الفتح ونصر الله، وجاء أهل اليمن». فقال رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، لينة قلوبهم، الإيمان يمان، والفرقة يمان»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رَزِين، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ علم النبي ﷺ أنه قد نُعِيتَ إليه نفسه، فقيل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ السورة كلها^(٢).

حدثنا وَكِيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رَزِين: أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال: لما نزلت نُعِيتَ إلى رسول الله ﷺ نفسه^(٣).

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عُمَرُ الوَكيعي، حدثنا أبي، حدثنا جَعْفَرُ بن عون، عن أبي العُمَيْس، عن أبي بكر بن أبي الجهم، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٤).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مُرَّة، عن أبي الْبَخْتَرِيِّ الطائي، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها، فقال: «الناس حيز، وأنا وأصحابي حيز». وقال: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية». فقال له مروان: كذبت - وعنده رافع بن خديج، وزيد بن ثابت، قاعدان معه على السرير - فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدثاك، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة. فرفع مروان عليه الدرة ليضربه، فلما رأى ذلك قال: صدق^(٥).

تفرد به أحمد، وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر، فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح: «لا هجرة، ولكن جهاد ونية، ولكن إذا استنفرتم فانفروا». أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما^(٦).

(١) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ١١/٣٢٨ ح ١١٩٠٣) وفي سنده هلال بن خباب تغير في آخره.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ١/٣٤٤) وسنده حسن.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/٣٥٦) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٠/٣٦٩ ح ١٠٧٣٦) وسنده صحيح وتقدم تخريجه في بداية تفسير هذه السورة الكريمة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. وقال محققوه: صحيح لغيره، دون قوله: «الناس حيز، وأنا وأصحابي حيز» وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. (المسند ١٧/٢٥٨ ح ١١١٦٧).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢١٦.

فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر، رضي الله عنهم أجمعين، مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَمَرْنَا إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْمَدَائِنَ وَالْحَصُونِ أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنُشْكِرَهُ وَنُسَبِّحَهُ، يعني نصلي ونستغفره - معنى مليح صحيح، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثمانى ركعات، فقال قائلون: هي صلاة الضحى. وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها، فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافراً لم يَنْوِ الإقامة بمكة؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريباً من تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة ويُفطر هو وجميع الجيش، وكانوا نحواً من عشرة آلاف. قال هؤلاء: وإنما كانت صلاة الفتح، قالوا: فيستحب لأمر الجيـش إذا فتح بلد أن يصلي فيه أول ما يدخله ثمانى ركعات. وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن، ثم قال بعضهم: يصليها كلها بتسليمة واحدة. والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين، كما ورد في سنن أبي داود: أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين^(١). وأما ما فسر به ابن عباس وعمر رضي الله عنهما، من أن هذه السورة نُعي فيها إلى رسول الله ﷺ نفسه الكريمة، واعلم أنك إذا فتحت مكة - وهي قريتك التي أخرجتك - ودخل الناس في دين الله أفواجا، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا، فتهياً للقدوم علينا والوفود إلينا، فالآخرة خير لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ولهذا قال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكَ كَانَ تَوَّابًا﴾.

قال النسائي: أخبرنا عمرو بن منصور، حدثنا محمد بن محبوب، حدثنا أبو عوانة، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلى آخر السورة، قال: نُعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين أنزلت، فأخذ في أشد ما كان اجتهداً في أمر الآخرة، وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك: «جاء الفتح، وجاء نصر الله، وجاء أهل اليمن». فقال رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، ليثة قلوبهم، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفرقة يمان»^(٢).

وقال البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن^(٣).

وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي، من حديث منصور، به^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق قال: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه». وقال: «إن ربي كان أخبرني أنني سأرى علامة في أمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره، إنه كان تواباً، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (السنن، الصلاة، باب صلاة الضحى ح ١٢٩٠)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٢٨١).

(٢) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن الكبرى، التفسير، سورة النصر ح ١١٦٤٨) وفي سنده هلال بن خباب تغير بآخرة.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله. (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر] ح ٤٩٦٨).

(٤) صحيح مسلم، الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (ح ٤٨٤/٢١٧).

النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكَ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴿١﴾
ورواه مسلم من طريق داود - وهو ابن أبي هند - به (٢).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو السائب، حدثنا حفص، حدثنا عاصم، عن الشعبي، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء، إلا قال: «سبحان الله وبحمده». فقلت: يا رسول الله، إنك تكثر من سبحان الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيء، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت: سبحان الله وبحمده؟ قال: «إني أمرت بها»، فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾...﴾ إلى آخر السورة (٣). غريب، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مفرد، فيكتب ههنا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ كان يكثر إذا قرأها - ورَكَعَ - أن يقول: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم» ثلاثاً (٤).

تفرد به أحمد. ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن عمرو بن مرة، عن شعبة، عن أبي إسحاق، به (٥). والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، والله الحمد والمنة. وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: دعوه وقومه، فإن ظهر عليهم فهو نبي... الحديث (٦).

وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا: السيرة، فمن أراد فليراجعه هناك، والله الحمد والمنة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق، عن الأوزاعي، حدثني أبو عمار، حدثني جابر بن عبد الله قال: قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله، فسلم علي، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا، وسيخرجون منه أفواجا» (٧).

[آخر تفسير سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾، والله الحمد والمنة] (٨).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٣٥/٦) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ٤٨٤/٢٢٠).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده منقطع فإن الشعبي لم يسمع من أم سلمة رضي الله عنها، وقد استغربه الحافظ ابن كثير.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٢٠٧/٦ ح ٣٦٨٣) قال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، أبو عبيدة، وهو ابن عبد الله بن مسعود، لم يسمع من أبيه.

(٥) سنده كسابقه.

(٦) صحيح البخاري، المغازي، باب رقم ٥٣ (ح ٤٣٠٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٣/٣٤٣) وسنده ضعيف لإبهام جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٨) زيادة من (حم).

سُورَةُ الْمَيْدَةِ تَبَّتْ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝

قال البخاري: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مَرْة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء، فصعد الجبل فنَادَى: «يا صباحاه». فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مُصْبِحكم أو مُمَسِّيككم، أكنتم تصدقوني؟». قالوا: نعم. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تَبَّا لك. فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝﴾ إلى آخرها^(١).

وفي رواية: فقام ينفض يديه، وهو يقول: تَبَّا لك سائر اليوم. ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝﴾.

الأول: دعاء عليه، والثاني: خبر عنه. فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عُتْبَةَ. وإنما سمي «أبا لهب» لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه.

قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: أخبرني رجل - يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الدليل، وكان جاهلياً فأسلم - قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا». والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين^(٢)، يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمُّه أبو لهب^(٣).

ثم رواه عن [سُريج]^(٤)، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، فذكره - قال أبو الزناد: قلت لربيعة:

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝﴾ [المسد] ح ٤٩٧٢).

(٢) أي: ذو ذؤابتين.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وحسن سنده محققوه. (المسند ٤٠٤/٢٥، ٤٠٥ ح ١٦٠٢٣).

(٤) كذا في المسند وفي الأصل (ح): بلفظ: «شريح».

كنت يومئذ صغيراً؟ قال: لا، والله إني يومئذ لأعقل أني أزفر^(١) القربة^(٢). تفرد به أحمد.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال: سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول: إني لمع أبي رجل شاب، أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل - ووراءه رجل أحول وضيء، ذو جُمَّة - يَقِفُ رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أَفْذَ عن الله ما بعثني به». وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان، هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو لهب^(٣). رواه أحمد أيضاً، والطبراني بهذا اللفظ^(٤).

ف قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أي: خسرت وخابت، وضلَّ عمله وسعيه، ﴿وَتَبَّ﴾ أي: وقد تَبَّ تحقق خسارته وهلاكه.

وقوله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ قال ابن عباس وغيره: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يعني: ولده^(٥). وَرُوي عن عائشة، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وابن سيرين، مثله^(٦).

وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إذا كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإني أفندي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي. فأنزل الله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾^(٧).

وقوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: ذات شرر ولهيب وإحراق شديد، ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي: أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان. وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم. ولهذا قال: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ في جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ^(٨) يعني: تحمل الحطب فتلقي على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مُهَيَّاة لذلك مستعدة له.

﴿فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ قال مجاهد، وعروة: من مسد النار^(٨).

(١) أي: أحملها.

(٢) (المسند ٣١/٣٤٢، ٣٤٣ ح ١٩٠٠٥) حسن سنده محققه.

(٣) أخرجه ابن إسحاق (ينظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٨٧) وسنده ضعيف لضعف حسين بن عبد الله بن عبيد الله (التقريب ص ١٦٧) ويشهد له سابقه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق ابن إسحاق به (المسند ٢٥/٤٠٧ ح ١٦٠٢٥)؛ والطبراني. (المعجم الكبير ٦٣/٥).

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند حسن من طريق أبي الطفيل عن ابن عباس.

(٦) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن جريج عن عطاء عن مجاهد وعائشة.

(٧) أخرجه البغوي عن ابن مسعود تعليقا بدون سند (معالم التنزيل ٤/٥٤٣).

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق يزيد عن عروة وهو ابن رومان أو ابن عبد الله بن خصيفة =

وعن مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والثوري، والسدي: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ كانت تمشي بالنميمة^(١).

[وقال العوفي، عن ابن عباس، وعطية الجدلي، والضحاك، وابن زيد: كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ^(٢)، واختاره ابن جرير^(٣)].

قال ابن جرير: وقيل: كانت تُعَيِّرُ النبي ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب، فغيرت بذلك^(٤).

كذا حكاه، ولم يعزه إلى أحد. والصحيح الأول، والله أعلم.

قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد؛ يعني: فأعقبها الله بها حبلاً في جيدها من مسد النار.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا وكيع، عن سليم مولى الشعبي، عن الشعبي قال: المسد: الليف^(٥).

وقال عروة بن الزبير: المسد: سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً^(٦).

وعن الثوري: هي قلادة من نار، طولها سبعون ذراعاً^(٧).

وقال الجوهرى: الْمَسْدُ: الليف. وَالْمَسْدُ أيضاً: حبل من ليف أو خوص، وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها، ومسدت الحبل أمسده مسداً: إذا أجدت قتله^(٨).

وقال مجاهد: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: طوق من حديد، ألا ترى أن العرب يسمون البكرة مسداً؟

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي وأبو زُرْعَةَ قالا: حدثنا عبد الله بن الزبير الحُمَيْدِي، حدثنا سُفْيَان، حدثنا الوليد بن كثير، عن ابن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما نزلت: ﴿تَبَتَّ يَدَايَ إِلَىٰ لَهَبٍ﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها فهر، وهي تقول:

مُذَمَّمًا أَبِينَا ودينه قَلِينَا وأمره عَصِينَا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك. فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تراني». وقرأ قرآنا اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ جَاثَا مَشْهُورًا﴾ [الإسراء] فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر، إني

= (تهذيب التهذيب ١٨٢/٧) وكلاهما ثقة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(١) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

(٤) ذكره الطبري بنحوه.

(٥) لم أجده في تفسير الطبري، ونسبه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن الشعبي.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن تقدم قبل أربع روايات.

(٧) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفیان. (٨) الصحاح ٥٣٥/١.

أخبرت أن صاحبك هجاني؟ قال: لا، وربّ هذا البيت ما هجاك. فولّت وهي تقول: قد علمت قريش أنني ابنة سيدها. قال: وقال الوليد في حديثه أو غيره: فعثرت أم جميل في مِرْطَها وهي تطوف بالبيت، فقالت: تعس مُذَمَّم. فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب: إني لحصانُ فما أكلم، وثَقَافُ فما أعلم، وكلنا من بني العم، وقريش بعد أعلم^(١).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحاق قالا: حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس، ومعه أبو بكر. فقال له أبو بكر: لو تَنَحَّيْتُ لا تُؤْذِيكَ بشيء. فقال رسول الله ﷺ: «إنه سيُحال بيني وبينها». فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر، هجانا صاحبك. فقال أبو بكر: لا، وربّ هذه البنية ما نطق بالشعر ولا يتفوه به. فقالت: إنك لمصدق، فلما ولّت قال أبو بكر ﷺ: ما رأيتك؟! قال: «لا، ما زال ملك يسترني حتى ولّت».

ثم قال البزار: لا نعلمه يُروى بأحسن من هذا الإسناد، عن أبي بكر ﷺ^(٢). وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: في عنقها حبل من نار [جهنم]^(٣) تُرْفَعُ به إلى شفيرها، ثم يرمى بها إلى أسفلها، ثم كذلك دائماً. قال أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير - وقد رَوَى ذلك -: وعُبر بالمسد عن حبل الدلو، كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب «النبات»: كلّ مسد: رشاء، وأنشد في ذلك: وَبَكْرَةٌ وَمِخْوَرَةٌ صَرَارًا وَمَسَدًا مِّنْ أَبَقِ مُغَارًا قال: والأبَقُ: القنْبُ.

وقال الآخر:

يَا مَسَدَ الْخُوصِ تَعَوِّذْ مِنِّي إِنَّ تَكُ لَدُنَّا لَيِّنًا فَإِنِّي
مَا شِئْتُ مِنْ أَشْمَطِ مُقْسَسِينَ

قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة؛ فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ﴿١﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٢﴾ فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما لا ظاهراً ولا باطناً، لا مُسْراً ولا مُعْلَناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة. [آخر تفسير ﴿تَبَّتْ﴾، والله الحمد والمِنَّة]^(٤).

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٤٥.

(٤) زيادة من (ح) و(حم).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٤٥.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

سُورَةُ الْاِخْلَاصِ

وهي مكية

ذكر سبب نزولها وفضلها

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعد محمد بن [مَيْسَر] ^(١) الصاغاني، حدثنا أبو جعفر الرازي، حدثنا الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ^(٢).

وكذا رواه الترمذي، وابن جرير، عن أحمد بن منيع - زاد ابن جرير: ومحمود بن خَدَّاش - عن أبي سعد محمد بن [مَيْسَر] ^(٣) به - زاد ابن جرير والترمذي - قال: ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله جلَّ جلاله لا يموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ^(٤) ولم يكن له شبه ولا عدل، وليس كمثل شيء.

ورواه ابن أبي حاتم، من حديث أبي سعد محمد بن مَيْسَر، به. ثم رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن عبيد الله بن موسى، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، فذكره مرسلًا ولم يذكر «أخبرنا». ثم قال الترمذي: هذا أصح من حديث أبي سعد ^(٥).

حديث آخر في معناه: قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا سُريج بن يونس، حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر: أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: انسب لنا ربك. فأنزل الله ﷻ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝...﴾ إلى آخرها ^(٦). إسناده مقارب.

وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف، عن سُريج فذكره ^(٦). وقد أرسله غير واحد من السلف.

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: «مبشر».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وضعف سنده محققوه. (المسند ١٤٣/٣٥ ح ٢١٢١٩) وسنده حسن فقد أخرجه الترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة الإخلاص ح ٣٣٦٤) وابن خزيمة (التوحيد ٩٥/١ ح ١١)؛ والحاكم (المستدرک ٥٤٠/٢) كلهم بسنده ومثته وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٣٥٦/١٣)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٨٠).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: «مبشر».

(٤) تقدم تخريجه في سابقه.

(٥) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ٣٨/٤ ح ٢٠٤٤) وسنده ضعيف لضعف مجالد. ويشهد له سابقه.

(٦) أخرجه الطبري عن محمد بن عوف به، وحكمه كسابقه.

وروى عُبيد بن إسحاق العطار، عن قيس بن الربيع، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: أنسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١).

قال الطبراني: رواه الفريابي وغيره، عن قيس، عن أبي عاصم، عن أبي وائل، مرسلًا^(٢). ثم رَوَى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطائفي، عن الوازع بن نافع، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء نسبة، ونسبة الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٣).

حديث آخر في فضلها: قال البخاري: حدثنا محمد - هو الذهلي - حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو، عن ابن أبي هلال: أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه، عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن - وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ - عن عائشة: أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟». فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يحبه»^(٤).

هكذا رواه في كتاب «التوحيد». ومنهم من يسقط ذكر «محمد الذهلي». ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح. وقد رواه مسلم والنسائي أيضاً من حديث عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، به^(٥).

حديث آخر: قال البخاري في كتاب الصلاة: «وقال عُبيد الله، عن ثابت، عن أنس قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قُباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة. فكلَّمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئك حتى تقرأ بالآخرى، فإذا أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتهم أن يؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره». فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمر بك به أصحابك؟ وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟». قال: إني أحبها. قال: «حُبك إياها أدخلك الجنة»^(٦).

(١) يشهد له ما سبق.

(٢) سنده ضعيف لأنه مرسل، ويتقوى برواية أبي بن كعب.

(٣) سنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن عثمان (التقريب ص ٣٤٦).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثله. (الصحيح، التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى ح ٧٣٧٥).

(٥) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] (ح ٨١٣)؛ وسنن النسائي، الإفتاح، باب الفضل في قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١٧٠/٢.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ح ٧٧٤). وقد وصله الترمذي والإمام أحمد كما يلي.

هكذا رواه البخاري تعليقاً مجزوماً به. وقد رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه، عن البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عمر، فذكر بإسناده مثله سواء، ثم قال الترمذي: غريب من حديث عبید الله، عن ثابت. قال: وروى مُبَارَكُ بن فَضَالَةَ، عن ثابت، عن أنس، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال: «إِنْ حُبَّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(١).

وهذا الذي علقه الترمذي قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلًا، فقال: حدثنا أبو النضر، حدثنا مبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «حُبَّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(٢).

حديث في كونها تعدل ثلث القرآن: قال البخاري: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَةَ، عن أبيه، عن أبي سعيد. أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددّها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقّالّها، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن». زاد إسماعيل بن جعفر، عن مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، عن أبي سعيد قال: أخبرني أخي قتادة بن النعمان، عن النبي ﷺ^(٣).

وقد رواه البخاري - أيضاً - عن عبد الله بن يوسف^(٤)، والقَعْنَبِيِّ. ورواه أبو داود، عن القعنبي، والنسائي، عن قتيبة، كلهم عن مالك، به. وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين، عن إسماعيل بن جعفر، عن مالك، به^(٥).

حديث آخر: قال البخاري: حدثنا عُمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا إبراهيم والضحاك المَشْرِقِيُّ، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟». فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يُطِيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن»^(٦).

تفرد بإخراجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي والضحاك بن شَرَحْبِيلِ الهمداني المَشْرِقِيِّ، كلاهما عن أبي سعيد، قال القَرَبِرِيُّ: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراقاً أبي عبد الله قال: قال أبو عبد الله البخاري: عن إبراهيم مرسل، وعن الضحاك مسند^(٧).

(١) سنن الترمذي، فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص بعد حديث (٢٩٠١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٤١/٣) وسنده حسن.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى ح ٧٣٧٤).

(٤) صحيح البخاري، فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] ح (٥٠١٤).

(٥) المصدر السابق ح (٥٠١٣) وسنن أبي داود، الصلاة، باب في سورة الصمد ح (١٤٦١) والسنن الكبرى للنسائي. فضائل القرآن، باب سورة الإخلاص ح (٨٠٢٩).

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثته (المصدر السابق ح ٥٠١٥).

(٧) المصدر السابق بعد حديث ٥٠١٥ مباشرة.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «والذي نفسي بيده، لتعدل نصف القرآن، أو ثلثه»^(١).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا حُيَّ بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي، عن عبد الله بن عمرو: أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول: ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلاث القرآن كل ليلة؟ فقالوا: وهل يستطيع ذلك أحد؟ قال: فإن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلث القرآن. قال: فجاء النبي ﷺ وهو يسمع أبا أيوب، فقال: «صدق أبو أيوب»^(٢).

حديث آخر: قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا يزيد بن كيسان، أخبرني أبو حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن». فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: «إني سأقرأ عليكم ثلث القرآن». إني لأرى هذا خبراً جاء من السماء، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «إني قلت: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن»^(٣).

وهكذا رواه مسلم في صحيحه، عن محمد بن بشار، به^(٤). وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، واسم أبي حازم سلمان.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن زائدة بن قدامة، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن الربيع بن خثيم، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن امرأة من الأنصار، عن أبي أيوب، عن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فإنه من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الله الصمَدُ ﴿٢﴾ في ليلة، فقد قرأ ليلتئذ ثلث القرآن»^(٥).

هذا حديث تُساعِي الإسناد للإمام أحمد. ورواه الترمذي والنسائي، كلاهما عن محمد بن بشار بن دار - زاد الترمذي وقتيبة - كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي، به^(٦). فصار لهما عُشاريا.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٨٦/١٧ ح ١١١١٥) وضعفه محققوه لضعف ابن لهيعة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٨٤/١١ ح ٦٦١٣) وسنده كسابقه.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الإخلاص ح ٢٩٠٠) وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] (ح ٨٢١).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤١٨/٥) وسنده ضعيف لإبهام المرأة الأنصارية، ويشهد له ما سبق فيكون حسناً لغيره.

(٦) سنن الترمذي، الباب السابق (ح ٢٨٩٦)؛ وسنن النسائي، الافتتاح، باب الفضل في قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (ح ١٧٢).

وفي رواية الترمذي: «عن امرأة أبي أيوب، عن أبي أيوب»، به. ثم قال: وفي الباب عن أبي الدرداء، وأبي سعيد، وقتادة بن النعمان، وأبي هريرة، وأنس، وابن عمر، وأبي مسعود. وهذا حديث حسن، ولا نعلم أحداً رَوَى هذا الحديث أحسن من رواية «زائدة». وتابعه على روايته إسرائيل، والفضيل بن عياض. وقد رَوَى شُعْبَةُ وغيرُ واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور، واضطربوا فيه^(١).

حديث آخر: قال أحمد: حدثنا هُشَيْم، عن حُصَيْن، عن هلال بن يَسَاف، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بن كعب - أو: رجل من الأنصار - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكَانَ مَا قَرَأَ بِثَلَاثِ الْقُرْآنِ»^(٢).

ورواه النسائي في «اليوم والليلة»، من حديث هُشَيْم، عن حُصَيْن، عن ابن أبي ليلى، به^(٣) ولم يقع في روايته: هلال بن يساف.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، عن سفيان، عن أبي قيس، عن عمرو بن ميمون، عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدلُ ثلث القرآن»^(٤).

وهكذا رواه ابن ماجه، عن علي بن محمد الطَّنَافِسي، عن وَكِيع، به. ورواه النسائي في «اليوم والليلة» من طرق أخرى، عن عمرو بن ميمون، مرفوعاً وموقوفاً.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا بَهْز، حدثنا [بُكَيْر]^(٥) بن أبي السَّمِيط، حدثنا قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن مَعْدَان بن أبي طلحة، عن أبي الدرداء، أن رسول الله ﷺ قال: «أيعجزُ أحدُكم أن يقرأ كلَّ يوم ثلث القرآن؟». قالوا: نعم يا رسول الله، نحن أضعفُ من ذلك وأعجز. قال: «فإن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدلُ ثلث القرآن»^(٦).

ورواه مسلم والنسائي، من حديث قتادة، به^(٧).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أمية بن خالد، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم - ابن أخي ابن شهاب - عن عمه الزهري، عن حُمَيْد بن عبد الرحمن - هو ابن عوف - عن أمه - وهي: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْط - قالت: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدلُ ثلث القرآن»^(٨).

(١) سنن الترمذي، ما بعد حديث (٢٨٩٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: صحيح لغيره. (المسند ١٩٧/٣٥ ح ٢١٢٧٥).

(٣) السنن الكبرى (ح ١٠٥٢١).

(٤) (المسند ١٢٢/٤)؛ وسنن ابن ماجه، الأدب، باب ثواب القرآن (ح ٣٧٨٩)؛ والسنن الكبرى (ح ١٠٥٢٤) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٠٥٦).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «بكر».

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٤٧/١) وسنده صحيح.

(٧) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] (ح ٨١١)، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة (ح ١٠٥٣٧).

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، (المسند ٢٤٤/٤٥ ح ٢٧٢٢٧٤) وصححه سند محققوه.

وكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة»، عن عمرو بن علي، عن أمية بن خالد، به^(١). ثم رواه من طريق مالك، عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، قوله. ورواه النسائي أيضاً في «اليوم والليلة» من حديث محمد بن إسحاق، عن الحارث بن الفضيل الأنصاري، عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن: أن نقرأ من أصحاب محمد ﷺ حديثه عن النبي ﷺ أنه قال: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ تَعَدَّلْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ لِمَنْ صَلَّى بِهَا»^(٢).

حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة: قال الإمام مالك بن أنس، عن عبيد الله بن عبد الرحمن، عن عبيد بن حنين قال: سمعت أبا هريرة يقول: أقبلت مع النبي ﷺ، فسمع رجلاً يقرأ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾» فقال رسول الله ﷺ: «وَجَبَتْ». قلت: وما وجبت؟ قال: «الجنة». ورواه الترمذي والنسائي، من حديث مالك. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث مالك^(٣).

وتقدم حديث: «حُبَّكَ إياها أدخلك الجنة».

حديث في تكرار قراءتها: قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا [قطن بن نسير]^(٤) الغبري، حدثنا عبيس بن ميمون القرشي، حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾» ثلاث مرات في ليلة، فإنها تعدل ثلث القرآن؟»^(٥).

هذا إسناد ضعيف، وأجود منه حديث آخر، قال عبد الله ابن الإمام أحمد:

حدثنا محمد بن أبي بكر المَقْدَمي، حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا ابن أبي ذئب، عن أسيد بن أبي أسيد، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب، عن أبيه قال: أصابنا طَشٌّ وظلمة، فانظرنا رسول الله ﷺ يصلي لنا، فخرج فأخذ بيدي، فقال: «قل». فسكت. قال: «قل». قلت: ما أقول؟ قال: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾» والمعوذتين حين تَمُسي وحين تصبح ثلاثاً، تكفك كل يوم مرتين^(٦).

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي، من حديث ابن أبي ذئب، به. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقد رواه النسائي من طريق أخرى، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب، عن أبيه، عن عقبة بن عامر، فذكره [ولفظه: «تكفيك كل شيء»]^{(٧)(٨)}.

(١) السنن الكبرى (ح ١٠٥٣١).

(٢) السنن الكبرى (ح ١٠٥٣٢).

(٣) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثته (الموطأ، القرآن، باب ما جاء في قراءة «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾» [الإخلاص] ٢٠٨/٢ ح ١٨)؛ وأخرجه الترمذي من طريقه (السنن، فضائل القرآن باب سورة الإخلاص ح ٢٨٩٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٣٢٠)؛ وكذا أخرجه النسائي، السنن، الإفتتاح (١٧١/٢).

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «مطر بن بشير».

(٥) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ١٥٠/٧ ح ٤١١٨) وسنده ضعيف جداً لأن عبيس بن ميمون متروك. (مجمع الزوائد ١٤٧/٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وحسن سنده محققوه (المسند ٣٣٥/٣٧ ح ٢٢٦٦٤).

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

(٨) سنن أبي داود، الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (ح ٥٠٨٢)؛ وسنن الترمذي، الدعوات، باب الدعاء يقال عند النوم (ح ٣٥٧٥)؛ وسنن النسائي، كتاب الاستعاذة، في بدايته، (٢٥٠/٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٢٤١).

حديث آخر في ذلك: قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا ليث بن سعد، حدثني الخليل بن مرة، عن الأزهري بن عبد الله، عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله واحداً واحداً صمداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحدًا، عشر مرات، كُتِبَ له أربعون ألف ألف حسنة»^(١).

تفرد به أحمد، والخليل بن مرة: ضعفه البخاري وغيره بمرّة.

حديث آخر: قال أحمد أيضاً: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا [زبان]^(٢) بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يخطمها، عشر مرات، بنى الله له قصرًا في الجنة». فقال عمر: إذن نستكثر يا رسول الله. فقال ﷺ: «الله أكثر وأطيب». تفرد به أحمد^(٣).

ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده فقال: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا حيوة، حدثنا أبو [عقيل]^(٤) وغيره عن معبد - قال الدارمي: وكان من الأبدال - أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إن نبي الله ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات، بنى الله له قصرًا في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة». فقال عمر بن الخطاب: إذن لتكثر قصورنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أوسع من ذلك»^(٥). وهذا مرسل جيد.

حديث آخر: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا [نصر]^(٦) بن علي، حدثني نوح بن قيس، أخبرني محمد العطار، أخبرني أم كثير الأنصارية، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مرة غُفِرَ له ذنوب خمسين سنة»^(٧). إسناده ضعيف.

حديث آخر: قال أبو يعلى: حدثنا أبو الربيع، حدثنا حاتم بن ميمون، حدثنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ في يوم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائتي مرة، كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين»^(٨). إسناده ضعيف، حاتم بن ميمون: ضعفه البخاري وغيره. ورواه الترمذي، عن محمد بن مرزوق البصري، عن حاتم بن ميمون، به. ولفظه: «من قرأ كل يوم، مائتي مرة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ محي عنه ذنوب خمسين سنة، إلا أن يكون عليه دين».

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٠٣/٤) وسنده ضعيف لضعف الخليل.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «زياد».

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٣٧/٣) وسنده ضعيف لضعف ابن لهيعة وزبان كما في التقريب.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «عبيد».

(٥) أخرجه الدارمي بسنده ومثته (السنن، فضائل القرآن، باب في فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] ٤٥٩/٢) وسنده ضعيف لأنه مرسل.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «مصر».

(٧) ضعف سنده الحافظ ابن كثير.

(٨) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ١٠٣/٦) وضعف سنده الحافظ ابن كثير.

قال الترمذي: وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «من أراد أن ينام على فراشه، فنام على يمينه، ثم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» مائة مرة، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب ﷻ: يا عبدي، ادخل على يمينك الجنة». ثم قال: غريب من حديث ثابت، وقد روي من غير هذا الوجه، عنه^(١).

وقال أبو بكر البزار: حدثنا سهل بن بحر، حدثنا حَبَّان بن أغلب، حدثنا أبي، حدثنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» مائتي مرة، حطَّ الله عنه ذنوب مائتي سنة». ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر، والأغلب بن [تميم]^(٢)، وهما متقاربان في سوء الحفظ^(٣).

حديث آخر في الدعاء بما تضمنته من الأسماء: قال النسائي عند تفسيرها: حدثنا عبد الرحمن بن خالد، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني مالك بن مِغُول، حدثنا عبد الله بن بُرَيْدة، عن أبيه: أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي، يدعو يقول: اللهم، إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. قال: «والذي نفسي بيده، لقد سأله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب».

وقد أخرجه بَقِيَّةُ أصحاب السنن من طُرُق، عن مالك بن مِغُول، عن عبد الله بن بُرَيْدة، عن أبيه، به. وقال الترمذي: حسن غريب^(٤).

حديث آخر في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة: قال الحافظ أبو يعلى [الموصلي]^(٥): حدثنا عبد الأعلى، حدثنا بشر بن منصور، عن عمر بن [نبهان]^(٦)، عن أبي شداد، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من جاء بهنَّ مع الإيمان دَخَلَ من أيِّ أبواب الجنة شاء، وزُوج من الحور العين حيث شاء: من عفا عن قاتله، وأدَّى ديناً خفياً، وقرأ في دُبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾». قال: فقال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول الله؟ قال: «أو إحداهن»^(٧).

حديث في قراءتها عند دخول المنزل: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمد بن

(١) سنن الترمذي، فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص (ح ٢٨٩٨) وسنده ضعيف كسابقه لضعف حاتم بن ميمون.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «مهم».

(٣) أخرجه ابن الضريس من طريق الحسن بن أبي جعفر عن ثابت به (فضائل القرآن ح ٢٦٧).

(٤) أخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، باب الدعاء ح ١٤٩٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٣٢٤، ١٣٢٥)؛ وسنن الترمذي، فضائل القرآن (ح ٣٨٧٥)؛ وسنن ابن ماجه، الأدب، باب اسم الله الأعظم (ح ٣٨٥٧).

(٥) زيادة من (ح).

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «سان».

(٧) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٣٣٢ ح ١٧٩٤) وسنده ضعيف جداً لأن عمر بن نبهان متروك (مجمع الزوائد ١٠/ ١٠٢).

عبد الله بن بكر السراج العسكري، حدثنا محمد بن الفرج، حدثنا محمد بن الزبرقان، عن مروان بن سالم، عن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير، عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حين يدخل منزله، نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران»^(١). إسناده ضعيف.

حديث في الإكثار من قراءتها في سائر الأحوال: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي، حدثنا يزيد بن هارون، عن العلاء بن محمد الثقفي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا جبريل، ما لي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت بمثله فيما مضى؟». قال: إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي، مات بالمدينة اليوم، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه. قال: «وفيم ذلك؟» قال: كان يكثر قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في الليل وفي النهار، وفي ممشاه وقيامه وقعوده، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه؟ قال: «نعم». فصلى عليه^(٢).

وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في [كتاب]^(٣) «دلائل النبوة» من طريق يزيد بن هارون، عن العلاء أبي محمد^(٤) - وهو متهم بالوضع - فالله أعلم.

طريق أخرى: قال أبو يعلى: حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله، حدثنا عثمان بن الهيثم - مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي - عن محمود أبي عبد الله، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس قال: نزل جبريل على النبي ﷺ فقال: مات معاوية بن معاوية الليثي، فتحب أن تصلي عليه؟ قال: «نعم». فضرب بجناحه الأرض، فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت، فرفع سريره فظفر إليه، فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة، في كل صف سبعون ألف ملك، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل، بم نال هذه المنزلة من الله تعالى؟». قال بحبه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقراءته إياها ذاهباً وجائياً وقاعداً، وعلى كل حال^(٥).

ورواه البيهقي، من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن، عن محبوب بن هلال، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس، فذكره^(٦). وهذا هو الصواب، ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي: «ليس بالمشهور»^(٧). وقد روي هذا من طرق آخر، تركناها اختصاراً، وكلها ضعيفة.

حديث آخر في فضلها مع المعوذتين: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا معاذ بن رفاعة، حدثني علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ، فابتدأته فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، بم نجاة المؤمن؟ قال: «يا عقبة،

(١) أخرجه الطبراني بسنده ومثته (المعجم الكبير ٢/ ٣٤٠ ح ٢٤١٩) وسنده ضعفه الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ٧/ ٢٥٦ ح ٤٢٦٧) وسنده ضعيف جداً لأن العلاء متهم بالوضع.

(٣) زياد من (ح). (٤) دلائل النبوة ٥/ ٢٤٥.

(٥) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ٧/ ٢٥٨ ح ٤٢٦٨) وضعف سنده محققه: حسين سليم أسد، وضعف طرقه كلها الحافظ ابن كثير.

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٢٤٦. (٧) الجرح والتعديل ٨/ ٣٨٩.

أَخْرُسُ لِسَانِكَ وَلَيْسَعَكَ بَيْتُكَ، وَابْنُكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ». قَالَ: ثُمَّ لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَابْتَدَأَنِي فَأَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: «يَا عَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، أَلَا أَعْلَمُكَ خَيْرَ ثَلَاثِ سُورٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالزَّبُورِ، وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؟». قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: فَأَقْرَأْنِي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝﴾ [الفلق] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝﴾ [الناس] ثُمَّ قَالَ: «يَا عَقْبَةُ، لَا تَنْسَهُنَّ وَلَا تُبْتَ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ». قَالَ: فَمَا نَسِيتُهُنَّ مِنْذُ قَالَ: «لَا تَنْسَهُنَّ»، وَمَا بَتَ لَيْلَةً قَطُّ حَتَّى أَقْرَأَهُنَّ. قَالَ عَقْبَةُ، ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَابْتَدَأَنِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ. فَقَالَ: «يَا عَقْبَةُ، صَلِّ مِنْ قَطْعِكَ، وَأَعْطِ مِنْ حَرَمِكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»^(١).

رَوَى التِّرْمِذِيُّ بَعْضَهُ فِي «الزَّهْدِ»، مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زَحْرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدٍ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٢). وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ أَسِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُثْعَمِيِّ، عَنْ فَرْوَةَ بْنِ مُجَاهِدٍ اللَّخْمِيِّ، عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ سِوَاءً^(٣). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

حَدِيثٌ آخَرٌ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ بِهِنَّ: قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا الْمَفْضَلُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفِيَّهُ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٤).

وَهَكَذَا رَوَاهُ أَهْلُ السَّنَنِ، مِنْ حَدِيثِ عُقَيْلٍ، بِهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ ۝ ١ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ ٣ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ ٤ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ ٥ ۝

قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ سَبَبِ نَزُولِهَا. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: لَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ: نَحْنُ نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. وَقَالَتِ الْمَجُوسُ: نَحْنُ نَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَالَتِ الْمُشْرِكُونَ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْأَوْثَانَ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾^(٥).
يَعْنِي: هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدِهِ وَمَتْنُهُ (الْمُسْنَدُ ٤/١٤٨) وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ لَضَعْفِ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدٍ وَالْقَاسِمِ.

(٢) السَّنَنِ، الزَّهْدِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ (ح ٢٤٠٦) وَسَنَدُهُ كَسَابِقُهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِهِ، وَحَسَنَ سَنَدَهُ مُحَقِّقُهُ بِالْمَتَابِعَاتِ (الْمُسْنَدُ ٢٨/٦٥٤ ح ١٧٤٥٢).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ وَمَتْنُهُ (الصَّحِيحُ، فَضَائِلُ الْقُرْآنِ، بَابُ فَضْلِ الْمُعْذَاتِ ح ٥٠١٧).

(٥) سَنَدُهُ ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ مَرْسَلٌ، وَيُخَالِفُ مَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ.

يُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﷻ؛ لَأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.
وقوله: ﴿اللَّهُ أَضْكَمُّ ۝١﴾ قال عكرمة، عن ابن عباس: يعني الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم^(١).

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته^(٢).

وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفاء، وليس كمثله شيء، سبحانه الله الواحد القهار.

وقال الأعمش، عن شقيق، عن أبي وائل: ﴿الضَّكْمُ﴾ السيد الذي قد انتهى سؤدده^(٣)، ورواه عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، مثله^(٤).

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿الضَّكْمُ﴾ السيد^(٥).
وقال الحسن، وقتادة: هو الباقي بعد خلقه^(٦). وقال الحسن أيضاً: ﴿الضَّكْمُ﴾ الحي القيوم الذي لا زوال له.

وقال عكرمة: ﴿الضَّكْمُ﴾ الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم^(٧).
وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد^(٨). كأنه جعل ما بعده تفسيراً له، وهو قوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٢﴾ وهو تفسير جيد. وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير، عن أبي بن كعب في ذلك، وهو صريح فيه.

وقال ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعبد الله بن بريدة، وعكرمة أيضاً، وسعيد بن جبيرة، وعطاء بن أبي رباح، وعطية العوفي، والضحاك، والسدي: ﴿الضَّكْمُ﴾ الذي لا جوف له^(٩).

قال سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿الضَّكْمُ﴾ المصمت الذي لا جوف له^(١٠).

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق الأعمش به.

(٤) أخرجه الحافظ ابن حجر بسنده من طريق عاصم به. (تغليق التعليق ٤/ ٣٨٠) وسنده حسن.

(٥) سنده صحيح.

(٦) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة: وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء محمد بن سيف عن عكرمة.

(٨) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بالآثار التالية: أخرجه الطبري وابن أبي عاصم (السنة ٦٧٥) بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سلمة بن نبط عن الضحاك؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن عكرمة.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح عن الثوري به.

وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب^(١).

وقال عبد الله بن بُريدة أيضاً: ﴿الصَّمَدُ﴾ نور يتلأأ.

روى ذلك كله وحكاه: ابن أبي حاتم، والبيهقي والطبراني، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده، وقال: حدثني العباس بن أبي طالب، حدثنا محمد بن عمر بن رومي، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش، حدثني صالح بن حيّان، عن عبد الله بن بُريدة، عن أبيه قال - لا أعلم إلا قد رفعه - قال: ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له^(٢). وهذا غريب جداً، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بُريدة.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له، بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير «الصمد»: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا ﷻ، وهو الذي يُصَمَدُ إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا شرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك أيضاً.

وقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلَدْ﴾ (٢) وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٣) أي: ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.

قال مجاهد: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٣) يعني: لا صاحبة له^(٣).

وهذا كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١] أي: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه من نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟ تعالى وتقدس وتنزه. قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَتَنَقَّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۝٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَقَدْ أَخَصَّنَّمْ وَعَدَّهْمَ عَذَابًا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مريم] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۝٢١ لَا يَسْئِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝٢٢﴾ [الأنبياء] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِيبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٥٨ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝١٥٩﴾ [الصافات] وفي الصحيح - صحيح البخاري -: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً، وهو يرزقهم ويعافيهم»^(٤).

وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يُعِيدَنِي كما بداني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته،

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق طلحة بن مصرف عن مجاهد.

(٤) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ. (الصحيح، الأدب، باب الصبر على الأذى

وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً. وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد^(١).

ورواه أيضاً من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن همام بن مُنَبِّهٍ، عن أبي هريرة، مرفوعاً بمثله. تفرد بهما من هذين الوجهين^(٢).

آخر تفسير سورة «الإخلاص»، والله الحمد والمِنَّة.

(١) أخرجه البخاري بسنده ومنتنه (الصحيح، التفسير، باب سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] ح ٤٩٧٤).

(٢) المصدر السابق، باب قوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص] (ح ٤٩٧٥).

تفسير سورتي المعوذتين

وهما مدنيتان

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش قال: قلت لأبي بن كعب: إن ابن مسعود [كان] ^(١) لا يكتب المعوذتين في مصحفه؟ فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام، قال له: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ^(٢) فقلت، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ^(٣) فقلت. فنحن نقول ما قال النبي ﷺ ^(٤).

ورواه أبو بكر الحميدي في مسنده، عن سفيان بن عيينة، حدثنا عبدة بن أبي لبابة وعاصم بن بهدلة، أنهما سمعا زر بن حبيش قال: سألت أبي بن كعب عن المعوذتين، فقلت: يا أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يحكهما من المصحف. فقال: إني سألت رسول الله ﷺ، فقال: «قيل لي: قل، فقلت». فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ ^(٥).

وقال أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عاصم، عن زر قال: سألت ابن مسعود عن المعوذتين فقال: سألت النبي ﷺ عنهما فقال: «قيل لي، فقلت لكم، فقولوا». قال أبي: فقال لنا النبي ﷺ فنحن نقول ^(٦).

وقال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا عبدة بن أبي لبابة، عن زر بن حبيش - وحدثنا عاصم عن زر - قال: سألت أبي بن كعب فقلت: أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا. فقال: إني سألت النبي ﷺ فقال: «قيل لي، فقلت». فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ ^(٧).

ورواه البخاري - أيضاً - والنسائي، عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة، عن عبدة وعاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب، به ^(٨).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الأزرق بن علي، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا الصلت بن بهرام، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كان عبد الله [يُحْكُ] ^(٩) المعوذتين من المصحف، ويقول:

(١) زيادة من المسند.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وحسن سنده محققوه، وصححوه بالمتابعات. (المسند ٣٥/١١٦ ح ٢١١٨٥).

(٣) أخرجه الحميدي بسنده ومثله. (المسند ١/١٨٥ ح ٣٧٤)، وسنده صحيح.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٥/١٢٩)، وسنده حسن.

(٥) أخرجه البخاري بسنده ومثله. (الصحيح، التفسير، سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق] ح ٤٩٧٧).

(٦) المصدر السابق (ح ٤٩٧٦).

(٧) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: «يحل».

إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما^(١).

ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه، ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله. قال الأعمش: وحدثنا عاصم، عن زر بن حبیش، عن أبي بن كعب قال: سألنا عنهما رسول الله ﷺ، قال: «قيل لي، فقلت»^(٢).

وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء: أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ، ولم يتواتر عنده^(٣)، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة، فإن الصحابة رضي الله عنهم، كتبوهما في المصاحف الأئمة، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك، والله الحمد والمنة.

وقد قال مسلم في صحيحه: حدثنا قتيبة، حدثنا جرير، عن بيان، عن قيس بن أبي حازم، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(٤).

ورواه أحمد، ومسلم أيضاً، والترمذي، والنسائي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عقبة، به. وقال الترمذي: حسن صحيح^(٥).

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جابر، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن عقبة بن عامر قال: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نَقَب من تلك النقاب، إذ قال لي: «يا عقبة، ألا تركب؟». قال: [فَأَجَلْتُ رسول الله ﷺ أن أركب مركبه. ثم قال: «يا عُقَيْب، ألا تركب؟». قال^(٦): فأشفقت أن تكون معصية، قال: فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيئة، ثم ركب، ثم قال: «يا عُقَيْب، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس؟». قلت: بلى يا رسول الله. فأقرأني: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. ثم أقيمت الصلاة، فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما، ثم مرَّ بي فقال: «كيف رأيت يا عُقَيْب؟ اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت»^(٧).

ورواه [النسائي]^(٨) من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك كلاهما عن ابن

(١) يشهد له ما يليه.

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائده على المسند من طريق الأعمش به، وصححه سنده محققوه. (المسند ١١٧/٣٥، ح ٢١١٨٨).

(٣) وبهذا أجاب الحافظ ابن حجر عن هذا الإشكال. (فتح الباري ٧٤٣/٨).

(٤) أخرجه مسلم بسنده ومثته. (الصحيح، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوذتين ح ٨١٤).

(٥) (المسند ١٥٢/٤ والمصدر السابق، وسنن الترمذي، فضائل القرآن، باب ما جاء في المعوذتين ح ٢٩٠٢)؛ وسنن النسائي ١٥٨/٢.

(٦) زيادة من المسند.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ١٤٤/٤) وسنده حسن؛ وقد حسنه الألباني كما سيأتي.

(٨) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل حُرِّفَ إلى: الترمذي.

جابر به (١).

ورواه أبو داود والنسائي - أيضاً - من حديث ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن عقبة، به (٢).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني يزيد بن عبد العزيز الرعيني وأبو مرحوم، عن يزيد بن محمد القرشي، عن علي بن رباح، عن عقبة بن عامر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دُبر كل صلاة.

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي، من طرق، عن علي بن رباح. وقال الترمذي: غريب (٣).
طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ بالمعوذتين، فإنك لن تقرأ بمثلهما». تفرد به أحمد (٤).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا بَقِيَّة، حدثنا بَحِير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جُبَيْر بن نُفَيْر، عن عقبة بن عامر أنه قال: إن رسول الله ﷺ أهديت له بغلة شهباء، فركبها فأخذ عقبة يقودها له، فقال رسول الله ﷺ لعقبة: «اقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾». فاعادها له حتى قرأها، فعرف أنني لم أفرح بها جداً. فقال: «لعلك تهاونت بها؟ فما قمت تصلي بشيء مثلها».

ورواه النسائي عن عمرو بن عثمان، عن بَقِيَّة، به. ورواه النسائي - أيضاً - من حديث الثوري، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عقبة بن عامر: أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين، فذكر نحوه (٥).

طريق أخرى: قال النسائي: أخبرنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر، سمعت النعمان، عن زياد أبي الأسد، عن عقبة بن عامر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾» (٦).

(١) أخرجه النسائي من طريق الوليد بن مسلم به. (السنن، الاستعاذة باب (١) ٢٥٣/٨) حسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠٢٥).

(٢) سنن أبي داود، الصلاة، باب في المعوذتين (ح ١٤٦٢)؛ وسنن النسائي، الاستعاذة ٢٥٣/٨؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٤٦٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه. (المسند ١٥٥/٤)؛ وأخرجه أبو داود. (السنن، الصلاة، باب في الاستغفار ح ١٥٢٣)؛ والترمذي (السنن، فضائل القرآن، باب المعوذتين ح ٢٩٠٣)؛ والنسائي (السنن، السهو ٦٨/٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٣٤٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه. (المسند ١٤٦/٤) وفي سنده ابن لهيعة؛ ويشهد له ما أخرجه النسائي عن جابر. (السنن، الاستعاذة ٢٥٣/٨)؛ وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ح ٥٠٢٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه. (المسند ١٤٩/٤)؛ وأخرجه النسائي؛ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠٢١).

(٦) أخرجه النسائي بسنده ومثنه. (السنن، الاستعاذة، باب (١) ٢٥٢/٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠١٩).

طريق أخرى: قال النسائي: أخبرنا قتيبة، حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن عقبة بن عامر قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال: «يا عقبة، قل». فقلت: ماذا أقول؟ فسكت عني، ثم قال: «قل». قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ [فسكت عني، فقلت: اللهم اردد عليّ فقال: «يا عقبة قل»]. قلت: ماذا أقول يا رسول الله^(١) فقال: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾»، فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال: «قل». قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾»، فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «ما سأل سائل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيز بمثلهما»^(٢).

طريق أخرى: قال النسائي: أخبرنا محمد بن [بشار]^(٣)، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا معاوية، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول، عن عقبة بن عامر: أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في صلاة الصبح^(٤).

طريق أخرى: قال النسائي: أخبرنا قتيبة، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي عمران أسلم، عن عقبة بن عامر قال: اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكب، فوضعت يدي على قدمه فقلت: أقرئني سورة هود أو سورة يوسف. فقال: «لن تقرأ شيئاً أنفع عند الله من ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾»^(٥).

حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا محمود بن خالد، حدثنا الوليد، حدثنا أبو عمرو الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن أبي عبد الله، عن ابن عباس الجهني: أن النبي ﷺ قال له: «يا ابن عباس، ألا أدلك - أو: ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟». قال: بلى، يا رسول الله. قال: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾» و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾»، هاتان السورتان^(٦).

فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه، تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث. وقد تقدم في رواية صُدَيِّ بن عجلان، وقرُوة بن مُجاهد، عنه: «ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن؟ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾»^(٧).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا الجريري، عن أبي العلاء قال: قال رجل: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، والناس يعتقبون، وفي الظهر قلة، فحانت نَزْلَةُ رسول الله ﷺ ونزلتي، فلحقني فضرب منكبي، فقال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾»، فقرأها

(١) زيادة من سنن النسائي.

(٢) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (المصدر السابق)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠٢٦).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: يسار.

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (المصدر السابق) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠٢٣).

(٥) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (المصدر السابق) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠٢٧).

(٦) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (المصدر السابق) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠٢٠).

(٧) تقدم في فضائل سورة الإخلاص.

رسول الله ﷺ وقرأتها معه، ثم قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه، فقال: «إذا صليت فاقرا بهما»^(١).

الظاهر أن هذا الرجل هو عتبة بن عامر، والله أعلم.

ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عليه، به^(٢).

حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، عن عبد الله بن سعيد، حدثني يزيد بن [رومان]^(٣)، عن عتبة بن عامر، عن عبد الله الأسلمي - هو ابن أنيس - أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال: «قل». فلم أدر ما أقول، ثم قال لي: «قل». قلت: «هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» [الإخلاص]. ثم قال لي: «قل». قلت: «أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» من شرِّ مَا خَلَقَ ﴿١﴾، حتى فرغت منها، ثم قال لي: «قل». قلت: «أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» حتى فرغت منها. فقال رسول الله ﷺ: «هكذا فتعوذ، ما تعوذ المتعوذون بمثلن قط»^(٤).

حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا عمرو بن علي أبو حفص، حدثنا بدّل، حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة، عن سعيد الجريري، حدثنا أبو نضرة، عن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ يا جابر». قلت: وما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال: «اقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾». فقرأتهما، فقال: «اقرأ بهما، ولن تقرأ بمثلهما»^(٥).

وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن، وينفث في كفيه، ويمسح بهما رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده.

وقال الإمام مالك: عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه، رجاء بركتها^(٦).

ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم؛ عن يحيى بن يحيى، وأبو داود، عن القعني، والنسائي عن قتيبة - ومن حديث ابن القاسم، وعيسى بن يونس - وابن ماجه من حديث معن وبشر بن عمر، ثمانيتهم عن مالك، به^(٧).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سننه محققوه. (المسند ٣٣/٤٠٦ ح ٢٠٢٨٤).

(٢) السنن الكبرى، الاستعاذة (ح ٧٨٥٩) وسنده صحيح كسابقه.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (المصدر السابق ح ٧٨٤٥) وتقدمت شواهد الصحيحة.

(٥) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (المصدر السابق ح ٧٨٥٤). وقال الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن النسائي ح ٥٠٢٩).

(٦) أخرجه مالك بسنده ومثته. (الموطأ، العين، باب التعوذ والرقية في المرض ٩٤٢/٢ ح ١٠).

(٧) صحيح البخاري، فضائل القرآن، باب فضل المعوذات (ح ٥٠١٦)؛ وصحيح مسلم، السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث (ح ٥١/٥١٩٢)؛ وسنن أبو داود، الطب، باب كيف الرقي (ح ٣٩٠٢)؛ والسنن الكبرى، عمل اليوم والليلة (ح ٧٥٤٩)؛ وسنن ابن ماجه، الطب، باب النفث في الرقية (ح ٣٥٢٩).

وتقدم في آخر سورة: ﴿ت﴾ [القلم] من حديث أبي نضرة، عن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما، وترك ما سواهما. رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا حسن بن صالح، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر قال: الفلق: الصبح^(١).

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿الْفَلَقُ﴾ الصبح. وروى عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن محمد بن عقيل، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وابن زيد، ومالك عن زيد بن أسلم، مثل هذا^(٢).

قال القرظي، وابن زيد، وابن جرير: وهي كقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]^(٣). وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿الْفَلَقُ﴾ الخلق^(٤). وكذا قال الضحاك: أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله.

وقال كعب الأحبار: ﴿الْفَلَقُ﴾ بيت في جهنم، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره^(٥)، ورواه ابن أبي حاتم، ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا سهيل بن عثمان، عن رجل سماه، عن السدي، عن زيد بن علي، عن آبائه أنهم قالوا: ﴿الْفَلَقُ﴾ جب في قعر جهنم، عليه غطاء، فإذا كشف عنه خرجت منه نار تصيح منه جهنم، من شدة حر ما يخرج منه^(٦).

وكذا روي عن عمرو بن [عَبَسَةَ]^(٧)، والسدي^(٨)، وغيرهم. وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكر، فقال ابن جرير:

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي، حدثنا

(١) أخرجه الطبري من طريق أبي أحمد الزبيري به. وسنده حسن.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له سابقه ولاحقه.

وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سالم الأفتس عن سعيد بن جبير؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي صخر عن القرظي.

(٣) تقدم تخريجهما بالسندين السابقين. (٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي عبيد عن كعب.

(٦) سنده ضعيف لإيهام شيخ سهيل بن عثمان.

(٧) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: عبسة.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سفيان عن السدي.

نصر بن خزيمة الخراساني، عن شعيب بن صفوان، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «﴿الْفَلَقِ﴾ جُبَّ فِي جَهَنَّمَ مَغْطًى»^(١) إسناده غريب ولا يصح رفعه.

وقال أبو عبد الرحمن الحبلي: «﴿الْفَلَقِ﴾ من أسماء جهنم»^(٢).

قال ابن جرير: والصواب القول الأول، أنه فلق الصبح^(٣). وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري رحمه الله، في صحيحه^(٤).

وقوله: «مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»^(٥) أي: من شر جميع المخلوقات.

وقال ثابت البناني، والحسن البصري: جهنم وإبليس وذريته مما خلق.

«وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ»^(٦) قال مجاهد: غاسق الليل إذا وَقَبَ غروب الشمس. حكاه البخاري عنه^(٥). ورواه ابن أبي نجيح، عنه. وكذا قال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، وخُصِيف، والحسن، وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلامه^(٦).

وقال الزهري: «وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ»^(٦) الشمس إذا غربت.

وعن عطية وقتادة: إذا وَقَبَ الليل: إذا ذهب^(٧).

وقال أبو المهزم، عن أبي هريرة: «وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ»^(٦) كوكب^(٨).

وقال ابن زيد: كانت العرب تقول: الغاسق سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها^(٩).

قال ابن جرير: ولهؤلاء من الأثر ما حدثني: نصر بن علي، حدثني بكار بن عبد الله - ابن أخي همام - حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾»^(٦) قال: النجم الغاسق^(١٠).

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه الطبري من طريق خثيم بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي، وإن كان خثيم هو ابن عراك فسنده حسن، وأما خثيم بن عبد الله لم أجد ترجمة له.

(٣) رجحه الطبري.

(٤) أخرجه البخاري تعليقا عن مجاهد (الصحيح، التفسير، سورة الفلق قبل حديث ٤٩٧٦) ووصله الفريابي بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. (تغليق التعليق ٣٨١/٤).

(٥) الأثر تنمة لسابقه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري من طريق أبي المهزم عن أبي هريرة، وسنده ضعيف جداً لأن أبا المهزم متروك. (التقريب ص ٦٧٦).

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١٠) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وضعفه الحافظ ابن كثير.

قلت: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ.

قال ابن جرير: وقال آخرون: هو القمر.

قلت: وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد: حدثنا أبو داود الحفري، عن ابن أبي ذئب، عن الحارث، عن أبي سلمة قال: قالت عائشة ؓ: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فأراني القمر حين يطلع، وقال: «تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الْغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ»^(١).

ورواه الترمذي والنسائي، في كتابي التفسير من سننهما، من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن، به. وقال الترمذي: حسن صحيح. ولفظه: «تعوذي بالله من شر هذا، فإن هذا الغاسق إذا وقب». ولفظ النسائي: «تعوذي بالله من شر هذا، هذا الغاسق إذا وقب»^(٢).

قال أصحاب القول الأول وهو أنه الليل إذا ولج: هذا لا ينافي قولنا؛ لأن القمر آية الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تضيء، إلا في الليل، فهو يرجع إلى ما قلناه، والله أعلم.

وقوله: «وَمِنْ شَرِّ الْفَقْصِ فِي الْعَقَدِ ۝» قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة والضحاك: يعني: السواحر، قال مجاهد: إذا رقين ونفثن في العقد^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: ما من شيء أقرب من الشرك من رقية الحية والمجانين^(٤).

وفي الحديث الآخر: أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: اشتكت يا محمد؟ فقال: «نعم». فقال: باسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل حاسد وعين، الله يشفيك^(٥).

ولعل هذا كان من شكواه ﷺ، حين سحر، ثم عافاه الله تعالى وشفاه، ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم، وجعل تدميرهم في تدبيرهم، وفضحهم، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يوماً من الدهر، بل كفى الله وشفى وعافى.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن يزيد بن حيان، عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، قال: فجاء جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرَكَ، عقد لك عُقْداً في بئر كذا وكذا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهَا مِنْ يَجِيءُ بِهَا. فبعث رسول الله ﷺ [عليه رضي الله تعالى عنه]^(٦) فاستخرجها، فجاء بها فحللها، قال: فقام

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٣٧٨/٤٠ ح ٢٤٣٢٣)، وحسن سنده محققوه.

(٢) سنن الترمذي، التفسير، باب، ومن سورة المعوذتين (ح ٣٣٦٦).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف - وهو الأعرابي - عن الحسن، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وأخرجه عبد الرزاق عن معمر به. وسنده صحيح.

(٥) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري ؓ. (السنن، الطب، باب ما عُوذ به النبي ﷺ، وما عُوذ به ح ٣٥٢٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٤٠).

(٦) زيادة من المسند.

رسول الله ﷺ كأنما نَشَط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات^(١).
ورواه النسائي عن هناد، عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير^(٢).

وقال البخاري في «كتاب الطب» من صحيحه: حدثنا عبد الله بن محمد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: أول من حدثنا به ابن جُرَيْج، يقول: حدثني آل عُرْوَة، عن عروة، فسألت هشاماً عنه، فحدثنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ سُحْر، حتى كان يُرَى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن - قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا - فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طَبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم - رجل من بني زُرَيْق حليف لليهود، كان منافقاً - قال: وفيم؟ قال: في مُشَط ومُشَاقَة. قال: وأين؟ قال: في جُفْ طُلُعَة ذكر تحت رعوقة^(٣) في بئر ذُرْوَان». قالت: فأتى البئر حتى استخرجه فقال: «هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نُقَاعَة الحنَّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين». قال: فاستخرج. فقلت: أفلا؟ أي: تَنْشَرَتْ؟ فقال: «أمَّا الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً^(٤)».

وأسنده من حديث عيسى بن يونس، وأبي ضَمْرَة أنس بن عياض، [وأبي أسامة]^(٥)، ويحيى القطان وفيه: «قالت: حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعل». وعنده: «فأمر بالبئر فدفنت». وذكر أنه رواه عن هشام أيضاً ابن أبي الزناد والليث بن سعد^(٦).
وقد رواه مسلم، من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير^(٧). ورواه أحمد، عن عفان، عن وهيب، عن هشام، به^(٨).

ورواه الإمام أحمد - أيضاً - عن إبراهيم بن خالد، عن رباح، عن مَعْمَر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: لبث رسول الله ﷺ ستة أشهر يُرَى أنه يأتي ولا يأتي، فأتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر: ما باله؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، وذكر تمام الحديث^(٩).

وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره: قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما: كان غلام من اليهود

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتمه، وصححه محققوه. (المسند ١٤/٣٢ ح ١٩٢٦٧).

(٢) أخرجه النسائي عن هناد به. (السنن، تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب ١١٢/٧)؛ وصححه الألباني. (صحيح سنن النسائي ح ٣٨٠٢).

(٣) هي صخرة تترك في أسفل البئر إذا حُفرت تكون ناتئة هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المُنْقِي عليها، وقيل هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقي عليه. (النهاية ٢/٢٣٥).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتمه. (الصحيح، الطب، باب هل يستخرج السحر ح ٥٧٦٥).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِف إلى: وأبي أمانة.

(٦) المصدر السابق (ح ٥٧٦٦ و ٥٨٦٣ و ٦٣٩١).

(٧) صحيح مسلم. (السلام، باب السحر ح ٢١٨٩، ٤٣، ٤٤).

(٨) أخرجه الإمام أحمد عن عفان به. (المسند ٩٦/٦)، وسنده صحيح.

(٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتمه، وصححه سند محققوه. (المسند ٤٠/٤٠ ح ٢٤٣٤٧).

يخدم رسول الله ﷺ فدبّت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مُشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مُشطه، فأعطاهم اليهود، فسحروه فيها. وكان الذي تولى ذلك رجل منهم - يقال له: لبيد ابن أعصم - ثم دسّها في بئر لبني زُرَيْق، يقال لها: دَرْوَان، فمرض رسول الله ﷺ وانتشر شعر رأسه، ولبث سته أشهر يُرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذُوب ولا يدري ما عراه. فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان ففَعَد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طُبَّ. قال: وما طُبَّ؟ قال: سحر. قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي. قال: وبم طَبَّهُ؟ قال: بمشط ومشاطة. قال: وأين هو؟ قال: في جُف طلعة تحت راعوفة في بئر دَرْوَان - والجف: قشر الطلع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح - فانتبه رسول الله ﷺ مذعوراً، وقال: «يا عائشة، أما شعرت أن الله يُخبرني بدائي؟». ثم بعث رسول الله ﷺ علياً والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء البئر كأنه نُقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجفَّ، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر معقود، فيه اثنتا عشرة عقدة مغروزة بالإبر. فأنزل الله تعالى السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحَلَّت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحَلَّت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نَشَط من عقال، وجعل جبريل عليه السلام يقول: باسم الله أَرْزِيكَ، من كل شر يؤذيك، من حاسد وعين الله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن يثير على الناس شراً»^(١).

هكذا أورده بلا إسناد، وفيه [غربة]^(٢)، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم، والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

هذه ثلاث صفات من صفات الربِّ ﷻ؛ الربوبية، والملك، والإلهية: فهو ربُّ كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة عبيد له، فأمر المستعبد أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يُزِين له الفواحش، ولا يألوه جهداً في الخبال. والمعصوم من عصم الله، وقد ثبت في الصحيح أنه: «ما منكم من أحد ألا قد وُكِّل به قرينه». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»^(٣).

(١) ضعفه الحافظ ابن كثير.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِف إلى: «عوانة».

(٣) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود عليه السلام (الصحيح)، صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان ح ٢٨١٤.

وثبت في الصحيح، عن أنس في قصة زيارة صفية النبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معها ليلاً ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعَا، فقال رسول الله: «على رسلكما، إنها صفية بنت حُيي». فقالا: سبحان الله، يا رسول الله. فقال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا، أو قال: شرأ»^(١).

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا محمد بن بحر، حدثنا عدي بن أبي عمارة، حدثنا زياد التميمي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر خَس، وإن نسي التَّم قلبه، فذلك الوسواس الخناس»^(٢). غريب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم، سمعت أبا تيممة يُحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال: عَثَرُ بالنبي ﷺ حماره، فقلت: تعس الشيطان. فقال النبي ﷺ: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاظم، وقال: بقوتي صرعت، وإذا قلت: باسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب»^(٣).

تفرد به أحمد، إسناده جيد قوي، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا الضحاك بن عثمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا كان في المسجد، جاءه الشيطان فأبَسَّ»^(٤) به كما يُبَسُّ الرجل بدابته، فإذا سكن له زنقه - أو: أَلجمه. قال أبو هريرة: وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلاً - كذا - لا يذكر الله، وأما المُلجم ففاتح فاه لا يذكر الله ﷻ^(٥). تفرد به أحمد.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خَسَّ^(٦). وكذا قال مجاهد، وقتادة^(٧).

وقال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: ذَكَرَ لي أن الشيطان، أو: الوسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خَسَّ^(٨).

(١) أخرجه الشيخان من حديث صفية بنت حُييٍّ ؓ. (صحيح البخاري، الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب ح ٦٢١٩)؛ وصحيح مسلم، السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة.. أن يقول هذه فلانة (ح ٢١٧٥).

(٢) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثنه. (المسند ٧/ ٢٧٨ ح ٤٣٠١) وسنده ضعيف لضعف عدي وزياد. (فتح الباري ٧٤٢/٨ ومجمع الزوائد ١٥٢/٧).

(٣) تقدم تفسيره في بداية سورة الفاتحة.

(٤) التلطف بالدابة بأن يقول لها: بس بس تسكيناً لها. قاله السندي في حاشية المسند.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه، وقال محققوه: إسناده قوي. (المسند ١٤/ ١٠٥، ح ٨٣٧٠).

(٦) أخرجه عبد الرزاق وأدم بن أبي إياس والطبري والحاكم (المستدرک ٢/ ٥٤١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري من طريق ابن ثور عن أبيه به وسواء كان عن والد ابن ثور أو والد معتمر بن سليمان فالسند ضعيف لجهالة المفسر.

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿الْوَسْوَاسَ﴾ قال: هو الشيطان يأمر، فإذا أطيع خنس^(١).

وقوله: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ هل يختص هذا ببني آدم - كما هو الظاهر - أو يعم بني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبا.

وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم (رجال من الجن) فلا بدع في إطلاق الناس عليهم^(٢).

وقوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هل هو تفصيل لقوله: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ثم بينهم فقال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ وهذا يقوي القول الثاني. وقيل قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ تفسير للذي يوسوس في صدور الناس، من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وكما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا المسعودي، حدثنا أبو عمر الدمشقي، حدثنا عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فجلست، فقال: «يا أبا ذر، هل صليت؟». قلت: لا. قال: «قم فصل». قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: «يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن».

قال: قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: «نعم». قال: قلت: يا رسول الله، الصلاة؟ قال: «خير موضوع، من شاء أقل، ومن شاء أكثر». قلت: يا رسول الله فما الصوم؟ قال: «فرض يجزئ، وعند الله مزيد». قلت: يا رسول الله، فالصدقة؟ قال: «أضعاف مضاعفة». قلت: يا رسول الله، أيها أفضل؟ قال: «جهد من مقل، أو سر إلى فقير». قلت: يا رسول الله؛ أي: الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم». قلت: يا رسول الله، ونبي كان؟ قال: «نعم، نبي مكلّم». قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «ثلثمائة وبضعة عشر، جمعا غفيرا». وقال مرة: «خمسة عشر». قلت: يا رسول الله، أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]^(٣)».

ورواه النسائي، من حديث أبي عمر الدمشقي، به^(٤). وقد أخرج هذا الحديث مطولا جداً أبو حاتم بن حبان في صحيحه، بطريق آخر، ولفظ آخر مطول جداً^(٥)، فالحمد لله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن زر بن عبد الله الهمداني، عن عبد الله بن شداد، عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أحدث

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. (٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: إسناده ضعيف جداً لجهالة عبيد بن الخشخاش ولضعف أبي عمر الدمشقي. (المسند ٣٥/٤٣١، ٤٣٢ ح ٢١٥٤٦).

(٤) أخرجه النسائي مقتصراً على بدايته في ذكر الاستعاذة (السنن، كتاب الاستعاذة ٣١٦/٨) وسنده ضعيف كسابقه.

(٥) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧٦/٢ ح ٣٦١٠ وسنده ضعيف جداً لأن فيه إبراهيم بن هشام الغساني الدمشقي وهو كذاب (ميزان الاعتدال ١/٧٣٩).

نفسى بالشيء لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به. قال: فقال النبي ﷺ: «الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة»^(١).

ورواه أبو داود والنسائي، من حديث منصور؛ زاد النسائي: والأعمش كلاهما عن زر، به^(٢).



آخر التفسير، والله الحمد والمئة [والحمد لله رب العالمين]^(٣)، وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. [حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير]^(٤).

(١) أخرجه الإمام أحمد سنده ومثته، وصححه سنده محققوه. (المسند ١٠/٤ ح ٢٠٩٧).

(٢) سنن أبي داود، الأدب، باب في رد الوسوسة (ح ٥١١٢)؛ والسنن الكبرى للنسائي، عمل اليوم والليلة (ح ١٠٥٠٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٢٦٤).

(٣) زيادة من (حم).

(٤) زيادة من (حم).

وقد جاء ختام التفسير بخط كاتبه وهو ما نصه:

قال كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى: محمد الشاذلي ابن الشيخ جاد الكريم الشافعي (عفى الله عنه وغفر له): نجز هذا الكتاب المبارك وهو: تفسير الحافظ عماد الدين بن كثير في يوم الثلاثاء المبارك عشري شهر جمادى الأول من شهور سنة أربع وثمانين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. وقد أمرني بكتابته لنفسه استئجار الشيخ الإمام العالم العلامة: أبو السعادات بن نور الله قاضي القضاة^(١) بمصر المحروسة عفى [الله]^(٢) عنه.

وقد كتبت نحو نصفه في حال توليته، ثم تولّى قضاء مكة المشرفة، فذهب مع الحاج المصري^(٣)، وتوفي إلى رحمة الله تعالى بمكة المشرفة عشري شهر الحرام سنة ثلاث وثمانين وألف. وقد أكملت هذا الكتاب بحمد الله وعونه بعد وفاته، وأوصلته إلى وصيه يدفعه إلى أولاده بمكة المشرفة أوصله الله إليهم سالماً بمنه وكرمه آمين.

اللهم إني أسألك يا مقيل العثرات، وكاشف الكربات والبلبات، وجامع الشتات، وسامع الأصوات الخفيات بحرمة نبيك محمد ﷺ أن تكشف كربتي، وتكرم عندك منزلتي، إنك أرحم الراحمين. اللهم كما أدخلتني في هذه الدنيا على سلامة فأخرجني منها على سلامة، وأدخلني دار السلام بسلامة من غير سابقه عذاب ولا حساب، ولا ندامة يا مجيب المضطر إذا دعاه ويكشف كربته وبلاه، ويرحم تضرعه وشكواه.

اللهم صلّ وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته والتابعين وتابع التابعين، وعبادك الصالحين وعلينا معهم. آمين والحمد لله رب العالمين. تم. اهـ.

(١) الصواب: رئيس القضاة.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) أي: مع جماعة الحجيج المصريين.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تفسير الآيات: ١٩ - ٢٦	٦٦	سورة ق	
تفسير الآيات: ٢٧ - ٣٢	٧٠	تفسير الآيات: ١ - ٥	٧
تفسير الآيات: ٣١ - ٣٢	٧١	تفسير الآيات: ٦ - ١١	٩
تفسير الآيات: ٣٣ - ٤١	٧٤	تفسير الآيات: ١٢ - ١٥	١٠
تفسير الآيات: ٤٢ - ٥٥	٧٧	تفسير الآيات: ١٦ - ٢٢	١١
تفسير الآيات: ٥٦ - ٦٢	٧٩	تفسير الآيات: ٢٣ - ٢٩	١٥
سورة القمر		تفسير الآيات: ٣٠ - ٣٥	١٦
تفسير الآيات: ١ - ٥	٨١	تفسير الآيات: ٣٦ - ٤٠	٢١
تفسير الآيات: ٦ - ١٧	٨٧	تفسير الآيات: ٤١ - ٤٥	٢٤
تفسير الآيات: ١٨ - ٣٢	٩٠	سورة الذاريات	
تفسير الآيات: ٣٣ - ٤٠	٩١	تفسير الآيات: ١ - ١٤	٢٦
تفسير الآيات: ٤١ - ٤٦	٩٢	تفسير الآيات: ١٥ - ٢٣	٢٩
تفسير الآيات: ٤٧ - ٥٥	٩٣	تفسير الآيات: ٢٤ - ٣٠	٣٤
سورة الرحمن		تفسير الآيات: ٣١ - ٣٧	٣٥
تفسير الآيات: ١ - ١٣	١٠٠	تفسير الآيات: ٣٨ - ٤٦	٣٦
تفسير الآيات: ١٤ - ٢٥	١٠٣	تفسير الآيات: ٤٧ - ٥١	٣٧
تفسير الآيات: ٢٦ - ٣٠	١٠٥	تفسير الآيات: ٥٢ - ٦٠	٣٨
تفسير الآيات: ٣١ - ٣٦	١٠٧	سورة الطور	
تفسير الآيات: ٣٧ - ٤٥	١٠٩	تفسير الآيات: ١ - ١٦	٤٠
تفسير الآيات: ٤٦ - ٥٣	١١٢	تفسير الآيات: ١٧ - ٢٠	٤٤
تفسير الآيات: ٥٤ - ٦١	١١٥	تفسير الآيات: ٢١ - ٢٨	٤٥
تفسير الآيات: ٦٢ - ٧٨	١١٨	تفسير الآيات: ٢٩ - ٣٤	٤٨
سورة الواقعة		تفسير الآيات: ٣٥ - ٤٣	٤٩
تفسير الآيات: ١ - ١٢	١٢٥	تفسير الآيات: ٤٤ - ٤٩	٥٠
تفسير الآيات: ١٣ - ٢٦	١٢٩	سورة النجم	
تفسير الآيات: ٢٧ - ٤٠	١٣٧	تفسير الآيات: ١ - ٤	٥٤
تفسير الآيات: ٤١ - ٥٦	١٥٠	تفسير الآيات: ٥ - ١٨	٥٦
تفسير الآيات: ٥٧ - ٦٢	١٥١		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تفسير الآيات: ٦٣ - ٧٤	١٥٢	تفسير الآيات: ١٠ - ١١	٢٤٨
تفسير الآيات: ٧٥ - ٨٢	١٥٦	تفسير الآية: ١٢	٢٥٢
تفسير الآيات: ٨٣ - ٩٦	١٦١	تفسير الآية: ١٣	٢٥٩
سورة الحديد		تفسير الآية: ١٣	٢٦٠
تفسير الآيات: ١ - ٣	١٦٦	سورة الصف	
تفسير الآيات: ٤ - ٦	١٦٩	تفسير الآيات: ١ - ٤	٢٦٢
تفسير الآيات: ٧ - ١١	١٧١	تفسير الآيات: ٥ - ٦	٢٦٦
تفسير الآيات: ١٢ - ١٥	١٧٦	تفسير الآيات: ٧ - ١٣	٢٦٨
تفسير الآيات: ١٦ - ١٧	١٨٠	تفسير الآية: ١٤	٢٦٩
تفسير الآيات: ١٨ - ١٩	١٨٢	سورة الجمعة	
تفسير الآيات: ٢٠ - ٢١	١٨٤	تفسير الآيات: ١ - ٤	٢٧١
تفسير الآيات: ٢٢ - ٢٤	١٨٦	تفسير الآيات: ٥ - ٨	٢٧٣
تفسير الآية: ٢٥	١٨٧	تفسير الآيات: ٩ - ١٠	٢٧٤
تفسير الآيات: ٢٦ - ٢٧	١٨٨	تفسير الآية: ١١	٢٧٨
تفسير الآيات: ٢٨ - ٢٩	١٩١	سورة المنافقون	
سورة المجادلة		تفسير الآيات: ١ - ٤	٢٨٠
تفسير الآية: ١	١٩٤	تفسير الآيات: ٥ - ٨	٢٨١
تفسير الآيات: ٢ - ٤	١٩٥	تفسير الآيات: ٩ - ١١	٢٨٧
تفسير الآيات: ٥ - ١٠	٢٠١	سورة التغابن	
تفسير الآية: ١١	٢٠٤	تفسير الآيات: ١ - ٤	٢٨٩
تفسير الآيات: ١٢ - ١٣	٢٠٨	تفسير الآيات: ٥ - ١٠	٢٩٠
تفسير الآيات: ١٤ - ١٩	٢١٠	تفسير الآيات: ١١ - ١٣	٢٩١
تفسير الآيات: ٢٠ - ٢٢	٢١٢	تفسير الآيات: ١٤ - ١٨	٢٩٢
سورة الحشر		سورة الطلاق	
تفسير الآيات: ١ - ٥	٢١٥	تفسير الآية: ١	٢٩٦
تفسير الآيات: ٦ - ٧	٢٢٣	تفسير الآيات: ٢ - ٣	٢٩٩
تفسير الآيات: ٨ - ١٠	٢٢٧	تفسير الآيات: ٤ - ٥	٣٠٣
تفسير الآيات: ١١ - ١٧	٢٣٢	تفسير الآيات: ٦ - ٧	٣٠٦
تفسير الآيات: ١٨ - ٢٠	٢٣٤	تفسير الآيات: ٨ - ١٢	٣٠٩
تفسير الآيات: ٢١ - ٢٤	٢٣٦	سورة التحريم	
سورة الممتحنة		تفسير الآيات: ١ - ٥	٣١٢
تفسير الآيات: ١ - ٣	٢٤٠	تفسير الآيات: ٦ - ٨	٣٢٠
تفسير الآيات: ٤ - ٦	٢٤٤	تفسير الآيات: ٩ - ١٠	٣٢٥
تفسير الآيات: ٧ - ٩	٢٤٦		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٩٧	تفسير الآيات: ١١ - ١٧	٣٢٦	تفسير الآيات: ١١ - ١٢
٣٩٩	تفسير الآيات: ١٨ - ٢٤		سورة الملك
٤٠١	تفسير الآيات: ٢٥ - ٢٨	٣٣٠	تفسير الآيات: ١ - ٥
	سورة الزمر	٣٣٢	تفسير الآيات: ٦ - ١١
٤٠٤	تفسير الآيات: ١ - ٩	٣٣٣	تفسير الآيات: ١٢ - ١٥
٤١١	تفسير الآيات: ١٠ - ١٨	٣٣٤	تفسير الآيات: ١٦ - ١٩
٤١٣	تفسير الآيات: ١٩ - ٢٠	٣٣٥	تفسير الآيات: ٢٠ - ٢٧
	سورة المدثر	٣٣٦	تفسير الآيات: ٢٨ - ٣٠
٤١٦	تفسير الآيات: ١ - ١٠		سورة القلم
٤٢٠	تفسير الآيات: ١١ - ٣٠	٣٣٧	تفسير الآيات: ١ - ٧
٤٢٤	تفسير الآيات: ٣١ - ٣٧	٣٤٤	تفسير الآيات: ٨ - ١٦
٤٢٨	تفسير الآيات: ٣٨ - ٥٦	٣٤٩	تفسير الآيات: ١٧ - ٣٣
	سورة القيامة	٣٥١	تفسير الآيات: ٣٤ - ٤١
٤٣١	تفسير الآيات: ١ - ١٥	٣٥٢	تفسير الآيات: ٤٢ - ٤٧
٤٣٥	تفسير الآيات: ١٦ - ٢٥	٣٥٤	تفسير الآيات: ٤٨ - ٥٢
٤٣٨	تفسير الآيات: ٢٦ - ٤٠		سورة الحاقة
	سورة الإنسان	٣٦٢	تفسير الآيات: ١ - ١٢
٤٤٣	تفسير الآيات: ١ - ٣	٣٦٥	تفسير الآيات: ١٣ - ١٨
٤٤٥	تفسير الآيات: ٤ - ١٢	٣٦٨	تفسير الآيات: ١٩ - ٢٤
٤٤٨	تفسير الآيات: ١٣ - ٢٢	٣٧٠	تفسير الآيات: ٢٥ - ٣٧
٤٥١	تفسير الآيات: ٢٣ - ٣١	٣٧٢	تفسير الآيات: ٣٨ - ٥٢
	سورة المرسلات		سورة المعارج
٤٥٣	تفسير الآيات: ١ - ١٥	٣٧٤	تفسير الآيات: ١ - ٧
٤٥٥	تفسير الآيات: ١٦ - ٢٨	٣٧٩	تفسير الآيات: ٨ - ١٨
٤٥٦	تفسير الآيات: ٢٩ - ٤٠	٣٨١	تفسير الآيات: ١٩ - ٣٥
٤٥٨	تفسير الآيات: ٤١ - ٥٠	٣٨٣	تفسير الآيات: ٣٦ - ٤٤
	سورة النبأ		سورة نوح
٤٥٩	تفسير الآيات: ١ - ١٦	٣٨٦	تفسير الآيات: ١ - ٤
٤٦٢	تفسير الآيات: ١٧ - ٣٠	٣٨٧	تفسير الآيات: ٥ - ٢٠
٤٦٦	تفسير الآيات: ٣١ - ٣٦	٣٨٩	تفسير الآيات: ١٢ - ٢٤
٤٦٧	تفسير الآيات: ٣٧ - ٤٠	٣٩١	تفسير الآيات: ٢٥ - ٢٨
	سورة النازعات		سورة الجن
٤٧٠	تفسير الآيات: ١ - ١٤	٣٩٣	تفسير الآيات: ١ - ٧
٤٧٤	تفسير الآيات: ١٥ - ٢٦	٣٩٥	تفسير الآيات: ٨ - ١٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تفسير الآيات: ٢٧ - ٣٣	٤٧٥	سورة الفجر	
تفسير الآيات: ٣٤ - ٤٦	٤٧٦	تفسير الآيات: ١ - ١٤	٥٥٤
سورة عبس		تفسير الآيات: ١٥ - ٢٠	٥٦٢
تفسير الآيات: ١ - ١٦	٤٧٨	تفسير الآيات: ٢١ - ٣٠	٥٦٣
تفسير الآيات: ١٧ - ٣٢	٤٨١	سورة البلد	
تفسير الآيات: ٣٣ - ٤٢	٤٨٥	تفسير الآيات: ١ - ١٠	٥٦٧
سورة التكويد		تفسير الآيات: ١١ - ٢٠	٥٧١
تفسير الآيات: ١ - ١٤	٤٨٨	سورة الشمس	
تفسير الآيات: ١٥ - ٢٩	٤٩٦	تفسير الآيات: ١ - ١٠	٥٧٦
سورة الانقطار		تفسير الآيات: ١١ - ١٥	٥٨٠
تفسير الآيات: ١ - ١٢	٥٠٢	سورة الليل	
تفسير الآيات: ١٣ - ١٩	٥٠٦	تفسير الآيات: ١ - ١١	٥٨٢
سورة المطففين		تفسير الآيات: ١٢ - ٢١	٥٨٧
تفسير الآيات: ١ - ٦	٥٠٧	سورة الضحى	
تفسير الآيات: ٧ - ١٧	٥١٠	تفسير الآيات: ١ - ١١	٥٨٩
تفسير الآيات: ١٨ - ٢٨	٥١٢	سورة الشرح	
تفسير الآيات: ٢٩ - ٣٦	٥١٥	تفسير الآيات: ١ - ٨	٥٩٥
سورة الانشقاق		سورة التين	
تفسير الآيات: ١ - ١٥	٥١٦	تفسير الآيات: ١ - ٨	٥٩٩
تفسير الآيات: ١٦ - ٢٥	٥١٩	سورة التعلق	
سورة البروج		تفسير الآيات: ١ - ٥	٦٠٣
تفسير الآيات: ١ - ١٠	٥٢٥	تفسير الآيات: ٦ - ١٩	٦٠٤
تفسير الآيات: ١١ - ٢٢	٥٣٤	سورة القدر	
سورة الطارق		تفسير الآيات: ١ - ٥	٦٠٧
تفسير الآيات: ١ - ١٠	٥٣٦	سورة البيئة	
تفسير الآيات: ١١ - ١٧	٥٣٨	تفسير الآيات: ١ - ٥	٦٢٣
سورة الأعلى		تفسير الآيات: ٦ - ٨	٦٢٤
تفسير الآيات: ١ - ١٣	٥٤١	سورة الزلزلة	
تفسير الآيات: ١٤ - ١٩	٥٤٤	تفسير الآيات: ١ - ٨	٦٢٧
سورة الغاشية		سورة العاديات	
تفسير الآيات: ١ - ٧	٥٤٨	تفسير الآيات: ١ - ١١	٦٣٢
تفسير الآيات: ٨ - ١٦	٥٥٠	سورة القارعة	
تفسير الآيات: ١٧ - ٢٦	٥٥١	تفسير الآيات: ١ - ١١	٦٣٦

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
سورة التكاثر	٦٤٠	سورة الكافرون	٦٧٧
تفسير الآيات: ٨ - ١	تفسير الآيات: ٦ - ١
سورة العصر	٦٤٨	سورة النصر	٦٧٩
تفسير الآيات: ٣ - ١	تفسير الآيات: ٣ - ١
سورة الهمزة	٦٥٠	سورة المسد	٦٨٤
تفسير الآيات: ٩ - ١	تفسير الآيات: ٥ - ١
سورة الفيل	٦٥٢	سورة الإخلاص	٦٩٧
تفسير الآيات: ٥ - ١	تفسير الآيات: ٤ - ١
سورة قريش	٦٦٠	سورة الفلق	٧٠٦
تفسير الآيات: ٤ - ١	تفسير الآيات: ٥ - ١
سورة الماعون	٦٦٢	سورة الناس	٧١٠
تفسير الآيات: ٧ - ١	تفسير الآيات: ٦ - ١
سورة الكوثر	٦٦٨	* فهرس الموضوعات	٧١٤
تفسير الآيات: ٣ - ١		

دار ابن الجوزي 8428146



161661